جمعية الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمى

موسوعة الأنبا غريغوريوس ٢٩

مقالات وموضوعات متنوعة - الجزء الأول

موضوعات روحية

للمتنيح الأنبا غريغوريوس

أسقف عام

للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية

والبحث العلمى

جمعية

الأنبا غريغوريوس

أسقف البحث العلمي

موسوعة الأنبا غريغوريوس

٢٩

مقالات وموضوعات متنوعة

الجزء الأول

موضوعات روحية

للمتنيح الأنبا غريغوريوس

أسقف عام

للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية

والبحث العلمي

اسم الكتاب : مقالات وموضوعات متنوعة. ١ - موضوعات روحية.

المؤلف : المتنيح الأنبا غريغوريوس.

إعــــداد: الإكليريكى منير عطية.

الناشــر: جمعية الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمى.

٢١٦ ش رمسيس بالعباسية.

ت: ٢٦٧٤٩٢٥٠ - ٢٤٨٣٣٣٦٣

الموقع على الأنترنت : www.Anba-Gregorios.com.

المطبعة : شركة الطباعة المصرية - العبور. ت: ٢٤٦١٠٠٥٨٩

الجمع: شركة فاين للطباعة وفصل الألوان.

ت: ٢٤٨٢٤١١٣ - ٢٤٨٢٠٩٠٣

E-mail: Fineco_staff@finecoprinting.com

رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٠٠٩/١٠٧٣٥

حقوق الطبع محفوظة لجمعية الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمى

المشهرة برقم ٥٩٤٦ لسنة ٢٠٠٥م القاهرة

قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث

نيافة الحبر الجليل المتنيح الأنبا غريغوريوس

مقدمة

هذا هو الجزء التاسع والعشرين من موسوعة الأنبا غريغوريوس، وقد سبقه ثمانية وعشرين جزءاً، كان الأول فى اللاهوت المقارن، والثانى فى اللاهوت الأدبى، والثالث فى الرهبنة، والرابع فى الدراسات الفلسفية، والخامس فى اللاهوت الطقسى، والسادس فى لاهوت السيد المسيح، والسابع فى سرّى التجسد والفداء والثامن فى الجزء الأول من أسرار الكنيسة السبعة ويشمل المعمودية والميرون والقربان والتوبة وسر مسحة المرضى، والتاسع فى الجزء الثانى من الأسرار ويشمل سرّى الزيجة والكهنوت، والعاشر فى الكنيسة الأرثوذكسية وعقائدها. والحادى عشر فى الحياة بعد الموت والمجىء الثانى، والثانى عشر فى الكتاب المقدس وطرق دراسته، والثالث عشر مقالات فى الكتاب المقدس وإجابات على أسئلة، والرابع عشر فى تفسير إنجيلِّى متى ومرقس، والخامس عشر فى تفسير إنجيل القديس لوقا، والسادس عشر فى تفسير إنجيل القديس يوحنا، والسابع عشر تأملات وتعليقات على سفر أعمال الرسل وبعض رسائل القديس بولس الرسول، والثامن عشر عن الشهادة والإستشهاد وشخصيات كتاب مقدس وقديسون، والتاسع عشر عن الله والوجود والكون وطبيعة الملائكة، والعشرون عن العذراء مريم، حياتها ورموزها وألقابها، وفضائلها وتكريمها وظهورها ومعجزاتها، والحادى والعشرين فى اللاهوت الأدبى - الجزء الثانى - فى الوصايا العشر، من الوصية الثانية إلى الوصية الخامسة، والثانى والعشرين فى اللاهوت الأدبى - الجزء الثالث - فى الوصايا العشر من الوصية السادسة إلى الوصية العاشرة، والثالث والعشرين فى الأعياد المسيحية، والرابع والعشرين هو الجزء الأول من الدراسات التاريخية عن الأديرة والمزارات - مصر وأحداث كنسية. والجزء الخامس والعشرين فهو الجزء الثانى من الدراسات التاريخية عن الوحدة الوطنية ودور الكنيسة فى تدعيمها. والجزء السادس والعشرين وهو الجزء الثالث من الدراسات التاريخية عن القدس وفلسطين ودور الكنيسة من أجل تحريرها، والجزء السابع والعشرين عن الخدمة والخدام، المفاهيم والمجالات والمؤهلات والمعوقات، والجزء الثامن والعشرين عن الشباب والأسرة فى المجتمع.

أما هذا الجزء التاسع والعشرين فهو الجزء الأول من مقالات وموضوعات متنوعة ويشمل الموضوعات الروحية وصلوات وتأملات وكلمات عزاء.

هذه هى الثمرة التاسعة والعشرين وهى من نتاج العالم والمعلّم والحبر الجليل المتنيح الأنبا غريغوريوس، الذى قال عنه قداسة البابا شنودة الثالث:

«حياة الأنبا غريغوريوس تتلخص فى كلمتين «التكريس والعلم» ... وكان العلم يشغل كل وقته ... بهذا التكريس للخدمة، وبهذا العلم كان باستمرار معتكفاً فى مسكنه، يقابله الناس وهو مشغول بين الكتب والكتابة ...

«كان الأنبا غريغوريوس يتميز بالشمولية فى العلم .. كان فى أساتذة الإكليريكية من هو متخصص بالكتاب المقدس، ومن هو مختص بالعقيدة، ومن هو مختص بالقانون. أو فى الطقس إلى آخره .. ولكنه كان يشمل كل هذه العلوم معاً .. وفى الواقع كان معلماً قديراً .. له معلومات كثيرة .. هو موسوعة من المعلومات .. كان مثلاً من الأمثلة التى لا تتكرر كثيراً فى العلم الكبير ....».

وسنفرد الأجزاء الباقية من هذه الموسوعة لتشمل الموضوعات الدينية والكنسية، والموضوعات العامة، وكذلك عن الإكليريكية والمعاهد الدينية ومدارس التربية الكنسية، وكتاباته عن القوانين والأحوال الشخصية، وأقوال الآباء القديسين والعلماء، وسنفرد أجزاء تشمل أعمال الأنبا غريغوريوس واقتراحاته والمؤتمرات التى اشترك فيها، لكى تكتمل سيرته. بحيث تشمل أجزاء الموسوعة حياة الأنبا غريغوريوس وجميع كتاباته وكل نشاطاته.

والرب وحده قادر أن يكمل مشروعنا هذا ويكلله بالنجاح، بصلوات صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث، أدام لنا الرب حياة قداسته، ومتعنا الرب برئاسته للكنيسة ولنا أباً وراعياً، وحفظ الله قداسته بكل سلامة متمتعاً بكامل الصحة والعافية، ونفعنا الرب ببركة صلوات غبطته.

الإكليريكى منير عطية

إهداء

إلى القديس والفيلسوف والعالم

الأب بنتينوس الإسكندرى

بين يَدَّى الله مخلصنا ومخلص الناس جميعا، وإحياءً لذكراك أيها القديس والعالم والفيلسوف، نضع، بكل اتضاع واحترام هذه السلسلة من المحاضرات والمواعظ تعبداً لله، وخدمة لإسمه القدوس، فى جيلنا وللأجيال الآتية.

أنت الرجل الأمين، والمعلم الفذ، الذى أخلص لرسالته، وعاش للإكليريكية والعلم وفسر الكتاب المقدس كله، من أوله إلى آخره تفسيراً شاملاً، روحياً وعقائدياً وتعليمياً، حتى عرفت بين آباء الكنيسة جميعاً فى العصور الأولى المسيحية أنك «مفسر كلمة الله». ولقد وصفك تلميذك العظيم اكليمنضس بأنك «موعب من روح الكتاب المقدس». ومع بالغ الأسف لم يبق من كتاباتك الثمينة شىء، إلا شذرات قليلة وردت فى كتابات بعض الآباء من بعدك ممن أشاروا إليك، واقتبسوا منك. ولابد أنه قد احترقت جميع كتبك فى الحريق الهائل الذى دمر مكتبة الإسكندرية العريقة، وأتلف تراثها الأدبى والروحى.

لكن تلميذك النابغة الفيلسوف والقديس اكليمنضس الإسكندرى كان معجباً كل الإعجاب ووصفك بأنك «من أعظم الأساتذة وأكملهم» فكشف لنا عن شخصيتك وأبان أنك لم تكن مُعَلِّماً كأى معلّم، بل كان تعليمك مصاحباً كمال سيرتك، ونابعاً من فضيلتك. ولقد وصف صدق تعليمك وأمانته ودقته، بأن قال بأن قولك دائماً كان «لسان القفل فى أقواله وكتاباته»، وهو تعبير يدل على مبلغ احترامه لتعليمك، وإنه فى كل ما قال وعَلّم كان تابعاً لك، وإنه كان يجد فى أقوالك الختم الدامغ، والقول الفصل فى كل ما عَلّم به وكتب. بل زاد قائلا بأن مقابلته الأولى لك كانت آخر مقابلة لعدد كبير من المعلّمين فى زمانه، لكنها كانت الأولى من حيث قوتها وعمق أثرها فى نفسه، وإنه كان يجد فيك دائماً راحة لأفكاره وجواباً شافياً لكل أسئلته.

ولئن برهن اكليمنضس بقوله هذا على وفائه لمعلمه وإخلاصه التام للرجل الذى درس عليه، ووجد فيه إشباعاً لعقله وروحه.. بل لقد ألغى نفسه ونسب الفضل كله لمعلّمه.. إلا أنه فيما قال، جعلنا نقف على إستقامة سيرتك وجمال فضيلتك وسعة علمك،

وخصوبة فكرك، ورجاحة عقلك، وأصالة روحك، بل وعلى سلامة تعليمك وتفسيرك للكتب المقدسة.

يا معلم الإكليريكية الأول، إننا نحييك ونحمد سيرتك ونقرر أننا - والكنيسة كلها - مدينون لك بالكثير..

إننا نترحم عليك. ونسألك أن تعين الإكليريكيين وخدام الكلمة، بصلواتك ونفحاتك، ليفسروا كلمة الحق بالإستقامة. فكلمة الله نور، ولكن حامل النور يجب أن يقف ويمشى بحيث لا يحجب النور عن السالكين فى طريق النور وبحيث لا يكون لشخصه شىء من الظل يعوق سبيل النور، أو ينقص من جماله وبهائه..

«ولا يوقد سراج ثم يوضع تحت مكيال، وإنما على منارة فيضىء لكل من فى البيت» (متى ٥: ١٥).

من ابنك

غريغوريوس

باخوم المحرقى - وهيب عطاالله

نـــداء .. ورجـــاء

نداء لمحبى المسيح والأنبا غريغوريوس الذين بدافع المحبة يضعون موسوعته على «النت» مما يؤثر فى المبيعات، وبالتالى فى عدم تكميل طباعة باقى الموسوعة فرجاء عدم فعل ذلك، لمساعدتنا فى طباعة باقى هذا التراث الذى سيكون سبب فائدة كبيرة للأجيال القادمة.. ورجاء محبة من لديه الإمكانية المالية مساعدتنا فى طبع باقى الأجزاء، عن طريق مقر الجمعية (العنوان والتليفونات صـ٢) وذلك نظير إيصالات علماً بأن الجمعية هـى المكان الوحيد المسئول عن كل ما يمت للمتنيح الأنبا غريغوريوس.

والله يعوض الجميع خيراً.

أولاً : الموضوعات الروحية

١ - روحانية الكنيسة القبطية.

٢ - دعوا الروح يملأكم.

٣ - الشر، أسبابه ونتائجة.

٤ - أيستطيع أعمى أن يقود أعمى.

٥ ـ الإنسان والهدف الأعلى فى الحياة.

٦ - الزهد والحياة النسكية.

٧ ـ التواضع.

٨ - الجهاد القانونى.

٩ - سيدى يا قداسة البابا.

١٠ - محاسبة النفس.

١١ - الاستنارة.

١٢ - مثل الوزنات.

١٣ - صلاة السيد المسيح والتجارب للإنسان.

١٤ - الحاجة إلى واحد.

١٥ - عمل الإيمان فى بناء شخصية الإنسان.

١٦ - فضيلة الإماتة.

١٧ - حياة الإنسان سفينة.

١٨ - البصر والبصيرة.

١٩ - ماذا نصنع إزاء أعدائنا.

٢٠ - الظاهر والباطن.

٢١ - التقشف العالمى وواجب الكنيسة.

٢٢ - التجارب والكنيسة.

٢٣ - رؤية الله.

١ - روحانية الكنيسة القبطية

الكنيسة أولاً هى كنيسة المسيح، عروس المسيح التى خطبها لنفسه. فهى له، وهو لها وليس لنبى ولا لرسول ولا لخادم أياً كان أن يدّعى لنفسه حقاً خاصاً فى هذه الكنيسة، لأنها كنيسة المسيح. هو معبودها الأول، وهى مرتبطة به ارتباطاً حياً دائماً، لأنه رأسها، وهى جسده.

هذه الكنيسة قد اشتراها المخلِّص لنفسه، بدمه. من هنا كانت الكنيسة ثمينة، وثمنها هو ثمن دم المسيح، دم المسيح المعروف سابقاً قبل تأسيس العالم (١.بطرس ١:٢٠) دم المسيح الثمين الذى لا يوجد شئ فى الوجود يقابل هذا الثمن الذى لا نهاية لقيمته، لأنه دم الإله المتأنس.

الكنيسة غالية، وثمنها ثمين، ثمن المسيح، فهى له وهو لها. والكنيسة تضم جميع المؤمنين بأسمائهم، المرتبطين مع الرأس، وهو المسيح، برباط الوحدة والحب والإيمان. وليس لهم تعليم إلا تعليم المسيح. ليس لهم مُعلِّم إلا المسيح، كما قال لتلاميذه القديسين «إن مُعلِّمكم واحد هو المسيح». (متى ٢٣: ٨،١٠) والرسل إذا سُمُّوا معلِّمين فليس بمعنى أنهم أصحاب تعاليم خاصة، ولكن بمعنى أنهم لا يُعلِّمون إلا تعاليم مخلِّصهم. فتعليمهم هو تعليم المسيح وحده. ولذلك فالمسيح هو المعلِّم الأوحد فى كنيسته. وكل الخُدَّام لا يعلِّمون فى الكنيسة آراءهم الخاصة وإنَّما يعلِّمون تعاليم المسيح. هذه هى سمة المعلِّم المخلص فى الكنيسة، الذى لا ينشئ أو يبتدع تعليماً جديداً إنما يرتبط بالتعليم الواحد، والمعلِّم الواحد وهو المسيح. فليس فى كنيستنا على طولها وعرضها، وعلى كثرة أتباعها، وعلى إمتدادها فى ربوع العالم، إلا معلِّم واحد، هو المسيح، وأما جميع خدَّامها فينقلون هذا التعليم الواحد الذى للمعلِّم الواحد.

وشكراً لله إننا نحن المؤمنين المسيحيين الأقباط تلقينا تعليماً تسلَّمناه من أحد رسل المسيح الذى جاء بنفسه إلى بلادنا ونقل إلينا تعاليم مخلّصه، وهو القديس مارمرقس الرسول الذى جاء بلادنا يجول شوارعها ويصلِّى من أجل الذين يبشرهم ويسأل لهم الخلاص، وبدأ يعلِّم فى شوارعنا. وهذا التعليم إقتضاه أن يبذل حياته وأن يسفك دمه بفعل الحاسدين الحاقدين من الوثنيين الذين سمعوه يعلِّم تعليماً يُقَوّض أركان وثنيتهم، فقاوموه وعارضوه، ولكن «دماء الشهداء بذار الإيمان».

هذا الدم الذى سفُك فى شوارع الإسكندرية صار بذرة الإيمان. وامتد الإيمان فى بلادنا، قليلاً قليلاً، كما ينمو الزرع، وقَبلَ شعبنا دين المسيح، وتأسست كنيسة الإسكندرية، وكنيسة مصر. ومن مَصر إمتد الإنجيل إلى خارج مصر، إلى ليبيا، ونيچيريا، وجنوب أفريقيا، وإلى النوبة، وإلى خمس المدن الغربية فى الجزائر وتونس ومراكش، وإلى الحبشة (أثيوبيا)، وإلى كل بلاد إفريقيا، بل إلى قبرص، وإلى بلاد العرب، والأردن، وإلى بعض ربوع مجاورة...

وفى نفس الوقت إمتدت الرسالة أيضاً بفعل الآباء الرسل الآخرين إلى أقطار العالم، «وإلى أقصى المسكونة بلغت أقوالهم» (مزمور ١٨:٤)، (رومية ١٠ : ١٨) فتمت فيها وفيهم أقوال الأنبياء الذين أنبأوا بأنهم سيكرزون باسم المسيح فى أنحاء العالم. وهكذا تكونت كنيسة المسيح وانتظم عقدها من كل المسكونة بحق، وصارت جامعة رسولية واحدة مقدسة.

جامعة : تجمع المؤمنين من كل شعب، ومن كل جنس، ومن كل لغة، ومن كل لون.

ورسولية : «لأنها أُسِّست على أساس الرسل والأنبياء، ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية» (أفسس ٢ : ٢٠).

وواحدة : لأنها تتبنى عقيدة واحدة، وإيماناً واحداً، ورأياً واحداً.

ومقَّدسة : «لأن المسيح قدَّسها لنفسه، وبنفسه، كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن، ولا شىء من مثل ذلك بل مقدسة وبلا عيب» (أفسس ٥ : ٢٧).

وقد ساهم شعبنا المصرى القبطى فى بلادنا، فى المحافظة على الإيمان القويم، الإيمان الذى تسلّموه من المسيح ومن الرسل القديسين، ومنهم مار مرقس الرسول الذى جاء بنفسه. وقبل مجىء القديس مرقس جاء المسيح نفسه طفلاً محمولاً على كتفى العذراء مريم فتباركت بلادنا بزيارته، وتباركت أرضنا الطاهرة بالعائلة المقدسة التى لم تجد بعد فلسطين مقراً لها إلا فى مصرنا العزيزة. ومن هنا فقد نال شعبنا بركة لم ينلها أى شعب آخر من شعوب العالم كقول الكتاب المقدس «مبارك شعبى مصر» (إشعياء ٢٥:١٩) «ومن مصر دعوت إبنى»، «يكون للرب مذبح فى وسط أرض مصر ونصب للرب بجانب تخمها فيكون علامة وشهادة لرب الجنود فى أرض مصر.. فيعرف الرب فى مصر، ويعرف المصريون الرب ... ويقدمون ذبيحة وتقدمه وينذرون للرب نذوراً ويوفون بها» (إشعياء ١٩:١٩ - ٢١).

ومن يوم أن أتى المسيح الرب إلى بلادنا، ومن بعده مار مرقس الرسول، وإلى يومنا الحاضر، ونحن نتمتع ببركة خاصة يحسدنا عليها أى شعب آخر من شعوب العالم. نحن فى مصر نتعامل بسهولة مع السمائيين، والسمائيون يتعاملون بسهولة معنا. لا يوجد أى بلد من بلاد العالم يتعامل بسهولة مع السمائيين كما يتعامل الأقباط فى مصر. المسيح والعذراء وسائر القديسين من مار مرقس، إلى أبى سيفين، إلى مار جرجس، إلى مار مينا العجائبى، إلى الأنبا برسوم العريان، إلى الست دميانة، فى زيارات متوالية لبلادنا مصر العزيزة، منذ يوم أن جاء مخلِّصنا له المجد إلى هذه البلاد وإلى وقتنا الحاضر الذى نعيش فيه الآن، ونحن ننعم بهذه البركات الروحانية المتوالية، الأمر الذى تحسدنا عليه كل شعوب العالم. وأخيراً وليس آخراً، ظهور سيدتنا العذراء مريم مرة أخرى، فى كنيستها بالزيتون منذ أبريل لسنة ١٩٦٨، هذا الظهور العلنى الجهارى الواضح الذى رآه ملايين البشر، مسيحيين ومسلمين... منذ مجىء المسيح، ونحن ننعم من وقت إلى آخر بظهور عدد كبير وسحابة من شهود كثيرين من الذين رحلوا إلى العالم الآخر، يفتقدون المرضى منا، ويعزون الحزانى، ويشجعون المتعبين والمتألمين، نراهم بعيوننا جهاراً، ونسمع أصواتهم بآذاننا فى وضوح، وقد نشاهدهم فى الأحلام وفى الرؤى. وهذا كله معناه أننا نحن فى مصر نتعامل بسهولة مع القديسين السمائيين، وهم يتعاملون بسهولة معنا، وهذه ميزة كبيرة ... بل رئيس الملائكة ميخائيل قد ظهر أيضاً ويظهر فى بعض كنائس بلادنا، وله معجزات متعددة.

وغير هؤلاء وأولئك أيضاً من السمائيين يظهرون ويصنعون بنا ومعنا عجائب مما لا يقع تحت حصر، أى أنه منذ مجىء المسيح إلى الآن وشعبنا يتعزى ويتقوى بظهور القديسين والسمائيين ويتمتع بمعجزات الشفاء والبرء من الأمراض المستعصية، وبآيات التجلى، وبمؤازرة السمائيين ومعونتهم وشفاعتهم، وبصورة واضحة جداً لا نظير لها بنفس القوة والوضوح فى أى بلد آخر.

ذلك فضل من الله، ولكنه أيضاً ميزة من ميزات شعبنا لأن شعبنا على وجه العموم يتميز بالبساطة وبالتدين. شعبنا شعب يأخذ الدين بالبساطة ويفرح بالحقائق الدينية ويقبلها قبولاً طيباً وعميقاً، يقبلها بغير خبث، وببساطة روحية إيمانية، ويقبل الحقائق الدينية قبولاً عملياً. الدين بالنسبة لنا وبالنسبة لشعبنا حياة. الدين عندنا ليس ديناً نظرياً عقلياً، نستعمله عند اللزوم، ونتركه عند اللزوم. لكن الملاحظ فى شعبنا أن الدين يجرى

فى عروقه وفى شرايينه وفى حياته العملية، فى الشارع، وفى العمل، وفى البيت، وفى العائلة، وفى معاملاته الخاصة. هذا ما يميز شعبنا على مر العصور ولست أقصد بذلك شعبنا الآن فقط فى النصف الثانى من القرن العشرين، وإنما أقصد شعبنا على مر العصور.

هذه نظرة عامة على شعبنا القبطى فى كل تاريخه، شعب يقبل الدين ببساطة، ويقبله بمحبة، ويقبله قبولاً عملياً. إن الدين يمشى فى حياتنا وفى عروقنا وفى أعمالنا، وفى كل شىء إنه متحد بنا بغير إنفصال ولا افتراق. الدين فينا لا يفترق عن الحياة. هكذا عاش آباؤنا، وكانوا أكثر منا فى هذه البساطة وفى هذه الطهارة، وفى هذا الإيمان العملى، وفى هذه الحياة المسيحية العملية، لدرجة أنه كان من المعروف عن آبائنا إذا قابل وثنى وثنياً آخر ورأى عليه علائم الوداعة والإتضاع والسكون والهدوء فى تصرفاته، كان يبادره بالسؤال : هل قابلتَ اليوم مسيحياً؟ معنى ذلك أن مجرد مقابلة المسيحى كانت كافية أن تلقى على الوثنى ظلاً واضحاً من الوداعة والسكون. إذن كم كانت حياة المسيحيين أنفسهم؟! كم كانت من القوة والفاعلية؟ وكم كانت الخصائص التى تميز المسيحى من غير المسيحى؟! أما اليوم، فقد لا نجد مع الأسف هذا الفرق الواضح بين المسيحى وغير المسيحى!!.

روحانية الكنيسة القبطية فى تعاليمها :

كنيستنا كنيسة روحانية، والروحانية واضحة :

أولا - فى تعاليمها :

والتعاليم الروحانية، هى تعاليم المسيح. لقد ارتبطت كنيستنا بتعاليم المسيح بإخلاص شديد. وبسبب روحانية كنيستنا تعلَّمنا أن نحافظ على هذه التعاليم، وأن نتمسك بها، وأن نرتبط بها إرتباطاً وثيقاً، لا نحرّف فيها، ولا نزيد عليها، ولا ننقص منها.

وهذه ميزة من ميزات الكنيسة القبطية. إنها كنيسة محافظة، كنيسة تفتخر بأرثوذكسيتها وتفاخر بسلامة تعليمها. وأرثوذكسية كنيستنا معناها أن كنيستنا تسير على خط مستقيم مع التعليم الأول الذى تسلَّمناه من المسيح، أى أننا نسير على خط واحد مستقيم مع التعليم القديم الذى تسلَّمناه من المسيح والذى تسلَّمه منه الآباء الرسل القديسون الذين سلَّمونا هذا الإيمان، وحافظنا نحن عليه، وحافظ أجدادنا وآباؤنا عليه. وكان الواحد فيهم يفضل أن تُقطع رقبته أو يقطَّع جسمه إرباً إرباً، ولا يسمح لنفسه أن يفرط فيه أو يتنازل عنه، أو يتساهل أو يتسامح فى شىء من حقوق المسيح أو فى شىء من

التعليم الكنسى الذى تسلّموه عن آبائهم وأجدادهم، وهكذا سلّموه إلينا سالماً سليماً. ونحن بروحانية آبائنا وأجدادنا، واعتزازنا بأرثوذكسيتنا، يجب أن نحافظ على هذا التعليم وأن نتمسك به وأن لا نتساهل فيه وأن نرتبط به إرتباطاً كاملاً وثيقاً. وهذه ميزة خاصة واضحة فى كنيستنا القبطية، إنها كنيسة روحانية فى تعاليمها، وإن روحانيتها تجعلها أشد إرتباطاً بتعليم المسيح، لأن بدون الروحانية يتساهل الإنسان ويتسامح، ولا يجد داعياً لهذا التشدد وهذا التمسك، ولاسيما فى أزمنة الفتور والضعف، أو فى وقت الشدة والضيق. الشخص الرّوْحانى يحس بالإلزام والإرتباط، ويحس أنه مرتبط روحياً بالمسيح وبتعاليم الكنيسة. لأن رُوحانية الكنيسة فى دمه تدعوه دائماً أن يلتزم بالتعليم ولا يحيد عنه. والرُّوْحانية تملى عليه التمسك وعدم التفريط، وعدم التسامح والتساهل فى حقوق الله. الرُّوحانية تعلّمه أن يتسامح فى حقوقه الخاصة، فى كل ما يتصل بشخصه، وفى كل ما يتصل بحياته الخاصة، من مأكل وملبس وشراب ومسكن، ويتسامح فى طعامه ولباسه وكل ما يتعلق بأموره الدنيوية، ولكنَّه لا يتسامح فى حقوق الإيمان، وحقوق الله، وحقوق الكنيسة، بل على العكس يصير شديد التمسك، شديد الارتباط بتعاليم الله وتعاليم الكنيسة، لأنها حقوق الله وليست حقه الشخصى أو الخاص. ولذلك قالوا عن القبطى الأُرثوذكسى : «إن تحويل جبل من موضعه أيسر من تحويل قبطى عن معتقده».

هكذا تَمَيَّزَ شعبنا بالتمسك والارتباط بالكنيسة وبالتعليم الأُرثوذكسى والإرتباط بالإيمان المسيحى، وعدم التساهل فى العقيدة، وعدم التسامح، وعدم التفريط فى حقوق الله وحقوق الإيمان الذى تسلَّمناه من آبائنا الرسل.

وتظهر رُوْحانية كنيستنا القبطية أيضاً من ذات التعليم الأُرثوذكسى الذى تعلّم به، لأنه هو فى حقيقته تعليم رُوْحانى.

إنَّ كل تعليم من تعاليم كنيستنا هو تعليم روحانى، لأنه وجد فى الكنيسة لهدف بَنَّاء. فهو موضوع لبناء نفوسنا روحياً. إنّ كنيستنا لا تعلّمنا تعليماً لمجرد المعرفة النظرية، وليس لندخل به فى نقاش وجدل عقيم بين المؤمنين وغير المؤمنين. إنما كل تعليم هو أولاً وقبل كل شىء لبناء أرواحنا ونفوسنا ودعم روح التقوى، ولنصير به إلى حياة أفضل، وسلوك أنفع وأقوم. فإذا كنا نؤمن بالله الواحد المثلث الأقانيم. وبلاهوت المسيح، وبالتجسد، وبالفداء، وبالقيامة، وبالحياة الأخرى الأبدية، وبالثواب وبالعقاب، وبمواهب الروح القدس، وأسرار الكنيسة. فهى عقائد روحانية تقوية تبنى حياتنا وتخدم خلاص

نفوسنا للحياة الأبدية السعيدة. هذه العقائد نحن نتمسك بها لأن كل عقيدة منها تنقل إلينا روحانية المسيحية، وعندما نتمسك بأى تعليم من هذه التعاليم فلأنه يبنى الحياة الروحية.

خذ مثلاً لذلك التعليم بالاستشفاع بالقديسين. إننا عندما نطلب مؤازرة القديسين لنا فى صلواتنا ونقول لهم : صلُّوا معنا واطلبوا من أجلنا فإن هذا التعليم ينطوى على مبادىء روحية منها :

١ـ عندما نصلى من أجل المنتقلين، والمنتقلون يصلُّون من أجلنا، ونحن نصلى من أجل بعضنا بعضاً. أليس هذا تطبيقاً عملياً لمبدأ المحبة المسيحية، لأن المحبة هى التى تقودنا أن نصلِّى من أجل بعضنا بعضاً تعبيراً عن إهتمامنا الواحد بالآخر. إذن عقيدة الإستشفاع بالقديسين عقيدة تنطوى على مبدأ الحب المسيحى لأننا كلنا نفكر فى خير بعضنا بعضاً، وكُلُّنا نهتم بعضنا ببعض، وكلنا نصلّى من أجل بعضنا بعضاً.

٢ـ ثم إنّ الاستشفاع بالقديسين ينطوى على فضيلة الاتضاع، لأن المتضع هو الذى يشعر بحاجته إلى صلوات الآخرين من أجله. أما الذى يقول فى نفسه : من هو القديس مار جرجس؟ ومن هى العذراء مريم؟ ولماذا لا أكون أنا مقبولاً عند الله أكثر من العذراء مريم وأكثر من مار جرجس، فهذا هو المتكبر، المتغطرس الذى يحس أنه شىء، وأنه فى غير حاجة إلى غيره. على العكس من ذلك الأرثوذكسى، فإنه يقول فى قلبه : إنى وإن كنت أنا أرفع صلاتى إلى الله، لكننى أشعر بصغارتى وكثرة خطاياى مما يعيق استجابة صلاتى، لذلك أؤمن بحاجتى إلى صلوات القديسين من أجلى لأنهم أقرب إلى الله منى «وطلبة البار تقتدر كثيراً فى فعلها» (يعقوب ٥: ١٦). فصلواتهم تؤازرنى، وتدعم صراخى ودموعى أمام الله، وتستجلب لى رحمته لأن «ذبيحة الأشرار مكرهة الرب، وصلاة المستقيمين مرضاته» (الأمثال ١٥:٨) فالأرثوذكسية التى تعلِّمنا أن نستشفع بالملائكة والقديسين، تعلِّمنا بذلك روح الاتضاع. والاتضاع فضيلة مسيحية.

٣ـ ثم إنّ الاستشفاع بالقديسين ينطوى على الإيمان بالحياة الأُخرى وبالخلود، لأننا لا نستشفع بالقديسين الذين انتقلوا إلى العالم الآخر منذ مئات السنين، إلا لأننا نؤمن بأنهم أحياء عند الرب، وأنهم لن يتلاشوا. وأنهم فى عالم البقاء أحياء،

قادرون على أن يهتموا بنا ويستجيبوا لاستغاثتنا بهم ويصلوا إلى الرب من أجلنا. إنّ الأُرثوذكسيين الذين يستشفعون بالعذراء مريم التى رقدت فى الرب منذ نحو ألفى عام، وبالقديس مار جرجس الذى استشهد منذ ١٧ قرناً، وبالأنبا برسوم العريان الذى انتقل منذ ألف عام، لا يمكن إلا أن يكونوا مؤمنين بالحياة بعد الموت، وبالخلود، أعظم ما يكون الإيمان.

وإذن فالاستشفاع بالقديسين ينطوى على ثلاث فضائل مسيحية على الأقل : وهى الحب، والاتضاع، والإيمان الواضح بالحياة بعد الموت. وبالخلود.

وهكذا يمكن أن نستطرد ونثبت أن كل عقيدة من عقائد الإيمان تنطوى على قيم روحية، وأنها تعمل من أجل بنيان الحياة الروحية، ونحن إذ نتمسك بها لا نتمسك بها مظهرياً، ولا لكى نجعلها موضوعاً للجدل والمناقشة والاختلاف، والكلام النظرى. وإنما لكى نمارسها ممارسة عملية، ولكى ننتفع بها روحياً. ومن هنا فنحن لا نتمسك بعقائد جافة ميتة. إنّما عقائدنا عقائد روحية لبنيان الحياة الروحية ودعم الحياة الباطنية ورفع مستوانا «إلى قياس قامة ملء المسيح» (أفسس ٤:١٣).

ثانياً - فى تاريخها العظيم :

عندما تقرأون تاريخ آبائكم تلمسون العظمة والأمجاد، وتقفون على الرُّوحانية العظيمة التى كانت لآبائنا وأجدادنا والتى ظهرت فى هذا التاريخ الطويل. تأملوا الرهبان الذين ملأوا الصحارى والبرارى والقفار وشقوق الأرض من دون أن يطلب أحد منهم ذلك. ذهبوا إختياراً وطوعاً وعاشوا عيشة الشظف والقسوة والحرمان. من الذى إضطرهم إلى هذا؟ لم يلزمهم أحد بذلك وإنما مضوا عن رضى وسرور وأريحية ورغبة روحانية عارمة لكى يتفرغوا لعبادة المسيح، ويتبتلوا لخدمته وينقطعوا لمخاطبته ومحادثته والحياة معه.

وقد ارتفع ترمومتر الحياة الروحية عند هؤلاء الآباء فوصلوا إلى قامات روحية عالية ومستويات جبارة حتى قال أحد المؤرخين «ليست السماء غنية بنجومها غنى برارى مصر برهبانها»..

ألوف ألوف من هؤلاء العظماء تركوا الحياة الدنيا وباعوها وداسوها بأقدامهم، واحتقروا أباطيل العالم، وعاشوا هناك عيشة قاسية، وقنعوا بالقليل من الطعام والشراب

واللباس والمسكن والنوم، لكى يتفرغوا تفرغاً تاماً للعبادة «والصلاة بلا إنقطاع» كما قال الرسول بولس (١. تسالونيكى ٥: ١٧) وهذا يدل على أنه كان عندهم جوع مستمر إلى حياة البر (متى ٥:٦)، هذا الجوع وهذا الظمأ إلى البر والتقوى والدخول العميق الواصل فى شركة دائمة مع المسيح. لأجل هذا تركوا كل أباطيل العالم وقنعوا بالقليل من ضرورات الحياة وماتوا عن الدنيا. ذهبوا إلى البرية ليبنوا مستقبلهم الأبدى، ويعتنوا بمصيرهم الأخروى. ولقد قرروا مع أنفسهم أنهم قد انتهوا من الدنيا وارتبطوا بالآخره. خرجوا من الحياة الحاضرة بإرادتهم خروجاً معنوياً روحياً، وعاشوا على الأرض وكأنهم فى السماء. ولذلك وصل هؤلاء الآباء إلى مستويات ضخمة حتى كان الكثيرون من الراغبين فى الحياة الروحية يأتون من أقصى بلاد العالم إلى بلادنا المصرية، إلى صحارينا، ليتعلّموا منهم دروساً فى الرُّوحانية بعد أن أتموا علومهم هناك فى بلادهم. كانوا يأتون إلى بلادنا ليدرسوا على هؤلاء العلماء فى الروحانية ويتتلمذوا لهم. ومن بين أولئك العلماء الآتين من بلاد الغرب : أرسانيوس معلِّم أولاد الملوك فى القسطنطينية. جاء إلى برية مصر، جاء ليعيش عيشة راهب بسيط ليتتلمذ على المعلِّمين العظام فى الروحانية.

كان يقول عن نفسه إن أرسانيوس معلِّم أولاد الملوك لا يعرف ألف باء التى يعرفها أصغر راهب فى الصحارى المصرية.

ثالثاً - فى طقوسها :

كل طقس من طقوسها وكل ترتيب فيها يحمل معانى روحية، وليس هنا مجال الكلام عن هذا بالتفصيل. يمكن أن ترتب دراسات تستغرق سنوات إذا أردتم دراسة جميع طقوس الكنيسة دراسة روحية لكى تعلموا أن كل حركة فى الكنيسة، وكل حركة يتحركها الكاهن، وكل طقس من طقوسنا يمارسه الشماس والشعب. وكل حركة فى القداس أو كل حركة فى الخدمات الطقسية الأخرى من المعمودية إلى الميرون إلى الزيجة... كل حركة لها معانى روحية بعيدة المدى. ومما يميز كنيستنا أنها لم تغير فى نظام عبادتها. ولم تتزحزح عن تراثها القديم. ولم تختصر كما اختصر غيرنا تمشياً مع نداءات المدنية.

ولا يزال قُدَّاسنا بأنغامه وألحانه وألفاظه القوية العميقة يستغرق وقتاً مناسباً حتى لو بدا لبعض الناس أنه وقت طويل. فى بعض الأحيان نسمع صوتاً من هنا ومن هناك، من بعض المتمدينين المتأثرين بنزعة العصر الحديث، ويقولون إننا فى زمن من غير الزمن الذى عاش فيه آباؤنا. نحن فى عصر السرعة. وكل شيء يجرى. لماذا نحن لا نسرع فى

عبادتنا؟ ولماذا لا نجتزىء وقت الصلاة، ونكتفى فى القداس بنصف ساعة حتى لا يمل الناس الصلاة، وحتى يتمكنوا من حضور القداس كاملاً، بما لا يتعارض مع ارتباطاتهم؟ ونحن نجيب على هذا التساؤل بأن القداس سيمفونية روحانية. وكل فن جميل لابد أن يُعْطَى وقتاً كافياً ليستطيع الإنسان أن يتذوقه ويستمتع به. وبغير الوقت الكافى لا يكون فن ولا يكون للفن جمال ولا تذوق. فالمصور البارع، والنحات الفنان، والموسيقار المبدع... كل هؤلاء لابد لهم من وقت كاف ليبلغوا إلى عمق الفن وروعة الأثر فى نفوسهم، وبالتالى فى نفوس الذين يتأثرون بفنهم.

وقديماً قال أفلاطون : «اطلب جودة العمل ولا تطلب سرعته فإن الناس لا يسألون فى كم فرغ، بل يتأملون جودته وإتقان صنعته». وهذا المبدأ ينسحب على كل أنواع الفنون الأُخرى من غناء إلى تمثيل إلى إخراج مسرحى وسينمائى، إلى كل صناعة عظيمة وإنتاج علمى وعملى، إنسانى وعالمى، وكل عمل آخر عظيم وخالد. كل ذلك لابد له من وقت كاف لإتقانه وإجادته.

لست أدرى لماذا يتعجلون فى القداس، بينما يتسع وقتهم طويلاً ليشاهدوا مسرحية يستغرق عرضها بضع ساعات؟! ولماذا يقلقون فى وقت القداس، بينما يطلبون الإطالة فى قاعات الغناء ودور الخيالة أو السينما؟!. ولماذا يَمَلُّون إطالة الصلاة ولا يَمَلُّون الكلام فى المنتديات واللقاءات، فى الأندية والصالونات وفى مدرجات الملاعب وسباق الخيل وكل صنوف الملاهى، وهم يقضون الساعات والساعات الطوال، وهم لا يبالون بالوقت بل يحسبونه متعة يسعون إليها ويدفعون فيها ثمناً غالياً، ويتسابقون على المقاعد؟ أليس هذا حقاً برهاناً واضحاً على الفتور الروحى والكسل الدينى، واللامبالاة التى تتستر فى ستائر الغيرة على وقت الناس الثمين؟ نعم إن السبب الحقيقى ليس هو ضيق الوقت، وإنما هو الفتور الروحى والضياع الدينى وفقدان الشهية الروحية!

وهل يعلم هؤلاء المتذرعون بضيق الوقت عن طول القداس فى يوم الأحد، أن يوم الأحد هو يوم الرب (الرؤيا ١ : ١٠)، ولابد للقداس أن يأخذ وقته المناسب فى يوم الرب، فى اليوم الذى خصصه لعبادته.

على أن هؤلاء الذين يطالبون باختصار وقت العبادة هم بعض الفاترين من الناس، ولكن مازال شعبنا القبطى الأصيل العريق، على سجيته فى محبة العبادة وروحانية العبادة. ومازال الأتقياء فى بلادنا كثيرين ممن يحزنون إذا رأوا إهمالاً واختصاراً مخلاً فى

العبادة، تمشياً مع روح العصريين من الفاترين. ومازال الكثيرون لا يستمتعون بالقداس وسائر الخدمات الدينية ما لم تؤد على أصولها الفنية الدقيقة، وطبقاً لأوضاعها الطقسية الفنية الروحية كما رتبتها الكنيسة المقدسة.

إنَّ علينا واجباً إزاء الأجيال الآتية : أن نحافظ على تراثنا القديم، ولا نفرط فيه، ولا نهمله، ولا نزيد عليه أو ننقص منه (الرؤيا ٢٢:١٨، ١٩). هذه هى الأمانة فى الوديعة التى تسلّمناها من آبائنا وأجدادنا، والتى تقتضينا أن نسلِّمها سالمة بغير مساس بها إلى الأجيال الآتية.

هذا هو صوت المسيح الرب إلينا كما يعلنه فى سفر الرؤيا:

«وإنما تمسكوا بما هو عندكم إلى أن أجىء» (الرؤيا ٢: ٢٥).

«كن أميناً حتى الموت، وأنا أُعطيك إكليل الحياة» (الرؤيا ٢:١٠).

تلك بعض دلائل روحانية كنيستنا القبطية الأرثوذكسية.

علينا أن نعيها فى قلوبنا ونسعد بها فى حياتنا. ونعلّم بها أجيالنا الصاعدة ونبشِّر بها الفاترين والبعيدين..

وعلينا أن نحفظها ونحافظ عليها ونتمسك بها وبأهدابها ولا نفرط فيها. إننا إذا حفظناها فإنها تحفظنا لأننا بها نحيا قديسين.

«وبدون القداسة لن يرى أحد الرب» (العبرانيين ١٢:١٤).

٢ - دعوا الروح يملأكم

جاء فى الأصحاح الخامس من رسالة القديس بولس الرسول إلى كنيسة الله التى فى أفسس:

«فكونوا متمثلين بالله كأولاد أحباء. واسلكوا فى المحبة كما أحبنا المسيح أيضا وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة».

«وأما الزنا وكل نجاسة أو طمع فلا يُسَمَّ بينكم كما يليق بقديسين. ولا القباحة ولا كلام السفاهة والهزل التى لا تليق بل بالحرى الشكر. فأنكم تعلمون هذا إن كل زان أو نجس أو طماع الذى هو عابد للأوثان ليس له ميراث فى ملكوت المسيح والله».

«لا يغركم أحد بكلام باطل لأنه بسبب هذه الأمور يأتى غضب الله على أبناء المعصية. فلا تكونوا شركاءهم. لأنكم كنتم قبلا ظلمة وأما الآن فنور فى الرب. اسلكوا كأولاد نور. لأن ثمر الروح هو كل صلاح وبر وحق. مختبرين ما هو مرضى عند الرب. ولا تشتركوا فى أعمال الظلمة غير المثمرة بل بالحرى وبخوها. لأن الأمور الحادثة منهم سراً ذكرها أيضا قبيح. ولكن الكل إذا توبخ يظهر بالنور لأن كل ما أظهر فهو نور. لذلك يقول إستيقظ أيها النائم وقم من بين الأموات فيضىء لك المسيح».

«فانظروا كيف تسلكون بالتدقيق لا كجهلاء بل كحكماء. مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة. من أجل ذلك لا تكونوا أغبياء بل فاهمين ما هى مشيئة الرب. ولا تسكروا بالخمر الذى فيه الخلاعة بل دعوا الروح يملأكم. مكلمين بعضكم بعضا بمزامير وتسابيح وأغانى روحية، مترنمين ومرتلين فى قلوبكم للرب. شاكرين كل حين على كل شىء فى اسم ربنا يسوع المسيح لله والآب. خاضعين بعضكم لبعض فى خوف الله» (أفسس ٥:١-٢١).

الامتلاء بالروح

الموضوع الذى يدور عليه حديثنا هو قول الكتاب : «دعوا الروح يملأكم». ما معنى الامتلاء بالروح؟ وأى روح هو المقصود هنا؟.

معنى الامتلاء :

«دعوا الروح يملأكم» العبارة تفترض أنه فى إمكان الإنسان أن يمتلىء بالروح، من أجل هذا يقول الكتاب المقدس : «دعوا الروح يملأكم». ولابد أن يكون هذا موضوعنا ولكننا نرجىء الحديث عنه الآن إلى أن يأتى وقته.

ما معنى الامتلاء؟

نقول : امتلأ الوعاء، معناه أن الوعاء امتلأ بمحتويات سواء كانت ماء أو سائلا من أى نوع.. إلى أن يصل إلى الحافة بحيث لا يبقى هناك فى الوعاء شئ فارغ.

معنى الامتلاء إذن أن يصل الوعاء للدرجة التى فيها يكون المحتوى فيه قد صعد فى المقياس إلى ملئه أو إلى نهاية هذا الوعاء أى إلى حافته العليا.

مرحلتان :

هذا هو الامتلاء، ولكن يتلو هذا مرحلة أخرى هى بعد أن يمتلئ الوعاء : **أن يفيض**. وهذا تعبيرا استخدمه رب المجد قائلا : «من آمن بى فكما قال الكتاب ستجرى من باطنه أنهار ماء حى. وإنما قال هذا عن الروح الذى كان المؤمنون به عتيدين أن ينالوه» (يوحنا ٧:٣٨،٣٩). يعنى امتلاء الوعاء أولا، ومن بعد أن يمتلئ يفيض... فتجرى الأنهار من هذا الوعاء من بعد امتلائه.

هنا مرحلتان : مرحلة الامتلاء، ثم مرحلة الفيض الذى يترتب عليه أن تجرى أنهار من هذا الفيض.

معنى الإمتلاء بالروح

المقصود بالروح هنا ليس الروح الإنسانية، وإن كان العمل هو مع الروح الإنسانية إنما الامتلاء بالروح هنا المقصود به الإمتلاء من نعمة الروح القدس وعمل الروح القدس، فيصل الإنسان إلى أن يصير عمل الروح القدس **شاغلاً كل فراغ القلب والروح**، بحيث لا يبقى هناك مكان لشئ آخر. ومن دون هذا لا يكون هناك إمتلاء. فالإمتلاء معناه أن يشغل فراغ القلب كله وأن تشغل الروح، فلا يصير للروح الإنسانية إهتمامات أخرى **وإنما يصير الإهتمام كله روحياً**، وما عدا ذلك فليست له أهمية، ولايكون فى بؤرة الشعور إطلاقاً، وسواء تم أو لم يتم فليس له مكان.

وهذه هى المرحلة التى قال عنها الرسول مرة «ليكن الذين يستخدمون هذا العالم كالذين لا يستخدمونه»(١. كورنثوس ٧:٣١) هذه هى مرحلة فقدان الإهتمام بالأمور التى تعد تافهة القيمة بإزاء القيم الأبدية التى تشغل بها النفس الإنسانية والتى تملأ كل فراغ القلب وكل أعماق النفس، بحيث يدخل عمل الروح القدس فى النفس الإنسانية روحاً وجسداً بل يدخل **إلى كل جزء فيها** : إلى المخاخ وإلى المفاصل. يعنى أن ينفذ عمل الروح القدس إلى كل شئ فى النفس روحاً وجسداً بحيث لا يكون هناك شئ آخر.

الإنتشار

ومرحلة الإمتلاء هذه تحتاج إلى عملية إنتشار طولاً وعرضاً وعلواً وعمقاً. هذه هى التى يعنيها الرسول بقوله «لكى تعرفوا ما هو العرض والطول والعلو والعمق»(أفسس ٣: ١٨) **فهو إمتداد فى كل الإتجاهات.** ومن دون هذا يكون عمل الروح محصوراً مضيقاً عليه محبوساً مخنوقاً وبالتالى ينطفىء عمل الروح.

فإذا أتينا بمصباح من الكيروسين (الجاز) توافر له نصيب من الأوكسجين مع الوقود من الزيت أو من (الجاز) وكان الفتيل نظيفا، فإن الضوء يستمر، والمصباح يشتعل. أما إذا سددنا فوهة المصباح من فوق بأيدينا أو بكتاب أو ما إلى ذلك وبهذا نكون قد منعنا عنه الأوكسجين فإنه بعد قليل ينطفىء المصباح بعد أن ينفذ الأوكسجين. ينطفىء المصباح بدون أى مجهود من جانبنا. ولذلك يقول الكتاب المقدس لنا ولكل الذين أخذوا موهبة الروح القدس «اضرم موهبة الله التى فيك» (٢. تيموثيئوس ١:٦). اشعل موهبة الله التى فيك. وهذا يعنى أن هذه الموهبة يمكن أن تضرم ويمكن أيضا أن تُطفأ.

دور الإنسان

والكتاب المقدس يقول فى موضع «**لا تطفئوا الروح**» (١. تسالونيكى ٥ : ١٩) وفى موضع آخر يقول «**اضرم**» وهذا معناه فى كلا الحالين أن للإنسان دوراً فى إطفاء الروح أو فى اضرامه. فالعمل الروحى ليس عمل الله وحده وإنما هناك عمل إنسانى أيضاً. فالإنسان يملك أن يصنع شيئا : إما أن يضرم فيشعل وإما أن يطفىء. وهنا مسئولية الإنسان فى هذا العمل. ولهذا السبب نحن نتكلم فى هذا الموضوع لكى نرى **الدور الذى يمكن أن نقوم به** من أجل أن نسمع كلمة الكتاب المقدس ونعمل بها. فعندما يقول الكتاب «دعوا الروح يملأكم» فإنه يُحَمّل الإنسان مسئولية أو يضعه فى وضع يملك معه أن يصنع شيئاً.. فهو مسئول وليس فى حالة سلبية. **فالروح لا يعمل بمفرده** بل هناك عمل إنسانى إيجابى له دور فى هذا الإمتلاء : «دعوا الروح يملأكم».

التروحن

فى أول الحديث عرفنا الامتلاء أنه عملية نمو فى محتوى الإناء مثل إمتلاء كوب أو دورق أو أى إناء آخر. فالماء ينزل ثم يرتفع مستوى الماء إلى أن يصل إلى حافة الإناء. هذا هو الإمتلاء. وهو يعنى إنسكابا للماء ويتبع هذا الإنسكاب إرتفاع فى مستوى الماء إلى أن يصل

إلى حافة الإناء. وقلنا إن هذا الإمتلاء معناه أن يشغل كل فراغ القلب والنفس والروح والجسد، **ويرتفع الإنسان كله إلى مستوى العمل الإلهى** والنعمة والموهبة والعطية، ويرتفع المستوى إلى درجة أن يصل إلى أن يملأ كل فراغ النفس فلا يكون هناك مجال لمزيد.

هذه الحالة هى ما يمكن أن نسميه **بالتروحن** أى أن يرتفع كل شيء لمستوى الروح، حتى الجسد يرتفع لمستوى الروح. فالإحساسات والمشاعر والوجدانات والعواطف وما إلى ذلك تتروحن **أى تشحن بقوة روحية** بحيث تتقدس وتنتقى ثم **تطرد العواطف والمشاعر الرديئة والشهوات الجسدانية** الأرضية - الشهوات اللحمية الترابية. وهذه شيئا فشيئا تتبدل وتتغير وتنتقى وتتروحن بحيث تصبح شهواتنا روحانية.

نوعان من الإشتهاء

هناك نوعان من الإشتهاء.. فعندما نظرت حواء إلى الشجرة ورأتها «شهية للنظر» (التكوين ٦:٣)، قادها هذا لأن تمد يدها وتأكل. ولكن هناك شهوات أخرى عكسية وهى التى قال عنها الرسول «لى إشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح» (فيلبى ٢٣:١) هذه شهوة ولكن شتان بين شهوة وشهوة. ويمكن أيضاً أن يدخل فى هذا النطاق قوله «إن ابتغى أحد الأسقفية فقد اشتهى عملاً صالحاً» (١. تيموثيئوس ١:٣) لأن الأسقف قديماً كان ينظر إليه على أنه رئيس عصابة المسيحيين - فأول من يضرب هو الأسقف، وأول من يطارد هو الأسقف، باعتباره رئيس عصابة. فمن إشتهى الأسقفية مع ما فيها من متاعب يكون فعلا قد اشتهى عملاً صالحاً. ويقول المزمور «قد اشتهيت وصاياك» (مزمور ٤٠:١١٨) ويقول المسيح له المجد «شهوة اشتهيت أن آكل فصحى هذا معكم» (لوقا ٢٢ : ١٥) إذن هناك شهوات يمكن أن نسميها بالشهوات الرديئة، وهناك أيضاً مانسميه بالشهوات الروحانية. فالتروحن معناه أن يصبح كل شيء روحانياً.

فالروح القدس يغمر ويطهر وينقى ويشغل كل فراغ النفس **ويطوى الجسد أيضاً تحت جناحية** وفى نطاقه. فالجسد يتبنى رغبات الروح. وتسقط الحرب ما بين الجسد والروح. ويسقط النزاع والنضال والحرب بينهما. لأن الجسد يتروحن ويندمج فى عالم الروح **فتسقط عنه رغباته الطبيعية** وتصير شهوة الروح شهوته، وإرادة الروح إرادته، ورغبة الروح رغبته. ويصير **طبيعة واحدة مع الروح بغير انقسام ولا انفصال**. هنا الاتحاد الحقيقى الروحانى بين الجسد والروح حينما ينحل ما نسميه

شغب الجسد. ويصير الجسد مع الروح طبيعة واحدة، وفى وحدانية واحدة .. هذه هى مرحلة التروحن.

علامة الإمتلاء الحقيقى

فالإمتلاء بالروح معناه أن يصير الروح مالئا كيان الإنسان. وكيف يمكن أن يملأ الروح كيان الإنسان على الرغم مما فيه من مادة؟. هذا معناه أن الروح **نفذ إلى كل منافذ الجسد:** إلى الخلايا إلى الذرات، ودخل بين البروتون والنيوترون والالكترون فى الذرة. ليس فقط من الخارج بل دخل إلى داخل كل ذرة، إلى الفراغ الموجود فى داخلها..

دون هذا لا يكون الامتلاء بالروح حقيقياً وكاملاً. وهذا ليس معناه إلغاء الجسد إنما معناه أن **قوة الروح وفيض الروح وشحنة الروح قد نفذت إلى كل التخلخلات،** إلى كل المنافذ، إلى كل المفاصل، وما بين المفاصل، بحيث تصير وكأنها شحنة كهربية دخلت ونفذت إلى كل ذرة، وإلى ما داخل الذرة فى كل كيان الإنسان.

نموذج الكمال

هل ممكن أن نصل إلى هذا!. تعالوا معنا نجد أن هذا التعبير قد أُستخدم عدداً من المرات فى الكتاب المقدس: فأول ما قيل عن ربنا يسوع المسيح. وهذا بالطبع **ليس بصفته إلهاً لكن بصفته إنساناً** باعتباره النموذج الأعلى أمام الإنسان. أما بصفته إلهاً، فاللاهوت يملأ السماوات والأرض كما نقول فى القداس الغريغورى «وأنت مالىء الكون بلاهوتك..» لكن بصفته إنسانا...، لأن المسيح يجمع بين كونه إلها وبين كونه إنساناً، وكمال الإنسانية باعتباره آدم الثانى... هو النموذج والأمثولة والقامة، وملء القامة المطلوب منا أن نصل إليها. يقول الكتاب المقدس : «قياس قامة ملء المسيح» (أفسس ٤ : ١٣) فأصبح المسيح **مقياس الكمال ونحن ننمو شيئاً فشيئاً إلى ملء القامة.** ويقول عنه الكتاب فى انجيل يوحنا إنه «الممتلىء من النعمة والحق» (يوحنا ١: ١٤) ثم فى انجيل لوقا فى آخر الأصحاح الثانى يتكلم عنه عندما كان طفلاً ورجعوا به إلى الجليل إلى مدينتهم الناصرة ويقول «وكان يسوع ينمو فى القامة والحكمة والنعمة عند الله والناس» (لوقا ٢:٥٢) وأيضاً «وكان الطفل ينمو ويتقوى بالروح، ممتلئاً حكمة وكانت نعمة الله عليه» (لوقا ٢ : ٤٠) وهنا يتكلم عن المسيح بصفته إنساناً لأنه شابهنا فى كل شىء، فهو قد ولد كإنسان وتربى كإنسان ونمى فى النعمة كإنسان. فعبارة «وكان الطفل ينمو ويتقوى

بالروح» تعنى هنا أن عمل الروح يملأه شيئاً فشيئاً إلى أن يصل إلى القامة، إلى امتلاء «العرض والطول والعلو والعمق» (أفسس ٣: ١٨) الذى هو النموذج الإنسانى أمامنا كبشر. لأن المسيح من حيث كونه إلهاً، من تحصيل الحاصل أن نقول عنه إنه النموذج الأعلى، إنما ذلك من حيث أنه إنسان لأنه «شابهنا فى كل شئ» (العبرانيين ٢: ١٧) ماعدا الخطيئة.. فكإنسان كان ينمو ويتقوى بالروح. وهنا نجد أن الامتلاء بالروح هو عملية نمو. لذلك عندما يقول الكتاب المقدس : «دعوا الروح يملأكم» معناه أنه فى إمكان الإنسان **بوسائط معينة** أن ينمو بها. وكما أنه بالطعام ينمو جسد الطفل فيتحول الطعام إلى ما يمده طولاً وعرضاً وعلواً هكذا بوسائط معينة ينمو الإنسان بالروح ويتقوى ويمتلئ.. فعملية الامتلاء تبدأ صغيرة ولكنها تكمل شيئاً فشيئاً.

أمثلة أخرى

ويتكلم الكتاب المقدس عن يوحنا المعمدان فى إنجيل لوقا الأصحاح الأول عدد ١٥ ويقول «لأنه سيكون عظيماً أمام الرب، وخمرا أو مسكراً لايشرب، **ومنذ يكون فى بطن أمه سيكون ممتلئاً من روح القدس** (لوقا ١: ١٥)، ويقول عن أليصابات فى الأصحاح الأول من لوقا عدد ٤١ «فما أن سمعت أليصابات سلام مريم حتى انتفض الجنين فى بطنها **وامتلأت أليصابات من روح القدس**، فصاحت بصوت عظيم قائلة : مباركة أنت فى النساء، ومباركة هى ثمرة بطنك. من أين لى هذا الشرف أن تأتى أم ربى إلىّ» (لوقا ١ : ٤١ - ٤٣). هنا امتلأت أليصابات من روح القدس. وكلامها هنا كان تعبيراً عن، أو فيضاً من الروح القدس الذى ملأها وجعلها تنطق وتتكلم بهذه العبارات. ثم يقول فى الأصحاح الأول من إنجيل لوقا العدد ٦٧ «**وقد امتلأ أبوه زكريا من روح القدس** وتنبأ قائلا : مبارك الرب إله إسرائيل» لقد امتلأ زكريا من روح القدس، ونتيجة لهذا الإمتلاء جاءت النبوة التى تنبأ بها عن إبنه يوحنا وقال «مبارك الرب إله إسرائيل لأنه تفقد شعبه وافتداه، مقيماً لنا ركن خلاص من بيت عبده داود» (لوقا ١:٦٧ - ٦٩) فالكتاب المقدس إذن فيما يختص بالروح القدس يبين لنا أولا النموذج الأعلى لنا وهو سيدنا ومخلصنا يسوع المسيح، ثم يذكر لنا أيضاً أشخاصاً آخرين.. فيوحنا المعمدان يمتلئ من روح القدس. وأيضاً أليصابات امتلأت من روح القدس. وبعد ذلك زكريا أيضاً امتلأ من روح القدس...

الآباء الرسل

ويذكر الكتاب المقدس أيضاً عن الآباء الرسل أنهم امتلأوا بروح القدس بعد أن حل عليهم فى يوم الخمسين. ففى سفر أعمال الرسل أصحاح ٢ يقول «ولما حل يوم الخمسين كانوا كلهم مجتمعين فى مكان واحد، وبغتة حدث صوت جاء من السماء كأنه دوى ريح عاصفة، وملأ كل البيت الذى كانوا موجودين فيه. وظهر لهم ما يشبه ألسنة من نار منقسمة، وحلت على كل واحد منهم، **فامتلأوا جميعاً من روح القدس**» ولما امتلأ الرسل من روح القدس طفقوا يتكلمون بلغات أخرى غير لغتهم حسبما وهبهم الروح أن يجهروا بالكلام» (أعمال ٢ : ١ ـ ٤).

والمقصود باللغات الأخرى أنها لغات غير اللغة التى كانوا يتكلمون بها. فالرسل مثلاً كانوا يتكلمون بالآرامية التى هى عامية اللغة العبرانية (ففى ذلك الوقت لم تعد اللغة العبرانية لغة الكلام إلا فى الهيكل وفى المواقف الرسمية، أما الرسل فكانوا يتكلمون بالآرامية أو السريانية). فقوله «يتكلمون بلغات أخرى» تعنى أنهم صاروا يتكلمون بلغات غير لسانهم ولغتهم هم، أى غير الآرامية أو العبرانية... وذلك لأن ربنا يسوع كان يريدهم أن يبشروا. لأنه قال لهم «اذهبوا إذن وتلمذوا جميع الأمم» (متى ٢٨ : ١٩). فباعتبارهم أنهم سينطلقون إلى بلاد أخرى كثيرة مثل الصين والهند والحبشة وانجلترا وفرنسا وروسيا وإيران وغيرها.. فلم يكن لديهم المقدرة على أن يتكلموا بهذه اللغات ليؤثروا فى الناس وينقلوهم إلى الإيمان ولذلك أعطاهم الروح القدس هذه المقدرة.

جماعة الخمسينيين

وليس المقصود بعبارة «يتكلمون بألسنة أخرى» أن الرسل كانوا يفعلون مثل جماعة الخمسينيين الذين يقولون إن ألسنة أخرى تعنى ألسنة الناس والملائكة!! **هذا مستحيل فما** هى ألسنة الملائكة؟!!... وهل تحتاج الملائكة إلى ألسنة كما نحتاج نحن؟.. إن الملائكة لا يتكلمون بلغات بالمعنى الذى نتكلم به نحن، إنما **بارسال فكرى**. ولكن هذه كلمة يقولها الرسول «لو تكلمت بلغات الناس والملائكة، ولم تكن لدى المحبة، فما أنا إلا نحاس يطن أو صنج يرن» (١. كورنثوس ١:١٣) وليس معنى ذلك أن الملائكة يتكلمون بلغات كاللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو الصينية أو اليابانية الخ، كلا.. ففى عالم الروح يتم الاتصال بالفكر ولا داعى هناك للغات بالمرة. أما الرسل فكانوا يتكلمون بألسنة أخرى يعنى ألسنة غير لسانهم هم، أى **لغات الناس الذين سينتقلون إليهم** ويكلمونهم كما

أعطاهم الروح أن ينطقوا. فهنا كلمة «امتلأ الجميع من روح القدس وطفقوا يتكلمون بلغات أخرى غير لغتهم حسبما وهبهم الروح أن يجهروا بالكلام» تعنى أن الآباء الرسل تكلموا بهذه اللغات وامتلأوا بهذا المعنى.

عمل دائم :

وبعد ذلك أيضا يقول الكتاب المقدس عن الرسل إنهم «كانوا يصلون، وامتلأ الجميع من الروح القدس، وكانوا يتكلمون بكلام الله بمجاهرة» (أعمال ٤ : ٣١) .. **لقد امتلأوا من الروح القدس**، وليس من الروح الإنسانية ... ونتيجة الامتلاء بروح القدس صاروا قادرين على أن **يتكلموا بكلام الله بمجاهرة** كما قال لهم الرب فى موضع آخر : «فمتى ساقوكم إلى المجامع والحكام وذوى السلطان فلا يهمكم كيف أو بماذا تجيبون أو ماذا تقولون. لأن الروح القدس سيلهمكم فى تلك الساعة ما ينبغى أن تقولوا» (لوقا ١٢:١١) فهنا نتيجة لامتلاء الجميع من روح القدس صاروا يتكلمون بكلام الله بمجاهرة أى علانية ودون أن يكون هناك خوف أو تلكؤ أو تردد. **لأنه لما ملأ روح القدس كل فراغ النفس** وطرد عنهم الإنفعالات والمشاعر، أى الغضب البشرى والخوف الإنسانى صاروا يتكلمون بكل مجاهرة..

مع بطرس الرسول:

وقيل أيضاً عن مار بطرس الرسول على حدة فى أعمال الرسل أصحاح ٤ عدد ٨ إن رؤساء اليهود استدعوا الآباء الرسل وناقشوهم لماذا يتكلمون عن المسيح بمجاهرة. ولما أقاموهما (أى بطرس ويوحنا) فى الوسط جعلوا يسألونهما : بأية قوة وبأى اسم صنعتما أنتما هذا؟ وهى المعجزة التى صنعاها مع الرجل المقعد من بطن أمه وكان له ٤٠ سنة فقال له بطرس الرسول «ليس لى فضة ولا ذهب، ولكن الذى لى إياه أُعطيك : **باسم يسوع الناصرى، قم** «فقام، فهنا أوقفوهم وسألوهم أمام رؤساء الكهنة «بأية قوة وبأى اسم صنعتما أنتما هذا.. **حينئذ امتلأ بطرس من الروح القدس** وقال لهم يا رؤساء الشعب وشيوخ إسرائيل، إن كنا نفحص اليوم عن إحسان إلى إنسان سقيم بماذا شفى هذا، فليكن معلوماً عند جميعكم وجميع شعب إسرائيل أنه باسم يسوع الناصرى الذى صلبتموه أنتم» (أعمال ٤ : ١ ـ ١٠) فهنا ورد عن مار بطرس الرسول أنه امتلأ من الروح القدس فصار كلامه **ليس كلام إنسان مندفع بأية عواطف بشرية** أو حماسة إنسانية وإنما نتيجة إمتلائه بنعمة الروح القدس، فكان كلامه كلاماً روحانياً نقياً من المشاعر الإنسانية.

مع بولس الرسول :

كذلك ورد عن ماربولس الرسول فى الأصحاح التاسع من أعمال الرسل العدد ١٧ «فمضى حنانيا ودخل البيت ووضع عليه يديه وقال : أيها الأخ شاول إن الرب يسوع الذى تراءى لك فى الطريق التى قدمت منها، قد أرسلنى إليك لتبصر **وتمتلىء من روح القدس**» (أعمال ٩ : ١٧). وكذلك بعد أن أنار بصيرته يقول إنه عمده إذ قال له : «قم واعتمد واغسل خطاياك» وبعد أن عمده وضع يديه عليه **فحل روح القدس عليه.** وهذا يرينا أن موهبة الإمتلاء بروح القدس هى فى الواقع السر الثانى من أسرار الكنيسة وهو سر الميرون أو سر المسحة المقدسة.

عمل الروح القدس فى المعمودية

والروح القدس **يحل على مياه المعمودية** ليكسب الماء القوة على خلق الإنسان خلقاً جديداً. وكما قيل فى العهد القديم «**وروح الله يرف على وجه المياه**» (التكوين ١ : ٢) وعن طريق حلول الروح القدس على الماء فى الخليقة الأولى خلق الروح القدس الأسماك والطيور والزحافات البحرية، هكذا فى العهد الجديد رسم الله أن الروح القدس ينحدر على مياه المعمودية، وبقوة إنحدار الروح القدس على مياه المعمودية تتم عملية خلق جديدة غير عملية الخلق التى تمت فى الخليقة الأولى. ولذلك يقول سيدنا له المجد : «الحق الحق أقول لك إن الإنسان ما لم يولد من الماء والروح لا يمكنه أن يدخل ملكوت الله» (يوحنا ٣ : ٣،٥).

وكما كان الماء والروح فى الخليقة الأولى كذلك فى الخليقة الجديدة ينحدر الروح على مياه المعمودية. ولهذا السبب نحن نقف لنصلى على المياه مايزيد على ساعة ونصف ساعة نطلب **إنحدار نعمة الروح القدس** على مياه المعمودية حتى تكهرب الماء وتشحنه وتحوله إلى ماء من نار كما يقول يوحنا المعمدان «أنا أعمدكم بالماء من أجل التوبة أما الذى يأتى بعدى، فهو أقوى منى، وأنا لست مستحقا أن أحمل حذاءه. إنه **سيعمدكم بروح القدس وبالنار**» (متى ٣ : ١١) فهنا تخرج المياه عن طبعها وتتحول من ماء بسيط إلى (ماء نارى)، وبهذا تقدر أن تغسل الخطيئة كما قال حنانيا لبولس «قم واعتمد واغسل خطاياك» (أعمال ٢٢ : ١٦) لأن المياه العادية لا تغسل خطيئة، إنما تغسل وعاء أو تغسل الجسم من وسخ الجسد.. أما مياه المعمودية فهى تغسل الروح من الخطيئة بمعنى أنها تتحول إلى (ماء نارى).. والذى يحولها هو إنحدار الروح القدس على الماء.

قال المسيح «إن الإنسان ما لم يولد من الماء والروح» فالروح ينحدر على مياه المعمودية **ويغير من طبعها**. ولذلك بعد أن ينتهى الكاهن من التعميد يصلى صلاة معينة يطلب فيها عودة الماء إلى طبعه الأول. بمعنى أن الروح القدس يفارق الماء حتى يرجع إلى طبعه الأول وتبعا لذلك يصرف الكاهن مياه المعمودية فى ماء جار أو فى زرع أو ما إلى ذلك. فمن اللازم إذن أن يصلى الكاهن صلاة بعد التعميد يطلب فيها عودة الماء إلى طبعه الأول لأن الماء قد تغير عن طبعه بإنحدار الروح القدس عليه.

سر الميرون

أما السر الثانى من أسرار الكنيسة الذى هو بعد التعميد مباشرة فهو **سر حلول الروح القدس على الإنسان** لتدشين أعضائه فتصبح أعضاء المسيح. وبتقديس أعضائه تصبح مقدسة، وبتكريسها تصبح مكرسة للمسيح.. قال الكتاب المقدس «أفآخذ أعضاء المسيح وأجعل منها أعضاء زانية؟ حاشا» (١.كورنثوس ٦ : ١٥). إن أعضاءنا تصبح بالتدشين بالميرون أى بالمسحة المقدسة، أعضاء للمسيح **مخصصة ومكرسة ومدشنة له**، فلا يجوز أن تستخدم فى غرض آخر. وإذا استخدم إنسان أعضاءه فى غير طريق المسيح أو إذا دنسها بالنجاسة فهذه جريمة لأنه أخذ أعضاء المسيح ودنسها. فهل يجوز لأدوات الكنيسة أو أدوات المذبح مثل الكأس أو الصينية بعد أن تدشن أن تستخدم فى غرض آخر حتى لو كان هو شرب الماء؟ لا يجوز أبداً.. فطالما تدشنت فقد **تقدست وتخصصت وصارت موقوفة لله**، ولا يجوز لنا أن نستخدمها فى عمل آخر. هكذا أعضاؤنا إذا تدشنت بالميرون أى بالمسحة المقدسة فصارت **مكرسة ومخصصة للمسيح** وصارت أعضاء له **موقوفة عليه**، لايجوز أن تستخدم فى النجاسة ولا يجوز أن تستهلك أو تستغل فى غرض آخر يتنافى مع «القداسة التى بدونها لن يرى أحد الرب» (العبرانيين ١٢ : ١٤). هذا ما قاله الكتاب المقدس : «إن من خالف شريعة موسى قتل من غير رحمة بشهادة شاهدين أو ثلاثة. فأى عقاب شديد يستحق من داس ابن الله وحسب دم العهد الذى قدس به نجسا» (العبرانيين ١٠ : ٢٩) من هنا نفهم أن سر حلول الروح القدس والامتلاء بروح القدس يأتى **بحلول نعمة الروح القدس على الإنسان بعد المعمودية**. كما حصل لبولس الرسول أن قال له حنانيا «إن الرب يسوع... قد أرسلنى إليك لتبصر وتمتلئ من روح القدس» (أعمال ٩ : ١٧).

الروح القدس والخدمة الكهنوتية

وفى سفر الأعمال والأصحاح السادس يقول الكتاب عن الذين أُختيروا شمامسة أن الرسل لما أرادوا أن يقيموا شمامسة لأعمال التوزيع التى تسمى اليوم أعمال الخدمة الإجتماعية، وأرادوا أن يحيلوا أعمال الخدمة الإجتماعية وأعمال التوزيع على شمامسة يقيمونهم على هذه الحاجة لكى يتفرغ الآباء الرسل لمهمتهم الأولى وهى مهمة الكرازة والتعليم.. قال الإثنا عشر لجمهور التلاميذ «انتخبوا أيها الأخوة سبعة رجال منكم مشهوداً لهم **وممتلئين من الروح القدس** والحكمة فنقيمهم على هذه الحاجة» (أعمال ٦ :٣). وقد أُعتبر هذا شرطاً أساسياً يؤهل الإنسان لدرجة الشماسية أو الدرجات الكهنوتية بصفة عامة. فقبل أن يؤخذ إنسان لدرجة من هذه الدرجات ينبغى أولا أن يكون ممتلئا من نعمة الروح القدس والحكمة.

قيل عن استفانوس نفسه عندما كان يرجم «أما هو فحدّق إلى السماء **وهو ممتلىء من الروح القدس**، فرأى مجد الله ويسوع قائماً عن يمين الله» (أعمال ٧ : ٥٥) .. طبعاً ليس لله يمين أو شمال إنما المقصود به أن المسيح جالس على العرش. ويقول الكتاب المقدس أيضاً عن برنابا «فأوفدوا برنابا إلى إنطاكية فلما وصل ورأى نعمة الله فرح» وبرنابا هذا هو أحد السبعين رسولاً «ووعظ الجميع أن يثبتوا فى الرب، بعزم القلب، لأنه كان رجلاً صالحاً **وممتلئاً من الروح القدس ومن الإيمان..** فانضم إلى الرب جمع غفير» (أعمال ١١:٢٢ - ٢٤).

عطية لجميع المؤمنين

وهذا العمل مرسوم فى الكنيسة فقد أعطانا ربنا هذه العطية التى حصلنا عليها جميعا.. فالآباء الرسل حصلوا عليها، وجمهور المؤمنين بعد العماد حصلوا عليها فى سر الميرون أى سر المسحة، وهى التى يقول عنها الرسول : «أما أنتم فقد قبلتم **المسحة من القدوس** وتعلمون كل شىء، .. أما أنتم فإن المسحة التى قبلتموها منه مقيمة فيكم. فليس بكم حاجة إلى من يعلمكم. بل كما تعلمكم مسحته كل شىء، وهى حق لا باطل، كما علمتكم فاستقروا فيه» (١. يوحنا ٢: ٢٠، ٢٧).

ونعمة الروح القدس تعطى للمؤمنين بعد أن يتعمدوا. وكان هذا هو ما يحدث دائماً بعد المعمودية مباشرة فكان روح **القدس ينحدر على الأشخاص المعمدين.** لذلك نقرأ

فى سفر أعمال الرسل والأصحاح الثامن أن أهل السامرة كان قد عمدهم فيلبس الشماس، ولكن لم ينحدر روح القدس عليهم. ولَمَّا كان حق انحدار روح القدس لابد أن يكون لأصحاب الدرجة الكهنوتية الأولى، وهم الرسل ومن فى حكمهم وهم الأساقفة، لذلك أوفد جماعة الرسل من قبلهم بطرس ويوحنا «ولما سمع الرسل الذين فى أورشليم أن السامرة قبلت كلمة الله أرسلوا إليهم بطرس ويوحنا اللذين لما نزلا صليا لهم لينالوا الروح القدس، لأنه لم يكن قد حل بعد على أحد منهم، غير أنهم كانوا معتمدين باسم الرب يسوع» (أعمال ٨ : ١٤ - ١٦) لقد تعمدوا باسم الرب يسوع على يد فيلبس لكن مع هذا يقول «لم يكن الروح القدس قد حل بعد على أحد منهم» **على الرغم من العماد**، لأن روح القدس فى العماد ينحدر على المياه لا على الأشخاص... فالكتاب يقول «غير أنهم كانوا معتمدين باسم الرب يسوع» أى أنهم بعد ماتعمدوا ذكر عنهم أن روح القدس لم يكن قد حل بعد على أحد منهم. إذن فروح القدس يحل على الماء فى المعمودية ليحوله إلى (ماء نارى) لغسل الإنسان من الخطيئة الجدية ومن الخطايا السابقة على المعمودية. ولكن لكى ينحدر **روح القدس على الإنسان نفسه** وعلى أعضائه ليمتلىء بنعمة الروح القدس، لابد من عمل آخر وسر آخر، وهو سر الميرون، سر المسحة المقدسة.

زيت المسحة

وفى أول الأمر كان الرسل يباشرون هذا السر بوضع اليد. ولكن لما كثر عدد المؤمنين أصبح من غير الممكن للآباء الرسل أن يقوموا بهذا العمل نظراً لكثرة عددهم، كما أن هذا يعطلهم عن عمل الكرازة. ولهذا صنعوا المسحة التى أشار إليها يوحنا وقال «**وأما أنتم فقد قبلتم المسحة من القدوس وتعلمون كل شىء** (١. يو ٢: ٢٠).

وهذه المسحه شبيهة فى تكوينها بالمسحة فى العهد القديم التى كان يمسح بها الملوك والأنبياء والكهنة ليصبحوا معينين من قبل الله فى وظائفهم الدينية. وكانت تتركب هذه المسحة (سفر الخروج ٣٠ : ٢٢ - ٣٣) من زيت الزيتون، والمر القاطر، والقرفة العطرة، والدار صينى الطيب، والسليخة، وقصب الذريرة، وأصناف أخرى من العطور والأطياب مذكورة فى الأصحاح الثلاثين من سفر الخروج. وهذه تخلط وتقدس بالصلوات وتصير مدشنة ويسكب منها على الإنسان المرشح للكهنوت أو للنبوءة أو للمُلك فينحدر روح القدس عليه ويصبح معيناً من قبل الرب لأنه صار مسيح الرب. وهذا هو معنى كلمة «مسيح الرب» التى قالها الكتاب المقدس عن داود أو قالها داود عن شاول «مسيح الرب

هو» (١. صموئيل ٢٤ : ٦، ١٠) أى المسوح من الرب. ويصبح هذا الإنسان المسوح من الرب معيناً ومكلفاً من قبل الرب للقيام بمهمته كنبى أو كملك أو ككاهن. هذا هو ما صنعه الآباء الرسل فى العهد الجديد لما صار من غير الممكن أن يضعوا اليد على كل مؤمن معمد، فصنع الآباء الرسل هذه المسحة من هذه العطور والزيوت والأطياب التى ذكرت فى الأصحاح الثلاثين من سفر الخروج **وأضافوا إليها الحنوط والأطياب** التى كانت على جسد المخلص... فتقدست، وكل شىء كما يقول الرسول يدشن أو يقدس بكلمة الله والصلاة (١. تيموثيئوس ٤ : ٥) وهذا ما نفعله اليوم عندما **يصنع الميرون**، فيأتى البابا البطريرك ومعه الأساقفة بهذه الأصناف من العطور والأطياب ويقدسونها بكلمة الله والصلاة من كتاب ضخم يقرأ كله على هذه الأشياء فتقدس وتدشن وتنقى، وبعد ذلك يضاف إليها ما تبقى من المسحة أو الميرون القديم باعتباره باكورة تضاف إلى الجديد، فيصير الكل مقدساً. وهذا هو ماحدث منذ عهد الآباء الرسل فكانوا **أول من صنعوا الميرون**، ولذلك سمى **بالمسحة المقدسة** وهو نفس تعبير الكتاب المقدس الذى أُستخدم بالنسبة للمسحة القديمة.

وفى المرة الثانية صنع فى عهد **أثناسيوس الرسولى** وذلك لأنه بعد العصر الرسولى الأول كانت هناك كمية باقية، أما بعد ذلك كان هذا الميرون أو الطيب (لأن كلمة ميرون معناها دهن أو طيب) قد فرغ من جميع كنائس العالم. فكتب الآباء الأساقفة للبابا أثناسيوس الرسولى يسألونه ما إذا كان عنده شىء باق من هذه المسحة فقال : عندى ولكن لا يكفى لى ولكم. لكن عندى إقتراح أننى آتى بأصناف العطور والأطياب المذكورة فى الأصحاح الثلاثين من سفر الخروج وندشنها ثم نضيف إليها الخميرة الباقية عندى وبهذا يتدشن الكل ويتقدس. فأثنى الآباء الأساقفة على هذا الإقتراح وطلبوا إليه أن يقوم بعمل الميرون. فجاء بكميات ضخمة بالطبع لكى تكفى العالم كله، وبعد أن دشنها بكلمة الله والصلاة مع الأساقفة أضاف إليها الجزء الباقى المتبقى عنده ثم وزعه على الآباء الأساقفة فى العالم بأسره.

وبعد عهد أثناسيوس الرسولى عُمِلَ عدداً من المرات حتى عهد البابا يؤانس التاسع عشر، وكانت هذه **هى المرة الخامسة والعشرين**. وبعد ذلك عمل فى عهد البابا كيرلس السادس، ثم أخيراً فى **عهد البابا** شنودة الثالث. (فى أبريل لسنة ١٩٨١) فهذا الميرون هو عبارة عن المسحة المقدسة التى إذا إنسكبت على إنسان تنحدر عليه موهبة الروح القدس ليصبح مقدساً ومدشناً، ومكرسة أعضاؤه للمسيح.

سـر لا ينحـل :

وكما قلنا إنه بعد أن يحل الروح القدس على الإنسان قد تصير هذه الموهبة **محصورة..** أى يضيق عليها الخناق، فلا تمتد فى النفس البشرية **وقد تختنق** بالرائحة الكريهة : رائحة الشر أو النجاسة أو الخطيئة. فالنجاسة أو الخطيئة عموما تؤثر على هذه الموهبة وتضعفها وتخنقها كما يخنق الدخان الإنسان : «هؤلاء دخان فى أنفى» (إشعياء ٦٥ : ٥) فقد تتصاعد هذه الرائحة الكريهة من أعضاء الإنسان إذا تنجست وبهذا تخنق أو تضعف موهبة الروح القدس التى أخذها الإنسان.

ونحن لانقول إنها تلغيها لأن الميرون موهبة لا تنحل. فهو سر لا ينحل بطبعه لأنه يطبع فى النفس **سمة لاتنحل**. وهذا تعبير القديس أكليمندس الاسكندرى وتعبير الآباء الرسل وآباء الكنيسة.. ولهذا لايعاد الميرون، ولاتعاد المعمودية. **فالمعمودية واحدة.** والميرون أيضا يمسح به المعمد مرة واحدة. وسر الكهنوت كذلك، لأن هذه الأسرار الثلاثة تطبع فى النفس سمة لا تمحى. إنما يمكن أن يضعف أثره فى حياة الإنسان كمن هو مريض أو فى غيبوبة فهو موجود وحى ولكنه ضعيف وخامل وفاتر، لا يستطيع أن يترك أثراً حوله لأنه فى حالة إختناق وضعف وهزال وغيبوبة.

الاضرام والإنعاش

إذن هناك وسائط إنسانية تساعد على خنق موهبة الروح القدس أو على إضعافها أو على فتورها فتصير فاترة ضعيفة خاملة باهتة. ولكن هناك وسائط أخرى يمكن أن تضرم هذه الموهبة حتى تمتلىء بها نفس الإنسان. ومن هنا معنى قول الكتاب المقدس **«دعوا الروح يملأكم»**.. وهذا يفيد أنه فى قدرة الإنسان أن يعمل وسائط معينة. هذه الوسائط لو استخدمها فإنها تضرم الموهبة فتنتعش بعد أن تكون مختنقة أو ضعيفة أو فاترة. ولهذا نقول فى صلاة الساعة الثالثة : «روحك القدوس لا تنزعه منى إنما **جدده** فى أحشائنا» والمقصود بالتجديد ليس أن نأخذ من جديد، فنحن لا ننكر أننا قد أخذنا موهبة الروح القدس فى سر المسحة المقدسة بالميرون، فنحن لانطلب جديدا من هذه الجهة.. إنما نطلب إنعاشا وإحياءا.. وهذا هو المقصود بالتجديد عندما نقول «جدده فى أحشائنا» أى أنه يظهر جديداً من دون أن يكون شيئاً آخر. كما أننا نقول أيضاً : «روحك القدوس لاتنزعه منى». إذن هو موجود ولكن لا تنزعه منا إنما جدده، بمعنى أعطه قوة الإنعاش التى بها تنتعش هذه الموهبة التى أخذناها فتتجدد نعمة الروح القدس بهذا الإنعاش.

وعلى سبيل المثال : لو أصيب إنسان بغيبوبة أو بتعب شديد فى قلبه فإنهم يدخلونه

غرفة خاصة تسمى غرفة الإنعاش. وهناك يعطونه مزيداً من الأوكسجين لكى يتنفس وينتعش. فهذا الإنسان ـ رجلاً كان أو امرأة - مازال حياً لم يمت. فلو كان قد مات فلا فائدة ترجى من الأوكسجين.. إنما هو باق على قيد الحياة ولكنه ضعيف خامل. والقوة التى فيه مخدرة ومعطلة، فليزمه الأوكسجين لينعشه.. وبهذا يحيا، لا بمعنى أنه يخلق من جديد وإنما يصير الضعيف حياً قوياً.

ووسائط الإنعاش **موجودة فى الكنيسة** التى هى العبادات. أما الموهبة فقد أخذناها بعد المعمودية مباشرة. يقول القديس كيرلس الأورشليمى «وأنتم أيضاً بعد خروجكم من جرن الينابيع المقدسة أُعطيَتْ لكم المسحة وهى رسم المسحة التى مسح بها المسيح، فهذه هى الروح القدس» (محاضرة ٢١ مقالته الثالثة على الأسرار تعليقا على رسالة القديس يوحنا الأولى ٢:٢٠-٢٨). ويقول «لايصح أن تدعى بصواب مسيحياً إلا بعد قبول موهبة الميرون المقدس» (تعليم الأسرار ٢١)، ويقول «قد صرتم مسحاء إذ قبلتم الروح القدس» (تعليم الأسرار ٣ : ٣) وشأننا فى ذلك شأن المسيح له المجد فإنه صعد للوقت من الماء ومسح بالروح القدس، ولهذا أصبح لقبه «المسيح» وصار يسوع هو «المسيح ابن الله الحى» وقبل هذا ماكان ممكنا له أن يسمى «المسيح». هذا من الناحية الناسوتية. أى أننا نتكلم عن المسيح من حيث هو إنسان. فقد صار يسوع يسمى «المسيح» بعد أن حل الروح القدس عليه كإنسان فى نهر الأردن وذلك بعد خروجه مباشرة من ماء المعمودية. إذ يقول الكتاب «حتى إذا أعتمد يسوع صعد تواً من الماء، وإذا السماوات قد إنفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة ومقبلاً عليه» (متى ٣ : ١٦).

عمليتان : صيانة وتنمية

إن حلول الروح القدس هو السر الثانى من أسرار الكنيسة الذى يسمى سر الميرون، فتدشن أعضاؤنا بحلول نعمة الروح القدس علينا. ولقد رأينا تعبير الكتاب المقدس الدقيق فى سفر الأعمال بالنسبة لأهل السامرة فقد كانوا معتمدين باسم الرب يسوع.. ومع هذا لم يكن الروح القدس قد حل على أحد منهم. لقد عمدهم فيلبس، ولكن لما انحدر بطرس ويوحنا الرسولان، موفدين من قبل جماعة الرسل وضعا الأيدى عليهم فحلت نعمة الروح القدس عليهم وامتلأوا جميعاً من الروح القدس.

نقول إننا نمتلىء من روح القدس حين نأخذ المسحة ولكن قد يحدث بعد هذا أن يُضعف الإنسان موهبة الروح القدس بأعماله وتصرفاته وأفكاره وأقواله وما إلى ذلك. مثل ذلك مثل المصباح عند إشعاله. فإذا امتلأ بالكيروسين أو الزيت، وكانت الفتيلة

جديدة ونظيفة والزجاجة نظيفة ونقية ومغسولة والأوكسجين متوفراً كانت الإضاءة واضحة والنور ظاهراً. ولكن بعد وقت ينقص الجاز فى المصباح، وهذه عملية استهلاك طبيعية، لذلك قبل أن ينتهى الجاز يجب أن نضيف مزيداً منه إليه. ثم إن الفتيل يحتاج إلى إصلاح، وبهذا يعود الفتيل لإشتعاله. وكذلك يجب أن نحافظ على كمية الأوكسجين اللازمة للمصباح، لأنه لو قل الأوكسجين إنطفأ المصباح، ولو زاد الأوكسجين أو الهواء إنطفأ المصباح.

وإذن كان المصباح فى البدء نظيفاً ومنيراً، لكن قلة الجاز أو الأوكسجين وقذارة الفتيل أو زجاجة المصباح.. تضعف قوة الإضاءة وبهاء النور... فالحاجة ماسه، لإستمرار الإضاءة إلى صيانة المصباح بتنظيفه مما علق به من أوساخ وأدران وإلى تزويده بالوقود من جاز وأوكسجين الهواء بالقدر الكافى.

إذن هناك عمليتان لازمتان ومتلازمتان، الأولى عملية الصيانة أو التنظيف والثانية عملية تزويد المصباح بالوقود من الجاز وأوكسجين الهواء.

كذلك الأمر فى حياتنا الروحية. لقد نلنا التجديد والميلاد الثانى فى المعمودية المقدسة ثم بعد المعمودية مسحنا بالميرون فامتلأنا من روح القدس. ولكن بعد هذا الامتلاء تحدث طبيعياً عملية إستهلاك فيضعف ويفتر عمل الروح القدس فينا وهنا يحتاج المسيحى إلى عمليتين :

١ـ عملية الصيانة التى هى التنظيف المستمر من الخطيئة ومتعلقاتها وذلك بممارسة التوبة اليومية من ندم وانسحاق واعتراف.

٢ـ عملية الإشعال والتقوية والانعاش وإضافة للوقود بوسائط الخلاص المتنوعة فى الكنيسة التى يشير إليها القداس الإلهى عندما يقول الكاهن «وعلمنا وسائط الخلاص».
(ⲟⲩⲟϩ ⲁϥϯⲥⲁⲃⲟⲛ ⲉ̀ϩⲁⲛⲙⲱⲓⲧ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲓⲟⲩϫⲁⲓ).

فما هى وسائط الخلاص؟

هى العبادات المرسومة فى الكنيسة للتطهير والصيانة للموهبة التى أخذناها، لأنها قابلة لأن تفتر وأن تضعف بالخطيئة أو الشر أو بإنحرافات الإنسان. وأيضا عملية التنمية: فهناك وسائط مثلا مثل فحص الضمير، والتوبة ومراجعة النفس والندم والإنسحاق والعزم الصادق على تجديد السيرة، والإعتراف بالخطيئة ثم الصلاة والصوم والقراءة فى الكتاب المقدس والكتب الدينية التى تثير الإنسان وتعطية مادة وتشحنه بشحنة روحية، كذلك التأمل فى الله وفى سير القديسين.. ثم التناول من الأسرار المقدسة.

أهمية سر التناول للتنمية الروحية

هنا نلاحظ أننا كائنات مخلوقة، لها بداءة فلابد أن تكون لنا نهاية.. لأن ما له بداءة لابد أن تكون له نهاية. فمن أين تأتينا الحياة الأبدية التى وعدنا الله بها؟

ثم إن الحياة الأبدية وعد وليست حقاً للإنسان. يقول الرسول يوحنا فى رسالته الأولى «وهذا هو الوعد الذى وعدنا هو به الحياة الأبدية» (١. يوحنا ٢ : ٢٥) فالحياة الأبدية بالنسبة للإنسان المسيحى وعد وليست حقاً له، أى إنه ليس من حقنا أن نحيا حياة أبدية لأننا خلقنا فى الزمان، فلابد أن ننتهى فى الزمان ولا نحيا إلى الأبد. فمن الذى يضمن لنا الاستمرار فى الحياة؟ ومن الذى يعطينا الحياة؟ قال المسيح له المجد «أنا الكرمة وأنتم الأغصان».. (يوحنا ١٥ : ٦) فإن كانت الأغصان ثابتة وراسخة فى الكرمة، فالكرمة هى التى تعطى الحياة للأغصان، وأما إذا انفصلت الأغصان من الكرمة فمن أين يأتيها الغذاء؟ إنها تجف ولابد أن تسقط وتموت. فسر التناول به نحيا الحياة الأبدية.

قال المسيح له المجد «أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء. من يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذى أعطية أنا هو جسدى... الحق الحق أقول لكم : ما لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه لا تكون لكم حياة فى أنفسكم. من يأكل جسدى ويشرب دمى فله الحياة الأبدية.. فإن الذى يأكلنى يحيا بى» (يوحنا ٦ : ٥١ - ٥٧).

هذه هى الضرورة القصوى للحياة الأبدية. إن من لا يتناول من الأسرار المقدسة يموت... وكل إنسان لابد أن يأكل ليحيا، وحياة الجسد تقوم بالغذاء. فإن لم نأكل فإننا نموت... إن أقصى مدة يتحملها الإنسان، بدون غذاء هى أربعون يوما كما يقال. وبعد هذا تنحل قوة الجسد ولابد أن يموت.

كذلك أرواحنا لابد أن تتناول من الطعام الروحانى لكى تحيا. ومن دونه لا تحيا. ولذلك رتب المسيح لنا هذا الخبز النازل من السماء الواهب حياة للعالم ولهذا يسمى «الخبز المحيى».

من أيت تأتينا الحياة؟

الحياة لا تأتى من الموت إنما تأتى الحياة من واهب الحياة، وأصل الحياة، ومبدىء الحياة. إنها تأتى من المسيح الذى قال : «أنا هو القيامة والحياة» (يوحنا ١١ : ٢٥) وكما جاء فى الإنجيل للقديس يوحنا عن الله الكلمة أى المسيح «فيه كانت الحياة» (يوحنا ١ : ٤)

وقال عنه القديس بطرس الرسول بالوحى الإلهى «ومبدىء الحياة قتلتموه» (أعمال ٣ : ١٥) فالمسيح إذن هو الكرمة ونحن الأغصان. ولذلك نطلب منه فى الصلاة الربانية قائلين «خبزنا الآتى أعطنا اليوم» (لوقا ١١ : ٣) أى خبزنا الذى هو زادنا للحياة الأبدية وللدهر الآتى أعطنا منه كل يوم، لنغتذى به، ونحيا به هنا أيضا على الأرض.

نحن الذين أخذنا مسحة الروح القدس بعد المعمودية، وصرنا مسحاء الرب، نحتاج إلى إضرام عطية الروح القدس فينا بوسائط الخلاص التى رتبها الروح القدس فى الكنيسة وهى الصلاة، والصوم، والقراءة، والتأمل فى سير القديسين، وفحص الضمير والتوبة اليومية ثم التناول من الأسرار المقدسة... إن كل إنسان حتى لو كان سائراً فى طريق السماء تلزمه توبة يومية. فنحن نحتاج لمراجعة الضمير يومياً عن أفكارنا وتصرفاتنا، فيما أخطأنا وفيما أصبنا، ولماذا أخطأنا، وكيف نستمر فى حياتنا نامين، فلا نذبل ولا نفتر ولا نضعف.... إننا نحتاج إلى هذه المراجعة وهذا الإمتحان «امتحنوا أنفسكم» (٢. كورنثوس ١٣ : ٥) «لأننا لو كنا حكمنا على أنفسنا لما حكم علينا» (١. كورنثوس ١١ : ٣١). هذا الحكم على النفس يأتى بعد المراجعة وبعد التبكيت المستمر لنفوسنا. وبهذا، وبوسائط الخلاص الأخرى نضمن عملية الصيانة لعطية الروح القدس التى أخذناها. على أن سر التناول هو على رأس هذه الوسائط، فإننا به ننمو فى النعمة لأن التناول له مفاعيل كثيرة، ومن بينها أنه غذاء لأرواحنا وقوت لنفوسنا.

للتناول من حيث هو قوت روحانى هدفان أساسيان

مثل التناول من حيث هو قوت روحانى وغذاء سماوى إلهى، مثل الطعام المادى وما يفيده لأجسادنا، فنحن نأكل الطعام المادى لهدفين أساسيين.

الهدف الأول : هو تعويض عن الاحتراق الذى يحدث فى البدن. ففى الجسم أنشطة مختلفة داخلية وخارجية ينجم عنها إحتراق داخلى نتيجة العمل اليومى والنشاط اليومى، ثم نتيجة النشاط الخارجى عندما نجرى ونتحرك ونعمل... لذلك لابد لأجسادنا أن تأكل تعويضاً عن الاحتراق الذى يتم بفعل النشاط الداخلى للبدن والنشاط الخارجى.

والهدف الثانى : للطعام الجسدانى هو لكى ننمو به جسدياً. فالطفل يولد صغيراً ثم ينمو بالغذاء طولاً وعرضاً، ومن دون الغذاء لا ينمو، بل يتوقف جسده عن النمو.

كذلك نحتاج نحن روحياً إلى القوت الروحانى لتحقيق ذات الهدفين معاً.

أولاً : للتعويض عن الاحتراق، فالطاقة الروحية التى نأخذها تحترق فى تعاملنا مع الناس، مع الخطيئة، ومع حرب الجسد... هنا عملية إحتراق... فلابد أن تكون هناك عملية تعويض مستمرة عن هذا الاحتراق اليومى. وهذا هو السبب فى أن سر التناول موجود باستمرار فى الكنيسة، لكى نأخذ منه بتواتر وباستمرار وبغير توقف.. ولكن ياللأسف كثيراً مانجد شخصاً يدعى مسيحياً ولكنه لا يتناول من الأسرار المقدسة إلا مرة واحدة فى السنة، فى يوم خميس العهد أو سبت النور مثلا. وآخر لم يتناول منذ أن تزوج، وثالث له ثلاثون عاما لم يتناول. ورابع لم يتناول منذ أن اعتمد وهو طفل صغير.. هذا الإنسان قد جفّ روحياً ومات، وقد ماتت روحه مهما بدت عليه علائم الحياة الظاهرة. إنه ميت روحياً... ولابد أنه جف لأنه لم يأكل من خبز الحياة. وبالطبع لانستطيع أن نعتبره قد مات موتاً كاملاً إنما قد أصابه ضعف شديد جداً، جعله قريباً قريباً إلى الموت التام، كمن يصاب بغيبوبة. فهو وإن كان لا يزال حياً إلا أنه فى حكم الميت. لذلك نحن فى حاجة شديدة للتناول بتواتر. ولايجب أن تزيد فترة الامتناع عن التناول عن أربعين يوماً على الأكثر، قياسا على حياة الجسد.. على الأقل.. فنحن لا نستطيع أن نمتنع عن الطعام المادى أكثر من أربعين يوماً دون أن نصاب بضرر قاتل ومدمر لأجسادنا. قياساً على هذا لا نمتنع عن التناول أكثر من أربعين يوماً إلا إذ كانت هناك ضرورة. والكتب الكنسية تنص على وجوب تناول المؤمنين بتواتر وبانتظام. يقوم كتاب الخولاجى للقداسات بعد أن يتناول الكهنة والشمامسة «يتناول كل الشعب».

القداس وليمة

لقد تحول القداس فى نظر الكثيرين إلى اسطوانة فيقولون : «نذهب إلى الكنيسة لنسمع القداس». كلا، ليس القداس اسطوانة، إنه وليمة سمائية. وأنت مدعو لهذه الوليمة. ولا يليق بالمرة أن تدعى وتلبى الدعوة ثم لاتقبل أن تأكل من الوليمة، وإلا سألك كل واحد : إذن لماذا جئت؟.

فالتناول سر والقداس وليمة، والمسيح بجلاله ينزل من السماء. وينزل على المذبح لكى يجعل نفسه طعاماً لأرواحنا وعلى الرغم من هذا نقول له : لا ! ! !

ماذا يمكن أن يُسمى هذا التصرف؟ إنه إنعدام أدب وليس مجرد (قلة أدب) فقط.. هو إنعدام أدب. ونحن نقول هذا قياساً على أى مائدة مادية، فأنت لو دعيت لوليمة غذاء أو عشاء وحضرتها ثم رفضت أن تأكل. فماذا يقول الناس عنك؟ سيقولون : إما إنك مترفع عن الباقين، وبذلك تهين غيرك من المدعوين، !!! وهى إهانة ما بعدها إهانة!!

أو إن الطعام لا يروقك وهذه إهانة أخرى لصاحب الوليمة الذى دعاك.

وقانون الكنيسة يقول : إذا كان هنا مسيحى لا يتناول من الأسرار المقدسة فليُسأل (قوانين الرسل - قانون ٨). لأن هذا هو الشذوذ على القاعدة. فنحن فى وليمة ومن المفروض أن نأكل منها. إلا إذا كان هناك مانع حقيقى أو إذا كانت هناك أسباب كنسية: فواحد ممنوع بحكم كنسى وآخر ممنوع من أب إعترافه، هذا هو الإستثناء.. إنما القاعدة هى التناول. أما اليوم فالعكس هو الذى يحدث.. لقد تحول الإستثناء إلى قاعدة. وتحولت الكنيسة إلى مستمعين للقداس!!

المفهوم الأرثوذكسى للتناول

ليس هذا هو المفهوم الأرثوذكسى للتناول. وليس هذا هو المفهوم المسيحى!! فسر التناول موجود باستمرار. وأنت فى المعمودية تغتسل من خطاياك الأصلية أو الجدّية. أما خطاياك الفعلية اليومية، خطاياك كل يوم فأين تغسلها؟

«ليس بأحد غيره الخلاص» (أعمال ٤ : ١٢) فكيف تغسل خطاياك اليومية؟.. هذا يتم فى سر التناول، لأن دم يسوع المسيح «يطهرنا من كل خطيئة» (١. يوحنا ١ : ٧). ولذلك يقول الكاهن فى ساعة السجود «ربنا يسوع المسيح يُعطى عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه». يُعطى عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا، أية خطايا؟ إنها الخطايا الفعلية واليومية. وكيف تغفر؟ إن التوبة وأعمال الطاعات المختلفة لا تغفر الخطيئة فهى فقط تجعل الإنسان مستعداً للغفران. إنما الغفران بدم المسيح فقط «ليس بأحد غيره الخلاص».. إن التوبة تؤهلك للتناول وبالتالى للغفران وإلا كنت غير مستحق «فمن أكل خبز الرب هذا وشرب كأسه ولم يكن أهلاً لهما، فهو مجرم إلى جسد الرب ودمه» (١. كورنثوس ١١ : ٢٧) مرة أخرى إن أعمال الطاعات تؤهلك لأن تأخذ استحقاقاً. إنما الغفران لا يتم بتوبتك أنت بل باستحقاقات المسيح وبدم المسيح : من هنا أهمية سر التناول، والتناول بتواتر.

تلك هى وسائط الخلاص التى تضرم عطية الروح القدس التى انطفأت بالخطيئة وبالاحتكاكات اليومية وما إليها. وبها تنتعش ثم تنمو وتمتد وتنتشر فى القلب وفى النفس، إلى أن تملأ كل فراغ النفس، فنبلغ إلى قامة ملء المسيح.

٣ - الشر، أسبابه ونتائجه

لماذا يخاف الإنسان:

هنا سؤال. لماذا يخاف الإنسان؟ ما سر هذا التعب؟ لماذا يخاف الإنسان؟! الإجابة السريعة أن الإنسان يخشى شراً، يخشى أن يقع به شر، ولذلك يخاف. والشر الذى يقع بالإنسان قد يكون من خارج نفسه، وقد يكون أيضا من داخل نفسه. على كل الأحوال هو خوف من شر. ولكن مما وممن جاء هذا الشر؟ ما سر الشر فى الوجود؟ سواء كان هذا الشر ألماً يقع على الإنسان يصيبه جسمياً، وطبيعياً، ومادياً، أو روحياً، أو نفسيا.

ما هو الشر

يوجد مايسمى بالشر، ولكن لو بحثنا فى الكون لما وجدنا شيئاً معيناً واضحاً أمامنا له اسم الشر. جميع الأشياء لها أسماء، فحينما تقول هذا كرسى وهذه منضده، هذا كوب.. هنا شئ له كيان وجودى، لكن هل الشَرُّ له كيان وجودى؟ هل له وجود إيجابى؟ هل له وجود مشخص واضح أمام الإنسان؟ بالطبع كلا ... إنما الشر فى الواقع، شئ سلبى، ليس له وجود إيجابى. الشر هو عدم الخير. الله لم يخلق شيئاً اسمه شر. إنما الشر هو عدم الخير. الله خلق موجودات، وكل موجود له غاية، وله هدف، وله خدمة وله وظيفة يؤديها فى هذا الوجود. وطالما أن الكائن سائر فى طريقه إلى غايته فهو فى طريق الخير، لأنه بهذا يحقق وجوده ويحقق الغرض من وجوده، ويحقق الغاية التى من أجلها خلقه الله. فإذا إنحرف هذا الكائن عن هذا الهدف، سقط فى الخطأ. هذا بالضبط كمن يصوب حجراً أو كرة نحو هدف، فإذا أصابت الكرة الهدف، فالكل يعلم ويقرر أن الكرة قد دخلت فى مكانها الطبيعى. ويصفق الناس ويهللون لأنه لم يحدث خطأ فى بلوغ الهدف. أما إذا حدث إنحراف يميناً أو شمالاً عن بلوغ الهدف، فيقولون لقد أخطأ فلان الهدف.

هذا هو الشر. إنه إنعدام الخير... إنه إنحراف عن بلوغ الهدف والوصول إلى الغاية. لأن كل ما خلقه الله، قد خلقه من أجل غاية، حتى العشب، له غاية من وجوده. نعم لا يوجد شئ فى عالم النبات أو فى عالم الحيوان أو فى الأفلاك أو الكواكب أو النجوم إلا والخالق له قصد فى خلقه... لا يوجد شئ مهما بدا لنا تافهاً أو صغير الحجم أو القيمة إلا وله هدف صالح من وجوده، ويخدم غرضاً فى الكون.. يخدم غاية من أجلها خلق الله هذا الكائن أو هذا الشئ... فإذا إنحرف هذا الكائن عن غايته الوجودية صار إلى الخطأ، وصار له ضرر ... والضرر معناه أن هناك إنحرافاً قد حدث سواء لسبب داخل الكائن، أو لسبب من خارجه.

الفرق بين الخطأ والخطيئة

الخطأ والخطيئة من اشتقاق لغوى واحد. إلا أن الخطأ عادة يكون عن غير قصد وعن غير عمد، بينما أن الخطيئة تكون عن عمد وعن علم وعن إرادة وعن رغبة باطنية فى الخطأ... ولذلك فإن الخطأ أقل خطراً من الخطيئة لأنه عن غير عمد وعن غير قصد وقد يكون عن جهل، وقد يكون عن عجز، عجز عن بلوغ الهدف. أما الخطيئة فهى عادة خطأ مقصود، خطأ مرغوب فيه، خطأ بشهوة من الإنسان فى تحقيق هذا الخطأ، ومن هنا كانت مسئولية الإنسان فى الخطيئة أكبر من مسئوليته فى الخطأ.

تقييم الكائنات من حيث الخطأ والخطيئة

١ ـ النبات والحيوان :

بالنسبة للنباتات والحيوانات، نظرا لأنها ليست لها نية ولا قصد فى الخطأ. فيكون الخطأ من خارجها. فلو هجم كلب على إنسان وعضه، لكان فعل العض شراً ولكن ليس من الكلب.. لأن الكلب له وظيفة فى الكون وفى الوجود. فإذا عض إنساناً، فليس فعل العض خطأ من الكلب، لأن كل كلب فى مثل هذا الظرف يتصرف نفس التصرف، إذ أنه يتحرك فى تصرفه لغاية فى الطبيعة، وهو مسوق بغريزته لتحقيق هذه الغاية خارج نفسه. ولذلك لا يقال فى الحيوان ولا يقال فى النبات أنه أخطأ أو ارتكب خطيئة.. فإذا أصاب النبات فساد أو احترق الزرع، فقد يكون مرد ذلك الفساد أو الحريق إلى المطر أو إلى تقصير من جانب الإنسان فى إعطاء النبات حاجته من الماء اللازم، وليس السبب يرجع إلى النبات ذاته.

هكذا فى الحيوان، نحن لا نستطيع أن نقول أن هذا الحيوان أخطأ أو هذا الحيوان أصاب. ولكن ما يقع من ضرر من الحيوان، لا يكون مرده إلى الحيوان ذاته وإنما يكون مصدره كائن آخر له إرادة تدخلت، وحولت تصرف الحيوان إلى تصرف ضار.

٢ - الإنسان :

أما الإنسان فشىء آخر، إنه يختلف عن النبات، ويختلف عن الحيوان، ويختلف عن ظواهر الطبيعة من رياح وأمطار وحركات النجوم وما إليها.

الإنسان كائن يختلف عن كل هذه الكائنات فى أن له إرادة، وله حرية، ومادام الإنسان حراً، فالحرية معناها قدرة الإنسان على أن يتصرف بإختياره هو تصرفاً يرضاه، ذات اليمين أو ذات اليسار. وهذا يعنى، أن تصرف الإنسان يكون عن إرادة وعن رغبة وعن

إحساس بالحرية. ومادام حراً فالحرية معناها القدرة على إختيار التصرف. أى أن قدرة الإنسان على الإختيار، هى التى تفرق بين إنسان وآخر، وتجعل هذا التصرف صواباً أو خطأ، ومن هنا يمكن الحكم على الإنسان بأنه أصاب أو بأنه أخطأ لأنه يملك أن يتصرف على كلا الوجهين.

أما الحيوان الأعجم فلا قدرة له اطلاقاً على أن يتصرف على كلا الوجهين. ولذلك فإنه لا خطأ فى عالم الحيوان الأعجم.. فكل أسد يتصرف تصرف الأسد الآخر إذا كان من نفس فصيلته.. وكل كلب، وكل حصان، وكل حمامة، وكل يمامة، وكل عصفور، وكل دودة، كل كائن من هذه الكائنات يتصرف تصرف زميله الآخر إذا كان من نفس فصيلته، ولا فرق بينها جميعا فى التصرف، إطلاقاً... ولذلك لا يمكن الحكم على دودة القطن إذا أكلت القطن بأنها خيرة أو شريرة، لأن كل دودة فى مثل هذه الظروف تتصرف نفس التصرف الذى تتصرفه أى دودة أخرى إذا وجدت فى نفس الظروف.

إنما الإنسان وحده هو الكائن الأوحد بين هذه الكائنات الأرضية الذى يحكم الناس على تصرفه بأنه صواب أو خطأ نظراً لأنه يملك الحرية، ويملك أن يتصرف، ويملك أن يختار التصرف.

مصدر الشر :

لذلك كان الشر مرده إلى إرادة الإنسان.. وهنا نريد أن نصحح خطأ أو إتهاما يقع فيه الناس عادة... فمثلا إنسان يقول إنَّ الشيطان أضلنى. الشيطان دفعنى، وقد يقول أحيانا ربنا (إبتلانى). وطبعاً أن يقول أحد الناس (ربنا إبتلانى) هذا تجديف، وكفر، وإهانة لله تعالى، **لأن الله لا يمكن أن يكون مصدراً للشر إطلاقاً، ولا يمكن أن يكون الله علة أولى للشر بتاتاً**.. إنما الشر يأتى من علة أخرى غير الله، لأن الله لايرضى بالشر، ولايريد الشر، إنما الشر يأتى من جانب آخر.. غير جانب الله.

لماذا يسمح الله بالشر؟

إن دور الله فى الشر هو دور من يأذن أو يسمح بالشر، لكنه لا يريد الشر ولا يرضى به.. ولماذا يسمح بالشر؟؟ يسمح بالشر لأنه سبق فأعطى للإنسان حرية. وهو لايريد أن يقيد حرية الإنسان، وبخاصة لأنه جعل لتصرف الإنسان جزاءا بالثواب أو العقاب. فهناك حساب، وهناك ثواب، وهناك عقاب. فما لم يعط الله الحرية للإنسان فلا يكون مقبولا عقلا أن الله يحاسب الإنسان.. فلابد إذن أن يتركه حراً. فإذا حدث شر فى الدنيا، **فلا نقول**

أن الله أراد الشر. هذا مستحيل! لكن لماذا يسمح الله بالشر؟؟ ولماذا يسمح بالظلم؟؟ ولماذا يسمح بالفساد؟؟ ولماذا يسمح بالكفر والإلحاد والإباحية، وكل أنواع الشر التى يتحدث العالم كله عنها، بينما هى كلها فى مملكة الله، والله فى قدرته أن يمنع الشر فلماذا لا يمنعه؟!.

نقول إجابة على ذلك: لأن الله سبق فأعطى الحرية منحة للإنسان، وجعل فى مقابل هذه الحرية، مسئولية، وعلى هذه المسئولية جزاء وحساب بالثواب أو بالعقاب. لذلك لايشاء الله أن يتدخل بالقهر والضغط والإلزام والجبر لتسيير الكون.. صحيح أن الله يتدخل أحياناً ليوقف شراً ولكن تدخله محدود بقانون معين.. الله لايتدخل باستمرار، لكنه فى بعض الأحوال يتدخل.

ولنضرب لذلك مثلا للتقريب فقط، فالحكم فى المباراة بين شخصين فى ألعاب المصارعة... يترك المتصارعين يلعبان إلى أن يظهر المنتصر بينهما. إنه لا يتدخل فى حرية اللاعبين لكنه يتدخل فى حدود ضيقة جدا، حينما يجد أحدهما قد توحش أكثر من اللازم لدرجة الإنقضاض على غريمه. فى هذه الحالة فقط يتدخل، لكن من دون أن يمنع تدخله حرية اللاعبين.

خذ مثلاً آخر ولو أنه بالقياس مع الفارق، لأن الله تعالى لا ينبغى أن نشبهه بتشابيه بشرية... عسكرى المرور الواقف على منصة عالية لينظم حركة المرور. إنه يعطى الإشارة للسيارات، فتنطلق فى إتجاه معين، ويوقف فى الآن نفسه إتجاه السيارات الأخرى السائرة فى عرض هذا الاتجاه. ومع ذلك فهو لا يتدخل فى حرية راكبى السيارات السائرة فى إتجاه معين، فلا يجبر هذه السيارة أو تلك على الذهاب إلى مكان لا يريده سائقها... كلا إنه لا يتدخل فى توجيه السيارات إلى أماكن معينة، إنما تدخله قاصر على تفادى التصادم العام دون التدخل فى حرية راكب السيارة فى الذهاب إلى مكان معين دون آخر. هذا مجرد مثل نضربه.

إن الله فى هذا الكون هو سيد الكون. وهو لاينام وكما قال سيدنا له المجد، «إنَّ أبى حتى الآن يعمل وأنا أيضاً أعمل» (يوحنا ٥ : ١٧) فهو حاكم الكون، ولايحدث شىء فى الكون بدون إذنه. وقد قال، «أليس عصفوران يباعان بمليم، ومع ذلك لا يسقط واحد منهما على الأرض بغير مشيئة أبيكم الذى فى السَّماوات» (متى ١٠ : ٢٩) أى لا يسقط على الأرض من دون إذنه وسماحه. ولكن هناك فرق بين «إذنه» وبين «إرادته».

حينما يظلم إنسان أخاه، فإن الله لا يرضى بالظلم، ولا يريد الظلم، لكن الظلم مع ذلك يحدث ويكون الله غير راضى عن هذا الظلم. لأنه يقول «لاتظلموا» (زكريا ٧:١٠)، (لوقا ٣:١٤). إن فى مقدور الله أن يمنع الظلم، لكنه يسمح به لأنه أعطى الإنسان حرية، ولأنه جعل ثمن الحرية، المسئولية والحساب بالثواب أو بالعقاب.

إذن هذا الكائن (الإنسان) حر، ولأنه حر، فهو الكائن الوحيد بين الكائنات الأرضية الذى يمكنه أن يخطىء ويمكنه أن يصيب، وهذه ميزة وشرف للإنسان إنه يمكنه أن يخطىء، ويمكنه أن يصيب، كما قال بعض الفلاسفة، الإنسان هو الحيوان الوحيد الذى يستطيع أن يخطىء، إنما النملة أو النحلة أو اليمامة أو العصفور أو الضبع أو الذئب لا يقدر الواحد منها أن يخطىء، لأنه تحكمه الغريزة، وليس هناك فى هذا الموضوع فرق بين ذئب وذئب، لأن خصائص الذئب معروفة وهى قاسم مشترك بين جميع الذئاب.. فلا خطأ فى عالم الحيوان الأعجم، وإذا حدث ما نسميه خطأ فهو إسقاط لما فى نفس الإنسان على الحيوان الأعجم، أو هو بفعل عامل آخر خارج عن إرادة الحيوان يتدخل فى تصرف الحيوان فيجعل فى تصرفه ضرراً كما قلنا. فالكلب مثلا حينما يصيب أحدا بضرر، فإن الخطأ ليس من الكلب، وإنما هناك أسباب أخرى قد تكون من جانب الإنسان، وقد تكون بتدخل عوامل أخرى تجعل هذا الكائن يتصرف تصرفاً يُعتبر ضاراً، لكن من دون أن تكون هناك نية شر فى هذا الحيوان الأعجم.

دور الشيطان فيما يرتكب الإنسان من خطأ أو خطيئة :

إذن الشر فى الإنسان مرجعه إلى حرية الإنسان. وقد قلنا إننا نقع فى خطأ جسيم، وفى خطيئة عظيمة حينما ننسب إلى الله أنه مصدر الشر فى الوجود. والخطأ الثانى الذى نقع فيه أيضاً هو أننا نظلم الشيطان، حينما نُرجع الخطأ إلى الشيطان دائماً، فنقول (إنَّ الشيطان أغوانى) أو (إبليس إبتلانى).. وهى مفاهيم عامة لدى الجميع تقريباً. ولماذا؟؟ ما ذنب الشيطان؟؟ ليس كل نوع من الخطأ أبداً سببه الشيطان، فإذا ما رجعنا مثلا إلى خطيئة أبينا آدم وأمنا حواء، لانجد الشيطان قد أجبر حواء بالقوة أو قهرها على أن تأكل من الثمرة المنهىّ عنها؟؟ لم يحدث هذا.. إن ماحدث هو أن حواء نظرت إلى الشجرة فرأتها طّيبة للمأكل وشهية لعينيها وأنَّ الشجرة منية للعقل فأخذت من ثمرها وأكلت ثم أعطت رجلها أيضاً معها فأكل (التكوين ٦:٣) وما كان دور الشيطان سوى دور التفاهم، كأنه صديق يحاول أن يتفاهم مع الإنسان، ولكن الإنسان فى إمكانه أن يقبل المشورة وفى

إمكانه أن يرفضها.. إنما الفاعل هو الإنسان وليس الشيطان.. والأمر تماماً كما يكون لشخص صديق يمشى معه، هذا الصديق يشير عليه بمشورة، لكن الإنسان هو الذى يختار أصدقاءه، ثم أنه يستطيع أن يرفض المشورة من ذلك الصديق. ولذلك أوصانا الكتاب المقدَّس بأن نتجنب المعاشرات الرديئة، «لاتضلوا، فإن المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة» (١.كورنثوس ١٥:٣٣) فالشيطان مثل أى كائن آخر، وكأى صديق آخر، يحاول أن يتفاهم مع الإنسان. يحاول أن يجمل له الطريق الشرير، ويقنعه به، لكن الشيطان لا يقهر الإنسان ولا يجبره على أمر أو يلزمه به. فالإنسان هو المسؤول أولاً وأخيراً.

لماذا خلق الله الشر «الشيطان»؟

ومن أين جاء الشر للشيطان؟؟ هل الله خلقه شريراً؟؟ لم يحدث هذا.. إن الشيطان فى البدء كان ملاكاً بل رئيس ملائكة فهو من عالم الملائكة.. إذن الله خلقه بقصد حسن، خلقه ملاكاً صالحاً. إنما هو ككائن حر - والحر دائماً له القدرة على أن يختار لنفسه - أن ينحرف عن الغاية من وجوده، وهذا الإنحراف هو الذى أوقعه فيما يعتبر إنه شر. إذن حتى الشيطان الذى نقول عنه دائماً إنه أصل لكل شر، لم يكن الشر الذى فيه من الله، إنما الشر فيه هو نوع من الإنحراف من جانبه عن الهدف من وجوده.

الإنسان والمسئولية :

الإنسان منا لا يختلف كثيراً عن الشيطان، فى أنه هو الذى ينحرف وهو الذى يختار الشر لنفسه. وبناء عليه يكون هو المسئول عن أفعاله. لكن ما يحدث إن كل واحد منا يعلق الخطأ الخاص به على الشيطان كما يعلق حلته على شماعة أو مشْجَب، فينسب إلى الشيطان أنه هو السبب فى وقوعه فى الخطيئة... هذه إهانة لكرامة الإنسان، لأن هذا معناه أن الإنسان كالحيوان يجرونه ويقودونه إلى حيث لا يريد بل وليس له إرادة. وهذا غير صحيح. طبعا إنها إهانة للطبع الإنسانى وإهانة للصورة الجميلة التى خلق الله الإنسان عليها، كائنا حراً مريداً مسؤولاً مناط أمره بيده ... هو الذى يصنع مصيره، وهو الذى يصنع مستقبله، وهو الذى يختار لنفسه، وليس الشيطان هو الذى يختار له ولا كائن آخر.. الإنسان هو المسؤول عن نفسه. فالشر فى الإنسان مرجعه إلى الإنسان نفسه، وما الشيطان إلا مجرد ناصح أو مشير، والإنسان يملك أن يقبل مشورة الشيطان ويملك أن يرفضها كما يقول الكتاب المقدس «اخضعوا لله. قاوموا إبليس فيهرب منكم» (يعقوب ٤:٧) «اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو. فقاوموه راسخين فى الإيمان» (١.بطرس ٥:٨،٩).

إذن فى قدرة الإنسان أن يقاوم إبليس لأنه يمتلك **إمكانيات وقدرات ومواهب وعطايا** ولديه أسلحة يستطيع أن يقاوم بها. «فقاوموه راسخين فى الإيمان». نفهم من هذا أنه لا يصح إطلاقاً أن ينسب أحد منا الشر إلى الله. لأن الله لايمكن أن يكون علة أولى للشر.

الله إله الخير وكما قال الكتاب المقدَّس «لايقل أحد إذا جُرب إنى أجرب من قبل الله. لأن الله غير مجرب بالشرور وهو لا يجرب أحداً. ولكن كل واحد يجرب إذا إنجذب وإنخدع من شهوته. ثم الشهوة إذا حبلت تلد خطيئة، والخطيئة إذا كملت تنتج موتاً، ولاتضلوا يا إخوتى الأحباء، كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هى من فوق، نازلة من عند أبى الأنوار» (يعقوب ١:١٣-١٧) ولا ينسب كذلك الشر إلى الشيطان، لأن الشيطان كائن مثلنا.. وكائن حر كما أننا نحن أحرار. هو أخطأ وما زال مصراً على خطيئته، وهذا هو السبب فى أن اسمه هو إبليس أى المعاند والمقاوم، لكن ليس هو المسؤول الأول عن الخطأ الذى يقع فيه الإنسان. ذلك لأن الإنسان كائن حر، كائن مُخَّير، كائن يمثل الخليقة كلها، لديه قبس من الألوهية.. لديه هذه الروح التى خلقها الله على صورته ومثاله... إنه يملك هذه الحرية التى بها يشبه الله .. وعنده العقل، والعقل أيضاً قبس من الألوهة، وعطية من العقل الأعظم الذى يحكم الكون وهو الله، وفى قدرة هذا العقل - لو عرف الإنسان أن يستغله - أن يحكم تصرفاته وأن يبلغ به الهدف من وجوده فلا يقع فى الخطأ أو الخطيئة.

إذن الخطأ فى الإنسان ليس مصدره الله، وليس مصدره الشيطان، إنما الخطأ هو إنحراف.. هو إنحراف الإنسان نفسه عن الهدف من وجوده، وعن الغاية التى خلقه الله لكى يحققها ويتحقق بها. من هنا كان الإنسان هو المسؤول أولاً وأخيراً عن الخطيئة وعن الشر الذى يصنعه، تماما كما هو المسؤول عن الخير الذى يصنعه.

الجسد والخطيئة

كثيرون منا يعتقدون أن الجسد هو علة الخطيئة مستندين إلى قول الرسول بولس «الجسد يشتهى ضد الروح، والروح يشتهى ضد الجسد، وهذان يقاوم أحدهما الآخر» (غلاطية ٥: ١٧) إذن الجسد على ما يقولون هو مصدر الخطيئة، أقول إن هذه نظرية غير مسيحية.... الوثنيون من الهنود يقولون ويعتقدون أن الجسد هو علة الخطيئة، وبناء على هذا تقوم الأخلاق السامية عندهم على مبدأ تعذيب الجسد. ومن هنا كانت الرهبنة الهندية الوثنية تقوم على مبدأ تعذيب الجسد. لكن ليست كذلك الرهبنة المسيحية، **إنّ الرهبنة**

المسيحية لاتقوم على تعذيب الجسد..... الرهبنة المسيحية تقوم على مبدأ ضبط الجسد وليس تعذيب الجسد. أن يسيطر الإنسان على الجسد بالعقل والروح، لأن العقل بيده الزمام، وبيده اللجام، فيسيطر على الجسد، لكن ليس تعذيب الجسد، لأن الجسد عطية من الله، فمن الخطأ أن يظن الناس أن الجسد أصل الخطيئة.

حينما يقول الكتاب المقدَّس «الجسد يشتهى ضد الروح، والروح يشتهى ضد الجسد» فالمقصود من الجسد ليس هو الجسد **الصرف، إنما هو الجسد متحدة به النفس الشهوانية، أى أن الجسد صار كإطار خارجى يعبر به عن الجسد متحدة به الشهوة والنفس الشهوانية.** إنما الجسد ذاته لا ذنب له، ولا يمكن أن يعتبر مصدراً أو علة للخطيئة. جسد الإنسان كجسد الحيوان يشتهى أن يأكل، عندما يجوع. فإذا أكل فليس فى الأكل خطيئة إذا كان الأكل سداً لحاجة الجوع ولقيام الجسد بوظيفته. والجسد بمفرده لن يأكل أكثر من إحتياجه. فالحيوان مثلاً يأكل. فإذا أخذ حاجته من الطعام، فلا يأكل أيضاً حتى لو ضربوه. لأن الغريزة تحكمة. وبموجب الغريزة يتوقف عن الأكل إذا لم تكن له حاجة إلى الطعام.. لأنه ما هو الجوع؟ الجوع هو نقص كمية الغذاء فى الدم. هذا هو الجوع الحقيقى. فإذا أكل الكائن بالقدر اللازم لطبيعته، ولما يلزم للدم من غذاء فليس فى هذا خطيئة. وإنما العكس هو الخطأ أو الخطيئة وهو أن يحرم الجسد من الطعام اللازم لقيامه، وهذا ما قاله الرسول بولس «فإنه لم يبغض أحد جسده بل يَقُوتُهُ ويربيه» (أفسس ٥: ٢٩) فإذا أكل الإنسان ليسد إحتياجات الجسد، ولقيام الجسد فليس فى هذا خطأ من جانب الجسد. وليس فى هذا خطأ من جانب الإنسان. **إنما لو أخذ الإنسان من الطعام أكثر مما يلزم لجسده أو أقل مما يلزم لجسده فهنا الخطأ..** كذلك يشرب الحيوان الماء بقدر حاجته إلى الماء، لأن العطش الحقيقى هو نقص كمية الماء فى الدم. فإذا شرب الحيوان رفع رأسه ولا يمكن أن يشرب بعدُ مرة أخرى حتى ولو ضُرب.

وهكذا الغرائز الأخرى، مثل غريزة الجنس فى الحيوان تحكمها حاجة فى الطبيعة، فأنثى الحيوان إذا حملت لا يمكن أن تسمح للذكر أن يقترب منها إطلاقاً، إذ بمجرد الحمل تنطفىء منها الرغبة نهائياً. وليس كذلك الإنسان، لأن الإنسان عنده فكر، والفعل الأول الذى عمله صاحبته لذة. هذه اللذه موجودة فى الفكر لأن الإنسان لديه ذاكرة، وبهذه الذاكرة يجتر من جديد ذكريات اللذة الأولى، فيشتهى ويطلب أن يأخذ من اللذة من جديد..

وليس الجسد هو المحتاج، كلا إنما الفكر هو الذى يجتر الذكريات، ويطلب المزيد. أحد الأشخاص مثلا يقول أنى أشرب ١٧ كوب ماء أثناء الأكل. أفهل جسده محتاج حقاً إلى هذه الكمية من الماء؟ هذا غير معقول، إنه يحتاج إلى الماء فى حدود ثمانية أكواب من الماء فى اليوم فإذا قال بعضهم أنه يشرب١٧٠ كوب ماء، فهذا الشرب هو للذة، وليس لأن الإنسان فى حاجة إلى هذه الكمية من الماء، ولكن لأن فى الماء أو هذا الشراب لذة. فعندما يشرب الماء تتكون لديه من أول مرة خبرة ثم تتجمع فى ذاكرته هذه الخبرة، ويجترها من جديد، وتتكون لديه جاذبية نحو الماء، فينجذب إلى الماء أو نحو الطعام أو نحو أى شهوة أو رغبة، لكن ليس هو الجسد الذى ينجذب، ولكن الجسد تحكمه الرغبة والشهوة والخبرة التى تكونت فى الذاكرة. إذن الشر ليس أساسه الجسد إنما أساسه الروح.

الروح والخطيئة

لماذا كان الشر أساسه روح الإنسان؟

ذلك فعل الروح التى نسيت نفسها، ونسيت نسبتها إلى الله، ونسيت مصدرها الذى جاءت منه، وتبنت شهوات الجسد فى مزاملتها ومصاحبتها للجسد. اقتنعت وتبنت الشهوات الجسدية فأصبحت الروح وقد تاهت ونسيت مركزها الأصيل. ونسيت نسبتها إلى الله، وتبنت الرغبات والشهوات فأصبحت هى التى تجر الجسد إلى أن يمتد فى النهم ويغترف من الشهوات من أكل إلى شراب إلى غيرها من الشهوات. هذا إملاء من الروح التى ضلت. إملاء من الروح التى كان فى يدها اللجام، ولكنها تركت اللجام وقالت للجسد : اغترف لأنى أنا أريد المزيد من الشهوات.

هنا الفرق بين تعليم المسيحية وتعليم الفلسفة الهندية الوثنية، ليس الجسد فى مفهومنا المسيحى هو أصل الشر. أبداً. أن يأكل الجسد بالقدر الذى يحتاجه، هذا أمر مفروض بل هو للصواب. ومن الخطأ أن يعطى الإنسان الجسد أكثر من إحتياجه أو أقل من إحتياجه. فشجرة الموز مثلا أو أى شجرة أخرى فى الدنيا تمتص من التربة الأملاح المعدنية والمركبات التى تلزمها بحسب تركيبها الجزيئى أو الذرى، فهى تأخذ من التربة ومن الهواء ما يلزمها من ذرات الأوكسجين والأيدروجين والكربون والسكر وسائر الأملاح المعدنية إلى

آخر الذرات المعروفة فى التركيب الجزيئى للموز. وبجوار شجرة الموز أشجار أخرى قد تكون من التفاح أو البرتقال وقد تكون من الطماطم أو البصل أو الفول السودانى أو الليمون... كل منها يأخذ ما يلزمه من الأملاح المعدنية ومن الهواء ومن الضوء والحرارة والماء، ولكنه لايزيد عن حاجته، فإذا أخذ ما يحتاجه فإنه يتوقف أوتوماتيكيا عن أخذ المزيد مهما كان عنده الكثير مما حوله.

هذا هو فعل الجسد البحت.. يأخذ من الطبيعة حاجته ولا يزيد عنها، كذلك الأمر فى الحيوانات بأصنافها. كل حيوان يأخذ حاجته فقط من الطعام والماء ولايزيد عن حاجته بحال حتى لو ضربوه. إنه يتوقف عن أخذ المزيد أوتوماتيكيا وغريزيا، بل إنّ شهيته تنطفىء بمجرد حصوله على ما هو فى حاجة إليه ولا يشتهى المزيد على الرغم من غنى الطبيعة من حوله فى كل أصناف الطعام والشراب.

فلو كان الإنسان جسدا فقط بلا روح، لكان شأنه شأن النبات والحيوان، لايأخذ من الطعام والشراب أكثر من حاجته، ويتوقف عند ذلك، ولكن الواقع أن الإنسان لايكتفى بما هو فى حاجة إليه من الطعام والشراب، ولكنه يغترف منه أكثر مما هو فى حاجة إليه مما يدمر صحته عادة ويصيبه بالأمراض. وإذاً مصدر هذا النهم فى الإنسان ليس هو الجسد، ولكن هى الروح العاقلة التى نسيت طبيعتها ومركزها، وتَلّهت وتلذذت بالطعام الجسدى وانصرفت إليه عن طعامها الحقيقى، هذا هو علة الخطأ، وهذا هو السبب الذى يجعل الإنسان يخطأ. ولذلك نجد فى عالم الحيوان، أن الحيوان يعيش مدة معينة معروفة. فالأسد مثلا يعيش ٣٠ سنة، والكلب يعيش مثلا ١٥ سنة .. كل حيوان له مدة معينة، وهكذا النبات أيضا ... لذلك نجد الفلاح يعرف المواعيد بالضبط، يعرف متى يزرع ومتى يحصد. ولأن النبات والحيوان يأخذ من الطبيعة ما يلزمه، ولا يأخذ أكثر. فإذا حدث قحط أو نقص فى كمية الماء، وهو أمر غير طبيعى بالنسبة للنبات أو الحيوان، يترتب على ذلك الموت بالنسبة للنبات أو الحيوان. أما فى الأحوال الطبيعية، فالنبات والحيوان يأخذ من الطبيعة ما هو فى حاجة إليه ولايزيد، ولذلك يحيا مدته المحدودة بحسب القوة الطبيعية المودعة فيه. وليس الأمر كذلك بالنسبة إلى الإنسان. فالناس يختلفون فى أعمارهم إختلافاً كبيراً فى البيئة الواحدة وفى عصر واحد، وأحيانا فى العائلة الواحدة .. وذلك مرده إلى نسبة الإختلاف بينهم فى الأخذ من الطعام والشراب، وسائر الشهوات والرغائب المادية. فمنهم

من يعيش سبعين سنة، ومنهم من يعيش ثمانين أو تسعين أو مائة ومنهم من يعيش أقل من ذلك، فيموت فى الستين أو الخمسين.. نعم إن هناك أكثر من سبب لهذا الإختلاف فى أعمار الناس، ولكننا لانجد مثل هذا الإختلاف فى أعمار النباتات والحيوانات التى من فصيلة واحدة، مما يدل على أهمية عامل الأخذ من الطعام والشراب وسائر الشهوات والرغبات المادية، ولذلك يقول الكتاب المقدَّس «لاتكن شريراً كثيراً، ولاتكن جاهلاً، لماذا تموت فى غير وقتك» (الجامعة ٧: ١٧). انظر أيضا (أيوب ٢٢:١٦)، (مزمور ٥٤: ٢٣)، (الأمثال ٣ : ٢،١٦)، (٩ : ١١)، (١٠ : ٢٧)، (١٥ : ٣٢).

إذن النبات يموت فى أوانه، والحيوان يموت فى وقته. أما الإنسان فقد يموت فى غير وقته. وذلك لأن هناك عوامل لا ذنب للجسد فيها، ولا مسئولية عليه فيها. إنما المسئولية فى يد الروح العاقلة التى تملك زمام اللجام إذا أرادت.. المسئولية مسئولية الجوهر الروحانى الذى مصدره السماء، والذى ينسى أحياناً مهمته وطبيعته ووظيفته، ونسبته إلى الله وإلى الكون وينسى طعامه الحقيقى، ويتبلغ بطعام الجسد، فيهواه، ويعشقه، ويطلب منه المزيد، وهو الذى يسوق الجسد إلى النهم فيه والإغتراف منه، ويتسبب فى إصابته بالأمراض والعلل.

الخلاصة أنه إذا أردنا أن نجيب على سؤال. ما هو مصدر الشر؟ قلنا :

أولا : إن مصدر الشر ليس هو الله.

ثانياً : يجب أن لا نهرب من تبعة المسئولية ونحيلها على الشيطان.

ثالثاً : ينبغى على الإنسان أن يعرف أنه كائن حر وأنه لهذا هو مسؤول، ولقد منحه الله العقل، ومنحه الإمكانيات والقدرات التى تجعله يملك زمام أمره، فيفعل الخير الذى يريده ويتجنب الشر الذى لا يريده.

لماذا أُعطيت الديانة للإنسان؟؟

فالمسئولية إذن تقع على الإنسان أولاً وآخراً، وهذا هو السبب فى أن الديانة أعطيت للإنسان ولم تعط للحيوان الأعجم، إنَّ الله أعطى للإنسان الوحى بهدف مساعدته لأنه حر. وإلا فلماذا كانت الكتب المقدسة؟ ولماذا كانت النصائح والتوجيهات والمواعظ إذا لم يكن الإنسان حراً؟ وما فائدتها لو كان الإنسان مسيراً شأنه شأن الحيوان الأعجم والنبات؟

إذ يُمسى الوعظ فى هذه الحالة لا قيمة له. وتصبح التوجيهات والنصائح لا معنى لها. وكذلك يصير الكلام عن الأبدية والآخرة والحِساب والثواب لامعنى له، ولا جدوى منه.. ولكن لأن الإنسان حرٌّ مناط أمره بيده، وهو الذى يصنع مصيره، وهو المسؤول، لذلك تُسدى إليه النصائح، وأوحيت إليه الكتب المقدسة، ووجه إليه الوحى، وقد جاء المسيح من أجله «أما أنا فأتيتُ لتكون لهم حياة، وليكون لهم أفضل» (يوحنا ١٠:١٠).

هذا هو الغرض من أن الديانة أُعطيت للإنسان لكى تكون له مع العقل نوراً يضىء طريقه، وبذلك يمكنه أن يحكم ذاته، ويحكم تصرفاته فيحقق الهدف من وجوده، ويتحقق بالغاية التى خلقه الله من أجلها.

٤- أيستطيع أعمى أن يقود أعمى؟[١]

الأصحاح السادس من إنجيل معلمنا لوقا البشير يبدأ بمثل يقدمه رب المجد: «أيستطيع أعمى أن يقود أعمى؟ أما يسقطان كلاهما فى حفرة؟ انظر أيضاً (متى ١٥: ١٤).

إذا صنع الأعمى هذا الفعل، كان إنساناً أحمق يصطنع لنفسه وظيفة ليس هو أهلاً لها. لقد كان يلزم لهذا الأعمى أن يفهم ذاته أولاً، وأن يعرف أنه أعمى، وأن يتبين عجزه عن أن يقود غيره. أما أن يبلغ به الأمر إلى أن يَدَّعى لنفسه الحق فى أن يقود غيره من العميان، فهذا برهان على غباوة هذا الإنسان، وبرهان على أنه لم يفقد العينين الظاهرتين فقط وإنما فقد البصيرة أولاً. وفقدان البصيرة شر من فقد العينين الظاهرتين.

إن أول فضيلة من الفضائل بل أول حلقة من سلسلة هذه الفضائل، أن يعرف الإنسان نفسه. ولو عرف الإنسان نفسه على حقيقته لاستطاع أن يعرف ما ينقصه، ليكمل به نفسه، ولاستطاع أن يوفر على نفسه طريقاً طويلاً هو طريق الضلال، فلا يسير فى طرقات متعرجة وخط مسدود لا يؤدى إلى شيء.

إنما الإنسان الذى يريد حقاً أن يسير على هدى، والذى يريد أن يسير فى طريق سليم يؤدى إلى الهدف من وجوده فى هذه الحياة، يلزمه أولاً أن يعرف نفسه... أن يدرس نفسه... أن يعرف أين هو... إن للنفس البشرية متاهات أعقد من متاهات اللابيرنت كما يقولون. إن النفس البشرية دولة فى داخل الإنسان. طوبى لمن يستطيع أن يعرف طرقاتها... والمفروض أن لا يعرف نفس الإنسان إلا الإنسان نفسه... إنه يعرفها أكثر من غيره... وكما يقول الوحى «فإنه من مِن الناس يعرف أمور الإنسان غير روح الإنسان الذى فيه» (١. كورنثوس ٢: ١١).. هذا ما يقوله الرسول، وهذا هو المفروض أن يكون.

ولكن هل حقاً يعرف الإنسان نفسه؟ وهل يصدق هذا على كل واحد؟ إن من الناس من لا يعرف نفسه... وقليل من الناس من يعرف بعض ما فى نفسه... إنما الأكثرية العظمى من الناس يعيشون خارجاً عن نفوسهم... تائهين عنها... بعيدين عنها... مشغولين عنها فى أمور كثيرة خارج نفوسهم...

ما أعذبها كلمة سمعناها من رب المجد وهو يتكلم عن الابن الضال، بعد أن سار فى ضلاله طويلاً، يقول عنه الرب يسوع «فرجع إلى نفسه» (لوقا ١٥: ١٧).. إنها عبارة غريبة... «رجع الابن الضال إلى نفسه».

---

(١) عظة أُلقيت بكنيسة العذراء مريم بمدينة نصر – فى صباح الجمعة ١٦ من مارس ١٩٧٣م – ٧ من برمهات ١٦٨٩ش.

إذن أين كان الابن الضال؟... لقد كان يعيش بعيداً عن نفسه... وكأنه لم يكن نفسه... كان غير نفسه. ثم رجع إلى نفسه ... كان تائهاً عن نفسه... وهذا تعبير صادق جداً، ينطبق علينا كثيراً، حينما يتيه الإنسان منا عن نفسه... وكأنه لم يكن نفسه... كان غير نفسه... مشغولاً بالأسرة... مشغولاً بالأب والأم... مشغولاً بالزوجة أو الزوج... مشغولاً بالعمل... مشغولاً بالأصدقاء... مشغولاً فى متاهات الحياة التى لا تنتهى... مشغولاً بهذا كله عن نفسه... وإلى متى؟ بل وأحياناً يكون مشغولاً بخطايا الآخرين، وأخطاء الآخرين، ومشاكل الآخرين... ومن هنا يبدأ أن يدين الآخرين، ويحكم على الآخرين، وأن يشغل ساعات وأيام من حياته فى إدانة غيره، والحكم على غيره... هذا هو الضلال بعينه... هذا هو التيهان خارج النفس... والضلال بعيداً عن النفس... إنما الابن الضال رجع إلى نفسه...

أيستطيع أعمى أن يقود أعمى؟ هل يمكن هذا؟ كلكم تقولون: إنه مستحيل أن أعمى يقود أعمى... أن يكون الإنسان أعمى ويزعم لنفسه أنه يقود أعمى... إن الأعمى يطلب من آخرين أن يقودوه، أما أن يطلب هو أن يقود غيره وهو أعمى، فهذا دليل عمى القلب، لأنه لم يدرك أنه أعمى، ولا يعرف حقيقة نفسه، «ولا يعلم أنه هو الشقى والبائس والمسكين والأعمى والعريان» كما يقول فى سفر الرؤيا (٣: ١٧).. إن المسكين لا يعرف هذا... قد يكون أستاذاً فى المعرفة... قد يكون حاصلاً على شهادة كبيرة تشهد له بأنه عملاق من عمالقة العلم، وإنه مفكر بين كبار المفكرين، وإنه من بين البارزين فى المجتمعات... وقد يكون إنساناً ممن يطلبون رأيه فى كافة الشئون العامة أو الخاصة... ومع ذلك فهذا الإنسان صاحب المعرفة الواسعة تنقصه معرفة هامة، هى معرفته لنفسه...

متى ندرك أيها الأخوة والأبناء أهمية معرفة النفس؟ متى ندرك أن يكون الإنسان صادقاً مع نفسه، لا يخادع نفسه... لا يكذب على نفسه...؟! قد تكذب على الناس، قد تخدعهم بمظاهر أو بكلمات، فيرون فيك شيئاً غير الحقيقة... لكن الله لا يُضحك عليه... وحتى الناس الذين تضحك أنت عليهم، سريعاً ما يكتشفون ريائك... ويعرفون من تصرفاتك العملية حقيقة نفسك... ويعرفون إنك «بائس وفقير ومسكين وأعمى وعريان»...

أنت تدعى لنفسك إنه يمكنك أن تكون قائداً للعميان (رومية ٢: ١٩). أيستطيع أعمى أن يقود أعمى؟ تقولون كلكم لا، لكن هذا هو الحاصل... هذا هو الواقع، إنه غير ممكن عقلياً ومنطقياً وحسابياً. لكنه ممكن عملياً، إنه موجود بالفعل فى تصرفات الناس...

أما يسقطان كلاهما فى حفرة؟!

يوجد أشخاص عميان ومع ذلك يأخذون مكان الصدارة ليُعلّموا آخرين،... إلى هؤلاء يقول الرب «أما يسقطان كلاهما فى حفرة».

أية حفرة يارب؟... أية حفرة؟!... هل هى حفرة الفشل؟ أم هى حفرة الدمار؟ هل هى حفرة الهلاك؟ هل هى حفرة الخطيئة؟ أم هى حفرة ما بعد الموت؟ أم هى جهنم؟ فى العالم السفلى حيث الدود لا يموت والنار لا تنطفىء (متى ٣: ١٢)، (مرقس ٩: ٤٣، ٤٤)، (لوقا ٣: ١٧).

أعمى يقود أعمى، أما يسقطان كلاهما فى حفرة؟.

أيها الأعمى ليتك تدرك حقيقة أمرك... ليتك تعرف من أنت... ليتك تشعر بما أنت فيه... ليتك تدرك نفسك... وقبل أن تَدّعى لنفسك أنك تستطيع أن تُعلّم غيرك أو تحكم على غيرك، أو تدين غيرك من الناس... ليتك تعرف من أنت... وتعرف مكانك وموقعك من الفضيلة، ومن التعليم. ليس التعليم كلاماً يرسل سهلاً... إنما التعليم مثال يقدم، وقدوة ترسم أمام الناس ليتبعوها...

أيها الغبى، ادخل إلى أعماق نفسك، وادرس عيوبك وأخطاءك، وادرس تصرفاتك فى كل مساء، وقبل أن تنام، راجع حسابك... واسأل ذاتك عما صنعت فى هذا اليوم. فيم أصبت، وفيم أخطأت؟ ولماذا أخطأت؟ راجع حسابك فى نهاية اليوم حينما تلجأ إلى مخدعك. اغلق أبواب الحواس جميعاً فى هذا السكون... راجع تصرفاتك. راقب نفسك مراقبة دقيقة، حاسبها حساباً دقيقاً قبل أن تحاسب فى اليوم الأخير، الذى لا تستطيع أن تصحح فيه حسابك... ولا تهمل نفسك... ولا تتملق نفسك... ولا تهادن نفسك... ولا تدفع عن نفسك... إنما احكم على نفسك... «لأنه لو حاسبنا أنفسنا لما حكم علينا» (١. كورنثوس ١١: ٣١).. إنك أنت هو أول من يستطيع أن يحكم على نفسه... وحكمك على نفسك إذا كنت أميناً يكون أصدق من حكم الآخرين عليك، لأنك أنت تستطيع أن تدخل إلى أعماق نفسك، وتعرف من أنت، وتعرف دوافعك، وتعرف بواعث الأفعال... وكما يقول يشوع ابن سيراخ «لأن نفس الرجل قد تخبر بالحق أكثر من سبعة رقباء يرقبون من موضع عال» (يشوع بن سيراخ ٣٧: ١٨) ... امتحن نفسك... راقب نفسك... احكم على نفسك... راجع فى كل يوم تصرفاتك... فحينئذ تعرف نقط الضعف، وتعرف نقط القوة... ويمكنك بفضل هذه المراقبة وهذه المحاسبة أن تبدأ بداية حسنة وبداية صحيحة، وأن تصحح من أخطاء الماضى بعد أن تكون قد عرفت أخطاءك على الحقيقة... وحينئذ تعرف على اليقين حكم الآخرين عليك ومدح الآخرين لك... هل هو مدح صادق... أم هو مدح كاذب... هل هو مداهنة... أم هو تملق... هل كانوا بالفعل صادقين... على أنه لن يكون أحد من الناس أصدق من ضميرك للحكم على شخصيتك... فالناس لا ينفعونك وقد لا يصدقونك، لأنهم فى كثير من الأحيان يخافونك، ويخافون أن يقولوا لك رأيهم فيك

لئلا تغضب...، ولئلا تنتقم...، ولئلا تحقد عليهم...، فأنت خير من يرى نفسه... وخير من يحكم على نفسه... وخير من يكون صادقاً مع نفسه، إذا أردت.

إذا خلوت إلى نفسك خلوة روحية وأطفأت الأنوار، فحينئذ فى الصمت وفى السكون، فى الصمت الرهيب وفى السكون العميق... يمكن أن تراجع نفسك... ويمكن أن تخرج من أعماقك ما هو مدفون فيها فحينئذ تعرف من أنت... وتعرف من أين تبدأ... وكيف تسير فى طريق يؤدى بك إلى السلام وإلى الخير وإلى الفضيلة الحقة الصادقة.

ليس تلميذ أرفع من معلمه

ليس تلميذ أرفع (لوقا ٦: ٤٠)، ولا أفضل، ولا أزيد، ولا أعلى. ولا أسمى من معلمه طالما أنه تلميذ، وطالما أن ذاك مُعلّم، ولكن إذا نسى المعلّم علاقته بالعلم، ونسى المعلّم إنه هو أيضاً تلميذ لمستويات أعلى منه، أمكن للتلميذ يوماً أن يصل إلى معلّمه. ولكن طالما كان التلميذ تلميذاً وكان المعلّم معلّماً، لا يمكن فى هذه الحالة أن يكون التلميذ أفضل من معلّمه.

يقول الرب: «ولكن كل من صار كاملاً يصبح كمعلمه».

إذن الطريق مفتوح أمام التلميذ ليرتفع شيئاً فشيئاً فى طريق الكمال وفى طريق المثل الأعلى... الطريق مفتوح إلى ما لا نهاية... «كونوا إذن كاملين كما أن أباكم الذى فى السماوات كامل» (متى ٥: ٤٨). مثلكم الأعلى فى الكمال هو أبوكم السماوى... فيظل التلميذ يرقى فى درجات المعرفة والفضيلة لأن مثله الأعلى مثل لا نهائى. هذا الطراز من التلاميذ الذى ينشد الكمال يظل دائماً تلميذاً ولا يسرع الخطى ليصير معلّماً لغيره... يمكن أن يصبح يوماً كمعلّمه... هذه التلمذة الطويلة هى التى تبلغ بهذا التلميذ إلى مستوى الكمال وتبلغ به إلى أن يصير كمعلّمه أو مثل معلّمه.

فإذا كان المعلّم الأعظم هو المسيح، فمن منا يبلغ إلى هذا المعلّم؟ لذلك قال رب المجد: «كمعلّمه» أو «مثل معلّمه» لذلك لن يصبح الإنسان أو التلميذ فى درجة معلّمه، حاشا! وإنما «مثل» معلّمه أى على نظير معلّمه... وبعبارة أخرى: تصير هناك أوجه شبه بينه وبين معلّمه، ثم يزداد التشابه والتماثل بينه وبين معلّمه، ومع ذلك يظل الفرق كبيراً بين التلميذ فى أعلى درجاته، وبين المعلّم الأعظم الذى جعل مثلنا الأعظم فيه «كونوا إذن كاملين كما أن أباكم الذى فى السماوات كامل» وكأن الرب يسوع يقول لتلاميذه، أنتم تلاميذى، أنتم أيها الإثنا عشر تلاميذى، وليس للتلميذ أن يكون أرفع من معلمه. ولكن يا أولادى أريكم طريقاً صاعداً... طريقاً مفتوحاً... يبلغ بكم إلى الكمال ...أشجعكم على أن تسيروا فى الطريق... ولا تتوقفوا عن طلب الكمال... لأن الكمال مطلب صعب... إذا

بلغتم فيه مرحلة اشتقتم إلى مرحلة أبعد... فالطريق مفتوح أمامكم... فتشجعوا يا أولادى حتى تطلبوا الكمال فى كل شىء. وإذا بلغتم إلى مرحلة اطلبوا التى بعدها... إذا حصلتم على نهـاية مرحلـة اطلبـوا ما بعدها... ولابد أن تنالوا... «اطلبوا تعطوا، ابحثوا تجدوا، اقرعوا يفتح لكم» (متى ٧: ٧). ليس الباب مغلقاً أمامكم... إنه مفتوح... اطلبوا الكمال إلى أبعد مدى... واجعلوا مثلكم الأعلى فى الرب نفسه... إنه معلّمكم الأعظم... المعلم بالألف واللام... الذى سيظل إلى الأبد هو معلّمكم.

لماذا تنظر إلى القذى الذى فى عين أخيك؟:

أيها الأعمى الذى لم تعرف نفسك، أريك كيف صنع العمى بعينيك الداخليتين... أريك كيف بلغ بك العمى... أتعرف لماذا تنظر إلى القذى الذى فى عين أخيك وأما الخشبة التى فى عينك أنت فلا تفطن لها؟ (لوقا ٦: ٤١) انظر أيضاً (متى ٧: ٣). لماذا لا تنظر إلى الخشبة التى فى عينك، بينما تنظر إلى القذى... إلى القشة الصغيرة الرفيعة التى لا تكاد أن ترى... لكن العين تحس بها لأنها تتأذى بها... وأما الخشبة الطويلة الكبيرة التى فى عينك أنت فلا تفطن لها؟! كيف انقلبت المعايير أيها الإنسان فى نظرك؟ فصار ليس لك مقياس ولا محك تميز به بين الخير والشر، بين الحق والباطل...؟ هذا هو عمى البصيرة... تفتش بالميكروسكوب عن أخطاء الآخرين، أما أخطاؤك أنت فأنت لا تراها... أنت تبررها... وتشرحها... وتدافع عنها... مُظهراً نفسك أنك بطل وقديس وعظيم!.

أراك تصور الأخطاء التى أنت صنعتها على أنها أمور تستحق أن تمدح عليها... أراك تتملق ذاتك... وتحكم برفق على نفسك... بينما تحكم بقسوة على الآخرين... آه لو عرف الإنسان أن يكون منصفاً، منصفاً فقط، لو عرف أن يضع نفسه فى موضع الآخرين، وعرف أن يكون عطوفاً على الآخرين...؟ أحياناً يرى الإنسان غيره يخطأ، فيقول: كيف هذا؟ كيف يخطأ هذا الرجل؟ إنه رجل كبير، كيف يحدث منه هذا العمل؟... إنه رجل معروف ومشهور، كيف يصنع هذا الفعل؟... هنا يبدأ وبإعجاب بنفسه، يقول: لو كنت مكانه لما وقعت فى هذا الخطأ... فأنا أفضل منه... وهنا ينتقل من الإعجاب بنفسه إلى إحتقار لغيره... لقد سقط فى هذا الضعف بطرس الرسول بحماسة بالغة. كان يقول لمخلصه ومعلمه «إن شك فيك الجميع فلن أشك أنا أبداً» ولما قال الرب له: «إنك فى هذه الليلة قبل أن يصيح الديك ستنكرنى ثلاث مرات»، قال له بطرس «إننى ولو اضطررت أن أموت معك لن أنكرك» (متى ٢٦: ٣١ - ٣٥)... وكانت بعد ذلك النتيجة المرعبة، إن هذا الذى زعم لنفسه إنه لن يشك أبداً... وإنه الوحيد دون جميع التلاميذ الذى سيبقى مخلصاً وفياً لمعلمه... كانت النتيجة الأليمة أنه كان هو الذى أنكر سيده ولعن سيده، وحلف أنه

لا يعرفه، وأصر على الإنكار ثلاث مرات كبيرة (متى ٢٦: ٦٩ - ٧٥). ينطوى تحتها مرات أخرى صغيرة... ظل بطرس فترة طويلة فى مرحلة الإنكار... هـذا الذى قال عن نفسه «إن شك فيك الجميع فلن أشك أنا أبداً» ولذلك فإنه بعد قيامة المسيح له المجد، قال الرب له «يا سمعان بـن يونا، أتحبنى أكثر مما يحبنى هؤلاء؟» فخجل بطرس، وقـال لـه «نعـم يارب، أنت تعلـم أنى أحبك» لكنه لم يستطع أن يقول أنى أحبك أكثر مما يحبك هؤلاء، لأن الـواقع المـرير أثبت له فى أيـة حفـرة قـد تـردى. قـال لـه الرب ثانيـة «يـا سـمعان بـن يونـا، أتحبنى؟»... أنت قلت «إن شك فيك الجميع فلن أشك أنا أبداً»... وكأنه يقول له: يا سمعان بن يونا، أتحبنى أكثر مما يحبنى هؤلاء؟ فقال له «نعم يارب، أنت تعلم أنى أحبك». قال له ثالثة: يا سمعان بن يونا، أتحبنى... سأله الرب مرة ثالثة بنفس النغم المؤلم وهو يُذَكّره بوعده الذى لم يف به... وكيف ميز نفسه عن غيره... وكيف ادّعى لنفسه أنه فى مرحلة أعلى من غيره... وأنه «إن شك فيك الجميع فلن أشك أنا أبداً»... قال له ثالثة: يا سمعان ابن يونا، أتحبنى أكثر مما يحبنى هؤلاء؟ فكانت المرات الثلاث التى ردد فيها المسيح له المجد هذا السؤال بعينه، وبنفس النغم، على مار بطرس كأنه يُذَكّره بالمرات الثلاث التى أنكر فيها بطرس معلّمه، والتى فيها تردى فى حفرة كأعمى... حفرة الشك... وحفرة الخطيئة... حفرة العار... أن ينكر معلّمه... ويحلف إنه لا يعرفه... ويلعن معلّمه... يقول الإنجيل: «فحزن بطرس لأنه قال له ثالثة: أتحبنى... فقال له يارب: أنت تعلم كل شيء، أنت تعلم أنى أحبك» (يوحنا ٢١: ١٥ - ١٧).

ولماذا تنظر إلى القذى فى عين أخيك وأما الخشبة التى فى عينك أنت فلا تفطن لها (لوقا ٦: ٤١، ٤٢)

لماذا تنظر إلى القذى الذى فى عين أخيك وأما الخشبة التى فى عينك فلا تفطن لها.

وكيف تقدر أن تقول لأخيك دعنى يا أخى أُخرج القذى فى عينيك فى حين أنك أنت نفسك لا ترى الخشبة التى فى عينك أنت. يا مرائى أخرج أولاً الخشبة من عينك أنت، وعندئذ تبصر جيداً لتخرج القذى الذى فى عين أخيك» (متى ٧: ٣ - ٥).

قبل أن تنظر إلى القذى فى عين أخيك أخرج أولاً الخشبة من عينك حتى تصبح عينك صافية، وبالتالى قادرة على أن تنظر نظرة صحيحة إلى الأمور، وبها يمكن أن تميز، وأن ترى القذى الذى فى عين أخيك، وتتبين أنها قذى بالنسبة إلى الخشبة التى فى عينك وتضع الأمور فى موضعها الصحيح بلا مبالغة. أما فى أول الأمر فتقول فى نفسك: ليس هذا قذى الذى فى عين أخى ولكنه خشبة كبيرة... أخرج أولاً الخشبة من عينك، وحينئذ تصير عينك قادرة أن ترى جيداً وبأمانة وصدق أن الذى فى عين أخيك ليس خشبة إنما هو قذى. وأما

الخشبة فهى فى عينك أنت... كانت الخشبة فى عينك أولاً ولما أخرجتها صرت قادراً على أن تُقدر ظروف الآخرين. إذا رأى الإنسان منا أخاه يخطىء، فبدلا من أن يزدريه ويقول كيف يخطىء فلان... لماذا لا يقول الواحد منا لنفسه: أنا لا أعرف ظروف أخى، ولا أعرف الأحوال التى أحاطت به، فلربما تكون له وجهة نظر أنا لا أعرفها أو لعل ظروفاً قاسية أحاطت به جعلته يضعف، فأنا لا أقسو عليه فى ضعفه، وإنما أنظر إليه كمريض، أو كإنسان سقط فى ضعف أنا قد أسقط فيه شخصياً؟! من يدرى ربما أن خطأ أخى يرجع إلى أحد من حوله،... ربما سرق أخى من أجل سبب أنا لا أعرفه،... ربما وقع أخى فى خطأ لسبب أنا لا أعلمه. وإذا عرفت أنا السبب لانتحلت له العذر... لو عامل الواحد منا الآخرين بهذه الرحمة وبهذه الشفقة... لو أنه نظر إلى الخطاة الآخرين هذه النظرة، نظرة المعلم الكبير نظرة الطبيب الحانى الذى قال عن الخطاة: «لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى» (متى ٩: ١٢)، (مرقس ٢: ١٧)، (لوقا ٥: ٣١). «لأنى ما جئت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة» (متى ٩: ١٣)، (مرقس ٢: ١٧). ، فإن هذه النظرة الحانية نظرة الإشفاق التى لمعلّمنا ولسيدنا، الذى لم يأت ليدين الناس بل ليخلص الناس (يوحنا ٣: ١٧). هى النظرة التى يجب أن تكون لى أنا الذى أزعم لنفسى أننى تلميذ لمعلّمى، وأننى أتبع هذا المعلّم، وأحمل اسمه علىَّ، وأُسمى مسيحياً أحمل مبادىء سيدى، وأحمل نظرة سيدى. هذه هى النظرة الرحيمة التى يجب أن أتطلع بها إلى الآخرين، لا لكى أستبيح بها الشر أو أستمرئه، حاشا، وإنما لأنصف بها الآخرين... فمن أقامك يا هذا على الناس قاضياً؟ قارن (لوقا ١٢: ١٤). «من أنت حتى تدين عبد غيرك؟ إنه لمولاه يثبت أو يسقط»(رومية ١٤: ٤). ... من أنت حتى تدين عبد غيرك؟ لو كنت قاضياً لجاز لك كقاضى أن تدين المجرمين... لو كنت مُعلّماً لجاز لك كمعلّم أن تدين تلاميذك... لو كنت أباً لوجب عليك كأب أن تدين أولادك... لو كنت رئيساً لكان من اللائق بك كرئيس أن تدين المرؤسين إذا أخطأوا... ولكن لا تكن قاسياً، ولا تكن فى أحكامك شديداً وظالماً... أنت لا ترضى أن يظلمك أحد، فلماذا ترضى أن تظلم غيرك؟!.

أخرج أولاً الخشبة من عينك

يا مرائى، أخرج أولا الخشبة من عينك أنت، وعندئذ تبصر جيداً لتخرج القذى من عين أخيك (لوقا ٦: ٤٢) انظر أيضاً (متى ٧: ٥).

أخرج أولاً الخشبة من عينك وحينئذ تبصر جيداً أن ترى أن الذى فى عين أخيك هو قذى. وعند ذاك يمكنك أن تخرج هذا القذى من عين أخيك... وليس من الفطنة أن تخرج القذى من عين أخيك لكى تتشفى فى أخيك، أو أن تظهر عيوب أخيك وأن تعلن أخطاءه،

وتفضح أعماله... لا ... إن كنت خادماً لسيدك... إن كنت تلميذاً لمعلّمك فانظر إلى أخيك نظرة الطبيب الذى يطلب شفاء المريض ... الذى لا يتشفى ولا يفضح، وإنما يطلب شفاء المريض بهذه النظرة الحانية العطوفة الودودة الخَيّرة... انظر إلى غيرك من أجل أن تكسب هذا الغير ... من أجل أن تضمه إلى حظيرة الخلاص لأنك أنت كتلميذ لمعلّمك تعمل مع سيدك ومعلّمك... فى نشر الخير وفى إشاعة الفضيلة بين الناس... وفى نشر ملكوت الله... فأنت تريد أن تكسب هذا الأخ الذى فى عينه القذى لتعينه على أن يخرج القذى من عينه... فأنت وهو تكونان معاً لملكوت الله... وبهذا الأسلوب تكون قد كسبت عضواً جديداً ضم إلى ملكوت سيدك، وتكون خير إنسان يعمل فى ملكوت معلّمه...! ولماذا تدعوننى يارب، يارب، ولا تعملون بما أقول (لوقا ٦: ٤٦) قارن (متى ٧: ٢١).

اسمعوا يا أولادى، هكذا يقول الرب، «لماذا تدعوننى يارب يارب، وأنتم لا تفعلون ما أقوله لكم؟». «أحقاً أنتم أولادى؟ فلماذا لا تطيعوننى؟ وكيف تَدّعون إنكم أولادى «الابن يكرم أباه والعبد يكرم سيده» فإن كنت أنا أباً فأين كرامتى، وإن كنت سيداً فأين مهابتى (ملاخى ١: ٦). لماذا تقولون لى يارب يارب؟ أتخدعوننى؟! لا، أنا لا يضحك علىَّ. إن عينى تخترقان أستار الظلام «أنا هو فاحص الكلى والقلوب» (الرؤيا ٢: ٢٣) ، (مزمور ٧: ٩)، (إرميا ١١: ٢٠) ، (١٧: ١٠). لأعرف محتوياتها... فلا تخدعنى يا ولدى ولا تظن إنك مخبوء عنى... أنا أعرفك قبل أن تولد... قبل أن أصورك فى بطن أمك عرفتك (إرميا ١: ٥) ... أنا أعلم جلوسك وقيامك، أفطن لأفكارك من بعيد... وأعرف جميع طرقك... ليس كلمة فى لسانك إلا وأنا أعرفها... من وراء ومن قدام أحطت بك، وجعلت يَدَّى عليك... أين تذهب من روحى... وإلى أين تفر من وجهى... عظامك لا تخفى عنى (مزمور ١٣٨: ١ - ٦). «فلماذا تدعوننى يارب يارب، وأنتم لا تفعلون ما أقول». لا تظنوا أنكم بالكلام تدخلون ملكوت الله «ليس كل من يقول لى يارب يارب يدخل ملكوت السماوات، بل ذلك الذى يعمل إرادة أبى الذى فى السماوات» (متى ٧: ٢١). إن المحك الحقيقى على أنكم لى هو أن تعملوا إرادتى. أما إنكم تطيعون بالكلام فقط، فهذا كلام منبوذ لا أقبله، «كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يارب يارب ألم نكن تنتبأ باسمك، وباسمك صنعنا معجزات كثيرة، فعند ذاك أعلن لهم: إنى ما عرفتكم قط. اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم» (متى ٧: ٢٢، ٢٣).

ألهذه الدرجة يكون تنكر المسيح الرب حتى للذين ينادون باسمه؟! يقول الرب: من أنتم؟ إنى لا أعرفكم. كيف هذا يارب؟ وعظنا باسمك، وعَلّمنا الآخرين باسمك، وأخرجنا شياطين باسمك، وصنعنا قوات ومعجزات كثيرة باسمك، كيف بعد هذا تقول لنا: اذهبوا عنى لا أعرفكم؟! يجيب الرب قائلاً: إذا قلت إنى لا أعرفكم، فمعناها إننى أنكر معرفتى

بكم، ولا أعترف بأن لى علاقة بكم، وإن لكم علاقة بى. إن علاقتكم بى تسىء إلىَّ، وتسىء إلى اسمى، وتسىء إلى صفات الخير التى أنا متصف بها. من أنتم؟ لا أعرفكم...

من أنتم؟ لا أعرفكم!

يا لقسوة هذا التقرير ومرارته! حتى الذين تعبوا، والذين حفيت أقدامهم فى سبيل الخير، سيسمعون من الرب هذا الحكم الأليم: إنى لا أعرفكم...

أيها العاملون فى بيت الله، اذكروا الذين بنوا فلك نوح، وكانت أصوات مطارقهم على الخشب عالية... أنهم صنعوا فلك نوح، ولكنهم لم يدخلوه (التكوين ٦: ١٨) ... غرقوا فى المياه... وضاعوا وهلكوا... وذهبوا .... وذهبت معهم أتعابهم... وذهبت أعمالهم... وضاعوا وتحولوا إلى عفونة... أكل منها الغراب الذى أرسله نوح من فلكه (التكوين ٨: ٧).

احترسوا يا أولادى من أن تكونوا كأولئك الذين بنوا فلك نوح ولم يخلصوا... ليس الخلاص أن تصيحوا باسم المسيح... ولا أن تقولوا إننا مسيحيون... إن الخلاص هو أولا أن تثبتوا عملياً إنكم للمسيح... «ليس كل من يقول لى يارب يارب يدخل ملكوت السماوات، بل ذلك الذى يعمل إرادة أبى الذى فى السماوات» هو الذى يدخل ملكوت السماوات.

كل من يأتى إلىَّ ويسمع كلامى ويعمل به أريكم من يشبه

إنه يشبه رجلاً بنى بيتاً فحفر وعمق الحفر ووضع الأساس على الصخر حتى إذا انهمر السيل، لطم النهر ذلك البيت بعنف فلم يستطع أن يزعزعه، لأنه كان مؤسساً على الصخر. وأما الذى يسمع كلامى ولا يعمل به فيشبه رجلاً بنى بيتاً على الرمل بغير أساس، فلطمه النهر بعنف فسقط على الفور، وكان خراب ذلك البيت عظيماً.

يا للكارثة العظيمة. لقد أقام هذا الرجل بيتاً عالياً، ورأى الناس البيت عالياً ولم يعلموا إنه على غير أساس، وإنه قائم على الرمل، ولفت نظرهم علوه وارتفاعه، ولربما أذهلهم جماله من الخارج، ولكنهم بقدر ما بهتوا لعلوه وارتفاعه بقدر ما صعقوا لسقوطه، عندما هبت عليه الرياح وسقطت عليه الأمطار وصدمته، فسقط وكان سقوطه عظيماً. نعم بقدر علوه وارتفاعه كان دَوِّى سقوطه شديداً ورهيباً. ولماذا سقط؟ لأنه كان قائماً على الرمل، ولا أساس له.

يا أولادى، هذا هو حال الذين يسمعون كلامى ولا يعملون به «فليس الذين يسمعون الشريعة هم الأبرار عند الله، بل العاملون بالشريعة هم الذين ينالون البر» (رو ٢: ١٣).

أتظنــون أن الإيمــان يكفى للخلاص؟ حاشا! يقول مــار يعقــوب الرســول «ما المنفعة يا إخوتى إذا قال أحد أن له إيماناً من غير أعمال؟ أبوسع الإيمان أن يُخلّصه؟... الإيمان إن كان بغير أعمال فهو ميت فى ذاته. وقد يقول قائل أنت لك الإيمان وأنا لى الأعمال، فأرنى إيمانك من غير أعمال، أما أنا فأريك بأعمالى إيمانى(يعقوب ٢: ١٤ - ٢٦). فالأعمال الصالحة هى البرهان الحق على صدق الإيمان. هى المحك الحقيقى لامتحان حقيقة الإيمان.

الأعمال الصالحة فى المسيح هى التى تبرر الإنسان وليس مجرد الإيمان. الأعمال الصالحة هى برهان طاعتنا لسيدنا ومحبتنا له. ومن دون الأعمال الصالحة نسىء لمسيحنا، ونسىء إلى ديانتنا، ويجدف على الله بسببنا... «وبهذا يعرف الجميع إنكم تلاميذى إذا كنتم تحبون بعضكم بعضاً» (يوحنا ١٣: ٣٥). «يا أولادى، لا تكن محبتنا بالكلام أو باللسان بل بالعمل والحق وبذلك نعرف إننا من الحق»(١. يوحنا ٣: ١٨، ١٩). وبهذا تزينون تعاليم مخلصكم (تيطس ٢: ١٠)، وتبرهنون على أن هذه التعاليم سليمة وصادقة وكاملة.

يا أولادى، ضعوا أنفسكم أمام هذا الامتحان، راقبوا ذواتكم، امتحنوا أنفسكم: هل أنتم على الإيمان، اختبروا أنفسكم؟ (٢. كورنثوس ١٣: ٥). وبرهان صدق إيمانكم هو سيرتكم وسلوككم، وأعمالكم لا كلماتكم.

صلوا إذن أيها الأخوة والأبناء، واطلبوا من الله القوة والنعمة لكى تتغير سيرتنا وحياتنا وتتصحح أفكارنا.

ولننتهز فرصة الصوم الكبير المقدس لمراجعة الحساب، وفحص الضمير، ومراقبة الذات، وامتحان النفس. ولنسلك أمام إلهنا بتقوى وبفضيلة.

فإذا وقفتم فى القداس فاطلبوا رحمة الله عليكم، واطلبوا رحمة الله على البشرية كلها، واطلبوا خلاص الله فى الشعوب، ولنجدد عهودنا معه، ولنتقدم إلى المائدة الربانية، والوليمة السمائية التى أعدها الله لخلاصنا باستحقاق.

وليحفظ الرب حياتكم جميعاً، وليباركم جميعاً بكل بركة روحية. وإنى أشكر الله لأننى رأيت هذه الكنيسة المقدسة قائمة بعد أن افتتحها قداسة البابا ووضع حجر الأساس فيها وأراكم وأرى هذا الشعب المبارك للمرة الثانية. فليبارك الله شعبه وخدام كنيسته إلى الأبد.

له الكرامة وله السجود إلى الأبد. آمين.

٥- الإنسان والهدف الأعلى من الحياة

نحن كائناتُ عاقِلة حُرةُ مُريدة خالدة ومسئولة، خلقنا الله على صورته ومثاله، وقد خلقنا لا لأنه فى حاجة إلينا، وخلقنا لا لخير يعود عليه هو جَلَّ جلاله، وإنما لخير يعود علينا نحن خليقته. ذلك لأن الوجود خيرٌ من العدم، فوجودنا فى الحياةِ خير لنا من عدم وجودنا. وخيرنا هو فى الوجود مع الله وجوداً دائماً، لنستمتع وننعم بالخير الذى لا يُستقصى فى الله وفى وجوده. إن رجلاً غنياً ليس له أولاد يحزن لأنه لا يجد أولاداً يتمتعون معه بغناه. فإذا كان هذا الشعور يوجد فى الإنسان وهو شعور خيِّر، فبالأحرى أن يكون فى الله، إذ أن الله هو الخير الأعظم. والخير المحضُ، وعِلة الخير فى كل إنسان، وفى كل الوجود.

فإذا كان الله قد خلقنا لكى نُوجد، ولكى ننعم بالخير فى الله وبالخير فى الوجود، وإذا كنا قد خُلِقنا خالدين، وسنحيا مع اللهِ إلى الأبد، ولن نفنى، وما الموت إلا نهاية المرحلة الأولى من مراحل الحياة التى لن تنتهى، أى أنَّ بعد الموتِ فى الدنيا هناك حياةً أبدية لا نهاية لها، ينعم فيها الأبرار بسعادةٍ تامة بالوجود مع الله فى ملكوته الأبدى، فنحن إذن كائنات متميزة وممتازة راقية، على صورة الله وعلى شبهه ومثاله، أى أننا نشبه الله، نُشبهه وإن كنا لا نساويه.

نحن إذن قد خلقنا الله لنكون آلهة صغاراً تحت رعاية الإله الأعظم، سيدنا وسيد الوجود، وخالقنا وخالق كل الوجود.

فإذا كان هذا هو مركزنا فى الوجود، وهذه هى مكانتنا الممتازة والمتميزة فى الكون، بل وهذه هى أيضاً نسبتنا إلى الله وإلى الوجود، وإلى سائر الكائنات الأخرى من نباتات وحيوانات عجماوات التى أعطانا الله أن نسود عليها وأن نحكمها وأن نُخضعها لأهدافنا السامية، فنحن إذن لنا هدف كبير، نسعى إلى التحقق به، وللبلوغ إليه، وهذا الهدف هو أن نُحقق غاية اللهِ من وجودنا بأن نعمل فى الحياة الدنيا عمل الله فيها وفينا، لنكون بالحقيقة صورة اللهِ بالنسبة لكل الخليقة.

هدفنا الأعلى فى الحياةِ أن نكون مشابهين لله فى القداسة والبرِّ والكمال الأدبى.

ولذلك، للبلوغ إلى هذا الهدف، يجب أن نسعى لنمتلك كلَّ الفضائل السَّامية التى تُقربنا إلى الله، وتجعل منا تحقيقاً عملياً لصورة الله فى الخليقة، فنتجمل بالطهارة والنقاء، وبالحب العام لجميع النَّاس، وبالصبرِ وطولِ الروح، والرأفة بكل الخليقة، وبالعدلِ والسلوكِ بالحقِّ فى كل شىء. قال السيد المسيح له المجد (فكونوا إذن كاملين كما أنَّ أباكم الذى فى السماواتِ كامِلُ) (متى ٥: ٤٨).

ولما كان الله هو الخير الأعظم، فنحن الذين خلقنا الله على صورته ومثاله ينبغى أن يكون هدفنا أن نعمل الخير دائما، وأن ننشر الخير ما أمكننا فى كل الوجود، وأن نصنع الخير لكل أحد، وحتى الذين يُضايقوننا ويشاكسوننا لا نرد شرَّهم بشر، بل نسعى لنرد شرهم بخير. لأن الله الذى خلقنا على صورته ومثالهِ (يَجعل شمسه تُشرقُ على الأشرار والصَّالحين، ويُنزلُ المطرَ على الأبرار والظالمين) (متى ٥: ١٥).

العلم هو طريقك لتحقيق هدفك:

ولكى نكون نحن كاملين، أخياراً، ولكى نعمل الخير بالناس، وننشر الخير على الأرض، يجب أن نُزوِّد عقولنا بالعِلم والمعرفة التى هى نور للعقل، وكشاف للطريق. وهنا أهمية العِلم وضرورة الإقبال على الدرس خصوصاً فى مرحلتى الطفولة والشباب، وإن كان الإنسان الراقى لا يتوقف عن التَعلم والدرس كل أيام حياته، لأن العِلم والمعرفة يصقلان العقلَ ويُزيدان قدرته الطبيعية على الفهم والإدراك، وبالتالى يرشدان الإنسان إلى الخط الفاصل بين الحق والباطل، بين الخير والشر.

وإذا تناولنا موضوع العلم والمعرفة والدرس والتعلم، فنحن نقصد كل أنواع المعرفة، الروحية أولاً والمادية ثانياً.

والمعرفة الروحية نجدها فى الكتب المقدسة وفى كتب الآباء القديسين الذين بلغوا فى العِلم الرُّوحانى مكانة جعلتهم شديدى الشبه بالله فى سيرتهم الشَّخصية والعملية.

وأما المعرفة المادية فنجدها فى الكتب التى وضعها العلماء والمُعلّمون والمختصُون فى كل عِلمٍ من العلوم الطبيعية، وفى كل فنٍ من فنون المعرفة الإنسانية، كما نجدها عند المعلِّمين الذين ندرس عليهم فى المدارس والجامعات، والذين نلتقى بهم فى معترك الحياة.

عليك إذن أن تتبين أنك كائن راقٍ ممتاز ومتميز عن كل الكائنات الحية الأخرى التى تراها فى هذا الوجود، من نباتات ومن حيوانات عجماوات على مختلف درجاتها. أنت أرفع وأسمى منها جميعاً. أنت سَيدها، وقد أقام الله الإنسان ليكون خليقته فى الأرض، يحكم بأمره فى كل ما هو دونه من كائنات. (فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، ذكراً وأنثى خلقهم. وباركهم الله وقال لهم: انموا واكثروا واملأوا الأرض، وأخضعوها، وتَسلَطوا على سمكِ البحر، وعلى طير السماء، وعلى كل حيوان يَدبُّ على الأرض) (التكوين ١: ٢٧، ٢٨).

وعليك أن تعرف أنك على صورة الله مخلوق، وأنَّ أعلى هدف ينبغى أن يسعى إليه كل إنسان يفهم قدر إنسانيته، أن يُحقق صورة اللهِ فيه، وأن يُجاهد ليُكمل نفسه بكل

الفضائل التى تجعل منه صورة حقيقية لله، وأن يعملَ الخير بين الناس وينشره فى الوجود، لأنه صورة الله فى العالم.

وعليك أخيراً وليس آخراً أن تملأ ذهنك بالمعرفة الصافية الصحيحة، وأن تُقبل على الدرس والتحصيل وطلب العِلم، برغبة صادقة، وشهية مفتوحة، كأرض عطشانة إلى الماء، لأنَّ العلِم هو طريقك إلى تزويد نفسك بكل ما يلزمك لتحقيق هدفك الأعلى، بشرط أن يتحول عندك العلِم إلى عمل، وإلى ممارسة، والعلِم هنا هو العلِم بنوعيه: العلِم الروحى الذى تبنى به شخصيتك فى الحياتين الحاضرة والآتية، والعلِم المادى الذى يمكنك أن تنتفع به فى الحياة الدنيا، وأن تُفيد به غيرك من بنى الناس فيها.

العمل كقيمة أساسية من القِيمَ المسيحية:

العمل شرف الإنسان وكرامته. لقد خلق الله الإنسان للعمل. فالإنسان الذى يعمل يحقق بالعمل شرفه، وكرامته، ويتحقق بالغاية من وجوده.

وإذا كان الإنسان قد خُلق على صورة الله ومثاله (التكوين ١: ٢٦، ٢٧) والله ذاته يعمل ولا يتوقف عن العمل (يوحنا ٥: ١٧)، فهو الذى خلق كل الوجود (أعمال ١٧: ٢٤)، ولا يزال يخلُق، وسوف يظل خالقاً، بفعل القوانين الطبيعية التى رسمها للطبيعة، وهو الذى منحها ثباتها وإستمراريتها وفعاليتها الدائمة ـ فالإنسان إذن لابد أن يعمل ليحقِّق ذاته لأنه خُلق ليعمل، على صورة خالقه.

قال الكتاب المقدس إنه على الرغم من أنَّ آدم خلُق فى آخر اليوم السادس أو الحقبة السادسة، من الخليقة، وكان الله قد خلق له من قبل، الأرض والشمس والقمر والنجوم، كما خلق له النباتات من أعشاب وبقول وأشجار، وخلق له الجنة (التكوين ٢: ٨) وأنبت فيها كل شجرة... مع ذلك (أخذ الرب الإله آدم وجعله فى جنة عدن ليفلحها ويحرسها) (التكوين ٢: ٥). فكان آدم هو الفلاح الأول، وكان عمله منذ إبتداء وجوده الفلاحة والحراسة. وأخذ عنه ولداه قايين وهابيل، شرف العمل (فكان هابيل راعى غنم، وقايين كان يحرث الأرض) (التكوين ٤: ٢)، وكذلك كل بنى آدم.

وإذن فمن حق الإنسان أن يعمل، لأنَّ العمل من طبيعته، والعمل مهمته التى خُلق من أجلها. وبالعمل يَسعَد لأنه يُحقق به الغاية من وجوده. ومن واجبه أن يعمل، لأنَّ العمل تكليف له من خالقه، ليصنع به التقدم والنمو والإزدهار لنفسه، وللأغيار، ولكل الخليقة، وإلا أجدبت الخليقة وأصابها الجفاف والموت. فالعمل سِر الحياة. والحياة تقوم بالعمل، وتقتضى العمل، وحيث لا عمل فلا حياة.

ولقد شاءَ الله أن يربط الإنتاج بالعمل. (فما يزرعه الإنسان فإياه يحصد) (غلاطية ٦: ٧) وعلى ذلك فإذا لم يزرع فلا يحصد، وإذا لم يعمل فلا إنتاج، وبالتالى فإنه لا يستفيد ولا يفيد. إنَّ من لا يعمل يُمسى عالة على الحياة، وبدلا من أن يكون عنصر خير وبركة لغيره وللخليقة يصير مُبطلا ومُبطِلا، ومُعطَلا ومُعطِلا.

جاء فى الكتاب المقدس (**لا تَغْتلَّ عن الإشتغال بالأعمال**، فإن الذى يشتغل بكل عمل، خير مِمن يتمشى أو ينتفخ وهو فى فاقة إلى الخبز) (يشوع بن سيراخ ١٠: ٢٩، ٣٠)، (من عمل بِكَفٍ وانية إفتقر، وأيدى المُجدين تستغنى) (سفر الأمثال ١٠:٤). (اذهب إلى النملة أيها الكسلان، تأمل طرقها وكن حكيماً. إنها ليس لها قائد ولا مدبر ولا حاكم. وتُعدُّ فى الصيف طعامها، وتجمع فى الحصاد أكلها. إلى متى تنام أيُها الكسلان. متى تنهضُ من نومك. قليل من الوسِنَ، قليل من النوم. طىُّ اليدين قليلا للرُّقاد. فيأتى فقرك كساعٍ وعَوَزُكَ كغاز. لكن **إذا كنتَ مُجداً يفيض حَصَادك فيضَ الينبوع، والفاقةُ تنصرِف عندك**) (الأمثال ٦: ٦ - ١١). (أيدى المُجدين تسود، واليدُ الوانية تخدُم تحت الجزية) (الأمثال ١٢: ٢٤). (نفس الكسلان تشتهى ولا تُحَصِلُ. ونفس المُجد تسمَنُ) (الأمثال ١٣: ٤)، (مَن يَفلحُ أرضه يشبع خبزاً. ومن يتبع الفُراغ فهو فاقد اللُّب) (الأمثال ١٢: ١١). (المشتغل بأرضه يشبع خبزاً، وتابع البطالين يشبع فقراً) (الأمثال ٢٨: ١٩).

وجاء فى الكتاب المقدس على لسان القديس بولس الرسول (**ونتعب فى العمل بأيدينا**) (١. كورنثوس ٤: ١٢). ويقول للمؤمنين فى تسالونيكى (وإنما نسألكم، أُيها الإخوة... أن تحرصوا على أن تكونوا هادئين، وتنشغلوا بما يعنيكم، **وتعملوا بأيديكم** كما أوصيناكم... **ولا تكون بكم حاجة إلى أحد**) (١. تسالونيكى ٤: ١٠، ١١، ١٢)، (فإنكم تعرفون كيف يجب أن تقتدوا بنا، لأننا لم نخالف الترتيب فيما بينكم، **ولا أكلنا الخبز من أحد مجّاناً، بل عملنا ليلاً ونهاراً بجدٍ وكَد حتى لا نُثقل على أحد منكم**: لا لأنه لا حق لنا فى ذلك، بل لأننا أردنا أن نجعل من أنفسنا قُدوة تقتدون بها. ولما كنا عندكم أعطيناكم هذه الوصية، وهى أنه **إذا كان أحد لا يريد أن يعمل، لا يحق له أن يأكل** وقد بلغنا أنَّ بينكم قوماً يسيرون بطالين ولا شغلَ لهم سوى التشاغل بما لا نفع فيه. فهؤلاء نوصيهم ونناشدُهم فى الربِّ يسوع المسيح أن يعملوا بهدوء، **ويأكلوا من خبزهم**) (٢. تسالونيكى ٣: ٧ - ١٢). أنظر أيضاً (١. تسالونيكى ٢: ٩).

٦- الزهد والحياة النسكية
جزء لا يتجزأ من الحياة الرعائية(١)

كلمة النسك في اللغة العربية تعني التعبد، والتزهد، والتقشف، ومنها النُساك وهم العباد والزهاد.

وأما في اللغات الأخرى فمشتقة من الكلمة اليونانية ἄσκησις وتعني في الأصل اللغوي: تدريب، تمرين، تهذيب، أو منهج للحياة، أو مهنة. ومنها صفة الفاعل ἀσκητής وهو من يمارس فنا أو مهنة أو حرفة ولا سيما الألعاب الرياضية، أو البطولة الرياضية التي يتوصل إليها بالتدريب، وأما النسك أو الحياة النسكية في الاصطلاح الكنسي أو الديني، فهي هذا النوع من السلوك الذي يمارس صاحبه الزهد والتقشف والحرمان وشظف الحياة، من أجل الله وابتغاء لوجهه الكريم، وتوسلاً لعبادة خالصة وانصرافاً للروحانية في مقاماتها العالية.

والنسك في هذا المعنى المحدود يتميز به الزهاد القانعون بأبسط مظاهر الحياة المادية، وهم عادة الرهبان ومن إليهم، ممن اتخذوا هذا السلوك طريقاً ومنهجاً عرفوا به، وعرف عنهم، فصار وكأنه لهم وحدهم. والحق أنهم أهل هذا الطريق، ولكن هناك من غير الرهبان إناساً يصلون فيه إلى درجة أو بضع درجات. أما الرهبان فقد ضربوا فيه بأكثر نصيب، ولا سيما المتقدمين منهم في الروحانية من المتوحدين، ممن قطعوا في طريق النسك مراحل بعيدة، فصاروا إلى الروح أقرب منهم إلى الجسد.

ولعل أولى درجات النسك وأبسطها وأقربها إلى مستوى الحياة العادية التي يحياها أفاضل الناس في العالم، هي الامتناع الإرادي عن المحرمات والممنوعات، لا بقهر أو تكلف بل بمحض الرضى والاقتناع القلبي والشعوري.

ومن هذه المرحلة الأولية ينتقل الإنسان متدرجاً خطوة خطوة إلى الزهد في الأمور المباحة، بروح القناعة طوراً، وبروح الترفع عن أباطيل الحياة الدنيا طوراً آخر، وبروح الطموح إلى حياة أفضل وأرقى وأسمى طوراً ثالثاً. فمن دون أن يطلب منه ذلك يشعر وكأن نداء يناديه من أعماق روحه الطامحة إلى السمو الروحاني، إلى أن يقنع بأقل قدر ممكن من الطعام والشراب، بل ومن النوم أيضا، ويتدرج إلى الزهد في اللباس والمسكن وكل مظاهر الحياة الخارجية، ولا يكاد يحظى إلا قليلا برأي الناس فيه أو نظرتهم إليه.

---

(١) نص المحاضرة التي ألقيت في مؤتمر رابطة الدراسات اللاهوتية بالشرق الأوسط ـ يوم الأربعاء ١٤ فبراير ١٩٦٨م ـ الموافق ٦ أمشير ١٩٨٤ش.

ولماذا هذا؟ ولماذا الزهد فى أمور مباحة وليست ممنوعة أو غير مشروعة؟

إن الزهد فى الأمور المباحة ينبع من:

أولا ـ من شعور عميق بأن هذه الأمور وإن كانت مباحة لكنها زائلة فانية غير باقية، وهو امتداد لفكرة الزهد فى العالم كله باعتباره فانيا، أو على حد تعبير الوحى «وهيئة هذا العالم تزول» (١. كورنثوس ٧: ٣١) انظر أيضاً (يعقوب ١: ١٠)، (٤: ١٤). وقوله «والعالم وشهوته يزولان» (١. يوحنا ٢: ١٧)، (بطرس الأولى ١: ٢٤)، (٤: ٧). «لأننا لم ندخل العالم بشيء وواضح أننا لانقدر أن نخرج منه بشيء» (١. تيموثيئوس ٦: ٧).

ثانيا ـ من إدراك باطنى بأن هذه الأمور وإن كانت مباحة ومشروعة، لكنها تزيد من تعلق الإنسان بالدنيا وتشبثه بها، وهذا يصرفه عن السعى للحياة الأخرى وإهتماماتها.

ثالثا ـ من إحساس داخلى بأن تلك الأمور وإن كانت مباحة ومشروعة، لكنها تعطل الصفاء النفسى وتعوق الامتداد للحياة الفضلى، وتعرقل الطريق السالك إلى مداخل الحياة الروحانية العالية ودروبها الخفية، التى لا تتبين إلا لمن رقت جسومهم ورق أثرها على سلوكهم.

المسيحية والحياة النسكية

الحق أن الدعوة المسيحية لا يمكن فصلها عن الحياة النسكية. فالمسيحية إذا نظرنا إليها من جهة دعوتها العملية السلوكية هى فى صميمها دعوة إلى الحياة النسكية.

هى أولا ـ دعوة إلى التدرب على القناعة فيما يتصل بالطعام والشراب واللباس.

يقول السيد المسيح «لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون، ولا لأجسادكم بما تلبسون، أليست النفس (الحياة) أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس... ولماذا تهتمون باللباس... فلا تهتموا قائلين ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس فإن هذه كلها تطلبها الأمم... لكن اطلبوا أولا ملكوت الله وبره». (متى ٦: ٢٥ - ٣٣)، (لوقا ١٢: ٢٢، ٢٣)، (فيلبى ٤: ٦)، (١. بطرس ٥: ٧).

ويقول مار بولس الرسول «فإن كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما» (١. تيموثيئوس الأولى ٦: ٨). ويقول أيضا «كونوا مكتفين بما عندكم، لأنه قال لا أهملك ولا أتركك» (العبرانيين ١٣: ٥).

الزهد فى المسكن:

ودعوة المسيحية إلى الزهد فى المسكن تظهر من قول ربنا يسوع المسيح عن نفسه، عندما تقدم إليه كاتب وقال له: يامعلم أتبعك أينما تمضي. فقال له يسوع: للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار. وأما ابن البشر فليس له أين يسند رأسه» (متى ٨: ٢٠)، (لوقا ٩: ٥٧، ٥٨).

الزهد فى المظاهر:

كما تتضـــح دعوتهـــا إلى احتقـــار أباطيـــل العالم، فى قــول مار يوحنا الرسول: «لا تحبوا العالم ولا ما فى العالم، إن كان أحد يحب العالم فليس فيه محبة الآب، لأن كل مـا فى العالـم شهـوة الجسـد وشهوة العيون وتعظم المعيشة. وليس ذلك من الآب بل مـن العالـم. والعالـم وشهوتـه يزولان وأما من يعمل مشيئة الله فإنه يثبت إلى الأبد». (١. يوحنا ٢: ١٥ - ١٧).

ولابد أن يكون المقصود من قول الكتاب «لا تحبوا العالم» لا أن ينهانا عن محبة الكون أو الطبيعة من سماء وأرض وبحار وهواء ونبات. حاشا. إنما «العالم» فى هذه الوصية «لا تحبوا العالم» هو أباطيل العالم أو شـــهوات العالم خاصـــة وقد عقّـب مار يوحنا الرسول على ذلك بقوله «لأن كل ما فى العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة».

وتبلـغ هذه النظـرة الـزاهدة إلى الحياة المادية ذروتها فى تعبير مــار بولس الرسول، إذ يقول «فأقــول هــذا أيها الأخوة إن الزمان قصير، فبقى أن يكون الذين لهم نساء كأنهـم لا نساء لهم، والباكون كأنهم لا يبكون، والفرحون كأنهم لا يفرحــون، والمشـــترون كأنهـم لا يملكون، والمستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه لأن هيئة هذا العالم فى زوال» (١. كورنثوس ٧: ٢٩ - ٣١).

الزهد فى النظرة إلى الزواج:

ومع أن الزواج طاهر ومقدس وخير مباح، لكن الزهد المسيحى لم يتوقف عن أن ينفذ إلى هذه الدائرة. وهذا منطقى لأنه إن كان يمكن للمسيحى أن يزهد فى الطعام والشراب واللباس والمسكن، وهى ضرورات الحياة الأساسية التى لابد منها، فكيف لا يزهد فى الزواج وهو ليس فى نفس الضرورة، أو على الأقل ليس فى نفس الدرجة من الأهمية لقيام الحياة الإنسانية.

إن المسيحية بنظرتها الزاهدة إلى الزواج، تتجه إلى رد الإنسان إلى صورته الأولية لأن الله خلق آدم أولا بغير حواء ثم عاد فخلق له حواء لتكون له معينا (التكوين ٢: ١٨). وكان يمكنه تعالى أن يخلق حواء مع آدم فى نفس لحظة الخلق، لكنه لم يفعل ذلك، ثم إذا كان قد خلق له حواء لتكون معينته، فليس وجود المعين يقتضى حتما أن يكون بينهما زواج بالمعنى المعروف.

قال السيد المسيح «لأن من الخصيان من خصوا أنفسهم من أجل ملكوت السماوات، فمن استطاع أن يحتمل فليحتمل» (متى ١٩: ١٢) ، (كورنثوس الأولى ٩: ٥، ١٥). مبيناً

أنه يمكن للإنسان أن يزهد فى الزواج وهو قادر عليه. وهو مع اكتمال نموه الجسدانى لكنه يحيا وكأنه خصى من أجل ملكوت الله، ومعناه أنه يضبط نفسه بإرادته ويشكم رغبة الجنس من أجل حياة أفضل، هذا زهد يُقبل الإنسان عليه برضى وبغير كره «من أجل السرور الموضوع أمامه» (العبرانيين ١٢: ٢). من أجل حياة السمو الروحانى فى ملكوت الله، خاصة وأن المسيحية تبين لنا أن الحياة الزوجية فترة قصيرة عارضة فى رحلة الحياة الطويلة إلى اللانهائية «لأنهم فى القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون ولكن يكونون كملائكة الله فى السموات» (متى ٢٢: ٣٠). ولهذا فمن يقدر أن يحتمل برضى تعب العزوبة أو البتولية من أجل الله، إنما يضحى بفترة قصيرة عارضة إذا قيست بالأبدية التى لا نهاية لها، ولهذه التضحية جزاؤها المبارك، فما دام الزواج حادثا فى حياة الإنسان وقد جاء فى زمن متأخر نوعا ما عن خلقة الإنسان الأول آدم، وما دام الإنسان لا يتهيأ للزواج إلا فى فترة معينة من حياته، يكون فيها اكتمال نموه الجسمانى والذهنى والعاطفى، ومادام الزواج فى حياة الإنسان لا يستمر غير بضع سنوات، وينتهى على الرغم منه بالموت ولا يستمر بعد الموت. فلماذا لا يزهد الإنسان فى الزواج والعلاقات الزوجية، طالما أنها لفترة قصيرة فإنها لا تستغرق أكثر من بضع سنوات، وهى لذلك لا تقاس بشىء إلى جانب الأبدية اللانهائية، يقول مار بولس الرسول «حسن للرجل أن لا يمس إمرأة، ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد إمرأته، وليكن لكل واحدة رجلها».. فإنى أود لو يكون جميع الناس مثلى (بتوليين ـ غير متزوجين)، لكن كل واحد له من الله موهبة تخصه، فبعضهم هكذا. وبعضهم هكذا. وأقول لغير المتزوجين وللأرامل أنه حسن لهم أن يبقوا على هذا الحال (غير متزوجين) قارن (١. كورنثوس ٧: ٢٦) . كما أنا، فإن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا، قارن (١. تيمو ٥: ١٤). «إنى أريد أن تكونوا بلا هم، فإن غير المتزوج يهتم فيما للرب كيف يرضى الرب. وأما المتزوج فيهتم فيما للعالم كيف يرضى إمرأته» (١. كو٧: ٣٢، ٣٣) فهو منقسم. «والمرأة غير المتزوجة والعذراء تهتم فيما للرب لتكون مقدسة فى الجسد وفى الروح. وأما المتزوجة فتهتم فيما للعالم كيف ترضى رجلها» (١. كو ٧: ١، ٢، ٨، ٩، ٢٦ - ٣٤).

وهكذا علم الرسول، تبعا لتعليم معلمه وسيده، أن البتولية حالة أفضل، وأقرب إلى الكمال وهى موهبة للممتازين من الناس، بها يكون الإنسان مقدسا لله بالروح والجسد، وقد جعل إهتمامه كله فى الله وحده، انقطع لعبادته ولخدمته وصار له مكرساً بالروح، والجسد، لا تكريساً جزئياً بل تكريساً تاماً وكلياً، وعلم الرسول أيضا تبعا لتعليم سيده أن الزواج مقدساً، لكنه طريق أقل درجة فى السمو الروحانى، وهو لغير القادرين على ضبط نفوسهم عن أن يسيروا فى الطريق الأفضل والأكمل وهو طريق المتبتلين لله، الذين لا يتزوجون من أجل الله، الذين يسلكون كخصيان (إشعياء ٥٦: ٣، متى ١٩: ١٢)، وإن

كانوا ليسوا خصيانا بالمعنى المادى للكلمة ـ وذلك من أجل ملكوت الله، الذين يحتملون هذا الزهد وهذا النسك من أجل الله ومن أجل ملكوته.

الزهد فى العلم:

وتعليمنا المسيحى يدعونا إلى الزهد فى العلم البشرى والمعرفة الإنسانية، إذا كانت هذه المعرفة وذلك العلم بقصد الزهو والفخر والخيلاء والتعالى على الآخرين، أو كان العلم مصحوباً بروح هدامة مدمرة للقيم الروحية، أو كان أداة يستغلها بعض الناس لتغذية الإلحاد والكفر والمبادئ المادية والنظريات الإجتماعية الضارة.

وبهذا المعنى صار العلماء والحكماء فى نظر المسيحية أغبياء، «قال الجاهل فى قلبه ليس إله» (مزمور ١٣ (١٤) : ١)، (مزمور ٩ (١٠): ٤) ، (مزمور ٥٢ (٥٣): ١). ولهذا قالت المسيحية أن الجاهل خير من حكيم حكمته هدامة. «وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء» (رومية ١: ٢٢).

يقول مار بولس الرسول «اختار الله جهال العالم (وهم الرسل ومن إليهم) ليخزى الحكماء (فى نظر أنفسهم)»(١. كورنثوس ١: ٢٧). ويقول «إن كان أحد يظن أنه حكيم بينكم فى هذا الدهر فليصر جاهلاً (بذلك النوع من الحكمة الهدامة) لكى يصير حكيماً (بالمعنى الحقيقي) لأن حكمة هذا العالم هى جهالة عند الله. لأنه مكتوب الآخذ الحكماء بمكرهم وأيضا يعلم الرب أفكار الحكماء (فى نظر أنفسهم) أنها باطلة»(١. كورنثوس ٣: ١٨ - ٢٠). ويقول أيضا «تنبهوا لئلا يغريكم أحد بالفلسفة وبغرور باطل» (كولوسى ٢: ٨).

ومن أقوال الرسول بولس أيضا «إن المسيح لم يرسلنى لأعمد بل لأبشر لا بحكمة كلام لئلا يتعطل صليب المسيح... لأنه مكتوب سأبيد حكمة الحكماء وأرفض فهم الفهماء» أين الحكيم (الحقيقى) أين الكاتب أين مباحث هذا الدهر. ألم يجهل الله حكمة هذا العالم، لأنه إذ كان العالم فى حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة(البشرية)، استحسن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة، لأن اليهود يسألون آية واليونانيين يطلبون حكمة. ولكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوباً، لليهود عثرة ولليونانيين جهالة، وأما للمدعوين يهوداً ويونانيين فبالمسيح قوة الله وحكمة الله. لأن جهالة الله أحكم من الناس وضعف الله أقوى من الناس»(١. كورنثوس ١: ١٧ - ٢٥).

وفى مجال المقارنة بين الحكمة الإنسانية الفاشلة والحكمة الإلهية، يقول الرسول «وأنا لما أتيتكم أيها الأخوة (الكورنثيون)، لم آت ببراعة الكلام أو الحكمة (البشرية) مبشراً لكم بشهادة الله» لأنى حكمت بألا أعرف بينكم شيئا إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً.. ولم

يكـن كلامــى ولا كرازتى بكلام بليـغ من حكمة بشرية، بل ببرهــان الروح والقوة لكى لا يكون إيمانكم عن حكمة الناس (الفاشلة) بل عن قوة الله» (١. كورنثوس ٢: ١ - ٥).

على أن الزهد فى العلم ليس معناه أن يكف الإنسان المسيحى عن طلب المـعرفة، «النفس من دون علم غير صالحة» (سفر الأمثال ١٩: ٢). وقد قال المخلص «فتشوا الكتب» (يوحنا ٥: ٣٩). وقال الرسول بـولس «امتحنوا كل شىء تمسكوا بما هو حسن» (١. تسالونيكى ٥: ٢١). إنما معناه أن يزهد فى تلك المعرفة البشرية الناقصة ولا يقنع بها، ظاناً أن فيها الغنى والكفاية ولا يتوصل بها إلى هدم المعتقدات المستقرة والقيم الروحية والأبدية، ولا يغتر بهذه المعرفة ظاناً أنه بها عرف كل شىء، إنما المسيحى ينظر إلى المعرفة البشرية على أنها وإن كانت مطلوبة، لكنها معرفة ناقصة ثم هى معرفة متغيرة وغير ثابتة، فقد يقول علماء العالم اليوم شيئا يقولون بغيره فى الغد، وقد ينادون الآن بنظرية يهدمونها بأيديهم هم أو غيرهم فى وقت آخر. ثم إن المعرفة البشرية معرفة زائلة لأنها تعتمد على أدوات زائلة كالحواس مثلاً، والحواس تخدعنا أحيانا فضلا عن أنها زائلة، قد تنفعنا لهذا الدهر ولكنها لا تنفعنا للدهر الآتى، وهناك نوع من المعارف يفيدنا هنا فى هذا العالم، ولكنه لا قيمة له فى العالم الآخر، لهذا يقول الرسول «والعالم فسيبطل لأننا نعلم بعض العلم ونتنبأ بعض التنبؤ، ولكن متى جاء الكامل فحينئذ يبطل ما هو بعض. لما كنت طفلا كطفل كنت أتكلم وكطفل كنت أفطن وكطفل كنت أفتكر. ولكن لما صرت رجلاً أبطلت ما للطفل. فإننا ننظر الآن فى مرآة فى لغز لكن حينئذ وجهاً لوجه. الآن أعـرف بعـض المعرفة لكن حيـنئذ ســأعرف كما عرفت»(١. كورنثوس ١٣: ٨ - ١٢).

الزهد فى المال:

لعل هذه النظرة الزاهدة إلى المال تتمثل فى أوضح وأكمل صورة لها فى سيدنا ومخلصنا يسوع المسيح، الذى شاء أن يولد فى أدنى وأحط صورة للفقر يمكن أن يتصورها إنسان. وليس يمكن لإبن ما مهما كان والداه فقيرين، ولو كان شحاذاً لا يملك شرو نقير يولد فى نفس الظروف البائسة التى ولد فيها المسيح وهو رب المجد كله. لم تجد العذراء مكاناً تلده فيه، فولدته وأضجعته فى مذود البقر. هل هناك طفل آخر مهما كان فقيراً يمكن أن يولد فى صورة للفقر أبأس من هذه الصورة؟

ولو كان المسيح يشاء أن يولد فى ظروف أفضل لكان العالم بأسره فى خدمته.

وسار المسيح على هذا النهج، الفقير المعدم فى كل حياته وإلى يوم صعوده إلى السماء.

لم تكن له قنية ولا كان له مال. شاء أن يعيش على صدقات المحسنين وهو مغنى الكل، كان هو وتلاميذه لهم صندوق ومن الصندوق كانوا ينفقون على إحتياجاتهم الضرورية، لم يستغل قدرة لاهوته وسلطانه على صنع المعجزات ليكون غنياً، ولكن شاء لنفسه أن

يظل فقيراً، حتى يكون بالفعل قد شارك البشرية فى كل بؤسها وفقرها، وحتى لا يخجل الفقير من فقره والبائس من بؤسه حين يعلم أن المسيح عاش معه فى أحط صورة للفقر.

والصندوق الذى كانوا ينفقون منه على إحتياجاتهم الضرورية، لم يحمله المسيح ولا حمله التلميذ الذى كان يسوع يحبه. وإنما حمله يهوذا الذى أحب الظلم من أجل أجرة، قال يهوذا مرة ينتقد ما فعلته مريم التى سكبت الطيب على قدمى المخلص، لِمَ لَمْ يبع الطيب بثلاث مائة دينار ويدفع للمساكين، وقال يوحنا الرسول عنه «وإنما قال هذا ليس لأنه كان يبالى بالفقراء، بل لأنه كان سارقا وكان الصندوق عنده وكان يحمل ما يلقى فيه» (يوحنا ١٢: ٥، ٦). والعجيب الغريب أن السيد المسيح وهو يعلم من أمر يهوذا كل شيء لم ينتزع الصندوق منه ولا ورد فى الكتاب ولو مرة واحدة أن المسيح ناقشه فى هذا الأمر أو وبخه عليه أو عاتبه فيه أو وجه إليه حتى مجرد سؤال. إن إهمال المسيح هذا الأمر بهذه الصورة يدل على إحتقار عجيب للمال.

ومن آيات إحتقار المسيح للمال مسلكه إزاء الذين طالبوه بالجباية. ففى كفر ناحوم دنا الذين يجبون الدرهمين إلى بطرس وقالوا له: «أما يؤدى معلمكم الدرهمين قال: بلي. فلما دخل (بطرس) البيت سبقه يسوع قائلا: ما تظن يا سمعان. ممن يأخذ ملوك الأرض الخراج أو الجزية، أمن بنيهم أم من الأجانب. قال له بطرس «من الأجانب» قال له يسوع «والبنون إذن أحرار، ولكن لئلا نعثرهم امض إلى البحر وألق صنارة والسمكة التى تطلع أولا خذها، ومتى فتحت فاها تجد استارا فخذه وأعطهم عنى وعنك» (متى ١٧: ٢٣ - ٢٦). لقد دفع المسيح الجباية أو الجزية وهو يعلم أنه من حقه كمواطن أن لا يدفع الجزية لأنها للأجانب. دفع الجباية أو الجزية وهو فقير معدم لا يملك أن يدفع، ولكنه لم يرد أن يدخل فى نقاش أو جدل فى هذا الأمر، ولم يرد أن يحتل هذا الأمر شيئا من الإهتمام، وهذا دليل آخر على إحتقاره الشديد للمال. «من يطلب مالاً فليأخذه».

هذه النظرة للمال هى التى طبعت المؤمنين بالمسيح فى العصر الرسولى «وكانوا يبيعون أملاكهم وأمتعتهم ويوزعونها على الجميع على حسب حاجة كل واحد» (أعمال الرسل ٢: ٤٥). «فإنه لم يكن فيهم محتاج، لأن كل الذين كانوا يملكون ضياعاً أو بيوتاً كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويلقونها عند أقدام الرسل» (أعمال ٤: ٣٤، ٣٥).، إن تعبير «**يلقونها عند أقدام الرسل**» تعبير مؤثر وجميل ويضع المال فى موضعه الصحيح «عند أقدام الرسل» وهو تعبير يدل على احتقار المال والزهد فى المال. وهذه هى الاشتراكية المسيحية. إن المسيحى يزهد فى المال عن رضى ولا يضعه فى قلبه، ولكن عند أقدام الرسل يطرحه أى يبذله من أجل الله وفى خدمة الناس.

النسك بالنسبة للكهنة ورجال الدين

إذا كانت المسيحية ـ من الوجهة السلوكية ـ هى فى صميمها، دعوة إلى الحياة النسكية فى شئون الطعام والشراب واللباس والمسكن وفى المظاهر الخارجية، بل وفى نظرتها إلى الزواج وإلى العلم وإلى المال، وإذا كانت الحياة النسكية هى دعوة المسيحية إلى كل المسيحيين، بل إلى جميع الناس، فإن الكهنة ورجال الدين هم أولى من غيرهم بهذه الحياة، لأنهم هم أولا مسيحيون، ولأنهم هم دعاة المسيحية وبالتالى دعاة الحياة النسكية، فرجال الدين ينظرون قبل غيرهم إلى الحياة نظرة أعمق، فيها إحتقار واضح لأباطيل العالم، ويقنعون بضرورات الحياة من طعام وشراب ولباس ومسكن، ولا يحفلون بالمظاهر الخارجية ولا يتكلمون على المال، وقد يؤثرون التبتل كلفاً بالعفة الكاملة، وإنصرافاً تاماً لعبادة الله وخدمته بغير عائق أو مانع. فإذا تزوجوا فهم قادرون على ضبط نفوسهم. ومنهم من إذا دعى إلى الكهنوت وخدمة الله عف عن العلاقات الزوجية، وصارت له زوجة أختا تعاونه فى الخدمة. وعلى هذا القياس سار كثيرون فى كل العصور. وقد عبر عنه مار بطرس الرسول بقوله لمخلصنا وفادينا يسوع المسيح «ها نحن قد تركنا كل شىء وتبعناك فماذا يكون لنا»، فقال لهم يسوع «الحق أقول لكم أنكم أنتم الذين تبعتمونى فى التجديد، متى جلس ابن الإنسان على كرسى مجده تجلسون أنتم أيضا، على إثنى عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الإثنى عشر، وليس أحد ترك بيتاً أو أخوة أو أخوات أو أباً أو أماً أو إمرأة أو أولاداً أو حقولاً من أجل اسمى ولأجل الإنجيل وملكوت الله، إلا ويأخذ مائة ضعف (أو أضعافاً كثيرة) الآن فى هذا الزمان، بيوتاً وأخوة وأخوات وأمهات وأولاداً وحقولاً مع اضطهادات. وفى الدهر الآتى الحياة الأبدية. (مرقس ١٠: ٢٨ - ٣٠) و (لوقا ١٨: ٢٨ - ٣٠) و (متى ١٩: ٢٧ - ٢٩).

هنا يعبر مار بطرس الرسول عما يتركه من تبع المسيح فى خدمته وخدمة الإنجيل وملكوت الله، من المقتنيات ومن علاقات القرابة الجسدية التى تربطه بالأقارب، من الأب والأم والأخوه والأخوات والزوجة، ولكن المسيح فادينا وعد الذين يتركون هذه الأمور من أجل اسمه، ومن أجل الإنجيل والملكوت، بأن يحصلوا فى هذا الدهر على أضعاف ما تركوا أو فقدوا، وفى الدهر الآتى على الحياة الأبدية. ومما يلفت النظر أنه وعد بمائة ضعف أو بأضعاف كثيرة فى هذا الدهر عن الحقول والأم والأخوة والأخوات، لكنه لم يشر إلى عوض فيما يتصل بالأب وفيما يتصل بالمرأة أو الزوجة، وهذا لتوكيد أن الخادم يجد بدل أم واحدة أو أخت واحدة نساء كثيرات يصرن له كأمهات أو أخوات، وبدل أخ واحد يجد أخوة من المؤمنين كثيرين. أما عن الأب فقد صار له الآب السماوى هو متكله ومعتمده وملجأه، وصار لا يعرف له أبا آخر سواه، وهذا يوافق كلمات الرب إلى تلاميذه ورسله القديسين «ولا تدعوا لكم أبا على الأرض فإن أباكم واحد وهو الذى فى السماوات» (متى ٢٣: ٩).

وأما عن الزوجة فلا يجد عوضا أو بدلا، لأنه قد ارتفع فوق العلاقات الزوجية وسما فوق الجنس، ولم تعد إمرأته له غير أخت، وهذا ما فعله الرسل الذين كانوا قبل الدعوة الرسولية متزوجين، أنهم تركوا العلاقات الزوجية وصارت الزوجة لهم أختا بكل ما يحمل اللفظ من معني. ولقد أشار إلى هذا المعنى مار بولس الرسول عندما قال «أما لنا سلطان أن نجول بإمرأة أخت كسائر الرسل وإخوة الرب وكيفا»(١. كورنثوس ٩: ٥).

وهذا يفيد أن الرسل المتزوجين تركوا العلاقات الزواجية، وصارت لهم زوجاتهم أخوات يجلسن معهم للخدمة.

وبالإجمال فإن الكاهن أو رجل الدين يصير كله لله، عقله وقلبه وإنفعالاته وعواطفه وإحساساته ومشاعره كلها لله وفى الله. الله دائما عنده فى بؤرة شعوره، وما عدا ذلك ففى هامش الشعور كل شخص أو شيء مالم يعنه فى علاقته بالله وخدمته له، هو تافه باهت لا بريق له عنده ولا إغراء له على قلبه ولا جاذبية له نحوه. الكاهن أو رجل الدين هو حقا رجل دين، بمعنى أنه للدين يحيا ويموت، للدين يجوع ويعطش، للدين ومن أجل الدين يتنفس به وله ومن أجله. هو محرقة كاملة لله وللدين. كله مقدم لله ولعبادته ولخدمته. الفرق بين ذبيحة السلامة وبين المحرقة كبير. كانت ذبيحة السلامة (اللاويين ٧). يحرق بعضها لله على المذبح وينال الفقراء والمساكين جزءا منها، وينال الكاهن جزءا منها، وينال صاحب الذبيحة ومقدمها جزءا منها. أما المحرقة فتحرق كلها على مذبح الله لله، ولا يأخذ الفقير والمسكين ولا الكاهن ولا مقدم الذبيحة منها شيئا ولا يبقى منها لأحد شيء. كلها لله. هكذا الفرق بين المدنى وبين الكاهن أو رجل الدين. المدنى يعطى قلبه لله، ولكنه يعطى جزءا من إهتمامه لأسرته ولعمله ولأولاده، وأما رجل الدين فهو كله اكليروس لله، هو كله من نصيب الله. كل إهتمامه فى الله وبالله ولله. من هنا فإنه ناسك لله زاهد فى كل شيء، بل فى كل شخص من أجل الله.

وقد تبلغ هذه الحياة النسكية ذروتها فى التجرد التام، من الهوى والشهوة والحرص على الكرامة الشخصية، ومن الغضب للذات ومن أجل الذات. ويصير الكاهن أو رجل الدين حياً فى الدنيا من أجل الغرض الواحد والهدف الواحد، سلوكه ينطق قبل أن ينطق لسانه أنه يعيش من أجل واحد، وأن الحاجة هى إلى واحد. هنا تسقط عنه كل رغبة وكل شهوة وكل ميل وكل هوى، وكل تطلع إلى مجد أو إلى شهوة أو إلى صيت حسن، هنا يصل إلى الأمانــه التامــة وإلى درجة الفناء والبقاء بعد الفناء، وهو ما يصفه الرسول بقوله «وأنا حيّ لا أنا بل إنما المسيح حيّ فىّ» (غلاطية ٢: ٢٠)، وهذا هو فى الواقع الهدف الأكبر من الحياة الرهبانية، فهى ليست هربا من الخطيئة، ولا تخلصاً من مسئوليات الحياة، وإنما هى تدريب متواصل على التجرد التام، من كل شيء من أجل الله، أو هى الإنحلال من الكل للإتحاد بالواحد.

٧- التواضع[١]

من أنا؟ (أع ١٧: ١١).

هاتان الكلمتان تتكونان من خمسة أحرف، ولكن تُوجد هناك كلمة واحدة تتكون من هذا العدد من الحروف، وهى فى المعنى مطابقة لهاتين الكلمتين، هذه الكلمة هى تواضع.

وكأنى بهذه المقدمة أريد أن أمهد الطريق للتكلم عن فضيلة التواضع.

التواضع سجية من سجايا المسيحية، وصفة تحتاج إليها الإنسانية، ولا نستطيع أن نقول عنها سوى إنها نعمة من نعم الله على البشرية. التواضع ضد الكبرياء وإن قلنا عن الكبرياء أنها الداء العضال والمرض الفتاك الذى سرى تياره فىَّ وفيك وفى البشرية جمعاء، ممثلة فى أبوينا الأولين، إنما نقول عن التواضع أنه العلاج الناجح والدواء المفلح، الكفيل بأن يرفع الإنسانية إلى المستوى الذى منه هوت ومن عليه سقطت.

فالتواضع أحبائى هو إنكسار النفس بدون مذلة، وهو خشوع القلب بدون مهانة، وهو مسحة ملائكية ترتسم على المؤمن، يشعر معها الغير بأن هذا الإنسان هو ابن الله حقاً لا غش فيه.

كثيرون لا يميزون أو قل لا يستطيعون أن يفهموا، الفرق بين التواضع والذل، وبالمثل بين الكبرياء وعزة النفس، فيحسبون أنهم إن تكلموا كثيراً فى مجتمع من المجتمعات، فهذا نوع من التواضع ويظنون أنهم لو اكتفوا بالقدر القليل من الكلام فهذا نوع من الكبرياء، والبعض يشعر بأنهم لو طلبوا من الناس طلبات كثيرة، فهذا نوع من التواضع، ولو رأوا إنساناً يعتز بكرامته ويرفض أن يمد يده لأجل أن يعطيه أحد، يحسبون ذلك نوعاً من الكبرياء .

وهنا أسأل: **لماذا نتواضع؟**

١) لفساد طبيعتنا:

من أنا؟ هذا سؤال نطرحه على شخصيتين من شخصيات الكتاب المقدس، لنسمع عنهما جوابين لا يختلفان كثيراً عن بعضهما البعض.

---

(١) ألقيت فى دار جمعية ثمرة الإخلاص. الأربعاء الموافق ٨ سبتمبر ١٩٣٧م.

تعال يا أيوب الصديق وأجب على هذا السؤال من أنا؟ ـ الجواب هو: من هو مولود المرأة حتى يزكو، والإنسان حتى ينجو، وفى موضع آخر يقول: الإنسان الدود وابن آدم الرمة.

ثم أنت يا داود ما رأيك فى هذا؟ يقول: أنا دودة حقيرة لا إنسان، عار عند البشر ومحتقر الشعب، وعندما طارده شاول قال له: يا سيدى من أنت تطارد وعلى من أنت تخرج، أَعَلَى كلب ميت أم على حشرة حقيرة. ثم اسمعوا حكم الله من فمه على الإنسان حيث يقول: بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التى أُخذت منها لأنك تراب وإلى تراب تعود...

يا أحبائى أثبت العِلم أنه توجد ملايين من العوالم كعالمنا هذا، وأن هذا العالم الذى نسبح فيه، ليس فى الحقيقة بالنسبة إلى العوالم الأخرى، سوى قطرة من بحر خضم زاخر بالماء، ثم تعالوا لنتأمل الإنسان بالنسبة إلى هذا العالم الصغير، أحبائى ألسنا نستطيع أن نقول أن الإنسان ليس شيئاً يذكر بالنسبة للعالم الذى نحن فيه، وإذا قلت لكم أنه توجد عوالم أخرى كثيرة العدد، فقولوا ماذا يبلغ الإنسان أو ماذا تكون قيمته بالنسبة لهذه العوالم، بل قولوا من هو الإنسان بعد ذلك؟، أحبائى إن استطعتم أن تميزوا النملة وهى تسير على سفح الجبل فنسبة النملة للجبل هى أقل من نسبة الإنسان لخليقة الله، إذاً علام تتكبر أيها الإنسان؟ ولماذا تنتفخ؟! ألا يحق لك أن تضع أنفك فى التراب؟ ألا يحق لك ويجدر بك أن لا تعود تذكر نفسك كأنك مخلوقاً تستحق أن يُقال عنك أن الله خلقك؟ ما فضلك أيها الإنسان هل أوجدت ذاتك؟ إذاً لماذا تتكبر؟! هل تستطيع أن تخلق شيئاً مما قد خلقه الله؟ إذاً لماذا تتكبر؟ أظنك تحسب هذه المخترعات التى اخترعها العلماء هى خلق، كلا يا سيدى إنها ليست خلق ولكنها ربط ـ ربط الإنسان الحديد بالبنزين فخرج ذلك المخترع العجيب الطيارة، ربط الإنسان البخار بالحديد فخرج ذلك الشىء المفيد القطار، فالإنسان لم يخلق، ولكنه اكتشف شيئاً من مخلوقات الله، والعلم مع تقدمه لم يكتشف الكثير مما أودعه الله فى الطبيعة من أسرار، ولكن تعالَ لكى نعرف هل استطاع الإنسان أن يخلق أم لا ـ عرف العلماء التركيب الكيميائى للتفاحة مثلا، وعرف كيف تتكون التفاحة، وما هى الأشياء التى تحتوى عليها التفاحة ـ حينئذ فكروا أن يخلقوا تفاحة وبعد ذلك يصبح لا فرق بينهم وبين الله، جهزوا تلك الأشياء التى تتكون منها التفاحة، ثم ابتدأوا يعملون بجد ونشاط لخلق هذه التفاحة، ولكنهم فشلوا فشلاً مبيناً، ولم يستطيعوا إلى

ذلك سبيلاً، إذاً فالإنسان لا يخلق ولكنه يكتشف، الإنسان يفك بإذن الله شيئاً من أسرارا الطبيعة، ولكنه غير قادر بل عاجز كل العجز عن أن يخلق شيئاً جديداً فى الطبيعة ـ إذاً لماذا تتكبر أيها الإنسان؟ ولماذا تنتفخ كأنك كل شىء مع أنك ليس شيئاً.

يا أحبائى وإذا كان أيوب الصديق الذى قال عنه الله أنه ليس مثله فى كل الأرض، رجل كامل ومستقيم يتقى الله ويحيد عن الشر، يشهد عن نفسه هذه الشهادة، ويظهر أمام العالم أنه لا شىء وإن كان داود النبى والملك ذو المهابة والجمال والرجل القديس الطاهر، الذى يقول عنه المسيح إنى فتشت قلب داود بن يسى، فوجدته رجلاً حسب قلبى، يعبر عن نفسه هكذا أنه دودة، وأنه كلب ميت وأنه حشرة حقيرة.

قولوا لى أحبائى إن كان هؤلاء القديسين يشعرون، أنهم بلغوا إلى هذه الحال من الإزدراء بنفوسهم والإحتقار لذواتهم، فكم بنا نحن الخطاة، أى وصف، ذلك الذى يصلح لكى يكون معبراً عن حالنا، إننا فى الواقع لفى مسيس الحاجة إلى أن نتواضع أمام الله. حتى يرحمنا، لأننا خطاة ولأن طبيعتنا فاسدة، أفكارنا أرضية وميولنا شهوانية، نظراتنا فاسدة وحركاتنا مخزية وتصرفاتنا رديئة، كل شىء فينا فاسد، وكما عبر بولس هكذا يجب أن نفوه، وهكذا يلزم أن نقول له، أنه لا يسكن فىَّ أى فى جسدى شىء صالح، وبالأحرى أن نتمثل حيث نقول «صادقة هى الكلمة ومستحقة كل قبول، أن المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا» (١. تى ١: ١٥).

يا أحبائى ماذا أقول؟ وقد عجزت عن القول، وبماذا أتكلم؟ وأشعر أنه قد ارتج عقلى فلا أستطيع الكلام، ماذا أقول عن فساد طبيعتنا، نعم إن كان بولس الذى قال عنه المسيح لحَنانِّيا، أنه سيكون لى إناءً مختاراً، يقول عن نفسه «هكذا الخطاة الذين أولهم أنا» إذ أطلب إليكم بإلحاح كامل أن تتأملوه، إن كان بولس الرسول «أول الخطاة» فمن نكون نحن؟. فإذن فما أحوجنا أحبائى إلى التواضع، بل وإنى أقول أنه لا يعد منا فضيلة أن نتواضع، بل يجب أن نتواضع لماذا؟ لأنه لا يوجد داع للكبرياء، إذ أن طبيعتنا فاسدة.

قال أحد الأفاضل «ما تكبر أحداً إلا لنقص وجده فى نفسه، ولا تطاول إلا لوهن أحسه فى ذاته».

وقال القديس يوحنا فم الذهب: «بمن أشبهك أيها القلب، أبقلب النمر فى شراسته، أم بالثعلب فى مكره، أم بالجمل فى حقده».

٢) لعجزنا:

مـن أنا؟ أنـا العاجـز الضعيـف، أنا الخائر، أنا المكتـوف اليدين، أنا الإنســان الذى لا أستطيع أن أصنع شيئاً أو أفعل شيئاً، «ومن منكم إذا إهتم يقدر أن يزيد على قامته ذراعاً واحداً، بل وليس منكم منْ يستطيع أن يجعل من رأسه شعرة بيضاء أو سوداء «فالإنسان لا يستطيع أن يفعل شيئاً، والإنسان عاجز كل العجز، لو كان فى إستطاعته أن يفعل شيئاً حق له أن يتكبر، ولكن بما أنه قاصر إذاً فأول شئ يجب أن يتعلمه هو التواضع.

لو عرف الإنسان مقـداره	لـم يفخـر المولى على عبده
أمـــس الذى سر بقربــه	يعجــز أهـل الأرض عن رده

إذاً فلنرفع أوجهنا لله، ونقول له يا سيدى، يا سيدى ليس لنا... ليس لنا إلا العجز والضعف.

قال الذهبى الفم: «من أنت أيها الإنسان الذى تشم الهواء بمنخاريك، اتفتخر بالحرير الذى هو صنع دودة حقيرة، أم بالصوف الذى هو كساء حيوان ضعيف؟».

٣) إقتداءً بمخلصنا:

كما يكون القائد هكذا ينبغى أن يكون الجندى، وكما يكون السيد كذلك ينبغى أن يكون العبد، وكما يكون المعلّم كذلك ينبغى أن يكون التلميذ، لأنه ليس التلميذ أفضل من معلّمه ولا الرسول أعظم من مرسله، كيف كان يسوع المسيح، وكيف عاش يسوع المسيح، وعلى أى خُلق سلك يسوع المسيح فى الهيئة الإجتماعية، ألم يخبرنا عنه الكتاب بهذه الكلمات: «فتاى الذى أحببته، حبيبى الذى سرت به نفسى، لا يصيح ولا يسمع أحد فى الطرقات صوته، فتيلة مدخنة لا يطفئ وقصبة مرضوضة لا يقصف، حتى يخرج الحق إلى النصرة وعلى اسمه يكون رجاء الأمم، ثم ماذا قال هو عن نفسه «تعلموا منى فإنى وديع ومتواضع القلب».

دعونا من الكلام وتعالوا إلى العمل، إن أبسط مثل يبرهن لنا وداعة السيد يسوع المسيح وتواضعه هو سماحه بأن يُولد فى مذود البقر، تأملوا ودققوا معى التأمل، فى كيف أن ملك السماء والأرض لا يجد له مكاناً فى الأرض يسند فيه رأسه، للثعالب أوجرة ولطيور السماء

أوكار، أما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه، تعالوا معى إلى موقف آخر. يسوع يقيت الأرواح والأجساد، يسوع يغذى النفوس بالطعامين الروحى والجسدى، فتمتد إليه الأيدى لكى يخطفوه فيجعلوا ملكاً، ماذا حدث؟ يقول الكتاب أما هو فانصرف من بينهم، لو كان المسيح يسوع ممن يحبون العظمة لإنتهز هذه الفرصة، وليس بين زعماء العالم من ترك مثل هذه الفرصة تمر، دون أن يترأس على العباد، ولكن السيد المسيح الوديع والمتواضع رفض كل هذا وفضّل أن يعيش فقيراً ذليلاً، لكى يفتح باب الرجاء أمام الفقراء والمعوزين. يسوع المسيح يتنازل بتواضع ليس له مثيل حتى يُحاكم أمام عبيده، ليت الحال وقف عند هذا الحد ولكن الأكثر من ذلك، أن عبد عبيده، عبد رئيس الكهنة يلطم يسوع على خده بكبرياء وقسوة، أما المسيح الوديع، أما يسوع المتواضع فيجيبه بكل وداعة قائلاً: «إن كنت قد فعلت ردياً فاشهد على الردى وإن حسناً فلماذا تلطمنى؟» جواب تتجلى فيه الوداعة بأكمل معانيها، أيها المسيحى ألم يكن يسوع قادراً على أن يرفع عينيه فقط، فتقف تلك اليد وتيبس فى الحال!! ألم يكن يسوع قادراً أن يسمح فقط للسماء بأن تسـقط، والأرض بأن تفتـح فاها لتبتلع هذا الأحمق!! أحبائى إنها الوداعة التى أتى السيد المسيح لكى يكملها ويعلمنا إياها.

أيها الأخ الحبيب سؤال أقدمه إليك الآن هل أنت عبد للمسيح؟ إن كنت كذلك فأين تواضعه من كبريائك؟ إن كنت تلميذاً للمسيح فأين وداعته من تشامخك؟.

يا أحبائى ما أحوجنا إلى الوداعة متمثلين بذلك الوديع القلب والمتواضع النفس. تمثلوا بالسيد المسيح وهو الخالق، ولكنه مع ذلك كان وديعاً، أما أنت فلماذا لا تتواضع؟ أما أنت فلماذا لا تنسحق فى التراب وفى الرماد؟ هل من داع إلى الكبرياء؟.

يا أخى ارجع لنفسك تفهم من أنت. انظر تلكما العينين اللتين تنظر بهما، من أودعهما فيك؟ هذه الأيدى التى تمدها من أعطاها إياك، كل شئ لك من أين أخذته؟ وأى شئ لك لم تأخذه من الله؟! إذاً أنت لا شئ فى الحياة، فلماذا تتكبر أنت؟ ومالك العبد وما ملكت يداه وقفاً لسيده، إذاً أنتم لستم مِلْكاً لأنفسكم بل لذاك الذى مات عنكم وقام. إذاً إن كنت لست شيئاً وإن كنت لا تملك من الحياة شيئاً، إذاً فلماذا تتكبر؟.

وماذا يطلب منك الرب إلا أن تصنع الحق، وتحب الرحمة، وتسلك متواضعاً مع إلهك، بمكارم الأخلاق كن متحلياً، بالحلم ولا تغضب وكن متواضعاً.

نتيجة التواضع

التواضع سلم الإرتفاع وطريق النصرة:

هل تظنون أن المتضع يكون محتقراً؟ كلا يا أحبائى ثقوا أن الاتضاع سلم الإرتفاع وطريق النصرة. تعالوا إلى نبوخذ نصر ملك بابل الذى ارتفع قلبه متكبراً، وصعد إلى سطح منزله وقال: هذه بابل العظيمة التى بنيتها لبيت الملك بقوة إقتدارى ولجلال مجدى، والكلمة بعد فى فم الملك، وقع صوت من السماء قائلاً: لك يقولون يا نبوخذ نصر الملك، إن المُلك قد زال عنك ويطردونك من بين الناس، وتكون سكناك مع حيوان البر، ويطعمونك العشب كالثيران، فتمضى سبعة أزمنة حتى تعلم أن العلى متسلط فى مملكة الناس وأنه يعطيها من يشاء ـ فى تلك الساعة تم الأمر على نبوخذ نصر، فطرد من بين الناس، وأكل العشب كالثيران، وابتل جسمه بندى السماء حتى طال شعره مثل النسور، وأظفاره مثل الطيور، وعند إنتهاء الأيام أنا نبوخذ نصر رفعت عينى إلى السماء، فرجع إلىَّ عقلى وباركت العلى وسبحت وحمدت الحى إلى الأبد، الذى سلطانه سلطان أبدى وملكوته إلى دور فدور، وحُسِبتَ جميع سكان الأرض كلا شىء، وهو يفعل كما يشاء فى جند السماء وسكان الأرض، ولا يوجد من يمنع يده أويقول له ماذا تفعل، فى ذلك الوقت رجع إلىَّ عقلى وعاد إلىَّ جلال مملكتى ومجدى وبهائى، وطلبنى مشيرى وعظمائى وتَثَّبت على مملكتى، وإزدادت لى عظمة كثيرة، فالآن أنا نبوخذ نصر أسبح وأعظم وأحمد ملك السماء، الذى كل أعماله حق وطرقه عدل، ومن يسلك بالكبرياء فهو قادر أن يذله. (دا ٤ : ٢٨ - ٣٧).

يا أحبائى هل علمتم أن إلهكم إله مقتدر، وهل علمتم أن سيدكم هو المتسلط فى مملكة الناس، وهل علمتم أيضاً أن الإنسان إذا تكبر فقد سلب حقاً من حقوق الله عز وجلَّ، وكأنه بهذا قد أشهر حرباً على مالك السماء والأرض، أفتستطيع أيها الإنسان الأحمق أن تحارب الله؟ أو أتستطيع أيها الإنسان الأبلة أن تتكبر على سيدك، أفيستطيع التراب أن يقف أمام ذلك الذى الملائكة تخشع وتسجد أمامه، أو أيقدر الإنسان المحدود أن يقف أمام الله الذى سماء السموات لا تسعه، أيها الأخ إن تكبرت وإن تعظمت فها صوت الله مستعد أن يقف أمامك، كما وقف أمام نبوخذ نصر، أنت لست فى عظمة نبوخذ نصر ولا فى جلال وقدرة ومهابة نبوخذ نصر، ومع ذلك فقد استطاع الإله من السماء أن يُذل نبوخذ نصر، حتى اعترف أخيراً بأن الله هو المتسلط على مملكة الناس، إذاً فكيف تثبت أيها المتكبر

أمام الله؟ وكيف تستطيع خلاصاً ونجاة من ذلك الذى ترتعد أمامه القوات والرياسات والسادات؟ أخى أتحسب الإتضاع فضيلة؟!، أى فضل للخادم إن أطاع سيده، وأى فضل له إن قام بواجبه خير قيام وإن سلك متواضعاً أمامه، أخى تعال معى لكى أريك منظراً تبتهج لرؤيته عيناك، وينشرح له صدرك ويتسع طرباً ـ ملاك من السماء بل رئيس جند الرب يهبط من السماء، على عذراء فقيرة يبشرها بولادة ملك السماء منها ـ عجباً هل اختارك يا مريم لقوتك؟ كلا أنا الضعيفة، هل اختارك لجمالك؟، كلا وليس سيدى يهتم بهذه القشور ـ هل اختارك لغناك؟ آه وهل أنا غنية!! ألست عذراء فقيرة لا أملك من الحياة شيئاً، هل كنت ساكنة فى قصر فخيم، كلا.. ويعلم ساكن السماء أنه ليس لى إلا هذا المكان البسيط، الذى يأنف أفقر الفقراء أن يسكن فيه، إذاً لماذا يا مريم؟ إذاً لماذا يا والدة الإله؟ إذاً لماذا أيتها الملكة الجالسة الآن عن يمين الملك اختارك الله... إن حيائى يمنعنى من أن أذكر لكم السبب، ولكن ارجعوا إلى ما جاء عنى فى الإنجيل... نعود إلى إنجيل لوقا، فنجد أن العذراء بعد ما سمعت هذه البشارة من الملاك، سجدت برأسها قائلة «هوذا أنا أمة الرب ليكن لى كقولك»... أو أليست هذه وداعة، أو أليس هذا إتضاع كامل، منَ مِن الناس الآن يقول مستسلماً لتكن إرادة الرب، ولتكن مشيئة القدير؟ ألسنا جميعاً فى كثير من الأمور نعترض على الله قائلين: لماذا يارب صنعت بنا هكذا؟ أو أليست تقودنا بعض الأحيان أعمال الله إلى الكفر، فنحاول أن نصل إلى مقاصد الله فى ذلك، وحينما لا نعرف نصرخ قائلين أنه ليس إله، غير عالمين أنه كما علت السموات عن الأرض هكذا علت أفكاره عن أفكارنا وطرقه عن طرقنا ـ فقالت مريم تعظم نفسى الرب وتبتهج روحى بالله مخلصى، لأنه نظر ـ أإلى كبرياء، أإلى عجرفة، أإلى إنتفاخ، أإلى غنى، أإلى جاه، كلا يا أحبائى بل ـ إلى اتضاع أمته، «فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى، لأن القدير صنع بى عظائم واسمه قدوس، ورحمته إلى جيل الأجيال للذين يتقونه، صنع قوة بذراعه شتت المستكبرين بفكر قلوبهم، أنزل الأعزاء عن الكراسى ورفع المتضعين، أشبع الجياع خيرات وصرف الأغنياء فارغين، عضد إسرائيل فتاه ليذكر رحمة، كما كلم آباءنا لإبراهيم ونسله إلى الأبد». (لو ١ : ٤٨ ـ ٥٥).

أما أنت يا داود، يا من جاء اسمك كثيراً فى الكتاب المقدس، ويا من بلغت إلى ذروة المجد، أتعرف سر عظمتك، ما الذى رفعك من وراء الغنم لكى تصير راعياً للشعوب ـ عجيب أو ألم تكن محتقراً فى نظر إخوتك، أو ألم تكن موضع سخطهم وغضبهم حينما

تساءلت عما يقوله جليات الفلسطينى ـ السبب هو أننى دائماً كنت أصلى إلى الله قائلا: لصقت بالتراب نفسى فأحينى ككلمتك ـ إن المتكبرين تجاوزوا الناموس إلى الغاية، وأنا عن ناموسك لم أمل... انظر إلى تواضعى وأنقذنى فإنى لم أنس ناموسك. أفتريدون أن تعرفوا أن التواضع طريق النصرة، ها هو آخاب ملك إسرائيل قتل نابوت اليزرعيلى وأخذ حقله، فصدر عليه حكم الرب على يد إيليا النبى، «فى المكان الذى لحست فيه الكلاب دم نابوت تلحس الكلاب دمك أنت أيضاً»، أما آخاب فإذ سمع حكم الله وعرف أنه الإله الذى يستطيع كل شيء، ولا يعسر عليه أمر ـ قال الكتاب: ولما سمع آخاب هذا الكلام شق ثيابه وجعل مسحاً على جسده، وصام واضطجع بالمسح ومشى بسكوت، فكان كلام الرب إلى إيليا التشبى قائلا: هل رأيت كيف اتضع آخاب أمامى، فمن أجل أنه قد اتضع أمامى لا أجلب الشر فى أيامه، بل فى أيام ابنه أجلب الشر على بيته.

أيها الحبيب وإن كان الشيطان قد صعد بقلبك فإنتفخت وتكبرت، ارجع إلى إلهنا فإنه كثير الرحمة وعظيم الرأفة، مستعد أن يُغّير الحكم عنك، مستعد أن يبدّله، فبعد أن يكون بالموت يكون بالحياة.

تعالوا معى إلى إبراهيم فاسألوه قائلين: ما سر عظمتك يا إبراهيم؟ حتى أن الله يقول عنك أنك خليله، ويقول أيضاً هل أُخفى عن إبراهيم ما أنا فاعله، أتريدون أن تعرفوا سر عظمتى؟ اذكروا كيف أنى اتضعت أمام الله إتضاعاً كاملاً، فبينما أنا استشفع أمامه من أجل سدوم وعمورة، قلت فى كلامى أننى أشاء أن أكلم المولى وأنا تراب ورماد، قلت هذا بكل إتضاع قلب وإنسحاق نفس...

تعالوا معى إلى شهادة بطرس الرسول ـ أيها الأحداث اخضعوا للشيوخ وكونوا خاضعين بعضكم لبعض، وتسربلوا بالتواضع لأن الله يقاوم المستكبرين أما المتواضعون فيعطيهم نعمة، فتواضعوا تحت يد الله القوية لكى يرفعكم فى حينه.

أيها الأحباء أتريدون نصرة ضد الخطية، هذه الغلبة لا يحصل عليها إلا المتواضعون، الإنسان يجب أن يقول عن نفسه مهما بلغ من التعمق فى النعمة أنه أخطأ الخطاة، قابلت إنساناً غيّر عقيدته الأرثوذكسية القويمة، إلى مذهب آخر، سألته: فقال من ضمن كلماته، أنه يشعر بأن حالته الروحية الآن هى أفضل من ذى قبل بمقدار ٢٠ مرة، فقلت فى نفسى أن هذه هى ضربة شيطانية يضرب بها الإنسان، أن يظن نفسه قديساً وهذه أول خطوة

جـريئة نحـو جهنـم، أننا لسنا من أولئك الذين حالما يعرفون شيئاً عن المسيح، يقول أنا خلصت.

أخى الخلاص أشبه لك بنهر عظيم، مهما أخذت منه فلا تستطيع أن تقول أننى أخذته كله، وهل علمت الأذى الذى يعود عليك من تصريحك بهذه الكلمة أو لا؟، متى عرفت أنك خلصت إذاً لا حاجة بك أن تتقدم فى النعمة، إنما نحن شعارنا شعار بولس الرسول الذى كان يقول عن نفسه، أنه يسعى لكى يدرك الذى من أجله أدركه المسيح، أنه لم يبلغ إلى الكمال، ولكن للوصول إلى الكمال يفعل شيئاً واحداً، ينسى ما هو وراء ويمتد إلى ما هو قدام ـ قال الأنبا أنطونيوس: «أبصرت فخاخ الشيطان مبسوطة على كل الأرض، فتنهدت وقلت من يستطيع أن يفلت من كل هذه يارب؟، فأتانى صوت من السماء قائلا المتواضعون يفلتون منها».

سُئل الأب مكاريوس أيما أعظم الفضائل؟ فأجاب: «إذا كانت الكبرياء أشر الرذائل كلها، حتى أنها طرحت طغمة الملائكة من السماء، فبلاشك يكون التواضع أعظم الفضائل كلها، لأنه يقدر على أن يرفع من الأعماق المتمسك به ولو كان خاطئاً، ولذلك أعطى الرب الطوبى للمساكين بالروح»، وقال أحدهم «تشبه بالعشار لئلا تدان مع الفريسى».

ليت الله يعطينا يقظة الإيمان فنحسب نفوسنا أنها لا شىء أمامه، ليتنا نتواضع أمامه فيعطينا من لدنه معونة وقوة، لماذا؟ لأنه يقول «إن قوتى فى الضعف تكمل».

له المجد فى كنيسته من الآن وإلى الأبد آمين.

٨- الجهاد القانونى

الإنسان كُلٌ لا يتجزأ، والحياة الروحية كالحياة العقلية والذهنية، كالحياة الطبيعية البدنية والجسدية، لابد فيها من تخطيط ومن نظام، فإذا قلنا كلمة نظام فى الحياة الروحية نتذكر كلمة طقس، لأن كلمة طقسْ معناها نظام، ونحن لنا فى عبادتنا الجمهورية طقوس بمعنى نظامات وترتيبات، ولنا فى حياتنا الفردية وعبادتنا الشخصية نظام وطقوس، والحياة الروحية إن لم تبن على النظام فستنتهى قطعاً إلى الفشل كالحياة العقلية تماماً، وكالحياة الطبيعية فى الجسم والبدن تماماً، لأنه كما أن الله رتب فى الجسم أعضاء كبيرة وبعضها ينتظم فى شكل جهاز له نظام، كالجهاز الدموى الذى مركزه القلب والشرايين والأوردة والأوعية والشعيرات، وكالجهاز العصبى الذى مركزه المخ والنخاع الشوكى والمخيخ والأعصاب، وكالجهاز التنفسى الذى ينظم الرئتين، وكالجهاز البولى والجهاز التناسلى، فالجسم يتألف من أجهزة وكل جهاز يضم عدد من الأعضاء، وكل هذه الأعضاء وهذه الأجهزة كل منها له إختصاص، ولكن تتعامل جميعاً عن طريق الجهاز العصبى الذى يشرف عليها جميعاً، وبينها تناسق ونظام، وفوق هذا كله العقل أو المخ هو الرئيس الأعلى الذى ينظم الإشارات ويصدر التعليمات ويتلقى الإحساسات ويترجمها إلى أعمال، هكذا العقل وكل الأعمال العقلية، ولا نعرف عالِما صار عالِما من غير أن يكون فى حياته العلّمية نظام، على أساسه يبنى معرفته ويجمع هذه المعلومات بميزان ويصنفها ويرتبها، وعن هذا الطريق يصير عقله منظماً ويصير إنتاجه العلمى أيضا منظماً، وهكذا فى الحياة الروحية لا نعرف قديساً بلغ إلى حياة القداسة ونجح إلى آخر مرحلة من مراحل حياته الروحية إلا وكان فى حياته الروحية نظام، وهذا ما يقوله الرسول بولس «لا يكلل أحد إن لم يجاهد جهاداً قانونياً» نحن لسنا مدعوين إلى مجرد الجهاد بل إلى الجهاد القانونى، إذن هناك جهاد غير قانونى وهناك جهاد قانونى، والجهاد غير القانونى لا يؤدى إلى نتيجة، كالتلميذ الذى يدرس من غير إتباع لقواعد الإستذكار، ويقضى الساعات ويسهر الليالى والناس يعجبون من صبره على العمل، ومع ذلك يفشل فى نهاية العام، فليست المسألة عدد الساعات التى يقضيها وإن كان الكم فى ذات الوقت مفيداً، لكن لأن هذا الطالب جاهد جهاداً غير قانونى فلم يؤد به جهاده إلى النجاح الحقيقى، وهكذا فى الحياة الروحية هناك جهاد غير قانونى، ربما يبرز شخص بين الجماهير بصلواته الكثيرة، وربما بوعظه الكثير لدرجة الهوس فيتكلم كثيراً ويعظ غيره كثيراً، وربما يكون من بين أولئك الذين يقول المسيح لهم يوم الدين «اذهبوا عنى لا أعرفكم»، كيف ذلك يارب بإسمك تنبأنا وبإسمك أخرجنا شياطين، فيقول لهم اذهبوا

عنى لا أعرفكم، لقد جاهد هذا الفريق من الناس وكرز وبشر ولكنه لم يُعترف أمام المسيح بجهادهم، فهم كأناس يصيحون باسم المسيح ويصيحون بالحياة الروحية وملأوا الدنيا صياحاً وملأوا الدنيا صلاة، وملأوا الدنيا دوياً، ولم تكفيهم إجتماعات الكنيسة وإنما انطلقوا حتى فى المنازل لأنهم أحسوا أنهم محبسون ويريدون أن ينطلقوا، ومع ذلك لا ينفع هذا الطراز من الجهاد إن لم يكن جهاداً قانونياً، لهذا كانت الأرثوذكسية هى أرثوذكسية الإيمان وأرثوذكسية السيرة معا، قال الرسول بولس «هناك أُناس كنت أذكرهم بفرح لكنى الآن أذكرهم بدموع، لأنهم صاروا أعداء صليب المسيح» كيف هذا؟ كيف لهؤلاء الذين كان الرسول يذكرهم بفرح كيف الآن يذكرهم بدموع؟ كيف صاروا أعداء صليب المسيح؟ أين جهادهم الأول؟ وكيف ضاع؟ كيف لم يحسب لهم وكيف أدى إلى الفشل؟ على الرغم من كمية الجهاد، على الرغم من صوت الجهاد وطرقات الجهاد وصياح الجهاد، وعلى الرغم من أنهم كانوا بارزين ومعلومين ومعروفين، كيف ضاعوا فى الزحام؟ كيف طرقوا الباب فى الساعة وفى اليوم الأخير وكان الباب قد أُغلق من دونهم، وقالوا «يارب يارب افتح لنا»، والصوت من الداخل يقول: اذهبوا عنى لا أعرفكم، فالجهاد ينبغى أن يكون جهاداً قانونياً ومن هنا يجب أن نعرف منذ الإبتداء أن الجهاد مطلوب، لكن مع ضرورة ملازمة أن يكون الجهاد أصولياً وأن يكون قانونياً، وأن يكون طبقا لقواعد معينة تؤدى إلى النجاح الأخير، والرسول يقول: «كثيرون يجرون وواحد يأخذ الجعالة»، كثيرون يجرون ثم يخيبون وواحد يأخذ الجعالة، والمسيح فى سفر الرؤيا يقول: «كن أميناً إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة»، وفى موضع آخر يقول: جاهد لئلا يأخذ أحد إكليلك، إذن ممكن أن يكون لك إكليل ويرفع الإكليل عنك، ويمكن أن يكون لك جهاد ويضيع إكليلك، وتكون كأولئك الذين ذكرهم الرسول بدموع لأنهم صاروا أعداء صليب المسيح، فحاذر واقترب إلى حياة القداسة فى تخوف وفى ورع، وسل الذين قبلك عن الطريق لئلا تسير فى طريق ضال أو طريق مسدود لا يؤدى إلى شىء، من هنا كانت الخبرة السابقة، ومن هنا كان المرشدون وأهميتهم، ومن هنا رسمت الكنيسة المقدسة لطريق الجهاد وسائط، وهذه الوسائط تحت إشراف المختبرون والآباء المفوضون والمكلفون بأن يكونوا حُراس الشريعة وقادة المؤمنين، فالكنيسة هى سفارة السماء على الأرض، وللكنيسة حكومة وحكومتها هى سر الكهنوت، فلا تبنى حياتك من غير هذه القيادة الكنسية، جهادك لن يعترف به لا فى السماء ولا على الأرض وأضرب لك مثلا:

كرنيليوس والقديس بطرس:

كرنيليوس الرجل الذى كان وثنياً وإيطالياً من الكتيبة التى تدعى الإيطالية، وكان تقياً

يخاف الله وكان يصنع صدقات كثيرة، وكان يصوم إلى الساعة التاسعة من النهار، وكان يصلى كثيراً، وفيما هو يصلى ظهر له ملاك من السماء وقال: «يا كرنيليوس إن صدقاتك وصلواتك صعدت تذكاراً أمام الله، فأرسل إلى يافا واستدعى سمعان الملقب بطرس يكلمك كلاماً به تخلص أنت وأهل بيتك» لو ظهر لواحد منا اليوم ملاكاً من السماء وسمع منه كلمتين لطار فى الدنيا، ولضرب عرض الحائط بالكنيسة والأساقفة والكهنة، ولقال أن صلتى بالله مباشرة ولا أحتاج إلى وسيط، ولا أحتاج للمعمودية ولا أحتاج للأسرار، لا يوجد أفضل من شهادة من السماء.

جاء الملاك وقال لكرنيليوس صدقاتك وصلواتك صعدت تذكاراً أمام الله، ولكن ينقصك شيء ـ قال له الملاك أرسل إلى يافا وإستدعى سمعان الملقب بطرس يكلمك كلاماً تخلص به، ما هو هذا الكلام؟

الملاك جاء من السماء ولا يعرف أن يقول الكلام الذى يقوله سمعان بطرس، كيف؟ لأنه ليس من إختصاصه، سمعان بطرس وغيره من الآباء الرسل، المسيح أعطاهم سلطان لم يعطه للملائكة ولا لرؤساء الملائكة، لأنه على قول يوحنا ذهبى الفم «لم يقل للملائكة ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً فى السماء وما تحلونه على الأرض يكون محلولاً فى السماء» وهؤلاء أصبحوا مسئولين ووكلاء سرائر الله التى تشتهى الملائكة أن تطلع عليها، هذا أمر الله صاحب الشريعة، هذا تنظيم الله، «ارسل إلى يافا واستدعى سمعان الملقب بطرس يكلمك كلاماً تخلص به أنت وأهل بيتك» فأرسل كرنيليوس ثلاثة رجال من قبله فوجدوا سمعان الملقب بطرس نازل عند رجل دباغ، وكان فى هذا الوقت واقف يصلى فى الساعة السادسة من النهار، فأخذ فى غيبة، «غيبة» ـ هنا تعنى رؤيا، وهى أن الإنسان يكون فى الجسد ولا يشعر بالجسد ويحدث له إختطاف عقلى ـ فرأى رؤيا، رأى ملاءة نازلة من السماء مشدودة من الأربعة أطراف وفيها من كل الحيوانات التى على الأرض وسمع صوت من السماء يقول: يابطرس قم اذبح وكُل، فقال: لا يارب لم يدخل فى فمى شيء دنس أو نجس ،قال له ما طهره الله لا تنجسه أنت، وكان هذا على ثلاث مرات، ثم بعد ذلك صعدت الملاءة إلى السماء، وفى هذا الوقت طرق الباب هؤلاء الجند الثلاثة الذين جاءوا من قبل كرنيليوس، وقالوا له على الرؤيا التى رآها كرنيليوس، ففهم بطرس الرؤيا وفهم كلمة «ما طهره الله لا تنجسه أنت»، لكن لماذا هذا الطريق المعقد؟ لماذا لا يقول له هذا الكلام؟ لماذا لا تظهر له مباشرة كما يقول إخواننا البروتستانت، ما هو لزوم الكهنوت؟ يقول لا... أنا أصبحت الآن رئيس الكنيسة غير المنظور، إنما أقمت بالنيابة عنى رؤساء للكنيسة منظورين، هؤلاء هم الوكلاء عنى فى الدنيا وسأحاسبهم عن الوكالة فى اليوم

الأخير، حينما أقول : اعطنى حساب وكالتك، فطالما هم وكلاء فهم مفوضون أن يتصرفوا «لتعرف أن تتصرف فى كنيسة الله التى هى عمود الحق وقاعدته» لهم مطلق الحرية أن يتصرفوا كوكلاء وعن هذا التصرف سوف يدانون أمام المحكمة العليا إذا كانوا قد أحسنوا التصرف أو لم يحسنوا، إذا كانوا قد حفظوا الوكالة وشرفوا سيدهم الذى أعطى لهم هذه الوكالة، أم كانوا سبب تجديف لسيدهم فى عيون الخدام والعبيد، قبل أن أصعد إلى السماء أرسلتهم ووضعت يديّ عليهم ونفخت فى وجوههم وقلت لهم «اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياه تغفر له ومن أمسكتموها عليه تمسك»، وأمرتهم أن يبقوا فى مدينة أورشليم إلى أن يلبسوا قوة من الأعالى، وظلوا إلى يوم الخمسين من قيامتى وحل الروح القدس عليهم وأكسبهم فاعليات لجميع السلطات التى أعطيتم إياها، وأصبحوا هم وكلائى وأنا لن أنقض نفسي، أعطيتهم سلطان لن أسترده فهم مفوضون، آه لو كان كرنيليوس كلمه الملاك بكلام نافع لكان قد جرى فى الأرض طولاً وعرضاً، ولصار مرحاً ولداس بقدميه سمعان بطرس وغير سمعان بطرس، من هؤلاء؟ أنا كلمنى ملاك، لكن الملاك كان مؤدباً وكان يعرف حدود إختصاصه، فلم يسمح لنفسه أن يتعدى حدوده، ولم يُجز لنفسه أن يعطى كلمة الخلاص لكرنيليوس حتى لا يشعر كرنيليوس بأنه فى غنى عن الكنيسة، بهذا الموقف الإلهى عرف كرنيليوس من هو بطرس، ولذلك حينما دخل إليه سمعان بطرس سجد عند قدميه، فأقامه بطرس وقال له قم أنا أيضا إنسان، إن أدب الملاك ألزم كرنيليوس أن يعرف نظام الكنيسة وأن يعرف قانونية الجهاد، ولذلك فتح أذنيه وقلبه وجمع أهل بيته وأصغى بالتمام إلى كل ما يقوله القديس بطرس، ولما رأى بطرس علامة على أن هؤلاء قد قبلوا الإيمان عن إقتناع، قام فى الحال وعمدهم وبعد العماد ثبتهم بسر التثبيت ووضع يديه عليهم فحل الروح القدس عليهم، هذه قصة إنجيلية تريكم أن للسماء نظام، وأن للحياة الروحية قانون، وأن الجهاد لا يصلح خارج الكنيسة هكذا تُعلّم الكنيسة منذ بدئها، أنه لا خلاص خارج الكنيسة، لأن الكنيسة هى منظمة السماء على الأرض، هى السفارة والسفارة لا تنتمى إلى البلد التى هى فيها، ولكن تنتمى إلى البلد التى هى منها والتى تمثلها، والمسيح قال لتلاميذه: «لستم من العالم ولو أنى أنا أخذتكم من العالم»، أصبحت الكنيسة سفارة السماء على الأرض أو كما يقول الآباء «الطاقة التى تطل من السماء على الأرض»، وهذا هو السبب أيضا فى أن الكنيسة تضاء من الأعالى فى سقوفها بالأنوار كما تضئ السماء بنجوم.

شاول والسيد المسيح:

وقصة أخرى إنجيلية أيضا، قصة شاول الذى هو بولس، المسيح أحبه حتى وهو يضطهد الكنيسة لأنه اضطهد الكنيسة لا بحقد ولا بخبث وإنما اضطهدها بإخلاص،

شاعراً أنها هرطقة وبدعة ضد ديانة الله الحقيقية وهى الموسوية أو اليهودية، فإضطهدها بإفراط ولكن عن جهل، وفى بساطة وعدم إيمان، ويبدو وأنه على الرغم من أن بولس كان معاصراً للمسيح لأنه فى سن متقارب لسن المسيح على الأرض، لكنه لم يعرف بعد المسيح المعرفة الكاملة، فأراد المسيح أن يظهر له، وهو فى طريقه إلى دمشق ليصدر قرار من رئيس الكهنة ليزج فى السجون عدداً من المسيحيين والمسيحيات إلى آخر هذه القصة التى تقرأونها فى الأصحاح التاسع من سفر الأعمال، والتى أعاد ذكرها بولس الرسول مرتين آخريين فى الأصحاح الثانى والعشرين وفى الأصحاح السادس والعشرين من سفر الأعمال، ظهر له المسيح وقال له: ياشاول لماذا تضطهدنى؟ فقال: من أنت ياسيد فقال: أنا يسوع الناصرى الذى أنت تضطهده، فقال بإخلاص بعد أن إستنارت عيناه القلبية، أما عيناه الظاهرتان فقد غشاها النور فصار أعمى لا يبصر الطريق، قال «ماذا تريد يارب أن أفعل» عرف أن المسيح الرب، فقال له: ادخل إلى المدينة إلى دمشق وهناك يقال لك ماذا ينبغى أن تفعل، أنت بذاتك يارب ظهرت لى، وأنرت لى الطريق، كلمنى أنت، من هذا الذى يكلمنى غيرك، يقول المسيح لا.. التكميل لم يعد من إختصاصى الآن، أنا رئيس الكنيسة غير المنظور أنا رأس الجسد، ومادمت قد أقمت وكلاء ووهبتهم السلطان فكيف اسحب كلمتى، ادخل إلى المدينة وحينئذ يقال لك ماذا ينبغى أن تفعل، وظهر الرب فى رؤيا لحَنانِيّا أحد السبعين رسولاً كما جاء فى نفس الأصحاح التاسع، وقال له: ياحنَانِيّا اذهب إلى الزقاق الذى يقال له المستقيم، وهناك اطلب فى بيت يهوذا رجل اسمه شاول لأنى اخترته لى إناء مختار، وضع يدك عليه ليبصر لأنه أعمى ولكى يقبل الروح القدس، فذهب حنَانِيّا بأمر الرب بالرؤيا وذهب إلى الزقاق الذى يقال له المستقيم وطلب فى بيت يهوذا الرجل الذى اسمه شاول والذى شهد عنه الرب، وقال له: أيها الأخ شاول لقد ظهر لى الرب الذى ظهر لك فى الطريق وأمرنى أن أضع يَدَّى عليك لكى تبصر، فنهض شاول بإحترام وتوقير للرجل الذى أمره الرب أن يضع يديه عليه لكى يبصر وفعلا أبصر ونزل من عينيه شىء كالقشور، من هو حنَانِيّا بإزاء بولس، الحقيقة أن حنَانِيّا لا يساوى شيئاً فى شهرة الإيمان للقديس بولس، صحيح أن حنَانِيّا كان أحد السبعين، لكن بولس غطى بجهاده و كفاحه على حنَانِيّا، فرغم ظهور المسيح لبولس الرسول فى الطريق، احتاج إلى حنَانِيّا الذى قال له: أيها الأخ شاول قم واعتمد واغسل خطاياك، فخضع شاول لرجل أقل منه شأناً وأقل منه مستقبلاً، لكن لأنه مرسل من قبل الرب يسوع ولأنه يحمل سلطان لم ينل شاول شيئاً منه بعد، فخضع شاول وقام واعتمد وغسل خطاياه ووضع حنَانِيّا يديه عليه فحل الروح القدس، حتى لو كان بولس تقياً فتقواه لا تعفيه أبدا من أن يخضع لحملة الدرجات الكهنوتية الذين وهبهم الرب هذا السلطان أن يكونوا وكلاءه،

مهما كان شاول تقياً ومهما كان عالماً، لا يستطيع أن يتخطى النظام الذى وضعه الرب. مرة ثانية يارب لماذا هذه التعقيدات؟ كلم شاول مباشرة، يقول لا.. هذه سياستى، هذه طريقتى، أنا لا أعارض نفسى، أنا وضعت نظاماً لن أكسره، أنا الرب ولكن نظام الكنيسة يسرى حتى علىَّ أنا، لأنى أنا واضع النظام، والسماء والأرض تزولان ولكن كلمة من كلامى لا تسقط على الأرض ولا تزول، ومرة ثانية شاول الذى تعمد وحل الروح القدس عليه بسر التثبيت، لم يصر رسولاً لا بشهادة المسيح ولا برؤى المسيح، ولا بوضع يدى حنَانِيّا عليه للتثبيت وهو السر الثانى من أسرار الكنيسة الذى نسميه بالميرون، إنما لكى يصير شاول رسولاً كان لابد له أن يتقدم إلى الكنيسة لينال درجة الكهنوت رسمياً لا من المسيح بل من الكنيسة لأنها كنيسة المسيح، يقول الكتاب فى الأصحاح الثالث عشر من سفر الأعمال: «قال الروح القدس افرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما أنا إليه» من الذى يتكلم؟ الروح القدس هو الراعى أنا دعوتهما إليه، أمر للكنيسة، يقول الكتاب «فحينئذ صاموا وصلوا ووضعوا عليهما الأيادى ثم أطلقوهما» لم يكفِ دعوة المسيح من السماء وصوته من السماء والنور الذى أضاء، لم تكفِ الرؤيا لحنَانِيّا، لم تكفِ دعوة الروح القدس بصراحة أنه دعاهما إلى الخدمة، لابد من إرسالية الكنيسة، حكومة السماء على الأرض، مملكة المسيح على الأرض لها إحترامها، وصاحب هذا الاحترام هو المسيح نفسه، لأنه هو واضع النظام، صاموا وصلوا ووضعوا عليهما الأيادى وأطلقوهما، ما كان يمكن أن يُعترف ببولس الرسول رسولاً إلا حينما وضعت الكنيسة المنظورة اليد عليه لينال سر الكهنوت ويُصبح قانونياً، دعوة المسيح له لم تكفِ لأن تجعله قانونياً، دعوة الروح القدس لم تكفِ لأن تجعله قانونياً، إنما بالإضافة إلى الدعوتين كان لابد من اعتراف الكنيسة رسمياً وحلول الروح القدس عن طريق واسطة الخلاص التى رسمها الرب فى الكنيسة وهو وضع أيدى الرسل المعتبرين فى الكنيسة وكلاء سرائر الله، من أجل هذا جرؤ بولس الرسول من أن يقول فيما بعد «لقد تسلّمت من الرب ما سلّمتكم» لم يتسلم من الرب مباشرة وإنما تسلمه من الكنيسة، لكن لأن الكنيسة هى سفارة السماء وحكومة السماء على الأرض، لذلك أمكن للرسول أن يقول قد تسلّمت من الرب ما سلّمتكم، لأن ما تسلّمه من الرسل فقد تسلّمه من الرب، لأن الروح القدس فى الكنيسة ولأنه الفاعل فى الكنيسة، لاخلاص خارج الكنيسة ولا خدمة خارج الكنيسة، الكنيسة لا تعترف بخدمة إلا إذا كان هذا الإنسان مرسلاً من قبل الكنيسة، وفى الحياة الروحية الخاصة كالحياة الكنسية تماماً، لا ينفع جهاد ما لم يكن جهاداً قانونياً، مهما بلغت درجتك فى التقوى ولو كنت خليل الله كإبراهيم، الذى قال الرب عنه «هل أُخفى عن إبراهيم ما أنا فاعله» خليل الله خضع لملكى صادق وباركه، ملكى صادق كان كاهناً لله العلى وبين الأصحاح

الرابع عشر من سفر التكوين حيث وردت هذه القصة، وبين الأصحاح السابع من رسالة القديس بولس إلى العبرانيين، المقارنة الجميلة التى عقدها الرسول بولس بين إبراهيم وفى صلبه الكهنوت الهارونى، وبين ملكى صادق وفى صلبة الكهنوت المسيحى، خضع إبراهيم وهو خليل الله لملكى صادق والرسول يقول الأصغر يبارك من الأكبر، إذن كان إبراهيم هو الأصغر وكان ملكى صادق هو الأكبر كيف هذا؟ إبراهيم خليل الله الأصغر وملكى صادق هو الأكبر، والأصغر يُبارك من الأكبر كيف تفهمون هذا؟ كيف تفهمون أن إبراهيم هو الأصغر وهو خليل الله؟ لأن ملكى صادق كان كاهن الله العلى.

التقوى الحقيقية

عدم الغرور:

والتقى الحقيقى هو الذى لا يغتر ولاَ يَّدعى لنفسه سلطات وإختصاصات يعتدى بها على الكهنوت، بين الأسئلة أمامى نحو ثلاثين سؤال عن امرأة فى المنوفية تدهن بالزيت، من أعطى لهذه المرأة هذا السلطان؟ وحتى لو كانت رجلاً فليس لرجل أن يدهن آخرين بالزيت ما لم يكن كاهناً، ما هذا الهراء؟ وما هذا العبث فى المقادس والمحرمات؟ لقد أعطى المسيح للرسل أن يشفوا المرضى، ويقول الكتاب «فدهنوا بزيت مرضى كثيرين فشفوهم» والرسول يعقوب يقول «أمريض أحد بينكم فليدعو كهنة الكنيسة» من أين لامرأة أو لرجل أن يَدَّعى لنفسه حق الكهنوت؟ هذا العبث بالنار، هــذه خطيئــة قورح وداثان وأبيرام، الذين بناء على عبارة سمعوها أن «الأمة كلها مقدسة» قالوا: لماذا موسى وهرون؟ الأمة كلها مقدسة وحمل مئتان وخمسون رجلاً مجامر ودخلوا بها إلى الهيكل فإعترضهم موسى فلم يقبلوا إعتراضه، فصرخ موسى إلى الرب فكان الجواب نار من السماء نزلت وأحرقت المئتين والخمسين فماتوا، وقال الرب خذوا هذه المجامر وصفحوها على المذبح لتبقى لذكر أبدى، خانوا الرب خيانة، وتعدوا الكهنوت، فتظاهر مع هؤلاء أقربائهم وأنسبائهم، فقال الرب اعتزلوا من وسط هذه الجماعة، وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم أحياء، وكان هذا عبرة.

وحدث مثل هذا لعزيا وهو ملك من ملوك بنى إسرائيل، كان تقياً يخاف الله وبلغ بتقواه درجة الغرور، ضُرب بالضربة اليمينية وأحس أنه لا يقل عن الكهنة شيئاً، بل ربما يزيد عنهم تقوى وقرباً إلى الله، وأمسك بالمجمرة وهو ملك ودخل إلى الأقداس فتعرض له رئيس الكهنة، وقال له ليس لك يا عزيا بل للكهنة أن يقربوا أمام الرب، هوذا يد الرب عليك فتكون للبرص، فصار عزيا الملك أبرص، وطرد لا من بيت الرب فقط بل طرد من الملك أيضاً، وطرد من وسط الجماعة كلها.

ورجل اسمه عُزه ببراءة وبساطة رأى تابوت العهد محمولاً على البقر وكاد التابوت أن يقع من على الثيران، فأخذته الغيرة فاندفع نحو التابوت وأمسك به، لأنه رأى أن التابوت سيسقط فضربة الرب وأماته، حتى إغتاظ داود جداً، هذا الرجل ببساطة وبسلامة قلب وبغيرة لم يقصد التعدى، وكان من بنى لاوى، ولكنه لأنه لم يكن كاهناً على الرغم من بساطته وعلى الرغم من نقاوة قلبه وحسن قصده وغيرته وخوفه على التابوت أن يقع، لكن من الذى أعطاك هذا السلطان أن تمد يدك على تابوت الرب، حسنة هى غيرتك لكنها ليست حسب المعرفة، لتكن تقياً لكن تقواك ليست قانونية، لا يكلل أحد إن لم يجاهد قانونياً، لماذا كُتبت هذه الأمور فى الكتب المقدسة، أليست لتعليمنا، فلماذا نحتاج نحن من جديد أن نرى أشخاصاً يتعدون على إختصاصات الكهنوت ونحن قد أشرفنا على القرن الـ٢١، يجب أن نخاف و«رأس الحكمة مخافة الرب» وليست التقوى معناها الجسارة والتعدى والتحدى، كل فرد يلزم حدوده ويلزم إختصاصه ومهما بلغت بك تقواك ومهما بلغت بك غيرتك إلزم حدودك وضع حياتك تحت ترتيب الكنيسة، واخضع نفسك لتدبير المدبرين الذين أقيموا فى الكنيسة على هذه المسئولية ولا تدخل فى دينونة غيرك، اخضعوا تحت يد الله القوية.

التواضع:

والسؤال هنا ما هى أول فضيلة فى سلم الفضائل؟ أجاب القديس أوغسطينوس على هذا السؤال عندما سُئل ما هو أول شىء ينبغى على المسيحى أن يتعلمه؟ فقال أول فضيلة هى التواضع، وما هو التواضع؟ هل التواضع أن تقول أنا خاطىء وأنت من الداخل تشعر أنك غير خاطىء، التواضع الحقيقى ليس هو أنك تقول أنا خاطىء بلسانك، وقلبك من الداخل مملوء كبرياء مستورة وكبرياء خفية وكبرياء روحية، الكبرياء الروحية يصاب بها المتدينون، الأتقياء أول من يصاب بالكبرياء الروحية، المتدينون الذين مازالوا على الشاطىء ولكنهم ملأوا الدنيا صياحاً، الذين لم يعرفوا طريق التخبئة، الروحانية الأرثوذكسية تقوم أصلاً على سياسة التخبئة لأنها سياسة الرب فى الطبيعة، ما هى الطبيعة؟ مثلا النبات ينزل لداخل الأرض، لا يرتفع إلى فوق قبل أن ينزل إلى أسفل، ويختبئ داخل الأرض مدة طويلة حتى ينبت ويظهر، هذه هى التخبئة، يوجد البعض عندما يسمع المرأة السامرية يقول المرأة السامرية قبلت الخلاص وبشرت، كيف بشرت؟! كلمة بشرت هنا بمعنى أذاعت، وليس بشرت بمعنى تحولت إلى معلّم فى الكنيسة، حاشا للكنيسة ذلك، حضرته بالأمس خَلُص واليوم هو مُخَلّص، لا.. يابنى خبىء النعمة فى قلبك وقتاً كافياً لكى تدخل

إلى أعماقك، قطعة اللحم التى يعلو عليها النار تحرق من الخارج وتكون من الداخل نيئة، والطباخ الماهر الذى يخفض النار لكى تستوى من الداخل أولاً لئلا تخدعه بمظهرها الخارجى أنها استوت ومن الداخل تكون نيئة، يوجد كثير من الناس تسر بهذه السياسة، سياسة (الشعوطة) بالأمس خلُص واليوم صار مُخَلْص العالم، لا.. ياابنى الفضيلة سُلُم، وأحد الآباء القديسين كتب كتاب اسمه سُلُم الفضائل، ولذلك يسموه. يوحنا الدرجى لأن الفضيلة درجات، الفضيلة مستويات، الفضيلة سُلُم، لابد أن تعرف نفسك جيداً، نحن نقاوم قوات روحية خفية، نحن نقاوم شيوخ الشياطين، ما هو عمرك بالنسبة للشيطان مائة سنة، انظر الشيطان كام سنة، من خلقة العالم، ما هى حكمتك أمام حكمته، هو قوة عاقلة كبيرة وضخمة، هذا الشيطان متفرغ ومتخصص للحرب، لكن حربة خفية ما هى قدرتك أمامه، ولابد أن تكون أسلحتنا أيضاً خفية، لا تبيع بضاعتك بسرعة وإلا ستفلس سريعاً، ثم يخرج الكلام بعد ذلك كثيراً جداً جداً لكن ليس له فائدة، لأن صاحبه أصبح فارغ من الداخل، مثل السوس عندما يأكل البلحة أو أى ثمرة، تكون من الخارج شكل بلحة ومن الداخل فاضية، كثير من الناس لهم مظاهر من الخارج لكن من الداخل فاضى، اهتم بسياسة التخبئة «خبأت كلامك فى قلبى لكى لا أخطىء إليك»، كى تنمو نمواً طبيعياً كالنمو الذى فى الطبيعة، لكى يكون جهادك قانونى سر بطريقة خفية، عندما تكون عندك جوهرة، لو عرضتها للضوء تفقد بهاءها فلابد أن تخبئها، الشمعة فى البداية عندما تضىء لابد أن تخفى عود الكبريت أولاً حتى لا تنطفىء، أما بعد أن تضىء الشمعة تكون قوية، النبات الصغير فى الشارع يسوروا حوله بسور حديد خوفاً عليه من الهواء أو من أى حيوان يأكله أو أحد يتكىء عليه فينكسر، لكن عندما تكبر وتكون شجرة يرفعوا الحديد وعندما يهزها الهواء تزداد رسوخاً وعمقاً فى الأرض، يا من تبت اليوم سر فى سياسة التخبئة، هذا هو الجهاد القانونى، الجهاد الذى بالقانون الأرثوذكسى وبالروحانية الأرثوذكسية، وبسياسة التخبئة سياسة الله فى الطبيعة، الألماظ الذى عمله الله له ملايين السنين تحت الأرض، أصله شجرة إختفت تحت الأرض وتَحَوَّلت إلى فحم حجرى، وبعد ملايين السنين تبلور ولمع وأصبح ألماظ، هذا هو الألماظ الذى عمله الله، أما الألماظ الصناعى يوجد منه الكثير، إنما الألماظ الحقيقى غالى جداً بملايين الجنيهات لأنه ألماظ طبيعى، لأنه ألماظ تَكَوَّن فى ملايين السنين. حياتك الروحية إن كانت على هذا الطراز السريع وعلى هذا الطراز السطحى، لا تؤدى لنتيجة، إنما إن سارت فى طريق السُلُم الصاعد خطوة بعد خطوة وتحت رقابة المراقبين وتحت إرشاد المرشدين، وتحت توجيه الموجهين، وتحت سلطان الكنيسة، وفى داخل نطاق الكنيسة، وبوسائط الخلاص المرتبة فى الكنيسة بهذا تخلص، وهذا هو الجهاد القانونى.

٩- سيدى يا قداسة البابا![1]

لست أدرى أفى حلم من أحلام الليل أم فى حلم من أحلام اليقظة، شرد ذهنى عن عالم الحس والشهادة، وغاب عن الوجود الواقعى الملموس، وإذا به يرتقى ويصعد، حتى أدرك عالماً آخر ووجوداً آخر، رأى فيه كائنات تروح وتجىء، ظننتها تملك ما نملك من جسوم مادية وأعضاء حسية، لولا أننى رأيت واحداً منهم ظهر لعينى ثم اختفى بصورة فجائية، أدركت بعدها أننى فى عالم الروح لا فى عالم المادة. ولما كان الجميع متبسمين، تعلو وجوههم فرحة وبهجة، وكان المقر يعطره أريج رائحة ذكية انتعش لشذاها قلبى، أيقنت قطعاً أننى بين قديسين يقيمون فى فردوس النعيم.

قلت فى نفسى كيف أفقد فرصة كهذه ثمينة، ولا أصطحب الواحد منهم بعد الآخر ليحدثنى عن نفسه وعن خبرته، حديثاً ينفعنى وينفع الكنيسة كلها، مادام العالم الآخر مغلقاً عنا، ولم يعد إلينا واحد منهم ليخبرنا عما يراه أو يسمعه.

ولكننى لم أشأ أن أندفع للسؤال قبل أن أصلى إلى سيدى الرب، فطامنت لعظمته وقلت «... ها أنا أشرع أكلم المولى وأنا تراب ورماد، صغير أنا عن جميع ألطافك وعن جميع الأمانة التى صنعت إلى عبدك، أنت تعلم يا مخلصى أننى أبغى خيراً من سؤالى، فلا تحرمنى معونتك. أنهم كثيرون، ولست أعلم زمان إقامتى فى هذا الوجود الروحانى، فليكن أن الروح الذى يتمثل أمامى بشراً بعد أن أرفع رأسى هو أول من تشاء يا ربى أن أكلمه لأنتفع بحديثه... استجبنى يارب استجبنى...».

.. ولما إنتهيت من صلاتى رفعت عينىَّ، فإذا به شيخ كريم الشيبة، أغر البهاء، جميل الطلعة بسام المحيا، عليه جلالة عجيبة سامية، وكأن صوتاً خفياً ولكنه واضح وقوى ينادينى من أعماقى.. هو القديس ألكسندروس بابا الأسكندرية التاسع عشر.

فأمسكت بقدميه وقبلتها وقلت: سيدى البابا.. إلى مقامك الرسولى الجليل، وشخصك الوقور العظيم، يا معلّمى البابا ألكسندروس، أرفع تحيتى وأقدم أعمق إجلالى، فهل لا تشاء أن تقف معى قليلاً؟

فوضع يده علىّ وقال «يباركك الرب ويحرسك، يضىء الرب بوجهه عليك ويرحمك، يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً».

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد السنة ٢ ـ العدد ١٠ فى مارس ١٩٤٩م.

ولما أقامنى أمامه رأى دموعاً على وجنتى فقال.. أتبكى؟ ولِم؟ قلت إننى محترق القلب شوقاً إلى من يمنحنى يا سيدى مثل هذه البركة بهذه اللهجة الروحانية العميقة، وهذا الحنان الرعوى الرسولى الواضح، فلما منحتنى إياها فرحت واشتد فرحى فإنفعلت، وتمنيت لأبناء كنيستى مثلها، فبكيت.

قال: ولكنك عرفتنى باسمى، فمن أين لك هذا، وأنت لم ترنى قبلاً؟

قلت: لقد قرأت تاريخك، فلما رأيت وجهك: خيل إلىّ أنك هو، ولكن صوتاً كلمنى فى أعماقى بنداء ملحف واضح ولم يدعنى أشك. فلما كلمتنى هكذا أيقنت أيضاً أن الصوت من الله.

قال: ومن عَلّمك هذا الأدب فى تحية البطاركة؟

قلت: لما كنت صغيراً، كان كاهن البلدة رجلاً فاضلاً رزيناً ورعاً وواعظاً مؤثراً، ولكنى لم أكن أفهم الوعظ، غير أن منظره ووقفته ومشيته وصلاته كانت ذات أثر فى قلبى، لا يمكننى أن أصور مدى عمقه فى قلبى الصغير. غير أنه قد استبد بى خيال الطفولة الجامح، فحسبته غير بشر، وآمنت أنه كائن من عل، ولقد امتد بى الخيال حتى حسبته لا يأكل مثلنا ولا يشرب، ولعل ملبوسه الخاص الذى كان يتميز به عن جميع أفراد الشعب، غَذَّى هذا الخيال فىّ. ومن عناية الله بى أننى لم أر ذلك الكاهن فى غير وقار أو خشوع. فكبرت وكبر معى الإعتقاد فى الكهنوت، وهكذا أكملت الشهادة الإبتدائية، وانتقلت إلى المدرسة الثانوية فى بلدة أخرى كنت أقيم فيها داخلياً، فما كنت أرى الكاهن فى غير يوم الجمعة أو الأحد، وفى غير أوضاع الصلاة الخاشعة.

وانتقلت إلى مصر، ورأيت البابا يؤانس التاسع عشر، ولا أستطيع أن أصف لك الخشوع الذى تملكنى، عندما عرفت أن عينىَّ قد أبصرتا رئيس الأحبار الأعظم بابا الكرازة المرقسية وكل أفريقيا. وجاء دور البابا مكاريوس الثالث وكنت قد بلغت من السن والمعرفة بالناس ما يجعلنى أميز بين شخص وشخص فرأيت هذا القديس الطاهر، ولست أدرى كيف تعلقت بهذه الشخصية تعلقاً، جعلنى أفضله على أبى وأمى وأخى وأختى. وأفكر فيه أكثر مما أفكر فى أى شخص آخر عرفته. قد أكون مبالغاً يا سيدى البابا وقد لا يرى أحد غيرى ما أرى، ولك أنت أن تفسر سر هذا الإعجاب، ولكننى أترجم عن شعور صادق أننى وجدت فى هذا الرجل مثلى الأعلى بين البشر، وفى القرن العشرين. لقد قرأت عن قداسة أسلافنا، ولكنى فرحت بهذه العينة التى أقرأها بعينى أنا، لا فى سطور على ورق، بل فى

حياة وحركة ونور روحانى يشع من كل جوانب شخصيته، وهزة عميقة كانت تتملكنى كلما استمعت إلى صلواته القوية الحارة، وخشوعة المنقطع النظير. أؤكد يا سيدى أننى لم أكن مبالغاً، فلقد رأيت هذا الأثر عينه فى الكثيرين غيرى. ولقد انتعشت الحياة الروحية فى الكنيسة كلها بسببه... وحتى الذين ضايقوه ومرمروا حياته لم ينكروا على الرجل قداسته. وجاءت الأيام فأثبتت أننا لم نكن له أهلاً، وأن غضبته الروحانية جاءت على الكنيسة بلوى محرقة.

هذه هى قصتى، وهذا هو أثر رجال الكهنوت فىَّ، فإذا أضفت إلى هذا كله، ما هو أجّل فى نظرى وأسمى من هذا كله، عقيدتى فى سر الكهنوت وأنه والد الأسرار جميعها، وأنه سلطان ملكوت السموات والأرض، وأنه يؤهل صاحبه لمهمة لا يجرؤ على الإقتراب منها والتطلع إليها ملائكة السموات ورؤساءهم.. فقد أبنت عن سر هذا الإجلال العظيم الذى أقابل به سيدى البابا رئيس الرؤساء وقاضى القضاة، وثالث عشر رسل المسيح، ومُعلّم المسكونة.

قال: جميل أن أسمع منك هذا، وجميل أن تتكلم عن سر الكهنوت بهذا الحماس، ولو كشف لك يا ولدى عالم الأرواح لترى الملائكة تأتمر بأمر الكاهن، والشياطين تفزع من صوته، وتخشى أن يُسلَّط عليها سلطانه الكهنوتى، لأدركت أن تعبيرك ذاك ضعيف فاتر.. آه لو علمت كيف خلع الروح القدس على هذا السر كرامة جليلة، حتى إنه وهب الذين نالوه سلطاناً على السموات.. (ثم انخفض صوت البابا فى وقار وقال) بل.. بل إن الله نفسه أيضاً يحضر بجلاله على المذبح بناء على دعائهم. ويختم على أقوالهم التى تصدر من أفواههم.. أما قرأت فى الكتاب المقدس أن السيد «نفخ فى وجوه تلاميذه وقال لهم اقبلوا الروح القدس. من غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم ومن أمسكتموها عليهم تمسك» وأيضاً قوله جلّت قدرته «الحق أقول لكم إن ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً فى السموات، وما تحلونه على الأرض يكون محلولاً فى السموات» أفهل يمكن أن تكون ثمة نصوص أوضح وأصرح من هذه لبيان السلطان الذى وهبه السيد الرب لرسله وخلفائهم من بعدهم؟!!.

قلت: ما أعظم هذا السلطان وما أرهبة، ولقد أجاد الذهبى فمه فى تعبيره عنه حينما قال «فالكهنة أُنتدبوا ليديروا السماويات وهم على الأرض، وأخذوا سلطاناً لم يعطه الله للملائكة ولا لرؤساء الملائكة» ويقول مرة أخرى «إن ساكنى الأرض والقاطنين فيها (الكهنة) قد سمح لهم أن يسوسوا ما فى السموات، وأخذوا سلطاناً لم يعطه الله لا للملائكة

ولا لرؤساء الملائكة، لأنه لم يقل لأولئك ما تربطونه.. يكون مربوطاً.. وما تحلونه يكون محلولاً.. ثم إن للمتسلطين فى الأرض (الملوك والحكام) أن يربطوا، ولكنهم يربطون أجساداً فقط، وأما هذا الرباط (الكهنوتى) فإنه يمس النفس عينها ويجتاز السموات. وما يعمله الكهنة تحت يثبته الله فوق، ويؤيد السيد رأى العبيد». قال: يا ولدى، انشر فى الناس هذا التعليم، واهتم به، لئلا ينسوه إذا لم يحدثهم أحد به، إن أسرار الكنيسة حقائق إلهية خفية، يحتاج المؤمن لإستساغتها إلى قدر كبير من الثقة والإيمان، والإرتفاع عن شواغل المادة، والإرتقاء فوق الحواس، والقياسات المنطقية والعقلية. ولن يصل أمرؤ إلى ذلك إلا بالتواضع والرياضات الروحية.

ثم صمت، وتنهدت تنهداً عميقاً فقال: سأمتحن عقيدتك بسؤال دقيق:

ما قولك فى كاهن يسىء إستغلال السلطان الذى وُهَبَ له من الله؟

قلت: يا سيدى إنك تعرف خيراً مما يعرف عبدك، إن الآباء الرسل يقولون فى الدسقولية (باب ٨) «يجب عليك يا أسقف.. أن تكون عادلاً إذا حكمت وأن تتبع إرادة الله.. لا تكن مسرعاً إلى القطع ولا جسوراً..».

«وأسقف يوجب القضية على أحد ظلماً، فالنقمة تخرج من فيه على نفسه» وما تقوله القوانين «فإن هو ربط وحرم بغير حق طلباً للتشفى من الناس، وإلتماس ذلتهم، وخضوعهم له، فليكن هو المربوط المحروم من الله. وليقم عليه كهنته بالحق الواجب. فإن صعب عليهم أمره، فليرفعوا حاله إلى مطرانه أو بطركه، وليقوموا عليه بالحق، ولا يدعوه يتعدى على خراف المسيح الذين إشتراهم بدمه، ويغيظهم، ويخرجهم إلى التجديف على الله، والكفر بديانته المقدسة. ولا يترك على القضاء بين الناس، ويصرف عن الرياسة» (ع ٢٤).

قال: حقاً إن تعاليم كنيستنا غنية. ولم يحوجنا أباؤنا إلى الإستفتاء فى شأن هذه الأمور، كى نحسن التصرف، ولا نحيد عن التعليم المستقيم.

قلت: لكنه حكم صارم يا سيدى البابا، ولست أعلم كيف يمكننى أن أوفق بين قوانين تأمرنا بالخضوع وإعتبار الأسقف أو البطريرك وكيلاً لله، وإلهاً على الأرض؛ وتنهانا عن أن نتكلم عنه بسوء، وتوصينا بأن نقبل كلامه شريعة الحق وصوت السماء، وبين قوانين تأمر بوجوب الوقوف فى وجه الرئيس، وإعتبار أن حكمه يرتد على نفسه، وأنه هو المحروم والمقطوع إذا قطع أو حرم بالظلم والطغيان.

وليس هذا فقط بل هناك من القوانين ما يُقيّد إرادة البطريرك فتمنعه من أن يأخذ رشوة فى سيامة الأساقفة، أو الأسقف فى سيامة القسوس والشمامسة، وتمنعه كذلك من أن يستجير فى تدبير البيعة بالخوارج أو غير المؤمنين أو رؤساء العالم أى رجال الحكومة أو الضبط. ما قولك يا سيدى البابا فى مثل هذه القوانين التى تنص صراحة على أن مثل هذا الأسقف أو البطريرك «الذى يهزأ بالشعب الذى تحت يده» (دسق ٤) «يقطع» «ويعزل من الرياسة مقهوراً» «وليس هو من قبل الله بل من قبل الناس» «وليس هو أسقفاً».

أفهلا ترى يا سيدى البابا أنها مشكلة تفتقر إلى حل؟ وهل لك أيها الحبر العظيم أن تجيب على سؤالى فتنفعنى وتخرج شعبك من حيرة كبيرة، وتضع حداً للتفسير والتأويل؟

قال: هل الأسقف أو البابا معصوم من الخطأ؟

أجبت: بالطبع كلا يا سيدى.

قال: هل يرى جميع الأقباط رأيك؟

قلت: إنهم ولا سيما الآن لا يحتاجون فيه إلى برهان.

قال: من أجل ذلك حرصت الكنيسة على إبداء حكمها فى كل كاهن يتعدى حدود وظيفته. ويسىء إستغلال سلطانه. لأنه إذا كان الأسقف رقيباً على شعبه، فعليه هو أيضاً رقيب. هكذا تقول الدسقولية: «يجب عليكم أيها الأساقفة أن تكونوا رقباء للشعب فإن رقيبكم أنتم هو المسيح» (باب ٣).

قلت: قد فهمت قولك يا سيدى القديس، ولكن الذى أريد أن أفهمه على وجه الدقة هو هذا «ما هى قوة الحكم الذى يصدر من أسقف أو بطريرك، إذا كان هذا الحكم أو القول مخالفاً لإرادة الله، وضد شريعته، أو لا يتفق والعدالة والحق؟ هل يؤيد الرب فعله أو قوله بناءً على السلطان الموهوب له من الله فى سر الكهنوت؟».

قال: حزين أنا يا إبنى، لأنك اضطررت إلى أن تسألنى هذا السؤال، ولابد أنه قد حدث شىء أعثرك، وإستثار فيك الإهتمام بهذا الإشكال.

فبكيت وسجدت أمامه وقلت: أطلب الحل يا أبى القديس، اغفر لى جسارتى، فما أكثر الذين سألونى مثل هذا السؤال، ولابد أن أكون مستعداً للجواب. وهل يرتضى لى ضميرى أن أتكلم فى مسألة قبل أن أحتكم إلى أربابها نظيركم.

قال: هل يرتضى الرب شراً أو ظلماً؟

قلت: حاشا.

قال: إن السلطان الذى وهب للأساقفة، منح لهم ليستعينوا به على تدبير الكنيسة لا على خرابها وعلى جمع الخراف لا على تشتيتها، وعلى خلاص النفوس لا على هلاكها. والرب يتطلع من الأعالى ليرى فعال وكلائه الذين إئتمنهم على ودائعه: يبارك جهودهم، ويدافع عنهم، ويؤيد أحكامهم، ويتمم أوامرهم. فإذا تجاهل الوكيل إرادة الخير فى موكله، فلا يعقل أن يؤيد الرب ظلماً أو شراً. وإنما يقضى بذات الحكم على الناطق به، فيصير هو المقطوع والمحروم من الله؟

ضع فى قلبك يا إبنى إن سيف الكهنوت قاطع بَتَّار، لا يرتد خائباً أبداً، فإن لم يصب المضروب به، إرتد قطعاً إلى الضارب به ظلماً، فيقطعه.

عند ذاك لم أتمالك أعصابى، ولم أستطع أن أكتم إنفعالى، فصرخت صرخة مرة وشديدة وبكيت وقلت: هلكنا إذن يا سيدى!!.. فإذا أبتليت الكنيسة بمن لم يعرف حدود وظيفته وتعدى على القوانين، أصبح محروماً؟ وإذا كان هو محروماً أفلا يكون كهنوته باطلاً؟! وإذا كان كهنوته باطلاً أفلا تبطل بالتالى صحة جميع الأسرار التى يباشرها؟

فتبسم البابا ليطمئننى، مع أننى إستطعت أن أرى غمة قلبه طافحة على عينيه الكامدتين ثم قال:

أتظن أن هذه المشكلة قد أفلتت من رعاية صاحب الشريعة؟ اذكر يا ولدى ولا تنسى، أن كل ما يخطر بقلبك، أو يخطر ببال الآتين بعدك، لم يكن خافياً عن حكمة الروح القدس الذى نطق على أفواه المشرِّعين. ورسل المسيح.

قلت: لست أدَّعى إننى أعرف فى حكمة الله شيئاً. بل أنا غبى ومسكين وبائس وأعمى وعريان.

قال: افهم ما أقول. وليعطك الرب فهماً فى كل شىء: إذا قالت القوانين عمن تعدى الشريعة أنه يقطع أو أنه ليس أسقفاً. أو ليس من قبل الله، أو أنه محروم من الله. فالمعنى من كل ذلك: إنه يستوجب القطع من الكنيسة المنظورة، وأنه سيحرم من السماء فى يوم الحساب.

فإذا قصرّت الكنيسة المنظورة، فى واجبها نحو المستهترين بالشريعة والمفسدين لكنيسة الله فهذا خطأ يلحقهم جميعاً، ولكنه لا يمس سلطان الكهنوت مطلقاً. فالأسقف

يظل أسقفاً والبطريرك يظل بطريركاً، وتيار مواهب الروح القدس جارياً وكل أعمال الكهنوت وطقوس السرائر ذات فاعلية إلهية. ولن يتعطل من كل ذلك شىء إلا حين يصدر حكم الكنيسة المنظورة بالحرمان أو القطع. لأن سلطان القطع والحل قد أُعطى لرجال الكهنوت على الأرض وهم عرضة للخطأ وسوء التصرف. ولن يسقط عنهم إلا إذا نزع منهم. ولن ينزعه منهم إلا صاحب سلطان منهم، أو هو الله ولكن فقط فى يوم الدين. «متى ظهر رئيس الرعاة»... ويا لهول الدينونة الرهيبة المخيفة التى تنتظر الراعى المستبد، أو المستهين بقدسية الوظيفة الرسولية، أو المهمل فى شىء من مسئوليات الرعاية، أو غير الساهر على خلاص شعبه وبنيان الكنيسة.

قلت: وسيطغى بعض الرؤساء إذن، ممن قد لا يخشون دينونة اليوم الرهيب.

قال: من أجل هذا وُجدت المجامع الإقليمية والمسكونية فى الكنيسة الأرثوذكسية، لتضع حداً لتصرفات المارقين.

* * *

حينئذ ربّتَ على ظهرى وقال «سأعود إليك «بعد زمان» ومعى خليفتى وتلميذى أثناسيوس، تركته لأكلمك فطال إنتظاره.. وما أشد أسفى حين تنبهت بقوة هذه الهزة إلى نفسى، فإذا بى فى مكانى من حجرتى.

قلت: أريد أن أعود إلى الحديث مرة أخرى، فهل يشاء الله؟

وأيضاً... سيدى يا قداسة البابا!!![1]

وكانت يقظة طويلة مملة على نفسى وعلى جميع الذين تابعونى حلمى الأول. وصاحوا جميعاً: نريدك أن تنام لتحلم، قلت: كان لابد لى أن أقاوم رغبتى فى النوم وحاجتى إليه أمام نداء العمل المتواصل، وأمام إحساسى وإحساسكم بحاجتنا جميعاً إلى زمان، وزمان لنتأمل ونتفكر فيما مر بنا من عبر وأحداث، فالأفكار شأنها شأن الطعام الذى لابد له من وقت لنزدرده فيه ثم لنهضمه ونتمثله فيستحيل إلى دم ولحم، ويصبح جزءاً من كياننا وطبيعتنا وشخصيتنا.

وليس من الخير لعقولنا، ولا بنافع لأرواحنا، أن نثقل عليها فنجهدها شأنها فى ذلك تماماً شأن جهازنا الهضمى، لابد أن يكتفى من الطعام بقدر لتتاح له فرصة الهضم

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد السنة ٣ عدد ٦، ٧ فى سبتمبر وأكتوبر ١٩٤٩.

والتمثيل، وإلا تأذى وتوقف عن العمل، أو اضطر لقذف طعام صالح كان يمكن أن يفيده ويغذيه، لو قدم إليه فى موعد آخر يشتد عليه ألم الجوع، وتستصرخه شهوة الطعام.

* * *

ولكن أصدقائى بالكاد استمعوا لهذه الكلمات، وألحّوا علىّ قائلين: نريد أن تنام لتحلم فهل تلبى النداء؟ قلت إنها رغبتى قبل أن تكون رغبتكم، وإننى أشكركم، وأشكر الله قبل أن أشكركم لأنكم آمنتم معى بأنه يجب أن نعزف عن عالم الواقع المريرّ، إلى عالم الأحلام الطليق، وأن نسكت عالم الأحياء لننطق عالم الموتى، ولو كان الوجود هو عالم الدنيا بمفرده لكان الشقاء حليف ذوى المبادىء الكريمة، ولولا إيماننا بحياة آخرة لإنفلقت نفوسنا من الغيظ وتفتتت من الحقد والكمد. أما ونحن لا زلنا فى عالم الأحياء فلا يعزينا عن شر الدنيا وأخطاء ساكنيها غير لحظات من الخيال نسبح فيها ونمرح، أو قل بأشباح الموتى تتحرك على مسرح الأحلام تلهينا وتنسينا، ثم نناجيها فتناجينا ونستهديها فتهدينا.

وكانت هذه آخر كلمة خافتة نطق بها لسانى، على ما أذكر، واستسلمت بعد ذلك لما رغبت فيه ورغب فيه معى عاشقو الأحلام، وإذا بى عند موقفى الأول أنتظر عودة البابا ألكسندروس، ولكن ملاكاً مر بى وصاح قائلاً: ما إنتظارك هنا وأنت من عالم الدنيا؟ قلت رفقاً بى فلقد اشتد حنينى إلى عالم الآخرة قبل أن يحين موعد إنطلاقى إليها، وبت أتوق إلى أن يكلمنى الموتى ولا يكلمنى الأحياء. أما يقول النبى داود «آمنت لذلك تكلمت، أنا قلت فى حيرتى إن كل الناس كاذبون»، فهؤلاء هم الأحياء فى عالمنا وقد صار أكثرهم منافقين غاشين، ومضلين، بلا عهد، ولا أمانة، ولقد صار محبباً إلينا معشر الشباب أن ننصت إلى واحد ممن رقدوا. فنحن نعيش على الماضى ولا نعيش على الحاضر، ولولا تقاليدنا وطقوسنا الثابتة التى لا تتغير، لما بقى لنا من تراثنا الروحى شىء يذكر، فهى الصلة الوحيدة التى تصلنا بروح آبائنا وجدودنا لأننا نصلى بذات الصلوات التى صلوا بها، ونمارس ذات الترتيبات التى مارسوها وباشروها. فمعذرة إذا كنت كواحد من بين الشباب الذين يؤمنون بهذا، والذين يستبقون الحوادث ويودون الرجوع إلى تعاليم الآباء وروح الآباء، ويشتاقون إلى مناجاتهم ولو بالصلوات والرؤى والأحلام.

قال الملاك: ظننتك متجاسراً تقحم نفسك فيما لا يخصك، وحسبتك إنساناً تريد أن تسترق أخبار عالمنا لتخبر بها عالمكم، وأنت تعلم أن لابد لعالمنا من أن تكون شئونه مغلقة عليكم، ليكون ثمة مجال لإمتحان إيمانكم فى حقيقة العالم الروحانى، وفى مدى تصديقكم بأقوال مخلص العالم وأنبيائه السابقين ورسله وكهنته اللاحقين. وما دمت

لم تأت لشىء من هذا فسأكون فى خدمتك، وسأستدعى لك من تطلب لتشتفى بأقواله وتستفيد من أحاديثه فى شىء يخصكم.

قلت إن البابا أثناسيوس الرسولى، يُعد عندنا وفى نظر العالم أجمع، مؤسس المسيحية الثانى، وكان هو الرأس البارز الأوحد الذى قاوم البدعة الأريوسية التى كادت أن تصرع المسيحية لو لم يهب الله للمسيحية أثناسيوس، فهو الرجل الوحيد الذى لو إختفت رأسه لإختفت المسيحية معها. ولذا خلعت عليه الكنيسة لقب الرسولى، وسماه الغربيون «أثناسيوس ضد العالم» Athanasius contra mundum، هذا هو البطل القبطى الذى أتمنى لو ألتقى به مرة واحدة لأسعد برؤياه، ولأستفسر منه سبيل الهدى والرشاد.

واختفى الملاك من أمامى فجأة، ومع ذلك فقد كشف عن عينى، فرأيته يمثل أمام البابا أثناسيوس وينحنى أمام شخصه الجليل إنحناءة دلتنى على مكانة الكاهن الأمين والراعى الصالح بإزاء ملاك من نور، وقال: سيدى أيها القديس المغبوط! إن شاباً قبطياً من أولادك يلتمس صالح دعاكم وبركة رضاكم، ويسألكم التفضل بالخروج إليه والإستماع إلى أسئلته. وإننى أمام إلحاحه لا يسعنى إلا أن أضم صوتى إليه فى رجاء إسعافه وإفادته بما ينتفع به هو والذين يسمعونه.

وكانت لحظة حرجة على نفسى، كنت أخوف ما أكون فيها من أن يرفض طلبى، ولكن سرعان ما قرأت ـ من بعيد ـ فى محيا القديس البار، قسمات الرضا والقبول بل وعلائم الإستعداد والسرور لتأدية خدمة لأحد أولاده. وفى نظرة خاطفة كأنه يستأذن البابا ألكسندروس ثم تناول يده فقبلها فى إحترام وخشوع عجبت لهما، وقلت أهكذا يحترم الباباوات بعضهم بعضاً حتى لو كانوا فى عالم الآخرة!!؟.

ولـم يحتـاج البابا إلى زمن ليخرج إلىَّ، ففى عالم الأرواح يقصر الزمان حتى يصبح ولا زمان، وتتخلخل جزئيات المكان فكأنه ولا مكان. أما أنا فقد علا صدرى وانخفض بسرعة مفاجئة وعانيت فى هذه الآونة ضغطاً مرتفعاً على جدران القلب، وأحسست أننى أكاد أتمزق. ولم يرحنى ويعد إلى الإحساس بالوجود غير دموعى التى إنسكبت شديدة وقوية، فإنفرجت بها نفسى، وهدأ إنفعالى، فاستطعت أن أنطلق بهذه الكلمات: ياليت جميع القبط بل وياليت العالم بأسره، ينعم بمثل ما أنعم به الآن. أى سيدى البار، من أنا المسكين الفاتر المتكاسل فى حياتى، والمهمل فى واجباتى، الذى استحق هذه النعمة المباركة فأحظى بمرآك يا أثناسيوس، أيها الخالد الذى لا يموت. إنى لمديون لك بإيمانى بمخلصى وفادى. لولاك لإنتصر الشر على الخير والباطل على الحق... فقاطعنى لئلا أسترسل فى

مديحه وقال، يجب أن تشترك معى فى تقديم الشكر لله الذى قوانى وحسبنى أميناً للخدمة حتى حاربت أسوداً. إنهم أتوا إلىّ بسيوفهم ورماحهم وأما أنا فأتيت إليهم بقوة رب الجنود. حقاً «لقد علمت أن الرب قد خلص مسيحه وإستجاب له من سماء قدسه، هؤلاء بجبروت وهؤلاء بخيل، ونحن باسم الرب إلهنا ننمو، هم عثروا وسقطوا ونحن قمنا واستقمنا».

قلت يا سيدى البابا: هلا علمت أن الشعب الذى كنت ترعاه وتقتاده، وإحتملت كل صنوف الآلام لتحفظ له وديعة الإيمان الثمين نقية صافية، قد قَطّعتْ أوصاله البدع والتعاليم الغريبة، فبدل أن كان عقيدة واحدة ورأياً واحداً، أصبح اليوم ألواناً من العقائد والمذاهب: هذا أرثوذكسى، وذاك كاثوليكى، أو مشيخى، أو بليموثى، أو إصلاحى، أو سبتى، أو خمسينى، أو رخوى، أو أريوسى (من شهود يهوة) الخ.

فأجاب على الفور: على قدر تراخى الرعاة والكهنة والشمامسة فى أداء واجباتهم الروحية، وإهمالهم التعليم للصغار والكبار، وعدم الإكتراث بمشاكل الرعية: إجتماعياً وعائلياً ومادياً.. على قدر ما تكثر البدع والتعاليم الغريبة بين أبناء الكنيسة القبطية، وعلى قدر ما تزداد الأمور تعقيداً ويفلت الزمام من الرياسة الدينية.

قلت: هلا علمت يا سيدى أن رجالاتنا الكنسيين والمليين، يُضّيعون أوقاتهم سدى فى منافشات لا طائل تحتها، لا تجر وراءَها غير الخصومات والمنازعات والأحقاد، فضلا عن أنها تترك فى صفوفنا ثغرة بل ثغرات ينفذ منها أعداء الكنيسة لينتزعوا منها أبناءها ويمزقوا أشلاءها، كما يحولهم عن الجهاد الأسمى الذى دعاهم الرب إليه لخلاص النفوس، ونشر الإيمان، ومقاومة الفساد والأباطيل.

قال، وقد علَتْ وجه قداسته سحابة قاتمة من الغم والهم: لقد علمت يا ولدى جيداً. فنحن من عالمنا الروحى نتابع أخباركم ونعلم بأحوالكم.. ونعرف أن القيادة عندكم أصبح يتنازعها فريقان: فريق رجال الكهنوت، وفريق المجالس الملّية، والغريب أن الفشل الذى أدرككم لم يكف حتى الآن ليقنعكم بفساد إتجاهاتكم. لقد فقدتم كل نوع من المنطق وغفلتم عن أبسط المبادىء العقلية فضلاً عن الروحية.

قلت: كيف ذلك، أو لم يكن الأمر كذلك منذ الإبتداء؟

قال: كلاً، فلم نكن نعرف ما تسمونه بالمجالس الملّية، ومع ذلك كان بيننا وبين أولادنا أعمق مشاعر الود والحب والإنسجام. لقد ساءنى مرة أشد الإستياء أننى أشرفت على مكان تحدث فيه عضو ملى كبير عندكم، قال فى مطلع حديثه يشرح الغرض من المجلس

الملىّ «لقد أُسس المجلس الملّى لينتزع السلطة من الإكليروس!!!» وسمعت مرة غيره يقول «نحن ندافع عن حقوق الشعب!!» فإذا كان رجال المجلس الملّى يفهمون مهمتهم هكذا، وإذا كان رجال الدين يشعرون أن المجالس الملّية تتجة هذا الإتجاه، فهل تنتظر بعد ذلك إنسجاماً وتفاهماً!!!؟؟.

قلت: وما الخطأ فى هذا؟

قال: إذا كنتم تؤمنون بسر الكهنوت، وأن من ينال هذا السر يصبح صاحِب سلطان فى وظيفته، فإن رجال الكهنوت وحدهم هم الذين وكل إليهم الرب تدبير شئونكم الدينية والكنسية.

قلت ألم يقل الرسل: ليس حسناً أن نترك نحن كلمة الله ونخدم موائد؟ ومن أجل هذا أقاموا رجالاً آخرين لهذه الخدمة؟

قال: وهل نسيت أن خدمة الموائد هذه إختصت برجال أتقياء مملوئين من الروح القدس والحكمة؟ وهل نسيت أيضاً أن هؤلاء أُختيروا على أساس هذه الشروط الروحية والتقوية، ولم يطلب فيهم الغنى ولا الثروة ولا علو المنصب الإجتماعى كما يشترط فى مجلسكم الملىّ؟ وهل نسيت أيضاً أن هؤلاء قد إنقطعوا لهذه الخدمة دون غيرها، وأنهم نالوا درجة الشماسية بوضع أيدى الرسل أنفسهم؟ قلت حقاً ما قلت يا سيدى البابا، كم من مرة سمعت من أفواه الخطباء بل وحتى الوعاظ منهم، أن المجالس الملّية تقوم فكرتها على ما دُوِّن فى سفر الأعمال والأصحاح السادس، ولم أكن أنتبه إلى كل هذه المفارقات.

ومما يؤيد قولك يا سيدى البابا أننى أفتش فى جميع الطوائف والشعوب، ممن تؤمن بالكهنوت والتقاليد الرسولية، فلا أجد فيها هيئة من رجال علمانيين أو مدنيين يؤلفون مجلسها الملّى. ومن هنا فإن غبطة بطريرك الأروام الأرثوذكس، كتب يلوم الكنيسة القبطية على هذا الوضع الناشذ، الذى يتناقض مع إيمانها بسر للكهنوت يخلع على نائليه سلطان التدبير والرعاية والقيادة، ثم إنه يضع فرصة لإنقسام مرير بين هيئتين تتنازعان الإختصاص، ويخلق فى الهيئة الملّية العلمانية روح التمرد والعصيان، الأمر الذى لا يسفر دائماً إلا عن أوخم النتائج.

قال: لا بل إنكم صرتم إلى شر من هذا !!! فالبروتستانت وهم شيعة لا كهنوت فيها، يتألف مجلسها الملّى من رجال الدين فيها أو ممن يدعونهم قسوساً وشيوخاً، وهم المفرزون عندهم لخدمة الوعظ والتبشير. أفهل أدركت الآن معنى ما أقول من أنكم غفلتم عن أبسط المبادىء العقلية فضلاً عن الروحية.

قلت: ولكن ألا ترى أن كنيستنا ديموقراطية، وأنها تشرك الشعب فى شئون الكنيسة ولا تدع لرجال الدين أن يستأثروا بكل شىء؟

وهنا علا صوت البابا وأخذ يتكلم فى لهجة المعلّم الكبير: إن ديموقراطية الكنيسة القبطية يجب أن تُفهم على وضع محدود لئلا تستحيل إلى نوع من الفوضى. فما أبعد الفرق بين ديموقراطيتنا وبين ديموقراطية البروتستانتية، وما أبعد الفرق بين مبدأ السلطة عندنا ومبدأ السلطة الأوتوقراطية عند الكاثوليك.

فنحن ننكر أن يستبد رجال الدين بالشعب، وأن يغمطوه حقه الطبيعى فى إختيار رعاته وكهنته، الأمر الذى شددت عليه القوانين الكنسية وصبت على الأسقف المستبد اللعنات والحروم، وأوقفته مديناً ومحكوماً عليه إذا تخطى إرادة شعبه ومشاعرهم.

وإننى لأذكر فى هذا الصدد أن نية سلفنا البابا ألكسندروس قد اتجهت إلى مسكنتى لإختيارى خلفاً له، ومع ذلك لم يفعل أكثر من أن يبدى رأياً، وترك الأمر من بعده للأساقفة والشعب. ومثل ذلك حدث بالنسبة للأنبا ديمتريوس الكرام، حيث أَخْبرَ سلفه القديس يوليانوس الأساقفة بالحلم الذى رآه، والذى ينبىء عن إرادة الله فى إختيار ديمتريوس الكرام خلفاً له، ولم يفعل أكثر من هذا وترك الأمر للأساقفة والشعب.

نعم إن للرئيس الدينى أن يبدى إعتراضه، بل وله أن يمتنع عن رسامة شخص ليست له مؤهلات الأسقفية أو الكهنوت حتى لو أراد الشعب هذه الرسامة، ولكن ليس له أن يتحمل مسئولية رسامة شخص آخر يعترض عليه الشعب أو يرفضه دون أن يحقق فى إثبات أسباب الإعتراض أو نفيها. لأن الأسقف أو البطريرك يشترك مع الشعب فى المسئولية، فله أن يرفض، ولكن ليس له أن يَفْرض. وفى كلا الحالين سيساهم مع شعبه فى ثواب الله وعقابه.

وهنا هدأ صوت البابا ثم تبسم وقال: لكم فرحنا واغتبطنا بالحركة المقدسة التى قام بها المخلصون من شبابنا منذ شهور، ليشهدوا السماء على الطغيان والإستبداد وسلب إرادة الشعب فى إختيار رعاته. لقد ظُلمتم وهُزمتم ومع ذلك ففى نظرنا نجحتم، ورب فشل فى الظاهر هو نجاح فى الواقع!! لقد أرحتم ضمائركم، وحاربتم حروب الرب.

ثم استطرد يقول: كما أن رجال الدين يجب أن يستعينوا كذلك بمواهب أولادهم من المؤمنين فى سد إحتياجات الكنيسة الإجتماعية، والعلّمية، والفنية، والمادية... الخ فالمهندسون والأطباء ورجال القانون، وأصحاب المراكز فى الدولة والممولين، وكذلك رجال

الأدب، والفن، والصناعة، والتصوير، والموسيقى... كل هؤلاء يجب على رجال الدين أن يستعينوا بهم، وأن يطلبوا مساهمتهم فى حاجات الكنيسة المتنوعة.

قلت: يا سيدى البابا إنه يدهشنى حقاً أن أستمع إلى هذا، وأن علاقة الآباء بالبنين يجب أن تسود فيها المحبة ولا ينظمها القانون، وأن نستعين بالفهم الصحيح للإختصاصات وحدود الإلتزامات. ولكن ما هو الوضع الذى تقترحه لإصلاح أحوالنا؟

قال: أنا لا أقول بإلغاء المجالس الملّية إلا إذا أصررتم على أن تفهموها على وضعها الحالى، بإعتبارها سلطة علمانية تنازع رجال الكهنوت إختصاصهم وتحد من نشاطهم، على أساس ما جددته لائحة ١٨٨٣ التى لم تجر على الكنيسة سوى البلاء، ولو أن بعضاً من أعضاء مجلسكم الملّى يؤمنون بها إيمانهم بالكتاب المقدس، أو كأنها شريعة مادى وفارس التى لا تنسخ.!

ولكننى أقر المجالس الملّية إذا أُعيد تشكيلها على وضع جديد يطابق قوانين الكنيسة وتعاليمها. وإذا كان أعضاء المجالس الملّية أنفسهم يلجأون فى كثير من خطبهم إلى الإستعانة بما جاء فى الأصحاح السادس من سفر الأعمال عن الشمامسة الذين أقيموا لمساعدة الرسل فى خدمة الموائد، فمن هذا الموضع عينه يجب أن تستمدوا شروط التأهل لعضوية المجلس الملّى ـ وتتلخص فى إثنين: أولهما الرجولة، والتقوى، والإمتلاء من الروح القدس، والحكمة، وثانيهما: نوال درجة الشماسية (الدياكونية) بوضع اليد، والإنقطاع لهذه الخدمة إنقطاعاً تاماً.

ومع أن البابا أراد أن يسترسل فى الحديث إلا أننى إستأذنته فى المقاطعة لئلا أنسى فكرة هامة عندى، فأصغى إلىّ، فقلت: إن بعضاً من أعضاء مجالسنا الملّية شمامسة.

قال: لقد أسأت الفهم! أنا أقصد درجة الشماسية بالذات، وليس ما دونها من الدرجات.

أقصد تلك الدرجة التى يشترط فى حاملها إلى جانب التقوى، الرجولة وجميع الصفات الواردة فى رسالة القديس بولس الأولى إلى تيموثيئوس الأصحاح الثالث: أقصد هذه الدرجة التى هى من صميم درجات الكهنة، وبذلك يكون منطق القيادة الروحية متمشياً مع حكمة الله فى إيجاد سر الكهنوت. أقصد تلك الدرجة التى ينقطع حاملها لأداء مهامها كما ينقطع لها القسيس والأسقف سواء بسواء.

قلت: لقد فهمت ولكننى أخشى إن ناديت بهذا القول، أن أُتهم بأننى خيالى، وغير عملى. فأسرع البابا للرد وقال: أيهما أكثر خيالاً وأبعد عن الواقع؟ أرأينا الذى يتفق ومنطقنا الكنسى والذى كان معمولاً به فعلاً فى جميع العصور الزاهرة، أم هذا الرأى الخاطىء الذى يسند إدارة شئون الكنيسة لرجال أعمال لا يستطيعون أن يهبوا الكنيسة غير حثالة أوقاتهم؟.

قلت: ما أعظم إنطباق هذا القول على الواقع! إن رجال مجالسنا الملّية رجال بارزون، ونادرون، يمثلون العبقرية القبطية. ولكم ننظر إلى كل منهم على حدة، فإذا به مفخرة لأمته فى فنه وعلمه ورجاحة عقله وأصالة فكرة. ولكم يسوؤنا أن تتغير هذه النظرة حينما نتطلع إلى المجلس كمجموع يصدر عنهم قرارات وتصرفات، نضن عليهم أن تحسب إنتقاصاً لمكانتهم الرفيعة. وهكذا يتحمل كل منهم على حدة ما يصدر عن المجلس فى مجموعه. فابتسم البابا وربت على كتفى وقال: أحسنت فيما قلت لأنك لم تحكم على الأفراد مما يظهر من المجموع، كما يفعل الكثيرون الذين إتهموهم بضعف الرأى وتفاهة الفكر. فالعيب ليس عيب الأفراد بقدر ما هو عيب النظام ذاته.

قلت: إنه أمر طبيعى يا سيدى. ماذا ينتظر من مجلس ملّى يتألف من طبيب ومحام ومهندس وتاجر ومدرس وصيدلى؟ هل يعقل أن تتفق هذه المجموعة فى تفكيرها، ونحن نعلم جيداً أن نوع الثقافة التى تثقف بها الشخص هذا العدد من السنين قد طبعت تفكيره بطابع خاص تتفق مع مهنته وثقافته، وبالطبع يختلف عن تفكير الآخر وإتجاهه؟ أليس عدم توافر وحدة الثقافة بين هذه المجموعة هو علة إنقسامهم وإختلاف وجهة نظرهم، لاسيما إذا اجتمعوا معاً فى جمعية عمومية كان عددها كبيراً؟.

قال قداسة البابا: وقد فاتك شىء آخر هو أن الطبيب أو المهندس، على الرغم من نبوغ كل منهما فى فنه، قد يعجز عن طبخ طعامه أو أى عمل آخر مهما يكن حقيراً، من حيث أنه لا يدخل فى دائرة إختصاصه الفنى. وعلى ذلك فقد يكون عضو المجلس الملّى عَلَماً من أعلام الطب أو الهندسة أو القانون، ومع ذلك إذا كان قليل الخبرة بشئون الدين وحاجات الكنيسة، فإن أخطاءه تكون شنيعة وضارة، ولا يشفع له فى هذا كله علو كعبه فى شئون علمه أو فنه.

قلت: إن حديثك يا سيدى ذكرنى بكلمة نافعة، نطق بها الأستاذ المحترم الدكتور وديع فرج وكيل كلية الحقوق، حين أخذ ينفى إمكان ترشيح علمانى لوظيفة البطريركية، قال: مع أننى رجل قانونى، ومغمور فى نصوص القوانين ليل ونهار، وقد إنقطعت

لدراسة القانون هذه السنوات الطوال بلا توقف. إلا أنه عندما طلب إلىّ أن ألقى بحثاً فى: «هل فى قوانين الكنيسة ما يمنع من ترشيح الأسقف أو المطران للبطريركية» أقر بأننى تهيبت الموقف، وأخذت درس الموضوع بإهتمام ـ إلى أن قال: إذا أردتم ترشيح علمانى (والعلمانى هو من اشتغل بغير الدين كالمحامى والطبيب والمهندس والتاجر والصانع) فأعطوه أجازة دراسية خمس عشرة سنة على الأقل.!!

قال البابا: ومسألة أخرى، هى أن رجال المجالس الملّية يختارون من العظماء الذين تغل عليهم كل دقيقة من وقتهم، ربحاً مادياً كبيراً. ومن هنا يتعذر على الواحد منهم أن يضحى بوقته الثمين دون أن يحس بتبرم، لاسيما إذا كان هذا الوقت أيضاً يضيع فى مناقشات لا طائل تحتها. وفضلاً عن ذلك فإذا تغلب عل كل شعور بالضيق وإمتلأ قلبه بالغيرة وحب التضحية، فإن الوقت الذى يجود به للكنيسة هو قطعاً حثالة وقته الذى هو أحوج ما يكون فيه إلى الراحة. والنتيجة أن خدمة عضو المجلس الملّى على هذه الصورة هى فى الغالب ـ الذى لا يخلو من شذوذ ـ خدّمة مهما يكن من قيمتها، لا تغنى الكنيسة، ولا تسد حاجاتها المتشعبة.

وهنا خطر لبالى ما أسمعه كثيراً من عدد لا حصر له من الناس، من أن المجلس الملّى هو برلمان الشعب القبطى. ويالها من كلمة أبعد ما تكون عن الواقع! فنحن نعلم أن عضو البرلمان لابد له من أن يُفّرغ نفسه لهذا العمل وحده ـ وأن يستقيل من وظيفته الحكومية، لئلا تتعارض مهمته كنائب مع مهمته كموظف بالحكومة، وحتى يكون له متسع من وقته يسمح له بالتفكير، والتحضير، والعمل بما تقتضيه مهمة النيابة الجليلة، مع أننى أظن أن الأعباء التى تقع على أى عضو فى مجلسنا الملّى أعباء ثقيلة لا تقل بل ربما من بعض الوجوه تزيد عن مهمة عضو البرلمان.

قال قداسته: يكفى الآن هذا القدر، فقد فهمت رأيى: أن لا أَمَلَ مطلقاً فى أى مجلس ملّى يفهم مهمته أنه رئيس «لحزب الشعب» يسعى «لينتزع السلطة من الإكليروس»، ولا أَمَلَ مطلقاً فى مجلس ملّى يتألف أعضاؤه من رجال مختلفى الثقافات، ومن رجال أعمال حكومية أو أهلية تضطرهم أن لا يهبوا الكنيسة غير جزء قليل من أوقاتهم.

وأما الحل ففى هيئة مُشّبعة بروح التقوى والغيرة الروحية، تنال درجة الشماسية، وتهب الكنيسة كل وقتها لتتصرف إلى مهامها الجليلة. ويجب أن ينال كل منهم فى مقابل

ذلك راتباً ثابتاً كعضو النواب، إلا إذا رأى هو أن يتنازل عنه. وبغير هذا سيطول بكم الطواف بغير وصول إلى إستقرار.

قلت آه يا سيدى البابا: ألا ترى معى أن البابا البطريرك يمكنه أن يحتضن جميع المشروعات الإصلاحية، لو أحسن إختيار القادة المحنكين، وأقام الضباط والجنود، وأفلح فى توزيع الإختصاصات وتحديد المسئوليات.!!؟

فَتَقَطّب جبين البابا وهمهم يقول:

لو كان لكم مثال هذا البطريرك لحل الإشكال... إن المجالس الملّية على وضعها الراهن صوت صارخ ليدل على إهمال رياستكم الدينية فى صميم إختصاصاتها، وإلا فمن ذا الذى يجرؤ على التعدى علىّ إذا كنت ساهراً على نفسى، لاسيما إذا كان المعتدى صديقاً لا عدواً ؟؟!!

* * *

يبدو أننى فى هذه اللحظة قد تنهدت تنهداً عميقاً، فأحسست كأن ناراً تحرقنى فى صدرى، فقمت بفورى...

... فإذا هو حلم، فإزداد حزنى لأن الناس يحلمون فيفرحون ولو إلى حين، ولكن حلمى إنتهى بى إلى هذه الزفرة المحرقة. ثم راجعت نفسى فقلت: يكفينى أننى عشت فترة مع أعظم بطريرك فى الكنيسة بل فى العالم بأسره، وسَبَحَتَ فى تأملات خيالية لو إطلع عليها أحد من الناس غيرى لإتهمونى بالمثالية المتطرفة. قلت: ماذا يضيرنى، فأحيا فى عالم الخيال فهو أجدى على نفسى من عالم الحقيقة، ومن يدرى فربما يلد الخيال الحقيقة كما يلد القول الفعل.

١٠- محاسبة النفس
وتأملات فى رأس السنة الميلادية(١)

جميل أن ترتب الكنيسة فرصة لأبنائها فى نهاية كل عام، ليتذكروا فى معنى هذه المناسبة ولكى يستغلوها للتنمية الروحية. فمن حقنا بل من واجبنا أن نتأمل الماضى وأن نتدارسه وأن نحاسب أنفسنا فيما صنعنا وما أهملنا من خير، وما صنعنا أيضاً من شر.

محاسبة النفس:

هذا هو مقام المحاسبة، وهذه المحاسبة لازمة ونافعة، فى المدارس والجامعات، ترتب امتحانات فى أثناء العام الدراسى وفى نهاية العام الدراسى، فى وقت ما، كان فى نهاية كل شهر يعقد امتحان، وفى منتصف العام يعقد امتحان أيضاً وهو امتحان نصف السنة، وفى نهاية العام امتحان لنهاية العام.

وفى نهاية كل مرحلة من مراحل التعليم سواء أكان إتمام الشهادة الإبتدائية، أو الإعدادية أو الثانوية أو الجامعية، هناك امتحان عام يشمل السنوات كلها، التى تتضمنها هذه المرحلة العلمية، هذه الامتحانات لها فوائد جزيلة يقف منها الطالب على مدى ما حَصّل ومدى ما استفاد، وتقف المدرسة أيضاً من هذه الامتحانات على مدى تحصيل الطالب ومدى توفيقه، لتعرف ماذا صنعت أجهزة المدرسة من خير فى هذه الناحية التعليمية.

والموظفون الذين يعملون فى البنوك أو فى البريد، والذين يعملون مع الجمهور بعد أن ينتهى عمل اليوم ويغلق البنك أبوابه يبقى الموظفون وقتاً ما، قد يكون نصف ساعة أو ما إليه يراجع فيها الموظف حساباته، ليعرف إذا كان قد أخطأ أو أعطى واحداً مبلغ من غير وجه حق. وفى نهاية الشهر يأخذ هؤلاء الموظفون المشتغلون مع الجمهور وقتاً أطول للمراجعة الشهرية قد يستغرق ساعة أو أكثر يراجع فيها حسابات الشهر، وفى نهاية العام أيضاً هناك مراجعة سنوية، قد يستغرق هذا العمل ساعات من هؤلاء الموظفين قد يكون الأمر إلى منتصف الليل أو إلى أكثر من يوم.

---

(١) محاضرتين الأولى بكنيسة رئيس الملائكة ميخائيل بشيراتون - يوم ٣١ ديسمبر ١٩٩٢، والثانية بكنيسة الشهيد مارجرجس بإمبابه يوم ٣١ ديسمبر ١٩٩٠، نقلاً عن شرائط كاسيت.

أهمية المراجعة:

هذه المراجعة فى غاية الأهمية، أولاً بالنسبة للموظف نفسه ليعرف إذا كان قد أصاب وإذا كان قد أخطأ ويطمئن إلى عمله، وثانياً بالنسبة إلى المؤسسة العامة إن كانت هى البنك أو غيرها من المؤسسات العامة: هذه المراجعة اليومية و الشهرية والسنوية لها أهميتها لكى يمر العمل العام بنجاح وتوفيق.

ونحن فى حياتنا الروحية من حقنا بل من واجبنا أن تكون هناك مراجعة، مراجعة لأعمالنا، مراجعة يومية، إن بعض الفلاسفة قال: «عليك يا إنسان فى نهاية اليوم وقبل أن تنام أن تسأل نفسك فيما أخطأت وفيما أصبت ولماذا أخطأت؟».

وسيدنا يوصينا أن يغلق الإنسان منا بابه، ويصلى إلى أبيه الذى فى الخفاء «وأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية». ليس المقصود هنا مجرد الباب الخارجى للغرفة، وإنما أن يغلق الإنسان على نفسه حواسه، والحواس الخمسة كما تعلمون هى أبواب المعرفة الأذن والعين والأنف واللسان واليد. السمع والبصر والشم والذوق واللمس، هذه الحواس الخمسة، مفروض فى نهاية اليوم أن يغلق الإنسان حواسه، لكى يستبعد كل الشواغل التى تشغله سواء كانت شواغل شخصية، أو شواغل عائلية أو شواغل العمل، هذه الشواغل يجب فى فترة معينة أن يضع الإنسان لها حداً، يغلق عليها حتى يتفرغ للتأمل الباطنى ولمراجعة نفسه، طالما أنت مشغول بهذه الأمور لا يمكن أبداً أن تعرف مدى ما وصلت إليه.

الابن الضال الذى ضرب سيدنا به مثلاً، هذا الذى خرج من بيت أبيه، وصار فى الخلاعة وأنفق مال أبيه الذى أعطاه إياه، على الزوانى والزانيات حتى خرب، وصار محتاجاً إلى الخرنوب الذى كانت تأكل منه الخنازير ولم يكن يعطيه أحد. فلما وصل إلى هذه الحالة وأدرك ما هو عليه، يقول الإنجيل رجع إلى نفسه وقال: كم أجير يفضل عنه الخبز وأنا هنا أهلك جوعاً.

«رجع إلى نفسه»، عبارة فى غاية الأهمية، إذن أيــن كنــت يا إنسان؟ كنت خارجاً عن نفسك ثم رجعت إليها وهذا ما نسميه بالتوبة، باللغة العربية تاب إلى .. أى رجع، فالتوبة معناها الرجوع، لكن أول خطوة فى التوبة أن يرجع الإنسان إلى نفسه لأنه عادة يكون خارجاً عن نفسه، مشغولاً عن نفسه بهموم حياته أو بالأسرة أو بالعمل، مشغولاً عن نفسه.

متى يـا إنســان ترجــع إلى نفســك، تــدخل إلى داخــل نفســك، تغلق أبواب الحــواس حتى لا تتعطل عن التأمل فيما أنت فيه وفيما أنت عليه، وفيما بلغته وفيما أصبت فيه وفيما أخطأت.

ما أحرانا وما أحوجنا وخصوصاً فى نهاية هذا العام، إلى هذا التأمل وإلى هذه المراجعة وأن يستنبط الإنسان نفسه، يدخل إلى باطن نفسه، لأنه عادة يكون مشغولاً عن نفسه، إلى أى مدى تُشغل يا إنسان عن نفسك؟ نفسك هذه الثمينة الغالية كيف تشغل عنها؟ أنت من يوم ميلادك روحك آتية من فوق، ليست من الأرض، تنزل الروح من فوق وبهذا تبدأ رحلتها على الأرض.

إذن أنت بميلادك تبدأ رحلة حياتك، وبعد ذلك يا إنسان ستعود مرة أخرى إلى سيدك وإلى خالقك، فأنت فى الأرض فى رحلة، لها طول ولها عرض لن تطول بك، ليس لنا هنا إقامة، أنت عائد يا ابنى، أنت راجع، وهذا ما يقوله الكتاب المقدس «ارجعى يا نفسى إلى موضع راحتك». فهنا رجوع !! نعم رجوع، لأنك لست من هنا، روحك آتية من فوق وفى نهاية رحلتك على الأرض ترجع ثانية وتوضع على الميزان.

الله وازن الأرواح:

جاء فى سفر الأمثال الأصحاح السادس عشر: «الله وازن الأرواح»، أنت ستوزن بعد أن تعود من رحلتك، ستوضع على الميزان أو تقيّم وحينئذ يكون مصيرك تبعاً لوزنك.

الصورة التقليدية لرئيس الملائكة ميخائيل يمسك باليد اليسرى ميزان وتحت منه التنين، والتنين هنا يرمز إلى الشيطان الذى أُسقط من السماء، ويلاحظ أن الميزان كفتاه ليستا على مستوى واحد، كفة عالية وكفة نازلة، وباليد اليمنى سيف، هذه هى الصورة التقليدية لرئيس الملائكة ميخائيل، ما معنى هذا الميزان؟ معناه أن أعمال البشر والملائكة ستوزن، لأننا **كائنات حرة عاقلة مريدة مسئولة، أربع صفات**. البشر والملائكة كائنات عاقلة حرة مريدة مسئولة، فبعد نهاية الرحلة يكون هناك ميزان ووزن، فتجد التنين وهو إبليس الذى أُسقط من السماء، نجد كفتا الميزان غير مستويتين معاً، واحدة نازلة وواحدة مرتفعة وهذا يعنى أنك وزنت بالموازين فوجدت ناقصاً يا إبليس. وهنا السيف باليمين، سيف القضاء وسيف الحكم وسيف العقاب.

عندما هجم نبوخذ نصر ملك بابل على هيكل فى أورشليم وحطم الهيكل وهو هيكل سليمان، وأخذ آنية بيت الرب وذهب بها إلى بابل، وهناك أخذ يشرب الخمر فى آنية بيت الرب استهتاراً واحتقاراً. ومات نبوخذ نصر وخلفه بليشاصر، بليشاصر ابن نبوخذ نصر وبليشاصر أيضاً أخذ يشرب الخمز فى آنية بيت الرب الذى حطمه نبوخذ نصر، وبينما هو يشرب الخمر، وربما كان يشرب بشىء من السعادة واللذة لأنه فى وليمة، إذا به يرى طرف يد تكتب على مكلس الحائط «مَنَا مَنَا تَقَيل وفرسين» (دانيال ٥: ٢٥)، انزعج الملك، ما هذه اليد، يد تكتب على مكلس الحائط، اضطرب الملك ثم استدعى العلماء كالمجوس ومن إليهم، الذين يمكنهم أن يقرأوا مثل هذه الأمور، فعجزوا جميعاً عن أن يقرأوا، فدخلت الملكة لعلها أم الملك بليشاصر وزوجة نبوخذ نصر، وقالت يا ملك فى مملكتك رجل له روح الآلهة القدوسين هو الذى فسر لأبيك الحلم، حلم التمثال الذى من ذهب، فاستدعيه لأنه الإنسان الكفء الذى يمكنه أن يقرأ هذه الأمور. فاستدعى دانيال وقرأ دانيال منا منا تقيل وفرسين إلى آخره، ما التفسير الذى فسره دانيال؟ وزنت بالموازين فوجدت ناقصاً.

انظروا يا أولادنا كلمة وزنت، الكتابة التى كتبتها اليد الخفية على مكلس الحائط «منا منا ...» تقول للملك «وزنت بالموازين فوجدت ناقصاً. لقد أنهى الله حكمك» وفى تلك الليلة هجم عليه داريوس ملك الفرس وقتله، وزنت بالموازين فوجدت ناقصاً.

الله وازن الأرواح، كل إنسان منا بعد نهاية رحلته، يوضع على الميزان، يوزن الإنسان، يا ترى وزنك ماذا يكون؟ ما قيمة هذا الوزن، الله ليس بظالم، وزنك هو هو بعينه، الحقيقة لن تستطيع أن تخدعها.

الخلاصة أنه مثل ما يقول سفر الأمثال أصحاح (١٦: ٢) «والرب وازن الأرواح»، ستوزن يا إنسان، ليس لك هنا إقامة، أنت فى رحلة، وبعد ذلك سترجع مرة أخرى لن تبق هنا إلى الأبد، أبداً ابداً، هى فترة الحياة قلّت أو كَثُرت، قصرت أو طالت لكنك راجع، أنت غريب، ليس لك هنا إقامة، نحن غرباء ونزلاء على الأرض، آه يا إنسان لو تنبهت إلى هذا وعرفت حقيقتك أنك راجع، إنك مسافر وستعود مرة أخرى، لا تضيع وقتك فى أمور تافهة، هناك أشياء كثيرة نضيع فيها وقتنا، أنت عندما تكون مسافراً يا ابنى وتعرف أن هناك ميعاد محدد للقطار أو الطائرة تضطر أنك تستعجل، لو حضر أحد يطرق على الباب ترد عليه بسرعة، لا تريد أحداً يعطلك لأنه يوجد ميعاد، فيه ميعاد، فيه قطار، أنت تنتظر القطار ولكن القطار لا ينتظرك.

أنت راجع، يوجد جملة فى القداس، يقولها الكاهن سراً فى بدء القداس، «أنت يا رب خلصتنا وأدخلتنا إلى هذه الحياة»، أدخلتنا، أدخلتنا إلى الحياة، ففيه دخول، أنت دخلت الحياة عن طريق الميلاد، من الأم، وفى الموت أيضاً تخرج، يوجد خروج، نعم، هذا التعبير استخدمه بطرس الرسول، فقال: «بعد خروجى»، نعم، دخول وخروج بالموت، ندخل وبالموت نخرج. يوم أن يولد الجنين من بطن أمه، يخرج من رحم الأم إلى الحياة ونسميه الميلاد، ومثل ما يقول سيدنا له المجد: المرأة تحزن لأن ساعتها قد جاءت ولكن متى ولدت الولد تفرح ولا تذكر الحزن لأنه ولد إنسان فى العالم، ويوم أن نخرج، أو تخرج أرواحنا، نفس العملية تخرج من هنا وتدخل فى العالم الآخر، خروج ودخول، تدخل ومثل ما أن المرأة تعانى والطفل يعانى من عملية الخروج من بطن الأم لكى يدخل إلى العالم، هناك أيضاً عند الخروج يحدث هذا الألم وهو ما نسميه بسكرات الموت، سكرات الموت، أو الحشرجة التى تكون فى الآخر، لأن هناك عملية خروج، ومثل ألم المرأة وهى تلد، لأن هناك عملية معاناة لهذا الجنين عندما يخرج من المسالك الضيقة، فيعانى ويصرخ ويبكى ويتألم، كذلك الروح عندما تخرج من المخارج الضيقة، تمر فى هذا الممر الذى تخرج منه وهو الجسد لكى تدخل إلى العالم الآخر، هى هى بعينها، ميلاد وخروج.

فنعمل حسابنا يا أولادنا مثل ما دخلنا سنخرج، إذن يا إنسان هل رتبت لنفسك أن حياتك لها قيمة هنا؟ فلا تترك نفسك الأيام تجرى بها وأنت لاه، وأنت سرحان وأنت لا تعلم معنى حياتك، لماذا أنت هنا، وما هو الهدف من وجودك؟ هل فكرت هذا التفكير، لماذا أنت هنا؟ أنت مرسل، ليس الإرسال هو إرسال الأنبياء فقط إنما روحك أيضاً مرسلة، وتعود ثانية، راجع نفسك، أنت مرسل، هل فهمت لماذا أنت هنا؟ هل فكرت فى هذا الموضـوع؟ لا تسرح بعيداً، هذا سؤال أنت غير مستعد أن تجاوب عليه، تهرب منه، لماذا أنت هنا؟ ثم ماذا بعد هذا؟ ماذا بعد حياتك هنا؟ أنت روحك موعودة بالحياة الأبدية، أنت ستحيا حياة أبدية، وجودك على الأرض هنا مرحلة أولى، بعد ذلك يوجد مراحل أخرى يا أولادنا، الكتاب يقول إلى الأبد، هذا هو الوعد الذى وعدنا به الحياة الأبدية.

حياتك على الأرض مرحلة أولى:

أنت إنسان لك قيمتك ستحيا إلى الأبد، وجودك فى الدنيا مرحلة أولى، مثل ما هو فى التعليم يا أولادنا المرحلة الأولى نسميها المرحلة الإبتدائية بعد ذلك المرحلة الإعدادية، بعد

ذلك يوجد مرحلة ثانية اسمها الثانوية، بعد ذلك يوجد مرحلة المعاهد العليا والجامعات، بعد ذلك يوجد مراحل أخرى، العلماء الأفذاذ لا يكتفون حتى بالدكتوراه، يوجد لهم دراسات أخرى لماذا؟ لأن هذا العقل الإنسانى العظيم الذى خلق على صورة الله ومثاله لن يقنع، فيستمر يواصل باستمرار.

فأنت هنا مرحلة أولى، يوجد مراحل ثانية كثيرة، ونجاحك فى المرحلة الأولى يرشحك للمرحلة الثانية، الفوائد التى أنت أخذتها هنا، من حياتك ومن رحلتك هنا تأخذها معك وتنفعك فى المرحلة الثانية والمراحل التى بعد ذلك، لذلك كل استفادتك هنا والفضائل التى تربى نفسك عليها وتحصل عليها ستأخذها معك، لأن هذا العقل وهذه الروح الإنسانية خالدة وكل الفضائل تصحبها الروح، العلم، والمعرفة، والتقوى، والأعمال الصالحة، كلها تتبع الروح فى رحلتها، تمشى وراءها وتمشى معها.

هذا المخ يا أولادنا أعظم ريكوردر، أعظم مسجل، ألا تذكر اليوم أمور حدثت لك وكان سنك سنتين أو ثلاث سنين، قد تكون كلمة قالها لك شخص منذ ١٥ سنة ولكنها رسمت فى المخ، كل شىء كل ما تراه العين وتسمعه الأذن، كل فكر، وكل شعور بيعمل Print يطبع على هذا المخ.

الله ليس بظالم:

صورة يقدمها لنا سفر الرؤيا أو الجليان يقول: «ثم رأيت عرشاً عظيماً أبيض، والجالس عليه الذى من وجهه هربت الأرض والسماء ولم يوجد لهما موضع، ورأيت الأموات صغاراً وكباراً واقفين أمام الله»، وقال الصغار قبل الكبار حتى لانقول الصغار ليس لهم شىء، ثم «وانفتحت أسفار» فتحت أسفار بالجمع، «وانفتح سفر آخر هو سفر الحياة» وهذا مفرد الأسفار أى سفر واحد وهنا يقول «ودين الأموات بحسب أعمالهم» (رؤيا ٢٠: ١١ ـ ١٢). ما هى هذه الأسفار؟ سفر كلمة عبرية معناها كتاب. إذن ما هى الأسفار التى تفتح يوم الدينونة؟ هل هى كتاب من ورق؟ لا .. يا ابنى، سفر حياتك على هذا الجسد، كتاب حياتك مرسوم، كل شىء مرسوم على هذا المخ، أعظم ريكوردر، وعلى هذه اليد، الرسوم التى على يدك اليوم غير رسوم الأمس، بل الآن غير ما كانت فى الصباح، كل ما يمر على حياتك، يرسم ويطبع، يوجد هنا طابعة، تطبع، ففتحت أسفار، ستقف أمام الديان، ولذلك يوم الدينونة مُرجأ إلى ما بعد القيامة، لا توجد الدينونة الكاملة، بعد

ما تخرج روح الإنسان من جسده، لا يوجد أيضاً الجزاء الكامل أبداً، مُرجأ إلى ما بعد القيامة لماذا؟ لأن هذا الجسد زميل للروح فى رحلتها على الأرض، فكيف تجزى الروح بدون الجسد؟ فلابد من إرجاء الدينونة إلى ما بعد القيامة. ولذلك الكتاب يقول: لأننا لابد جميعاً أن نقف أمام كرسى المسيح للقضاء، لاحظوا كلمة **كرسى المسيح للقضاء**، لينال **كل واحد**، كل واحد دينونة فردية، حساب فردى، لينال كل واحد بحسب ما صنع فى الجسد خيراً كان أم شراً.

لن أظلمك يا إنســان، الله ليس بظالم، الله لا يحابى بالوجوه، أنت صانع مصيرك يا إنسان، فتحت أسفار رأيت عرشاً عظيماً أبيض، طبعاً البياض هنا يرمز إلى الطهر والنقاء والطهارة معاً، نعم، الله عادل، عادل لن تكون عدالته ظلم، رأيت عرشاً عظيماً أبيض، نعم، لن يظلمك إنسان، لن تأخذ غير حقك، وفى آخر الأصحاح الثانى والعشرين من سفر الرؤيا أو الجليان يقول: «هوذا أنا آتى سريعاً وأجرتى معى، لأجازى كل واحد منكم حسب عمله»، أجرة، ما هى الأجرة يا أولادنا؟ هى المقابل، كُلٌ سيأخذ أجرته حسب تعبه، لذلك يوجد درجات، كل الناس لن يكونوا فى درجة واحدة، مثل درجات النجاح فى الإمتحان هناك من يأخذ فوق العشرين من أربعين، يوجد واحد آخر ٢١ أو ٢٢ أو ٢٥، إلى آخره، لابد أن يكون هناك تفاوت طبعاً، وأيضاً مصير الإنسان، الأبرار ليسوا فى درجة واحدة، لذلك يقول **نجم يمتاز عن نجم فى المجد**، انظر الكلمة، نجم يمتاز عن نجم فى المجد إذن القديسون ليسوا درجة واحدة، ولكن بحسب تعبهم وبحسب العمل الذى عملوه، لأن الله عادل والعدل يقتضى، أن كل واحد يأخذ المقابل، «الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة»، «كل سيأخذ أجرته حسب تعبه» لا يوجد محاباة.

إذن يا إنسان أنت صانع مصيرك، لن يتحكم الله فيك، لن يظلمك، هو أبونا كلنا، لذلك لا يميز إنساناً عن آخر، لماذا يميز واحداً عن الثاني؟ هو أبونا كلنا وخالقنا كلنا، لا يوجد محاباة أبداً، إنما أنت يا إنسان صانع مصيرك، كُل سيأخذ أجرته حسب تعبه.

لذلك لا تتضايق إذا أنت تعبت من أجل المسيح، أو اضطهدت من أجل المسيح، مثل الشهداء ومثل القديسين، إذا كان من أجل المسيح اضطهدت أو تعبت تأكد تماماً أنك ستأخذ الأجر، ستأخذ المقابل لتعبك.

لذلك يتضاعف إكليلك، الأكاليل ليست واحدة، الأكاليل مختلفة، على قدر التعب، كل سيأخذ أجرته حسب تعبه.

المهم يا أولادنا وقد أتينا إلى نهاية هذا العام، يجب إحقاقاً للحق لا تترك نفسك بغير محاسبة، إبدأ بنفسك، لو حكمنا على أنفسنا لما حكم علينا، احكم على نفسك الآن قبل أن يأتى الوقت الذى يفلت منك الزمام فلا تستطيع أن تتفاداه، يقول: «مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة» ، لكن اشكر الله أنك تحيا حتى الآن، يوجد كثير غيرك سافر، بالأمس كان هناك أشخاص سافروا، وأول أمس أيضاً أشخاص سافروا، أنت موجود لغاية الآن، افرح واشكر الله إنك تعيش حتى الآن، وذلك ليس لأنك أفضل من غيرك، إنما ربنا يعطيك فرصة لعلك تصحح أخطاءك، يجب أن تستفيد يا إنسان من فرصة وجودك فى هذه الحياة، خسارة أن تضيع منك هذه الفرصة، ولا تستغلها لفائدتك.

جميل إننا فى نهاية العام نتأمل ونتذكر لكى نحاسب أنفسنا، ونراجع حياتنا، المراجعة معناها التوبة، لأن ثاب بمعنى رجع.

التوبة تقوم على أربعة عناصر:

* **العنصر الأول: الندم والانسحاق والدموع:** الندم ، اندم يا إنسان لأنه إن لم تندم يكون معنى ذلك أنك راضى عن نفسك، لكن ندمك دليل على أنك أنت غير راضى عن نفسك، وهذا حسن ولمصلحتك، هذه الخطوة الأولى النافعة أن تعرف نفسك، وأن تدين نفسك وأن تندم على ماضيك. وتندم على الفرص التى ضاعت منك.

* **العنصر الثانى: العزم الصادق على تجديد السيرة:** العزم الصادق، الابن الضال قال أقوم وأرجع إلى أبى وأقول له أخطأت، أقوم، وقام فعلاً، قام، حكم على نفسه أن يقوم فقام، وأنت؟ كل واحد فينا، حسن أنك أنت تأسف وتندم ويؤنبك ضميرك على حياتك، لكن الخطوة الثانية أنك تعزم عزماً أكيداً، أن تغير سيرتك، وأن ترجع، ما معنى التوبة إن لم يكن هناك رجوع؟ ترجع، أنت تسير فى طريق ترجع منه، كنت تمشى فى طريق الخطيئة ترجع منه، وذلك يحتاج عزيمة، أنت الذى تعزم لا تنتظر الله يدفعك؟ لا... الابن الضال، يقول الكتاب المقدس لما هو رجع، أبوه رآه من بعيد فركض ووقع على عنقه وقبله، ماذا يعنى ذلك؟ يعنى كان الأب منتظراً عودة ابنه وقلبه متحرق عليه ولكن لا يفرض نفسه عليه، لما هو رجع فـرح به، الله ينتظر عودتـك يا إنســان، لا تنتظرأن الله هوالذى يتوبك، لا .. أنت الذى لابد أن تبدأ، ولكن إعلم أن الله متطلع إليك، هو يريدك، السماء تفرح بخاطئ واحد يتوب أكثر من ٩٩ باراً لا يحتاجون إلى توبة. الله ينتظر عودة الإنسان إليه.

* **العنصر الثالث: الرجاء:** ماذا يعنى الرجاء؟ يعنى أن لا تفقد رجاءك فى أن الله أبوك، وعندما ترجع إليه يقبلك. لن يرفضك مادمت فى توبة صادقة. يقول المسيح له المجد: «من يقبل إلىّ لا ألقى به خارجاً»، هذا وعد من حنوه لا يرفضنا ولكن التوبة لابد من القلب، يقول أنا واقف على الباب أقرع إن فتح لى أحد أدخل. نقول له يا رب اقتحم!! يقول: لا ... لا لا هذه ليست سياستى، سياستى سياسة الحرية، أنت الذى تفتح، أنا واقف على الباب أقرع.. أنتظر، أنت الذى تقوم وتفتح، ولكن إذا أنت لم تفتح الباب سيعبر، مثل ما نقول فى نشيد الأنشاد لكن حبيبى تحول وعبر، قال لها قومى يا حبيبتى يا كاملتى افتحى لى الباب، قالت له أنا طلعت فوق الفراش، غسلت رجلىّ فكيف أوسخهما، تمنعت .. اعتذرت عن أنها تفتح الباب، بعد ذلك انتظرت أن يقرع مرة أخرى فلم يقرع، التهب قلبها وقامت وفتحت الباب، فلم تجده، جريت فى الشوارع وهى تصرخ، يا بنات أورشليم هل رأيتن حبيبى؟ حبيبى أبيض وأحمر، يا بنات أورشليم، يقول: وجدوها الحراس ضربوها وجرحوها.. ولم تجد حبيبها، رفضت الفرصة التى عرضت أمامها ففقدتها إلى النهاية. وهذا معناها أن من الممكن الواحد فينا أن يفقد الفرصة.

إذن يا إنسان انتهز الفرصة، لكن أنا واقف على الباب أقرع، أنا لن اقتحم الباب أبداً، هذا حفظاً لحريتك يا ابنى، أنا لا أقتحم الباب عن غير إرادتك هذه سياستى، أنت الذى تفتح الباب، إن فتح أحد أدخل وأتعشى معه بالمسرات الروحانية، وإن لم يفتح لن أدخل، بل أعبر، ستفقد الفرصة يا إنسان.

* **العنصر الرابع: الاعتراف:** والاعتراف سلطان الأدلة، الاعتراف على الكاهن، بإعتباره ممثل السلطة الإلهية، الكاهن يمثل السلطة الإلهية، فأنت لابد أن تعترف، هذه شروط التوبة الناجحة، ندم ثم عزم صادق على تجديد السيرة، وأن لا تفقد رجاءك كما فقد يهوذا رجاءه وقال أخطأت إذ سلمت دماً بريئاً، لكنه فقد رجاءه وذهب وشنق نفسه. لا يا ابنى، لا تفقد رجاءك، اعلم أن الله أبوك وأنه ينتظر عودتك، وينتظر عزمك على تجديد السيرة، فلا تيأس، لا تيأس من رحمة الله، اليأس يعد تجديف على الله، والله لا يقبل منك هذا اليأس، لابد أن يكون لك رجاء وتثبت فى الرجاء، فلا تكون كيهوذا الذى فقد رجاءه وفقد خلاصه. وبعد ذلك تأكد أنك ستكون فى حياة أخرى أفضل مما كنت، لأنك استفدت من الماضى بما يفيدك أن تبدأ حياة أخرى جديدة. لذلك ونحن ننهى هذا العام لابد أن ندين أنفسنا على أخطائنا، وأن يكون لنا تصميم على صناعة المستقبل، ماذا تريد

يا إنسان؟ أحلام حياتك، ماذا تصنع؟ لا تيأس، ننسى ما هو وراء ونمتد إلى ما هو قدام، ليكن أنك تدين نفسك لكن لا تيأس، إنسَ الماضى، كفر عن الماضى بالتوبة واعلم أن دم المسيح يطهرنا من كل خطيئة وتتقدم إلى سر التناول، تغسل بدم المسيح خطاياك، قم مثل ما قال حنانيا لشاول قم واعتمد واغسل خطاياك، ففى دم المسيح نغسل خطايانا، فإذا قدمت توبة صادقة بعد ذلك تتقدم إلى سر التناول، وبذلك تكون خطاياك غفرت، بعد ذلك تنمو بالنعمة وفى الفضيلة، لكن لابد أن يتجدد ذهنك، ماذا تريد يا إنسان، ضع فى ذهنك أحلامك، حلم حياتك، شخصيتك يا ابنى عمارة لابد أن تبنى درجة درجة، الأول لابد أن يكون هناك (رسم عمارة) ثم بعد ذلك البناء، شخصية الإنسان تبنى كالعمارة، فضيلة بعد فضيلة، فلابد أن تنمى الفضائل فى نفسك، وبهذه الطريقة تستفيد من حياتك، وتصير عمارتك عظيمة جداً بكثرة الفضائل التى فيها، وستبقى هذه العمارة لأنه «إذا نقض بيت خيمتنا الأرضى فلنا فى السموات بناء، غير مصنوع بيد أبدى».

أيها الأبناء لم يبق على نهاية هذا العام إلاّ ساعات وبعد ذلك نبدأ عاماً جديداً، نرجو الله أن يكون عاماً فيه خير وبركة للعالم بأسره، ولمصر على الخصوص، والشرق الأوسط ولكل فرد منا، ولعائلاتنا، ونرجو أن يكون عاماً جديداً فيه توبة عن خطايانا، وعبور عن أخطائنا التى وقعنا فيها، نرجو أن يكون فى هذا العام الجديد تجديداً لعهودنا مع الله، نحن نراجع أنفسنا ونعترف بأخطائنا والاعتراف بالخطأ أول درجة فى سلم الفضائل، أما العناد والمكابرة والإدعاء بأننا لم نخطىء ومحاولة الإنسان تبرير ذاته، وأن ينتحل العذر لنفسه وأن يردد هذه المقولة «غصبن عنى»، هذا أمر مرفوض فى طريق الفضيلة.

المفروض إننا سائرون فى طريق السماء وأمامنا هدف كبير هو خلاص أرواحنا، وأننا ونحن نواصل مسيرتنا نحو الحياة الأبدية أننا لا نبرر الذات ولا نجامل أنفسنا ولا ننتحل عذراً لأنفسنا، الفضيلة أن تنتحل العذر لغيرك حتى لا تحقد عليه، وحتى لا تغضب منه، وحتى تزيل الخصومة بينك وبين الآخرين، إنما بالنسبة لنفسك لا تنتحل العذر لها، إعترف بأنك أنت قد أخطات واعترافك بالخطأ أول خطوة فى سبيل تصحيح المسيرة.

ما أحرانا أيها الأبناء فقد أشرفنا على نهاية العام، إننا نستغفر الله عما فات وقبل أن نستغفر الله نراجع أنفسنا ونحاسب ذواتنا فيما أخطأنا ولماذا أخطأنا؟

المفروض أن الإنسان السائر فى طريق الفضيلة يحاسب نفسه يوماً بيوم، بل يراقب نفسه ساعة بساعة، إلى أن يأتى الزمن والوقت الذى فيه يحسب حساب الكلمة قبل أن

ينطق بها، وينتبه إلى واجباته قبل أن يتصرف، ويتجنب الانفعال الضار والغضب والتوتر والإجابات السريعة قبل أن يعى الإنسان الموقف على حقيقته، فى كل هذا ينبغى أن يراجع الإنسان نفسه ويحاسب ذاته، وما أحرانا ونحن فى هذا اليوم الأخير بل فى الساعة الأخيرة من هذه السنة التى انصرفت أن يراجع الإنسان نفسه، هذه المراجعة فى غاية الدقة لأننا لو حكمنا على أنفسنا لما حُكم علينا كما يقول الإنجيل.

نحن غرباء:

نحن غرباء على هذه الأرض، أرواحنا لم تأت من الأب والأم، الذى يأتى من الأب والأم هو بذرة الحياة الأولى، ولكن كما يقول أباء الكنيسة أنه بعد أربعين يوماً من تكوين بذرة الحياة الأولى تنزل الروح من السماء، لتتحد ببذرة الحياة الأولى ويبدأ الإنسان مسيرته فى الدنيا، وهذا مايذكره الكتاب المقدس فى سفر زكريا والأصحاح الثامن عشر، «الله باسط السماوات والأرض وجابل روح الإنسان فى داخله»، الله جابل روح الإنسان فى داخله، فأرواحنا مجبولة، مخلوقة، فنحن أرواحنا ليست من الأرض، ليست من التراب، الجسد من التراب ولكن الروح آتية من فوق، إذن نحن هنا فى رحلة، وهذه الرحلة لها نهايتها، وبعد ذلك أرواحنا تعود إلى خالقها مرة أخرى، نحن عائدون، نحن هنا غرباء ونزلاء، ولكننا عائدون أيضاً، ونرجع إلى سيدنا وإلى خالقنا، مانسميه بالموت ليس فناء وإنما هو نهاية هذه المرحلة الأولى من مراحل وجودنا، نحن لم نخلق للموت، خُلقنا للحياةَ، الموت أدخلناه على نفوسنا بالخطيئة، ومع ذلك حوله المسيح ليكون سبيلاً إلى خروجنا من رحلة الحياة الدنيا، إلى العالم الآخر الأفضل من هذا، إذن نحن هنا ليس لنا فى الأرض إقامة، ليس لنا هنا إقامة، نحن غرباء ونزلاء، والغريب هو الذى ليس له فى الوطن إقامة لأنه غريب، والنزيل فى الفندق معناه أنه لا يبقى فى الفندق طويلاً، إنما لفترة يوم أو أكثر، وبعد ذلك يمر إلى البلد الأخرى التى يقصدها، هذا التعبير جميل، إننا غرباء ونزلاء، وهذا ما يقوله المزمور، «غريب أنا فى الأرض فلا تخفِ عنى وصاياك».

لننبذ المخاصمات:

إذن لماذا نتصرف فى الحياة الدنيا كما لو كنا سنحيا فيها إلى الأبد؟ لماذا نتخاصم ونتغاضب؟ ويغاضب أحدنا الآخر من أجل مطامع الدنيا، إذا كنا نعامل هذه الحياة على حقيقتها كغرباء ونزلاء، فليس هناك ما يبرر خصومتنا مع بعضنا البعض، من أجل

أمور زائلة تافهة، حرام أن تضيع محبتنا بعضنا لبعض من أجل أمور زائلة فانية، مع بالغ الأسى والأسف يحدث فى العائلة الواحدة مغاضبة وخصومة بين الأخ وأخيه، بين الأخ وأخته، بين الرجل وزوجته، بين الأم وابنها، وهكذا كما نعرف كم من الخصومات تنشأ فى العائلات بسبب الأمور الزائلة، لكن لو أدركنا أننا نحن غرباء وأننا راحلون فلا يستحق الأمر أن نتخاصم من أجل هذا.

قيل عن الأنبا بولا السائح الأول الذى نحن نعرف قصته ونتشفع بصلواته، كانت له أخت وهذه الأخت متزوجة، وحدث نزاع بين زوج الأخت وبين الأنبا بولا على إرث، على المال، على الشيء الذى ورثاه من الوالدين، وذهب الأنبا بولا إلى الكنيسة، وبعد القداس رأى أن هناك إنساناً صلوا عليه صلاة الموتى وودعوه وحملوا جثمانه فى تابوت، وحينئذ سأل الأنبا بولا وهو كان لا يزال شاباً فى هذا الوقت، هذا الرجل الذى مات هل حمل إلى قبره شيئاً؟ ما معنى هذا السؤال؟ هل يوجد إنسان يأخذ أكثر من ١٥٠ سم أو ١٦٠ سم يرقد فيها، هو طبعاً يعلم الإجابة، ولكنه يرغب فى أحد آخر يوصل إليه هذا الكلام، هو يعرف الإجابة لكن أحياناً يحب الإنسان أن يسمع صوتاً آخر، قد يكون فى هذا الصوت رسالة له، المهم رجع إلى المنزل وتراضى مع زوج اخته، قال له يا فلان لا يمكن أن تقوم بينى وبينك خصومة على هذا المال، أبدا أبدا، خذ ما يحلو لك، خذ ماتريد ولا يمكن أن نتخاصم ونفقد محبتنا بعضنا لبعض من أجل هذه الأمور التافهة الزائلة، وفعلاً زوج أخته أخذ ما أراد أن يأخذه من هذا الإرث، وأما الأنبا بولا فما تبقى له باعه وأعطاه للفقراء والمساكين وذهب متوحدا سائحاً فى طريق الفضيلة وطريق السماء.

هذه القصة تتكرر فى حياتنا وفى عائلاتنا، خصومات تنشأ بين الأخ وأخيه، بين قايين وهابيل منذ القديم على أمور زائلة، لو كان الإنسان منا يحتكم بحكمة السماء ويعرف أنه غريب ونزيل وأنه عابر، يجد أنه يخطىء لو يغضب مع قريب له بسبب هذه الأمور الزائلة، ويفقد محبته لأخيه أو لأخته أو لأبيه أو أمه فى سبيل الاحتفاظ والتكالب على المادة.

لو عرف الإنسان أيضا أنه غريب ونزيل لما كان يسرق ويغتصب، ويتعدى الحدود فى سبيل أن يغتنى، أو فى سبيل أن يحصل على أى شيء ليس من حقه، إحساسه بنهاية حياته وأنه غريب يعصمه من أن يقع فى هذا الخطأ ويعقله، لأن العقل هو الرباط، لماذا سمى العقل بالعقل؟ لأنه رباط، عقل الناقة أى ربطها، فعقل الإنسان هو رباطه الذى يشكم شهواته ونزواته، يربطه، يحكمه، هذا هو العقل، لو كان الإنسان يتحكم بعقله ويضبط

تصرفاته، لما كان أبدا يرتكب السرقة والخيانة والتعدى ويغتصب حقوق الآخرين، ويطمع طمعاً مادياً فى شىء من شئون الدنيا أو فيما هو ملك لأهله، أو كما تقول الوصية العاشرة «لا تشته بيت قريبك ولا إمرأته ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك»، هذه الشهوة هى شهوة الإنسان الذى يطمع فى هذه الأمور الدنيوية ويتكالب عليها، وفى سبيل هذا التكالب يرتكب أخطاء ضد نفسه وضد إلهه وضد الآخرين، من أقاربه وأصدقائه والمعايشين له.

إذن لو أدركنا وأدرك الإنسان منا أنه غريب فى الأرض وأنه راجع إلى خالقــه بعد نهاية رحلته، نحن راجعون «ارجعى يا نفسى إلى موضع راحتك» رجوع، لأن أصلنا من السماء، هذه الأرواح ليست من الأرض فهى من السماء نازلة، فبعد رحلة الحياة الدنيا ترجع الروح إلى الله الذى أعطاها.

وهذا ما يقوله سفر الأمثال والجامعة «بالموت يرجع التراب إلى التراب كما كان وترجع الروح إلى الله الذى أعطاها» ، نفس المعنى يتكرر يرجع التراب إلى التراب، وترجع الروح إلى الله الذى أعطاها.

إذن أرواحنا آتية من فوق ووجودنا فى الدنيا فترة مؤقتة، رحلة وبعد ذلك نرجع، ترجع أرواحنا إلى خالقها مرة أخرى، وطبعاً ترجع ومعها تقريرها عن حياتها، ترجع ومعها تقريرها عن رحلتها، ماذا صنعت يا إنسان، ماذا صنعت فى رحلتك؟ ماهى الأمور التى أنجزتها؟ وماهى الأمور التى لم تنجزها؟، ماهى النجاحات التى صنعتها فى حياتك؟ وماهو الفشل الذى تسببت فيه. وأخطاؤه؟ كل هذه يحملها الواحد منا فى نهاية هذه الحياة، وفى نهاية هذه الرحلة، عندما يرجع إلى سيده، عندما يرجع لخالقه، يحمل تقريراً عن نفسه ويُوضع على الميزان!! نعم يُوضع على الميزان، ميزان العدل الإلهى، فطوبى للإنسان الذى إذا وُضع على الميزان، يشهد الميزان له بأنه صنع خيراً فى حياته، واستغل وقته ومواهبه فى أعمال صالحة، أما إذا الواحد منا لم يعمل العمل الذى ينبغى عليه أن ينجزه فى رحلته على الأرض، فسيظهر هذا حينما يعود ويُوضع على الميزان وحينئذ يسمع الكلمة القائلة وزنت بالموازين فوجدت ناقصا.

كن وكيلاً أميناً:

فشكراً لله وشكراً للكنيسة أن كنائسنا اليوم تودع نهاية العام الميلادى، هذه السهرة لهذا الشعب كله يجتمع فى الكنيسة ونجتمع على أمر واحد، مراجعة أنفسنا والصلاة

وتجديد عهودنا مع الله، هنا السؤال ماذا لو انتهت حياتى الآن؟ وهذا أمر ممكن، وعشرات من الناس ومئات من الذين نعرفهم والذين لا نعرفهم انتهت حياتهم، وأنا لو انتهت حياتى اليوم فى أى ساعة أو فى أى دقيقة، فأنا إنسان معرض فى أى وقت تنتهى حياتى، ترى عندما أرجع لسيدى لأننا نحن راجعون وأُوضع على الميزان، ماذا يكون وزنى؟ وازن الأرواح، نعم، ترى عندما يذهب الإنسان إلى هناك، فيجد نفسه غريباً أو معروفا بالوجه، سيدنا له المجد يقول: «اصنعوا لكم أصدقاء بالمال الذى لا حق لكم فيه، حتى إذا فنيتم يقبلونكم فى المظال الأبدية»، بعض الترجمات وضعوها «مال الظلم»، هو ليس مال الظلم، بمعنى أن الإنسان يظلم، لا... المال الذى لا حق لك فيه، يعنى مثلاً العشور ليست من حقك أنت، العشور حق الله، البكور، النذور، وأيضاً عندما تكون أنت إنسان رب عائلة زوجتك وأولادك لهم حقوق فى مرتبك أيضاً، لو كنت مدير عمل، أيا كان فى أى وظيفة، كل العمال الذين معك لهم حقوق، إذن كلمة اصنعوا لكم أصدقاء بالمال الذى لاحق لكم فيه، ليس معناه أن الإنسان يرتكب الظلم ويكون له أصدقاء!! لا.. يوجد أموال أنا مؤتمن عليها باعتبارى رب عائلة أو باعتبارى رب أسرة أو مدير عمل، هذا المال فيه جزء منه يخصك، ولكن هناك أجزاء أخرى هى حقوق للآخرين، أنت مؤتمن عليها، أنت أمين مخازن، هذه المخازن ليست ملكك، أنت فقط مؤتمن عليها، فأنت وكيل ولست الأصيل، فالوكيل لابد أن يحاسب أمام الأصيل، فكلنا يا أولادنا وكلاء، وكلاء على مسئوليات، إن كنت أباً أو إن كنت أماً، إن كنت موظفاً، إن كنت عاملاً، إن كنت خادماً من أى نوع ، فأنت وكيل، وكيل على وزناتك، مواهبك المادية وأيضاً العقلية وأيضاً الروحانية، كل هذا أنت مؤتمن عليه، لأن مثل مايقول الرسول أى شىء لك لم تأخذه، كل شىء أنت أخذته من عند ربك فأنت مؤتمن، ماذا صنعت يا إنسان، وأنت أمين مخازن وأنت مؤتمن وأنت وكيل ولست أصيل، يقول سيدنا له المجد لوكيل الظلم أعطى حساب وكالتك لأنك لا تقدر أن تكون أمينا بعد، ولاتقدر أن تكون وكيلاً بعد.

هكذا يا أولادنا بعدما نرجع سنحاسب أمام سيدنا، توضع على الميزان هناك، الأصيل ماذا يكون حكمه، أنا وكيل لكن سأحاسب أمام الأصيل، ماذا صنعت بالمسئولية التى أنا مسئول عنها، إن كان لى أولاد، إن كان لى زوجة، والمرأة إذا كانت أماً وأيضاً الإنسان فى أى عمل من الأعمال، فى أى مسئولية من المسئوليات، مسئولية علّمية أو إدارية أو مالية أو أى عمل، كل هذا سيكون فيه حساب، مجرد وكيل وأمين مخازن لكن المسألة غير متروكة

ومهملة، هناك حاكم الكون. ياترى ماذا يكون التقرير لروحك، هل يقال عنك أنك أمين أم يقال وزنت بالموازين فوجدت ناقصاً!!

ماتزرعه إياه تحصده:

فيه قصة يا أولادنا جاءت فى السنكسار تعطينا وسيلة إيضاح أو تشرح لنا كيف أن الذى يعمله الإنسان هنا يصل هناك إلى فوق، مثل ما تلقى بخطاب فى صندوق البريد، أنت تضعه وأنت تعلم أن الدولة لها وسائلها أن هذا الخطاب يصل للشخص الذى تريده، فعمل الخير الذى تعمله يصل إلى الله، فأنت تعطى الله «من يعطى الفقير يقرض الرب» أنظروا هذا التعبير، الذى يعطى الفقير يقرض الله، ماذا يعنى هذا التعبير؟ أنا أقرض ربنا، لما أعطى الفقير أقرض الله ماذا يعني؟ يعنى أنه هو الذى سيدفع لك المقابل، عمل الخير الذى أنت تصنعه يصل لسيدك فوق.

فهنا يوجد قصة جميلة فى السنكسار، كان واحد اسمه ابراهيم العابد، هو سمى أخيراً إبراهيم العابد، لكن هو كان أصلاً رجل غنى، وغنى جداً، وكثير من الأغنياء يكونون بخلاء، ويكون عندهم نوع من التكالب والحرص الشديد على المال، ولذلك يغتنى أكثر فأكثر، فهذا الرجل كان غنياً جدا ولكن أيضاً كان بخيلاً، فعندما كان أحد يحضر إليه يطلب صدقة يرفض أن يعطى له، ويغضب عليه ويشتمه وقد يضربه أو يطرده على الأقل، المهم يروى السنكسار أن هذا الرجل الغنى كان الخادم أحضر له الفطار، وفى هذه الأثناء حضر رجل مسكين يطلب صدقة فنكد عليه، واغتاظ غيظاً شديداً، وأخذ لقمه وضربه بها وطرده، ولكن يبدو أن هذا الإنسان على الرغم من بخله أنه كان عنده طيبة، وهذه مهمة يا أولادنا فى علاقتنا بربنا، الإنسان الذى عنده شىء من الطيبة الله يفرح به، مثلاً واحد مثل بولس الرسول لما كان يضطهد المسيحية، لم يكن يضطهدها عن خبث، ولكن ببساطة لأنه يؤمن أن الديانة الصحيحة هى الديانة اليهودية، فالديانة المسيحية يرى أنها بدعة وكان يقاومها، وكان يحل لنفسه أنه يقتل ويجر إلى السجون رجالاً ونساء، لكن لأن قلبه فيه طيبة الله لم يتركه، لم يجد أحداً يقنعه، فالمسيح ظهر له بنفسه فى الطريق، وهو لم ينس فضل المسيح عليه، أحياناً كان يشعر بتأنيب الضمير عن حياته الأولى، فيقول أنا لست مستحقاً أن أدعى رسولا لأنى اضطهدت كنيسة الله، ولكنى رُحمت، أى ربنا رحمنى لأنى فعلت ببساطة فى جهل وفى عدم إيمان، ربنا رحمه لأنه لما كان يصنع هذه الشرور، كان يصنعها ببساطة وليس عن خبث ولا عن طمع مادى.

فهذا الرجل ابراهيم العابد، كان غنياً ولكن كان يكره أن يعطى الفقراء والمساكين، أقول قد يكون أن الله وجد فى هذا الإنسان طيبة، فالمهم أنه فى الليل رأى رؤيا، رأى نفسه فى يوم الحساب، يوم الدينونة ورأى ميزاناً ورأى كل واحد الملائكة تحضر أعماله وتضعها فى الميزان، فجاء الدور عليه فرأئ الملائكة واقفين وقالوا هذا الرجل لم يصنع شيئاً حسناً، فجاء ملاك صغير وقال لا.. هذا الرجل بالأمس رمى لقمة خبز لواحد مسكين وأحضر هذه اللقمة ووضعها فى الميزان، الرجل استيقظ من النوم وأخذ يبكى بكاءا مراً، وقال أنا وصلت لهذه الدرجة من الشر، حتى اللقمة التى رميتها بدون رضى قلبى، الله لم ينسها، وبدأ يكفر عن ماضيه ويعطى باستمرار عطاءا متواصلاً لدرجة أنه أخيراً أعطى الثوب الذى عليه، وبعد ذلك سار فى طريق الكمال وذهب للرهبنة وأصبح اسمه ابراهيم العابد.

فهناك إله رقيب وخصوصاً الأمور التى أنت تعملها فى الخفاء، والتى تعملها لا من أجل أن تنال عنها الجزاء أو مدح من الناس لا تنسى أبداً. إرمى خبزك على وجه المياه تجده بعد أيام كثيرة. ربنا لا ينسى، هو العين الساهرة، فى اليوم الأخير المسيح الديان يقول فى يوم الدينونة فى المجىء الثانى للذين على يمينه «تعالوا أيها المباركون من أبى لترثوا الملكوت المعد لكم، لأنى كنت جائعاً فأطعمتمونى، عطشاناً فسقيتمونى، عرياناً فكسوتمونى ، غريباً فآويتمونى، مريضاً فزرتمونى، فيقول الأبرار له متى رأيناك يارب جائعاً فأطعمناك!! متى رأيناك عطشانا فسقيناك»، هم لا يكذبوه، ولكنهم نسوا، ولكنه لم ينس، ممكن أنت تنسى عمل الخير الذى تعمله، أو كنت تعمله فى الخفاء ولا يراك أحد، ومثل ماقال المسيح لا تعرف شمالك ماتفعله يمينك، كل هذا محسوب أمام سيدك، هو الرقيب وهو ناظر الكون، وعيناه تخترقان أستار الظلام.

يوجد قصة جميلة أيضاً عن يوسف الصديق المعروفة، المرأة زوجة فوطيفار عندما أرادت أن تخطىء مع يوسف فيوسف قال لها كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطىء إلى الله، هى لم تكن تعرف الله الحقيقى، فكان عندها أصنام فى المنزل وهى التماثيل التى تمثل الآلهة، فوضعت التماثيل بجوار بعضها وأحضرت ستراً كبيراً وغطت به التماثيل، وقالت له يا يوسف كن مستعداً لن يرانا أحد لقد غطيتها، تعالى يايوسف، قال لها أما إلهى فعيناه تخترقان أستار الظلام، أنتِ تقدرى أن تغطى آلهتك، تقدرى أن تغطى بهذا الستر عيون هذه التماثيل والأصنام، التى لا ترى ولا تسمع، أما إلهى فعيناه تخترقان أستار الظلام.

فيا بنى وأنت على الأرض لا تنسى أن سيدك فوق ويراك وناظر إليك، لا يمكن أن يغفل، فهو حاكم الكون، فصنع الخير الذى أنت تصنعه ولا يدرى به أحد الله يراه، لا ينسى ليس ضعيف الذاكرة، الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة، الله ليس بظالم الله عادل، فأنت أيها الإنسان أنت صانع مصيرك ولكن اطمئن أن كل شىء تعمله إن كان خيراً سيدك لن ينساه، وإن كان شراً سيدك يتذكره، وستحاسب عن هذا وعن ذاك، نحن هنا فى رحلتنا على الأرض هذه مرحلة أولى، وراجعين لسيدنا، وسنحاسب أمام سيدنا، إن صنعت خيراً فلك الجزاء وإن صنعت شراً لا ينسى أبداً، إن ظلمت غيرك، فهذا الإنسان المظلوم لابد لسيدك أن يأخذ حقه منك، خصوصاً إذا كنت إنساناً كبيراً أو متكبراً أو مركزك يسمح لك أنك تتحكم فى غيرك، لا تنسى أن فيه إله، فوق العالى عاليا والأعلى فوقهما.

فأنت إذا كان وظيفتك أو عملك أو مركزك فى الدنيا يسمح لك أنك تتحكم فى غيرك، أو أن تظلم غيرك، هذا المظلوم لابد أن يُرد إعتباره، إذن أيها الظالم راجع نفسك وحاسب نفسك، وقل أنا ماذا صنعت وقبل أن تحاكم ويحكم عليك أنت احكم على نفسك وأنت فى الحياة.

يا أولادنا.. رجاؤنا فى الله أن يقبل استغفارنا وأن تمحى خطايانا، ونشكر الله أنه أعطانا عمراً وعشنا إلى هذه الساعة، كثيرون غيرنا ذهبوا، أنا باق إلى اليوم ليس فضلا منى ولكن رحمة من ربنا، أعطانى فرصة أكثر من غيرى، كثيرا ما تَعرّض الواحد منا أحياناً لبعض أخطار من السيارات أو من أتوبيسات أو من الطائرات أو من المرض أو أى شىء من هذا القبيل، ويجد نفسه أخيرا يكمل حياته، فمن فضل ربنا يعطينا فرصة أكبر، فنحن نشكر الله إننا بقينا إلى هذا اليوم، يوجد غيرنا ذهبوا وضاعت منهم الفرصة، فأنت يا إنسان أمامك الفرصة، أن تستغفر وتجدد عهودك مع الله، وتقول له يارب سامحنى على الماضى، سامحنى على تقصيراتى، سامحنى على الخطايا التى أنا صنعتها، لى رغبة أن أتوب عنها، ولكن أرجوك أن تساعدنى حتى أنى أبدأ بداءة جديدة وأدرك أهمية الأعمال الصالحة والعبادة الصادقة، لأنى أنا راجع ثانى إليك يا سيدى، فأرجو أن أرجع إليك رجوعاً حسناً.

ربنا يسوع المسيح يحافظ عليكم جميعاً ويبارككم بكل البركات السمائية له الإكرام والمجد إلى الأبد آمين.

١١- الإستنارة[١]

الفصل الذى يتلى فى أحد التناصير (يوحنا ٩: ١ - ٤١)،يشير بتفتيح عينى المولود أعمى إلى الإستنارة التى تتم فى سر المعمودية، وهذه الإشارة أيضا نجدها فى رسالة القديس بولس الرسول إلى العبرانيين الأصْحاح السادس، حينما يقول: «الذين استنيروا مرة» ولقد عرفت المعمودية فى أقدم العصور باسم آخر غير المعمودية وهى الإستنارة.

والإستنارة هنا إستنارة للبصيرة، الإنسان إنسان واحد له باطن وله ظاهر، إنسانان بحسب تعبير الكتاب المقدس، إذ يشير إلى الإنسان القديم أو الإنسان العتيق، ولكن هناك أيضا الإنسان الباطن الذى خُلق من جديد على صورة خالقه.

والعمى نوعان (١) عمى البصر، (٢) عمى البصيرة.

والإستنارة نوعان: (١) إستنارة البصر، (٢) إستنارة البصيرة.

وهناك أُناس عميان فى البصر، لكنهم مبصرون بالبصيرة الباطنة، وهناك أُناس مبصرون بعيونهم الظاهرة، ولكن عميان بالبصيرة الباطنة.

هناك نوعان من العمى، ولذلك فإن سيدنا له المجد يقول: «لا لدينونة أتيت أنا إلى هذا العالم، حتى يبصر الذين لا يبصرون، ويعمى الذين يبصرون»، فلما قال له الفريسيون ألعلنا نحن أيضا عميان؟ قال لهم يسوع: لو كنتم عمياناً لما كانت لكم خطيئة، ولكن الآن تقولون أننا نبصر فخطيئتكم باقية. لدينونة أتيت أنا إلى هذا العالم، حتى يبصر الذين لا يبصرون.

وهنا يقصد بالإبصار الإبصار الروحانى، ويعمى الذين يبصرون، الذين يبصرون حسب الظاهر لهم عيون جسدية يبصرون بها، لكن بالمسيح يصابون بعمى البصيرة كيف هذا؟ لماذا لا يكون المسيح نوراً للجميع، لماذا يقول لدينونة أتيت أنا لهذا العالم حتى يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون كيف هذا؟

المسيح وهو نور العالم بسببه يعمى المبصرون، شئ غريب، ما كنا نتوقع هذا، نحن نتوقع أن المسيح نور للجميع، فكيف يضع نفسه فى هذا الوضع، أن به يبصر الذين لا

---

(١) عظة بكنيسة العذراء والأنبا بيشوى بالأنبا رويس - بالعباسية - صباح الأحد ٤ من أبريل ١٩٨٢م - ٢٦ من برمهات ١٦٩٨ ش.

يبصرون، وبه أيضا يعمى الذين يبصرون، هذا معناه أن هناك من الناس من لا يبصر نتيجة جهله أو عدم معرفته، لكنه يكون مستعدا إذا حمل له أحد النور أن يسير فى النور، هو مستعد لو عرف الطريق أن يسير فى الطريق، هو جاهل لكنه ليس خبيثا، هو جاهل لكنه بغير إرادته يسير فى طريق الظلام، فإذا أُنيرت بصيرته فرح وترك طريق العمى والضلال وصار فى طريق البر والرشاد. خطيئته خطيئة جهل خطيئة عدم معرفة، خطيئة عدم فهم، لكنه إذا فهم استنار، لا إعتراض له، ليس فى قلبه إعتراض، ليس فى قلبه إصرار على العمى، ليس فى قلبه عناد، كان أعمى وهو أعمى لكنه لا يرفض الإنارة، هو جاهل لكنه قابل لأن يتعلم، مثل هذا الإنسان يستفيد من النور ومن أجله جاء المسيح. كان سائراً فى طريق الضلال ومن أجله جاء المسيح، فتش عنه فوجده، كشف له الطريق وأنار له السبيل، حمل له النور فلم يعاند ولم يقاوم.

من أجل هذا قال المسيح: لدينونة أتيت أنا إلى هذا العالم حتى يبصر الذين لا يبصرون، لأنهم فعلا أبصروا وقد كانوا غير مبصرين، ولو كانوا قد تركوا فى حالتهم لاستمرت حالتهم، لكن الله أشفق عليهم فجاء إليهم بنفسه، لأنه كان يعلم بؤس حياتهم وهم لا يعلمون، فجاء إليهم وأنار لهم الطريق فسلكوا فيه، من أجل هؤلاء قال المسيح لدينونة أتيت أنا لهذا العالم حتى يبصر الذين لا يبصرون، لكن هناك مقابلة أخرى عكسية يعمى الذين يبصرون، هل المسيح يأتى ليُعمى الذين يبصرون، وبأى معنى نفهم هذا الكلام، يُعمى الذين يبصرون أى الذين يزعمون ويَدّعون أنهم مبصرون، يرفضون أن يُعلمهم آخرون، لأنهم يعتقدون فى نفوسهم أنهم بلغوا، وأنهم وصلوا، وهذا هو الذى قال عنه سفر الرؤيا تزعم أنك مبصر ولا تعلم، وتظن أنك قد استغنيت ولا تعلم أنك فقير وبائس وأعمى وعريان، يظن فى نفسه أنه مبصر، ولذلك يُعَلّم غيره، يَنصح غيره، انتقل من دور الطالب إلى دور المُعلّم، يوجد بيننا هذا الفريق من الناس، وربما يكون هو رب الأسرة فى الأسرة، يوجه أولاده لأنه يَعْلَم أنهم جاهلون، ولكن أى تعليم هذا الذى يُعَلّمه هذا الإنسان؟ ينتقد أوضاعاً، يلوم على غيره، ويتعجب من أولاده وزوجته كيف يفكرون هذا النوع من التفكير، فى ظنه أنهم مخطئون وهو الذى يملك أن يُخَطّئهم ويتعجب كيف يصلون إلى هذا المستوى العقلى، لا تظنوا أننا نبالغ، يوجد فريق من الناس على هذه الصورة، من الزعم أنه على صواب وأنه يُعَلّم غيره وأنه يلوم هذا الغير، بينما يكون هو ذاته فى حالة عمى وعدم إدراك حقيقى، عمى البصيرة ويحتاج هو أن يُكشَف عن عينيه ليرى، يحتاج

أن تفتح عيناه لترى لكنه فى المرحلة الأولى، فى مرحلة المعلّم، مرحلة الذى يزعم أنه مبصر، والذى بهذا يملك أن يدين غيره، ويملك أن يحكم على غيره، ويملك أن يتعجب من المستوى المنخفض الذى وصل إليه غيره لكنه لا يراجع نفسه ليعلم هل هو ذاته على حق أو على باطل. لقد أغلق قلبه، حبس نفسه فى هذا المفهوم، ولم يعد يخطر لباله أنه هوالمخطىء وأنه هو الذى يحتاج إلى أن يصحح الخطأ، كلنا هذا الإنسان، أنت أحيانا عندما تسمع عظة، تقول: هذا الكلام آه لو سمعه فلان، هذا الكلام حقا هو رسالة لفلان، رسالة لزوجتى، رسالة لأخى، ..ألخ إنما أنت لست محتاج لهذا الكلام، أنت قد استغنيت ولا حاجة لك إلى شىء، هذا الوعظ لغيرك إنما أنت لا ...، أنت فى غنى عن هذا لأنك أنت وصلت، وصلت إلى أنك تُعَلّم غيرك، إنما أنت تتلقى التعليم لا ...، أنت أكبر من هذا، أنت لست فى حاجة إلى هذا، غيرك هو محتاج لهذا الكلام، إنما أنت لا ..

هذا هو المعنى من كلام سيدنا له المجد، لدينونة أتيت أنا إلى هذا العالم، حتى يبصر الذين لا يبصرون، الذين لا يبصرون على الحقيقة لكنهم متواضعون، لو قيل لهم أنهم عميان لقبلوا هذا الكلام، وقالوا حقا أننا عميان، وفى هذه الحالة يقبلون ولا يرفضون، يقبلون النور أن يدخل إليهم ولا يرفضونه، هم خطأة حقا، هؤلاء لهم خلاص، فى الإمكان أن يخلصوا ومن أجلهم أتى المسيح، ومن أجلهم يكون المسيح بالنسبة لهم نوراً ينير حياتهم وينير طريقهم، إنما هناك فريق آخر يرفض هذا النور، لأنه يشعر أنه ليس فى حاجة إليه، هذا النور يذهب لواحد آخر، أنا غير محتاج له، هذا ينفع واحد آخر أنا أنير آخرين وأعظ آخرين مثل جماعة الكتبة والفريسين، قالوا للرجل الأعمى عندما قال لهم: «منذ البدء لم يسمع أن إنساناً خاطئاً فتح عينى مولود أعمى ..» الخ قالوا له: فى الخطايا ولدت أنت بجملتك وأنت تُعلّمنا، وطردوه من المجمع، لم يقبلوا أبدا أن يسمعوا حتى مجرد شهادة من هذا الإنسان لأنهم هم فى القمة، هم علماء كيف يقبلوا كلمة من هذا، فى الخطايا ولدت أنت بجملتك وأنت تُعلّمنا، من أنت، نحن نُعلّم ألف غيرك، نحن الفريسيون، نحن المفروزون من الشعب، المتميزون من الناس، المعروفون بدقتنا فى مراعاة الشريعة، لا نفرط فيها غاية التدقيق، أنت تُعلّمنا، ولم يقبلوا منه هذا الكلام، اعتبروه إهانة لكرامتهم أن يسمعوا من مثل هذا الرجل كلاماً اعتبروه تعليما لهم، واعتبروه كأنه هو المعلّم وهم التلاميذ وهم لا يقبلون أن يتتلمذوا، التلمذة عندما كنا صغار، كنا نتتلمذ، نحن الآن مُعلّمين، ولا نقبل أن نتتلمذ من جديد، نحن وصلنا إلى

القمة، لا نقبل مزيداً، هذا هو العمى، سيدنا له المجد وضع التلمذة المتواصلة بداءة لا نهاية لها، وقال الذى لا يحمل صليبه ويتبعنى لايقدر أن يكون لى تلميذا، التلمذة شرف، والمسيح قال لتلاميذه اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وأنتم تظلوا تلاميذ لى، مُعلّمكم واحد هو المسيح، حتى عندما تكونوا شيوخ فى الكنيسة أنتم أيضا تلاميذ، ولذلك ظل هذا اللقب شرفاً للإثنى عشر، ويسموا ١٢ تلميذ وظل هذا الاسم لقباً لهم حتى إلى نهاية حياتهم، ظلوا تلاميذ المسيح، معلّمكم واحد، لا تدعوا معلّمين نحن نسميهم معلمين لأننا أصغر منهم، لكن قال لا تدعوا معلمين لأن معلّمكم واحد هو المسيح، أنتم تظلوا تلاميذ والذى يضع نفسه فى وضع التلميذ وتظل التلمذة مستمرة، هذا هو الذى يكتسب دائماً جديداً، لأنه تلميذ يدرس على مستوى أعلى، وهكذا سلم الفضائل، سلم يصل إلى السماء مثل سلم يعقوب، درجة فوق درجة لا نهاية لها، لأنه يصل للسماء ويدخل فى السماء، هناك أيضا تلمذة متواصلة، لأنه كونوا كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل، فمستوى الكمال هو قامة ملء المسيح، وهذه القامة لا نهاية لها فتلمذة مستمرة، إذن إن أردت أن تكون مسيحيا فضع فى قلبك أن أكبر شرف لك أن تكون تلميذاً للمسيح. ولا تصل إلى دور المعلّم، لا تصل إلى الإكتفاء أبدا، تظل فى حالة نهم نهم وجوع وعطش إلى المستوى الأعلى منك، بهذا تضمن أنك فى حالة ترقى مستمرة، إنما إن زعمت فى نفسك أنك قد وصلت إلى دور المعلّم، وأنك لست فى حاجة إلى شىء جديد، وأنك استغنيت ولا حاجة لك إلى شىء، احترس لئلا تسمع قول المسيح فى سفر الرؤيا ولا تعلم أنك فقير وبائس وأعمى وعريان، من هذا؟ هذا هو الذى ظن أنه استغنى وليس فى حاجة إلى شىء، بائس وفقير وأعمى وعريان، بعد ذلك يقول لك اشترى منى، يافقير، يابائس اشترى منى، اشترى منى ذهباً مصفى بالنار، وكحل عينيك بكحل لكى تبصر، أى كحل هذا؟ هنا إستعارة، الإنسان يحتاج من وقت إلى آخر إلى نوع من الكحل، الذى به يكحل عينيه حتى يعالج الحبوب أو التقيحات، التى تكون فى العينين، والتى تمنعه من أن يبصر جيداً، اشترى منى ذهباً مصفى بالنار، حاجة مضمونة، الذهب أرقى المعادن وأنقاها وأطهرها وأثمنها وأغلاها، وكحل عينيك بكحل لكى تبصر، والبس ثياباً بيضاً حتى لا يظهر خزى عريتك، أنت عريان، لكن يمكنك أن تشترى منى أنا البياع الوحيد للحاجات التى أنت محتاج لها، لا يوجد غيرى يقدر أن يعطى لأن الكل فقراء، والكل بؤساء، والكل محتاجين، وفاقد الشىء لا يعطيه، إنما أنا القادر على كل شىء، اشترى منى، والبس ثياباً بيضاً، البس الطهارة

ونقاء السيرة والسريرة، لكى لا يظهر خزى عريتك، فإذا أنت شعرت أنك تلميذ يكون هناك أمل، إنما يوم أن يصل قلبك إلى التقسى الذى ترفض فيه أن تقبل تعليماً، أو تقبل أن تُهَز كرامتك العلّمية وكرامتك الروحية، لأنك وصلت ولا تحتاج إلى المزيد، لو كان هذا حالك لم يدخل النور إلى عينيك لأن عينيك قد أصيبت بالعمى، لأن البخار الصاعد من قلبك الشرير يطمس الرؤيا عن عينيك، فلا تستطيع أن تبصر، يحدث هذا أنه يوجد ناس عميان من الناحية الجسدية، وتنظر لعينيه ولا تدرك أنه أعمى، شكل العينين سليم، والعيون براقة وفى وضع طبيعى، والقرنية سليمة، إنما العصب البصرى ميت من الداخل فمن الظاهر العيون سليمة لدرجة أنك لا تدرك أنه أعمى إلا عندما تراه يتعثر فى الطريق، هكذا من الناحية الروحية، ممكن تجد شخص حاصل على شهادات عظيمة وأخذ تقديرات كبيرة، ويمكن فى منصب من المناصب القيادية، وممكن أن يكون أيضا مُعلّم لآخرين بطبيعة رئاسته، وبطبيعة مسئوليته القيادية، لأنه رئيس مسئول وتحت منه موظفين أو تلاميذ، كل هؤلاء ينظروا إليه على أنه المبصر، شكله شكل مبصر، إنما العصب البصرى ميت، أصيب، نتكلم روحياً، وأخلاقياً ومعنوياً، بيننا أُناس بهذا الشكل وقد تكون أنت منهم، واضح بين الناس لك سمعة ولك اسم، ويشار إليك من جهة ثقافتك وعلمك وفنك ومهارتك، والخبرة التى لك، وسنك، كل هذا لك ولكن قد تكون فى هذا المركز القيادى ومع ذلك العصب ميت، لك شكل المبصر ولكن أنت لا تبصر، من الداخل يوجد عطب، قلبك مقفول، مصاب بالعمى، عمى البصيرة، ابحث عن هذا الموضوع حتى لا يكون صحيحاً وأنت لا تدرى، كثير من الناس تصاب بالمرض ولا تعرف، إنسان يقول أنا عندما ذهبت للطبيب اكتشف عندى مرض السكر، إنما قبل ذلك لم يكن يدرى، عندما عملوا التحليل اتضح أنه عندك مرض السكر، أو مرض مثل هذه الأمراض، التحليل هو الذى بَيّن وهو الذى كشف، ممكن، ممكن تكون مريض وأنت لا تدرى أنك مريض، قد تكون أعمى وأنت لا تعرف أنك أعمى، وتحيا مدة طويلة معلّم وترشد وربما تحمل النور لآخرين، لكن أنت عشت فى مدة طويلة فى ضلال أنك مبصر وأنت لا تبصر، نجحت فى أن توهم الآخرين أنك أنت مبصر لأنك حامل النور، نجحت فى هذا فترة طويلة من الزمان، خدعت نفسك، وعشت فى الخداع مدة طويلة أنك أنت تبصر، تحمل النور لآخرين، فلم يخطر لبال أحد أن يتهمك بأنك تحتاج إلى هذا النور. ولكنك بالتحليل الباطنى، لو حللت نفسك من الداخل وأعطيت لنفسك فرصة خصوصاً فى هذه الأيام. نحن أخذنا النور فى المعمودية لكن

ممكن بعد أن يولد الإنسان ولادة سليمة الولادة الجديدة، وأعطيت له عينان، ممكن من جديد أن يطمس عينيه بالتراب، لأنك لم تعمل صيانة لعينيك، صحيح أنت أخذت عينين، ولكن سمحت للتراب يدخل عينيك فأصبت بالعمى من جديد، وأنت لا تحتاج إلى أن تمنح عينين من جديد، إنما تحتاج أن تغسل عينيك بدموع التوبة، المعمودية واحدة ولا تتكرر، ولكن التوبة هى المعمودية الثانية، الحلة الأولى التى أعطاها الآب لإبنه الضال وحده لا يوجد غيرها، وهى أيضا حلة العرس التى يدخل بها إلى العرس لا يوجد حلة أخرى، لكن هذه الحلة إذا اتسخت تحتاج أن تغسل، والشيء الجميل أن هذا الغسيل يرد لها جمالها الأول ونصاعتها الأولى، لأن التوبة الصادقة المعتمدة على بر المسيح، تكفى أن ترد الحلة التى أخذناها فى المعمودية إلى نصاعتها الأولى، وإلى جمالها الأول، ولا نحتاج إلى معمودية جديدة بل التوبة تسمى فى المصطلح الكنسى هى المعمودية الثانية.

هذه التوبة ترد لك بهجتك الأولى، ترد لك بصيرتك الأولى لأنها ستمحو التراب الذى دخل عينيك، سترفع القذى والخشبة التى دخلت فى عينيك، تمحو المرض الذى أصبت به، الرمد الربيعى أو الرمد الصديدى، تغسله وترجع عينيك بصيرة.

أيها الأخوة والأبناء هذه فرصتنا لا نفقدها، لأنك قد تفقدها إلى الأبد، لا تعلم إذا كنت ستعود مرة أخرى للعام الجديد لكى تحيا من جديد، أنت لا تضمن حياتك، اليوم يوم خلاص، لا تقسوا قلوبكم، لا تقل أنى أنا مبصر ولا أحتاج، لا ... استمر فى وضع التلميذ الدائم الذى يكتسب ويكتسب ويكتسب، ويحسب أن التلمذة شرف، استمر فى أن تراجع حياتك، وهذه فرصتنا أن نراجع ذواتنا وأن نصحح أخطائنا وأن نجدد عهودنا وأن نغسل أعيننا مما لحق بها من تراب ومن عوائق ومن أخشاب، ومن قذى، اغسل عينيك بالتوبة، اغسل عينيك فى سر التناول لتسترد عينيك، تسترد البصيرة الروحانية التى أعطاك المسيح إياها فى المعمودية.

١٢- مثل الوزنات(١)

مثل الوزنات من كلمات ربنا يسوع المسيح، وأولى بنا أن نتأمله لأن فيه معانى عميقة تحتاج منا أن نقف عندها.

يقول رب المجد اسهروا إذن لأنكم لا تعلمون اليوم ولا الساعة التى يأتى فيها ابن الإنسان ليدين الأحياء والأموات. ولقد شاء الله أن يكون هذا الأمر مستوراً مخفياً غير معلوم، حتى يكون الإستعداد من جانب الناس قائماً على قدم وساق، فأنت عندما يقول لك شخص كبير، أنا سآتى عندك فى بيتك، لكنه لم يحدد الوقت، هنا تكون مترقب مجيئه، وتضطر أن تلغى مواعيد خروجك من البيت، لأنك متوقع أنه قد يأتى فى وقت تكون أنت فيه خارج البيت. فإذا حدد لك اليوم ولم يحدد الساعة، فإنك تبقى فى هذا اليوم فى بيتك، وترتدى ملابسك وتُعّد بيتك من اليوم السابق، وتهيىء ما يمكن تقديمه له من واجبات الضيافة، لكنك منذ الصباح الباكر تظل مرتدياً ملابسك لأنك لا تعلم الوقت ولأنه لم يحدد لك الزمن والساعة التى يأتى فيها.

هكذا مجىء ربنا يسوع المسيح للحساب، شاء الله أن لا يكون محدداً ومعيناً، حتى يكون الإنسان على أهبة الإستعداد دائماً، وهذه هى الحكمة من أن يظل علمنا باليوم والساعة مجهولاً، وقال الرب صراحة: «ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التى جعلها الآب فى سلطانه»، بهذه المناسبة أنا أرى سؤال من ضمن الأسئلة الموجهة إلينا عن من يحددوا سنوات معينة لمجىء المسيح الثانى، والحقيقة أن هذا الكلام صعب ولا أحد يقدر أن يقول أن هناك إمكانية تحديد حاسم ونهائى لهذه الأمور، ممكن يقال أنه قد اقترب، وفعلا قد اقترب، ولكن من الصعب أن نحدد سنة معينة، ويوماً معيناً، لأن المسيح أجاب على هذا السؤال وقال: «ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التى جعلها الآب فى سلطانه»وقال هنا صراحة «اسهروا إذن لأنكم لا تعلمون اليوم ولا الساعة»، لكن ممكن نقول أن مجىء المسيح قد اقترب هذا صحيح، هناك علامات تدل على أن هناك إقتراباً لهذا اليوم، إنما لايوجد من يملك أو عنده العلم الدقيق الذى به يمكنه أن يحدد اليوم ولا الساعة. يقول مخلصنا له المجد: «مثل ذلك مثل رجل كان مزمع السفر، فدعا إليه عبيده وسلمهم أمواله»، أى ترك كل أمواله فى حيازة هؤلاء العبيد، وهنا السيد المقصود هو الله.

---

(١) محاضرة بكنيسة الشهيد مارجرجس بنقاده. مساء الأحد ١٦ سبتمبر ١٩٧٩م - ٥توت ١٦٩٦ش.

وبلغة أخرى هو المسيح، لأنه حينما يتكلم عن مثل رجل كان مزمع السفر، فسيدنا له المجد كان على الأرض ثم سافـر وذاك بصعوده إلى السمـاء، ووعد بأنه سـوف يجيء، قال: «متى أعددت لكم مكاناً آت أيضا وآخذكم»، والملاكين اللذين ظهرا عند صعود المسيح له المجد، قالا: «ما بالكم أيها الرجال واقفون تنظرون هكذا، إن يسوع هذا الذى رأيتموه صاعداً إلى السماء سيأتى كما رأيتموه صاعدا إلى السماء»، فهذا توكيد لمجىء المسيح الثانى.

ما هى الوزنات:

من هو السيد الذى أزمع السفر ثم سافر بالفعل، هو سيدنا له المجد الذى أقام على الأرض فترة من الزمن، ثم صعد إلى السماء على مرأى من تلاميذه ومن جميع الناس، لكنه قبل أن يسافر أودع أمواله لعبيده، وهذا معناه أنه سَلّم الكنيسة وسَلّم المسئوليات، سَلّم المواهب والعطايا والوزنات لعبيده، وهذا يرينا أية كرامة أعطاها الله للإنسان، أنه تنازل فأعطى أمواله أى مواهبه وعطاياه للناس، قد أعطاها لهم لا لكى تكون ملكاً لهم، هى ملكهم لفترة من الزمن، لكنه أعطاها لهم لكى تكون فى حيازتهم ليتاجروا بها لحساب سيدهم، فإذا تاجروا حسنا سوف يكافئهم عن أعمالهم الحسنة وتجارتهم الرابحة، أما الأموال وأما المواهب وأما العطايا فهى وديعة، ولابد لصاحب الوديعة أن يتسلم وديعته.

١- الأموال:

هذا السيد سلم أمواله، والهاء هنا تشير إلى أنه صاحب الأمر وهو المالك الحقيقى، وهنا نذكر قول الرسول بولس: أى شىء لك لم تأخذه، أى ولا شىء، أنه المالك الحقيقى فيها، هل أنت صاحب الحق فى شىء ما؟ إن كل ما نتمتع به من خيرات الطبيعة، هو ليس ملكا لنا، نأكل ونشرب من النباتات التى أعطاها الله لنا، أبونا آدم عندما خلق وجد أن الأرض مزودة بهذه النباتات، الله خلق الأرض وخلق النباتات قبل أن يخلق الإنسان، وخلق له أيضا الحيوانات لتكون تحت سلطانه، يستخدمها ويستغلها لخدمته. وخلق له الشمس والقمر، وخلق له الهواء وخلق له الأملاح المعدنية فى التربة، خلق له النجوم والكواكب والأقمار، خلق له قوانين الطبيعة، خلق له كل هذه الإمتيازات الموجودة فى الطبيعة والخيرات، الإنسان ليس مالكها، مالكها هو الله لأن الله هو الذى أعطاها. ولكنه تفضلاً وتكرماً جعلها فى حيازة الإنسان. إذن الإنسان ليس حراً أن يتصرف فى هذه الأشياء من غير إرادة سيده.

٢- المواهب والعطايا:

كذلك أيضا القدرات التى أعطاه الله إياها، القدرات العقلية، الإمكانات الفكرية، المواهب والإمتيازات، إن كان ذكاءً أو كان حكمةً أو إن كان فهماً أو إن كانت مشورة أو رأى سليم، إن كانت موهبة فى بعض حواس الجسد، موهبة النظر أو السمع أو الشم، أو ما إليها من الحواس، بل حتى الجسد كله ليس ملكاً صرفاً للإنسان، إنه أيضا وديعة، فليس من حقك أبداً أن تتصرف فى هذا الجسد من غير إرادة سيدك. ليس من حقك أن تتلف هذا الجسد بتخطى قوانين الطبيعة، أو بالمكيفات الضارة، بالتدخين أو الخمر، أو الإفراط فى الطعام، ليس من حقك أن تتلف شيئا فى جسدك أو أن تحدث عاهة فيه، أو تقطع عضواً من جسمك، أو أن تنتحر وتقتل نفسك، هذا ليس من حقك. لا تقل هو جسدى، هو جسدك كأمانة وكوديعة، ولكن ليس ملكك على الإطلاق، هو موهوب لك، معطى لك من سيدك، لذلك ينبغى أن ترعى الأمانة.

لذلك بهذه المناسبة لا يصح أن يقول شخص أنا حـر، أعمل الذى أنا أعمله فى جسدى، لا... لست حراً، لأن أى شىء لك لم تأخذه؟ من قـال أن هذا ملكك؟، أنت لبسـت هذا الجسد، أُعطى لك هذا الجسد، لم تختار هذا الجسد، إنما هـذا الجسـد أُعطى لـك، فليس من حـقك أبـدا أن تستغلـه، أو أن تتلفــه من غير إرادة سيدك، ولذلك يقول الرسول: «إن جسدكم هيكل لله، ومن أفسد هيكل الله يفسده الله». جسدك إذن أمانة، جسدك وديعة، فحرام عليك أن تتلف هذا الجسد بأى مكيفات ضارة، إذا عرفت أن هناك شىء يضرك وتعمله هذا حرام عليك، هذه خطيئة أنت ترتكبها، فأولاً وإبتداءاً الجسد وديعة، فإذا أتلفته فقد أتلفت الوديعة، وتكون أنت مغتصب وسارق وقاتل، أى عادة من العادات تعلم أنها تضرك وتعملها هـذه حرام عليك وخطيئـة، «من يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل هذا خطيئـة لـه». فمن باب أولى إذا كنت تعرف أن شىء خطيئة أو شىء يضرك ويضر صحة جسدك، سواء كان هذا كلام المعلّمين أو الواعظين أو كلام الأطباء، وكلام الناصحين لك، لا تقول: العمر واحد والرب واحد، هذه الخرافة التى يطلقها الناس لكى يتنصلوا من مسئولياتهم، يهرب من مسئولياتـه هذا كلام خطـأ، سليمان الحكـيم يقـول «لا تكن شريراً كثيراً، لا تكن جاهلاً كثيراً، لماذا تموت فى غير أوانك». أنت تقصر عمرك بشرك أو بجهلك.

جسدك إذن وزنة، وكل عضو من أعضائك وزنة، خصوصا نحن المسيحيين الذين دُشنا بالميرون المقدس، فأصبحت أعضاؤنا مدشنة ومكرسة للمسيح، ولذلك يقول الرسول بولس أيضا: «هل آخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية!!» انظر كلمة آخذ أعضاء المسيح، أعضاءك إذن صارت للمسيح بتدشينها بالميرون، لسانك تدشن بالميرون، فليس لك أن تفسد هذا اللسان بالشتائم، والألفاظ القبيحة والتعبيرات غير اللائقة بك كإنسان مدشن ومقدس، ما معنى التدشين؟ التدشين هو التقديس والتكريس والتخصيص، عندما نقول الكنيسة مدشنة لله، مدشنة بمعنى مكرسة، مقدسة، مخصصة لله، أى لا يجوز أن يُعمل فيها عمل آخر. أصبحت وقفاً محبوساً على الله.

فيامن قبلتم سر الميرون ودهنت أعضاءكم فى ستة وثلاثين موضعاً بعد أن خرجتم من مياه المعمودية، فأصبحت أعضاءكم ليست لكم، أصبحت أعضاء المسيح، تكرست وتقدست وتخصصت للمسيح. هذا هو معنى هل آخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية؟ فلا تقول أنا حر، أنت لست حراً، لا توهم نفسك بهذه الحرية، أنت مخلوق من الله، لست أنت الذى صنعت نفسك، بل أنت صُنعت ونُسجت فليس لك شىء إلاّ وأخذته، لا تملك شيئا، أنت عارياً،وما عندك معار لك، وما عندك وديعة، وهذه الوديعة لابد أن تُرد لصاحبها. فكيف تردها لصاحبها؟ لابد أن تردها سليمة، لا تمسها بشر، فإذا مسستها بشر فقد أتلفت عمل سيدك ولابد أن تحاسب، من أفسد هيكل الله يفسده الله. أنتم هياكل الله وروح الله يسكن فيكم، لو كان كل واحد يشعر أن أعضاءه مقدسة ومكرسة لله فكيف يزنى؟ وكيف يعطى جسده للخطيئة؟ وكيف يبيع نفسه للشيطان؟ هل يمكن أن يعفى من العقوبة العظيمة لأنه أتلف أعضاء المسيح وأفسدها.

الشباب الذى يُضَيّع نفسه فى عادات سرية شريرة أثيمة، لابد أن يعرف مقدار وشناعة هذه الخطيئة، أنت تفسد هيكل الله، فلابد أن يفسدك الله، لا تمد يدك ولا تتلف جسدك ولا تهلك قوتك، ولا تعطى قوتك للشيطان أو للخطيئة أو للزنا، لا تحرق أعصابك وقوتك العصبية، تحرقها فى غير إرادة الله،حرام هذا، لابد أن تعرف أنك مُؤتمن على وديعة ولابد للودائع أن ترد إلى صاحبها، لأن صاحبها واحد وهو الله.

دعا إليه عبيده وسلمهم أمواله فأعطى واحد خمس وزنات من الفضة، وآخر وزنتين، وآخر وزنة واحدة، كلاً منهم على قدر طاقته ثم سافر.

فى الزمن الذى سيدنا له المجد تكلم فيه عن هذا المثل، كان التعامل الإقتصادى بوزنات حقيقية من الذهب أو من الفضة، اليوم نحن نتعامل بالعملة الورقية، جنيه أو خمسة أو عشرة أو عشرين .. الخ هذه عملة ورقية، هذه العملة الورقية فى الواقع عبارة عن إيصالات، لكن المقابل لها موجودٌ فى بنك الحكومة، ففى وقت المسيح المقابل كان بوزنات من الذهب.، لم يكن هناك عملة ورقية، فعندما كان الإنسان يبيع أو يشترى، يحمل فى جيبه صرة فيها ذهب أو فضة، وعندما يشترى شىء يدفع من الوزنات الفضية أو الذهبية، أنا أقول هذا الكلام لكى تعلموا أن كلمة وزنات هنا كان يقصد بها وزنات حقيقية، لها وزن، وثقل.

ليس من حقك الإعتراض:

لذلك يقول أعطى لواحد منهم خمس وزنات من الفضة، وأُعطى لواحد وزنتين، وأُعطى لآخر وزنة. هنا سؤال لماذا هذا التمايز؟ هذا كلام المعترضين، لماذا الله يعمل ذلك؟ لماذا يميز؟ لماذا يعطى واحد كثير ويعطى الآخر قليل؟ وبسرعة نحكم ونقول أن الله ظالم، أو الله يحابى، أو الله له ناس ناس، وأمثال هذه التعبيرات الشريرة، تعبيرات التجديف، أو لا على قول مار بولس الرسول: ليس من حقك أنت أن تعترض على جابلك، أو تقول له لماذا خلقتنى هكذا؟ .. ليس من حقك أن تقول لماذا أُعطى فلانا خمس وزنات وأعطانى أنا وزنة أو وزنتين؟ ليس من حقك هذا؟، هذا حق صاحب العطية، له نظرة، ومادام أنت لا تحاسب إلا على قدر الوزنة التى أُعطيت لك، فليس هناك ظلم إلاّ إذا كنت طماع. لماذا يكون هناك إعتراض، وزنة أو إثنين أو خمسة، صاحب الأمر سيحاسبك على قدر ما أعطاك، هنا لا يوجد ظلم، لكن لماذا أنت تنظر إلى التمايز على أنه ظلم؟ لأنك طماع، هذه خطيئة الطمع، لابد أن تعرف أن صاحب الأمر والنهى له نظرة؟ ويُحَمّل كل سفينة على قدر حمولتها، وهنا الكتاب المقدس يقول: «كلا منهم على قدر طاقته»، أى المسألة ليست مبنية على محاباة، لماذا الله يحابى واحد على حساب الآخر؟ نحن كلنا خليقته، ما الداعى لهذا التمايز من جانب الله، طالما أن هذا التمايز لا يترتب عليه تمايز فى الجزاء، لأنه يحاسب كل واحد على حسب ما أخذ، فلا يوجد ظلم، عندما حاسب العبد الذى معه خمس وزنات كانت المطالبة بخمس وزنات أخرى، وصاحب الوزنتين عندما أحضر وزنتين أخريين لم يلمه سيده، ولم يقل له لماذا لم تحضر خمسة، بل سمع من سيده نفس العبارة الجزاء الصالح الذى أعطاه لصاحب الخمس وزنات. قال للأول أحسنت أيها العبد الصالح

والأمين بما أنك كنت أمينا فى القليل أقيمك على الكثير، ونفس العبارة استخدمها بالنسبة لصاحب الوزنتين، أين التفريق؟ الجزاء واحد على الرغم من أن هذا أحضر خمسة والآخر إثنين، لكن سيدنا عادل فصاحب الخمس وزنات أحضر خمسة، الربح على قدر رأس المال ١٠٠٪، وزنتين أحضر إثنين، أمام الله ١٠٠٪، صحيح أن هذا إثنين وهذا خمسة، لكن لأنه أمام الله الإثنين متساويين فلا يوجد ظلم، فمن العيب أنك تقول الله لم يعطنى، الله أعطاك فى نواحى معينة، وأنت غفلان عنها من كثرة طمعك، أنت تنظر لأخوك الآخر لأنه فى ناحية معينة متميز عنك، لكن لو تنظر لنفسك ستجد أنك متميز عنه فى نواحى أخرى. لكن لأنك طماع تنظر له لأنه متميز عنك فى هذه الناحية، لكن الله عادل ولا داعى أبدا لأن يظلم، كلنا أولاده وكلنا خليقته، أنت تشكر الله لأنه عندما أعطاك وزنتين حَمَّلَك حمل بسيط، لأن الذى أعطاه الخمس الوزنات كان حمله كبير، واقتضى منه مجهود كبير، لكى يحضر خمس وزنات أخرى وفى الآخر يقول للرجل الذى أعطاه وزنة وطمرها فى الأرض، قال: أعطوها للذى له خمس وزنات. لماذا لم يقل أعطوها لمن له وزنتين. هل هذا ظلم، هل هذا محاباة، بالعكس هذه مسئولية جديدة، لا تنظر للوزنات على أنها إنعامات فقط، بل انظر للوزنات أيضا على أنها مسئوليات، فعلى قدر ما تُعطَى من وزنات على قدر ما تتضاعف مسئوليتك. إذا نظرت للموضوع من هذه الناحية، ستجد نفسك تخاف من كثرة الوزنات، لأنها تزيد عبئك وتزيد مسئوليتك ويزيد شقاءك، ويزيد الحكم عليك. فاقنع بما أعطاك الله ولا تنكر فضل الله عليك، لا تكون نظرتك نظرة حسد للآخر وتنكر عطية الله لك، ولا تطمر وزنتك مثل الذى أخذ الوزنة وطمرها فى الأرض وأخفاها، لا تطمر مواهبك وتطمر عطايا الله، وتقول أنا لم آخذ، ياأخى لو تأملنا الضيقة التى يعيش فيها الرجل المريض بالربو، وهو غير قادر على أن يتنفس، تقول: لو لم يكن هناك نعمة من أجلها ينبغى أن اشكر الله، فيكفى أن أشكره على نعمة التنفس.

كان هناك رجل دخل فى بعض أعمال ولم يوفق فى هذه الأعمال، فخسر وبعد خسارته عدد من المرات ضاقت به الحياة وعمى قلبه وصمم على الانتحار، الحياة بالنسبة له أصبحت مرة لا تحتمل، مادام أنا فاشل باستمرار وربنا غير موفقنى، فقرر على أنه لابد أن ينتحر، هذه مسألة منتهية وأصبح قرار الإنتحار مؤكد ولكنه يفكر فى اسلوب الإنتحار، وفى أى مكان ينتحر. وأثناء سيره فى الشارع يدك الأرض دكاً، ولكن مخه كله مركز فى الإنتحار ويفكر فى الوسيلة التى ينتحر بها، وكل قلبه مملوء غدر وشر وحقد على الحياة ونظرات

سوداء للدنيا، وعداوة مستمرة بينه وبين الحياة، وفى طريقه نظر رجل مقعد يجلس على كرسى بعجل، لا نعرف سبب مرضه، أراد هذا الرجل المقعد أن يصعد على الرصيف فرفع نفسه وصعد على الرصيف بكرسيه، فى هذه الأثناء كان الرجل الراغب فى الإنتحار يمر عليه فإلتقت أعينهما، فقال له الرجل المقعد بعينين صافيتين «صباح الخير»، فيقول: نظرت فى وجهه فوجدته سعيداً، ويقول لى صباح الخير بإبتسامة، ففكر هذا الرجل فى نفسه قائلا، هذا الرجل المقعد ذو الرجلين المقطوعتين سعيد وأسعد منى، لو أنا رجلى تقطعت مثل هذا الرجل وأردت أن أشتريها، بكم مليون أشتريها؟ من يقدر أن يعطينى رجل مثل رجلى، والرجل الأخرى بكم مليون، وعينى هذه لو راحت منى وأصبحت مثل الأعور أو الأعمى، عندما أحب أن أشتريها بكم أشتريها؟ والعين الثانية بكم أشتريها والأذن لو أصابنى الصم، وأردت أن أشترى واحدة أشتريها بكم، والأذن الأخرى بكم أشتريها، والقلب بكم والعقل بكم ثم نظرإلى نفسه وقال أنا أصبحت من أصحاب الملايين الآن، كيف واحد مثلى ينتحر!! وحكم على نفسه بالغباء وخجل من نفسه وقال لا... لابد أن أحاول من جديد، وحاول من جديد ونجح واستمر فى النجاح وفى التوفيق، وأصبح ينظر إلى نفسه وإلى فكره القديم فى الإنتحار بالضحك على نفسه، كيف هو يخطر لذهنه هذا الكلام، هذا لمجرد نظرته إلى إنسان مقعد، فلو أنت إنسان تُقَدّر عطية الله ولست طماع، لو تنظر للإنسان الذى عنده ربو قد تشكر الله من أجل نعمة التنفس، فى بعض الأحيان، الإنسان من أصحاب الملايين عندما يكون مريض، يقول: نفسى أكون مثل بياعة الفجل التى تسير فى الشارع لأنها قادرة أن تمشى على الأرض وأنا غير قادر، لأنى مريض أو مقعد أو متعب أو مصاب، الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلاّ المرضى. الإنسان لا يُقَدِّر النعمة تماما إلا عندما يحرم منها، أو يرى نفسه فى نفس الإنسان المحروم منها. حينئذ يُقَدِّر النعمة ويعرف بالضبط ما عنده من نعم، صحة وأعضاء وإمكانيات وقدرات ومواهب وعطايا متنوعة من الله ولكنه كان لا يحسُ بها، فأحيانا الطمع يجعلنا غير راضين وغير سعداء، أحيانا إثنين متزوجين يشتكوا من بعضهما، المرأة تشتكى من زوجها تقول أنا لم أَرَ يوم واحد حسن فى حياتى معه، والزوج أيضا يقول نفس الكلام، طبعا هذا الكلام كذب، كذب، الإنسان ينظر من ناحية العطب والفساد، لكن يترك النواحى الأخرى المشرقة الطيبة من كثرة الطمع، ومن روح الشر والغدر والكراهية، وعدم الرضا الموجودة فى الإنسان، تجعله ينكر النواحى الطيبة ويبحث عن النواحى الحزينة، مجرد ساعة واحدة

اختلفوا مع بعض تتضخم المسألة وتكبر جدا وتعمل غيمة كبيرة على الحياة الزوجية، وينسى الواحد الأيام السعيدة الذى عاشها مع زوجته، والزوجة تنسى الأيام المباركة التى عاشتها مع زوجها. لماذا هذا كله؟ من روح الشر وعدم الرضا الموجود فى الإنسان.

كُلٍ على قدر طاقته:

فالله عندما وزع الوزنات يقول: كلٌ على قدر طاقته، وأنت ليس من حقك تقول لماذا؟ هذا ما يراه سيدك، ويعطيك على قدرك، لأن هناك قوانين فى الطبيعة والله يسوس العالم بالقوانين، وتوجد أشياء تخضع لقانون الوراثة، وأخرى تخضع لقانون البيئة، وأخرى تخضع لقوانين أخرى كثيرة جداً، وأنت لا تدرى بهذه القوانين التى خلقها الله، قوانين الميلاد من الأب والأم، وصحة الأب والأم وأثرها على الأولاد، وإذا كان الطفل يولد من أب وأم فى حالة القوة أو يولد منهم فى حالة المرض. إذا كان الإبن الأول أو الإبن الأخير. عوامل مختلفة، الحالة النفسية للطفل وهو رضيع، وهو جنين ألا تتوقف على حالة الأم، والأحوال النفسية والصحة الجسدية تؤثر على حياة الجنين، وأيضا فى أيام الرضاعة يتأثر الطفل بحالة الأم وهى مرضع، حالتها النفسية وحالتها الصحية، وأيضا البيئة وعوامل عديدة جدا موجودة فى الطبيعة كلها قوانين مرسومة، والإنسان يخضع لهذه القوانين، فلا تعترض على الله وتتهم الله بالظلم، الله عادل خصوصا وأنه سوف لا يحاسبك بأكثر مما هو فى طاقتك، إن كانت وزناتك خمسة يحاسبك على الخمسة، إن كانوا إثنين، يحاسبك على الإثنين هو لا يظلمك، وإذا أنت ربحت إثنين سيقول لك نفس العبارة الجميلة التى قالها لصاحب الوزنات الخمسة، «أحسنت أيها العبد الصالح والأمين، بما أنك كنت أمينا فى القليل أقيمك على الكثير»، كل على قدر طاقته، كل مركب على قدر حمولتها. فاقنع واجعل نفسك راضى عن حمولتك، وبدلا من أن تصرف فكرك وهمك وأعصابك بالإعتراض على حملك أنه قليل، اصرف همك كيف تتاجر وتربح بهذا الحمل الذى لك. استغل العطية ووقتك وأعصابك وتفكيرك بدلا أن تحرقها فى الإعتراض والتذمر والتجديف على الله، استغل هذه الطاقة من العصبية الفكرية فى أنك تعمل بهذه الوزنة التى أعطاك الله إياها. وسترى كيف أنك عندما تشتغل بهذه الوزنة التى أنت استصغرتها، كيف تكون لك بركة كبيرة ويجزيك الله عنها خير الجزاء.

«ثم سافر» وهذه ترمز إلى الفترة قبل المجىء الثانى الذى يأتى فيه المسيح ليدين الأحياء والأموات.، فناس يسألونا هل المسيح سينزل على الأرض ويعمل ولائم، ناس لمجرد أنهم قرأوا الأصحاح الرابع عشر من سفر الرؤيا عن وليمة الألف سنة، ظنوا أن المسيح سيأتى ويستمر على الأرض ويعمل ولائم والناس تأكل وتشرب لمدة ألف سنة. ما هذا المنطق السخيف؟ ومن أين أتوا بهذا الكلام؟ هل معنى وليمة الألف سنة التى جاءت فى الأصحاح الرابع عشر من سفر الرؤيا، هل معناها هذا الكلام الذى يقولوه من يسمون أنفسهم بالبلاميس أو الأخوة، لا. هذا الكلام لم يرد إلا فى موضع واحد وهو الأصحاح الرابع عشر من سفر الرؤيا، إنما لم يرد أبداً صراحة أو تضمينا فى كلام المسيح له المجد، فى الأناجيل، أو فى كلام الآباء الرسل، إنما هناك مبدأ واحد مقرر فى جميع الأناجيل وجميع الرسائل، المجىء الثانى للدينونة. متى جاء ابن الإنسان فى مجده الأصحاح ٢٥ من متى، حينئذ يجلس على عرش مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب ويفرز بعضهم من بعض كما يفرز الراعى الخراف عن الجداء، ويقيم الخراف عن يمينه والجداء عن يساره، ويقول للذين عن يمينه تعالوا أيها المباركون من أبى رثوا الملكوت المعد لكم، ويقول للذين عن يساره اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته. فمجىء المسيح للحساب، هذا هو المقرر فى كلام المسيح وفى كلام الرسل جميعا، إذن هذا الكلام فى سفر الرؤيا وفى موضع واحد كلام رمزى، ونحن نعرف أن سفر الرؤيا كله رموز، وهو يشير إلى الفترة ما بين المجىء الأول والمجىء الثانى. وعلى الخصوص إبتداءً من حينما ملك الرب على خشبة، وصار المسيح بعمل الفداء مالكاً وملكاً على الذين دخلوا فى حيازته كأولاده. وصاروا من تلك الساعة فى مملكة المسيح.

نحن فى جحد الشيطان فى المعمودية وقبل أن ننزل لجرن المعمودية، أى قبل أن ندخل فى ملكوت السموات على الأرض وهى الكنيسة، ننظر للغرب ونرفع الأيد ونقول «أجحدك أيها الشيطان، وكل قواتك الشريرة وكل جنودك، أجحدك أجحدك أجحدك»، الشيطان فى الغرب، حيث الإغتراب عن الله، ثم نعطيه ظهرنا وننظر للشرق، ونقول بالحقيقة أؤمن بإله واحد، فبهذا نعلن إنفصالنا عن مملكة الشيطان، وإنضمامنا بالإرادة والإختيار لمملكة المسيح قبل أن ننزل فى جرن المعمودية، توجد مملكتين، مملكة للشيطان ومملكة للمسيح. وفى يوم المعمودية ينفصل الإنسان بإرادته من مملكة الشيطان ويعلن إنضمامه لمملكة المسيح ويدخل فى ملكوت المسيح، ويصبح المسيح ملكاً عليه، ملكاً بحق

الشراء لأنه اشترانا بدمه، فمادام كان قد اشترانا فأصبح مالكاً لنا وملكاً علينا، لذلك نقول ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا، دائما نقول ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا، فنحن مملكة والمسيح ملكنا والصليب علم مملكتنا. من متى بدأت المملكة؟ من الصليب، يوم أن صلب المسيح، وبالصليب وبعمل الفداء أنقذ الفريسة من فم الأسد، من الشيطان الذى اقتنصنا لإرادته، وهذا هو سر العداوة بين الشيطان وبين الصليب، والعداوة بين الشيطان والكنيسة والمسيح، ومُلك المسيح بدأ من الصليب، والألف سنة هى الفترة بين هذا المُلك الذى أخذه فى الصليب وبين مجيئه الثانى، وَرُمز لهذه الفترة غير المعلومة برقم من أرقام الكمال، لكى تظل هذه الفترة غير معلومة، لأن ألف سنة عند الرب كيوم واحد، ويوم واحد كألف سنة، فالأعداد ١٠٠، و١٠٠٠، و١٢٠٠٠، و٧، و٣، من أعداد الكمال، موضوع الأرقام يحتاج كتب فى الكتاب المقدس، بحث طويل، إنما كلمة ١٠٠٠ هنا عبارة عن موضوع يغلفه المسيح، برقم رمزى، لكى تظل هذه الفترة غير معلومة، عندما قال واحد كان عنده ١٠٠ خروف وترك ٩٩ وأخذ يبحث عن الخروف الضال. المقصود بـ ١٠٠ ليس العدد ١٠٠ إنما المقصود أن هذه أرقام يرمز بها إلى أمور، يريد الله أن تكون غير معلومة، فيعطيها أرقام من هذا القبيل.

إذن نفهم من هذا أن هذا هو الموضع الوحيد الذى جاء فى سفر الرؤيا، والذى فيه كلمة الألف سنة، لكن المقصود بها مدة الملك ما بين عمل الفداء الذى قام به المسيح واشترانا بدمه، وأصبح مالكاً لنا وملكاً علينا، ومجيئه الثانى للحساب والدينونة.

فالمجىء الثانى هو للحساب فقط، ولذلك نقول فى قانون الإيمان «ويأتى فى مجيئه الثانى ليدين الأحياء والأموات»، قانون الإيمان فيه كل كلمة موزونة.

الموضوع ممكن يأخذ وقت طويل ولذلك أنا اكتفى بهذا.

١٣- صلاة السيد المسيح والتجارب للإنسان[١]

ألزم السيد المسيح تلاميذه أن يذهبوا للضفة الأخرى، أى يتركوه لأنه مشغول مع الجماهير حتى ينتهى، وبعد ذلك يقول: أنه بعد ما صرف الجموع صعد إلى الجبل منفرداً ليصلى.

ماذا يعنى أن المسيح يصلى؟

المسيح جمع بين كونه إلهاً وبين كونه إنساناً.

نحن فى أذهاننا دائما أن الصلاة هى صلاة الطلب، لكن الصلاة أنواع، الصلاة من الصِلة، فأى نوع من الصِلة بين الإنسان وبين سيده وخالقه هى نوع من أنواع الصلاة، وأنواع الصلاة هى: صلاة التسبيح، وصلاة الشكر، وصلاة الطلب.

ونحن غالباً فى أذهاننا أن الصلاة هى صلاة الطلب، عندما يكون واحد له طلب يصلى، يطلب شيئا، لكن ليست الصلاة فقط هى الطلبة، كل نوع من أنواع رفع العقل، وعملية الصلة ما بين روح الإنسان وبين سيده وخالقه هى صلاة، لأنها تصل ما بين الإنسان وبين سيده.

وهناك صلاة نسميها صلاة التأمل، ومن غير الضرورى للمتأمل أن يكون له طلب، وقد لا ينطق بكلام، إنما بالفكر، يرفع فكره ويسرح، عندما يتأمل الإنسان فى الطبيعة ويتأمل فى الله، ويتأمل فى خليقة الله، كل هذا التأمل نوع من الصلاة، لأنه يحقق الاتصال بين الإنسان وبين سيده.

إذن الصلاة ليست قاصرة فقط على الطلبة، فنقول أن هناك صلاة اسمها صلاة التسبيح، أى أن التسابيح والأناشيد والأغانى الروحية تعتبر صلاة، لأنها ترفع روح الإنسان وتعمل الوصلة بينه وبين الله، الشكر صلاة، أنت لا تطلب شيء فى الشكر، أكثر من أنك أنت تشكر، لكن تعتبر صلاة، لأنك أنت تشكر وفى هذا الشكر تصل نفسك بالله.

أى نوع من أنواع الصلاة صَلَّاها السيد المسيح:

فعندما يقول عن سيدنا المسيح صعد إلى الجبل منفرداً ليصلى، أى نوع من أنواع الصلاة؟ المسيح لم يُصلِ صلاة الطلب إلاّ مرة واحدة، عندما كان فى بستان جثسيمانى.

---

(١) محاضرة بكنيسة الأمير تادرس المشرقى - ببلدة منبال - مطاى - فى يوم السبت ١٩ يناير ١٩٨٥م - ١١ طوبة ١٧٠١ش.

ذُكر عنه عدد من المرات أنه صلى، لكن صلاة المسيح دائما كانت مناجاة، نوع من الحديث بينه وبين الآب السماوى،

السيد المسيح لم يصنع مرة معجزة وَصلّى قبلها، من هذا الذى الريح والبحر يطيعانه، يقول للريح اسكت، ويقول للبحر اخرس فيسكت فى الحال، بالأمر، لا بصلاة، ولا بطلبة، فى شفاء المرضى: قم احمل فراشك وامشى، فى إقامة الموتى: يا صبية قومى، لم يُصلِ، أيها الشاب لك أقول قم، لا يصلى حتى لا يُظن أنه يطلب هذه القوة كما يطلبها أى واحد من القديسين، مثل إيليا أو غيره من الأنبياء. لأن منه القوة وله القوة، ومنه كانت تخرج القوة للشفاء. الموقف الوحيد الذى فيه صَلّى المسيح على قبر لعازر، لكن تأملوا صلاته لم يطلب فيها شيئا، صلاته كانت حل لمشكلة وإجابة على سؤال فى أذهان الناس جميعا، هو مَن هذا؟ الرجل المولود أعمى عندما شفى قال لهم: منذ الخليقة، لم يسمع أن أحد فتح مولود أعمى، لأن هذا الرجل الذى فتحت عيناه لم تكن له عينان فى مقلتيه، كانت مقلاتاه فارغتين، والمسيح له المجد تفل على الأرض وصنع من التفل طيناً ليخلق له عينين، كما قال النبى إشعياء: نحن الطين وأنت جابلنا، من الذى خلق الإنسان من التراب؟ هو الله، جبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض ونفخ فيه. فهنا المسيح صنع هذه المعجزة بهذا الأسلوب، تفل على الأرض وصنع من التفل طيناً وطمس به المقلتين الفارغتين، وبهذا أثبت المسيح أنه خالق.

ولذلك المسيح عندما وقف على قبر لعازر، قال اليهود: ألا يقدر هذا الذى فتح عينى المولود أعمى أن يجعل هذا لا يموت؟ أى الذى استطاع أن يعمل المعجزة الكبيرة لا يقدر أن يصنع المعجزة الصغيرة، ما هى المعجزة الكبيرة؟ هى شفاء المولود أعمى، والصغيرة هى إقامة لعازر، لأن معجزة المولود أعمى أعظم من معجزة إقامة لعازر، كيف؟ لعازر كان ميت، جسده فى القبر، والروح فى عالم الأرواح، فالمسيح رد الروح إلى الجسد، لا يوجد عملية خلق من جديد هنا، الجسد موجود والروح موجودة، إنما معجزة المولود أعمى هذه معجزة خلق، وهذه أقوى من معجزة إقامة لعازر لأنها خلق من عدم، لا يوجد عينين، خلق له عينين من الطين ليبين أنه الخالق، وكما قال يوحنا الرسول فى الإنجيل قال: «فى البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة هو الله، به كان كل شىء، وبغيره لم يكن شىء مما كان»، أى هو الذى خلق الوجود، به كان كل شىء ... هذا هو الكلمة. كلمة خالق، وهنا أثبت المسيح قدرته على الخلق وهذا أعظم من إقامة لعازر من بين الأموات.

هنا الناس كانوا فى حيرة، من هذا؟ نبي، لا يوجد نبى صنع هذا، إذن مَن؟ هو الله، الرجل الذى كان فيه لجيئون وهى مصطلح طليانى عسكرى يقال عنه أنه كتيبة قوامها ٦٦٠٠

عسكرى، يقول الكتاب المقدس: أن الشياطين طلبت إلى المسيح لا ترسلنا إلى الجحيم، بل إئذن لنا أن ندخل فى قطيع الخنازير، والمسيح كان له السلطان أن يرسلهم إلى الجحيم، انظر الكلمة، «لاترسلنا» يتوسلون إليه، «بل إئذن لنا»، يأخذوا الأذن أن يدخلوا فى قطيع الخنازير. فأذن لهم، لذلك الناس كانوا محتارين يقولوا: من هذا الذى حتى الشياطين تخضع له، فكان لابد أن السيد المسيح يوضح هذه النقطة، ويجيب على هذا السؤال الحائر، ويريح الناس ويبين لهم علاقته بالآب السماوى الذى يعرفوه، حتى لا يحسوا أن المسيح إله آخر، وأن هناك إلهين فى الكون، فلابد أن ينادى الآب السماوى على مسمع من الناس، ويسمعوا الآب السماوى يكلم الابن، لا يوجد عداوة بينهما، لا يوجد إنقسام لكى تطمئن الناس، ولذلك على قبر لعازر قال: من أجل الجمع المحيطين بى قلت ليؤمنوا.

صلاة المسيح كانت مناجاة:

وفى مرة أخرى يقول على مسمع من الناس: «مجدنى عندك أيها الآب بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم، فجاء صوت من السماء يقول مجدت وسأمجد أيضا». فالناس الذين سمعوا هذا الصوت قالوا: لقد كلمه ملاك، قال لهم: ليس من أجلى صار هذا الصوت، بل من أجلكم، فهذه المناجاة على مسمع من الناس كانت مهمة لتحل مشكلة وتريح الناس المتعبين فى موضوع المسيح، يريدون أن يعرفوا مَن هو؟ وما علاقته بالله الذى يعرفوه منذ الأزل أنه هو الإله ولا يوجد أحد غيره.

إذن صلاة المسيح عندما قال الإنجيل أنه صلى، فى كل مرة كانت صلاته مناجاة، أى عبارة عن كلام بينه وبين الآب ليؤكد للناس العلاقة بينه وبين الآب، وأنه ليس إله آخر، لأن الله واحد، ليبين أنه هو ذاته الله إنما نزل على الأرض وصار له كيان منظور.

فهنا صلاة المسيح بإستمرار كانت مناجاة، وهذه المناجاة كانت لتوكيد العلاقة بينه وبين الآب، حتى لا يُظن أنه إله آخر وأنه جاء لكى يلغى الإله الذى يعرفونه ويحل محله، فلابد أن يريحهم من هذه النقطة.

لكن فى جتسيمانى كانت صلاته صلاة الطلب وهى المرة الوحيدة لماذا؟ لأن المسيح هنا كان بدلاً من الإنسان، ولأن المسيح أخذ وضع الإنسان وصار هو الخاطىء بالنسبة لنا، والكتاب المقدس يقول كلمة صعبة جدا، يقول: «الذى لم يعرف خطيئة صار خطيئة لأجلنا»، هذه الكلمة فظيعة جدا، المسيح صار خطيئة، ليس فقط خاطىء بل خطيئة، كلمة مرعبة، هذا معناه أن المسيح أخذ وضع الإنسان بدلاً من الإنسان. وهذا هو معنى

الفداء، ما معنى الفداء؟ الفداء معناه أن واحد يحل محل واحد آخر وبهذا يفديه من العقوبة الواقعة عليه، هذا معنى الفداء.

فالمسيح فى بستان جثسيمانى أخذ وضع الإنسان، ولذلك كان يصلى صلاة الطلب: «إن أمكن أن تعبر عنى هذه الكأس»، لكى يبين أن الآلام كانت آلام حقيقية ولم تكن آلام خيالية. فهنا صلاة الطلب، لم يقل هذا الكلام كأنه يريد أن يهرب من الصليب، لا .. بل قال: «ولكن من أجل هذه الساعة قد أتيت». ولكن كل ذلك لكى يبين أنه أخذ وضع آدم، ولذلك يُسَمى المسيح فى الكتاب المقدس آدم الثانى، هنا العظمة، كيف المسيح فى التجسد جمع بين الله وبين الإنسان؟ وهذه هى المصالحة.

الإنسان فى عداوة مع الله، المسيح يقوم بعمل المصالحة فجمع الله إلى الإنسان، الله والإنسان جُمعوا فى شخص المسيح، لذلك عندما يقول: جعلنا شركاء الطبيعة الإلهية معناها أن طبيعتنا هو أخذها، ثم اتحد اللاهوت بالناسوت، فصرنا نحن فى المسيح شركاء الطبيعة الإلهية، لأنه أخذ طبيعتنا واتحد بها فى لاهوته، فصرنا ممثلين فى المسيح شركاء الطبيعة الإلهية. هذه هى العظمة.

ولذلك فى الصعود عندما صعد المسيح أخذ طبيعتنا وصعد بها إلى فوق، فصرنا نحن فى المسيح جالسين عن يمين الآب، لأن طبيعتنا الترابية اليوم على اليمين على العرش، فالمسيح جالس الآن على العرش بطبيعتنا، هذا هو الشرف الذى أخذه الإنسان من التجسد الإلهى، أن الإله أخذ طبيعتنا الترابية واتحد بها وألهها ورفعها إلى فوق، فصرنا نحن فى المسيح جالسين على العرش.

فالسيد المسيح كانت صلواته مناجاة بينه وبين الآب، ولكن فى نفس الوقت المسيح يُعلّمنا، ويعطى مثل للراعى وللخادم أنه يكون هو قائد الصلاة ومعلّم الصلاة والمصلّى الأول، لأنه لابد أن يكون الإنسان الذى يوصل الإنسان بالله، لابد أن يكون هو نفسه موصولاً أولا. فلابد أن يكون الكاهن ورجل الدين والخادم موصول أولاً بالله. ومن هنا أهمية الصلاة بالنسبة للكنيسة عموماً وبالنسبة لرجال الدين خصوصاً.

صموئيل النبى يقول كلمة جميلة جدا، قالوا له صلّى من أجلنا، قال لهم: حاشا أن أخطىء إلى الرب فأكف عن الصلاة من أجلكم، يعتبر عدم الصلاة من أجل الرعية خطيئة، هذا هو إحساس الراعى، صموئيل النبى لأمانته ومهمته، يشعر أنه لو كف عن الصلاة من أجل الشعب هذه خطيئة، لأنه هو الرقيب المقام ليكون هو المرشد والقائد والمصلّى من أجل شعبه.

فائدة التجارب للإنسان:

أخيرا لماذا ترك المسيح الرسل أن يدخلوا السفينة وكان بعيداً عنهم، وكانت السفينة معذبة، ما معنى معذبة؟ هـذه الكلمة كلمة أدبية لطيفة. «سفينة معذبة» هذه المركب التى من الخشب، يعبر عنها الإنجيل بأنها معذبة، كلمة عاطفية، لا تقال إلاّ عن الكائن الذى له إحساس، لماذا المركب معذبة؟ لأن الريح كانت مضادة لها، وهنا يعبر عن الصراع الذى بين السفينة وبين الأمواج والرياح والزوابع، كما لو كانت هنا عملية تعذيب، هذا إضفاء حساسية على السفينة.

ألا تشير هذه من طرف خفى إلى سفينة من نوع آخر، كل واحد منا سفينة تعبر فى الحياة، نحن نسير فى بحر الحياة، وهناك فترات معينة تكون سفينة حياة الإنسان معذبة لأن الريح ضدها، ما معنى الريح ضدها؟ أولاً طبيعة هذا الكون تؤدى لهذا التصادم، ولا تكون الحياة حياة إلاّ بهذا التصادم، من دون هذه الحركة يكون هناك موت، فحيثما تكون الحياة لابد من مصارعات ولابد من مشكلات.

مكلف الأيام ضد طباعها   ملتمس فى الماء جذوة نار

هذه هى الطبيعة، التضاد الموجود هذا دليل الحياة، لا تتطلب من الدنيا أن تكون حياتك سهلة، تأكد تماماً لو حياتك سهلة تموت وأنت حى، قوة الحياة فى المصارعة.

انظر قطعة الخشب الكبيرة جداً وطولها عدد من الأمتار، لكن يجرفها التيار، فى الوقت الذى فيه سمكة صغيرة جداً تسبح ضد التيار، لأنها حية، وهذا هو الفرق بين هذه السمكة الصغيرة وبين الخشبة الكبيرة، هذه حية والخشبة ميتة.

لا تحزن فى الحياة من الظروف التى تظن أنها ضدك، بل هى لتنشيط قوتك، أحيانا يستخدموا هذا الكلام فى العلاج، فيدخلوا ميكروب فى جسدك لكى يعمل جهاز المناعة فى الإنسان، هذه الحرب بين الميكروب وجهاز المناعة، دليل الحياة، ولذلك الحمى رغم الخوف من خطرها لكن دليل الحياة، البرودة فى الجسم معناها موت. بينما الحرارة دليل الحياة، حقا أنه لا يجب أن تستمر طويلاً.

نحن فى الحياة لو لم نقابل صدمات ومتاعب لن نتعلم شىء، حصان السباق يضعوا له عقبات لكى يختبروا قدرته على الوثب، وكلما ينجح يرتفعوا بالحواجز ويزودوا له العقبات، وبهذه الطريقة عندما يتغلب عليها يكون هذا دليل على أن الحصان يستحق المكافأة.

فنحن فى فترة وجودنا فى الدنيا فترة مؤقتة لنتعلم، ولو سارت حياتنا كلها سهلة بدون عقبات أو صعوبات لن نتعلم شيء.

فالتجارب التى نحزن منها مهمة جداً لكى توقظ قدرة الإنسان على مغالبة الصعاب، والله عندما خلق آدم وحواء قال لهما: املئوا الأرض واخضعوها، أى أعطى الإنسان السلطان أن يقاوم العقبات التى أمامه، وأخضعوها، أى لو تمردت الأرض ضد الإنسان أو وقفت أمامه عقبات مفروض أن يذللها. وهذا دليل على أن الإنسان وجد فى الدنيا لا لكى يستريح، ولا لكى تكون كل أيامه سهلة، فهذه السهولة هى موت.

فهنا كلمة: كانت السفينة معذبة هذه تنفعنا نحن فى حياتنا أمام المضايقات والمنغصات، اعتبر أن هذه المنغصات والمكدرات أمر طبيعى، واعتبرها أيضا أنها تحدى لك لكى تفكر كيف تتغلب على هذه الصعاب وبهذه الطريقة تحيا وتقوى، وبهذه الطريقة تكون إنسان عصامى، عندما تتغلب على الفقر وتتغلب على الصعوبات، وتستفيد من التجارب.

جزى الله الشدائد كل خير عرفت بها عدوى من صديقى.

التجارب مفيدة جدا وتنفع الإنسان، فسفينة الحياة إذا كانت معذبة، نعتبر أن هذا شيء طبيعى، ولكن نعتبر أيضا أن هذا تحدى لنا، الله لم يترك تلاميذه بل أراد أن يعرف كيف يتصرفوا، وكيف يقاوموا هذه التجربة، الله كان يرى ولم يتنحل عنهم بل تركهم ليتعلموا وذهب إليهم فى الهزيع الأخير.

فنحن على الأرض وفى فترة وجودنا فى الدنيا هى فترة إمتحان، لكى نتعلم، وإن لم نتألم لا نتعلم، الألم هو الذى يُعلّم الإنسان، كذلك سفينة حياتك معذبة، لا تحزن من هذا العذاب، هذا العذاب لمصلحة الإنسان، لكى يتعلم حاجة جديدة، ولكى تعمل الخصائص التى له، وتعمل مواهبه، يكفى أن الله أعطانا مواهب مفروض أن نُشَغلّها، وكل موهبة إن لم تعمل تموت، فمثلا نيوتون كان يتقن الشعر، كان شاعر، ولكن عندما سار فى إتجاه العلم، أهمل الشعر فماتت الموهبة، فكل موهبة إن لم تصقل تموت.

فأنت إن لم تجد المضايقات فى حياتك، مواهبك التى عندك تموت. فلا تحزن من هذه الضيقات.

١٤- الحاجة إلى واحد[١]

فى الأصحاح العاشر من إنجيل معلمنا لوقا البشير، دخل المسيح له المجد قرية بيت عنيا، وفى هذه القرية رحبت به إمرأة اسمها مرثا، وكانت لمرثا كما سمعتم أخت اسمها مريم.

مريم هذه كانت تؤثر أن تجلس عند قدمى الرب يسوع المسيح لتسمع كلامه، بينما كانت مرثا ذات مزاج آخر، كانت تميل إلى أن تعبر عن ترحيبها بالمسيح بأن تعد له مائدة تليق بمقامه العظيم، وأن ترحب به وبضيوفه وأن تقوم على خدمته. وبلغ بها الأمر أنها جاءت مرة تشكو أختها مريم إلى المسيح له المجد مع أن هذا لايليق، لكنها يبدو أنها كانت محتاجة أو متضايقة من أن أختها تركتها تخدم وحدها، فجاءت بحرارة وحماسة تعاتب المسيح ذاته وتقول له «أما يعنيك» أما يعنيك أن أختى تركتنى أخدم وحدى، قل لها أن تساعدنى، ما كان يجوز وما كان يليق بمرثا أن تأتى إلى المسيح وتشكو أختها بهذه الصورة، وبهذا تسبب حرجا للسيد المسيح، لكنها كانت كما يبدو عصبية ومحتاجة ولم تستطع أن تضبط إنفعالها وغيظها من أختها التى تركتها تخدم وحدها.

فضيلة مرثا:

أما ربنا يسوع المسيح فأجابها إجابة رقيقة فيها تقدير لخدمتها وفيها إشادة بإهتمامها، أى أن المسيح أيضا مدحها لأنها مهتمة، وهذه فضيلة فى مرثا أثنى الرب عليها، أنكِ مهتمة، والإهتمام على عكس عدم الاكتراث، الشخص الذى يأخذ أى مسئولية بإهتمام بلاشك هذه فضيلة، فمخلصنا على الرغم من أن مرثا تجاوزت حدود اللياقة لأنها جاءت إلى المسيح وهو ضيف عندها، تشكو له أختها بأسلوب لايليق، «أما يعنيك أن أختى تركتنى وحدى» كأن هذا إعتراض على المسيح، كأن هذا إتهام للمسيح له المجد أنه لايعنيه أن تتعب مرثا فى الإعداد له. فمخلصنا لم يعاتبها على هذا، وإنما أبرز لها تقديره لفضيلة فيها وهى فضيلة الإهتمام، الواقع أنه فى مثل هذه المواقف الدقيقة يبدو لنا سيدنا ومخلصنا يسوع المسيح فى قمة فضائل الأب والراعى والطبيب الشافى، الذى يحاول أن يُبرز للإنسان حتى وهو فى خطيئته فضيلة حتى يتمسك بها الشخص، وكأنه ينتزع من حياته فضيلة يبرزها له يحييه عليها حتى لاييأس من حياته وحتى لايفشل.

---

(١) محاضرة أُلقيت بكنيسة السيدة العذراء بالخرطوم فى مساء الجمعة ٢١ من أغسطس ١٩٨١م - ١٥ من مسرى ١٦٩٧ش.

كما أن فى هذا الموقف يبدو المسيح له المجد نموذجاً فى التغاضى عن كرامته الشخصية، وأنه كان يمكن أن يعاقب مرثا على هذا الأسلوب، ولكنه لم يعاقبها بل حول القضية من إمرأة مهتاجة عصبياً تشكو أختها إلى المسيح كضيف، حَوَّل القضية من إهانة له إلى ناحية أخرى، إلى دليل إهتمام مرثا وهذه فضيلة، وكأنه فى هذا يعطينا نموذجاً للتعليم الذى عَلّم به، من ضربك على خدك أدر له الخد الآخر، وليس المعنى من هذا كما يتظاهر لبعض الناس أن يدير الإنسان خده، بمعنى يحول وجهه ذلك التحويل المادى لكى يعطى فرصة لآخر أن يضربه. ما قصد المسيح شيئا من هذا، بدليل أن المسيح فى ساعة المحاكمة ضربه واحد على خده، فلم يحدث أن المسيح أدار وجهه بالطريقة التى يفهمها البعض، إنما حول الوجه الآخر للقضية، فمن بعد أن كانت الإهانة له شخصياً حول المسألة إلى الوجه الآخر، وهو أنه نظر إلى هذا الرجل الذى ضربه على أنه مريض، والمريض يحتاج إلى شفاء، قال المسيح له إن كنت قد أحسنت فلماذا تضربنى؟ وإن كنت قد أسأت فَبَيِّن لى ما هى الإساءة، لا نظن أن هذا الكلام من جانب المسيح له المجد، كان بنوع من الإنفعال مثل ما يحدث لواحد فينا عندما واحد يضربه يقول له أنت تضربنى لماذا؟!!، هذا نوع من إنفعال الكرامة الشخصية، لكن المسيح كان فى مرحلة أعلى وأسمى من هذا، المرتبة الأعلى من مجرد الاحتمال، فالإحتمال نفسه فضيلة، كون الواحد يهان ويحتمل الإهانة هذه فضيلة، لكن ممكن أن يقال أن الشخص الذى يحتمل الإهانة يكسب أجراً على حساب المخطىء والمسىء، ألم يقل المسيح طوبى لكم إذا طردوكم وعيروكم وقالوا فيكم كل كلمة شريرة من أجلى كاذبين، صحيح الإحتمال أفضل، الإحتمال مع الصمت، لانرد الإهانة بإهانة ولا الشتيمة بشتيمة، هذه مرحلة أرقى من مرحلة أن يرد الإنسان الإهانة بإهانة، ولكن هناك مرحلة أرقى من هذه وتلك، أن الإنسان المساء إليه يشعر بعطف على المسيىء، لأن الإنسان إذا احتمل إهانة الشخص الذى أساء إليه فقد كسب أجراً على حسابه.

فالمرحلة الأرقى فى الفضيلة أنه يقول فى نفسه لا .. إن صمتى معناه أننى سأكسب أجراً على حساب من أساء إلىّ، لكن أخشى على آخرة هذا الإنسان الذى أساء، ولابد له من عقاب، فهذا الإنسان سيعاقب ولابد أن ينال جزاءه، «لأن ما يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضا»، لكن القلب العطوف الرحيم، قلب الطبيب يشعر أنه لايصح أن يتركه فى غباوته وجهله لئلا يعود فيكرر هذا الفعل مرة أخرى سواء مع هذا الإنسان أو مع غيره، فالأرقى من الإحتمال أن ينبهه إلى خطئه حتى لايعود إلى هذا الخطأ مرة أخرى لا معه ولا مع غيره،

هذا شعور الطبيب الراقى الذى إرتقى وإرتفع فوق مستوى الدفاع عن النفس، فوق مستوى الإحتمال إلى مستوى آخر لايريد لهذا الإنسان هلاكاً، ولايريد له شراً حتى لو كان هذا الشر نتيجة فعله.

فالمسيح عندما قـال للرجل «إن أحسنت فلماذا تضربنى وإن أسأت فبَيِّن لى الإساءة» لم يكن هذا بنوع من الإنفعال كما يحدث عند البشر، المسيح كان فى مرحلة أرقى،وأراد بهذا أن يقدم لنا المثل والنموذج لما هو أكثر من الإحتمال، أن تكون لنا مشاعر الإنسان الذى يشفق على المخطىء ويعتبره مريضاً ويحاول من جانبه أن يعالج هذا المرض، هنا نرى تطبيقاً لهذا التعليم، بدلا من أن يتناول مرثا ويوبخها على هذا التصرف الذى لايليق بها، خصوصا أنها جاءت تتهم المسيح وتقول له أما يعنيك أمرى، أما يهمك أن أختى تركتنى أخدم وحدى قل لها أن تساعدنى.

سيدنا له المجد لم يشأ أن يوجهها إلى خطئها وأن يعاتبها على هذا التصرف الذى لايليق، وإنما على العكس أبرز لها فضيلة فيها كأنه يحييها على هذه الفضيلة، فأدار القضية من وجه إلى وجه آخر وهذا أسلوب الطبيب، أسلوب الراعى، أسلوب الراقى الذى يرتفع فوق الإساءة إلى أن يُعَلّم ويرشد ويوجه بما ينفع إنساناً آخر، شيئا لحياته الحاضرة ولحياته الآتية.

ولا أظن أن مرثا لم تنتفع بهذا الدرس، بل لابد أنها إنتفعت كثيراً، وهذا مايتضح من حديثها وحوارها مع مخلصنا يسوع المسيح حينما مات أخوها لعازر.

الإهتمام بأمور كثيرة:

مرثا مرثا أنك تهتمين بأمور كثيرة، مدحها على إهتمامها، ولكنه قال لها أن هذا الإهتمام زاد عن حده بما يضر، وأحدث لك إضطرابا، أحدث لك قلقا، أضر روحك يامرثا، فى حين أن الحاجة إلى واحد، الحاجة هى إلى قليل أو إلى واحد، ليس هناك مايدعو إلى الاضطراب وأن يشغل الإنسان نفسه بأمور كثيرة تضره، لأنها تجعل روحه تنقسم وتتوزع، يتوزع إهتمام الإنسان بطاقته المحدودة، يتوزع إهتمامه على أمور كثيرة بينما أن حاجة الإنسان الحقيقية إلى واحد، كلما شغل نفسه بأمور الحياة الدنيا وشواغل الحياة، كلما توزعت نفسه اضطرب وأصابه القلق والأضطراب، ولكن هناك طريق واحد يسترد به الإنسان سلامه.

الأمواج تضرب السفينة، سفينة الحياة وتعذبها لكن إذا دخل المسيح فى السفينة تهدأ ويصير سكون عظيم، نفس الإنسان إذا اضطربت وأصابها القلق نتيجة إهتماماتها الكثيرة بشواغل الحياة، فى شئون المادة من طعام إلى شراب إلى كساء إلى مسكن. من شأنها أن تجعل الحياة تضطرب كما اضطرب سمعان بطرس عندما رأى الأمواج شديدة فصرخ وكاد يغرق، ولكن المسيح عَلّمه أنه إذا مد يده وشخص إلى المسيح يمكنه أن يسير على الأمواج دون أن يغرق فيها.

ونحن أيضا نتعلم من هذا أننا عند شخوصنا إلى المسيح ولجوئنا إليه وإرتمائنا على صدره، فإن هذا هو الطريق الأوحد والأمثل، وليس هناك طريق آخر أفضل لكى نعلو فوق التجارب ونعلو فوق الأمواج ونعلو فوق الإضطرابات وفوق القلق الذى يهز نفس الإنسان هزاً بسبب ما فى هذه الحياة من إضطرابات.

مرثا أنت تهتمين مضطربة بأمور كثيرة، تنبهى يامرثا أنه ليس فى الواقع حاجة إلى هذا الذى تضطربين له، أنا لست فى حاجة إلى هذا الطعام الذى تعدينه، وقد قلت طعامى أن أعمل مشيئة الذى أرسلنى وأتمم وأنجز عمله، قال المسيح للمرأة السامرية أعطينى لأشرب، والغريب أنه إندمج مع المرأة السامرية فى حديث طويل ولم يشرب، طلب الماء ولم يشرب لأنه لم يكن عطشانا إلى هذا النوع من الماء، بل قال للمرأة ياإمرأة لو علمتى عطية الله ومن الذى يقول لك أعطينى لأشرب لطلبت أنت منه فأعطاك ماء ينبع إلى حياة أبدية، أنا لست محتاج لهذا الماء، لو علمت عطية الله ....، هذه فرصة لك، أنا أريد أن أعرفك بالماء الذى ينبع إلى حياة أبدية، ياإمرأة لو علمت عطية الله ومن الذى يقول لك أعطينى لأشرب، لطلبت منه فأعطاك ماءاً ينبع لحياة أبدية.

جاءه التلاميذ بطعام ليأكل، فقال لهم: لى طعام آخر لستم تعرفونه أنتم، فظنوا فى بساطتهم وسذاجتهم أن قوما آخرين جاءوه بطعام، فلما رآهم جاهلين بقصده قال لهم «طعامى أن أعمل مشيئة الذى أرسلنى وأنجز عمله» هذا هو الطعام الذى يطعم به المسيح، هذا هو الماء الذى يعطش إليه المسيح هو خلاص نفوسنا.

يامرثا أنت تهتمين مضطربة بأمور كثيرة، هل أنا فى حاجة إلى هذه المائدة!! لو علمت عطية الله لتركت المطبخ، لتركت طعامك وشرابك، وهذه الإهتمامات والشواغل وأخذت فائدة أعظم بأن تأتى أنت كما جاءت أختك مريم، وجلست لتسمعى الحديث الذى يفيدك

وينفعك فى الحياة الحاضرة والحياة الآتية، أما هذا الطعام الذى أنت تعدينه وإن كان هذا يدل منك على إهتمام وعلى روح خدمة، لكننى أنا أرى أن هذه الأمور زائلة، وأن الأفضل والأبقى أن تشغلى وقتك وأن تستغلى أيامك فيما هو أرقى وأنفع وأسمى وأفضل، أنا لست فى حاجة إلى هذا الطعام الذى أنت تعدينه، إن فرحى الأعظم وإبتهاجى الأكثر أنك تعرفى أمر خلاصك وأن تجلسى لتتعلمى.

ما قصد المسيح بهذا أن يخجل مريم، أو أن يوبخها بل كما قلنا، بل حياها على إهتمامها ولكنه أراد أن يلفت نظرها إلى أنه ينبغى أن يتجه قلبها ونظرها إلى ما هو أعظم من هذه الإهتمامات والشواغل الجسدية الأرضية لأن هناك هدف أعظم والحاجة إلى واحد.

إن الله خلق الإنسان لخير يعود على الإنسان، ولم يكن الله فى حاجة إلى شئ يضيفه الإنسان إليه، الله الذى يتمتع بسعادة لاتستقصى خلقنا لنشاركه هذه السعادة بالوجود فى حضرته، فمسكين الإنسان الذى يشغل فكره وحياته ووقته بأمور تعد تافهة، بالنسبة لما هو أبقى وأسمى وأعلى وأرقى، بالنسبة للأبدية، بالنسبة لما يرفع روحه ويسمو بها إلى السعادة الدائمة فى الحضرة الإلهية، وكما قال القديس أوغسطينوس قولته المشهورة «يارب إن النفس تظل قلقة مضطربة ولن تجد الراحة إلا فيك»، الحاجة إلى واحد، إذا دخلنا فى المسيح ودخل المسيح فينا سكنت نفوسنا وعاد إلينا السلام بدلا من الإضطراب، الحاجة يامرثا إلى واحد، هدف واحد لاتشغلى نفسك بأمور كثيرة.، ركزى إهتمامك، ركزى إتجاهك النفسى إلى أمر واحد ووحيد، لاتضيعى وقتك ولاتضيعى جهدك فى أمور مضطربة كثيرة تقسم نفسك وتزعزعها وتجعلها تتناقض فى إهتمامها إلى عدد من الأمور وبهذا لايُحصِّل الإنسان فائدة تذكر، إنما لو ركز كل خاصيات نفسه لهدف واحد يكسب الكسب الحقيقى وينجح النجاح الحقيقى، ولايضيع عن نظره الهدف الذى من أجله خلق لهذه الحياة، بسبب مايعترى نظره من أشياء كثيرة تقف أمامه فى الطريق، مرثا إن الحاجة إلى واحد وقد إختارت مريم النصيب الصالح الذى لن ينزع منها.

النصيب الصالح:

مريم هذه التى أنت تشكينها إختارت لنفسها النصيب الصالح، لأن النصيب الصالح أمر يختاره الإنسان لنفسه ولايفرض عليه، ليس هناك جبر ولاقهر ولا إلزام كل شئ متروك لحرية الإنسان ولإختياره، الإنسان مخير فى هذا الأمر وليس هناك إلزام له بشئ

آخر من قبل الله، أنا واقف على الباب أقرع إن فتح أحد أدخل، المفتاح من الداخل، الإنسان هو الذى يختار نصيبه، ولايفرض عليه هذا النصيب، يمكنه أن يختار النصيب الصالح ويمكنه أن يختار النصيب الطالح، مريم هذه إختارت النصيب الصالح أدركت بروحها أنها لا تطلب الطعام المادى، بل تطلب خلاصها، أدركت بروحانيتها أنها هى فى حاجة إلى أن تجلس لتسمع وتكرس كل جهدها ووقتها وأعصابها، تكرس كل شيء، كل خواص نفسها لهدف واحد ووحيد، ولذلك لن ينزع منها هذا الذى إختارته، لايوجد أحد يستطيع أن ينزع هذا النصيب الذى إختارته.

ومن هنا وجد الروحانيون من هذه المقارنة بين مرثا ومريم، أن هناك طريقين لخدمة الله، طريقاً يسمونه طريق الخدمة العملية فى العالم، وطريقاً آخر هو خدمة الملائكة، العبادة، التأمل المستمر فى الله، الشخوص الدائم فى الله، الهذيذ فى شريعته، الوقوف أمامه دائما، الجلوس فى حضرته، يصير الإنسان كله محرقة، كله يصير لله مقدساً جسداً وروحاً، هذا طريق أفضل لمن يقدر عليه ولمن يختاره، ومن هنا وجدنا فريقا من الناس يترك الحياة الدنيا ويتجه إلى الأماكن الهادئة حتى تكون عنده فرصة لمحاكمة النفس وتأديبها وترويضها وتصفيتها وتنقيتها وإعدادها، إعدادها جوهرة نقية طاهرة للسماء، هذا هو طريق أفضل، لكن ليس معنى هذا أن الطريق الآخر مرفوض، الطريق الآخر يكون مرفوضاً فى حالة واحدة، إذا إتخذه الإنسان تبريراً لكى يشغل به نفسه عن الهدف السامى، وهذا هو ما يحدث مع الأسف، كثيرون من الناس يخرجون عن ذواتهم بإهتمامات كثيرة ليهرب من نفسه ويهرب من أبديته بشواغل أخرى يبرر بها أنه سائر فى طريق الخير، خدمة الآخرين لها قيمتها ولها فوائدها والإنسان الصالح لابد أن يخدم غيره ولا يكون أنانياً قانعاً بنفسه، ولكن هناك خطر يتهدد بعض الناس أو أكثرهم حين يتخذ الإنسان مشغوليته بغيره، تبريراً بأن يهرب من ذاته ويهرب من مستقبله ويهرب من مصيره. وهذا تدمير لحياة الإنسان ولن ينفعه تبريره بأنه يخدم غيره، يكون مثله فى ذلك مثل الذين بنوا فلك نوح، هم الذين بنوا الفلك ولكن ولا واحد منهم دخل الفلك فوجد الخلاص لنفسه بل غرقوا، غرقوا فى الطوفان، هذا هو الخطر الذى يتهددنا، لو أننا شغلنا عن أنفسنا وعن خلاصنا الأبدى بأمور أخرى كثيرة قد تكون نافعة ... نعم، ولكن أن يتخذها الإنسان تبريراً لأن يهرب من نفسه ويهرب من مصيره ويهرب من الإهتمام بأبديته، هذا خطر يتهدد حياة الإنسان ويتهدد مصيره أيضا ويقوده إلى هلاك نفسه، هذا ما قاله

المسيح له المجد لبعض الناس «كثيرون سيأتون لى فى ذلك اليوم ويقولون يارب بإسمك تنبأنا، بإسمك أخرجنا شياطين» ولكن المسيح يقول لهم «اذهبوا عنـى لا أعرفكـم؟؟ أى لأعترف بكم، لا علاقة لى بكم، ألهذه الدرجة .. نعم لأن المسيح لا يريدنا أن نشغل حتى بخدمة الآخرين بما يعطل خلاص نفوسنا، لأن هذه الخدمة أحياناً بل فى أكثر الأحايين تصلح تبريراً لأن يهرب الإنسان من نفسه ومن مصيره الأبدى، تقول له تعالى إلى الكنيسة يُجيب الأولاد .. الأولاد .. تعالى للتناول يُجيب مشغول .. مشغول .. مشغول العمل .. العمل.. العمل، نعم هؤلاء رجال الأعمال الذين برزوا، ونحن لا نعيب على الإنسان أن يُخلِص فى عمله، بل يجب أن يُخلص، لكن ليس الإخلاص فى العمل أو الإخلاص للأولاد والزوجة والبيت يكون عائقاً للإنسان عن طريق خلاصه، هذا هو المعنى الذى قاله السيد المسيح «مالم يبغض الإنسان أباه وأمه وأخته وأخواته حتى نفسه لا يقدر أن يكون لى تلميذا» ما معنى البغضة هنا؟ ليس معناها أن الواحد يكره، إنما معناها إذا صـار أخى أو أختى، أبى أو أمى أو ابنى عائقاً لى عن طـريق الخلاص ينبغى أن أزيحه من طريقى، الخلاص أهـم، خلاص النفـس أثمـن مـن كل شىء، لدرجـة أن الرسـول مـرة يقـول «لا ملائكة ولا رؤساء ملائكة يفصلوننى عن محبة اللهِ التى فى المسيح» طبعا من غير المعقول أن الملائكة ورؤساء الملائكة يفصلوا عن المسيح، ولكن إذا أنا تعلقت بعاطفة حب لبشر ما فى بعض الأحيان، علاقة الحب تتحول إلى فاصل بين الإنسان وبين الله، نحن نرى فى بعض الأحيان أن شاب يضحى بمحبته بالمسيح من أجل إمرأة أو فتاة، يتزوجها ويترك دين المسيح، وهكذا فى محيط البنات، ماذا حدث، هنا المحبة الجسدية التى زادت على محبتنا للمسيح، هذه المحبة هى التى ينبغى أن نبغضها لأنها عائق، ما معنى أن يبغض الإنسان حتى نفسه؟ أن يأتى ضد نفسه إذا اشتهت نفسه أمراً يعوقه عن خلاصه، ينبغى أن يبغض نفسه فى هذا الأمر حتى لا يعاق عن الخلاص الأبدى.

١٥- عمل الإيمان
فى بناء شخصية الإنسان

كما ينمو النبات من بذرة صغيرة تختفى فى الأرض وقتاً، لتأخذ نصيباً كافياً من الماء والأملاح المعدنية فى التربة ومع الدفء والحرارة والظلام، تظهر على سطح الأرض جسماً ضئيلاً، ومع الزمن وتوافر عوامل الغذاء المناسب - تكبر وتزدهر وتمتد فى الأرض وفى الهواء طولاً وعرضاً وعمقاً وعلواً، وتصير لها أوراق ثمّ زهور وأثمار، **هكذا الإنسان مثله مثل النبات يخضع فى نموه وإزدهاره لقوانين الطبيعة، إذ هو جزء من الكون العظيم**، وهو هذا الكون الذى أبدعه الخالق الحكيم، ومعه قوانينه ونواميسه **فليس الكون فوضى**، وإنما **مع الكون نظامه، ونظامه هو جماله**، ومن هنا سمّى اليونان الكون (كوزموس) COSMOS ومعناه النظام، والجمال.

والإنسان روح عاقلة، وبدن حىّ بنفس حاسة لها خصائص النبات والحيوان معا. وخصائص النبات هى التنفس، والتغذّى، والنموّ، والتكاثر. وخصائص الحيوان هى خصائص النبات الأربع مضافاً إليها الحسّ والحركة. والحسّ فى الحيوان هو الإدراك الحسّى بالسمع والنظر والشمّ والذوق واللمس، والحركة هى النشاط والانتقال فى المكان والمجال وقطع المسافات كما هو الحال عند الأسماك والطيور وسائر الوحوش والبهائم والدبيب والهوام.

والإنسان هو كل هذا، هو روح وبدن ونفس، فيه خصائص الجماد من حيث هو كتلة وحجم ووزن وشكل ظاهر، وفيه خصائص النبات لأنه يتنفس ويتغذّى وينمو ويتكاثر، وفيه خصائص الحيوان لأنه يحسّ باللذة والألم، ويتحرّك من مكان إلى مكان.. ولكنه فضلا عن هذا كله يتميز عن سائر الكائنات من جماد ونبات وحيوان، **بالروح العاقلة الحرة المريدة** التى ترفعه إلى عالم الملائكة والأرواح العليا، وبها وفيها تصير علاقتـه الخاصة جدا بالروح الأعظم وهـو الله - ومن هـنا يمكن أن يسمى الإنسان بـ (**العالم الأصغر**) فى مقابل (العالم الأكبر) - وهو الكون، ذلك أنَّ الإنسان يجمع فى مكوّناته وخصائصه بين كل ما فى الكون من عالم المادة (من جماد ونبات وحيوان) وعالم الروح لأنّ به روحاً عاقلة حرة مريدة تنتسب إلى عالم الأرواح. والروح فى الإنسان هى قَبَسٌ من الألوهة، هى نفخة من الله نفخها من عنده فى الجسم أو البدن، وصار بها الإنسان هو

الإنسان، عالمٌ بذاته، يختلف عن عالم الملائكة، وهى أرواح - ويسمو عاليا على عالم المادة وعن عالم النبات وعن عالم الحيوان.

قال الكتاب المقدس «وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض، ونفخ فى أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفسا حية» (التكوين ٢: ٧)، (أيوب ٢٧: ٣).

هـذه الروح التى نفخها الله من عنده فى الإنسان الأول المجبول من تراب الأرض هى التى جعلـت آدم (إنساناً)، وبها وفيها صار الإنسان وحده من دون الخلائق الأخرى - من جمادات ونباتات وحيوانات - «على صورة الله ومثاله» (التكوين ١: ٢٦، ١٧).

والنمو فى شخصية الإنسان - هذه التركيبة المتميزة عن غيرها من الموجودات والكائنات، ينتظم كل كيانه، أى **أنَّ نُموَّ الإنسان هو نمو لكل مركباته معا فى نظام متكامل يشمل روحه وذهنه وبدنه.**

فإذا نما فى بدنه، ولم ينمُ مع بدنه ذهنُه وروحه تهشّم كيانه العام وتدمَّر وجوده الإنسانى، وكان مثله مثل الجسم الممسوخ الذى ينمو فيه عضو غير طبيعى. إنما الطبيعى هو ما نلاحظه فى نمو الطفل مثلا، ينمو فيه كل عضو من أعضاء بدنه الظاهرة والباطنة بنسبة واحدة، إلى أن يبلغ إلى قامة الإنسان الكامل، ولو اختلّت هذه النسبة فى عضو عنها فى آخر، اضطرب كيان البدن كله كما يلاحظ ذلك فى المتخلّفين والمعتوهين والمشوّهين والمعوّقين.

كذلك يجب أن ينمو الذهن بالعِلم والمعرفة والخبرة، فى نفس الوقت الذى ينمو فيه البدن بالحركة والغذاء ومزاولة أعمال النشاط المختلفة فى الجسم السليم. فلو أنّ إنساناً نما جسده طولاً وعرضاً ولكن توقف نموه العقلى أو لم يستزد علماً وحكمة وخبرة، لم يعد بالحقيقة إنساناً كاملاً، وإنّما بنقص المعرفة وتوقف الفهم والحكمة والخبرة يُمسِى كياناً ممسوخاً، مثله مثل من نمت يده اليمنى وتوقفت عن النمو يده اليسرى، فصار بذلك جديراً بأن يُرثى له أو يُسخر منه.

كذلك الإنسان الذى يهمل روحه فيمنعها غذاءها المناسب لها من الروحانيات، من صلاة وعبادة وقراءة وتأمل وترانيم وتهجّد، بينما سخا على جسده بالطعام والشراب ومنحه نصيبه من الهواء والنظافة والراحة والكساء، كما أنه غذّى عقله بالقراءات والدراسات وارتقى ذهنه حتى غدا بين العلماء - هذا الإنسان أيضا، لأنه أهمل تنمية

روحه بالروحانيات ووسائط الخلاص، فيمسى أيضا إنساناً ممسوخاً، لا يختلف كثيراً - فى الواقع والحقيقة - عن ذاك المريض الذى توقفت بعض أجزاء جسده عن النمو دون بعضها الآخر - كل هذه صور للإنسان الممسوخ.

أما الإنسان الحقيقّى فهو الإنسان السليم الصحيح، والإنسان السليم الصحيح هو من نمت جميع قواته ومقّوماته وملكاته وكل مكوّناته من روح وذهن وبدن، نمواً متكاملاً متساوقا، وبهذا يحقق الهدف الكبير من وجوده على الأرض، لأنّ الإنسان قد خُلِقَ على صورة الله ومثاله، وقد خُلِقَ على صورة قابلة للنمو والتقدم باستثمار قدراته وصقلها وتنميتها بالجهد والعمل والكفاح والنضال.

عندما خلق الله آدم خلقه للعمل، والعمل للتنمية والاستثمار والانتاج والابتكار.

جاء فى سفر التكوين قوله تعالى «وأخذ الرب الاله آدم ووضعه فى جنة عدن ليفلحها ويحرسها» (التكوين ٢: ١٥) وبعد أن سقط آدم فى معصية خالقه وطرده خالقه من الجنّة التى وضعه فيها ليفلحها ويحرسها، يقول الكتاب المقدّس «فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليحرث الأرض التى أُخِذَ منها» (التكوين ٣: ٢٣).

ولما كان الإنسان قد خلقه الله على صورته ومثاله فهو أيضا قادر على الخلق والإبداع باستثمار ما أودعه الله فيه من قدرات وإمكانات وصقلها وتفليحها، فتثمر وتبتكر وتبدع وتَخلُق خلقاً من جديد.

ومادامت حكمة الخالق فى خلق الإنسان أنه خلقه ليعمل ويستثمر مواهبه وقدراته ويفلحها كما يفلح الأرض فتنتج وتثمر، فالإنسان الخامل الكسول الذى لايستثمر مواهبه وقدراته الطبيعية بالعمل والتنمية، قد أساء إلى نفسه كما أساء إلى خالقه، وأضاع حكمة الخالق فى خلقه له.

الإنسان جنة الله

وليست الجنة التى خلق الله آدم ليفلحها ويحرسها هى فقط جنة عدن التى وضع الله الإنسان الأول فيها، لكن **الإنسان نفسه جنة الله فى أرضه**، وكل عضو فى جسده شجرة مثمرة، وكل مكوناته من روح وذهن وبدن جنة بل جنات، كل منها جنة وبها أشجار مثمرة، والأشجار هى إمكانات الإنسان وقدراته الروحية والذهنية والبدنية، وكما طالب

الله آدم بأن يفلح الجنة ويحرسها، يطالب الإنسان منا بأن يفلح طاقاته كلها: روحية وعقلية وبدنية، ويصقلها ويستثمرها لتنمو وتتكاثر وتنتج جديداً من كل صنف ونوع.

وكما لام السيّد عبده وخادمه الذى ذهب وحفر فى الأرض وأخفى فضة سيده ولم يستثمرها ويربح بها ثمراً جديداً، وقال له: أيها العبد الشرير والكسلان ... كان الأجدر بكِ أن تضع فضتى عند الصيارفة حتى إذا جئت آخذ مالى مع ربحه، لذلك خذوا منه الوزنة وأعطوها الذى لديه العشر الوزنات، **لأن كل من عنده يعطى ويزاد، وأما من ليس عنده فحتى الذى عنده يؤخذ منه.** أمّا العبد غير النافع فاطرحوه فى الظلمة الخارجية. هناك يكون البكاء والصرير على الأسنان «(متى ٢٥: ١٨، ٢٤ -٣٠)، (لوقا ١٩: ٢٣ - ٢٦) هكذا يوبخ الله تعالى ويعنف أولئك الكسالى الذين لم يستثمروا بالجهاد والتعب والعمل والكفاح وزناتهم أى مواهبهم الطبيعية التى وهبهم الله إياها لكى ينمّوها فتزداد وتمتد فتشتد، وتؤتى أكلها ويزداد ثمرها لخيرهم وخير الأغيار من الناس وسائر الكائنات، وخير المجتمع والكون بأسره. ولابدّ فى يوم الدينونة أن يحاسبهم على تقصيرهم ويزجرهم على كسلهم وتراخيهم وإهمالهم لواجباتهم، وأخيراً يأمر بأن تسحب مواهبهم منهم، حتى لاتظل معطلة عن العمل موقوفة عن الثمر، فيعطيها لمن يستحقها من العاملين الكادحين المجاهدين. وهذا هو معنى قوله فى يوم الحساب لعبيده من الملائكة عن العبد الشرير والكسلان «خذوا منه الوزنة وأعطوها الذى لديه العشر الوزنات»، لأنه أثبت بعمله وجهاده وكفاحه أنه جدير بحمل المسئولية التى وضعها سيّده على عاتقه، فقد تمم إرادة سيده ومقاصده الإلهية فى إستثمار مواهبه وصقلها وتنميتها فزادت وربحت ونمت وأثمرت «لأن كل من عنده يعطى ويزاد، وأما من ليس عنده فحتى الذى عنده يؤخذ منه» أى أن **كل من عنده عمل وتعب وجهاد يعطى مواهب جديدة وتزاد مسئولياته،** لأنه بجهاده وعمله كسب ثقة سيده، فيقيمه سيده على مسئوليات أخرى جديدة، لأن مقاصد سيده هى فى العمل المثمر لخير الناس وخير الخليقة. «وأما من ليس عنده» عمل وجهاد وثمر، فإنه يعاقب بسحب كل ما عنده من مواهب، لئلا تبقى معطلة بلا ثمر، وهو ما لا يريده سيد الخليقة كلها.

أليس هذا كله، يضعنا أمام مفهوم عظيم القيمة والأهمية، إننا **خُلقنا للعمل،** وما وهبنا الله من مواهب طبيعية فى أرواحنا وأنفسنا وأجسادنا هى رأس مال منح لنا لا لكى نهمله فيكسد ويتلف ويصدأ، وإنما لكى نبدأ به العمل، لينمو رأس المال ويزداد كماً

وكيفاً.. فإذا لم نعمل ولم نربح برأس المال ربحاً جديداً،وطمرناه فى الأرض وأخفيناه عن عيوننا وعيون الناس، فإن الله سيّدنا يغضب علينا لكسلنا، وإهمالنا لعطاياه ومواهبه ضداً لإرادته ومقاصده.

هذه المواهب الطبيعية التى وهبنا الله إياها هى أولاً وقبل كل شىء آخر فى الكون، هى قدراتنا الطبيعية وإمكاناتنا وملكاتنا، هى الروح والذهن والنفس والبدن.. يجب أن نستثمرها وننميها ونعمل بها ونفلحها كما يفلح الإنسان الأرض بتقليبها وسقيها بالماء وبذر البذور فيها وتعهدها بالرعاية وصيانتها وإزالة معوقات النمو فيها.

على أن يكون **العمل بالمواهب وفيها جميعا.** فلا تكون تنمية الجسد على حساب الذهن والروح كما هو الحال عند بعض أبطال الأجسام والمصارعات البدنية... ولا تكون التنمية للذهن على حساب الروح والبدن، كما هو الحال عند بعض العلماء الذين صاروا عمالقة فى عقولهم وأذهانهم ولكنهم مرضى فى أجسادهم، وأقزام فى أرواحهم... ولا تكون التنمية للروح على حساب البدن والعقل كما هو الحال عند بعض الرهبان الذين يهملون أبدانهم فيمرضون، ويهملون أذهانهم وعقولهم فتضعف إدراكاتهم ومفاهيمهم وتتوقف عن النمو، ويخبو ضوؤها من حياتهم وسلوكهم، ويظهر هذا فيهم واضحاً حينما يضطرون إلى حمل مسئوليات قيادية فى العالم.

إن الإنسان السليم والصحيح والحقيقى هو الذى يدرك تماما مكونّاته من روح ونفس وبدن، **ويعمل على تنميتها جميعا معا تنمية عادلة متساوقة منتظمة، بما يكفل له شخصية متكاملة.**

البعد الإجتماعى

ولانغفل أهمية المجتمع فى حياة الإنسان الكامل، فإن **الإنسان السليم هو** بالعقل السليم، فى الجسم السليم فى المجتمع السليم.

الإنسان السليم هو الذى ينمى قدراته ومواهبه ليجعلها فى خدمة تكوينه السليم: روح عالية سامية موصولة بالسماء، نامية بالعبادات وبالفضائل الفردية والإجتماعية،... وذهن متفتح للعلم والمعرفة وإزدياد الفهم، وبدن سليم بكل مقومات السلامة البدنية - وهكذا يكون الإنسان كله فى صحة روحية وذهنية وبدنية، لخدمة الله والناس، وتحقيق إرادة الله ومقاصده فى مدّ آفاق الخير والجمال والنظام فى كل الوجود.

هذا هو الإنسان الكامل الذى خلق على صورة الله ومثاله والذى يستغل مواهب الله فيه وله، ويستثمرها وينميها؛ عاملاً مع الله، وهو الخير الأعظم، وصانع الخيرات.

وفى هذا يقول المسيح له المجد «كونوا إذن كاملين كما أن أباكم الذى فى السماوات كامل» (متى ٥: ٤٨)، (التكوين١٧: ١)، (التثنية ١٨: ١٣)، (يعقوب ١: ٤) وجاء فى رسالة القديس بولس الرسول إلى كنيسة كورنثوس «كونوا أولاداً فى الشر. وأما فى الأذهان فكـونوا كامليـن» (١. كورنثوس ١٤: ٢٠)، انظـر (التكوين ٦: ٩)، (أيوب ١: ١، ٨)، (٢: ٣، ٩)، (٢٧: ٥)، (١.كورنثوس ٢: ٦)، (١٤: ٢٠)، (أفسس ٤: ١٣)، (فيلبى ٣: ١٥)، (كولوسى ١: ٢٨)، (٤: ١٢).

التكامل فى المحبة فى أبعادها الثلاثة
الله - النفس - والغير (الآخر)

إنَّ بعض الناس ينسى أو يتناسى أن الإنسان كائن إجتماعى، فيتقوقع على نفسه، وينفر من غيره، ونتيجة لذلك يمرض بمرض النرجسية فتصير نفسه بالنسبة له هى مركز الكون، فلا يعنيه غير نفسه، وتسوء على التوالى علاقته بالأغيار ويتحوّل إلى كائن أنانى، فيبغضه الناس ويعادونه فيزداد هو عداء لكل أحد، وتمسى نظرته للناس سوداوية - هذا إنسان مريض، ونفسيته مريضه وغير سوية. إنه يحتاج إلى أن يتبين أنه خُلِقَ من أب وأم، وله إخوة وأخوات، وأقارب بالجسد وأقارب بالفكر والروح وأنه تربطه بالناس جميعا علاقات... هو فى حاجة إلى كل أحد، وكل أحد فى حاجة إليه، ولابدّ أن يؤثر فى غيره ويتأثر بغيره. من هنا وجب عليه أن ينبسط لغيره ولا ينكمش فى نفسه ... ينفتح على الأغيار ولا ينغلق عنهم... إنه كائن معهم، ومن بينهم، وليس غريبا عنهم.. هو قريب لهم... وهم أيضا أقرباؤه وإن كانت درجة القرابة تختلف بحسب بعد المسافة المكانية والزمانية، ثمّ المسافة الفكرية والروحية... والحاجة والمنفعة، بمستوياتهما المادية والمعنوية.

إذا أدرك الإنسان هذا البعد الإجتماعى فى تكوين شخصيته، يتغير بالتبعية سلوكه وإتجاهاته نحو الآخرين، ولم يعد ذلك الكائن الأنانى الذى لايعنيه غير نفسه، وتتحول عنده الأنانية إلى غيرية بما فيها من تعاطف وتواد وتراحم وتكافل إجتماعى - وينتقل شعوره بالاحتياج إلى غيره - إلى رابطة فكرية وعاطفية ثم إلى صداقة وإلى محبة وإلى عطاء، ويكتشف بعد ذلك أنَّ العطاء يُسعِده أكثر من الأخذ (أعمال الرسل ٢٠: ٣٥)

فيُعطى بسخاء ولا ينتظر المقابل (لوقا ٦: ٣٥)، وهكذا يتحول الإنسان المؤمن إلى كائن خيّر على غرار سيده وخالقه «فإنه يجعل شمسه تشرق على الأشرار والصالحين، وينزل المطر على الأبرار والظالمين» (متى ٥: ٤٥)، (أيوب ٢٥: ٣).

وتنبيها لهذا البعد الإجتماعى فى حياة الإنسان يقول المسيح له المجد «**تحب قريبك حُبَّكَ لنفسك**» (مرقس ١٢: ٣١)، (لوقا ١٠: ٢٥)، (متى ٢٢: ٣٩)، (رومية ١٣: ٩)، (غلاطية ٥: ١٤)، (يعقوب ٢: ٨).

وهذا معناه أنَّ المسيحى مطالب بأن يُحِبَّ قريبه مثل نفسه، لأنه إذا أحبه أقل من محبته لنفسه، وقع فى خطأ الأنانية. أما إذا أحبه محبته لنفسه فهنا مفهوم الغيرية، المتعادلة والمتساوية، وهذا هو **البعد الثالث فى المحبة المسيحية** - الله، والنفس،والآخر-

أما **محبة الله** فيقول المسيح فيها:

«من أحبَّ أباه أو أمه **أكثر منى فلا يستحقنى**. ومن أحب ابنه أو ابنته **أكثر منى فلا يستحقنى**» (متى ١٠: ٣٧).

وأما محبة النفس فيقول فيها:

«لأنه ماذا يستفيد الإنسان لو ربح العالم كله، **وأهلك نفسه أو خسرها** أو ماذا يعطى الإنسان عوضاً عن نفسه؟» (لوقا ٩: ٢٥)، (متى ١٦: ٢٦).

وأما **محبة الغير** فيقول فيها:

«**تحبّ قريبك حبك لنفسك**»

على الإنسان المسيحى إذن أن يوزع محبتـه فى هذه الأبعـاد الثلاثة من دون تجاوز: الله، النـفس، الغـير.

وهكذا تكون الشخصية المسيحية المتكاملة التى تجمع بين محبة الله، ومحبة النفس، ومحبة الآخرين، فى كُلٍ واحد، من غير تهوين أو تهويل وهذا هو طريق الكمال المسيحى.

١٦- فضيلة الإماتة (١)

من كلمات الرسول القديس بولس المأخوذة من الأصحاح الثالث من رسالته إلى كولوسى «إن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما هو فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله، اهتموا بما هو فوق ... لأنكم قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح فى الله. متى أظهر المسيح حياتنا فحينئذ تظهرون أنتم أيضا معه فى المجد.

فأميتوا أعضاءكم التى على الأرض الزنا، النجاسة، الهوى، الشهوة الردية، الطمع الذى هو عبادة الأوثان. الأمور التى من أجلها يأتى غضب الله على أبناء المعصية الذين بينهم أنتم أيضا سلكتم قبلاً حين كنتم تعيشون فيها».

ومما جاء فى رسالة القديس يوحنا الأولى:-

«لا تتعجبوا ياأخوتى إن كان العالم يبغضكم».

ربط الكتاب المقدس ربطاً بين قيامة المسيح التى نحن نعيش فى جوها فى الخمسين المقدسة، وبين فضيلة الإماتة «إن كنتم قد قمتم مع المسيح فأطلبوا ما فوق، لا بما على الأرض، اطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله، اهتموا بما فوق لا بما على الأرض». وبعد ذلك يقول «أميتوا أعضاءكم التى على الأرض»، وهذه العلاقة بين القيامة وبين الإماتة قائمة فى أول سر من أسرار الكنيسة وهو سر المعمودية، ففى المعمودية يدفن الإنسان بتغطيسه فى الماء، ولما كان هذا الماء قد انحدر عليه الروح القدس فلم يعد ماء على بسيط الحال، وإنما صار ماء تفاعل معه الروح القدس فأصبح ماءً نارياً خلاقاً، أصبح ماءً نارياً قادراً على الإحراق، إحراق الخطيئة وإزالة الإنسان العتيق وإماتت الإنسان القديم، الطبيعة القديمة التى ورثها الإنسان بالميلاد الأول من أبينا آدم، وحينما يقوم الإنسان بخروجه من ماء المعمودية بفاعلية الروح القدس، يكون قد قام إنساناً جديداً فى صورة المسيح الذى قام من بين الأموات. إذن هناك عملية دفن وموت وعملية إقامة من جديد، إنسان قديم قد ذهب وإنسان جديد قد ولد، ومن هنا فإن المعمودية ميلاد من الماء والروح، ميلاد ثانى ميلاد من فوق. فبعد أن نكون قد ولدنا من فوق، وبعد أن يكون المسيح قد

---

(١) من عظة أُلقيت بكنيسة العذراء والأنبا بيشوى بالكاتدرائية المرقسية بالعباسية - صباح الأحد الموافق أول مايو ١٩٧٧م - ٢٣ من برمودة ١٦٩٣ش.

أقامنا وصرنا فيه مقامين مرتفعين منتصبين ظافرين، لا ننحنى للخطيئة مرة أخرى، ولا ننحنى لنلتقط شهوة رديئة لا تناسب قامتنا الروحية فى المسيح، فإذا حاربتنا بعد المعمودية رغبة أو شهوة من خارج. إذا أراد الشيطان أن يجمل الخطيئة أمامنا، فلنذكر أننا أبناء المعمودية احترق فينا الإنسان القديم، وولدنا من جديد، وصار لنا كيان جديد، ميلاد جديد، قامة جديدة فى المسيح، قامة الرب الذى قام من بين الأموات، وما ينبغى أن تكون عليه هذه القامة من رفعة وإنتصاب وانتصار وظفر، فلا ننحنى من جديد للخطيئة، ولا نتكالب على الشهوة ولا نرجع إليها كما يرجع الكلب إلى قيئه، لأننا ارتفعنا فى المسيح وأصبحنا مقامين فى المسيح. إذن ارفعوا عيونكم إلى فوق «إن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما هو فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله، اطلبوا ما هو فوق لا بما على الأرض اميتوا أعضاءكم التى على الأرض». أميتوها بالإرادة، لا تسمحوا بشهوة رديئة، لا بالزنا ولا بالغضب، ولا للهو ولا للطمع ولا لعبادة الأوثان المحرمة، لا لرغبة ما من هذه الرغبات، وشهوة ما من هذه الشهوات، التى لا تتناسب مع القامة الروحية التى صارت لكم فى المسيح، أميتوا أعضاءكم، أميتوها بالإرادة بأن تنصرفوا عن هذه الرغبات والشهوات، وتصدفوا عنها وتتحولوا عنها وتتحولوا إلى ما هو فوق، لأن هذه هى قامتكم وهذه هى الرفعة التى رفعكم المسيح إليها. من هنا أصبح لنا بموت المسيح وقيامته تعارض، أصبح لنا طبيعة تتعارض مع العالم وشهواته، وأفعال الطياشة التى لا تليق بالمسيحيين، أصبح هنا تعارض، وهنا معنى قول الرسول يوحنا «لا تتعجبوا يا إخوتى إن كان العالم يبغضكم» (١.يو٣: ١٣). لأنه صارت عداوة بينكم وبين العالم، لأنكم وقد قمتم مع المسيح وتغيرتم عن شكلكم، وبتجديد أذهانكم صارت لكم طبيعة مغايرة عن طبيعة العالم، فلا تتعجبوا إن كان العالم يبغضكم لأنه لا يحب فيكم هذه القامة المرتفعة، وهذا السمو، وهذا الترقى، وهذا الارتفاع مع المسيح، هذا لايرضاه لكم العالم، العالم هنا لا بمعنى الدنيا أو الطبيعة أو الكون، ولكن بمعنى شهوات العالم، حينما يقول الكتاب «لا تحبوا العالم» كلمة العالم هنا بمعنى شهوات الدنيا ورغباتها فى مقابل الحياة المقامة فى المسيح.

١٧- حياة الإنسان سفينة (١)

بعد أن صنع رب المجد تلك المعجزة المشهورة، معجزة إشباع الجماهير من خمسة أرغفة وسمكتين، وكان عدد الناس كما أحصوهم خمسة آلاف من الرجال فيما عدا النساء والأطفال، وبعد أن أشبعهم أمر تلاميذه أن يسبقوه إلى الضفة الأخرى من البحيرة، هذه البحيرة التى عُرفت بأنها بحيرة طبرية نسبة إلى طيباريوس قيصر، أو بحيرة جنيسارت أو بحر الجليل، فلسطين بها ثلاث مقاطعات، المقاطعة الشمالية واسمها الجليل التى فيها مدينة الناصرة التى تربى ونشأ فيها السيد المسيح، والمقاطعة الوسطى واسمها السامرة واليوم يسموها نابلس، والمقاطعة الجنوبية اسمها اليهودية، وعاصمتها أورشليم.

فأمر تلاميذه أن يسبقوه إلى العبر أو إلى الضفة الأخرى من البحيرة، إلى أن يصرف الجموع، وصرف الجموع أخذ وقت طويل، لأن كل واحد له طلب والسيد المسيح له المجد كان يحقق له هذا الطلب، سواء كان شفاء مرضى أو إخراج شياطين أو أى طلب آخر، وبعد ذلك صعد السيد المسيح إلى الجبل ليصلى، وقضى فى هذه الصلاة إلى الهزيع الرابع من الليل أى إلى الفجر، وكان الليل يقسم إلى أربعة أقسام، من الساعة ٦ مساءاً إلى ٩ مساءً يسموه الهزيع الأول، من ٩ مساءا إلى ١٢ مساءا يسموه الهزيع الثانى، ومن ١٢ إلى ٣ صباحا يسموه الهزيع الثالث، ومن ٣ إلى ٦ صباحاً يسموه الهزيع الرابع.

فسيدنا صعد إلى الجبل وظل هناك إلى الهزيع الرابع أى حتى ٣ صباحاً تقريباً، وبعد ذلك نزل من الجبل، وكان التلاميذ قطعوا مرحلة كبيرة جداً فى البحر، وكانت السفينة معذبة من ريح مضادة، كلمة معذبة لها معنى معنوى، المعنى المادى لكلمة معذبة أى الريح تضرب فيها وهى تصعد وتنزل مع الموج، كلمة «معذبة»، تعبير عاطفى إنسانى معنوى، وفى الحقيقة لو تأملناه نجد فيه إشارة إلى حياة الإنسان نفسه، كل إنسان فينا حياته كما لو كانت سفينة تعبر من مكان إلى مكان آخر، عندما نولد تبدأ حياتنا على الأرض ونمشى فى الدنيا ونجاهد وآخر الأمر فى نهاية الرحلة نفارق هذه الدنيا، فيوم المفارقة هو عبارة عن خروجنا من هذه الحياة إلى الحياة الأخرى، فكأن حياة الإنسان سفينة تعبر من شاطىء إلى شاطىء، فعندما نولد نبدأ من شاطىء حتى نهاية الحياة فى

---

(١) محاضرة أُلقيت بكنيسة العذراء مريم بالقصيرين - حدائق القبة - فى مساء السبت ٨ من أغسطس ١٩٩٢م - ٢ من مسرى ١٧٠٨ش.

الدنيا ندخل إلى شاطىء آخر، لذلك نصلى قائلين: قدنا إلى ميناء هادئة ميناء السلام، نريد أن نصل ونعبر بسلام إلى الشاطىء الآخر.

والحقيقة هذا المعنى ممكن أن تحس به تماماً عندما تسافر إلى الخارج بسفينة، فعندما تتحرك السفينة وتغادر الشاطىء، بعدها تختفى السفينة وهنا الإختفاء لا بمعنى الزوال، ولكن هى عبرت ولذلك عندما يغادر الإنسان هذا العالم يختفى من نظر الناس الأقرباء والأصدقاء، لكن هو فى الواقع عبر إلى الشاطىء الآخر، وكلمة السفينة كانت معذبة لأن الريح كانت مضادة، فيها لمسة روحية وتشبيه بالنسبة لحياة الإنسان، الإنسان فى حياته فى الدنيا فيها مصارعات، والله له قصد أن نتعلم من هذه المصارعات، لانتعلم إن لم نتألم فلابد أن نصارع فى الحياة، توجد صعوبات وضيقات، ومضايقات، ومنغصات، سواء أكانت من بشر أو من الشياطين، فكلمة السفينة معذبة فى الحقيقة تلفت نظرنا إلى حياة الإنسان فى الدنيا، لكن لا يجب أن ننظر لها نظرة متشائمة، لكن لكى نتعلم أن من هذا العذاب لابد أن نتقوى، بالضبط مثل الألعاب الرياضية، أنت فى الألعاب الرياضية تمد جسمك طولاً وعرضاً وهذا يكون فيه معاناة وفيه مجهود تقوم به، لكن هذا المجهود يقوى عضلاتك الجسدية كما قال الكتاب المقدس: «الرياضة الجسدية نافعة لقليل»، فالله لايتركنا للمصارعات وللعذاب، ولكن حكمته الكبيرة أن نتعلم من المصارعات مع الحياة، ونختبر عمل الله فى حياتنا، وهذه تزيد الإيمان وتشعرنا أننا لسنا بمفردنا فى الحياة، وأن هذه التجارب والآلام والمنغصات مقصودة لكى نتعلم منها فى هذه المرحلة الأولى من حياتنا، وهذا سينفعنا وسيفيدنا فى المرحلة التالية بعد حياتنا على الأرض، وأخيرا جاء السيد المسيح فى الهزيع الأخير وسار على البحر، ورغم أن كل الذين فى السفينة رجال كبار صرخوا لأنهم ظنوه شبحاً، فقال لهم: أنا هو لا تخافوا، وعندما دخل السفينة صارت فى هدوء عظيم ووصلت إلى الشاطىء بأمان، لكن السؤال لماذا تركهم كل هذا الوقت؟ لكى يتعلموا، ولكى يرى كيف يتصرفون ولأن هذا ينفعهم فيما بعد.

وأيضا فى حادثة أخرى يقول الكتاب المقدس: أن السيد المسيح كان فى السفينة نائماً على وسادة وهم معذبين، لدرجة أنهم ذهبوا إليه وبشىء من قلة اللياقة، قالوا له: أما يعنيك أننا نهلك، فقام وانتهر الريح وصار هدوء عظيم. ونفس السؤال لماذا نام على وسادة وتركهم؟ الله لاينام ولايغفل لكنه صنع ذلك ليعطيهم فرصة، لكى يعرفوا أن يتصرفوا فى الوقت المناسب، عندما يعجز الإنسان يمد الله له يد العون، لكن لابد أنت أن

تصارع الحياة، لابد أن تُشّغل عقلك، وقلبك، والمواهب والوزنات التى أعطاها لك الله، وعندما تحس أنك عجزت اطلب المعونة، لكن لا تلغى دورك، مثل التلميذ الذى عنده امتحان، فيذهب إلى الكاهن ويطلب الصلاة ظناً منه أن الصلاة تغنيه عن المذاكرة، لا .. الصلاة مطلوبة لكن أنت يجب أن تذاكر والصلاة تجعل الله يشد أزرك، ويقويك، لكن أنت لابد أن تعمل، نحن موجودين فى الحياة من أجل العمل، لماذا خلق الله الإنسان؟ خلقه للعمل، فى مبدأ الأمر يقول: كانت الأرض خربة وخالية لماذا؟ لكى يعطى فرصة للإنسان أن يشتغل ويعمر الأرض، وفعلا حدث هذا والإنسان عمر الأرض وعمل الحضارة الإنسانية التى وصلنا إليها الآن، فلا تنتظر أن الله يعمل لك كل شىء، هذا مفهوم خاطىء، نحن خلقنا للعمل فلابد للإنسان أن يعمل، إن كان تلميذاً يذاكر، وإن كان عامل يعمل، إن كان أباً أو أماً أو مزارعاً فلابد أن يعمل، لاتعتمد على الله فى كل شىء، هذا ليس تدين، بل هذا مفهوم خاطىء للحياة الروحية، أنت لك دور ياإنسان، الله له دور وأنت لك دور، لابد أن تؤدى دورك أولاً، والله يعاون أو يُكّمل الذى لا تقدر عليه، لكن هناك أشياء كثيرة نقدر عليها فلابد أن تمارسها، وتشغل مواهبك والوزنات التى عندك، فى كل ناحية من النواحى، الرجل يعمل، والمرأة تعمل والصغير يعمل والشباب يعمل، هذا معنى أن السفينة معذبة، تركهم لكى يعملوا ولكى يتعلموا ولكى يتدربوا. وفعلا بعد أن صعد السيد المسيح إلى السماء، ابتدأوا التلاميذ يعملوا، هكذا نحن بصفة عامة لابد أن نعمل روحياً وإجتماعياً وأدبياً وعملياً، ونشغل مواهبنا، قد يتركنا الله ولكن ليس إهمالاً لنا، بل عينه علينا ولكنه تركنا لكى يعطينا الحرية ويعطينا الفرصة والوقت، لكن لابد أن يأتى حتى فى الهزيع الرابع، ولا يدخل إلى السفينة حتى يطلبوه، إنه لا يفرض نفسه، أنا واقف على الباب أقرع إن فتح لى أحد أدخل، أنا لا أفرض ذاتى عليه، الإنسان خلق حراً فهو الذى يطلب، أنا واقف على الباب، أنا مستعد أن أساعده، لكن عليه أن يطلب، إن فتح أحد أدخل وأتعشى معه وهنا ترمز إلى اللذات الروحانية، عندما المسيح إلهنا يدخل فى قلب الإنسان، والإنسان يعيش هذه الحياة الروحية يتمتع باللذات الروحانية، هذا نتيجة إن فتح أحد أدخل، وهذه تجدها أيضا فى نشيد الأناشيد، يقول: العريس يطرق على الباب، وطبعا العروس هنا تمثل النفس الإنسانية، فقال لها: افتحى لى يا حبيبتى ياكاملتى، قالت له: قد خلعت ثوبى فكيف ألبسه وغسلت رجلىّ فكيف أوسخهما، حاولت أن تتعلل كما يتعلل البعض ويخلق لنفسه أعذار، كما نقول نحن أنا لا أقدر.... انتظر ولم تفتح فتحول عنها، فإلتهب

قلبها فقامت فورا وفتحت الباب فلم تجده، فجريت فى الشوارع، وهى تصرخ وتقول: يابنات أورشليم هل رأيتن حبيبى، حبيبى أبيض وأحمر معلم بين ربوة، يقول: فوجدوها الحراس فعروها، كل هذا يشير إلى النفس البشرية، المسيح لايفرض نفسه عليها، ولكن ينتظر أن الإنسان هو الذى يطلبه، إذا فقد الإنسان هذه الفرصة فقد يفقدها إلى الأبد، لأن العروس عندما قامت وفتحت الباب كان تحول وعبر عنها.

المهم أن المسيح لا يفرض نفسه، الإنسان والملائكة كائنات حرة عاقلة مريدة مسئولة، لكن الحيوانات العجماوات والحشرات وما إليها تحكمها الغريزة المطلقة، إنما البشر لهم العقل الذى تقدر أن تستخدمه فتربط به، ما معنى العقل؟ الرباط، عقل الناقة ربطها، منها العقال الذى يستخدموه الفلسطينيين فى ربط الرأس، الإنسان يعقل نفسه أى يربط نفسه، يريد أن يندفع فيحكم نفسه ويمسك اللجام، نحن والملائكة كائنات عاقلة حرة مريدة، أى لها إرادة. فتختار الشر أو تختار الخير، فهى مسئولة لها جزاء ولها عقاب. فالله فى الوقت المناسب ممكن أن يتدخل بناء على طلب الإنسان، وهنا أهمية الصلاة عندما أشعر أننى فى حاجة إلى يد الله معى، أصلى وأطلب القوة لكن لا أعفى نفسى من العمل وأقول الله يعمل،هذا خطأ، هذا رأى من يؤمنوا بالقدرية، الذين يقولوا أن كل شىء مقدر، لا .. الإنسان له إرادة وفى بعض الأحيان إرادة الإنسان تتعارض مع إرادة الله، كما قال الله لأورشليم «كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها ولم تريدى»، كل شىء بإذن الله، نعم لأن الله حاكم الكون، لا شىء يحدث بدون إذنه وبدون علمه، لكن ليس كل شىء يحدث بإرادة الله، يحدث قتل لكن هل الله يريد القتل؟ يوجد زنا، يوجد سرقة، يوجد ظلم فى الدنيا هل الله يريد هذا؟ أبداً أبداً أبداً، لكن الإنسان له دور، فإذن تنبه ياإنسان لأن لك دور، لا تتصور أن هذا تدين عندما تلصق كل شىء لله، لا .. هذا تنصل من المسئولية، كتنصل آدم الذى جعل المسئولية على حواء، وكتنصل حواء التى ألقت المسئولية على الشيطان، لا .. الشيطان مجرد أن أعطاها فكرة ولكن هى نظرت إلى الشجرة فرأتها شهية، ومن هنا الشهوة جعلتها مدت يدها وليس الشيطان، ثم أكلت وأعطت زوجها، فلا تتنصل من المسئولية وتلقيها على الله أو على الشيطان الذى أغواك وتسلط عليك، لا .. أنت كائن حر عاقل مريد مسئول، لذلك لم يقبل الله منه هذه الأعذار، قال له: «ملعونة الأرض بسببك لأنك سمعت لقول امرأتك»، ممكن للإنسان أن يسمع رأى الآخرين لكن هو صاحب القرار يقبل أو لايقبل، فلماذا تتمحك أيها الإنسان وتقول الشيطان

أغوانى، هذا نوع من التنصل من المسئولية. يجب أن تشعر أنك أنت الإنسان المسئول، لذلك عاقب الله آدم ولم يقبل منه الإعتذار.

صعد السيد المسيح على الجبل وقضى الليل كله فى الصلاة، والصلاة أنواع:

صلاة الشكر، وصلاة التسبيح، وصلاة الطلب، وصلاة التأمل. ليس كل صلاة طلب، الصلاة من الصلة، فكون أن الإنسان يشكر الله وقد لايطلب شيئا تعد صلاة، فهو يتصل بالله للشكر.

وكون الإنسان يسبح بالتسابيح مثل الإبصلمودية وهى ليست فيها طلبات، هذا التسبيح وهذه المزامير وهذه الموسيقى هى نوع من الصلاة لأنها تصلنا بالله.

وكون الإنسان يتأمل، هذا التأمل الروحانى يجعل الروح تدخل إلى الحضرة الإلهية، وهذا مايحدث للآباء الروحانيين الكبار، أنه يستمر يصلى الليل كله، أو يصلى النهار كله أو يصلى أيام مثل السواح وما إليهم، هو يسرح فى الله، لا يقف عن الصلاة، إنما هو يعطى فرصة للروح أنها تدخل داخل الحياة الروحانية،ولا يدرى بنفسه من كثرة التأمل ورفع العقل والقلب، كما قال يوحنا الرسول كنت فى الروح، فى يوم الرب، ما معنى كنت فى الروح؟ يعنى كان غارق فى الروحانيات وفى التأمل العالى.

وتوجد صلاة الطلب، الطلب الذى فيه الإنسان يطلب شىء، لكن لاتتصوروا أن المسيح الله الظاهر فى الجسد، عندما يصلى ويقال فى الكتاب المقدس أنه كان يصلى، أنه كان يطلب شىء، لا .. لأنه مالك كل شىء، المرة الوحيدة التى صلى فيها صلاة الطلب كان فى بستان جثسيمانى لأنه كان فى وضع النيابة عن الإنسان، لكن فيما عدا ذلك كانت صلاة المسيح عبارة عن مناجاة وتأمل، ولفت النظر إلى السماء لكى تتعلم الناس أن الله مصدر كل خير وكل بركة. فصلاة المسيح على الجبل هى مناجاة، هو لا يطلب شيئا، هى مناجاة بينه وبين الآب لكى يظهر أنه واحد مع الآب. المسيح لا يصلى صلاة الطلب، لكن فى بستان جثسيمانى كان بالنيابة عن الإنسان، وفيما عدا ذلك كانت صلاة المسيح عبارة عن مناجاة بينه وبين الآب لبيان الوحدة الإلهية.

١٨- البصر والبصيرة [١]

يقـول النبى فى المزمـور «لأن ينبوع الحياة عندك، بنورك يارب نعاين النور، فابسط رحمتك على الذين يعرفونك وعدلك على المستقيمين فى قلوبهم»، (مز ٣٦: ٩، ١٠).

منك تنبع الحياة، فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس. نحن نأخذ منه الحياة، ومن هنا وصف بأنه رئيس الحياة، أصل الحياة، مبدىء الحياة، منشىء الحياة، لم يكن للحياة وجود قبله، فهو الأول والنبع الذى منح الحياة ويمنح الحياة، أما كل الكائنات بشرية وملائكية وحيوانية ونباتية ومادية، كلها تستمد حياتها منه لأنه هو أصل الحياة، هو الحى الأول، الحى بالألف واللام، الحى القيوم الذى به وعليه تقوم الحياة، الحى الأول وبعده كانت الحياة.

بنورك يارب نعاين النور، فلولا نورك لما استطعنا أن نرى النور، وهذه المسألة يمكن أن نفهمها بوسيلة إيضاح، فى عالمنا فى عالم المادة، عندما يكون الإنسان فى حجرة أو فى مكان أو فى قاعة مظلمة تماماً، على الرغم من أن له عينين لا يرى، له عينان ولكنه لايرى، أما إذا كان هناك ضوء سراج أو مصباح أو ضوء آخر كضوء الشمس وما إلى ذلك، فهذا النور يعينه على أن يرى، ومن دونه لا يرى على الرغم من أن له عينين، فهنا الإستنارة: بنورك يارب نعاين النور، عيوننا من دون هذا النور لا ترى حتى لو كانت مفتوحتين، فنحن بمعونة منك بالنور الذى تعطينا إياه نستطيع أن نرى، ولكن من دون أن تعطينا أنت هذا النور لا يمكن لعيوننا أن ترى، وهذا الكلام أيضا ينطبق على نور البصيرة.

الرؤى والأحلام:

الإنسان له بصر وله بصيرة، له عينان خارجيتان، وله أيضا عين داخلية، بعينيه الخارجيتين يرى الموجودات إذا كان هناك نور يسمح لعينه أن ترياه، ولكن بالعين الداخلية عين البصيرة يرى الحق، يرى القيم الروحية، يرى الخير، يعرف أشياء غير الأشياء المادية، هذه المعرفة الروحية يعرفها الإنسان بالبصيرة الداخلية، ومن هنا حتى فى تعبير اللغة يقول الإنسان: «أنا أرى»، بمعنى أنه يفهم، وهنا يقصد الصورة الذهنية، أرى

(١) عظة بكنيسـة السيـدة العذراء والأنبـا بيشوى بالأنبـا رويـس - صبـاح الأحـد ٣١ من يناير ١٩٨٨م - ٢٢ من طوبة ١٧٠٤ش.

الرأى الفلانى، أراه، أى يوجد رؤيا باطنية، رؤية البصيرة للأشياء التى هى غير مادية، مثل الحقيقة والقيم الروحية. ومثل الإدراكات فى عالم الروح، يرى الله، والله لاتراه العينان الظاهريتان إنما يراه الإنسان بقلبه. يراه ويتعامل معه ويحس به. وهذه الرؤيا تأخذ صوراً مختلفة، فى بعض الأحيان تتمثل بصورة ظاهرة لعينيه وهذا ما نسميه **بالأحلام** وأيضا بالرؤى، الحلم يراه الإنسان وهو نائم ولكن يرى صوراً، هذه الصور باطنية لا يراها بالعينان الظاهريتين، إنما يرى ويشعر أنه يتعامل مع أشياء محسوسة منظورة، لكن يراها لا بهاتين العينين الظاهرتين إنما يراها بقلبه، ويستيقظ ويتكلم عما رأى بيقين وحقيقة لأنه رأى.

رؤيا القديس بولس:

ولكن هناك أيضا على مستوى أعلى من الأحلام، الرؤى، والرؤيا يراها الإنسان وهو مستيقظ بحسب المناسبة، أحيانا وهو يصلى، وأحيانا بغير الصلاة، فمثلا القديس بولس الرسول يقول: «كنت أصلى فى الهيكل ... فرأيته قائلا لى: اسرع واخرج عاجلاً من أورشليم لأنهم لا يقبلون شهادتك عنى» (أع٢٢: ١٧، ١٨).رأيته وهنا الهاء المقصود بها المسيح، لكن المسيح كان فى هذا الوقت قد صعد إلى السماء وجلس على العرش، لكنه يقول كنت أصلى فى الهيكل، ورأيته قائلا لى، ففى أثناء الصلاة وهو مستيقظ رأى المسيح، هذه الرؤيا غير الرؤيا التى رآها وهو فى الطريق إلى دمشق فى رائعة النهار، عندما رآه فى لمعان أعظم من لمعان الشمس حتى أنه أُصيب بالعمى من كثرة البهاء والإضاءة، وقاده المرافقون له بيديه لأنه كان أعمى وظل أعمى ثلاثة أيام من بهاء المسيح على الرغم من أنه كان فى رائعة النهار، لكن هذا الجمال وهذا البهاء كان أعظم من بهاء الشمس ومن لمعان الشمس.

رؤيا القديس بطرس:

وبطرس الرسول صعد إلى سطح البيت فى مدينة يافا، وفى وسط النهار نحو الساعة السادسة ليصلى، وفى أثناء ما هو يصلى رأى «السماء مفتوحة وإناءً نازلا عليه مثل ملاءة عظيمة ...» (أع ١٠: ١١)،. وسمع صوتا يقول له «قم يابطرس اذبح وكُلْ..» وكان هذا على ثلاث مرات إلى آخر هذه الرؤيا، فهذه الرؤيا رآها وهو مستيقظ وهو يصلى.

رؤيا الملاك للعذراء مريم:

والعذراء مريم لما دخل إليها الملاك، دخل بشكل ظاهر من الباب إلى غرفتها

التى هى فيهـا، فتولاهـا الخوف فقـال لها «لا تخـافى يامريم» (لوقا١: ٢٦ - ٣٨). إلى آخـر هـذا الظهور الذى فيه بشرها بأنها ستحبل وتلد إبناً وتدعو اسمه يسوع.

رؤيا الملاك لزكريا رئيس الكهنة:

وزكريا رئيس الكهنة فى الهيكل ظهر له ملاك على يمين مذبح البخور فخاف عندما رآه رؤيا العيان، وكان يبخر وهو مستيقظ فرأى. (لو١: ٨ - ٢٢).

ما هذه **الرؤى** وكيف يراها الإنسان؟ هذا معناه أن هذا الإنسان موهوب، وممنوح له فى ظروف خاصة وبمؤهلات خاصة أنه يمكن أن يرى، الرؤيا بالقلب غير الرؤيا بالعينين، الرؤيا بالعينين لو كان هناك واحد آخر موجود فى المكان لا يرى ما يراه هذا الإنسان، إذن هذه الرؤيا ليست بمجرد هاتين العينين الظاهرتين، لأن هناك آخرين موجودين فى المكان ولا يرون إنما هى رؤيا بالقلب تتمثل فى شكل ظاهر. لشاول الذى هو بولس، يقول سفر الأعمال أن المرافقين له سمعوا الصوت (صوت بولس) ولم يروا أحداً، سمعوا صوت بولس وهو يقول له ماذا تريد يارب أن أفعل، رأوا نوراً فقط لكن لم يروا المسيح، ولا سمعوا صوته، لماذا هذا يرى وذاك لا يرى؟ لماذا هذا يسمع والثانى لا يسمع؟ هذا معناه أن الإنسان كإنسان موهوب من الله أنه يقدر أن يرى بغير العينين الظاهرتين فى ظروف خاصة، وفى أحوال خاصة، رؤيا حقيقية ويقينية، لا هى خيالات ولا هى خزعبلات، بل يراها يقيناً وحقاً وصدقاً، إذن هناك قدرة موهوبة للإنسان.

هذه النفس، وهذه الروح الداخلية الممنوحة لنا من الله، التى هى على صورة الله وعلى مثاله، يمكنها أن ترى بالقلب غير الرؤيا الظاهرة بالعينين.

وهناك أُناس عميان معوقون ليس لهم عيون، بمعنى أن العصب البصرى جف أو توقف عن العمل، إما أن الإنسان يولد هكذا، أو فيما بعد يصاب بهذا العمى فى الظاهر، ومع ذلك يمكن لهذا الإنسان الأعمى أن يرى، كيف يارب؟ إذن هذا الإنسان موهوب فى أحوال خاصة يمكنه أن يرى غير المنظور بالعينين الظاهرتين، ولكن يرى على الحقيقة.

رؤيا القديس ميخائيل البحيرى:

كان فى دير المحرق راهب على درجة روحانية عالية جدا، كان يسمى القمص ميخائيل البحيرى، هذا الرجل كان وصل إلى مرحلة السياحة الروحانية، وتنيح سنة ١٩٢٢م،

ففى السن الكبير ونتيجة للنسك عندما تعدى سن ال٨٠ تقريباً، فقد القدرة على الرؤية بالعينين الظاهرتين، فصار أعمى لايرى، فعلى الرغم من أنه كان أب لرهبان الدير كله وأب إعتراف لهم جميعا، وكلهم فى هذا الوقت كانوا تلاميذه وأولاده، لكنه بسبب فقده البصر كان عندما يصلى القداس يصلى ككاهن شريك لأنه لا يقدر أن يتسلم الذبيحة، قص علينا شيوخ الرهبان من أولاده أنه كان يصلى مرة ككاهن شريك، فبعد حلول الروح القدس، بدأ يصلى الأواشى ثم صمت، فالكاهن الأساسى وهو من أولاده تصور أنه مع الشيخوخة نسى، فذكر له بداية الفقرة لكى يساعده على أنه يكمل الصلاة، فأشار إليه بيده أن يكف عن الكلام، وظل واقف وكل الكنيسة صامته فترة من الوقت، فمن الواضح أنه كان رأى رؤية أو رأى الأسرار فلم يستطع أن يتحمل المنظر الذى أمامه فانتظر حتى اختفى المنظر، ثم أكمل الأوشية، وبعد ذلك ارتكن على جانب حامل الإيقونات واستمر يبكى إلى نهاية القداس، ولم يستطع أن يكمل صلاة القداس، هذا رجل أصبح أعمى لايرى، لكن استطاع أن يرى على الرغم من أنه لايقدر أن يرى بعينيه، لكن كُشف عن عينيه فاستطاع أن يرى.

إذن هذه الروح الإنسانية ممكن أن ترى حتى لو كانت العيون مقفلة، إذن هى هبة، نحن كائنات روحانية محبوسة فى الجسد مقفول علينا، الجسد بالنسبة لنا مثل إطار أو سور أو حوائط مغلقة علينا، لكن يوجد أشخاص معينين بروحانيتهم، الروح تقدر أن تشف وأن ترى وتخترق الحجب، وتخترق ما وراء الأسوار، مثل الزجاج رغم أنه جسم مادى ولكن عندما يكون أبيض ونظيف يمكن للإنسان أن يرى ما وراءه، يوجد أشخاص يصلوا لهذه المرحلة وتصبح أرواحهم شفافة، وأجسادهم أيضا، يمكن للروح أن تخترق ماوراء الحجاب وأن ترى.

هذا هو جمال الإنسان وهذا هو شرف الإنسان، كلنا لنا هذا الشرف، كل واحد فينا بفضل هذه الروح الإنسانية التى على صورة الله ومثاله لها هذا الشرف، أن لها عينين باطنيتين غير عينين الجسد ويمكنها أن تخترق ماوراء الحجاب وأن ترى.

رؤيا القديس يوحنا الحبيب:

القديس يوحنا صاحب سفر الرؤيا وفى الكتب القديمة يقال عنه سفر الجليان من كلمة تجلى والتجلى الذى هو الوضوح، يوحنا الذى نسميه يوحنا الرائى أو يوحنا الحبيب،

كان فى الجسد وكان فى جزيزة بطمس من جزر الأرخبيل فى بلاد اليونان، وكان فى النفى وفى هذه الجزيرة يقول: كنت فى الروح فى يوم الرب، يوم الرب أى كان يوم أحد لأن يوم الأحد هو يوم الرب، لكن ماذا يعنى بقوله «كنت فى الروح»؟ يعنى أنه كان غارق فى الروح، مندمج فى الروحيات من كثرة التأمل والصلاة والإرتفاع فوق المادة وفوق الحواس، كنت فى الروح يعنى فى عالم الروح، ويقول: سمعت صوته كصوت مياه كثيرة، صوت رهيب، فخاف وسقط على وجهه عند رجليه، ثم يقول: فوضع يده اليمنى على رأسى، أى أن السيد المسيح نزل إليه من السماء إلى جزيرة بطمس، ورآه وهو يضع يده اليمنى على رأسه، وقال له لا تخف، أنا هو الأول والآخر، ... أنا الألف وأنا الياء، أنا البداءة وأنا النهاية، أى أنا الأزلى وأنا الأبدى، وأنا الحى، الحى بالألف واللام، وقد مت أو ذقت الموت بالجسد من أجل الفداء أنا الحى إلى أبد الآبدين، والحى إلى أبد الآبدين هو الذى يحيى ويعطى الحياة، بيدى مفاتيح الهاوية والموت، أى صاحب السلطان، أى أنا مالك زمام الكون. الحياة بيدى والموت بيدى والهاوية بيدى، بيدى تعنى بسلطانى، بيدى مفاتيح الهاوية والموت.

يوحنا كان فى الجسد وهذه الرؤيا رآها وهو مستيقظ ولم يكن نائماً، إذن فى مقدور الإنسان أن يرى بغير العينين الظاهرتين، هناك عيون باطنة لو عرفنا أن نغذيها بالروحانيات، ولو أعطيناها طعامها الحقيقى، لأنه من دون هذا الطعام تضعف، فإذا عرفنا أن نعطيها غذاءها وانتعشت تستطيع أن ترى، وترى ما وراء الحجاب، وترى غير المنظور كأنه منظور تماماً.

فنحن لنا غير العينين الظاهرتين عيون باطنية.

بصيرة القديس ديديموس:

ديديموس كان رئيس المدرسة اللاهوتية فى الاسكندرية فى القرن الرابع للميلاد، وكان أعمى، أُصيب بالعمى بعد سن ٤ سنين، كما يحدث أن إنسان يحدث له مرض ويصاب بالعمى، لكن هذا العمى الظاهرى لم يمنع أن هذا الرجل يتقدم فى العلم وفى المعرفة الروحانية أولاً، وفى المعرفة العلّمية وكل أنواع المعارف، وهو أول من اخترع الكتابة البارزة قبل برايل الذى جاء فى القرن الثامن عشر، ونحن نسمى مدرسة المرتلين معهد ديديموس، نسبة إلى هذا الرجل ديديموس، ديديموس كلمة معناها توأم، عندما فقد بصره أرسل إليه القديس الأنبا أنطونيوس يعزيه قائلا له: أنت حرمت من العينين الظاهرتين

ولست وحدك، معك كثيرين حرموا منها حتى فى الطيور، وفى عالم الحيوان، لكن عندك بصيرة ليس لها نظير بين الناس إلاّ بين الملائكة، أى أنت فقدت البصرحقا، فقدت العينين الظاهرتين، لكن اشكر الله لأن عندك بصيرة داخلية عظيمة جدا، حرمت أنت من النظر وفى هذا الأمر يشترك معك كثيرون حتى من بين الحيوانات والطيور، لكنك تخرجت ببصيرة ورؤية داخلية لا توجد إلاّ فى عالم الملائكة، الأنبا أنطونيوس أراد بهذا أن يعزيه، أيضا كل إنسان منا ممكن أن يكون له هذه العطية، لأن أرواحنا على صورة الله ومثاله، هذه الروح الساكنة داخلك جوهرة ثمينة غالية لاتستهين بها، عندك هذه الموهبة لو عرفت أن تُصقلها وأن تغذيها بالغذاء المناسب لها وبهذا تنميها وتقويها، يحدث لها هذا الصفاء الذى حدث لآخرين من الروحانيين والقديسين.

المولود أعمى والبصيرة:

فى قصة المولود الأعمى، هذا الرجل ولد أعمى فاقد البصر، بل ويتضح من القصة نفسها أن هذا الرجل لم تكن له فى مقلتيه عينان، بعض الناس تكون عندهم عينين لكن لا يروا لأن العصب البصرى معطل، ويوجد معجزات صنعها السيد المسيح مع كثيرين بمجرد لمس العين أبصر، فأعاد للعصب البصرى قوته، لكن قصة هذا الرجل مختلفة جدا عن كل العميان، لأنه لم تكن له فى مقلتيه عينان، كانت مقلتاه فارغتين، وهذا يفسر لنا لماذا تفل المسيح على الأرض وصنع من التفل طيناً، لماذا هذا الرجل شفاه بهذا الأسلوب؟، واحد قال له ابصر بالأمر فأبصر، والآخر لمس عيناه فشفاه باللمسة، لماذا هذا الرجل تفل على الأرض وصنع من التفل طينا وطمس به عينيه، وضع له الطين داخل مقلتيه، لماذا؟ لأن هنا عملية خلق لعينيه، وبهذا ألمح المسيح إلى قدرته الخلاقة وأنه الخالق، لأن على هذا النظام خلق الله آدم، جبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض ونفخ فيه، فصار آدم نفساً حياً.

تركيبتنا هى أن الجسد من التراب، والنفخة الإلهية هى الروح التى على صورة الله ومثاله، وفى موضع آخر يقول الكتاب: «أنا من الطين تقرصت».

وفى موضع آخر يقول: نحن الطين وأنت جابلنا.

فهنا يثبت المسيح قدرته على الخلق وأنه الخالق، الكتاب يقول: «فى البدء كان الكلمة، به كان كل شىء وبغيره لم يكن شىء مما كان»، أى هو الخالق، ولهذا السبب يسمى المسيح بالكلمة، الكلمة الفاعلة والكلمة الخالقة، فهنا تفل على الأرض وصنع من التفل طينا وطلى

بالطين مقلتيه الفارغتين، فخلق له عينين، والسيد المسيح قال: «لدينونة أنا أتيت إلى هذا العالم، حتى يبصر الذين لايبصرون ويعمى الذين يبصرون»، هذه الآية يوجد فيها مقابلة لطيفة، يبصر الذين لايبصرون أى الذين لايبصرون بعيونهم مثل المولود أعمى أنا أعطيه أن يبصر، ليس فقط بإعطائه عينين ولكن أيضا يعطيه بصيرة، فهذا الرجل الذى كان أعمى لم يتعلم، لأنه لم يكن هناك فرص للناس العميان أن يتعلموا، إنما هذا الأعمى فى حواره مع العلماء من الكتبة والفريسيين، أخجلهم، وكان يكلمهم بمنطق أثبت فيه أنهم من الغباوة أن يقولوا عن المسيح أنه خاطىء، قال لهم: منذ البدء لم يسمع أن أحداً فتح عينى مولود أعمى، أخاطىء هو لست أعلم، لو لم يكن هذا من الله لم يقدر أن يفعل شيئا فممكن العلماء والناس المرموقين تطمس بصائرهم لأن قلوبهم مثقلة ومطموسة بالرغبات والمصالح الشخصية والشهوات، وتطمس العين الباطنية، عيونهم الظاهرة مفتوحة ولكن القلب مطموس، والبصيرة مطموسة، فتصدر منه أشياء عجيبة، قد يدركها طفل صغير، ولا يراها هؤلاء العلماء البارزين لأن البصيرة من الداخل مطفية.

ياليتنا نُقدر القيمة الكبيرة لهذه الروح التى أُوهبت لنا من الله، أنت عندك جوهرة ثمينة تشترك فيها مع كل إنسان، كلنا بشر، وكلنا موهوبين هذه الهبة، يقول النبى زكريا فى الأصحاح ١٢ «جابل روح الإنسان فى داخله»، الروح تنزل فى رحم الأم بعد تكوين بذرة الحياة الأولى بأربعين يوم، تنزل الروح من السماء وتتحد بالجسد، فكل واحد فينا بلا إستثناء يتكون من جسد ومن روح، وهذه الروح هى الجوهرة الغالية الثمن التى هى على صورة الله ومثاله، من الله تأخذ النور وتُعْطَى العلم الذى تستمده من رئيس الحياة ومنشئ الحياة وينبوع الحياة، تأخذ منه وتعطى.

كمثال بسيط، العدسة لو تمت نظافتها بطريقة جيدة لكى تكون صافية ونظيفة. ووضعناها تحت الشمس وركزنا الشمس عليها بحيث أنها لا تتحرك بل تكون فى درجة ثبات، تستطيع أن تجمع أشعة الشمس رغم بعدها ٩٣ مليون ميل ولإستطاعت أن تحرق الورقة التى تحتها، كذلك هذه الروح الإنسانية من الله عندما تكون فى وضع الصفاء والنقاء والتركيز، والإنسان يحصر نفسه ويبعد عنه الشواغل والأشياء الأخرى الثانية التافهة، التى لو نظرنا إليها نظرة عميقة أبدية نجدها أنها تافهة لاتستحق، لو ارتفعنا عن مستوانا نستطيع أن ندرك أن كثير من الأمور المشغولين بها ومتحمسين لها نجدها تافهة.

هذه الروح هى بؤرة، لو سطعت عليها القوة الإلهية تنير وتجد فيها نوع من المعارف جاءت لك لا من طريق المعلمين ولا من طريق الكتب، بل كما قال المسيح أو الرسول فى العهد الجديد «ويكون الجميع متعلمين من الله»، هذا هو ما يسموه العلم اللدونى، العلم الذى من لدن الله، هذا غير العلم الذى أخذناه عن طريق الكتب أو طريق المدارس، أو عن طريق المعلمين أو عن طريق الأب والأم إلى آخره، هناك نوع آخر من العلم ينبثق فى النفس إنبثاقاً، يتولد من فوق، عندما تكون النفس فى حالة من الصفاء، فى حالة من التركيز وإستبعاد الشواغل والأمور التافهة والإدراك العميق فى هذه الحالة يجعل القلب ينير.

كل إنسان فينا يقدر أن يصل لهذه المرحلة، إذا وصل لهذا التطهير لنفسه من الشواغل والأمور التافهة الكثيرة التى تشغل فكره، ويركز نفسه ليصل إلى هذه المرحلة لا من أجل المباهاه بها ولكن لكى يفهم أشياء، تجد أنه فهم أشياء انبثقت فى نفسه بنوع من المعرفة غير المعارف التى نحن نتلقاها فى الكتب.

ولاحظوا أننا أخذنا مسحة الميرون بالإضافة إلى الموهبة الطبيعية الأساسية، أخذنا قوة فوق الطبيعة وهى مسحة الروح القدس فى الميرون بعد المعمودية مباشرة، هذا الميرون يقول عنه المسيح: «يذكركم بكل ما قلته لكم ويعلمكم كل شىء ويخبركم بأمور آتية»، ثلاث أشياء، ينير القلب لدرجة أنه يرى الماضى، النور يشمل الماضى فيذكر، ويشمل الحاضر فيعلم، ويشمل المستقبل فيخبر بأمور آتية، مثل قطار السكة الحديد عندما يضىء الكشاف تجد النور يُشع للأمام، فيقدر السائق أن يرى على بعد أكثر من كيلو، الروح القدس الذى أخذناه كقوة فوق قوة الروح العادية، أى القوة الطبيعية الأساسية التى لأرواحنا، لذلك نرى بعض الآباء الروحانيين استطاعوا أن يتنبأوا عن أشياء، ونعتبرها نبوءات عن أمور مستقبلة بعد مئات السنين، من أين لهم هذا؟ ليس الفضل لأنهم حفظوا أنفسهم من دنس العالم فقط، لكن الفضل الأساسى لهذه الروح الإنسانية، ولمسحة الروح القدس، القـوة فوق الطبيعـة التى أُعطيت للإنسان حتى يستطيع بها أن يرى النور. «بنورك يارب نعاين النور».

المعمودية ترد للإنسان البصيرة: (١)

والكنيسة ترى فى قصة المولود الأعمى إشارة إلى أن كل إنسان قبل أن يصبح معمداً فى كنيسة المسيح، فهو مولود أعمى بالخطيئة الأصلية، «لأنه بالآثام حبل بى وبالخطيئة اشتهتنى أمى»، وهو فى حاجة إلى أن يغتسل فى بركة سلوام، وبركة سلوام هنا يشار بها إلى جرن المعمودية، فإذا اغتسل عاد بصيراً ذلك لأن السيد المسيح له المجد، يقول: «إن كان أحـد لا يولد مـن المـاء والروح لايقدر أن يعاين ملكوت الله» لأنه مولود أعمى بالخطيئة الأصلية، لأنه «بإنسان واحد - وهو آدم - دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت وهكذا صار الموت إلى جميع الناس»، بالآثام حبل وبالخطيئة اشتهتنى أمى، هى وصمة الخطيئة الأصلية التى وصلت إلينا بالدم وبالتوالد من الأبوين كما يقول القديس ديديموس الضرير رئيس المدرسة الإكليريكية فى القرن الرابع: عن طريق هذا التوالد تصل وصمة الخطيئة إلى الإنسان المولود من أبويه، ويحتاج أن يتطهر منها، من أجل هذا كانت المعمودية ضرورية للخلاص، والطفل كيف تكون المعمودية بالنسبة له ضرورية للخلاص مع أنه لم يخطىء خطيئة فعلية؟ وصمة الخطيئة وصلت إليه بالوراثة وبالميلاد، وصل الدم ملوثاً فلابد أن يتطهر فى سلوام فى جرن المعمودية، ومن أجل هذا لم تكن المعمودية للأطفال زينة أو عملاً سطحياً خارجياً، إنما المعمودية أيضا للأطفال للخلاص من الخطيئة الأصلية، التى وصلت وصمتها إلى دم الطفل من آدم عبر والديه.

والكنيسة ترى أن كل إنسان يولد أعمى، والعمى هنا هو عمى البصيرة، هذا العمى الذى لا يقدر معه أن يرى ملكوت الله، لأنه قد صار أعمى بوصمة الخطيئة الأصلية فلابد أن يغتسل من هذا فى بركة سلوام، لكى يرد إليه بصره ويصير قادراً على أن يدخل ملكوت الله، وقادراً على أن يعاين ملكوت الله.

ولذلك عندما يسأل إذا مات طفل بغير عماد ما هو مصيره؟ آباء الكنيسة أجابوا على هذا السؤال وقالوا: الأطفال غير المعمدين لا يعذبون ولكن لايمجدون، لايعذبون لأنهم لم يخطئوا خطايا فعلية، إنما لايمجدون أى لا يعاينون ملكوت الله، لأنهم غير قادرين على أن يروا وعلى أن يعاينوا ملكوت الله، مثلهم مثل الأعمى الذى لايقدر أن يرى، لأن عضو البصر فيه معطل عن العمل، ولايكون لهم مجد الأطفال المعمدين الذين اغتسلوا فى بركة سلوام، اغتسلوا فى المعمودية فاستنارت بصائرهم وأصبحوا قادرين على أن يعاينوا ملكوت الله.

---

(١) عظة أُلقيت بكنيسة العذراء والأنبا بيشوى بالأنبا رويس - صباح الأحد ٢٠ من أبريل ١٩٨٦م - ١٢ من برموده ١٧٠٢ش،

لذلك الكنيسة فرضت عقوبة على الأم والأب إذا قصروا فى تعميد الطفل ومات الطفل من غير عماد، لأنه إذا كان الطفل فى حالة خطر، كان ينبغى أن الأب والأم يسرعا بتعميد الطفل على أن يدخل مع غير أمه إذا كانت لم توفِ أمه المدة المقررة لها لكى تدخل إلى الكنيسة، وهى أربعون يوماً إذا كان مولودها ذكراً وثمانون يوما إذا كان مولودها إنثى، إنما الطفل يمكن أن يعمد فى حالة الإحساس بالخطر ولو كان ابن يوم واحد، فإذا قصرت الأم وقصر الأب فى تعميد الطفل ومات بغير عماد، كانت الكنيسة تفرض على الوالدين عقاباً أو تأديباً كنسياً صوم لمدة سنة.

قصة المولود أعمى فيها إشارة واضحة بين الإنسان قبل العماد و الإنسان بعد أن يعمد وبعد أن يرد إليه بصره. لكن هناك زاوية أخرى، وهى أن الإنسان عموما محتاج إذا كان خاطئا أن يتوب لأن الخطيئة تُعمى البصيرة، الحياة الخاطئة الفاسدة ترد الإنسان إلى حالة العمى، حتى لو كان قد استنار بالمعمودية وانفتحت عيناه، لأن الخطيئة من طبيعتها تعطى غشاوة على العينين الباطنيتين، الإنسان له عينان باطنيتان نسميها البصيرة غير الباصرة، فالإنسان الخاطىء فى حالة الخطيئة يكون قلبه أعمى، لأن الخطيئة تصيبه بغشاوة على قلبه فتصير إدراكاته الروحية ضعيفة فاترة مظلمة، لايقدر معها أن يرى الحق كاملاً. فيكون حكمه على الأمور حكم غير سليم، كالإنسان الذى على عينيه غشاوة فيرى الأشياء باهتة أو ضعيفة بحيث لايستطيع أن يميزها تماماً، أو يفصل فصلاً حاسماً فى الأمور، لأن عينيه مظلمتان، وقد يكون هذا الإنسان فى مركز مرموق ومتميز حصل على الشهادات العالية ويقود الآخرين وفى وضع المسئولية، ومع ذلك تغيب عنه أبسط الأمور التى لا تغيب عن طفل، حقا أن العينين الظاهريتان ترى، ولكن العين الباطنة والعين الداخلية أصابها إما حولٌ أو عمى أو ظلمة، فمن هنا لا قدرة له على أن يرى.

فنحن محتاجين إلى التوبة وإلى أن نعترف بما فى قلوبنا من ضعف وما اعترى العين الباطنية من ظلمة جعلت الرؤيا غير واضحة، فنحن نحتاج إلى مراجعة النفس، دعوا عنكم الغرور الروحى، الإنسان المغرور الذى يشعر أن هذا الكلام لاينطبق عليه بل على غيره، ويطلب الهداية للآخرين، وأما هو فليس فى حاجة إلى هداية، لأنه يعلم ويعرف.

اليوم فرصة أن ندين فيها أنفسنا ونحكم على أنفسنا، وتقول فى داخلك أنا الخاطىء وهذا الكلام لى، ولا تحول هذا الكلام إلى غيرك من الناس، احكم على نفسك، لك أن تدين نفسك، وأن تدينها بقسوة وبحق وبعدل ولاتشهد على نفسك شهادة زور، لا تداهن نفسك، لا تتملق ذاتك، لا تبرر ذاتك، لاتنتحل الغدر لذاتك، ضع فى قلبك أنك أنت المدان، أنك أنت المخطىء، اطلب النور، اطلب المعرفة، اطلب التوبة الصادقة، ولا يمكن أن تكون توبة صادقة إلاّ إذا كان هناك إدراك حقيقى لمستواك الحقيقى، تكون قد امتحنت ذاتك وعرفت

أنك مخطىء، فى أعماق نفسك تقر بأنك مخطىء، وتنسحق بالتوبة وبالندم الحقيقى، وقبل أن تفكر فى غيرك، فكر فى نفسك ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه، أو ماذا يعطى الإنسان فداءاً عن نفسه.

هذا الكلام خصوصا للأتقياء منا أو الذين يرون فى أنفسهم أنهم من زمرة الأتقياء، أو الذين يخدمون الآخرين، أو الذين دخلوا فى مصاف الخدام بنوع أو بآخر وأيضا هذا الكلام موجه إلى كل أب وإلى كل أم، الأب الذى يشعر أن أولاده هم الذين يحتاجون إلى تقويم، إنما هو الذى يُعلّمهم وينصحهم، والأم أيضا التى تطلب الهداية لأطفالها، كل منا فى حاجة إلى مراجعة لنفسه وإدانة لنفسه، وأن يذوب قلبه ندماً، وأن ينسحق من أعماقه وأن يخشى غضب الله عليه، وأن لايغتر بنفسه إذا كان يرى ذاته مواظباً على الحضور إلى الكنيسة، أو أنه يصوم كغيره من الناس، ربما يرتفع قلبه إلى فوق ويحس أنه أعلى وأفضل من غيره، على الإنسان أن يدين نفسه ولا ينتحل الأعذار لنفسه، إنما يلوم نفسه ويقرع نفسه، ويحتاج إلى خلوة أن يغلق بابه، ويغلق أبواب الحواس ليستبطن نفسه، ويدخل إلى باطن نفسه، ليعرف ما فى نفسه، وحقيقة ما فى داخله بلا غرور، وبلا إدعاء، إنما يرى الأوساخ التى هو فيها، ويبدأ بالكنس والتنظيف والغسيل.

أليس من الحماقة أن نهتم بنظافة منازلنا ومكاتبنا من التراب العالق بها، ونترك نفوسنا عالقة بها أضرار الخطيئة. ربما أُعطيت لى فرصة أحسن أشكر الله عليها، أشكر الله لأنه أعطانى يوماً جديداً، لكن هذا الشكر يقتضينى أن أستفيد من هذا اليوم الجديد، بتوبة جديدة عن خطاياى، وحينئذ يكون فعلا قد استفدت بما يحيينى وما يبنى حياتى الروحية.

ياأولادنا أكلم كل واحد منكم، أكلم كل قلب، نريد أن نضع الغرور جانباً ويشعر كل واحد منا بأنه خاطىء وأنه محتاج أن يتوب، توجد خطايا تعرفها، وخطايا لا تعرفها، خطايا خفية وخطايا ظاهرة، خطايا صنعتها بإرادة، وخطايا صنعتها بغير إرادة، ولا يكفى أن تقول أننى خاطىء بطريقة عامة، إنما لابد من الشعور بالخطيئة من الداخل، تكون حقيقة شاعر بندم، وأنك محتاج إلى أن تستنير عيناك، وإلاّ إذا تركت نفسك بهذه الحالة فإنه تتراكم عليك الأوساخ، ويزداد القلب عمى، ويفقد الإنسان أبسط البصائر والقدرة على التمييز. هى فرصتنا فى هذه الأيام المباركة أننا نراجع أنفسنا، ونطلب الخلاص ونطلب التوبة ونطلب الرجوع إلى الله، ونستعد كعروس، الكنيسة كلها ينبغى أن تكون كعروس مهيأة لرجلها، مهيأة للمسيح فى مجيئه الثانى.

نعمة ربنا يسوع المسيح تشملنا جميعا له الإكرام والمجد إلى الأبد آمين.

١٩- ماذا نصنع إزاء أعدائنا[1]

هذه الكلمات الروحانية السامية هى جزء من الموعظة على الجبل، نطق بها رب المجد يسوع المسيح ليرفع بها سامعيه عن مستوى الحقد والكراهية الشخصية إلى مستوى الحب والتسامح بالحقوق الخاصة فى سبيل صيانة السلام بين الإنسان وأخيه الإنسان. فالإنسان الطبيعى المادى المتعلق بشهوات الدنيا ورغبات الجسد من مأكل ومشرب وملبس يفزع أن يرى من ينازعه فى مطامع الحياة، فيندفع كالوحش عندما يهاجمه أحد لينتزع الفريسة من بين أنيابه، نحو الغضب والإيذاء والقتل أحياناً. والمتأمل فى خصومات البشر والمنازعات الخاصة بين الناس يجدها فى أكثرها خصومات مادية، ومنازعات على مطامع الدنيا وأباطيلها، تتفاقم فتهدد المحبة الطبيعية بين الأب وأبنائه، والأم وبناتها، وبين الإنسان عموماً وأقربائه وأصهاره وأصدقائه وكل ما يلوذ به من ذوى القرابة اللحمية أو الإعتبارية. وكم أدت هذه الخصومات على الماديات إلى فقدان السلام والمحبة بين الأفراد والعائلات، وإلى توليد الشقاق والشر فى المجتمع بأسره.

من أجل هذا النوع من الخصومات عَلَّم المسيح الرب تلاميذه والجموع أن يتساموا فوق الشهوات والمطامع، ويرتفعوا على حب المال الذى هو «أصل كل شر، وهو الذى إبتغاه قوم فضلّوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة» (١. تيمو٦: ١٠).

لهذا قال رب المجد: «أحبوا أعداءكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، باركوا لاعنيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم. من لطمك على أحد خديك، فاترك له الآخر أيضاً. ومن أخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك أيضاً. وكل من سألك فأعطه. ومن أخذ مالك فلا تطالبه به. وكما تريدون أن يفعل الناس بكم، افعلوه أنتم أيضاً بهم. فإنكم إن أحببتم الذين يحبونكم، فأى فضل لكم. فإن الخطاة أيضاً يحبون من يحبونهم. وإن أحسنتم إلى الذين يحسنون إليكم، فأى فضل لكم. فإن الخطاة أيضاً يفعلون ذلك. وإن أقرضتم الذين ترجون أن تستردوا منهم فأى فضل لكم، فإن الخطاة يقرضون الخطاة ليستردوا منهم المثل. ولكن أحبوا أعداءكم وأحسنوا إليهم وأعطوا ولا تخيبوا رجاء أحد، غير طامعين فى استرداد شئ

---

(١) تفسير لإنجيل القداس فى الأحد الرابع من شهر بؤونة المأخوذ من (لو٦: ٢٧- ٣٨)، أذاعه المقر البابوى، ببطريركية الأقباط الأرثوذكس لتلاوته بجميع كنائس الكرازة المرقسية، بعد قراءة إنجيل القداس فى يوم الأحد الموافق ٢من يوليو (تموز) ١٩٦٧م ـ ٢٥ بؤونة ١٦٨٣ش.

فسيكون أجركم عظيماً، وتكونون أبناء العلى. فإنه صالح مع الجاحدين والأشرار. فكونوا أنتم رحماء، كما أن أباكم أيضاً رحيم. لا تدينوا فلا تدانوا. ولا تحكموا ضد أحد فلا يحكم ضدكم. اغفروا يغفر لكم. اعطوا تعطوا. كيلاً جيداً مضغوطاً مهزوزاً فائضاً سيعطونكم فى أحضانكم. لأنكم بالكيل الذى به تكيلون يكال لكم» (لو٦: ٢٧- ٣٨).

من هنا نفهم من هم الأعداء الذين يتكلم عنهم مخلصنا فى موعظته على الجبل. إنهم أعداؤنا فى المطامع والشهوات، وهم الذين ينازعوننا من أجل الطعام والشراب واللباس، ومن أجل رغبات الجسد، ومن أجل المال والمادة.

على أن لنا نوعاً آخر من الأعداء. وهؤلاء هم الأعداء الروحيون. والأعداء الروحيون هم الشياطين، وهم أيضاً أقرباؤنا وأصدقاؤنا الذين يصدوننا عن طريق الحق، والذين يمنعوننا أو يعيقوننا عن طاعة الله والخضوع لدعوته وإرادته.

ألم يقل فادينا يسوع المسيح: «ويكون خصوم المرء من أهل بيته»؟ (مت١٠: ٣٦) وذلك حينما يقف الأب أو الأم، الأخ أو الأخت أو القريب عموماً، عثرة وعقبة فى سبيل الإنسان ليعوقه عن عمل الصالحات أو الطاعة لوصايا الله.

وأعداؤنا الروحيون أيضاً هم كل بشر يحاول بالقهر أو بالحيلة أن يدعونا لعبادة إله غير إلهنا، أو إلزامنا بدين غير ديننا، أو تحويلنا إلى عقيدة غير عقيدتنا.

هؤلاء وأولئك أيضاً هم أعداء الروح لا أعداء الجسد، أعداء الفكر والعقيدة والمبدأ، وهم أعداؤنا الحقيقيون، بل هم أعداء الله، وهم «أعداء صليب المسيح» (فيلبى٣: ١٨).

وأعداؤنا أيضاً هم أعداء الوطن، أعداء بلادنا وتراثنا الحضارى. نعدهم أعداء لنا لأنهم يرملون نساءنا، وييتمون أطفالنا، ويقتلون شبابنا، ويهينون مقدساتنا ويسلبون حقوق شعبنا وأمتنا.

فماذا نصنع إزاء هذا النوع من الأعداء الروحيين؟

هل نحب الشياطين؟! بالطبع لا. فقد قال الوحى الإلهى: «قاوموا إبليس»، «اصحوا واسهروا، فإن إبليس خصمكم كالأسد الزائر يجول ملتمساً أن يبتلع واحداً. فقاوموه راسخين فى الإيمان» (يعقوب٤: ٧).

وأما أعداؤنا الروحيين من بنى الناس أيضاً فلا نحبهم، وإن كنا لا نلعنهم. لا نحبهم، وإن كنا لا نكرههم. لا نحبهم بل نقاومهم ونحاربهم. فمخلصنا مع إنه رب السلام الذى يقول «أحبوا أعداءكم» (متى٥: ٤٤) اسمعوه يقول بالنسبة لأعداء الروح والمبدأ والعقيدة «لا تظنوا أنى جئت لأحمل سلاماً إلى الأرض. ما جئت لأحمل سلاماً، بل سيفاً. جئت لأجعل الابن يختلف مع أبيه، والابنة مع أمها، وزوجة الابن مع حماتها، فيكون خصوم المرء من أهل بيته» (متى١٠: ٣٤- ٣٦).

ومعنى ذلك أنه لا من أجل السلام ندوس مبادئنا ومقدساتنا.

وزاد السيد المسيح على ذلك بقوله «من يأتى إلىّ ولا يبغض أباه وأمه وزوجته وأبناءه وإخوته وأخواته، بل نفسه أيضاً، لا يستطيع أن يكون لى تلميذا» (لو١٤: ٣٦). **وهذا معناه أننا فى سبيل مبادئنا ومقدساتنا نتنازل عن محبتنا الحسّية لأقربائنا وإخوتنا ولأنفسنا. نضحى بكل ذلك فى سبيل محبتنا لله، وللحق، وللمبادىء السامية.**

إن الذين يظنون أن المسيحية ديانة ضعف لأنها تدعو إلى المحبة والسلام بين الناس يخطئون ويضلون. إن المسيحية التى صَيّرت أتباعها حملاناً لا يؤذون أحداً ويسعون للسلام، هى بعينها المسيحية التى جعلت أتباعها أسوداً أقوياء، فى معركة الحق، ويستشهدون من أجل الحق والعدل والحرية، لأنها علمتهم أن يفرّقوا بين الحق الخاص والحق العام.

أيها الأبناء:

فى سبيل حق بلادنا، ومن أجل سلامتها، ومن أجل نجدة ضحايا العدوان الإستعمارى ندعوكم إلى التبرع بأموالكم بسخاء ورضى القلب «فإن الله يحب من أعطى متهلـــــلاً» (٢. كورنثوس ٩: ٧).

ولنسأل الخير لبلادنا والسلام للأمة كلها، كما نسأل التوفيق والسداد للسيد رئيس الجمهورية، فى معركة الحق والحرية.

٢٠- الظاهر والباطن[(١)]

الرياء والإهتمام بالظاهر:

دُعى المسيح له المجد إلى وليمة. إلى مآدبة غذاء من أحد الفريسيين، والفريسيون هم مذهب الذين أفرزوا أنفسهم متميزين عن غيرهم، بأنهم المحافظون والمتمسكون والمتشددون فى العمل بالشريعة وتطبيقها، وهم من موقعهم هذا كفريسيين أقاموا أنفسهم حكاماً وقضاة بحيث أنهم يحكمون على من يُقّصر فى إحدى مراسم الشريعة.

وهنا موقف أعتقد أنه متعمد من مخلصنا وسيدنا يسوع المسيح، دخل وجلس إلى المائدة، ولاحظ الفريسى الذى دعاه أنه لم يغسل يديه ورجليه قبل تناول الطعام، وكان الفريسيون عَلَّموا الشعب أنه ما لم يغتسل الإنسان قبل أن يأكل فإنه يعد نجساً، وحقيقة أن الإغتسال قبل الطعام فضيلة وهى فضيلة نافعة ومفيدة وبها يتقى الإنسان العدوى من الأمراض. وهى مسألة واجبة لصحة البدن، لكنها عند الفريسيين تعدت وتجاوزت حدودها كفضيلة لصحة البدن. وكفضيلة لوقاية الإنسان من الأمراض وخصوصاً الأمراض المعدية، تعدت إلى أن أصبحت فضيلة للطهارة. والطهارة المقصود بها هنا الطهارة التى تؤهل الإنسان بأن يكون أمام الله طاهراً.

هنا موقف المسيح له المجد، وهنا أراد أن يتدخل، تدخل لا تصحيحاً لأن يكون الإغتسال فضيلة للأبدان، بل تصحيحاً للتجاوزات التى تجاوز بها الفريسيون، ونظرتهم إلى عملية الإغتسال، بدلاً من أن تكون مجرد فضيلة لصحة البدن، تصبح فضيلة بها يقترب الإنسان إلى الله، ومن دونها يصير الإنسان نجساً أمام الله، وهنا التصحيح لمفهوم الطهارة، وانتهز السيد المسيح الفرصة ليصحح ويوبخ هذا التجاوز. والتوبيخ ليس على إهتمامهم بالنظافة فهذا أمر مطلوب، ولكن لا يحسب الإنسان أن هذا هو المطلوب له أمام الله لكى يصير طاهراً ونظيفاً. وأعتقد أن سيدنا له المجد ربما يكون قد قصد عمداً أن لا يغتسل قبل تناول الطعام، لكى يثير ذلك الرجل ويتخذ من هذه القصة فرصة لإظهار التعليم الصحيح فيما يتصل بهذا الموضوع.

---

(١) محاضرة بكنيسة العذراء ومارمينا العجائبى بفاقوس ـ شرقية ـ مساء الخميس ٩ من أغسطس ١٩٨٤م ـ ٣من مسرى ١٧٠٠ش.

يقول الإنجيل أن هذا الرجل تعجب لأنه لم يغتسل قبل تناول الطعام، هذا التعجب ربما مجاملة للمسيح، لم يظهره بشكل واضح بكلمات كالمألوف بإعتباره ضيفاً له، ولكن مخلصنا له المجد لا يعوزه أن يسمع هذا النقد من الرجل صراحة، إنما باعتباره الإله المتجسد عرف وعلم بشعور الرجل، وأراد أن يتناول هذه القضية لأنها عند المسيح قضية فى غاية الأهمية والخطورة، لماذا؟ لأنها تنم عن داء وعن مرض ردىء، هذا المرض هو الرياء، والرياء عند المسيح من الشرور إن لم يكن أشرها. وله عند الله جزاء وعقاب، لأن المرائى إنسان ليس فقط يخدع نفسه، إنما يظن أنه يخدع الله فضلاً عن أنه يخدع الناس.

الإنسان الذى يهتم أولاً بأن يكون مظهره ذلك المظهر الجميل، حتى يعجب به الآخرون ويرون فيه النموذج والأمثولة، بينما يكون باطنه حاقد وشرير ومملوء خبثاً، وقد شبهه المسيح بالقبور المزينة من الخارج، مزخرفة وفيها ديكور من الخارج، بينما من الداخل عظام أموات وأجسام عفنة نتنة. فهناك عفونة فى القلب ورائحة كريهة فى أعماق هذا الإنسان، ومع ذلك يغطيها بمظاهر يبدو بها أمام نفسه وأمام الآخرين أنه فى قمة الفضيلة، هذا الرياء شر أمام الله عظيم.

والمسيح له المجد يبين لنا كيف أن مصير المرائين مصير شنيع، بقوله: من هو الوكيل الأمين الحكيم الذى يقيمه سيده على عبيده، ليعطيهم الطعام فى حينه، فإذا قال ذلك العبد الشرير فى قلبه أن سيدى يبطىء فى قدومه فيبتدىء يضرب العبيد رفقائه، يأتى سيده فى الوقت الذى لا يعلمه، فيشطره إثنين ويقطعه ويجعل نصيبه مع المرائين (مت٢٤: ٤٥- ٥١).

لماذا قال يجعل نصيبه مع المرائين؟ لأنه أشنع نصيب. وعندما يقول: يأتى سيده فى الوقت الذى لا يعلمه فيشطره إثنين، هذا دليل التمثيل به، وهذا ليس العقاب العادى، هذا يعنى أن الخدام ورجال الدين والذين هم فى مكان الصدارة، إذا لم يقوموا بمسئوليات ومتطلبات خدمتهم يكونوا قد أساءوا إلى سيدهم، فماذا يكون نصيبهم؟ ليس نصيب العاديين من المقصرين والمهملين، لكن يكون نصيبهم شنيعاً بقدر المسئولية التى عندهم، يشطره إثنين، وهذا إشارة إلى عظمة العقاب وشدة العقاب، يشطره إثنين، ويقطعه، ويجعل نصيبه مع المرائين. من هنا نفهم أن نصيب المرائين نصيب بشع وعقابه عقاب شنيع.

نظرة المسيحية إلى الباطن والظاهر:

قيمة تعليم المسيح أننا نهتم بالباطن قبل الظاهر، لكن ليس معنى هذا أن لا يهتم الإنسان بالظاهر، لا .. بل يكون الإهتمام بالظاهر بعد الإهتمام بالباطن أولاً، كما أن الإهتمام بالظاهر هو تعبير عن الإهتمام بالباطن، وكما قال سيدنا له المجد أن الإنسان أولاً ينظف باطن الكأس والصحفة أى لا يكتفى بأن ينظفها من الخارج ويترك الداخل مملوء بالأوساخ، وهذا هو التعليم الذى كان مسيطراً على العقلية اليهودية نتيجة تعليم الكتبة والفريسيين الذين دعوا الإنسان بالإهتمام بالفرائض الظاهرية والإهتمام بالمظاهر، وهنا السيد المسيح يدعو أن الأولوية للباطن ولكن ليس معنى هذا أننا نهمل الظاهر. لكن أولاً نهتم بالباطن وبعد ذلك الظاهر، لأن الإنسان لو شُغِلَ بالظاهر أولاً قد يهمل ويقصر فى النظر والإهتمام بالباطن. مشكلتنا نحن البشر أننا حسيين ونتأثر بالظواهر ونتأثر بالحواس، حتى عالمنا اسمه عالم الظواهر وليس عالم الحقائق فى ذاتها، كثيراً من الناس تقابلهم فى الطريق وتسلم عليهم، وتجد إنسان ظريف مهذب ويعرف الأصول ولا تغيب عليه قواعد الإتيكيت، والآداب الإجتماعية فهو مهذب جداً، إنما فى بعض المواقف تخرج القذارة من الداخل فى مثل هذه المواقف: **حالة السكر الشديد** الذى ينفك فيها عقاله فلا يعقل تصرفاته ولا يربطها، فتخرج القاذورات من الداخل ويظهر الإنسان على حقيقته. وكذلك فى **حالة الغضب الشديد** يظهر الإنسان على حقيقته وتخرج الكلمات التى كنت لا تتصور أن تسمعها، فى ثورة الغضب انفك العقال وخرجت القاذورات، والخطايا.

وكذلك فى حالة البنج عندما يكون الإنسان تحت البنج، يخرج كلام يقول عنه الناس أنها تخاريف، ولكنها هى ما بداخل الإنسان.

والحالة الرابعة هى الأحلام، الإنسان يحلم بالليل وهو نائم، وهنا أيضاً ينفك وتخرج من الداخل على مسرح الأحلام الأشياء المدفونة والرغبات المكبوتة، وجميع الأمور التى لا يظهرها أمام الناس تخرج فى الحلم، ولذلك ممكن أن أحلام الإنسان تدل على ما بداخله، ولذلك ممكن أن تضاف الأحلام عند أب الإعتراف إلى قائمة الإمتحانات التى يمتحن بها تلميذه فى الإعتراف، ليعرف من أحلامه ما فى باطنه.

هنا توجيه السيد المسيح له المجد، وهذا ما يميز المسيحية، أنها تعليم يوجه وينبه إلى أهمية الباطن عن الظاهر، لكنه لا يلغى أهمية الظاهر، أنظف الكأس والصحفة أولاً من الداخل ثم بعد ذلك من الخارج.

الكتاب المقدس يقول عن السيدة العذراء: «كل مجد ابنة الملك من داخل»، ما هو مجدها من الظاهر، لا يوجد، بنت فقيرة يتيمة لا أب ولا أم، وبلا عائل، ولا غنى ولا مركز ولا منصب ولا ثقافة ولا حاجة أبداً أبداً أبداً من الأشياء التى يُقّيم الإنسان بها فى المجتمع البشرى، من المركز أو المنصب أو العائلة ... هذه نظرة المجتمع.

ما قيمة العذراء مريم؟ لماذا اختار المسيح العذراء دون نساء العالمين؟ يقول الكتاب المقدس: نساء كثيرات نلن فضلاً أما أنت ففقتِ عليهن جميعاً، بماذا فاقت على الجميع؟ لماذا اختارها الله للتجسد منها؟ لماذا استحقت هذا الشرف؟ الله ليس إختياره عبثاً، وليس إختياره إعتباطاً، الله يختار الشخص المناسب والمؤهل بأن يقوم بهذا الدور، حتى ينجح وفى نجاحه نجاح للتدبير الإلهى، فالعذراء ليست كأى فتاة، كل مجدها من الداخل. لا يوجد أى أهلية من الخارج تبرزها عن أى فتاة أخرى.

فإختيار الله للعذراء لم يكن اتفاقاً ولا إعتباطاً، بل كانت العذراء جديرة بهذا الشرف، ولذلك الملاك عندما ظهر لها قال لها: السلام لك أيتها الممتلئة نعمة، لاحظوا كلمة ممتلئة نعمة، يعنى مشحونة نعمة، إذن قبل أن تختار لهذا الشرف ويُولد المسيح منها كانت هى ممتلئة نعمة، وهذا هو الأساس الذى أُختيرت عليه، أو السبب الذى أُختيرت من أجله لأن تنال هذا الشرف.

فمريم من حبها للطهارة وللنقاء عاشت فى الهيكل فى هذا الجو الروحانى، ولكن بعد خروجها من الهيكل أحبت أن تكمل حياتها فى الطهارة، لأنها عشقت الطهارة وعشقت النقاء، نقاء الباطن، وطهارة الباطن قبل طهارة الظاهر، إيمانها، فضيلتها، طهارتها، قداسة سيرتها، كل هذا هو مجدها الداخلى، فحياتها تطبيق حقيقى لتعليم المسيح فى أن ينقى الإنسان داخل الكأس والصحفة وبعد ذلك يكون خارجها نقياً. ولذلك العذراء مريم نموذج وتطبيق للتعليم المسيحى، نقى أولاً داخل الكأس والصحفة وحينئذ يكون خارجهما نقياً.

هنا توجيه المسيحية العظيم، توجيه المسيح للإهتمام بالباطن ولكن ليس معنى ذلك أن نهمل الظاهر، لذلك سيدنا له المجد يقول: يا أيها الناموسيون يا أبناء الشريعة الويل لكم لأنكم تعشرون النعنع والشبث والشذاب والكمون وتركتم أثقل الوصايا الحق والرحمة والإيمان. لم يقل الويل لكم لأنكم تعطوا العشور!! لا .. ولكن لأنكم تركتم أثقل

الوصايا الحق والرحمة والإيمان، اهتممتم أن تعطوا عشور الأعشاب الحقيرة مثل الشبث والكمون وتركتم ....، هنا التوجيه المسيحى، والتعليم المسيحى، هنا الإنقلاب الذى أراده المسيح للتعليم، نعم الإنقلاب لأن النظرة القديمة الإهتمام بالمظاهر، والمسيح اليوم يقلب الأوضاع بالإهتمام بالباطن أولاً، ثم بالظاهر بعد ذلك. اعملوا هذه ولا تتركوا تلك، اسمعوا هذه الكلمة واحفظوها، «اعملوا هذه ولا تتركوا تلك»، هنا التعليم الأرثوذكسى، ممكن واحد يقول لك: كُلْ لحوم ولا تنهش لحم أخوك هذا هو التعليم البروتستانتى، هم أيضاً يريدوا أن يقولوا أن الباطن أهم، لكن هذا ليس التعليم الأرثوذكسى، التعليم الأرثوذكسى «اعملوا هذه ولا تتركوا تلك»، نعطى الأولوية للباطن، لكن لا يطغى إهتمامنا بالظاهر على الباطن، لأن عادة نحن كبشر حسيين ننسحب بسرعة إلى الإهتمام بالظاهر، لأن الظاهر الأسهل الذى أمامنا، فالمسيح يحذرنا أن لا نهتم بالظاهر ونترك الباطن لا .. الباطن أولاً ولكن لا نُهمل الظاهر أيضاً، اعملوا هذه ولا تتركوا تلك، لذلك العبادة تكون عملية مشتركة بين الروح والجسد. الساجدون لله يسجدون بالروح والحق، إذن يوجد سجود بالروح، ويوجد سجود بأن يركع الإنسان ويضع رأسه على الأرض، فالسجود بالروح ليس مجرد عملية جسدانية، أن الإنسان يسجد بجسده بينما روحه أو عقله شارد، أو يقول ألفاظ الصلاة بلسانه وعقله مسحوب فى شواغل أخرى خارجية وإهتمامات باطنية، وقلبه مسحوب فى رغبات وفى شهوات وفى ميول وفى نزوات، قلبه بعيد كما قال: قلبكم مبتعد عنى بعيداً، القلب مبتعد، هنا الجريمة، هنا الخطيئة، هنا الخداع الذى لا يقبله أبداً. الله لا يُضحك عليه، ممكن أن تضحك على الناس، وتضحك على نفسك، القلب أخدع من كل شىء وهو نجيس، فممكن الواحد يخدع نفسه، وممكن يخدع غيره، ولكن حتى الغير يأتى وقت من الأوقات ويعرف أنك مرائى، «ثوب الرياء يشف عما تحته».يشف كما يكون الإنسان لابس ملابس شفافة تكشف عما تحتها، فثوب الرياء يشف عما تحته، الله لا ينفع معه الرياء، الشخص الذى يرائى هذه تعتبر جريمة كبيرة، لأنه لو كان مؤمن بالله لا يظن فى نفسه أنه يقدر أن يخدع الله أو يخدع الآخرين.

٢١- التقشف العالمى وواجب الكنيسة(١)

نشر التقشف:

إن عمل الكنيسة هو إعلان ونشر التقشف فى أنحاء العالم، فقد قال سليمان الحكيم: «باطل الأباطيل الكل باطل. ما الفائدة للإنسان من كل تعبه الذى يتعبه تحت الشمس ـ رأيت كل الأعمال التى عملت تحت الشمس فإذا الكل باطل وقبض الريح» (جا١: ٢، ٣، ١٤).

ومن تعاليم الكنيسة والمسيحية أن الحياة الحاضرة والعالم بأجمعه سيزول، كما قال يوحنا الرسول فى رسالته الأولى٢: ٥- ١٧.

الفقر الإختيارى:

والمسيحية تنشر أيضاً الفقر الإختيارى خاصة لأولئك المبشرين بالإنجيل، الذين يتركون بيوتهم وأسرهم ويجولون فى كل مكان مبشرين بكلمة الله لأجل خلاص النفوس. وفى رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس٦: ١٠ قال الرسول: «كحزانى ونحن دائماً فرحون، كفقراء ونحن نغنى كثيرين. كأن لا شيء لنا ونحن نملك كل شيء» وأمثال هؤلاء أولئك الناسكون الذين يفضلون الفقر الإختيارى، فيتركون العالم الإجتماعى ويعيشون عيشة العزلة والتنسك فى مكان هادىء بعيد عن الناس وعن العالم فى الصحراء، كما فعل أولئك الأنبياء أمثال إيليا التشبى وأليشع، والقديس يوحنا المعمدان، وحتى ربنا ومخلصنا يسوع المسيح بعد عماده قاده الروح إلى البرية كما جاء فى لوقا٦: ١ومن آن إلى آخر كان ينفرد فى البرية ليصلى.

التحكم فى الشهوات:

والمسيحية أيضاً تنادى بالتحكم فى شهوات الجسد، ولقد قال الرسول بولس فى رسالته إلى أهل رومية ٨: ١٣ «لأنه إن عشتم حسب الجسد فستموتون. ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون». وقال أيضاً فى رسالته إلى كولوسى٣: ٥ «فأميتوا أعضاءكم التى على الأرض الزنا والنجاسة والهوى والشهوة الرديئة والطمع الذى هو عبادة الأوثان» وبالإختصار فالمسيحية تنادى بالبعد عن الحياة الحاضرة لعدم دوامها

---

(١) كتب بالإنجليزية وترجمته للعربية الآنسة كيلوباترا رزق ـ ونشر بمجلة مدارس الأحد ـ السنة السابعة عشر ـ العدد٧ ـ فى عام ١٩٦٣م.

وبالفقر الإختيارى وإماتة شهوة الجسد، ونتيجة لهذه الروح المسيحية فإن عيشة التبتل أفضل وأسمى بكثير من الحياة الزوجية، ليس فقط من وجهة التقشف، ولكن أيضاً من وجهة تركيز الروح فى الأشياء السماوية، ولأجل خاطر الكنيسة التى تحتاج إلى الرعاة الذين يكرسون حياتهم كاملة لخدمة الله بكل عقولهم وثروتهم وقلوبهم وجهودهم.

ويقول الرسول بولس فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس٧: ٢٨: ٣٤ «لكنك وإن تزوجت لم تخطىء وإن تزوجت العذراء لم تخطىء ... لأن هيئة هذا العالم تزول. فأريد أن تكونوا بلا هم. غير المتزوج يهتم فى ما للرب. وأما المتزوج فيهتم فى ما للعالم كيف يرضى إمرأته. إن بين الزوجة والعذراء فرقاً. غير المتزوجة تهتم فى ما للرب لتكون مقدسة جسداً وروحاً. وأما المتزوجة فتهتم فى ما للعالم كيف ترضى رجلها».

بعض الناس المتعمقين فى الإخلاص لله يبتعدون كثيراً عن مجد الحياة وغرورها فيكرسون حياتهم للصلاة المتصلة التى بلا إنقطاع (١. تس٥: ١٧) مثل هؤلاء الناس يدعون رهباناً، فهم يضربون المثل الأعلى للتقشف والتنسك، وبعضهم لا يسكنون ديراً أو صومعة ولكنهم يذهبون إلى صحراء بعيدة حتى يتنسكوا فى كهف هناك.

ومما هو جدير بالملاحظة أن التنسك ليس معناه كراهية العالم أو الكون. لذلك فإن ما قاله يوحنا الرسول «١. يوحنا٢: ١٥» (لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم. إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب) لا يقصد به الطبيعة ولكن روح الحياة العالمية بمعنى ملاذ الجسد والعين وكبرياء النفس «١. يوحنا٢: ١٦» (لأن كل ما فى العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة ليس من الآب بل من العالم). وأما العالم فى حد ذاته فهو حسن ولا شىء فيه، كما قال النبى داود فى سفر المزامير.

وعلى ذلك فمن الخطأ أن نكره العالم فى حد ذاته. والرهبنة ليست عدوة للعالم ولكن لروح الحياة العالمية، فهى ليست فى حد ذاتها عداوة وبغضاء أو كراهية، ولكن الرهبنة تعبير صحيح لرغبة الخالق عز وجل.

والرهبنة ليست هروباً من العالم ومسئوليات الحياة ولكنها تكريس الحياة للتأملات والصلاة وخدمة الخالق عز وجل كما تفعل ملائكته فى السماء، والرهبنة تشبه عمل هؤلاء العلماء والباحثين الذين يكرسون أوقاتهم وحياتهم وجهودهم فى إكتشاف حقيقة علّمية.

هكذا هدف الراهب الذى يخصص أوقاته للروحانيات والتعبد لخالق الكون، والآخرون يحصلون على هذه الفائدة والخبرة لمنفعتهم ومنفعة كل الناس.

ومع أن الراهب والناسك ينصرفان عن هذا العالم فالكنيسة فى جملتها تبقى فى العالم تبذل جهدها فى خلاص النفوس، ولإظهار الحق الإلهى ومجد الخالق عز وجل على هذه الأرض. وفى وسط هذا العالم. ومما لا شك فيه أن حياة الناسك تثبت قوة التقشف.

عمل الكنيسة فى العالم:

ومع أن الكنيسة تنبذ الحياة العالمية ولكنها لا تضرب صفحاً ولا تنأى عن مشكلات الحياة، الكنيسة تنبذ فقط شهوة وملذات الحياة، ولكنها لا تتجاهل الإنسان الذى خلقه الله على صورته «تك١: ٢٦، ٢٧».

إن واجب الكنيسة المقدس أن تواجه مشكلات الحياة، ولا تقف مكتوفة اليدين بل تعمل مجاهدة لصالح البشر. وليس من الحق أن تبتعد الكنيسة عن العالم بل بالعكس يجب أن تناضل لأجل كيانها وتؤدى رسالتها على أكمل وجه. على الكنيسة أن تحارب روح الشهوات والملذات الدنياوية والكراهية والحسد والجشع. واجب الكنيسة أن تحارب الماديات والكفر والهرطقة والفساد. فهى صوت الله ضد كل شر.

والآن فى حياتنا الحديثة تجذب المدنية الناس فلا يمكنهم أن يمتنعوا عن سماع المذياع والتليفزيون، ويشاهدون الممثلين فى السينما وكذلك هم يتأثرون بما يقرأون من صحف يومية وكتب. إذاً يجب أن نتساءل: ما هو الدور الذى تلعبه الكنيسة فى هذا العالم المتمدين والحياة الحديثة؟ يجب ألا تقف ساكتة أو تقف موقفاً سلبياً، فأمامها رسالة يجب أن تؤديها بأكملها حسب ما يرضى الله. فإذا ما وقفت الكنيسة ضد هذه الإختراعات الحديثة والإكتشافات الجديدة وطرق وأساليب النشر والإستعلامات، تكون الكنيسة على خطأ بين، فبدلاً من أن تقاوم يجب أن تدبر الوسائل التى بها تزود المؤمنين بالنصيحة وبما هو نافع لهم. والواجب على الكنيسة أيضاً أن تتصل بالسلطات العليا فى الدولة وبالمؤسسات الإجتماعية وتنصح لهم كيف يستعملون تلك الوسائل الحديثة لمنفعة الجمهور، بدون أن يكون هناك مساس بهم أو ضرر يلحق بهم روحياً ولا عقلياً.

ومن المقطوع بصحته أن الكنيسة هى سفيرة الله على الأرض، ولذلك فالكنيسة يجب ألا تنسى رسالتها ولا تهمل وجودها، إنها صوت الله ضد كل شر على الأرض وضد الأشرار الذين يعيثون فى الأرض فساداً.

وأهم واجب على الكنيسة أن تخلق فى الأطفال روحاً سماوياً ولا تسمح لروح الشر أن يسيطر عليهم. وعلى العموم يجب على الكنيسة ألا تصمت أمام شر العالم بل تقوم بتقويم الإعوجاج، وتثبيت الحق الإلهى طبقاً لمبادئها السامية، ويجب ألا يكون موقفها سلبياً أمام مشاكل الحياة، بل تنشر الروح المستقيمة والحياة المثلى الحقيقية. ويجب أن تشعر الكنيسة بمهمة رسالتها السماوية والمسئوليات الملقاة عليها، نحو أهل العالم، فهى أم مثلى تربى أطفالاً أتقياء صالحين يعرفون الرب ويعملون حسب مشيئته، والمفروض ليس أبناؤها فقط، ولكن أولئك الذين أسرهم الشيطان كى يستفيقوا من فخ إبليس إذ قد اقتنصهم لإرادته.

٢٢- التجارب والكنيسة(١)

قد تمر الكنيسة بعواصف، وقد يسقط بعض المؤمنين فى خطيئة، وقد يترك الإيمان، ومع ذلك فالكنيسة محمية بالوعد الإلهى مسنودة إلى قوة المسيح، لأنه هو يحميها، «بوابات الجحيم لا تقوى عليك» تعنى أن الله يعلم أن قوات الجحيم ستحارب الكنيسة، ومع ذلك إذا سمح بشىء من هذا القبيل فالكنيسة كلها لا تنزعج، ولا تظن أن الشيطان تغلّب على الكنيسة، وأن المسألة انتهت وأن المسيح فشل، لا .. الأعضاء الضعيفة تسقط، الشجرة تهتز هزة عنيفة، هذه الهزة العنيفة تجعل الأوراق الصفراء تسقط، ونلاحظ ذلك فى أيام الخريف على الخصوص، نجد الأرض امتلأت بالورق الواقع من الشجرة، وفى بعض بلاد أوربا الباردة جداً، لا تجد فى أيام الشتاء ورقة واحدة على الشجرة، تجد الشجرة عبارة عن حطب أسود، الإنسان يقول أن الشجرة ماتت، ولكن فى الربيع تظهر الأوراق الخضراء من جديد، البراعم الجديدة، لكن فى بلدنا مصر تسقط بعض الأوراق لكن أوراق كثيرة تجدها باقية على الشجرة، عندما ترى البراعم الخضراء الجديدة ظهرت فى الربيع تفهم معنى الأمل، الأمل لا تحسه فى مصر، قدر ما تحسه فى مثل هذه البلاد الباردة، وتحس معنى القيامة، أنه يوجد موت يتبعه قيامة.

فهنا الطبيعة وسيلة إيضاح، معناها أنه ممكن الكنيسة تهتز هزات عنيفة، وهى التجارب، والإضطهادات والمضايقات والحروب والهراطقة، الأشخاص الأشرار الذين يتألبوا على الكنيسة ويضايقوها فى الأيام الآتية، عندما يظهر المسيح الدجال تكون هناك حرب على الإيمان وحرب على الكنيسة، فى كل هذا اطمئنوا، أنه حتى ولو سقطت بعض الأوراق، ولو أن هذا شىء محزن أن تسقط بعض الأوراق، أى يسقط بعض المؤمنين ويتركوا الإيمان، لكن مع ذلك سوف لا يترك الجميع الإيمان، ولذلك يقول الكتاب، لو لم تقصر تلك الأيام لم يخلص جسد، فى الوقت المناسب يتدخل الله ويصون الباقين من المتمسكين، ويساعدهم على البقاء راسخين فى الإيمان. وفى آخر الأمر المسيح الحقيقى يحمى كنيسته من الضربات الواقعة عليها فى أى جهة من الجهات، من الشيطان، ومن عملاء الشيطان، يقول الكتاب: إذا جاء ابن الإنسان ألعله يجد الإيمان على الأرض؟ معنى

---

(١) من محاضرة بكنيسة الشهيد مارجرجس بههيا شرقية ـ مساء الجمعة ٣ من اكتوبر ١٩٨٦م ـ ٢٣ من توت ١٧٠٣ش.

هذا أنه تأتى أيام فيها يُمتحن الإيمان، وكثيرون يمكن أن يضعفوا ويرتدوا عن الإيمان، لكن مع هذا لن تموت الكنيسة، أبواب الجحيم لن تقوى عليها، هى ليست «أبواب» هى «بوابات»، الكلمة التى استخدمها الإنجيل، معناها بوابات، البوابة كبيرة، لكن الباب صغير عن البوابة، فى بعض الأديرة القديمة وبعض المعابد المصرية القديمة تكون البوابة كبيرة جداً، فالإنجيل استخدم كلمة بوابات، لكن يترجموها أبواب، لكن هى بوابات الجحيم، أى الجحيم عالم كبير وله بوابات، «لن تقوى»، لن للحاضر والمستقبل البعيد، لن تقوى عليها، لا بحماية إنسان ولا بحماية شخص أياً كان هذا الإنسان، إنما الحامى والضامن لهذا الوعد والكفيل بتحقيقه هو المسيح، لذلك نكون مطمئنين أنه مهما حدث، ومهما كانت المتاعب، ومهما كانت المضايقات، ومهما كانت الحروب، فالمسيح الذى أعطى هذا الوعد كفيل أن ينفذ وعده، ونحن مطمئنون أن الكنيسة باقية، ولذلك نبوءة دانيال النبى يقول، قبل مجىء المسيح بمئات السنين: «يقيم إله السموات مملكة لن تنقرض أبداً، أنها تسحق وتفنى جميع الممالك وهى باقية إلى الأبد» وهنا الإشارة إلى مملكة المسيح، الكنيسة التى أسسها المسيح، وبلغة دانيال النبى الكنيسة التى سيؤسسها المسيح، المسيح قال «ابنى كنيستى»، الموضوع الوحيد الذى فيه المسيح نسب الكنيسة إليه بياء النسبية، وقال: على هذه الصخرة، صخرة الإيمان، لأن المسيح ابن الله، الله الظاهر فى الجسد، على هذه الصخرة ابنى كنيستى، إذن ما دام الكنيسة كنيسته من يجرؤ على أن يصنع شىء، هى ملكه، هو الذى يحميها، هو الذى يحافظ عليها، هو الذى لن يسكت أبداً مهما حدث، حتى لو ضعف البعض، لكن فى النهاية يتدخل، ولذلك يقول الرسول بولس بعد أن يأتى الدجال: «ومتى رفع الذى يحجز الآن»، هذا الكلام من ألفين سنة، ما المقصود بالذى يحجز الآن، هى النعمة المانعة لأن الشيطان مقيد، فى سفر الرؤيا يقول: «متى تم الألف سنة يُحل الشيطان من سجنه»، فالشيطان مربوط أو مقيد، وكلمة مقيد ليس معناها ملغى ولكن معناها أن سلطته محدودة، كما نقول الملكية المقيدة، ولكن ليست ملغية، فعندما يقول الكتاب أنه قيده ألف سنة، معناه أن سلطته محدودة، لكن يقدر أن يتحرك حسبَ طول السلسلة، مثل الكلب عندما يكون مربوط، ممكن حسب طول السلسلة يهب إلى فوق، ممكن يمشى يمين أو شمال، لكن لا يتعدى حدود معينة، فالشيطان مقيد، قيده المسيح عندما طرده رئيس الملائكة ميخائيل من السماء فسلطته محدودة لحدود معينة ـ ولذلك تلاحظوا عندما جاء المسيح له المجد يُخرج الشيطان من الرجل الذى فيه لجيئون، وكلمة لجيئون كلمة مصطلح عسكرى طليانى معناها فيلق، أو كتيبة قوامها ٦٦٠٠ عسكرى، فى إنجيل لوقا أصحاح ٨، قال له ما اسمك: قال له لجيئون لأننا كثيرون. ثم يقول: فطلبت

إليه الشياطين أن لا يرسلهم إلى الجحيم، بل إئذن لنا أن ندخل فى قطيع الخنازير ـ وقال أنهم دفعوا إلى الجحيم، لكن أمكنهم أن يصعدوا إلى فوق ويدخلوا فى هذا الرجل، فهم يتحركون «نجول فى الأرض»، كما قال فى حادثة أيوب عندما قال له من أين يا شيطان؟ قال فى الجولان فى الأرض، والسيد المسيح قال: «إذا خرج الروح النجس من إنسان يجول فى أماكن»، والرسول بطرس يقول: «إن إبليس خصمكم يجول كأسد ملتمساً من يبتلعه» فيوجد جولان للشيطان، هو حقاً مربوط ومقيد لكن يستطيع أن يصعد لفوق الأرض فى الهواء، ولذلك سماه الرسول بولس «رئيس سلطان الهواء»، لكن لا يقدر أن يدخل السماء وهى الملكوت، لأنه طرد من هناك. المهم أن الشياطين طلبت منه لا ترسلنا إلى الجحيم، لا ترسلنا إلى العمق الذى لا قرار له، بل إئذن لنا، هنا تظهر كرامة المسيح، وجلال المسيح وقدرة المسيح، وسلطان المسيح، إئذن لنا أن ندخل فى قطيع الخنازير، يقول الكتاب فأئذن لهم، لذلك الكتاب المقدس يقول إن عصفور لا يسقط على الأرض بدون إذن أبيكم، كل شىء بإذنه، لكن ليس كل شىء بإرادته، توجد أمور كثيرة تحدث من غير إرادة الله، بل ضد إرادة الله، لكن لا يوجد شىء يحدث بدون إذن الله، حدث بإذن، أى سمح به، ويسمح به لأنه أعطى الإنسان حرية ومادام توجد حرية يكون هناك مسئولية. فالله لا يتدخل لكى يعطى فرصة لمن يريد أن يكون شرير يقدر أن يكون شرير، الذى يريد أن يؤذى يقدر أن يؤذى، لكن لا يوجد فى الكون شىء يحدث بدون إذنه لأنه هو حاكم الكون، فالسرقة ليست بإرادة الله، لكن بإذنه.

أريد أن أقول أن الشيطان المقيد، متى تمت الألف سنة، يقول فى سفر الرؤيا «حينئذ يُحل الشيطان من سجنه، هنا الرسول بولس فى رسالته الثانية إلى تسالونيكى يقول: «متى رفع الذى يحجز الآن فحينئذ يستعلن الأثيم الذى لا شريعة له» وهو المسيح الدجال، الكلام فى رسالة بولس الرسول إلى تسالونيكى الثانية مربوط بكلام سفر الرؤيا، فى سفر الرؤيا يقول «متى تمت الألف سنة يُحل الشيطان من سجنه»، فى تسالونيكى يقول «متى رُفع الذى يحجز الآن» إذن يوجد حاجز وهو الأمر الإلهى بتقييد الشيطان، عندما يرفع هذا الحاجز يُحل الشيطان من سجنه، حينئذ يستعلن الأثيم الذى لا شريعة له، ثم يقول «الذى يبيده الرب يسوع بنفخة فيه ويبطله بظهور مجيئه»، أى فى الآخر بعد أن يتركه يعمل، لكن حتى لا تفنى الكنيسة وحتى لا يفشل عمل المسيح، بعد أن يحارب جميع الأديان، يتدخل المسيح فى نهاية الأمر لكى يحمى كنيسته، فلن يسمح أبداً بأن الإيمان يضيع نهائياً، لأن بوابات الجحيم لن تقوى عليها.

٢٣- رؤية الله[1]

إن رؤية الله أمنية جميلة بقدر ما هى غاية ممكنة، يمكن أن يتحقّق بها الإنسان، وإن لم يكن ذلك ميسوراً لكل أحد وفى كل وقت ..

فالرؤية إمّا أن تكون حسية وظاهرة، أى بالعين المجردة أو المكبرة، وإمّا أن تكون عقلية وروحية وباطنة.

فالإنسان مخلوق ذو حواس خمسة، إحداها النظر.والإنسان السليم له عينان يرى بها الأشياء الخارجة عنه، فى صورة تنتقل إلى مُقلتيه مقلوبة ثمّ تعتدل فى المخّ، وهذه هى الرؤية الحِسّية الماديّة.

لكنّ الإنسان قد يرى أيضاً بروحه بعض الأمور رؤية عقلية باطنية، وهى الأفكار، والأنظار العقلية. وقد يكون ضريراً لا ينظر ولا يُبصر بعينى رأسه الظاهرتين، ولكنه يُدرِك إدراكاً عقلياً الموضوع الذى يتحدثون به إليه أو يناقشونه أمامه. ومن هنا جاء التعبير عن الأنظار العقلية والفكرية بقول: «**إنى أرىّ** ...» أى أرى بفكرى، **والرؤية هنا باطنية وروحية وعقلية وفكرية.**

وفيما يتصل بالله، وهو القوة العُظمى، وخالق الكون، والعِلَّةُ الأُولى للوجود، لا يراه الإنسان بعينيه اللتين فى مقلتيه رؤية حِسّية، فإنّه تعالى مُستشرِفٌ على المادّة، ولذلك يُوصف بأنه «الغير المنظور» و «الغير المدرك» لا يُرى، ولا يقدر أحد أن يراه.

جاء فى الكتاب المقدّس «اللهُ لم يَرَهُ أحدٌ قطُّ» (يوحنا١: ١٨) «الذى لم يَرَهُ أَحَدٌ من النَّاسِ ولا يَقدِرُ أن يَراه» (١. تيموثيئوس٦: ١٦).

ومع ذلك فالإنسان يرى الله بالعقل إذ يُدرك بعقله أنه لابدّ للوجود من خالق، هو العلة الأولى.

حقاً إن الله لا يُرى، ولكنّ العقل يقود الإنسان إلى أنَّ هناك الله، فيؤمن به. وهذا هو معنى ما قاله القديس أوغسطينوس «العقل يسبق الإيمان». «وأما الإيمان فهو الثقة بما يُرجى، والإيقان بأمور لا ترى» (العبرانيين١١: ١).

---

(١) كتب فى ٣١ من يوليو ١٩٩٣م ـ ٢٤ من أبيب ١٧٠٩ ش. كمقدمة لكتاب رؤية الله ـ للدكتور شرابى اسكندروس.

من هذا المنطلَق يُمكن أن يُقال إنّ الإنسان يرى الله، بمعنى أنه يؤمن به وإن كان لا يراه مرأى العيان. فالرؤية بهذا المعنى رؤية روحية بالعقل والروح. بيد أن الرُّوحانيين من النّاس، ولا سيما الرهبان يطمحون إلى أن يروا الله فى ذاته وذلك بشخوصهم فيه، ولكن قبل أن يتوصَّلوا إلى رؤية حقيقية صادقة، لابد أن يمرُّوا فى تجربة روحية طويلة تستغرق وقتاً طويلاً، فى مجاهدات روحية - وتداريب على التأمل العميق فى جو من الهدوء الكامل الذى لا يتوافر عادة فى وسط الناس وفى صخب الحياة العامة، لذلك لابدّ أن يعتزل العابدُ النّاس، فى مكان يتوافر فيه السُكون التام مع تسكين الحواس، والإرتقاء بالروح والفكر إلى الله، فى تركيز وإحداق، واستبعاد للشواغل كلّها، التى تشغل إهتمام الإنسان العادى، شواغله الشخصية والعائلية والاجتماعية، وشواغل العمل. ومن البديهى أنَّ هذه الغاية تحتاج إلى مجاهدة متأنية، وإلى صبرٍ ومثابرة وتدريب متواصل مع ممارسة الأصوام الطويلة، والاكتفاء بالقليل من الطعام النباتى فى صورته الطبيعية.

فبالنسك والزهد مع السُكون والهدوء ثم التأمل العميق والشخوص فى الله، قد يتوصَّل العابد إلى أن يرى الله. وهذه الرؤيا لابدّ أن تكون فى مبدأ الأمر إشراقاً من النّور على الروح الإنسانية، يزداد وينمو شيئاً فشيئاً حتى يستغرق الإنسان العابد فى الإشراقات الإلهية، والرؤيا الطوبانية إستغراقاً عميقاً.

وبعدُ، فهذا هو (الاختطاف العقلى)، فيه وبه تُختطف روح العابد الراهب الناسك، فتخترق بروحانيتها الجسدَ مع وجودها فيه كدولاب، وتصعد إلى فوق، والجسد على الأرض، فى المكان، وفى صعودها وإرتقائها تعلو كما يعلو الطائر، فترى «ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سَمِعَت، ولا خطر على قلبِ بَشر» (١. كورنثوس٢: ٩)، «ترى وتسمع ما لا يُنطق به، ولا يسوغ لإنسان أن ينطق به» (٢. كورنثوس١٢: ٤).

هذه هى الرؤيا الطوبانية التى تتحقق للعُبّاد الرُّوحانيين تدريجياً، وعلى مراحل، وبقدر تفاوتهم فى المجاهدات الرُّوحانية واستغراقهم فى التأمّل والشُخوص فى الله، مع تسكين الحواس، واستبعاد الشواغل والإهتمامات الأرضية والشهوات والميول الجسدية.

ولقد تحقق الرُّوحانيون المتعبِّدون بهذه الرؤيا الطوبانية والإشراقات النورانية.

ولعل من بينهم من ذكرهم الكتاب المقدس، وكتب التراث المسيحى والتقليد الآبائى: «أخنوخ الذى سار مع الله، ولم يوجد لأن الله أخذه ونقله» (التكوين٥: ٢٤)، (العبرانيين١١: ٥)، (ابن سيراخ٤٤: ١٦)، (٤٩: ١٦)، (رسالة القديس يهوذا : ١٤).

ومن بينهم أيضاً **إيليا** الذى صعد فى العاصفة إلى السماء، فى مركبة نار وخيل من نار» (٢. الملوك٢: ١١، ١٢)، (ابن سيراخ٤٨: ١، ١٣)، (١. المكابيين٢: ٥٨).

ومن بينهم **أليشع** الذى بلغ من روحانيته أنه كان يرى خيلاً ومركبات من نار حوله لحراسته، ولما صرخ تلميذه جيحزى فزعاً من الخيل والمركبات والجيش الذى أرسله ملك آرام ليأخذ أليشع، فقال جيحزى «آه يا سيدى كيف نعمل؟ فقال لا تخف لأنّ الذين معنا أكثر من الذين معهم، وصلّى أليشع وقال: ياربُّ. افتح عينيه فيبصر **ففتح الرب عينى الغلام فأبصر** وإذا الجبل مملوء خيلاً ومركبات نار حول أليشع» (٢. الملوك٦: ٨- ١٧) ولمّا ذهب جيحزى وأخذ من نعمان السريانى وزنتى فضة فى كيسين وحلّتى ثياب، ورجع دون أن يُعلِم سيده أليشع بذلك. فقال له أليشع «ألم يذهب قلبى حين رجع الرجل (نعمان) من مركبته للقائك» (٢. الملوك٥: ٢١- ٢٦).

ومما يرويه الكتاب المقدَّس عن **القديس بولس الرسول** أنه «كان يُصَلى فى الهيكل»، «وأثناء الصلاة واستغراقه فيها **«وقع فى غيبوبة»** عن الحواس، **وغاب عن الوعى»**، فحدث له إنجذاب واختطاف لروحه «فرأى الرب، عندئذ قال له الرب: أسرع فأخرج على عجل من أورشليم (أعمال الرسل٢٢: ١٧).

وكذلك ذكر الكتاب المقدس عن القديس يوحنا الرسول أنه وهو فى جزيرة بطمس، مستغرق فى الروح فى يوم الرب، حدث له **اختطاف بالروح، فرأى الرب.** وعن هذا يقول «**فلما رأيته** سَقطتُ عِندَ قَدَمَيهِ كالميتِ، فوضعَ يَدَهُ اليُمنى علىَّ قائلاً: لا تَخَف، أنا الأوَّلُ والآخر، أنا الحى، وقد كنتُ مَيتاً وهاأنذا حىٌّ إلى أبد الدهور، وبيدى مفاتيح الموت والجحيم» (الجليان ـ الرؤيا١: ٩- ١٨).

وغير هؤلاء وأولئك ممن ذكرهم الكتاب المقدّس من أمثال أخنوخ، وإيليا، وأليشع، وإبراهيم، ويعقوب، وموسى، وإشعياء، وحزقيال، ودانيال، ويوحنا، وبولس .. هناك على مدى التاريخ الطويل آخرون من العُبَّاد والرُّهبان القديسين وغيرهم من الروحانيين، ممن

صفت نفوسهم بالمجاهدات الروحانية، فسعدوا وتنَّعموا بالإشراقات النورانية، والرؤى الطوبانية، والمكاشفات السمائية، فرأوا بعيونهم الظاهرة والباطنة ما لا يراه غيرهم ممن استغرقوا فى الماديات والشهوات، فران على عيونهم الحجاب أو الحُجُب، فلم يروا. هؤلاء وأولئك هم بشر، ولكن هناك من البشر من تميّزوا عن غيرهم، فانكشف عنهم الحجاب، فرأوا، وآمنوا، وإزدادوا إيماناً بما ومن رأوا، فصاروا يعيشون حياتين، حياة فى المنظور، وحياة فى غير المنظور، أو هى عندهم حياة واحدة لها وجهان.

«لأننا لا نَنظُرُ إلى ما يُرى، بل إلى ما لا يُرى، فالذى نراهُ هو إلى حين، وأمّا الّذى لا نراهُ فهو إلى الأبد» (٢. كورنثوس ٤: ١٨).

إجابات على أسئلة

١- امتحان النفس

سؤال: كيف أجرب نفسى وأمتحنها فى الإيمان؟ يقول: امتحنوا أنفسكم هل أنتم فى الإيمان أم لا؟

الجواب:

يقول: «إمتحنوا أنفسكم هل أنتم فى الإيمان أم لا. ...» الإمتحان هنا المراقبة، ثم يرى نفسه فى موقف تنفيذى، أمامه تجربة ممكن أن يسقط فيها، لكن يجد نفسه أنه يتذكر المبادىء الروحية فيعصم نفسه عن أن يقع فى الخطأ، فبهذه الطريقة يقدر أن يعرف نفسه أو يمتحن نفسه، فمثلاً إذا كان مبتدىء فى طريق الفضيلة ووجد نفسه أنه إمتنع عن الخطيئة عندما عرضت أمامه، تكون هذه علامة مطمئنة على أنه يسير فى طريق الفضيلة. بالضبط مثل الإمتحانات الشهرية فى الناحية العلّمية أثناء العام الدراسى، كل شهر يعملوا إمتحان لتحديد مستوى التلميذ، والأستاذ يعرف والتلميذ يعرف نفسه. كذلك حياة الفضيلة وحياة المعرفة، الإنسان يراقب نفسه، ماذا صنع؟ هل ضعف أمام الموقف أو استطاع أن ينتصر بقوة إلهية، وصان نفسه من أن يقع فى الخطيئة، وهل دخل فيه الشك أو تغلب على الشك. هل انتصر على الموقف أو ضعف واستسلم، فهى مراقبة النفس للنفس، توجد كلمة جميلة جداً فى سفر يشوع بن سيراخ تقول «نفس الإنسان ترشده أكثر من سبعة رقباء، يرقبونه من موضع عال» تعبير جميل جداً، فالإنسان عندما يُنمِّى فى نفسه أنه يراقب نفسه، مراقبة النفس للنفس، بهذه الطريقة يقدر أن يسير فى طريق الفضيلة ويرى نفسه وصل لأى مرحلة، هذه هى المراجعة المستمرة، بهذه المناسبة ونحن اقتربنا على نهاية السنة الميلادية، ويوجد مبدأ جميل اتخذته عدد من الكنائس، أنهم فى ليلة رأس السنة يصلوا صلوات كيهكية، ثم يكون هناك كلمات، بعد ذلك تطفىء الأنوار الساعة ١٢ ويصلوا ثم تبدأ صلوات القداس.

الحقيقة هذه فرصة تُعطى نوع من أنواع المراجعة لنهاية العام، الإنسان يتذكر نفسه أن العام قرّب على الإنتهاء، ويقوم بمراجعة لنفسه، موظفى البنوك أو حتى فى البريد عندهم مراجعة يومية، بعد أن ينتهوا من العمل مع الجمهور يغلقوا الأبواب ويراجعوا حسابات اليوم، ممكن يحدث خطأ فهذه اسمها مراجعة. وفى نهاية الشهر أيضاً مراجعة شهرية وتأخذ وقت أطول، لأنهم يراجعوا عمل شهر بأكمله. وفى نهاية السنة مراجعة أيضاً تأخذ وقت طويل للمراجعة السنوية.

فنحن بالمثل محتاجين لهذا، أن الإنسان فى نهاية الليل يراجع نفسه ماذا صنع طول النهار، ما هو الحسن الذى عملته وما هو الخطأ، ولماذا عملت ذلك، يكون هناك نوع من المحاكمة للنفس، النفس تحتاج مراقبة، وعندما أتعود عليها أجد نفسى تراجع نفسها ليس فقط فى نهاية اليوم بل بعد كل تصرف، وأحاسب نفسى لماذا صنعت ذلك، لماذا أخطأت فى هذا، لماذا تكاسلت فى هذا، كيف يجب أعمل كذا، لو الإنسان بهذه الطريقة مع نفسه، سيأتى وقت من الأوقات لا ينتظر إلى الليل أو بعد التصرف، بل قبل التصرف يتنبه إلى ذلك.

أحياناً كثيرة تحدث مواقف عفوية غير مرتبة، مثلاً واحد شتمك هذا موقف مفاجىء، إن لم تكن متنبه قد ترد عليه بخطأ، هنا لابد أن ترى نفسك وتراقب رد الفعل، هل تصرفت حسناً أو أخطأت، لهذا السبب الكتاب يطلب منا السهر، ليس معنى ذلك عدم النوم، لأن النوم العادى، له وظيفة، وله أهمية بالنسبة لصحة الإنسان، لكن هنا السهر والصحو بمعنى اليقظة، تكون متنبه لتصرفك قبل أن تعمله، أو لماذا صنعت ذلك قبل أو بعد التصرف. ومن الأفضل قبل التصرف، هذه المراقبة المستمرة تجعلك دائماً متيقظ، فكلمة اسهروا المقصود بها السهر الروحى.

٢- هل نعيش فى عصر النعمة

سؤال: هل نحن نعيش فى عصر النعمة؟ وهل جيلنا جيل محظوظ على الرغم من بعض المضايقات التى يلاقيها، وذلك بتأييد ظهور بعض المعجزات المبهرة، مثل ظهور السيدة العذراء فى مصر ووجود قديسين بيننا؟

الجواب:

بالأمس واحد أجنبى بروتستانتى، اتصل بنا بالتليفون، لأنه جاء وزار كنيسة العذراء أكثر من مرة، ويروى مناظر رآها، فقلت له اكتب هذه الأشياء عندك إلى أن نلتقى، فهناك كثير جداً رأوا هذا الظهور؟

هل نحن نعيش فى عصر النعمة؟ نعم عصر النعمة ممتد إلى يوم الدينونة، من يوم الوعد الذى أعطاه الله لآدم بالخلاص ومجىء المسيح من السماء ونزوله من السماء، كل هذا عصر النعمة، وهذا العصر ممتد إلى يوم الدينونة، لكن أيضاً من ناحية أخرى نحن فعلاً قريبين من المجىء الثانى، فهناك فعلاً ظهورات يرويها الناس فى بلدنا وغير بلدنا، كنوع من لفت النظر، واحد قابلنى فى قبرص أجنبى، وحدثنى عن ناس فى زائير وأندونيسيا يروا رؤى، ويؤمنوا بالمسيح وبعضهم يموتوا شهداء. سيدنا له المجد من حنانه وحبه لنا، عندما يجد إنسان قلبه مخلص يتجلى له، خصوصاً إذا كان هذا الإنسان لا يوجد لديه واسطة ليعرف بها المسيح. والحقيقة أننا نفرح عندما نجد إنسان غير مسيحى يرى رؤى بها يعرف المسيح ويؤمن به، وهذه جميلة جداً جداً وفى نفس الوقت تبرهن على حنان المسيح له المجد، وإهتمامه بأشخاص قلوبهم بسيطة ومخلصة، وعلى الرغم من أنهم بعيدين وليسوا مسيحيين فالمسيح يهتم بهم، وهذا يفرحنا جداً والحقيقة هذه تفيدنا نحن عندما نرى أشخاص من هذا القبيل، ليعلم الناس أن المسيح حى ويعمل ويشتغل بنفسه، ويظهر ذاته، لا شك أنه عمل إلهى، فالمهم أننا فعلاً فى عصر النعمة، وعصر النعمة بدأ من يوم أن وعد الله آدم بالخلاص، ونسميه أيضاً عصر الرحمة، لأنه فى النهاية فى يوم الدينونة الرحمة تسلم الحكم للعدل، وهذا معنى الكلام الذى قاله بولس الرسول: الابن نفسه الذى يخضع، ليس بمعنى الخضوع اللاهوتى، ولكن بمعنى أن الرحمة تسلم للعدل، ومع ذلك المسيح هو الذى يتولى الدينونة. فنحن فعلاً فى عصر الرحمة وعصر النعمة إلى يوم الدينونة.

أما عن ظهور بعض المعجزات المبهرة مثل ظهور السيدة العذراء فى مصر. حدثنى مطران من الروم الكاثوليك وهو صديق لنا، وقال أنه يوجد تمثال أيام الأزمنة التى مرت بها لبنان، للسيدة العذراء ينزل دم، أيضاً يوجد ظهور للعذراء فى فرنسا، أيضاً فى دمشق وفى يوغسلافيا وفى بعض البلاد، عندما كنت فى ألمانيا سيدة ألمانية تقول: أنها كانت فى أمريكا ورأت من البلكونة أو الشباك المسيح فى السماء، وتقول أنها أخذت الكاميرا وأخذت صورة للمسيح وهو فى السماء، ثم أعطتنى هذه الصورة وأنا محتفظ بها عندى، وهذه السيدة انضمت للكنيسة القبطية رغم أنها ألمانية بروتستانتية، لكن تعمدت أرثوذكسى وانضمت للكنيسة، عندما نجد من وقت لآخر بعض الناس وفى الغالب قلوبهم بريئة، أو نفوسهم طيبة ومخلصين، ولا يوجد عندهم وسيلة أن يعرفوا المسيح، فتفضلاً من رب المجد يظهر لهم. هذا نوع من المساندة لنا، ومساندة للكنيسة فى الوقت الحاضر، لأننا فى عصر فيه متاعب كثيرة جداً وستزداد المتاعب عند ظهور الدجال، لكن الله لا يتركنا، لذلك نجد أنواع من الظهورات لبعض أشخاص غير مسيحيين تزيد إيمان المسيحيين فى المسيح، وتزيد إيمان المسيحيين فى أن الله معهم، وأن الله يثبت وجوده، وإذا كان الإلحاد يمتد واللادينية تمتد، فالله رحمة بنا من وقت لآخر، يبعث هذه الوسائط لتثبيت الإيمان عن المؤمنين وأيضاً لتعريف غير المؤمنين بالإيمان المسيحى.

٣- ما أهمية التوبة؟ (١)

سؤال: ما هى أهمية التوبة؟

الجواب: التوبة معناها التصحيح، الكلمة القبطية «مطانية» بمعنى التوبة، وهى تتألف من مقطعين «مطا» و«نية» والنية تقابل الكلمة العربية نية أى قصد، بمعنى القصد، فمطانية معناها تحويل النية أو تحويل القصد، إذن التوبة هى التصحيح.

مادام الإنسان خلق ليكون حر، فالحرية معناها إمكانية التصرف فى أى إتجاه، فمادام الإنسان عاقلاً وحراً ومناط أمره فى يده، ولا تحكمه الغريزة وإنما العقل. فيمكن أن يخطىء الإنسان، ومن رحمة الله أن يكون هناك إمكانية للتصحيح، فنحن نشكر الله أنه فتح أمام الإنسان إمكانية التوبة، الحيوان تحكمه الغريزة فلا يملك أن يُغّير تصرفه، ولذلك الحيوان ليس عنده إمكانية الخطأ وبالتالى لا يوجد إمكانية التصحيح، إنما الإنسان لأنه يقدر أن يخطىء فلذلك شاء الله الذى وهبه الحرية أن يكون عنده إمكانية التصحيح للخطأ الذى وقع فيه وهذه هى التوبة.

السؤال يقول ما هى أهمية التوبة؟

طبعاً واضح أنه لولا التوبة لكان الإنسان يسير فى طريق خاطىء باستمرار ولا يرجع عنه، هنا أهمية التوبة أنها فرصة يتمكن بها الإنسان أن يصحح موقفه، بعد أن يتضح له أنه أخطأ، وهنا أهمية الوعظ وأهمية التعليم وأهمية القراءة فى الكتب المقدسة وأهمية النصائح التى يسديها الكبار للصغار والعلماء للبسطاء، لأن لكل هذا دوره فى أن يفهم الإنسان أين الصواب وأين الخطأ، ومن هنا ضميره يدعوه لتصحيح الخطأ.

باقى جزء من السؤال يقول هل مفاهيم التوبة تختلف من كنيسة إلى كنيسة؟

لا أتصور أن موضوع التوبة فى ذاته موضع إختلاف بين الكنائس المختلفة، الكنائس كلها وحتى الأديان غير المسيحية كلها عندها فكرة التوبة على أساس التصحيح، لكن ملابسات التوبة وأسلوب التوبة وشروط التوبة المقبولة هى التى يمكن أن تختلف عليها وذلك حسب مفهوم الدين للتوبة، لكن التوبة نفسها موجودة فى كل الأديان، بدليل أنها كلمة موجودة فى كل لغات العالم، مما يدل على أنها مفهوم عام يمكن أن يفهمه أى إنسان

(١) سؤال أجيب عليه فى كاتدرائية القديس مارجرجس بالفيوم فى١٠/ ٦/ ١٩٧٤م.

مهما كانت ديانته ومهما كانت معرفته ومهما كانت لغته، عندنا التوبة لها شروط حسب ما نستقيه من تعاليم الكتاب المقدس، فالتوبة المقبولة أمام الله لها شروط أربعة:

١- الإحساس بالندم وانسحاق القلب الداخلى وشعور الإنسان أنه أخطأ وكلما كان الشعور عميقاً والإحساس بالندامة صادقة كانت التوبة صادقة.

٢- العزم الصادق على تغيير السيرة وهذا الشرط لا يقل أهمية عن الشرط الأول، فلا يكفى أن يحس الإنسان بخطئه ويشتم نفسه على هذا العمل الفظيع الذى صنعه، لكن يجب أن يعزف عن هذا الخطأ، ويُغيّر الطريق السيء الخاطيء، فالتوبة كما قلنا «تغيير النيِّة» فلابد أن أعطى ظهرى لهذا الطريق الأول وبعزم وتوكيد وحزم أرجع عنه وأصحح مسارى، وأترك عاداتى الرديئة، والأماكن الشريرة التى كنت أرتادها، وأسلك عكسها تماماً وأذهب إلى أماكن العبادة والكنائس والأديرة والأجواء الروحانية التى تساعد على حياة الفضيلة، وأهتم بأداء واجباتى الدينية، وأعاشر الناس الأفاضل والقديسين بدلا من الأشرار والفاسدين.

٣- أن يكون عنده رجاء فى المسيح فلا ييأس كما يأس يهوذا ومضى وخنق نفسه.

٤- وأن يكون مستعداً لتحمل النتائج التى نتجت عن الخطأ الذى وقع فيه، ويتقبل أن يصحح خطأه بسرور، كما حدث لزكا العشار الذى قال: أعطى نصف أموالى للمساكين وإن كنت وشيت بأحد أرد له أربعة أضعاف، وعلى ذلك كل ضرر أنا أحدثه لا يكفى أن أقول أنى تبت، لكنى لابد أن أعمل عملاً معين يُعَدّ رداً للخطأ الذى وقعت فيه، ويكون تكفيراً عنه، وأتحمل نتائج الخطيئة التى اقترفتها من أمراض أو خلافه بدون تذمر، فليس معنى التوبة أن الله يعفى الإنسان من نتائجها، بل بالعكس برهان التوبة هو استعداد الإنسان أن يتحمل نتائج الخطأ. وأخيراً يجب أن يكون الإعتراف على رجل الشريعة وهو الكاهن لأن من فمه يطلبون الشريعة، تعرض عليه مشاكلك، وتسمع منه حكم الشريعة وحكم الكنيسة، وتكون مستعد لتحمل التأديب والحكم والقضاء الذى يحكم به عليك الكاهن كحارس للشريعة. هذا هو المفهوم الأرثوذكسى للتوبة.

٤- كيف نحصل على الطهارة؟

سؤال: كيف نحصل على الطهارة؟

الجواب:

أولاً بالفكر، نحن كائنات عاقلة مفكرة وأهم ما فينا العقل، فلابد أن يكون الفكر طاهر. كلما كان الفكر طاهراً كان الجسم طاهراً لأن الجسم يتبع الفكر. لأن أهم ما فى الإنسان هو فكره، الإنسان إنسان بالفكر، فلكى نحصل على الطهارة ينبغى أن يكون الفكر نقياً. وكما نقول دائماً كل عمل مشترك بين الله والإنسان. فنعمة الله هى عامل مساعد، لكن الإنسان هو الكائن الأساسى فى موضوع الخلاص، فالإنسان لكى يحفظ فكره طاهراً لابد أن يهرب أولاً من المثيرات التى تأتيه من الأفكار الجنسية أو الأفكار الشريرة، كل المثيرات عادة تكون عبارة عن صور خارجية، إما أماكن معينة تجلب له الأفكار، أو أشخاص معينة، أو كتب أو مجلات أو جرائد. روايات أو قصص يسمعها من أصدقاء أشرار، كل هذا المحيط أو هذه البيئة الفكرية تأتى له بالأفكار الشريرة فتكون حرب قاسية، فأهم شىء أنه يهرب من هذه المثيرات. فيبعد عن هذه الأماكن وهؤلاء الأشخاص، وعن الكتب والمجلات والجرائد والمسرح والأصدقاء والراديو والتليفزيون، وكل هذه الوسائط والصور التى تأتى له بالأفكار، فحيثما يكون فيه إثارة توجد إستجابة لها. ولكى أمنع الإستجابة أمنع الإثارة. وبهذه المناسبة سليمان الحكيم يقول: «من يضع النار فى حضنه ولا تحترق ثيابه ومن يمشى على الجمر ولا تكتوى رجلاه» ولذلك الناس الذين يستخدموا الرقص بمعنى الإندماج فيه، مستحيل أن لا يكون فيه فكر شرير، كيف هذا؟ من يضع النار فى حضنه ولا تحترق ثيابه. ولذلك دائماً تجدوا الرقص يدخل فى دائرة الحرب الجنسية، وكما قال الحكيم: «الذكى يبصر الشر. فيتوارى» فلابد من الهروب من الشر، وهذا هو الجانب السلبى لكى أكون طاهراً. أما الجانب الإيجابى أن أعمل إحلال لأشياء تثيرنى للطهارة بدلاً من المثيرات التى هربت منها، فلابد أن أُوجد فى أماكن مقدسة طاهرة. فى الكنيسة مثلاً وألتصق بأشخاص وأعاشر ناس أفضل منى وأطهر منى، وأقرأ فى كتب مفيدة تأتى لى بأفكار طاهرة مثل قراءة سير القديسين والإستماع إلى سيرهم، أيضاً يدخل موضوع الغذاء فى الطهارة فمثلاً أكل اللحوم النيئة من ضمن المثيرات إلى الشر، لأنه يكون بها الدم، ولذلك الكتاب المقدس يمنع أكل لحوم الدم والمخنوق، لأنها مثيرة ومحركة للشهوة أكثر، يأتى أقلها إثارة اللحم المشوى، والأخف إثارة هو اللحم المطبوخ، ولذلك نحن فى الصوم نمتنع عن

اللحوم ومستخرجاتها، ما الحكمة من ذلك؟ ليكون عند الإنسان سهولة فى الصلاة، ولأن اللحوم الحيوانية تعمل ما يسمى فى كتب الكنيسة بشغب فى الجسم، وهناك أيضاً مأكولات معينة مثيرة، من ضمنها الأكل المقدوح بالسمن أو بالزيت. ثم بعد ذلك التوابل والمخللات والشطة، ولذلك الصوم أفيد ما يكون للشباب، أحسن مرحلة يكون فيها الصوم فى غاية الأهمية هى مرحلة الشباب، لأن الشباب يكون الدم عنده فائر فيحتاج لتهدئة، والصوم عبارة عن لجام نحكم به فوران الجسد، والغرائز تكون متفتحة ولا يكون الشاب وصل لمرحلة التحكم فى هذه الغرائز، فالصوم يعطيه اللجام ويساعده على أنه يتحكم فى نفسه فالمأكولات الصيامى تعطى الدم الهادىء، لأن النباتات تساعد على الدم الهادىء، ولذلك الحيوانات آكلات النباتات هادئة مثل الفيل، والجاموسة والمواشى والدواجن والعصافير، لكن الحيوانات آكلات اللحوم ثائرة متوحشة، هذه قاعدة عامة موجودة فى الطبيعة، حتى الطيور آكلات اللحوم كالجوارح مثل النسر والحدأة، أو الصقر تكون متوحشة، فالنسر يأكل أطفاله، لو أخطأت المرأة فى المنزل وأكّلت الفراخ أمعاء فرخة تم ذبحها، نجد هذه الفراخ توحشت وابتدأت تأكل بعضها، فحكمة الكنيسة أن نأكل مأكولات نباتية فى فترة الصوم، لأن النباتات تهدىء الدم.

فالنباتات خصوصاً فى صورتها الطبيعية مفيدة جداً، كذلك الخضار المطبوخ بالماء وتضع عليه الزيت والليمون هو أحسن طريقة للصوم، إنما الأكل المقدوح مثير ومضر من الناحية الصحية، أحياناً واحد يقول أنا لا أقدر أن أصوم لأن عندى المصران الغليظ، فعلاً لا يقدر أن يصوم بطريقة الأكل المقدوح والمقلى، لكن يستطيع أن يصوم بطريقة طبخ الخضار بالماء ثم إضافة الزيت والليمون مع الإمتناع عن المقليات. هناك خطأين للأقباط فى أيام الصوم، الخطأ الأول: الإعتماد بصفة دائمة على الفول والعدس فى الصوم رغم أن كل أنواع الخضروات مفيدة للصوم وبها كمية بروتين هائلة، مثل الكوسة، والبطاطس، والقلقاس والملوخية والبامية والفول النابت والفول الأخضر، كل أنواع الخضروات الموجودة فى السوق تؤكل فى الصوم مثل الفطار تماماً لكن بالماء مع إضافة الزيت والليمون. والخطأ الثانى: استخدام الزيت المقدوح رغم أنه مثل السمن المقدوح تماماً فهو مثير من جهة، وأيضاً يتعب الكبد والكلى والأمعاء. فلو نحن صمنا، أولاً الإمتناع عن الطعام مدة، وهذا الامتناع فى غاية الأهمية بالنسبة لنشاط الشباب للإنتصار على الشهوة، ثم يكون الأكل بصورته المبسطة بقدر الإمكان ويكون مطبوخ بالماء مع

إضافة الزيت النيىء والليمون. هذا يجعل جسم الإنسان هادىء ويساعد على سهولة الصلاة وسهولة العبادة وعلى الطبع الهادىء، كما قلنا أن الحيوانات آكلات النبات طبعها هادىء والحيوانات آكلة اللحوم طبعها متوحش. وهذه قاعدة عامة موجودة فى الطبيعة ليس فيها استثناء واحد. فنحن أيضاً بالمثل لأن جسمنا من الأرض وجسمنا مثل جسم الحيوان من هذه الناحية، فالنباتات عامل مساعد للطهارة، يوجد وسائط أخرى تساعد على طهارة الفكر وهى الصلاة، والتأملات، وكما قلنا قراءة سير القديسين ومعاشرة الأفاضل، كل هذه وسائط وهناك وسائط أخرى على قمتها سر التناول لأننا نأخذ جسد المسيح ودمه فيصب فى شراييننا، وهذه معونة كبيرة جداً أن نتحد بجسد المسيح، وهو الغذاء الروحانى فيعتبر سر التناول على رأس وسائط الخلاص.

٥- الدالة بين الإنسان والله نتيجة جهاد

سؤال: هل هناك مواصفات للإنسان الذى يكون على علاقة مع الله، ويستطيع أن يسمع صوته وأن يطلب منه بلا كلف وأن يساعده فى حياته؟ وما هى هذه المواصفات؟

الجواب:

كيف يصل الإنسان إلى هذا الوضع الذى يقول عنه صاحب السؤال، بلا كلف أى يكون عنده دالة، لكن هذه الدالة لا تأتى اعتباطية بل هى نتيجة جهاد، فالناس الذين أصبحت لهم هذه الدالة عند الله وصلوا إليها بعد جهاد، كما قال المسيح «اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق». فهناك جهاد، نحن فى حرب وحرب منظورة وحرب غير منظورة، لا أحد يصل إلى هذه الدرجة بسهولة، إجابة على هذا السؤال التأمل فى حياة القديسين الكبار، كيف وصلوا إلى أن أصبح لهم هذه الدالة، عندما الله يقول: «إن وقف موسى وصموئيل أمامى» لماذا موسى وصموئيل؟ الله لا يحابى لكن انظر إلى كفاح موسى والتعب الذى تعبه فى حياته الخاصة وفى قيادته للشعب الإسرائيلى، حتى أصبحت نفسه مرة بسبب المضايقات والمتاعب والمنغصات والمعكرات، وهكذا داود النبى إذا كان قد وصل إلى مرحلة كفاح فى حياة الفضيلة فهذا نتيجة جهاد منظم يقول: لا يكلل أحد إن لم يجاهد قانونياً، وليس مجرد جهاد بدون نظام.

٦- الصوم وماذا نستفيد منه؟

سؤال: ما دور الصوم فى حياتنا، وماذا نستفيد ونتعلم منه؟ وما معنى أن يصوم الإنسان عن فعل الخطيئة وكيف يتم هذا؟

الجواب:

الصوم هو الرياضة الجسدية التى يمارس فيها الإنسان التحكم فى غريزة الطعام، وهى أعظم وأهم غريزة فى الإنسان، فإذا أمكن أن يسيطر على هذه الغريزة يكون بهذا نجاحه فى الجولة الأولى، توجد جولات أخرى، لكن لابد أولاً أن يبدأ بالجولة الأولى، فإذا نجح فى الجولة الأولى فهناك إحتمال أن ينجح فى الجولات الثانية، إنما العكس ليس صحيحاً، إن لم يسيطر الإنسان على غريزة الطعام فلن ينجح فى التحكم فى أى فضيلة، فغريزة الحياة الأولى هى غريزة الطعام، ولذلك أعظم وأهم وأول تدريب للإرادة هو التحكم فى غريزة الطعام، فهى قبل الغريزة الجنسية وقبل الغريزة الوليدية وما إليها من جميع الغرائز، غريزة الحياة الأولى هى الطعام، لذلك الطفل الصغير عندما يولد يبحث على أن يرضع فيضع أى شىء فى فمه حتى ولو كان حذاء، فالصوم هو اللجام والتدريب الأول الذى يمارسه الإنسان فى التحكم فى أهم وأعظم غريزة للإنسان وهى غريزة الطعام، وبعد أن يستفيد أو يكتسب الإرادة بهذا التدريب وهذه الرياضة، يمكنه أن يستغل ما اكتسبه فى التحكم فى الغرائز الأخرى، ولن تجد أحد وصل إلى القداسة إلا إذا كان قد بدأ أولاً بالصوم، لأنه إذا نجح فى الجولة الأولى يمكنه بما استفاد منها أن ينجح فى الجولات الأخرى، ولذلك كانت أول وصية للإنسان هى وصية الصوم، من جميع شجر الجنة تأكل إلا الشجرة التى فى وسط الجنة، وكما قالت حواء للحية: «لا تمساه لئلا تموتا» فالمنع ليس من الأكل فقط بل من اللمس، لأن قبل الأكل اللمس، ولذلك نقول هذا الكلام لأولادنا الذين يتعبوا من العادة السرية ممنوع اللمس، لابد للإنسان أن ينظر إلى الجهاز التناسلى كما يقول أحد المربين، بمثابة قدس الأقداس فلا يمسوه.

٧- ماذا تفعل لو تخلّى الله عنك؟

سؤال: ماذا تفعل لو تخلى الله عنك؟

الجواب:

أولاً : كيف عرفت أن الله تخلى عنك؟، ثانياً: حتماً لو أن الله تخلى عنك يكون ذلك دليل على أنك عملت مخالفة، وتكررت هذه المخالفة لدرجة أن الله تخلى عنك.

إذن ماذا تفعل؟ تبحث عن السبب، ويصلح الإنسان طريقه بالتوبة، ويجب أن تحس أن تخلى الله عنك يُعَدُ منبه لك أن تتحرك لتبحث عن سبب هذا التخلى.

يقول: اعترفت بخطاياى وبعد الإعتراف تراودنى أفكار بأننى غير معترف إعترافاً سليماً وأن الله لم يغفر لى خطاياى، فما رد قداستكم على ذلك؟ وعندما اعترف بالخطايا ربما من بشاعة الخطايا لا أذكرها بالتفصيل، لكنى أذكرها بنوع مختصر، هل هذا يعتبر إعترافاً سليماً؟

أولاً: الإعتراف جزء من عملية التوبة، كثيراً ما أجد الغالبيةالعظمى من شعبنا يتكلم عن الإعتراف كما لو كان المطلوب هو الإعتراف لا.. المطلوب أولا التوبة، والإعتراف جزء أو عنصر من عناصر التوبة، أو هو العنصر الرابع والأخير من التوبة. والإعتراف هو فى واقع الأمر إعتراف لله على يد الكاهن، فأنت لا تعترف للكاهن، أنت تعترف لله على يد الكاهن بإعتباره ممثل للسلطة الإلهية، وضع الكاهن هنا ليس بصفته س أو ص من الناس، إنما بصفته الممثل للسلطة الإلهية، فالإعتراف فى الواقع إعتراف لله على يد الكاهن، بالضبط كما تتعامل مع البنك، يوجد موظف يأخذ منك الأوراق ويعتمدها ويصرف لك المبلغ، هذا الموظف عندما يتعامل معك ليس بصفته س أو ص، إنما بصفته ممثل للبنك، أقول هذا الكلام تصحيحاً لأن المفهوم المستمر فى وسط شعبنا، يضخموا موضوع الإعتراف كما لو كان هو كل شيء. الإعتراف عنصر أو شرط من شروط التوبة الصادقة لكنه الشرط الأخير. يسبقه الإنسحاق والندم، ويسبقه العزم على تجديد السيرة وعلى تغيير السلوك، فلا معنى أبداً من التوبة إذا كان الإنسان باق على ما هو عليه. ويسبقه أن يكون الإنسان مملوء بالرجاء، ولا يفقد رجاءه لئلاً يصيبه اليأس، يهوذا الأسخريوطى ندم وقال: أخطأت إذ سلمت دماً بريئاً، ومع ذلك فقد خلاصه لأنه فقد الرجاء، فالشرط الرابع هو إعتراف لله على يد الكاهن، وبهذه المناسبة ولو أن هذا استطراد، الإعتراف لا يجوز فى البيوت، خطأ

كبير جداً يقع فيه شبابنا سواء أكانوا أولاد أو بنات، يذهبوا للكاهن فى البيت فيتحول الإعتراف من طقس دينى إلى دردشة. كل أسرار الكنيسة والممارسات لابد أن تتم فى الكنيسة فيما عدا مسحة المرضى، لأن الإنسان المريض طبيعى غير قادر على أن يغادر البيت، إنما الإعتراف لابد أن يكون فى الكنيسة، لكى يشعر الإنسان أنه يمارس سر دينى، ولا يتحول الإعتراف فى البيوت إلى ضيافة، ورغم أن هذا الكلام ليس فى صميم السؤال، الخطأ الثانى أننا ننسى أنفسنا وننسى وظيفة الإعتراف، فيتحول الإعتراف إلى شكوى من أى شخص آخر، قد يشتكى الرجل زوجته والزوجة رجلها. شخص يشتكى أمه وأمه تشتكى ابنها. ليس هذا إعتراف، الإعتراف هو شكوى النفس من النفس. أنت ذاهب لتشتكى نفسك، لكن لا تشتكى شخص آخر، وإلا كان هذا موضوع آخر غير الإعتراف، فى هذه الحالة أنت تلجأ إلى الكاهن كقاضى يفصل بينك وبين الشخص الآخر، وفى هذه الحالة يستدعيك ويستدعى الشخص الآخر لكى يسمع القصة منك ومن الثانى، لكى يقدر أن يحكم فى القضية، لكن تذهب وتشتكى الشخص الآخر من وجهة نظرك، وإذا قال لك الكاهن اصبر وتحمل والمسيح صبر، تتخذ من هذا دليل على أن الكاهن خَطّأ هذا الشخص، وتخرج سعيد على أنك أنت المظلوم والمعتدى عليك، ليس هذا إعتراف وليس من أجل هذا وجد سر الإعتراف، سر التوبة فى الكنيسة. الإعتراف شكوى النفس من النفس. هنا إذا كانت التوبة مستكملة لشروطها، وإذا اقتنع الكاهن بأنها توبة صادقة، فى هذه الحالة يعطى الحل.لأنه مفروض أن الكاهن تكون عنده مقاييس لأن يعرف أن التوبة صادقة، توجد علامات معينة يتبينها الكاهن فيحكم على أن هذه توبة صادقة، فيعطيك الحل، والحل ليس من سلطان الكاهن، سلطان الغفران للمسيح، لكن الكاهن بالنيابة عنه هو وكيل أو صراف أو أمين مخازن. إذا قدمت أنت الوثائق المخولة لك يعطيك الحل. الكاهن نفسه سيحاسب عن هذا الحل، المبالغ التى صرفها لابد أن يقدم عنها حساب، وإلا يعد مبدد فى أموال سيده، ففى هذه الحالة ينبغى أنك أنت تطمئن إلى أن الغفران قد تم. فلا داعى أبداً أنك تتردد وتشك فى أن الله غفر لك، إلاّ إذا كنت أنت تشعر فى نفسك أنك لم تتب التوبة الصادقة، أو يوجد شرط من شروط التوبة أنت أخللت به. لكن إذا توافرت هذه الشروط وأعطاك الكاهن الحل فاطمئن، ولا داعى لتكرار ما اعترفت به فى مرة آتية.

أقول هذا الكلام لأنه يوجد أشخاص يقعوا فى هذا الخطأ، أنه اعترف بشىء قبل ذلك ثم تحدث له شكوك ويريد أن يعترف بها مرة أخرى، هذا ما نسميه فى اللاهوت الأدبى

الضمير الموسوس، والضمير الموسوس هذه حالة مرضية أنه يستشعر إثماً فيما لا إثم فيه، ويستشعر خطية فيما لا خطية فيه، هذه حالة حساسية متطرفة مرضية.

وحالة الوسوسة تعد حالة غير سوية. أريد أن أقول إذا كنت فعلاً تبت توبة صادقة، واعترفت بخطيئتك فاطمئن إلى الغفران بحسب المواعيد الإلهية، لأنه كما نقول فى الصلوات: «ليست هناك خطيئة بلا غفران إلا التى بلا توبة» فما دامت هناك توبة فاطمئن إلى أن الغفران قد تم.

موضوع التفصيل يقول: من بشاعة الخطايا لا أذكرها بالتفصيل، لا ... مادام عندك خوف من أن تذكر خطيئتك بالتفصيل هذا معناه أنك أنت مُصّر على هذه الخطيئة، أو أنك تخجل من أن تذكرها، والخجل علامة الكبرياء. فالشخص الذى يخجل من أن يذكر خطيئة أمام الكاهن أو على يد الكاهن، يكون هناك إصرار على بقاء الأمر مرة ثانية. لكن إذا كنت مستعد أن تذكر التفاصيل تماماً ولا تخاف ولا تخجل، مثل من يذهب لطبيب ويشرح الحالة بالضبط. لابد أن تقول كل ما تشعر به، وأيضاً الطبيب يضيف إلى كلامك أسئلة يسألك فيها إن وجد أن شكوى المريض غير كافية لمساعدته على التشخيص، وبالتالى على الدواء، هكذا فى سر الإعتراف أو فى سر التوبة، الشخص مفروض أنه يشكو نفسه، ولا يخجل من أنه يعرض أو يفتح قلبه ويشكو شكواه كاملة إلا إذا رأى الكاهن أن يكتفى منه ببعض الأشياء ويترك بعض التفاصيل، بهذه المناسبة تحضرنى قصة ذكرت فى العصور القديمة عن بعض الآباء القديسين: يوجد سيدة ذهبت لتعترف على الكاهن، فخجلت من أن تذكر خطيئة معينة، فالكاهن كان يرى ثعبان يخرج من فمها وبعد ذلك يدخل مرة أخرى.وهذا كنوع من الرؤيا أن هناك خطيئة موجودة تريد أن تقولها ولكنها تخجل من أن تذكرها، فالكاهن لاحظ هذه الملاحظة، وبعد أن فرغت السيدة من إعترافها قال لها: إنتهيت؟ قالت: له نعم، قال لها: ذكرتى كل شيء؟ قالت له نعم. قال لها لا يوجد خطيئة أخرى؟ حينئذ اضطرت أن تعترف بالخطيئة، فلما اعترفت بهذه الخطيئة اختفى الثعبان أو الحية التى كانت تخرج من فمها، وهذا مجرد مثل توضيحى أن الخطيئة الكاملة إذا احتسبها الإنسان تكون كالحية داخله، ولذلك الكتاب المقدس يقول: «من حبس خطاياه لا يرحم ومن اعترف بها يغفر له» فلابد أن يكون الإعتراف كاملاً ..

٨- كيف أنفذ فضيلة الإتضاع؟

سؤال: كيف أستطيع أن أنفذ فضيلة الإتضاع أو حياة الإماتة وترك الكرامة فى جو العمل؟

الجواب:

فى أى عمل دينى أو عمل مدنى، الدليل الحاسم على تواضع الإنسان أنه عندما يكون مخطىء يقول أنا مخطىء، وأنه يحترم الرؤساء ويخضع للرئاسات، وهذا ما قاله الكتاب المقدس: «أعطوا الجميع حقوقهم الإكرام لمن له الإكرام» فأنت عندما تعطى لكل واحد حقه، من يستحق التقدير نعطيه التقدير فعلاً، كذلك خضوع الإنسان لرئيسه هذا من فضيلة التواضع، هذه تمارسها فى عملك إذا كان عمل مدنى، وأيضاً هناك آداب معينة يجب أن يراعيها الإنسان، فمثلاً عندما يسلم على واحد أكبر منه، لا يرفع رأسه لفوق، من اللياقة إنك تنحنى، ولو إنحنائة خفيفة، هذا نوع من التقدير والإحترام، أيضاً لا تضع رجل على رجل فى حضرة شخص أكبر منك، هذه اسمها واجبات اللياقة، ففضيلة الإتضاع فى الجو العملى الخارجى تبدو فى أنك تعطى لهذا الرئيس كرامته وحقه، عندما يدخل كونك تقف، أو عندما تكلمه تكلمه بصوت يليق، لا ترفع صوتك زيادة عن اللزوم، هناك آداب من هذا القبيل.

أما حياة الإماتة، هذا تعبير نسكى، حياة الإماتة ليس لها علاقة بالعمل، الإماتة أن الإنسان يميت شهوات الجسد ورغبات الجسد، هذه هى الإماتة، ويدخل فيها النسكيات التى تساعد على إنتصار الإنسان على شهواته ونزواته، إنما بالنسبة للرؤساء تعطى لهم الإحترام اللائق، والطاعة فى حدود اللياقة المطلوبة، والكتاب المقدس يقول «أعطوا الجميع حقوقهم، الإكرام لمن له الإكرام، الجزية لمن له الجزية» هذا هو المطلوب.

ألاّ يعد ذلك ضعف شخصية؟

أبداً أبداً، هذا ليس ضعف شخصية، كونك تعطى الواحد إحترامه اللائق به، هذا ليس ضعف شخصية ولا هو تملق، إكرام إنسان أو تقديره وهذا ما ننصح به فى الحياة العائلية أيضاً، فالمرأة مع زوجها يجب أن تعطيه التقدير هذا ليس ضعف شخصية، وتقول رأيها إذا طُلب منها، ولكن لا تتحكم ولا تتشدد هذا ليس ضعف شخصية، فى بعض الأحيان يكون هناك نوع من العناد، تجعل الإنسان يرفض أن يقبل رأى من واحد آخر.

٩- من ضربك على خدك الأيمن أدر له الآخر أيضاً ..(١)

الابن جون شفيق درياس..

إجابة على استفساركم عن معنى - من ضربك على خدك الأيمن.. أدر له الآخر أيضاً - أقول أن خير من يفسر الشريعة صاحبها. فلما ضرب العبد رب المجد يسوع المسيح على وجهه لم يحول له الخد الآخر بالمعنى الحركى الحرفى، الذى يفهمه السطحيون من الناس. وإلا كان هذا الرد مثيراً أكثر للخصم. إنما المقصود هو تحويل القضية من إهانة شخصية إلى لفت نظر المسىء حتى لا يعود المسىء لتكرار الخطأ لا مع المُساء إليه ولا مع أى شخص آخر.

والمبدأ المسيحى يمكن شرحه فى خطوات:

١- عدم رد الإساءة بمثلها.

٢- إحتمال الإساءة تدريباً على ضبط النفس عند الغضب.

٣- لفت نظر المسىء حتى لا يتكرر منه الفعل.

ألم يقل المسيح: إن أخطأ إليك أخوك فوبخه. وإن تاب فاغفر له (لوقا١٧: ٢).

إن مبدأ الدفاع عن النفس بالطريق المشروع من دون تهيج أو تشنج ممكن بل مفيد.

قال الكتاب المقدس فى سفر يشوع بن سيراخ.. «عاتب صديقك. فلعله لم يفعل. وإن كان قد فعل فلا يعود يفعل، عاتب صديقك فلعله لم يقل. وإن كان قد قال. فلا يكرر القول. عاتب صديقك فإن النميمة كثيرة. ولا تصدق كل كلام، فرب زالٍ ليست زلته من قلبه» (١٩: ١٣- ١٦).

إن السيد المسيح ناقش الرجل الذى صفعه بقوله: «إن كنت قد غلطت فقل لى فيم غلطت. وإن أحسنت فلماذا تضربنى؟» (يوحنا ١٨: ٢٣)

إنه لم يرد الصفعة بصفعة وكان يمكنه أن يخسف به الأرض. لكنه عاتبه، وعاتبه لا بإنفعال وتشنج وغضب، بل بهدوء لكى يكسبه ولكى لا يشجعه على مواصلة الخطأ لا مع السيد. ولا مع غيره. ولابد للعبد أن استفاد من هذا التوبيخ وهذا العتاب الهادىء!

ونعمة الرب تشملكم..

---

(١) نشر بجريدة وطنى الأحد ١٥ من سبتمبر ١٩٨٥م -٥من توت ١٧٠٢ش.

١٠- أدر له الأيسر أيضاً [1]

سؤال: لماذا قال المسيح إذا لطمك أحد على خدك الأيمن فأدر له الأيسر؟

هناك قول مشهور للمسيح: عليه السلام: «إذا لطمك أحد على خدك الأيمن فأدر له الآخر أيضاً» قلت للأنبا غريغوريوس ـ أسقف عام الثقافة القبطية والدراسات اللاهوتية العليا والبحث العلمى: ـ «الغالبية العظمى من الناس يشق عليها تطبيق هذا القول فى واقع الحياة .. فما هى الحكمة منه»؟

فى البداية .. وقبل الإجابة على هذا السؤال.. أكد الأنبا غريغوريوس أن كل من تعرض لظلم من حقه أن يثأر لنفسه عن طريق القضاء الذى يمثل المجتمع.. فمن حق الإنسان الذى قلعت عينه مثلاً أن يطالب بقلع عين من أجرم فى حقه، ولكنه يكون أكثر فضيلة لو أنه من أجل الخير والسلام تنازل عن هذا الحق.. إنه بذلك يُحسن إلى من أساء إليه ويسعه بمحبته.

ويضيف الأنبا غريغوريوس قائلاً: لقد أراد المسيح أن نتحول إلى نماذج فى الفضيلة على غرار الله خالقنا.. الله صانع الخيرات فهو الخير الأعظم، وهو يجعل شمسه تشرق على الأبرار والأشرار.. ويمطر على الصالحين والطالحين. ونأتى إلى الحديث ذاته.. يقول الأنبا غريغوريوس: إن خير من يفسر الشريعة صاحبها .. فالمسيح أوضح عملياً المقصود بقوله هذا.. فقد لطمه أحد الناس على خده أثناء محاكمته أمام رئيس الكهنة اليهود..

فلم يحول المسيح له خده الآخر بالمعنى الضيق أو الحرفى أو المادى لهذا اللفظ، وإنما قال للرجل الذى ضربه «إن كنت قد أخطأت فى كلامى فقل لى فيم أخطأت؟.. وإن تكلمت بالصواب.. فلماذا تضربنى».

ويقول أسقف الثقافة القبطية تعليقاً على ذلك «إن المسيح لم يضرب الرجل كما ضربه.. كما أنه لكى يوجه إليه العتاب فلا شك أنه قد أدار نحوه وجهه، لأنه إذا لطمه الرجل على خده فلابد لهذا الخد أن يكون قد انحرف عن وضعه بقوة اللطمة.. كما أنه قام بتحويل القضية

(١) نشر بجريدة الوفد فى ١٥ من فبراير ١٩٨٤م ـ ٧ من أمشير ١٧٠٠ ش.

من إهانة شخصية إلى قضية أخرى.. فإن هذا العتاب الذى وجهه المسيح إلى الشخص الذى لطمه، ليس من قبيل الإنفعال الذى ينفعل به الإنسان عادة نحو من أساء إليه.. إنما هو نصح.. توجيه بروح الإشفاق على هذا المسىء لأنه بإساءته استحق الغضب الإلهى».

ويخلص الأنبا غريغوريوس من حديثه قائلاً «تحولت القضية من إهانة وإنفعال إلى علاج لحاضر الإنسان المسىء وإلى مستقبله.. وتحول المساء إليه وهو المسيح إلى طبيب، لم ينظر إلى الإهانة كجرح للكرامة الشخصية، وإنما نظر إليها كضعف أو مرض، وهذا هو ما يريده المسيح فى حديثه وشريعته، أن يتحول الإنسان إلى طبيب .. فيتحمل أخطاء المريض على أنها مرض أو ضعف، فلا يرد الإهانة بمثلها ولا يتحملها فقط، وإنما يحولها إلى قضية رحمة وعلاج لهذا المُسىء..

١١- موت غير جسدى(١)

- **سؤال من الأخ إبراهيم حبيب:**

قال السيد المسيح له المجد ـ فى الأصحاح الثامن عدد ٥١ من إنجيل معلمنا يوحنا البشير: الحق الحق أقول لكم إن كان أحد يحفظ كلامى، فلن يرى الموت إلى الأبد ـ فماذا كان يقصد السيد المسيح له المجد بهذا الكلام ـ أهو الموت الجسدى أم الموت الروحى.

الجواب:

١- بالطبع لا يقصد الموت الجسدى، لأنه رب المجد نفسه قد ذاق الموت، وجميع الآباء الرسل، وسائر القديسين ماتوا.

ثم لأن السيد المسيح عاد فكرر هذه العبارة مرة أخرى بل مرات، وكان يردفها بالإيضاح الكافى: «كل من يرى الابن، ويؤمن به، تكون له حياة أبدية، **وأنا أقيمه** فى اليوم الأخير» (يو٦: ٤٠) وكلمة القيامة تقتضى الموت **أولاً**، وقال أيضاً «أنا هو القيامة **والحياة، من يؤمن بى، ولو مات**، فهو يحيا. وكل من هو حى مؤمن بى فلن يموت إلى الأبد» (يو١١: ٢٦) (حسب ترجمة «البشائر الأربع» ترجمة الكلية الإكليركية).

٢- وعدم رؤية الموت الموعود بها هنا، معناها أولاً ـ العتق من شر الخطيئة، والإستمتاع بالولادة الجديدة من الله، والنمو فى النعمة، وأثمار الفضيلة والقداسة فى الحياة الحاضرة.

يقول الرسول «أما البار فبالإيمان يحيا» (رو١: ١٧) ويقول السيد المسيح «وأما من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا له، فلن يعطش إلى الأبد، بل الماء الذى أعطيه له يكون فيه ينبوع ماء يفيض حياة أبدية» (يو٤: ١٤) «من يعطش فليقبل إلىّ ليشرب. من يؤمن بى كما قال الكتاب تجرى من بطنه أنهار ماء الحياة» (يو٧: ٣٧، ٣٨)، ويقول الرسول يوحنا فى رسالته «لا تتعجبوا يا إخوتى إن كان العالم يبغضكم، نحن نعلم أننا قد إنتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الأخوة. من لا يحب أخاه، يبقى فى الموت»(١.يو٣: ١٣، ١٤).

وثانيا ـ بمعنى الخلاص من سلطان الجحيم، والنجاة من الهلاك الأبدى: «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل ينال الحياة الأبدية ... من آمن به فلا يدان، ومن لا يؤمن به فقد دين» (يو٣: ١٦- ١٨).

الحق الحق أقول لكم: إن من يسمع كلامى، ويؤمن بالذى أرسلنى، فله حياة أبدية، ولا يأتى إلى الدينونة، بل ينتقل من الموت إلى الحياة» (يو٥: ٢٤)، راجع أيضاً (يو٣: ٣٦)، (يو٦: ٢٧، ٤٧، ٥٤)، (١. يو٥: ١٢، ١٣).

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد ـ السنة ٥ ـ عدد ٢ـ فبراير ١٩٥١م.

١٢- الصمت والبشاشة والمحبة والتواضع

الابن العزيز جورج تادرس.

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح.

تسأل عن مدى الصمت والعزلة بين الناس حتى لا يتعطل فكرك فى الله مع تنفيذ وصية المحبة.

الجواب:

إن للصمت وقتاً وللكلام وقتاً. والحكم هو من يعرف متى يصمت ومتى يتكلم، فهناك مواقف يجمل فيها الصمت ومواقف يجب فيها الكلام. «وتفاحة من ذهب فى مصوغ من فضة كلمة مقولة فى موضعها» كما يقول الكتاب المقدس على فم الحكيم سليمان.

ففى وسط قوم من الناس يدردشون بما لا يفيد، ويتكلمون بما لا ينفع يجمل الصمت. وفى موقف يتحدث فيه شيخ مجرب أو حكيم أو عالم يجب على الصغير والتلميذ أن يصمت ليتعلم، ويصمت ليفهم ويصمت ليتأمل. وفى موقف يخرج فيه الإنسان إلى الطبيعة حيث الجمال والصحارى والأنهار والخضرة، يصمت الإنسان ليسرح خياله فى جمال الطبيعة، وليستغرق بحسه فى الكون الواسع العريض، ويدخل إلى عمق الهدوء والسكون ليتصل بالقوة العظمى المسيطرة على الوجود.

ولكن كيف يصمت الإنسان إذا وجه إليه أحد سؤالاً أو طلب منه مشورة أو رأياً؟ كيف يصمت إذا رأى أحداً يطلب منه شراً يصنعه أو خطأ يرتكبه؟ أو كيف يصمت تلميذ فى موقف امتحان أمام لجنة تستجوبه وتمتحن معرفته ومدى تحصيله؟

إن الصمت فضيلة وكما يقول الحكماء «إذا كان الكلام من فضة فإن السكوت من ذهب» ولكن قالوا أيضاً «إن الساكت عن الحق شيطان أخرس».

وإذن فالصمت حسن فى بعض المواقف، والكلام فضيلة فى بعض المواقف. وعلى الإنسان أن يطلب من الله الحكمة ليعرف متى يجب أن يصمت ومتى يجب أن يتكلم. وإذا تكلم فيتكلم حسب الحاجة ولنفع السامعين وبنيان الآخرين، فلا يزيد فى الكلام حيث يجب الإقلال. ولهذا قال الحكماء: «الكلام كالدواء إذا قل نفع وإذا كثر صدع».

ثانياً: ــ تسأل قائلاً كيف أستطيع إقتناء البشاشة؟

والجواب: ــ إن البشاشة ليست مجرد إنبساط الأسارير الظاهرة، بل ينبغى أن تكون إنعكاساً لسلام القلب ورضى النفس، والقناعة ومحبة الآخرين ممن تقابلهم وتعاملهم وتتعايش معهم.

كلما كان فى قلبك ضيق أو تبرم أو كراهية، فلا تستطيع أن تكون باشاً بشاشة حقيقية بل ستكون بشاشتك مصطنعة متكلفة. فاحرص أولاً على أن تغذى قلبك وعقلك بالأفكار السعيدة المتفائلة المشبعة بروح الرضى والسلام والقناعة، والتى ترى الورد فى كل شىء قبل أن ترى الشوك، وتقع على الخير قبل أن تقع على الشر، وحينئذ تنظر إلى الناس ببشاشة لأنك تحبهم ولا تكرههم، ولأنك تحسن الظن بهم ولا تسىء بهم الظن، ولأنك ترجو لهم الخير ولا ترجو الشر، ولأنك تؤمن أن العبوسة والكدر فى وجوه الناس تحزنهم وتنغص عليهم حياتهم وتثيرهم للحياة العكرة المتبرمة.

ثالثاً تقول: كيف أستطيع إقتناء فضيلتى المحبة والتواضع؟

والجواب ــ إن محبة الله أو محبة الناس كلاهما يتولد وينمو بتغذية الفكر.

أولاً: بفضل الله أو القريب على الإنسان. فكلما استحضرت فى ذهنك أعمال الله معك وفضله عليك أحببته. وكذلك محبتك للقريب تنمو باستحضار فضله عليك، مثال ذلك محبتك لأبيك وأمك ولإخوتك الكبار ولمعلّميك و ...

ثانياً: ــ بدعم العلاقة وتوثيق الروابط، لأن البعد والتغرب يضعف المحبة.

وثالثا ــ بمحاولة خلق فرص للخدمة سواء لله أو للقريب، فإن الخدمة العملية تجعلك تكتشف آثارها فى معاملة الله ومعاملة القريب، وما يتولد عنها من عواطف ومشاعر فتزداد محبتك.

أما التواضع فمفتاحه أن يفهم الإنسان نفسه على حقيقتها فيتضع، وذلك يقتضيه أن يتأمل تصرفاته وأقواله ويحاسب نفسه عليها أولاً بأول، وأخيراً أن يعترف بالخطأ عندما يُخطىء، ويعتذر بالفعل لمن أخطأ إليه ... ويكفر عن أخطائه عملياً.

هذه إجابة موجزة ــ أرجو أن يكون فيها خير لك روحاً ونفساً وجسداً

ونعمة الرب تشمل حياتك وتباركك.

١٣- لا تدينوا ...[١]

سؤال: ما معنى الآية التى تقول «لا تدينوا كى لا تدانوا» وهل يقصد بها منع كل نقد؟ فإذا كان الأمر كذلك، فإن الحكم سيمتنع ـ وبالتالى سيمتنع التمييز بين الخير والشر. وفى أحيان متعددة كثيرة يرى الإنسان تصرفاً غير سليم من شخص معين ـ فيحكم عليه بكذا أو بكذا ـ فهل هذا الحكم خطية؟»

الجواب:

الدين أو الدينونة هنا إصدار الحكم. وقد نهانا السيد عنه من حيث هو رذيلة. ويكون رذيلة إن صدر بنية الحقد والكراهية أو الحسد، والميل إلى التشهير والإنتقام وتشويه سمعة الآخرين.

وهو مباح لذوى السلطان من رؤساء الدين، فيباح للآباء الروحيين نحو بنيهم فى الإعتراف، ويباح بالمثل للوالدين نحو الأولاد، وللمعلّمين نحو التلاميذ، والرئيس نحو مرؤوسيه، وللقاضى نحو المجرم أو المخطىء ... على شرط أن يصدر كل من هؤلاء حكمه على المخطىء للتقويم والتهذيب والتأديب، وبروح الغيرة الحقة على الفضيلة، وبقصد بنيان المخطىء وإفادته ونفعه.

وإلا فكيف جاز للأنبياء أن يوبخوا الملوك والكهنة ويزجروهم كما فعل إيليا بآخاب، وناثان بداود، ودانيال بنبوخذنصر وبيلشاصر، وموسى بهرون ... وكيف جاز للرسول القديس بولس أن يكتب إلى تلميذه الأسقف القديس تيموثيئوس «الذين يخطئون وبخهم أمام الجميع لكى يكون عند الباقين خوف» (١. تى٥: ٢٠). ولكنه عَقَّب على ذلك مباشرة بالشرط الواجب توافره فى هذه الحالة «أناشدك أمام الله والرب يسوع والملائكة المختارين، أن تحفظ هذا بدون غرض ولا تعمل شيئاً بمحاباة» (١. تى٥: ٢١) .. وكيف جاز له أن يخاطبه بقوله: «وبخ انتهر» (٢. تى٤: ٢).

ثم ألم يقل الرسول أيضاً «إن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة... لأنه لا يحمل السيف عبثاً إذ هو خادم الله، منتقم للغضب من الذى يفعل الشر» (رو١٣: ٢، ٤).

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد ـ السنة الأولى ـ العدد الثامن ـ نوفمبر ١٩٤٧م.

وإذن فكلام السيد المسيح فى الموعظة على الجبل، ينصرف إلى المعاملات الخاصة التى تجرى بين أناس فى مرتبة متساوية من مراتب الحياة الروحية الإجتماعية ـ ثم ينصرف كذلك إلى تحريم هذه الدينونة إن كانت صادرة بروح الكبرياء والإدعاء بالبر، وبروح الكراهية والحقد والتشهير. والدليل على المعنى الأول: أن السيد المسيح وبخ الكتبة والفريسيين والناموسيين، ثم إن يوحنا المعمدان وبخ اليهود بقوله «يا أولاد الأفاعى...» فضلاً عن أن الرسول فى العهد الجديد أبان سلطان الملوك والأساقفة فى التوبيخ وإصدار الأحكام كما أسلفنا.

والدليل على المعنى الثانى: أن مخلصنا بعد أن قال «لا تدينوا .. » عقب على ذلك بقوله «فإنكم بالدينونة التى بها تدينون تدانون» أى أنه يريد أن يردع المدعين البر والتقوى والميالين إلى التشهير؛ بأنهم سيلاقون ثمار فعالهم.

وعلى ذلك، فلا خطأ فى حكم أو دين أو دينونة تصدر عن صاحب سلطان على مخطىء، ما دام حكمه صحيحاً، وفى حدود إختصاصه، وبروح الغيرة على الفضيلة أو القانون وبقصد البنيان والتقويم ومقاومة إنتشار الشر والإثم، وتقديم المثال والعبرة للجميع.

أما الأصدقاء وأصحاب المرتبة الواحدة، فقد منحهم السيد حق التوبيخ فى حالة واحدة «إن أخطأ إليك أخوك فوبخه» (لو١٧: ٣). ومع ذلك، فإذا وجه الصديق صديقه أو الرفيق رفيقه فأحسن توجيهه، فقد صنع خيراً، ولم يكن فعله هذا دينونة بل نُصحاً، لأنه صدر بروح تبغى الخير للرفيق.

وأما من كان فى مرتبة أقل، فيمكن أيضاً أن يوجه من هو أعلى منه أو ينبهه إلى خطئه، وما دامت النية صالحة والقصد خيراً: أن يلفت نظره إلى الخطأ، أو يوجهه إلى الصواب، فالفعل صالح وليس يضاد إرادة الله. بل يوافقها.

ولكن يجب أن لا نحسن النية فقط، وأن لا نطهر قلوبنا فى نقدها من كل غيظ وحنق وكراهية فحسب، بل يجب أن نتخير الأسلوب الملائم الذى نخاطب به كل واحد فى مرتبته.

١٤- قد يكون سبب الإكتئاب العقم

الابن العزيز السيد م. ع. د.

سلام لكم ومحبة ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح، أرجو لكم أيها الابن ولقرينتكم العزيزة موفور الصحة والتوفيق.

تلقيت أيها الابن خطابكم وبه رحلتكم مع مرض الابنة العزيزة زوجتكم بالإكتئاب النفسي، ومحاولات العلاج بالمهدئات مع الإستشفاع بالقديسين.

وأريدك أن تعلم أيها الابن أن المرض له أسبابه الطبيعية ولابدّ من معرفة السبب أولاً، قبل وصف العلاج.

مرض الإكتئاب مرض نفسى وروحى وليس جسدياً.

ولربما يكون سببه عند المرأة، عدم إنجابها لطفل تجد فيه إشباعاً لغريزة الأمومة فيها. فالأمومة بالنسبة للمرأة لذة كبرى لا يعرفها الرجال. ومن دون طفل للمرأة المتزوجة ترى نفسها أنها شجرة غير مثمرة، وتحس بمرارة شديدة، وتعتقد أنه لا معنى لوجودها، وتحتقر نفسها، وتشعر أنها أقل من أية إمرأة أخرى، كما أنها تحس بخجلها ونقصها أمام زوجها، فالطفل للمرأة يرفع معنوياتها، ويرفع شرفها وكرامتها، وهى ترى فيه معنى وجودها، وكرامتها. ثمّ إنّ الطفل يشبع عاطفة المرأة، فهى تصب فيه حنانها ورقتها. وكلما ضمته إلى صدرها تسعد بهمساته وأنغام صوته، وكلّما أرضعته من صدرها تتأجج فيها عاطفتها نحوه، فيملأها إحساس عميق بالسَّعادة والسرور والفرح.

لا أدرى إذا كان لكما ابن أو ابنة ثمرة زواجكما فإذا لم يكن لكما ابن أو ابنة، فغالباً ما يكون هذا هو سبب اكتئابها.

والآن، فإلى الصلاة، على أنى أرجو أن تجد منك أنت الصدر الحنون، عليك أن تضاعف من حنانك عليها، وتؤكد لها عمق محبتك لها، وعليك أيضاً إذا لم يكن لكما بعد طفل، ابن أو ابنة، أن تبحثا عن السبب عند الأطباء أولاً. فربما يكون سبب العقم بسيطاً ومقدوراً عليه.

وإلى أن يتحقق ذلك يمكن لزوجتكم أن تفكر فى تَبَنّى طفل صغير، تُفرغ فيه عاطفة الأمومة، فضلاً عن أنه سيشغل إهتمامها برعايته وتربيتها له. وهذا فيه علاج الإكتئاب النفسى، إذ تجد المرأة موضوعاً لإهتمامها يشغلها عن نفسها ومتاعبها الداخلية.

وإلى هذا كله لا نيأس من رحمة الله، ولابد أن يستجيب الله للصلاة فى الوقت المناسب (لو تأنى يستجيب) - إننى معكم أصلّى أن يعطيكم الرب سؤال قلبكم، وسيُعطِى. فلا نفشل، سوف نحصد فى أوانه إن كنا لا نكلّ. الرب معكم،،،

١٥- اللاهوت النسكى

سؤال : ماذا يقصد باللاهوت النسكى؟

الجواب:

اللاهوت النسكى هو لاهوت خاص بالحياة الروحانية التى يحياها المتعبدون من طراز الرهبان، اللاهوت النسكى نسبة إلى النسك، والنسك معناه العبادة التى فيها التقشف، وممارسات الأصوام والعبادات والمطانيات والرياضات الروحية العالية. فاللاهوت النسكى فرع من فروع اللاهوت الروحى، أو الخاص بالناس الذين يحيوا حياة خاصة، وهى حياة الرياضات الروحية العالية، فهو نسبة إلى النسك Asceticism ونسبة إلى النساك أو العباد، وهم طراز الرهبان الذين يعيشوا حياة فيها تقشف وتأملات روحانيّة، فوق المستوى العادى بالناس الموجودين فى العالم. فهو عادة خاص بالرهبان أو بمن هم على طراز الرهبان من العُبّاد، والذين يعيشون حياة الرياضة الروحانية العالية.

١٦ - متى أشعر أنى أحفظ وصايا الله؟

سؤال : متى يشعر الإنسان أنه يعيش فى حفظ وصية الله؟

الجواب:

بالخبرة والإرشاد الباطنى والضمير، الإنسان يحس بضميره أنه يحيى حياة سليمة بدون خطأ، فى سفر يشوع بن سيراخ جملة قَيِّمة، يقول «نفس الإنسان تراقب أكثر من سبعة رقباء يرقبونه من موضع عال». كثير جداً أن الناس تأخذ فكرة معينة عن الإنسان، لكن الإنسان يفهم نفسه أكثر. فيجب على الإنسان أن يعرف ذاته كما قال سقراط «اعرف نفسك بنفسك» أحسن شيء أن الإنسان ينفرد بنفسه ويعرف نفسه، بل يعرف دوافع الأفعال داخل نفسه، فمثلاً الواحد يعطى عطاء للكنيسة، وممكن أن يكون هذا العطاء لأكثر من دافع، ممكن يعطى العطاء بناء على إلحاح من شخص، وممكن يعطى العطاء لأجل ذيوع صيته بين الناس، أو من أجل الكاهن يقول عنه فلان الفلانى أعطى، وممكن أيضاً يكون نوع من الدعاية لعمله، كمحامى أو محاسب أو تاجر، مثل من يهنئون فى أيام الأعياد ويعلنوا عن شركاتهم، فهل حقيقة هؤلاء يهنئوا من أجل التهنئة فى ذاتها، أو هى نوع من أنواع الدعاية والإعلان عن المكان والعنوان، ويوجد البعض يعطى العطاء لله لأجل الخير، فقد تكون هناك دوافع مختلفة لفعل الإنسان، لكن بضميره يقدر أن يعرف نفسه أكثر، ويقدر أيضاً الروح القدس الذى أخذناه يعطى إرشاد وتعاليم يجعل الإنسان لا يغالط، فالإنسان ممكن أن يغالط الناس، لكن من الداخل يحس أنه يغالط. فكيف يشعر الإنسان بنفسه؟ من طول خبرة الإنسان مع الله حواسه تتدرب فيقدر أن يعرف، وكل ما يمتلأ الإنسان باطنياً تزداد حساسيته ويقدر أن يعرف دوافع أفعاله.

وأيضاً يوجد فى كل وصية جانبين، جانب ظاهر وجانب خفى، الجانب الظاهر هو السلوك الظاهر، والإنسان يقدر أن يعرفه حسب نصوص الكتاب المقدس الواضحة، فالوصية تقول: لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، فأمام النصوص يقدر الإنسان أن يعرف مخالفته للوصية، ويعرف هل هو يعمل بالوصايا العشر أم لا... هذا هو السلوك الظاهر، لكن أيضاً بالروح وبالضمير وبفاعلية الروح القدس يقدر أن يعرف الجانب الخفى وهى البواعث الداخلية.

١٧ - عقوبة الكاذب

سؤال: هل عقوبة الكاذب مثل السارق ومثل القاتل ومثل الزانى؟

الجواب:

الكذب، والسرقة، والقتل، والزنى، كلها خطايا، وخطيئة واحدة تكفى لأن تحرم الإنسان من ملكوت السماوات، إذا كان متعلقاً بها، أو إذا مات متلبساً بها، وهذا معنى قول الكتاب: «من سقط فى واحدة فقد سقط فى الكل» بمعنى أن الساقط فى خطيئة واحدة فقد سقط فى الكل، كالطالب الذى سقط في العربى، ولكن نجح فى الإنجليزى والفرنساوى والطبيعة والكيمياء فهو ساقط ولا يمكن أن ينجح، فمن سقط فى واحدة فقد سقط فى الكل، فإذا كانت هناك خطيئة واحدة يتعلق بها القلب، ويموت الإنسان متلبساً بها فهى تكفى لهلاكه فى جهنم، ولكن إذا كان هذا الأخ يسأل هذا السؤال ويقصد الجزاء الأخروى، فطبعاً الجزاء الأخروى يختلف من واحد لآخر، بحسب النية وبحسب الوسيلة وبحسب الإيذاء والنتيجة التى حدثت من خطيئته ومضارها، وهذه مقارنات يدرسوها طلبة اللاهوت فى اللاهوت الأدبى، ليعرفوا المقارنات فى المسئولية، والمسيح له المجد يقول: لأنه لو صنعت فى صور وصيدا القوات المصنوعة فيكما لتابتا قديماً فى المسوح والرماد، ... الحق أقول لكم أنه ستكون لسدوم وعمورة يوم الدين حالة أكثر إحتمالاً مما لكِ، كلمة أكثر إحتمالاً أو أخف وطئة، معناها أنه يوجد درجات فى العذاب الأخروى، لا تقدر أن تقول أن المجرم الكبير مثل من أخطأ فى خطيئة واحدة، حقاً كلهم ساقطين وراسبين لكن درجة العذاب ليست واحدة، مثل مجموعة من تلاميذ سقطوا، لكن واحد أخذ ١٩ من ٤٠، فهو ساقط بناقص نمرة واحدة، وواحد آخر أخذ واحد من ٤٠، وواحد أخذ ١٥، كلهم ساقطين لكن الدرجة ليست واحدة، وهكذا بالعكس أيضاً فيما يتصل بدرجات القداسة، الدرجة الدنيا التى قال عنها الكتاب: «بدون القداسة لن يرى أحد الرب» القداسة درجة النجاح، لكن القديسين ليسوا فى مرتبة واحدة، قال: «الفاهمون يضيئون كالجلد والذين ردوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور» وقال: «أن نجماً يمتاز عن نجم فى المجد» وقال: «كل سيأخذ أجرته بحسب تعبه» إذن الأجرة تختلف بحسب التعب، فكلما كان هناك تعب كان هناك جزاء أعظم، إذن هناك تفاوت فى درجات الجزاء سواء فيما يتصل بالقديسين أو فيما يتصل بالأشرار.

١٨ - التأديب والإمتحان

سؤال: مارأيك فى التأديب أو الامتحان؟

الجواب:

كان فى الإمكان أن الله يمنع التجربة، لكن لكى يعطى حرية للتصرف، فالله لو منع القاتل أن يقتل، لما ظهر شره، والقاتل عنده الحرية أن يقتل أو لا يقتل.

هذا من جهة ومن جهة أخرى أن الإنسان المظلوم أو الإنسان المقتول أو الإنسان المسروق والإنسان الذى يصاب نتيجة أخطاء الآخرين، أيضاً لماذا سمح الله بالظلم أن يقع عليه؟ هنا ممكن أن يكون مجال للإمتحان أو مجال للتأديب، لأن الله بذلك أعطاه الفرصة لكى يقدر أن يظهر ثباته فى الإيمان، وثباته فى الفضيلة، وثباته فى إحترام مبادئ الإنجيل. وممكن أن يكون الظلم هو تجربة وإمتحان فعلاً للإنسان، لكن ما نريد أن نؤكده أن الله لا يمكن أن يكون المصدر الأساسى للتجارب. ومن هنا يجب أن نصحح تفكير الناس الذين يقولون: الله ابتلانى وكأن الله سبب هذه المصيبة، لا.. هذا تفسير خاطئ، الله لا يمكن أن يكون هو الذى يسئ للإنسان، أقصى ما فيها أن الله يسمح بالبلية أن تقع من أجل فائدة الإنسان. لكن الله لا يمكن أن يكون مصدر أساسى للبلية أو الشر، لا.. قد تكون أنت السبب وقد يكون السبب أشخاص يريدون أن يأذوك، وقد يكون الشيطان نفسه، إنما الله لا يمكن أن يكون مصدر أساسى للتجربة.

١٩ - الروح يشتهى ضد الجسد

سؤال: الروح يشتهى ضد الجسد والجسد يشتهى ضد الروح من ينقذنى من جسد هذا الشر، ثم يقول هل فى الجسد شر؟

الجواب:

هذا الكلام قاله بولس الرسول: أن الروح يشتهى ضد الجسد والجسد يشتهى ضد الروح وكلاهما يحارب الآخر، وهذا معناه أن الروح بإعتبارها نازلة من فوق من السماء من عند الله، ولها طعام سماوى فطبيعى أن الروح روحانية وطعامها روحى، والطعام الروحانى يختلف عن الطعام الجسدانى، فطبيعى أن الروح من حيث هى على صورة الله تشتهى ضد الجسد، والجسد يشتهى ضد الروح، هذه المضادة بين الجسد والروح ليست فى الميول ولكن فى التعارض الطبيعى الموجود بين طبيعة الروح وبين طبيعة الجسد، ونقول أن شهوات الجسد ليست خطأ بالنسبة للجسد إلا عندما يأخذ منها الجسد أكثر مما هو فى حاجة إليه. لكن قد يحدث هذا التعارض لبعض الناس وخاصة فى المرحلة الأولى من مراحل التوبة، عندما يكون إنسان فى الخطيئة ويريد أن يتوب، يحدث هذا الصراع وهذه المشادة، وذلك لأن رغبته فى التوبة والحياة الجديدة فى المسيح لها متطلبات، فى الوقت الذى فيه العادات الرديئة والخطيئة التى تعود عليها لها نداءاتها، فيصبح الإنسان فى حالة صراع، رغم أن بعض العادات الرديئة قد لا تكون كلها أخطاء من الجسد، بقدر ماهى أيضاً أخطاء من الروح التى تدنست وتلهت بخطايا الجسد وميوله وأصبحت مع الجسد طبيعة واحدة، فيصبح الإنسان فى هذا الشكل فى صراع بين إثنين، متطلبات الروح فى أصلها التي تعلمها عن طريق الوعظ والتعليم والتوبة من ناحية، وبين الخطيئة التى أصبحت موجودة فى جسمه، ونتيجة خطيئة الروح مع الجسد، هنا مرحلة الصراع التى تسبب هذا الاضطراب والتوتر مابين القوتين، والحرب التى تحدث للإنسان فى المرحلة الأولى من التوبة، لكن بعد فترة يحدث للبعض أن يمتد فى حياته الروحية فيقدر أن يطوى الجسد تحت رغبات الروح، وبهذا تسقط قيود الجسد وتموت حياته الجسدانية، تماماً مثل سفينة الفضاء أو أى قمر من الأقمار، لكى تُرْسَل لابد أن تدفع بصاروخ ذات قوة شديدة لكى تخرج من مجال الجاذبية الأرضية، وعندما تصل خارج هذا المجال بسنتيمتر واحد فهى لا تحتاج إلى أى قوة دافعة لأنها دخلت إلى مجال

جاذبية القمر، بالعكس تحتاج إلى قوة ضابطة لكى تنزل ببطء على سطح القمر، مثل الطائرة أو السيارة عندما تنزل من مكان مرتفع إلى مكان منخفض فهى لا تحتاج إلى استخدام الماتور بل قد يحتاج إلى الفرامل حتى تقف، كذلك الإنسان فى حياة التوبة، فى البداية يكون فى مرحلة الصراع الفظيع بين القوتين، حياة الفضيلة، وحياة الرذيلة، لدرجة أنها قد تسبب له فى بعض الأحيان أمراض وتسبب مايسمى بالكبت، وبعض الأمراض النفسية والعصبية، وهذه الحالة مفروض أنها تنحل نتيجة قوة كبيرة روحانية، وشحنة روحية قوية لتدخله فى حياة التوبة والفضيلة، وكلما دخل هذا المجال أكثر كلما أنتصر فى حياة الفضيلة، لكن لو وقف في الوسط فى حالة الشد والتوتر، سيتمزق لو طالت به فترة العذاب بين القوتين، التى تشده للفضيلة والأخرى التى تشده للرزيلة وهذا مايسموه الإنفصام النفسى، لذلك يحتاج الإنسان خاصة فى المرحلة الأولى من مراحل التوبة إلي شحنة جبارة، وإلى وسائط معينة تحيط به لكى تدفعه إلى طريق الفضيلة.

٢٠ - الشهوة فى القلب

سؤال: كثيراً ما أجد نفسى ذاهباً إلى الخطيئة بالرغم من معرفة عقابها، وأجد ضميرى يوبخنى وبالرغم من ذلك أفعلها؟ علماً بأننى مواظب على الصلاة والإعتراف؟

الجواب:

هل تعرف لماذا؟ لأن هناك شهوة فى القلب، توجد كلمة قالها الله لقايين: قال يا قايين عند الباب خطيئة رابضة إليك إشتياقها وأنت تسود عليها، الله يعطيه إنذار أو تنبيه ، توجد خطيئه تريدك أن تقع، عند الباب خطيئة رابضة إليك إشتياقها، وكلمة إشتياقها يعنى أنت تريد أن تعملها، فصاحب السؤال يقول: أجد نفسى ذاهباً إلى الخطيئة، هل أنت مسوق؟ لا.. الإنسان كائن عاقل، لا يستطيع أحد أن يغصبك على عمل شيء أنت لا ترضاه، الإنسان يحاول أن يتنصل من المسئولية، والشيطان عندما ظهر لحواء وحاول أن يقنعها، هل هو غصبها؟ لا... هو مجرد ناقشها فى الموضوع، لكن هى بعد ذلك نظرت الشجرة شهية للنظر، هى التى مدت يدها..

٢١ - الأفكار الشريرة(١)

سؤال: أحياناً أكون متعب من أفكار شريرة ومستسلم لها ماذا أفعل؟

الجواب:

لا تترك نفسك للأفكار الشريرة، الذكى يبصر الشر فيتوارى، عندما تضع نفسك مع الشر فى البيئة الشريرة، تجد أن أفكارك أصبحت شريرة، ولذلك يقول: «المعاشرات الردية تفسد الأخلاق الجيدة» فالمفروض أن الإنسان يهرب من المثيرات التى تأتى له بالأفكار الشريرة، ولكن يهرب إلى أشياء أخرى تأتي له بأفكار جيدة، ولذلك ينصح الإنسان ليس بالصلاة والصوم فقط، ولكن أيضاً بالقراءة فى الكتاب المقدس والقراءة فى الكتب الروحية المفيدة، ومعاشرة الناس القديسين، إذا عاشرت أشخاص أفاضل تأخذ منهم وتكتسب منهم، وهذا الكلام ظاهرة طبيعية وسليم جداً، أحياناً واحد يدخل مكان ومجرد دخوله المكان إذا كان إنسان تقى، تخرج منه إشعاعات تؤثر عليك، لأن فعلاً الإنسان فيه كهرباء، كلمة «أنفاس الآباء الأطهار» هذه حقيقة، فكيميائياً أن الإنسان الطاهر نفسه يكون طاهر لو حللته كيميائياً، الإنسان النجس كيميائياً تركيبة نفسه مختلفة عن الإنسان الطاهر، وكذلك عرق الإنسان الطاهر غير عرق الإنسان النجس، هذا الكلام ليس خرافات، هذا الكلام صحيح علمياً وكيميائياً، لأن العوامل النفسية تؤثر على الجسد، عن طريق الهرمونات والغدد الصماء فهى تلعب الدور الوسيط، عندما تكون فرح تجد إفرازات طيبة صحيحة لجسمك، يقول: الكلام الطيب يسمن العظام، عندما يصل لإنسان خبر مزعج أو مؤلم قد يصاب فى الحال بمرض سكر، وأحياناً فى بعض الأحيان يموت، أو على الأقل يظهر على وجهه إنتفاخ أو يصير لونه أسود، لأن الإنسان كله الروح والجسد واحد، فإذا انفعلت الروح ينفعل الجسد، فعن طريق الغدد الصماء يحدث إفرازات، هذه الإفرازات تؤثر علي الجسم، لذلك يقول: «الهم فى قلب الرجل يحنيه» وأحياناً الإنسان عندما يسمع كلمة مثيرة يقول: فلان عكر دمى، وبالفعل لو تم تحليل الدم كيميائياً ستجده اختلف، وهذا كيميائياً وعلّمياً صحيح، لأن تعكير الدم بالإنفعال المؤلم يغيره، عملوا تجارب على الحيوانات فأحضروا قطة ليروا أثر الإنفعالات عليها، فأكلوها ثم حبسوها في قفص له

---

(١) محاضرة بكنيسة الشهيد مارجرجس بإمبابة الجيزة - مساء الأحد ١٤ من أغسطس ١٩٨٨م - ٨ من مسرى ١٧٠٤ ش.

فتحات ضيقة، بحيث أن القطة لا تقدر أن تخرج منه، ثم أحضروا كلب وسلطوه على القطة، فالقطة انفعلت وكانت تريد أن تخرج ولا تقدر، فذيلها نفش وظهرها تقوس ثم سلطوا عليها أشعة فوجدوا أن الأكل الذى أكلته تحجر.

٢٢ - كيف أتغلب على الغضب؟[١]

سؤال: كيف أتغلب على «النرفزة» لأننى كثيراً ما أثور على الآخرين؟

الجواب:

النرفزة تعبير يعنى الغضب، أول شيء تَعوّدَ على أن تصمت أمام الموقف المثير، اجعله تدريب لك، لأنك لو تصرفت وأنت منفعل ستخطئ، فلذلك تغلق باب الإنفعال من أوله، أول حاجة تعملها أنك تدرب نفسك علي الصمت. وأحياناً اترك المكان، وأخرج منه، لأن وجودك فى المكان يساعد على الإثارة وإمتداد الإنفعال، فاترك المكان حتى تهدئ بالتدريج وتملك أعصابك. ثانياً فى الفترة التى أنت فيها صامت بعد أن تكون تعودت على الصمت أمام الموقف المثير، فكر من داخلك ربما تكون أنت السبب فى هذا الموقف، وحينئذ تلوم نفسك لأنك تسببت أن هذا الأخ أهانك أو كلمك كلمة أغضبتك، هذه المراجعة لا تتاح لك إلا إذا عَوّدت نفسك علي أن تكون هادئ، حتى تعطى لنفسك أن تتساءل بينك وبين نفسك إن كنت أنت المخطئ أو هو المخطئ، لا نستطيع أن نتكلم عن علاج للنرفزة إلا بعد أن نتدرب على فضيلة الصمت، كما يقول الكتاب: «الضابط شفتيه عاقل»، وكما يقول يشوع بن سيراخ «ضع لكلامك ميزاناً ومعياراً ولفمك باباً ومزلاجاً» أى اغلق على فمك وهذه تحتاج إلى شيء من التحكم فى اللسان وضبط اللسان، وهذا يلزمه تدريب سابق على الصمت، إذا دربت نفسك علي الصمت فأنت دربت نفسك على أنك تغلق فمك، كما يقول الرسول يعقوب: «ليكن كل إنسان مسرعاً فى الإستماع مبطئاً فى التكلم». عود نفسك على أن تكون مبطئ فى التكلم، إذا تدربت أولاً على الصمت. يأتى وقت من الأوقات تجد أمامك موقف مثير ومع ذلك أنت لا تواجهه بالنرفزة وإنما تضبط الإنفعال.

---

(١) سؤال أُجيب عليه فى إجتماع الخدام والخادمات بكاتدرائية الشهيد مارجرجس - الفيوم- مساء الأحد ١٢/٦/١٩٧٧م - ٥ بؤونه ١٦٩٣ش.

٢٣ - الأنانية(١)

سؤال: كيف يتخلص الإنسان من الأنانية؟

الجواب:

الأنانية هى التركيز على النفس، الكتاب المقدس يقول: «معتنين بأمور حسنة ليس قدام الله فقط بل قدام جميع الناس أيضاً». المسيحية تُعلّمنا أن الواحد يهتم بغيره، مقدمين بعضكم على بعض فى الكرامة، أول محاولة هى أن يخرج الإنسان عن نفسه، فالشابة أو الشاب بعد الزواج يشعر أنه ملزم أن يهتم بالطرف الآخر أكثر من نفسه، ولذلك الحقيقة أن الزواج مجال لهذه التجربة التى فيها الإنسان يهتم بغيره أكثرُ من نفسه، من هنا الواحد يقدم زوجته عن نفسه لا لأنها أكثر كرامة منه، ولكن إهتمام منه، فعندما يدخل إلي المنزل يقدم زوجته لتدخل أولاً أو يقدم إبنه كنوع من الإهتمام والاطمئنان عليهما، لذلك نرى فى الحياة الزوجية عندما يولد الطفل نجد الطفل يكون موضع الإهتمام والتركيز للأب والأم، فهنا الأنانية معناها أن الإنسان يهتم بنفسه فوق إهتمامه بالغير ويقول: أنا وبعدى الطوفان، ... لكن نحن فى المسيحية نتعلم أن الواحد ينظر لغيره قبل أن ينظر إلى نفسه، ولذلك الكتاب يقول: «حب قريبك كنفسك»، ومن هو قريبى؟ السيد المسيح ضرب أمثلة وعَرّفنا أن قريبى هو الذى يعمل معى الخير. فلابد أن الفرد ينظر لغيره قبل أن ينظر لنفسه، طبعاً المفروض أنك تفكر وتهتم بنفسك وتهتم بشخصيتك وتكوين شخصيتك هذه مطلوبة، لكن لا تكون عنايتك بنفسك على حساب غيرك، ولذلك الشريعة قالت: حب قريبك كنفسك، ولم تقل أنك تُبغض نفسك، بغضة النفس سيئة لأنها قد تؤدى إلى اليأس، إنما أن تحب نفسك هذا مطلوب، ولذلك يجب أن تجمل نفسك بالفضائل وتعد لنفسك مستقبلها، لكن لا يكون هذا على حساب غيرك، فكونك تحب نفسك إلى حد معين هذا مطلوب بل يجب أن يكون، والرسول بولس قال: «أقمع جسدى وأستعبده حتى بعد ماكرزت للآخرين لا أصير أنا نفسى مرفوضاً»، أنا يهمنى خلاص نفسى، فلا يصل إهتمامى بالآخرين أنى أنا أهلك، لا... أهتم بغيرى وأهتم بنفسى، حب قريبك كنفسك، لم يقل أن الإنسان يبغض نفسه، بل عندنا فى الكتاب المقدس يقول: «لا يُبغض أحد جسده بل يغذيه ويربيه، فالإنسان فى تكوينه لشخصيته لابد أن يحب نفسه إلى حد معين ولكن ليس على حساب الآخرين.

---

(١) سؤال أُجيب عليه فى محاضرة صباح السبت ٢٤/٣/١٩٩٠م - ١٥ من برمهات ١٧٠٦ش.

٢٤ - من سيفصلنا عن محبة المسيح...؟[١]

سؤال: فى رسالة القديس بولس الرسول إلي رومية أصحاح ٨ «من سيفصلنا عن محبة المسيح، أشدة أم ضيق أم إضطهاد أم جوع أم عرى أم خطر أم سيف» ويقول فى موضع آخر: «لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ملائكة ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة، ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخري تقدر أن تفصلنا عن محبة الله فى المسيح يسوع» فهل يستطيع كل مؤمن فى طريق جهاده الروحى أن يقول هذا الكلام؟

الجواب:

الرسول بولس يتكلم هذا الكلام، وهذا الكلام لا يخصه وحده، ولذلك يقول «من سيفصلنا» بالجمع، إذن هو يعبر عن حالة ممكن أن تنطبق على كل المؤمنين، والمفروض أن تكون فى جميع المؤمنين، لأنهم بتعلقهم بالمسيح ومحبة المسيح صاروا يستهينوا بالشدائد والضيقات والإضطهادات وكل أنواع الآلام، وهذا حدث بالنسبة للشهداء القديسين، هذا الكلام ينطبق عليهم، من سيفصلنا عن محبة المسيح أشدة أم ضيق أم إضطهاد أم جوع أم عرى أم خطر أم سيف؟؟ هنا بولس الرسول يعبر عن مبدأ ممكن ينطبق وفعلاً انطبق على كل المسيحيين وانطبق على الشهداء، هذا كلام مارسه الشهداء فعلاً، لم تستطع قوة لا شدة ولا ضيق ولا إضطهاد ولا عرى ولا خطر ولا سيف أن يفصلهم عن محبة الله التى فى المسيح، فمثلاً بوليكاربوس الذى يُعَدّ تلميذ يوحنا الرسول، وهو من الآباء الرسوليين، كان سنه ٨٦ سنة فلما مثل أمام الملك قال له: أنت رجل شيخ فى السن ولا تستطيع أن تتحمل العذاب والآلام، فأنا أشفق على شيخوختك، وبخر للأوثان واترك مسيحك، قال له: أنا عشت ٨٦ سنة مع المسيح وأحبنى وأحسن إلىّ، فكيف تطلب منى أن أشتم هذا المحسن إلىّ، ماذا صنع لى من شر حتى أسئ إليه؟ والقديس إغناطيوس عندما جاءوا يربطوه بالسلاسل لكى يأخذوه بأمر الملك، فإنحنى وقَبَّلَ السلاسل. فكان منظر مؤثر جداً أن ينحنى ويقبل السلاسل، فذُهل العسكر الذين جاءوا ليأخذوه. فعندما تقرأوا سير وتاريخ الشهداء شئ جميل جداً، وفى إخميم منطقة يسموها ساحة الشهداء، لأن أخميم واسنا من أكثر البلاد المشهورة فى بلادنا المصرية بالبسالة، فمن ضمن المناظر المؤثرة التى كانت تحدث فى ساحة الشهداء، أن الشهداء كانوا يخرجوا جماعات بفرح وسرور

---

(١) سؤال أُجيب عليه بمعهد الدراسات القبطية - مساء الأربعاء ٢٢/ ٢/ ١٩٧٨م.

ويرتلوا وهم ذاهبين للإستشهاد، وقصص فى إسنا عجيبة فمثلاً ثلاثة من الفلاحين جروا لكى يستشهدوا مع الشهداء، فلما لم يجد الجنود سيف ليضربوا به أعناقهم، أعطوهم فؤوسهم ليستعملوها بدلا من السيف.

هذا هو الفرح والسرور والرضى أمام الموت، يقال أن نيرون كان يدهن المسيحيين بالقار ثم يأتى بالليل ويشعل فيهم النار لكى ينيروا، فأذهله وهو يمر أنه كان يجد هؤلاء الناس يموتوا وهم مبتسمين، فتظل الإبتسامة على وجوههم بعد موتهم، فكان يقول: هؤلاء كيف يقابلون الموت بالإبتسامة؟

فكلام بولس الرسول لم ينفرد به هو، ولم يقوله كشىء ينطبق عليه وحده، وإنما كل مسيحى أحب المسيح وعرفه تهون أمامه كل الشدائد والضيقات، بل ويقبل على الإضطهاد بفرح وسرور، وعندما نقرأ فى تاريخ الشهداء تجد كيف كانوا يجروا نحو الإضطهاد ولا يهربوا منه بل يعتبروا أن هذا شرف لهم، لدرجة أن القديس اغناطيوس وهو ذاهب للإستشهاد فى روما، فوجد المسيحيين يحاولون أن يرشوا الجند لكى ينقذوه ويهربوه، فكتب لهم رسالة مؤثرة جداً تعد من التراث الخالد للمسيحية، يرجوهم فيها أن لا يعيقوه عن الإستشهاد لأنه اقترب من الوصول للمسيح فلا يعطلوه، وأن إعطائهم رشوة للجنود لكى ينقذوه ليست محبة، وكان اسلوبه مؤثر جداً، ماهذه البسالة وماهذه الشجاعة؟ مع الأسف نحن اليوم أمام تجربة بسيطة نتذمر ونقول ماذا عملنا نحو ربنا؟ ولماذا يعمل الله معنا هذا؟ أنواع من التذمر كثيرة، فرق كبير بين روح أجدادنا وآبائنا حينما كانوا فى فترات الإضطهاد عندما كان لهم الفرح بالإضطهاد، ونحن الذين نهرب من الاضطهاد من أجل المسيح، فنجد واحد يسمى اسم ابنه اسم مايع يمشى فى كل الإتجاهات، هذا يدلنا على الفرق الواسع بين روح الميوعة الدينية الموجودة عندنا اليوم، وبين البسالة والشجاعة التى كانت موجودة عند آبائنا وأجدادنا، ولذلك كنيستنا نسميها كنيسة الشهداء، ونحن أولاد الشهداء ولكن كما قال الشاعر:

ورثنا المجد عن آباء صدق — أسـأنا فى ديـارهم الصنيـعا
إذ المجـد التليـد توارثتـه — بناة السوء أوشك أن يضيعا

٢٥ - تسكين الحواس

سؤال: كيف نُسّكن حواسنا ونهرب من مشغوليات العالم أثناء الصلاة؟

الجواب:

أولاً تهرب من المثيرات، ثم صلى وارفع صوتك فى الصلاة لكى تمنع شرود الذهن.

٢٦ - قساوة القلب

سؤال: ماذا أفعل إذا كانت قساوة قلبى تجعلنى أرفض تأديب الرب، ولا أستطيع أن أقول كلمة: أقوم الآن وأذهب إلى أبى؟

الجواب:

لماذا تسألنى إذا كنت تعرف أنك قاسى القلب، وأنت تقسى قلبك وتجاوب على نفسك بعدم قيامك وذهابك إلى الآب، يا ابنى كل هذا الكلام لا لزوم له أبداً، أنت لا تريد، لا داعى لمثل هذه الكلمات التى تقولها «لا أستطيع، أنا غير قادر...» هذه الكلمات خطأ وهذا نوع من التمحك والتنحل والهروب من المسئولية، أنت تقدر إذا أردت..

٢٧ - لا تصدق نفسك... النية ناقصة[١]

سؤال: واحد يقول: أنا لم أتغير أبداً على الرغم من قيامى بكل الممارسات الروحية، وأطلب من الله بإستمرار أن ينقى قلبى، لكنى لم أحس بأى تغيير فى حياتى، فأنا أتأثر بالكنيسة وبالوعظ، لكن فى التنفيذ عمرى مادبرت أى شىء، بالرغم من وجود النية والعزم على ذلك؟

الجواب:

لا.. يا ابنى النية الصادقة غير موجودة فلا تصدق نفسك، لا تصدق أن عندك نية أنك تسير مع الله، لو كان عندك النية تستطيع أن تحقق ماتريد، فلا تصدق نفسك، النية ناقصة، إن كنت تريد فكل شىء مستطاع للمؤمن، إن كنت تريد... إنما لا تكذب، إن كنت تريد ابدأ بنية صادقة وابدأ بصلاة، قل له: أنا أبدأ ياربى من الآن وساعدنى، كلمة «ساعدنى» معناها يعطيك ساعده، مامعنى يعطيك الساعد؟ معناها أنك أنت هو الأساس أنت الأول، أنت الذى تبدى رغبتك أولاً والله يعطيك يده، كمثل واحد واقع فى مستنقع ويطلب المساعدة، فإذا كان الشخص لا يريد، إذا أحضروا له ونش لا يستطيع أن ينتشله لأنه لايريد، فلا تصدق نفسك، هذا الكلام أنا أسمعه كثيراً، إنسان يقول لى أنا غير قادر، لا.. مستحيل أنت لا تقدر، لأن الله أعطاك القدرة وتستطيع أن تصنع أشياءً كثيرة جداً، الإنسان عنده قدرات خلاقة، فلا تتمحك أبداً وتقول أنك لا تقدر وأنت عندك النية، مستحيل تكون نيتك صافية، مستحيل تكون نيتك صادقة، لو النية صادقة تقدر أن تعمل كل شىء، أى إنسان يكون عنده النية يستطيع أن يعمل كل مايريد، أحياناً عندما إنسان يريد أن يتزوج يقف أمام كل الأسرة، ويتحدى الجميع ويتمم مايريد.

---

(١) سؤال أُجيب عليه فى كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل بالمنصورة صباح الجمعة ١٦/٦/١٩٨٩م - ٩ بؤونه ١٧٠٥ش.

٢٨ - الفتور فى الصلاة

سؤال: كيفية التغلب على الفتور فى الصلاة؟

الجواب :

من ضمن الأسباب الكبيرة للفتور، هى الحياة النمطية، وعلاج الفتور فى هذه الحالة أن الإنسان يلجأ إلى التغيير، لذلك القديسين أحياناً كانوا يفرحوا بالتجارب وبالآلام لأنها توقظهم وتقيهم وتثبتهم.

أيضاً نصيحة أخرى قبل أن تصلى اقرأ الكتاب المقدس لكى تجمع أفكارك، وتجد فى الكتاب المقدس مادة توقظ شعورك أثناء الصلاة. أيضاً من الأفضل أن تصلى بصوت عالى، لأن الصمت أحياناً عند بعض الناس يساعد على شرود الذهن، فالصوت العالى يساعد على التركيز، وأيضاً صلى بنغم، كذلك حضور الإجتماعات الدينية، واللقاء بأشخاص تستفيد منهم يعطيك مادة جيدة للتفكير فيها.

٢٩ - التصفيق والتهليل فى الكنيسة

سؤال: أنا سيدة مسيحية وحزينة جداً لأن الشعب فى الكنيسة كل يوم فى عيد الميلاد وعيد القيامة، كل ما قداسة البابا يقول اسم وزير يصفقون ويهللون، هل هذا يصح فى بيت الله؟

الجواب :

طبعاً لا يصح، ولا يحدث هذا أبداً فى معبد آخر غير الكنيسة، لم يحدث أن أحد يعنى مثلاً.. ماعلينا، إنما عندك حق فى هذا السؤال.

٣٠ - الوحدة بين الطوائف

سؤال: كيف يمكن توحيد الطوائف الثلاثة الكاثوليك والبروتستانت والأرثوذكس؟

الجواب :

لابد أن هذا سيحدث ولكن بتدخل إلهى، تنتهى هذه المسائل كلها وسيكون الإيمان الأرثوذكسى هو الإيمان الواحد الوحيد. ونحن الآن في المرحلة الحاضرة الناس اقتربوا بعض الشىء بسبب المؤتمرات.

٣١ - الحروب الروحية

سؤال: ماهى الحروب الروحية؟

الجواب:

الحروب الروحية قد تكون حروب القوات الروحية المضادة لنا، أو أحياناً تكون حرب الجسد، فالقوات الروحية تتصارع، الملائكة الأخيار والملائكة الأشرار وهم الشياطين يتصارعوا علينا، أحياناً بطريقة ظاهرة وأحياناً بطريقة غير ظاهرة، فالحروب الروحية أنواع، منها حروب القوات الروحية المضادة بما تعمله من معاكسات فى حياة الإنسان، كما قال الرسول بولس: المشتكى على جنسنا، وقال فى موضع آخر: لئلا أرتفع من فرط الإعلانات أُعطيت شوكة فى الجسد، فحتى لا يتكبر ويرتفع من فرط الإعلانات سمح له الله بهذه التجربة أن الشيطان يلطمه، وبهذه اللطمة أصابه بأمراض جسدية، ويبدو أنها مرض جلدى، ولكن الله حتي لا ينكسر بولس، جعل هذه الخرق التى يأخذوها من على جسده ويضعونها على المرضى فتشفيهم، هذا هو التوازن الروحى الذى يراعيه الله فى حياة القديسين، فحتى لا يتكبر ويرتفع من فرط الإعلانات يسمح له بأن الشيطان يضربه، لأن الشر يأتى من الشيطان ولا يأت من الله أبداً، يسمح له بهذا المرض حتى تنخفض وتنكسر نفسه، وهذا نوع من حفظ التوازن.

وتوجد حروب من الجسد، مثل الميول والشهوات والنزوات والرغبات وما إليها.

٣٢ - النوم فى الكنيسة[١]

سؤال: واحدة تقول: عندما أدخل إلى الكنيسة وفى أثناء القداس أحس بالنوم أو بتفكير عميق فى أى شيء، بحيث لا أدرى بالقداس والعظة التى بداخل الكنيسة، فماذا أفعل؟

الجواب:

هذه حرب طبعاً، وهذا يدل على أن الحياة الدينية ليست عميقة فى القلب، لأنه لو كان هناك باعث دينى قوى ماكنت تحسى فى حضرة الله بالنوم، أى إنسان منا حتى لو كان يحس بالنوم، لو دخل إلى مكان مشدود إليه لابد أن النوم يطير منه، فهذا الموضوع معناه فتور لهذا الإنسان.

ماذا أفعل؟ أولاً تدرك أن هذا خطأ ولابد من تصحيح هذا الخطأ، بأنها تندم على هذا الفعل وتضغط على نفسها وتطلب من الله السماح، وتبدأ بمقاومة هذه العوامل وتعتبرها عوامل شريرة وليست طبيعية.

٣٣ - كيف أصل إلى محبة الله من كل القلب؟

سؤال: كيف أصل إلى محبة الله من كل القلب؟

الجواب:

أولاً: بأن تتأمل صنيع الله معك، وتأملك فى هذا الصنيع يلهب قلبك فى محبة الله، أنت عندما تحب شخص، ماالذى يدفعك أن تحبه؟ عندما ترى أن هذا الشخص أدى إليك خدمات طيبة جداً فتتعلق به لأنه خدمك ولأنه أحبك. فمحبة الله تأتى أولاً بالتأمل فى صنيع الله معنا، ولذلك تجد القسم الأول من القداس كله عبارة عن مناجاة وتأمل فيما صنع الله بنا، أولاً فى الجنس البشرى كله، منذ بدء الخليقة، نتأمل فنقول: الله العظيم الأبدى الذى جبل الإنسان، على غير فساد، فالقسم الأول عبارة عن تلخيص لأعمال الله، ونفس التسبيح والترنيم الذى نسميه بالتسبحة هو فرش للقداس، كل هذا التسبيح عبارة عن الترديد لأعمال الله، هذا الترديد يلهب قلب الإنسان، باركى يا نفسى الرب ولا تنسى كل حسناته، فإن كنت تريد أن تصل إلى محبة الله؟ فأولاً تأمل فى عمل الله مع الناس، ومعك أنت شخصياً، وبعد ذلك تصلى وتطلب مزيداً من نعمة الله عليك، لكى تعطيك الموهبة التى بها تزيد محبتك لله، لأن المحبة تمنح كعطية بالصلاة وبالعبادة.

---

(١) أُلقيت بكنيسة العذراء والقديس أثناسيوس بدار السلام بمصر القديمة في ١٤/٥/١٩٨٧م.

٣٤ - هل تتعارض المسيحية مع الكرامة؟

سؤال: هل تتعارض المسيحية مع الكرامة، وكيف التعامل مع الآخرين من خارج الكنيسة؟

الجواب:

المسيحية لا تتعارض مع الكرامة أبداً، بل بالعكس.. لكن يوجد بعض الناس يفهموا الكرامة كنوع من العنجهية، لكن ما معنى الكرامة فى ذهن صاحب السؤال؟ هذه مسألة أخرى، لأن فى بعض الأحيان نفهم الكرامة أو نستخدم الكرامة بأسلوب آخر، وأحياناً نسمى الرذيلة باسم أحلى من حقيقتها، وهذه طريقة مستمرة فممكن إنسان يسمى الغش فى الإمتحان إغاثة الملهوف، وذلك لأن الرذيلة دائماً كما يقول البعض تمشى بخطوات وئيدة لكى لا توخز الضمير، فلا تمر علي الضمير واضحة، لكن لابد أن تلبس لباس آخر غير لباسها لكى لا توخز الضمير، فكثيراً من الرذائل تسترت بستار آخر غير ستارها. كالرشوة ممكن أن تأخذ اسم هدية، عندما تقول كلمة هدية فهى كلمة جميلة لكى يستريح الضمير.

أريد أن أقول أن صاحب السؤال يذكر كلمة الكرامة، وهى كلمة حلوة، لكن هل حقيقة أن الخلافات التى تنشأ بين الناس فى حقيقتها سببها أن الإنسان شعر أن كرامته أُعتدى عليها، وفى بعض الأحيان الإنسان من أجل السلام يدوس على كرامته. لكن من دون أن يكون فى هذا أى تعارض. بل بالعكس فى مرة سيدة كان عندها حُمَّى فأحضروا لها الطبيب، وفى أثناء الكشف عليها صفعته على وجهه، ففزع أهل المنزل فهدأهم الطبيب وأعلمهم أنه لم يغضب بالعكس أحس أن هذا دليل على أن الحمي صعدت إلي المخ، فالطبيب أحس أن هذه الصفعة لم تتعارض مع كرامته لأنها صادرة من إنسانة مريضة، ففى بعض الأحيان الإنسان عندما يشتم من آخر ويتحمل هذه الشتيمة أو الإهانة، يتحملها على أساس أنه نظر إلى هذا الإنسان نظرة الطبيب إلى المريض، وهذا هو الأسلوب المسيحى، لذلك قال الكتاب المقدس عن المسيح: «أنه إذ شُتم لم يشتم عوضاً»، المسيح وجد من ضربه على خده فلم يضرب هذا الضارب بل لفت نظره، فالمسيحية لا تتعارض مع الكرامة، لذلك نقول عن الإنسان الذى يعيش فى الشهوات أنه هو الذى يدوس على كرامته، لأنه ينزل هذه الكرامة الإنسانية إلى مستوى الحيوان، كثيراً من الناس يتبذلوا فينالوا إحتقار الآخرين نتيجة الخطايا التى يصنعونها، فى الوقت الذى فيه لا يتحملون كلمة من إنسان، فيغضب ويحس بأن كرامته أُهينت، فلا يستطيع أن يضبط نفسه عن أن يرد الشتيمة بشتيمة، ويظن أن هذا نتيجة إحتفاظه بكرامته، فى الوقت الذى نراه داس

على كرامته الحقيقية، كرامة الإنسان المخلوق على صورة الله، بتبذله وتدنسه ووقوعه أو خضوعه للعادات الرديئة التى تنزل من مستواه الإنسانى، فالمهم استخدام الألفاظ بدقة وأن يكون اللفظ على قدر المعنى.

٣٥ - أصحاب الساعة الحادية عشر[١]

سؤال: يسأل عن مثل أصحاب الساعة الحادية عشر، ومساوتهم فى الأجر بمن هم أصحاب الساعة الثالثة والسادسة والتاسعة؟

الجواب:

كلمة أصحاب الساعة الحادية عشرة هذا معنى غير معنى القديسين الكبار والقديسين الصغار، أصحاب الساعة الحادية عشرة مبنية على أن صاحب العمل وجد ناس معطلين عن العمل، فأرسلهم للعمل فى كرمه فى الساعة الحادية عشر، فى الوقت الذى يوجد عنده عمال يعملون من الساعة الثالثة وآخرون من الساعة السادسة وآخرون من الساعة التاسعة، وفى الساعة الأخيرة من اليوم بدأ يوزع أجر العمال، سواء الذين من الساعة الثالثة أو السادسة أوالتاسعة أو أصحاب الساعة الحادية عشرة، فمن هم قبل الساعة الحادية عشر لاحظوا أنه سوى الأجر مابينهم وبين عمال الساعة الحادية عشر، فتذمروا، التطبيق الروحى يعنى أن أصحاب الساعة الثالثة والساعة الحادية عشرة؟ هذا من جهة التوبة والرجوع إلى الله، فالناس الذين رجعوا إلي الله متأخرين، يوجد من هم أسبق منهم، وهذا يحدث فى كل التاريخ، يوجد أشخاص يسيروا مع الله من الطفولة، وأحياناً من الشباب المبكر، وآخرين يسيرون فى طريق الضلال مدة طويلة، ثم تنبهوا فطلبوا التوبة ففُتح لهم الباب، فالمعني من تساويهم فى الأجر، هو من زاوية واحدة وهو القبول، إنما بعد ذلك سيكون هناك فرق فى الجزاء، نجم يمتاز عن نجم فى المجد، كل سيأخذ أجرته حسب تعبه، لكن من جهة مبدأ القبول أو التوبة فباب التوبة مفتوح، حقاً أنهم جاءوا فى آخر وقت، إنما مراحم الله قبلتهم، وهذا يحدث عندما إنسان قُبيل موته بوقت ضئيل يرجع

---

(١) أجيب عليه بمقر معهد الدراسات القبطية - مساء الإثنين ٢٣ من مارس ١٩٩٢م. - ١٤ من برمهات ١٧٠٨ ش.

لله، حقاً من بدأ من الطفولة أخذ إمتيازات أكثر، لكن هنا يريد أن يبين أنه بمجرد رجوع الإنسان فهو مقبول، لكن ليس بمعنى الجزاء، قد يكون من أتى فى الساعة الحادية عشر أتى بحماسة أكثر وحرارة أكثر وعمل صادق أكثر من بعض ممن جاءوا فى الساعات الأولى، وعندنا الأمثلة الكثيرة، مثلاً موسى الأسود كان زعيم عصابة وتاب فقُبلت توبته فى المدة الباقية من حياته، وأثمر أفضل من كثيرين من الذين بدأوا حياتهم من الطفولة، فهذا حسب الحماسة والحرارة الروحية والأعمال الصالحة، فالمهم الكم والكيف فى الحرارة الروحية. فمثلاً القديس أوغسطينوس كان فى شبابه شاب مستهتر وتاب، كان أستاذ كبير فى الفلسفة، فجاء متأخر بالنسبة لغيره، لكن المدة الباقية فى حياة أوغسطينوس كانت رائعة فى الإنتاج الروحانى، وفى العبادة، وفى الصلوات، وفى الوعظ، وفى التعليم، وفى الكتابة والتأليف وما إلى ذلك، حقاً أنه جاء متأخر لكنه استطاع أن ينتج فى القليل، فمثلاً من الناحية العلّمية ولو أنه قياس مع الفارق ، يصح جداً أن تلميذ يذاكر أول السنة، وآخر يلعب ولكن جاء فى آخر السنة وشعر بالواجب الذى عليه، فأدى مجهود كبير جداً، فقد يكون فى الحياة الروحية كذلك، فأوغسطينوس الحقيقة يمثل التوبة وحقيقة أنه جاء متأخراً لكنه استطاع أن يتعبد بحماسة وحرارة، كان أوغسطينوس يبكى بالدموع وهو واقف على المنبر ويتكلم، كان يُكشف عن عينيه فيرى، لأنه وصل إلى مراحل روحية عالية، فالمسألة منظور إليها من حيث أن الله يقبل الإنسان حتى لو جاء متأخراً، وهذا يعنى أن مراحم الله تتسع لقبول الخطاة حتى لو كانوا فى سن متقدم، وأيضاً من جهة أخرى أنه عملياً يحدث أن كثيرين من الذين يتوبون توبة متأخرة، يدخلوا فى الحياة الدينية بحرارة وحماسة وأعمال صالحة يفوقوا بها الآخرين.

وعندنا حتى فى المديحة يقول: حرامية ولصوص أصبحوا كهنة وقسوس، هؤلاء مثل موسى الأسود على الرغم أنهم جاءوا متأخرين، إنما الحرارة الروحية التى دخلت فيهم، وإدانتهم لأنفسهم، وتوبيخهم لأنفسهم والبكاء والدموع وأيضاً العمل الصالح والثمر أضعاف غيرهم، لأن المسيح يقول «من له يعطى ويزاد» أى من له ثمر ومن له عمل.

٣٦ - التمتع بالحياة الأرضية(١)

سؤال: هل الديانة المسيحية تحرم التمتع بالحياة على الأرض؟ وتدعو الإنسان أن يعيش حياته على الأرض بتقشف وبدون عواطف بشرية، حيث سمعت عظة من أحد الآباء قال بكل وضوح وصراحة: أن من يتمتع بحياته على الأرض ليس له نصيب فى الملكوت.

الجواب:

أنا الحقيقة أصبحت أشك عندما يأتي واحد ويقول لى فلان قال.... قد يكون الشخص الذى يروى هذه الرواية لم يفهم بالضبط ما يقوله الأب الكاهن أو غيره، لكن كمبدأ عام المسيحية لا تمنع التمتع بالحياة على الأرض، المسيح قال: «أنا أتيت لتكون لكم الحياة ولتكون لكم هذه الحياة أفضل». والمسيحى الحقيقى يحيا سعيداً على الأرض، والروحانيين يعيشوا فى الأرض سعداء، ولذلك الكتاب المقدس يقول افرحوا فى الرب وأقول أيضاً افرحوا، إنما موضوع التقشف فهذا بقدر الإمكان من أجل أن الإنسان لا تغلبه المتع الأرضية فيستغرق فيها، بهذه الطريقة ينطفئ قلبه نحو السمائيات والروحانيات. إنما ليس معناها الحرمان الكلى إنما معناها أن الإنسان يضع حداً لهذه الأمور، فنحن وإن كنا نمارس الصوم لكن نأكل ونشرب، بل بالعكس إذا توقف الإنسان عن الأكل فهذا نوع من أنواع القتل، فلابد أن الإنسان يأكل لقيام الجسد. فإذا لم يعط الجسد مقوماته هذا نوع من أنواع تدمير الحياة، الكتاب المقدس يقول: «لا يهلك أحد جسده بل يقوده ويربيه». ولذلك أى شىء تشعر أنه يضرك جسدياً يجب أن الإنسان يمتنع عنه، ويعتبر أن هذا خطيئة مثل التدخين والخمر وما إليها، لأنها مدمرة للصحة الإنسانية، فلا يعتبر أن هذا زهد منه أن يدخن، إذن يجب أن لا نغالى بل يكتفى أن يُعطى للجسد مقوماته، لذلك مفروض أن نوع الطعام يكون فيه بروتين ودهون وسكريات وأملاح وفيتامينات وما إلى ذلك. فالغذاء ليس فقط أنه حلال وإنما مطلوب للإنسان، لأن هذا الجسد أمانة، فلابد للإنسان أن يحافظ عليها. وكل شىء مدمر للجسد يعد خطيئة، فأخذنا بنصيب فى الأكل والشرب ليس خطأ، بل هذا نوع من أنواع الصيانة لهذا الجسم، أى هو من مقومات الجسد، لكن ليس تحت اسم الزهد أو تحت اسم التقشف أدمر الجسد، لا... فى المسيحية نحن نضبط الجسد، نمسك اللجام حتى لا يرتوى أكثر فأكثر من الأمور الجسدية وأيضاً

(١) أجيب عليه بمعهد الدراسات القبطية - مساء الإثنين ١٩٩٢/٦/٨م.

من التى تدمر الجسد، فنحن إذا أكلنا زيادة عن المفروض أو شربنا أكثر من المفروض فهذا يدمر الجسد، لكن إذا أخذنا بالقدر اللازم لقيام الجسد فهذا ليس حرام بل مفروض أن أعمل ذلك وإلا فإنى مخطئ ضد جسدى، بل يعد هذا من أنواع الإنتحار البطئ وهذا خطأ فى المسيحية، فهذا الكلام ليس معناه أننا نسيطر على الشهوات، لا.. مسك اللجام ليس معناه القتل، لكن نعطى للجسد حقه فيما يقوم به الجسد، والنص الموجود «لا يهلك أحد الجسد بل يقوده ويربيه». خطأ أن الإنسان يهلك جسده، ولا يعتبر هذا زهد ولا تقشف أبداً، التقشف فى المسيحية ليس بمعنى أن الإنسان يدمر جسده ولكن يضبط نفسه عن شهواتها، لئلا ترتد هذه الشهوات وتدمر الجسد، لأن كثرة الأكل وكثرة الشرب تضر الإنسان وتدمر الجسد.

٣٧ - فضيلة الثبات[(١)]

سؤال: أنا إنسان أحب الله جداً جداً، ولكن فى نفس الوقت ضعيف جداً جداً، أتأثر بسرعة بتيارات العالم، وأى مشكلة تؤثر فىّ وممكن بسهولة أقع؟.

الجواب:

هذا يدل على أنك محتاج إلى الثبات، وهذه الفضيلة التى يقول عنها القديس أوغسطينوس فضيلة الثبات، الإستمرارية، ولذلك قال: «تمسكوا بما عندكم»، و،هنا تمسكوا بمعنى امسك، الإنسان عندما يحس أنه سينزلق يثبت رجليه فى الأرض، فإذا كنت فعلاً تحب المسيح جداً جداً، فتحتاج إلى الثبات، وأيضاً كونك أنك تسقط هذا يدل على أن محبة العالم مازالت فيك، لو كان الواحد يحب المسيح جداً جداً تنطفئ من قلبه محبة العالم، العالم هنا ليس بمعنى الكون، العالم بمعنى خطايا العالم وشهوات العالم، فلو أنك أنت تأملتها لعرفت أن هذه الأمور زائلة، وأنها لا تستحق أن الإنسان يبيع علاقته بالله فى سبيلها، فالمسألة تحتاج منك إلى ثبات، ولذلك أنت محتاج إلى الصلاة ومحتاج إلى القراءة فى الكتب المقدسة وفى الكتب الدينية، وتبعد عن التيارات الشريرة والبيئة التى تفسد حياتك، وكن فى بيئة طيبة لكى تساعدك أن تثبت، مثل أبونا إبراهيم اعتزل من أرضه ومن عشيرته ومن بيت أبيه وعاش فى الخيام، لكى يقدر أن يصون نفسه وفعلاً نما فى الفضيلة.

---

(١) سؤال أُجيب عليه فى ٧ من أغسطس ١٩٨٨ - أول مسرى ١٧٠٤ش.

٣٨ - فائدة الخلوة

سؤال: لماذا السيد المسيح كان يذهب إلى موضع خلاء ليصلى؟

الجواب:

الحقيقة أن السيد المسيح يرسم أمامنا الطريق الأفضل، وخصوصاً بالنسبة للكهنة ورجال الدين، فكرة الذهاب إلى الطبيعة والخلوة والسكون والصلاة، حتى أنه بعد أن صنع معجزة الخمس خبزات يقول: صرف الجموع وبعد ذلك ذهب إلى الجبل، وهذا هو المنهج الذى يجب أن يتبعه رجال الدين، بعد أن ينتهوا من صرف الجماهير لابد أن يلجأوا إلى الخلوة الروحية التى تزودهم بطاقة روحية، لكى يقدروا بعد ذلك أن يواجهوا الخدمة برصيد جديد، بعد تعويض مافرغ منهم، ومن الخطأ أن يؤثر ضغط الخدمة على الإنسان لدرجة أنه لا يستطيع أن يكون له فرصة للإمتلاء الروحى، قد يضطر رجال الدين لذلك، لكن من الخطأ أن الإنسان يترك نفسه تحت اسم الخدمة، ولا تعطى له فرصة هدوء لكى يمتلئ من جديد ويعوض بدلاً من الرصيد الذى فُقد.

٣٩ - مراجعة النفس

سؤال: ما هى أهم العناصر التى يجب أن تؤخذ فى الإعتبار لتكون مراجعة النفس دقيقة. وهل يكتفى بالمراجعة الشفوية أم التحريرية، وهل المراجعة تكون شاملة للإيجابيات أيضاً أم أن هذا يؤدى للكبرياء الداخلية، وهل هذا يدفع إلى دقة أكثر وسمو فى الفضيلة وكشف داخلى أعمق، ما هو أنسب موعد لمحاسبة النفس، هل هو قبل صلاة النوم أم بعدها، أم قبل النوم مباشرة؟

الجواب:

أولاً المبدأ نفسه هو المحاسبة، وعلى الإنسان أن يختار الوقت المناسب له، ربما يكون الوقت المنطقي أكثر هو فى نهاية اليوم لكى يراجع الإنسان حساباته، فتسأل ماذا عملت وفيما أخطأت وفيما أصبت، قد يكون هذا أفضل كقاعدة عامة، إنما ممكن أن يحدث إختلافات فردية بين واحد والآخر، والإنسان منا محتاج إلى هذه المراقبة، وعندما يتدرب عليها يجد نفسه يحاسب نفسه بعد كل ساعة أو بعد كل حديث أو بعد كل لقاء، تجد عقله مباشرة يعمل عملية محاسبة، لكن هذه المحاسبة يجب أن لا تكون مصحوبة بطريقة سوداوية، لئلا تؤدي إلي العبوسة وتؤدى إلى الوسوسة، إنما نحن نريد المحاسبة التى معناها أن الإنسان يراقب نفسه، وبدون يأس يتقدم إلى الأمام.

الإنسان فى حياته الخاصة يحتاج لا أن يراجع نفسه فى نهاية اليوم، لكن فى أثناء النهار أيضاً يراقب الإنسان نفسه ويحاسب نفسه على أى تصرف أو أى انفعال بعد حدوثه مباشرة، وهكذا المراقبة المستمرة يتعود عليها من دون أن يكون هناك يأس أو ضيقة أو عبوسة، صاحب السؤال يخاف أن هذا يؤدى إلى الغرور، لا... هذه الطريقة لا تؤدى إلى الغرور، بالعكس ممكن الإنسان يخاف أكثر أنها تؤدى إلى اليأس لأن من يحاسب نفسه بهذه الطريقة يكتشف خطأه الكثير والقديس غريغوريوس النيسى الذى تكلم عن الروحانية العالية ودرجات ومقامات الروحانية، يقول أن أول خطوة يعملها الإنسان، وأول فضيلة أو أول عتبة فى سلم الفضائل، هى أن يعرف الإنسان نفسه، بأن يدخل إلى داخل نفسه، وكيف يدخل الإنسان لداخل نفسه؟ عندما يغلق على نفسه الباب فترة من الوقت، والسيد المسيح عندما يقول: «اغلق بابك» لا يقصد باب الحجرة الخارجية رغم أن هذا مفيد، إنما أيضاً يقصد باب الحواس، لأن الحواس تسمى أبواب المعرفة، فالإنسان يهدأ ويسكن ويتأمل ويدخل إلى أعماق نفسه لكى يكتشف نفسه.

القديس غريغوريوس النيسى يقول: أن الإنسان بعد أن يدخل إلى أعماق نفسه يصاب بالحزن، أقول هذا الكلام لكى صاحب السؤال يطمئن، وهنا ينتقل الإنسان لمرحلة أخرى يسموها **مرحلة الدموع**، لأن حزنه على نفسه يشتد جداً لأنه فهم نفسه، دخل إلى داخل نفسه فاكتشف القذارة واكتشف الأوساخ، ونظر الحالة على حقيقتها، كان فى البداية يرى من الخارج، المظاهر خداعة، الإنسان ينظر المنظر من الخارج جميل، ومن الداخل يجد أشياء أخرى، الإنسان كثيراً ما يكون مخدوع من نفسه.

المهم أن الإنسان يستبطن نفسه، ويكتشف نفسه، وهذه تحتاج إلي هدوء لفترة معينة يغلق الإنسان على نفسه، ليس فقط الباب الخارجى للحجرة، ولكن أيضاً يغلق أبواب الحواس، ولا شك أنه سيحزن، هذا الحزن يسميه القديس غريغوريوس النيسى مرحلة الدموع، بعض الناس فى إحدى المراحل الروحية يتولاهم بكاء مستمر، لا يستمر كثيراً فى هذه المرحلة لأنه ينتقل إلى المرحلة التالية، فأعتقد أن الإنسان مهما صنع لن يصاب بالغرور، الغرور يأتى للإنسان الذى لا يعرف أن يدخل داخل نفسه.

٤٠ - متى أصلى صلوات السواعى؟[١]

سؤال: متى أصلى صلوات السواعى؟

الجواب:

صلوات السواعى عملت من أجل كل ساعة تصلي فى وقتها، لكن أعتقد أن السواح والعباد والنساك والذين يعيشون فى المغارات وليسوا فى الأديرة، هم الذين يقدروا أن يصلوا كل ساعة فى وقتها، لكن فى الغالب فى المجتمعات سواء كان المجتمع العام فى العالم، أو حتى فى مجتمع الدير، تكون هناك واجبات وارتباطات للبعض، لا تجعل هناك إمكانية خصوصاً للراهب المبتدئ، أن يوجد فى قلايته بإستمرار فى المواعيد المفروض فيها تأدية صلوات الساعات، لأن عليه واجبات يفرضها الدير ويفرضها عليه مجتمع الدير، وكذلك من باب أولى الإنسان الموجود فى العالم، فبالنسبة لهؤلاء الناس المرتبطين بقوانين معينة وبنظام معين، ممكن الآتى:

بالنسبة للإنسان الذى فى العالم ننصح له بأنه قبل أن ينزل إلى عمله، إن كان موظف أو طالب يصلى صلاة باكر والثالثة، وفى هذه الحالة لا يقدر أن يصلى ١٩ مزمور لباكر و١٢ مزمور للساعة الثالثة، إنما يكتفى بمزمور أو إثنين من كل صلاة مع بعض القطع، على قدر مايمكن أن يكيف نفسه مع ظروفه ومع واجباته والمواعيد المطلوب منه أن يراعيها، ولو أمكن أن الشخص فى حدود ربع ساعة لإنسان مشغول فى العالم، إذا كان طالب أو موظف، ولو أمكن يكون أكثر من ربع ساعة، نصف ساعة أو ساعة، بحسب ما يستطيع أن ينتزع من وقته، ليمكنه أن يتمتع بفترة صلاة أطول، لكن لا أقل من ربع ساعة بحد أدنى يصلى فيها باكر والثالثة، وطبعاً بطريقة مختصرة فى وقت ضيق من هذا القبيل.

ثم بعد أن يعود يصلى السادسة والتاسعة، قد يقتضى الأمر أنه يتناول وجبة الغذاء ثم يستريح أو ينام بعض الوقت، ثم يقوم ليباشر المذاكرة أو يباشر عمل آخر، ثم بعدها الغروب والنوم، وبعد أن ينتهى من عمله بالليل، قبل النوم يصلى نصف الليل، آبائنا فى القديم فى المجتمع الزراعى كانوا يناموا ٨ مساءاً ويقوموا وفى نصف الليل يصلوا نصف الليل. لكن أصبح فى المجتمع الحديث لا يوجد إمكانية أن الإنسان ينام الساعة ٨ مساءً، فعلى الأقل من ١٢

---

(١) سؤال أُجيب عليه فى كنيسة العذراء بدير مارمينا العجائبى - مساء السبت ١٤ من يوليو ١٩٨١م - ١٧ من بؤونه ١٦٩٧ ش.

إلى ١ صباحاً، ويوجد أشخاص تتأخر عن ذلك كل واحد حسب ظروفه، وطبعاً من الأفضل أن يكون ذلك تحت تدبير أب الإعتراف حتى لا تستقل برأيك.

أما من جهة الراهب فى الدير أو تلميذ الرهبنة؛ فمفروض أنه مهما كان من مسئوليات الدير، أن وقته أوسع من الإنسان الموجود في العالم، لأن حياة الرهبنة معناها الصلاة التى بلا إنقطاع، فإذن يصلى، ومفروض أن يكون عنده وقت أطول يعطيه للصلاة، وعليه أن يشارك فى الصلوات مع الآباء الرهبان فى الدير فى المواعيد المحددة، إنما إذا كان هناك عائق يقدر أن يصلى بقلايته.

وهناك صلوات أخرى يُكملها أثناء العمل، إنما كون أنه يشدد على نفسه ويلتزم بقانون معين هذا فى غاية الأهمية.

صلوات وابتهالات وتأملات[1]

(١) كثير من هذه التأملات مأخوذة من مذكراته الخاصة، ومؤرخة حسب تاريخ كتابتها.

ماذا علَّمتنى الحياة؟

عَلَّمتنى الحياة دروساً لم نعرفها فى المدارس والجامعات، دروسا ثمينة وقيّمة وغالية فقد حصلنا عليها بالمعاناة وبالألم. ولذلك كانت ولا تزال عندى ثمينة كما أنها لن تُنسَى من ذاكرتى، فقد نفذت إلى شِغاف القلب. وحفرت فى الجهاز العصبى وفى أنسجة الجسم مجارى عميقة وأخاديد غائرة فى داخل العقل والنفس والأعصاب، وانتقشت حتى على اللحم والجلد والعظام.

علَّمتنى الحياة دروساً كبيرة، لم نتلقنها فى المدارس والجامعات، لكنها ليست مع ذلك تتعارض أو تتناقض أو حتى تختلف مع ما درسناه فى المدارس والجامعات وربما فى الغالب كان لها فضل التكميل والتتميم لما درسناه على المعلِّمين وعلى الكتب، ولقد أثبتت التجربة العملية صِحة ما درسناه من قبل وأكدته، ثُمَّ زادت عليه جديداً ثُمَّ جديداً، ولذلك أرى نفسى تلميذاً يتعلَّم فى كل يوم جديداً، ويُضيف إلى حصيلة الماضى جديداً يتمم الماضى، ويجلوه، وأحيانا يوضحه ويفسره، وأحيانا ينقده ويصححه. فالجديد يسير على خط مستقيم مع الماضى، لا يُعارضه ولكنه يتممه. وهما معا يسيران فى خط أمامى وتقدّمى صاعد إلى خير أعظم، للنفس فى رحلتها الطويلة التى بدأت ولن تنتهى لأنها رحلة أبدية، إلى الله.

علَّمتنى الحياة من بين ما علَّمتنى أن أتريث فى أحكامى على النّاس، وعلى الأشياء، وأن أضبط الانفعال بالحكمة، وأسيطر على العاطفة بالعقل. ولقد تعلَّمتُ أن أنظر إلى العقل فى الإنسان ليس فقط على أنه شرف الكائنات الناطقة الحرة الخالدة، بل وعلى أنه العقال المحكم الذى يَعقِل به الإنسان إنفعالاته وعواطفه فيضبطها ويربط عليها فلا تندفع بنا إلى الخطأ ولا تسوقنا إلى الطياشة والتهوّر.

وعلَّمتنى الحياة أننى إذا رغبت فى أمر وأردته بصدق، فأنا قادر على أن أصل إليه. فإنى آمنت بأنّ لدى الإنسان إمكانات هائلة أودعها الله فيه، وهى كفيلة بأن تجعله إلهاً فى هذا الكون، يخلُق، ويصنع مصيره. ولقد تبيَّنتُ صدق ما قاله اكليمنضس الإسكندرى إن الله العظيم خلقنا لنكون آلهة، فلقد زودنا بطاقات وقوى جبارة هى كامنة فى النفس البشرية التى خلقها الله على صورته ومثاله، فالنفس الإنسانية قَبَسٌ من الألوهَة على الأرض، ويوم أن خلق الله آدم وحواء «باركهم الله وقال لهم انموا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها

وتسلَّطوا على سمك البحر، وعلى طير السماء، وعلى كل حيوان يدب على الأرض، وعلى كل الأرض» (التكوين ١: ٢٨، ٢٦) وليس أعظم من هذا السلطان إلا سلطان الله ذاته الإله الأعظم الذى منح من عنده للإنسان هذا السلطان على الأرض وعلى الطبيعة الحيّة وغير الحية، ليكون الإنسان على الأرض ظل الله فيها، يشبهه، وإن كان لا يساويه.

وعلَّمتنى الحياة أن أُحِبَّ الطبيعة، وأنَّ الطبيعة هى كتاب الله المنشور فى الكون، ولذلك فإنى أحترم قوانين الطبيعة كما أحترم الكتب المقدّسة، لأن كلا منهما من عمل الله، وكلاّ منهما يدعم الآخر، يؤيده ويشرحه ويفسره، ولم أجد بتاتاً تعارضاً بينهما. إنى أجد فى الطبيعة ما يؤيد الكتاب المقدّس، كما أجد فى الكتاب المقدّس دستوراً للحياة الصحيحة الناجحة روحياً وجسدياً. إنهما عندى صنوان وتوأمان لا غنى لى بالواحد عن الآخر.

وعلمتنى الحياة أن أكتشف سِراً من أعظم أسرار الوجود أهمية : «العَودُ دائماً وفى كل شىء إلى الطبيعة «و» العود دائماً وفى كل شىء إلى الصورة الأصلية فى طبيعتها الأولية قبل أن تتُلفها أو تُشوّهها أو تخفيها عوامل أخرى خارجية، وأن أفتش دائما عن الأعماق ولا أقنع بالعوم على السطوح... فقد قال المسيح له المجد : «تقدَّم إلى العُمقِ وألقوا شِباككم لِلصَيد» (لوقا ٥ : ٤).

وعلّمتنى الحياة أن لا أُسىء الظنَّ بالنّاس، وبالحياةِ، وبالأشياء، وأن افترض الخَير قبل أن افترض الشر. وقد رأيتُ حتى فى القتلة واللّصوص نوازع للخير وللمروءة والشهامة والنبل. كلّ ما هُنالِك أن نوازع الخير فى أولئك الأشرار قد غطتها وطغت عليها الجهالة والغباوة والطياشة والاندفاع. فالأشرار جهلة وأغبياء ومرضى، وأكثرهم قابلون للشفاء لو وجدوا القائد الحكيم، والطبيب الرَّحيم، والمربِّى الصالح، الذى يسعى بروح الأُبوة ليبرز لهم جمال الخير، ويُعينهم لينتصروا على نزواتهم وشهواتهم وأعمال طياشتهم. ومن هنا قيمة المربين والمصلِحين ورجال الدين...

وعلَّمتنى الحياة أن الشرَّ والخير يتصارعان فى دُنيانا، وأنَّ الشر أكثر نشاطاً فى هذه الحياةِ الحاضرة، وأنه يطارد الخير مطاردة بغير هوادة، ويسعى سعياً حثيثاً متواصلاً ليمد نطاق سلطانِه على كلّ الأرض، ووسائله فى ذلك كثيرة ومتنوعة ومغرية وجذابة، ولذلك فإنه غالبا ما ينتصر على الخير فى الدنيا. ومملكته تمتد، وأتباعه من كل جنس

ولون ودين. والغريب أنَّ بعض من يزعمون أنهم أعداؤه يتبعونه فعلاً وإن كانوا يُنكرونه قولاً، ويحاربون معه وتحت لوائه، وإن ظَنُّوا أنهم يُقاومونه ويهدِمون أعماله، فهم أضداد للخير وهم لا يعلمون، وأعداء للفضيلة وهم لا يدرون ولا يشعرون بذلك إلا لِماماً.

وأما الخير فلا ينتصر إلا أخيراً، وغالبا ما ينتصر فى الحياة الأخرى أما فى الدنيا فنادراً ما ينتصر. لأنَّ الشر يعرف أنّ فرصته الوحيدة هى فى هذه الدنيا، فلابد أن يكافح ويناضل عن وجوده لينتصر ويسود «عالماً أنّ له زمانا قليلاً» (الجليان - الرؤيا ١٢: ١٢).

أمّا الخير فسلطانه أبدى. والحياة له هنا وهناك، فى الدنيا وفى الأخرى. فما ينقصه هنا فى الدنيا يظفر به هناك فى الأخرى. فطوبى للمناضلين من أجل الخير. إنهم سينتصرون أخيراً حتى لو بدا أنهم فى الدنيا مهزومون، وسيكسبون أخيراً حتى لو بدا أنهم فى الدنيا خاسرون، فالله عادل وعدله أبدىّ، وحيث أن العدل غير مستقر تماماً فى الدنيا، فلابدّ من عالم آخر تستقر فيه العدالة ويأخذ كل ذى حق حقه لأن الحقَّ أبدىّ، إذ أن الله هو الحق وهو العدل وهو الحياة بغير نهاية.

علمتنى الحياة والأيام(١)

علمتنى الحياة والأيام، أن أكون متريثاً فى الحكم على الناس، وأن أكون متريثاً أيضاً فى تكييف المواقف والأحداث..

علمتنى الأيام أن الخير والشر يتصارعان فى حياتنا الدنيا صراعاً بغير مهادنة، وأن الشر عادة يغلب الخير فى الدنيا، لكن الغلبة الأخيرة هى للخير ولكن بعد صراع مرير... والخير يملك فى الحياة الأخرى ... وبقدر ما يبذل الأخيار فى الدنيا من جهد وتعب، بقدر ما يعظم إكليلهم، وجزاؤهم ومجدهم فى الحياة الأخرى.

علمتنى الأيام أن كل مشكلة لها حل، وأن المشكلة لا تظل مشكلة إلى الأبد، بل لا تلبث أن تتحرك الحياة، فينجلى الموقف، لأن هناك الله مدبر الكون... ولذلك لا ينبغى أن يقلق الإنسان كثيراً أمام المواقف الصعبة، ولكن يصلى وينتظر، ولا يلبث أن يجد للمشكلة حلاً...

---

(١) كتب فى فرانكفورت بألمانيا فى ١٩ من سبتمبر ١٩٧٨م - ٩ من توت ١٦٩٥ ش. ونشر بمجلة مدارس الأحد -السنة ٣٦ - العدد ٤ - ص ٤، ٥

علمتنى الأيام أن أنتحل لكل إنسان العذر، فرب إنسان يعمل شراً دون أن يقصد شراً... فقد يكون شره عن جهل... وقد يكون شره عن غير تبصر بالنتائج... أو عن إندفاع أو دفاعاً عن نفسه... أو عن قلة إدراك ...

علمتنى الأيام أن أكون بعيد النظر فى كل شيء، فلا أتسرع ولا أندفع وأن أتطلع إلى الأمام بروح الرجاء فى المستقبل، وأن أكون مؤمناً بالله مدبر الكون ومديره أنه يستطيع بتدخله أن يُغَيِّر الأحوال، وأن يقود الأمور إلى الخير على غير ما يتوقعه الإنسان فى النظرة الأولى...

علمتنى الأيام أن أنظر أولاً إلى القيم الأبدية، وهى عادة القيم الروحية.. فهى وحدها الباقية. وأما غيرها فعرض زائل.

علمتنى الأيام أنى إذا انفعلت بالغضب أن أتوقف قليلاً عن الكلام وعن التصرف، حتى أهدأ، فكلما تكلم الإنسان وهو فى انفعال الغضب أخطأ فى القول أو فى التصرف... لأن الانفعال والتعقل دائماً متعارضان والتعقل فى ضبط الغضب... ولكن حتى لا يتحول الانفعال المكبوت إلى ضرر فى صحة الإنسان، ينبغى أن يصلى ويطلب العون.. ويراجع بعد ذلك النظر إلى الموقف لعله يجد ذاته ويكشف الحل...

وعلمتنى الأيام أن أكون زاهداً فيما للناس، وأن أكون طموحاً فى عمل الخير.

علمتنى الأيام أن الحياة مسرح يصعد إليه الناس فرادى ومجتمعين، كل يؤدى دوره فيه ثم ينزل من على المسرح ليصعد إليه غيره... وما من إنسان صعد إلى المسرح وبقى هناك إلى الأبد، بل لابد له من أن ينزل بعد أن يؤدى دوره ... والمهم ليس هو الدور ذاته، إن كان دور سيد أو خادم... إنما المهم هو إتقان الإنسان للدور الذى يقوم به... إن تقييم دور الإنسان هو فى مدى إجادته لدوره... فطوبى لإنسان عرف أن يتقن دوره، أيا كان هذا الدور، وطوبى لإنسان كان إلى جانب الخير.

علمتنى الحياة والأيام أننى كلما اكتسبت معرفة أو خبرة، يجب أن تتحول عندى إلى عمل. فلا جدوى من علم أو معرفة ما لم يتحول إلى ممارسة، تبنى شخصيتى كما تبنى غيرى.

محاسبة ... للنفس

تأملى يا نفسى فى نهاية العام المنصرم، كيف مرّ وذهب وانصرم منك دون أن تشعرى شعوراً كاملاً بانصرامه وبالوقت الذى ذهب منك ذهاب الريح.

يجب عليك أن تقيّمى حياتك فى هذا العام الذى انقضى، والذى به قد انتهت أيضاً فترة طويلة من عمر حياتك على الأرض، وقد أوشك عمرك على الغروب ولئن كنت لا تعلمين على الحقيقة ماذا تبقى من صفحات كتاب حياتك، إلاّ أنه مما لاشك فيه أن الذى مضى من حياتك هو الغالب الأكبر، وأن ما بقى هو القليل الأصغر. انظرى يانفسى إلى ما انصرم من عمرك وهو الكثير وإلى ما بقى منه وهو القليل ثم اعتبرى واتعظى، إن الطالب الذى يشرف على الشهر الأخير من العام الدراسى يهتم بسبب قلة الزمن الباقى له قبيل الامتحان..، ويتولاه الكثير من الهم والغم والألم النفسى المحض والقلق، إذ يشعر بأنه غير مستعد الاستعداد الكافى للتقدم إلى الامتحان النهائى. لقد أنجز فى دراسته بعض ما ينبغى إنجازه ولكن بقى عليه أن ينجز الانجاز الناجح، والممتاز، ولا يدرى إذا كان الوقت الباقى إلى يوم الامتحان يكفيه ليقوم بمهمة الإعداد الكامل للإمتحان النهائى، فما هو قولك أنت فيما يتصل بيوم الموت الذى قد يأتيك فى أى لحظة ولا تكونين مستعدة الاستعداد الكامل لهذا اليوم الكبير والخطير. وسوف لايكون وقت، إذا جاء، للإعادة أو الإعارة.. سوف يأتيك على غرة...

هل قمت يانفسى بواجباتك كما ينبغى؟ هل أديت صلواتك وأصوامك ،وقراءاتك بروح الورع والتقوى الصادقة والمحبة الإلهية غير الغاشة؟ هل كنت فى كل ذلك منصرفة إلى وجهه تعالى ولا تبتغين فيه شيئاً آخر؟ هل كنت تشعرين بسعادة حقيقية وأنت تمارسين عباداتك، وهل غبت عن الوجود الحسّى، مندمجة فى سيدك وراعيك بمحبة كاملة وفرح روحانى غامر؟

وهل آثرت حقا واجباتك الدينية عن أى عمل آخر مهما بدا لك مهماً وضرورياً وملحّاً، وعاجلاً؟.

هل كانت صلاتك يانفسى عبادة نافلة؟ وهل كانت بنية العابد، الذى يتعبد قلبيا وباطنيا لسيد واحد؟ هل تغلبت على الفتور والكسل، وغالبتِ النوم؟ وهل سرت الحرارة فى قلبك وكل أعضاء الجسد؟ أم صليت ولم يحدث لك من الحب والحرارة ما يحسه القديسون على الحقيقة.

بسؤالك، أو سؤال لكِ، أجيبى عليه يانفسى بأمانة وصدق : هل تشعرين أنك سائرة فى طريق القديسين؟، وبلغة أخرى هل أنتِ فعلاً من القديسين؟ ألا تعلمين أنه بدون القداسة لن يعاين أحد الرب؟

أنت التى تتكلمين عن القداسة، ما هو نصيبك منها. هل أنت نقية الفكر، نقية القلب، طاهرة اليدين من الظلم ومن سرقة حقوق الله وحقوق الكنيسة وحقوق شعب الله؟ هل أنت طاهرة الجسم والبدن؟ هل أنت طاهرة العينين؟ هلِ أنت طاهرة اللسان والفم؟.

ثم هل أديتِ واجباتك نحو الله بأمانة وبصورة يرضى الله عنها؟

ابحثى يانفسى عن رضى الله أولاً، وفى كل شئ قولى: ماذا يرى الله فىّ؟ وهل هذا الفعل يرضيه هو أولاً.. لا تنظرى إلى نفسك أو إلى آخرين حتى لايكون لك إلاّ إله واحد ترضيه، وإلاّ كنت عابدة وثن وأنت لا تشعرين. فإن ذاتك قد تتحول عندك إلى وثن أى إلى إله آخر، قد يصير إرضاء الناس أيضا إلهاً آخر. جميل أن يرضى الإنسان غيره، ولكن من خلال إرضائه أولاً لخالقه. وإلاّ تحول الآخرون إلى وثن أو إلى أوثان أى إلى آلهة أخرى؟

إنفعالاتك أيضاً هل هى مقدسة وطاهرة؟ هل عشتِ للجسد وشهواته؟ ماهو نصيب الزهد الرهبانى فى حياتك؟

اسهرى واستيقظى وانتبهى. الرب يدعوك الآن تستغفرى عن ماضيك لتبدأى عاماً جديداً.

إنى أنظر إلى هذه السنوات الماضية وإلى حصادها، فى التقوى والعبادة والحياة المرضية أمام الله.. وانظر إلى ما صنعته فيها من خير يتناسب مع مسيرتى نحو الله، ونحو الأبدية.. وانظر متأملاً فى خدمتى لسيدى الرب، وهل خدمته بأمانة ونية سليمة وقلب مستقيم، وبغير هوى وبغير غرض سوى مجد اسمه تعالى. إننى يارب، وإليك وحدك أصلى أن تصفح عن تقصيرى وتصحح أخطائى وأسألك فى تذلل أن تغفر لى خطاياى، وأتضرع إليك أن تطهرنى وتنقينى وتجعلنى أهلاً لك وتصيرنى مستحقاً لأن أفنى فيك. باركنى ياسيدّى بركتك الإلهية، واشملنى برضاك، افتح عينىّ لأبصر مجدك، افتح قلبى ليفهم ويدرك ماوراء المنظور، زدنى إيماناً بك وبحكمتك، وزدنى رجاءً فيك وتعلقاً بك زدنى حباً عميقاً، وصادقاً لك أولاً، وهبنى قلباً متسعاً ليحب الجميع، وهبنى إتزانا وإعتدالاً وإنصافاً فلا أسىء الظن بأحد، ولا أظلم أحداً. باركنى لأنمو فى الفضيلة والمعرفة. باركنى ليكون

القليل من الخدمة بين يديك لنربح به الكثيرين، لحسابك ياسيدى ويا ربى ويامخلصى. اقبلنى لأكون عاملاً مخلصاً لك فى ملكوتك على الأرض وفى السماء. هيىء لى ياسيدى طريقى لتكون مفتوحة أمامى إلى الأمام وإلى العلو، فأنمو وأزيد وأتقدم. لست أدرى ماهو الزمن الباقى فى رحلتى إليك، وإلى السماء. ليتنى أعرف ولكننى أرجو أن تصحح مسارى بتدخل خاص، عندما تعوج بى الطريق، بغير علم منى، أو بنوع من السهو، أو حتى من فرط غباوتى أو جهالتى أو غفلتى.. دعنى أن أكون بين يديك، ممسكاً أنت بيمينى حتى لا أضل، وحتى أصل إلى ميناء السلام بأمان. استجب لصلاتى، أنا الغافل وقلبى ووقتى مشغول.. هبنى الحكمة الجالسة عند كرسيك فلا شىء عندى يمكننى أن أعتمد عليه أو يغنينى عنك، إنى أسجد أمام عزتك، سجود التسليم لإرادتك، واسترحمك على روحى وجسدى وكل كيانى. باركنى، واجعلنى حقيقة كما قلت لى «ربّانى» - لك المجد آمين..

الإنسان هذا الكائن المتناقض

إنه عجيب يا إلهى هذا الإنسان، يميل إلى الصمت حيناً وإلى الكلام حيناً.

يحن إلى الهدوء حيناً، وإلى الصخب والضجيج حيناً.

يحبّ الوحدة حيناً، ويحب الإجتماع بالناس حيناً.

بل يحبُّ نفسه حيناً، ويكره نفسه حيناً آخر. يشتهى الكسل حيناً، ويشتهى العمل حيناً.

أفهل أجرؤ فأقول، ليس هذا تناقضاً لكنه جانبان من حقيقة واحدة. والإنسان يجب أن يجمع بينهما كما يجمع بين جنبيه. كل جانب يكمل الآخر، ويقوّيه. والعاقل من جمع بين الجانبين جمعاً فى كُلٍ واحد متناسق، من غير إفتعال.

أنا حيّ لأنك أنت معى..

صلاة ومناجاة

أى سيدى الرب.. ها أنا أمامك. لقد بلغت من عمرى أكثره، فماذا صنعت فى هذه السنوات من عمرى؟ هل أشعر أننى أرضيت الرب إلهى أم أغضبته؟ هل أنا مطمئن إلى خلاصى الأبدى؟ أم أنا قلق على هذا الخلاص؟

هل أنا متعلق بالعالم وبشهوات الحياة وغرور الدنيا؟ هل عندى مطلب من مطالب الأرض أنا متشبث به؟ هل لى غرض مادى أو كسب من أى نوع، أشعر أننى لم أحققه، أو أريد أن أحققه؟

كلا يا سيدى: إذا كنت حقاً أفهم نفسى جيداً، فأنا لا أريد معك شيئاً على الأرض.. ليست لى شهوة أرضية ولا أشعر أننى متعلق بشىء غير شىء واحد، هو أننى أريد أن تكون حياتى لها معنى، ولها قيمة، ولها ثمر... أريد أن أكون أولاً مقبولاً أمام إلهى مرضياً عنده.. أريد أن أكون معروفاً فى السماء.. حتى يقبلونى فى المظال الأبدية.

أيها الرب إلهى املأ قلبى بالحب لكل أحد.. املأ قلبى بالحب للطبيعة ولكل الخليقة.. املأ قلبى بالحب للناس وللبهائم ولحيوان الأرض والبحر والجو.. اعطنى أن أشعر بصداقتى للناس جميعاً بغير استثناء ولا يكون فى قلبى حقد على أحد ولا كراهية لإنسان أو حيوان... امنحنى أن أكون صديقاً للحيوان وللطير وحتى للحشرات.. امنحنى أن أرى حبك فى كل موجود وفى كل خليقة.. امنحنى أن أحيا سعيداً على الأرض، سعيداً مع كل إنسان لا أبغض أحداً ولا أكره أحداً ولا أتمنى شراً لأحد- امنحنى أن أحب الخير لكل أحد، أتمنى له الخير وأسعى نحو الخير- امنحنى أن أحب الحق، وأكره الظلم.. وأسعى نحو الحق والعدل واطلب السلام لكل أحد.. امنحنى أن يتسع قلبى ولا يضيق.. يتسع قلبى للأحباء وللأعداء، للمسيحيين وغير المسيحيين، للأقوياء والضعفاء- إمنحنى أن أكون أداة خير فى هذا الوجود حتى أشعر أنه كانت لى رسالة.. ورسالتى هى رسالة سيدى. الذى أرسلنى إلى هذا العالم لتحقيق رسالة.. هبنى أن أشعر أننى مرسل من لدنك يا إلهى.. لست أنا نبيا ولكنى مرسل.. لم تقذف بى إلى هذا العالم على سبيل الصدفة أو الاتفاق إنما أنا مرسل لإتمام رسالة ... ولكن قبل أن أتكلم عن الرسالة امنحنى أن أفهم نفسى... إن نفسى عاصية علىّ، معقدة ولا أفهمها.. هل أنا يا سيدى مخدوع فى نفسى؟

هل أنا مغرور؟ هل أنا منفوخ؟ هل أعطى لنفسى حجما غير حجمها الحقيقى.. هل أنا متواضع حقا... أم أن تواضعى أيضاً هو غرور مستتر... هل أنا متواضع حقاً، أم إننى مشحون كبرياء، ولكنها الكبرياء الخفية التى لا يعلمها أحد، ولا أعلمها أنا عن نفسى... ماذا يا سيدى... أريدك أن تكون لى إلهاً وأكون أنا عبدك كل أيام حياتى.. عبدك بالحقيقة وليس عبداً بالقول واللسان.. ليتنى أن أصير مفطوماً عن كل لبن آخر إلا اللبن الواحد الوحيد.. اللبن الذى من عندك اللبن الذى فى كنيستك.. اعطنى سعة فى داخلى لأشرب من هذا اللبن ولا أشبع ولا أرتوى ولا أقنع بالقليل منه. إمنحنى جوعاً للبر وعطشاً لماء الحياة الأبدية. امنحنى أن افتح فمى لاهثاً نحو هذا الطعام الروحانى والشراب الروحانى ولا أقنع بالقليل منه ... اجعله لى هداية وفرحاً وسروراً ومتعة ونعيماً.. لقد فتحت فمى فلا تغلقه.. لقد فتحت أنفى فانفخ فيه من اكسير الحياة التى من عندك. افطمنى يارب من محبة الدنيا، واعطنى أن أرضع من عندك رضاعة طبيعية بغير إنتهاء.. والطعام الذى أطلبه هو طعام الملائكة بل طعام الحياة الأبدية.. إلى أين أذهب يارب لست أريد أن أكون عبداً إلا لسيد واحد.. لا كراهية منى للناس ولا كبرياء منى ولا نفخة باطلة. لكنى أريد أن يكون عقلى مشدوداً لك وحدك، وقلبى مشغولاً بك وحدك.. أريد أن أشعر إننى موجود من أجلك أريدك أن تباركنى بكل بركة روحية، وأن تنمينى فى كل فضيلة روحية... أريد أن تكون أنت وحدك إلهى... أما ذاتى فأنكرها... أما ذاتى فلتذب فيك ذوباناً.. أريد أن أمارس ما يسميه الروحانيون بالفناء والبقاء بعد الفناء.. الفناء عن ذاتى حقيقة وأما بعد ذلك فأنا باق، ولكن بقائى ليس فى نفسى ولا فى جسدى ولا فى العالم ولا فى إنسان ولا فى شىء... إنما بقائى يا إلهى منك.. بقائى فيك يا إلهى...

ولماذا تبقى لى ذاتى.. تبقى ولها كيانها المنفرد عن سيدى. إننى أريد أن أفنى فيك، أغوص فيك وأذوب حبا.. وأذوب فيك لأجد نفسى من جديد.. أجدها ولكن قد تحولت إلى صفاتك وخصائصك.. أجدها شيئاً آخر .. أجدها على صورتك ومثالك حقاً وحقيقة، أجدها جميلة طاهرة نقية مشرقة واضحة مقدسة .. كلها حب وكلها جمال وكلها فضيلة.. أجدها قطعة منك فى صفاتك الجميلة وكمالاتك الإلهية.

يارب أريدك، وأريدك، فلا ترفضنى ولا تتحول عنى.. حقاً إننى ردىء.. وأنت لا تحب أن ترانى فى شرى.. أنا ناقص وأنت لا تريد أن ترانى فى نقصى.. أنا كسلان ومهمل وأنت لا تريدنى فى كسلى.. تريد أن ترانى فى الصورة الجميلة التى خلقتنى عليها. لكننى قد شوهتها ولطختها بما لا ترضاه عينك أن تراه فىّ.. مع ذلك لا تتركنى لنفسى..

تقدم واصنع معى محبة.. عندما أتيت إلى العالم لم يكن العالم مستحقاً، ولكن لقد جئت تفضلاً وتكرماً. بل ماذا أقول. لم يقبلوك ورفضوك مع أنك آت لخيرهم. ليكن هذا طريقك معى.. أنا لا أرفضك لكنى أريدك غير أنه يمكن أن يكون فىّ ما يستحق رفضك لى، ولكن حبك الذى أنزلك من السماء هو الذى أنا طامع فيه لينزل إلى هبوطى لترفعنى إلى علوك.. طهارتك تقترب منى لتقتل فىّ نجاستى. محبتك تقترب منى لتطرد من قلبى وكيانى كل محبة تتعارض مع محبتك، سامحنى على الماضى أريد أن أبدأ من جديد. أعنى حتى لو كنت كاذباً. اقبلنى.. اقبلنى يا سيدى وأنا كاذب لأنك تحبنى، وتحبنى أن أكون لك وأن أكون صادقاً فى حبى لك، وتعلقى بك.. يارب ارحمنى ارحمنى من نفسى، وإرحمنى من كل شهوة رديئة وفكر نجس. ارحمنى من كل مطمع مادى. اعطنى إحتقاراً حقيقياً وصادقاً لأباطيل العالم.. امنحنى زهداً وزهداً صادقاً ومن القلب، لكل رغبة مادية أو جسدية. طهرنى من كل شئ يطفىء من جذوة المحبة المضطرمة التى تليق بك، والتى تجعلنى أتحد بك إتحاداً حقيقياً، إتحاد إرادة ومشيئة فلا تبقى لى رغبة ولا إرادة ولا مشيئة. امنحنى أن أتحد بك فلا تبقى لى مشيئة خاصة.. لتصبح مشيئتك هى مشيئتى وإرادتك هى إرادتى، ومحبتك هى محبتى. كاملة غير منقوصة.. مائة فى المائة. لا تسمح لى بأن تبقى لى بعض مشيئتى حتى لو كان الباقى لى ضئيلاً فى نظر نفسى، ولكنه يكفى أن يعطل عمل نعمتك فىّ، ويعرقل انتشار مشيئتك فى حياتى.. ويشغل مساحة من نفسى تنقص من مساحة مشيئتك فى حياتى. مر بما تريد وافعل ما تأمر به.. لا أريد مشيئتى بالكلية. أنا مسكين ومغرور.. أنا فقير وبائس وأعمى وعريان.. أريد أن أشترى منك ذهباً مصفى بالنار لكى أستغنى.. أريد أن أستتر ببرك لئلا تظهر عورتى أمامك. أنا ناقص فكملنى. أنا فقير فاغنينى.. أنا عريان فاكسينى.. ولكن مع ذلك كيف أشترى منك الغنى وأنا فقير، كيف أشترى منك الذهب وأنا لا أملك حتى التراب.. كيف يمكننى وأنا المعدم والعدم أن أشترى. ليس لى يارب فضة ولا ذهب، فكيف أشترى. ليس لى. هل أنت فى حاجة حتى تمنحنى ما أطلب فى مقابل ما أعطى أنا.. فماذا أملك..؟ أنت الغنى، وغناك لا يفرغ. أنت لست فى حاجة إلىّ ولا إلى شئ أملكه.

أنت فى غنى عنى بالكلية.. فكيف تطلب منى. وأنت يوم خلقتنى وركبت لحمى وعظامى.. وأعصابى.. لم تطلب شيئاً.. خلقتنى فضلاً ونعمة.. خلقتنى حبا وأنا لم أخلق بعد.. إذن قولك لى اشترى منى ليس لأنك فى حاجة إلى ما أعطيه ولا لإنك تعلم أننى أملك شيئاً أعطيه.. أنت تريدنى أن أرجع إلى نفسى لأفحصها. وتريدنى أن أرجع إلى مخازنى لأمتحنها ولكى أعلم على الحقيقة هل عندى مقابل لفضلك.. إذن أنت تداعبنى بالكلام

لتمتحنى ولكى أمتحن أنا نفسى وأفهم نفسى على حقيقتها، وأعلم على الحقيقة أننى فقير وبائس وأعمى وعريان، وأننى فى عوز وفاقة. فلا أقنع ولا أستحى أن أستعطى وممن أستعطى.. منك أنت. لأنه ليس لى غيرك يعطينى بغير حساب.. يعطينى مجاناً.. ويعطينى ولا يمن علىّ، يعطينى بغير كيل ولا قياس.. يعطينى وهو سعيد إننى اكتشفت فقرى وحاجتى إليك. لقد اقنعتنى يارب فاقتنعت، وها أنا.. أنا الذى أطلب، واطلب بإلحاح.. واطلب بمرارة العوز. وأنا مؤمن إننى فارغ وفارغ وفارغ.. بل أنا مدين ومدين.. من الذى يسد دينى.. من الذى يعطينى فلا أحتاج ويعطينى أكثر مما أسأل، وأكثر مما أفهم.. لقد ألححت علىّ فغلبت. هل هناك شك فى أنك تغلب متى حوكمت.. لا يا سيدى أنت الغالب.. أنت الأسد الذى يغلب ولا يُغلب.. يارب لقد خلقتنى للحياة.. سوف أحيا ولا أموت.. أحيا دائماً.. وما يسميه الناس بالموت، سوف لا يكون بالحقيقة هو الموت كما يفهمه الناس.. سيكون المجاز والمعبر.. وإن سرت فى وادى ظل الموت لا أخاف شراً لأنك معى.. ومعى دائماً..

إذن أنا حىّ لأنك أنت معى حىّ.. ولو كان لى موت سيتبدل إلى حياة.. لا يا سيدى سوف لا أموت.. أنت لم تخلقنى للموت بل خلقتنى للحياة.. والحياة الدائمة.. والحياة الأبدية لكنى أسألك أن تجعلنى مستحقاً للحياة.. والحياة معك.. إن كنت ستتركنى فامحنى من كتابك.. ولكن كن أنت معى بل أنت لى كل شىء.. إدخلنى إلى حجالك.. استرنى بظلالك احمنى بيدك.. سر معى واحينى.. وإجعلنى مقبولا عندك.. فتكون أنت المتكلم بلسانى والناطق بجنانى، كن أنت فكرى وعقلى وقلبى وشعورى.. امنحنى سلامك الذى يفوق كل عقل.. اعطنى أن أرى النور دائماً.. نوراً لا ينطفىء.. ودعنى من فرط هذا النور الذى أحيا فيه أن أنسى الظلمة كيف كانت وكيف تكون.. يكفينى أنت، وفيك لا أريد شيئاً.

يارب لا تحرمنى من الحياة الأبدية، لا تحرمنى من فردوس النعيم وملكوت السماوات.. لا تحرمنى من أن يكون لى نصيب مع المقدسين فى السماء وفيك.

لا تدع شيئاً ولا شخصاً ولا ظرفاً ولا مناسبة ولا أمراً حلوا أو مراً، طيباً أو رديئاً يشدنى بعيداً عنك... امنحنى رضاك، والعمل بوصاياك.. أعنى .. ياربى يسوع المسيح أعنى.. يا سيدى أعنى.. يا قدوس أعنى. استجب صلاتى، ولا تخيب رجائى.. أعطنى أن أمجدك فى حياتى، وأن تكون حياتى كلها لمجد اسمك.

فلك يارب المجد دائماً ولعظمتك السجود والعبادة والإكرام الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين.

تأملات فى نهاية وبداية عام[١]

من كان يدرى أن الأيام تجرى بهذه السرعة، وينتهى هذا العام بطوله ـ وهنا يجب أن نقف وقفة تأمل واعتبار على المستوى الفردى ثم على المستوى الجماعى...

لقد حدثت أحداث كثيرة فى مصر عامة، وفى العالم بأسره من حولنا، أحداث كبيرة أو صغيرة فى كل ركن من العالم، بحيث تغيرت الأوضاع فى بقاع كثيرة فى العالم ـ مات رؤساء وانتقل حكام، وسقط غيرهم، وارتفع آخرون إلى مسرح الأحداث الكبيرة، تغيرت الخريطة السياحية فى أجزاء من الكون... وحدثت أحداث كونية مختلفة، زلازل فى أماكن، براكين فى أماكن، ملايين من البشر رحلوا إلى العالم الآخر، وملايين من البشر ولدوا، وملايين آخرين من الصغار صاروا كباراً، وقفزوا إلى الأمام وانزوى آخرون من البارزين... كشوف علّمية جديدة ظهرت لخير البشرية فى دوائر الطب والتكنولوجيا، واختراعات جديدة أضافت جديداً لتسهيل حياة الإنسان، ولكن هناك اختراعات جديدة مدمرة ومهلكة...

أما على المستوى الفردى، فماذا صنعت فى حياتى الماضية؟ ما هى مشاعرى وإحساساتى؟ هل هى إلى جانب الخير؟ هل هى إلى جانب الروح؟ هل هى إلى جانب العطف على الناس؟

ماذا صنعت من خير؟ وماذا أسديت من خدمة لغيرى؟ إننى أحتاج إلى دفعة قوية إلى الأمام للإستفادة من المواقف السابقة، لدفع حركة التقدم إلى الأمام.

ترى وقد بلغت اليوم هذا العمر، فماذا تبقى لى من أيام وشهور قبل أن تنتهى رحلتى على الأرض؟ قطعا مهما يكن من أمر، لقد تبقى لى القليل.

لكن... ربى ما هو هذا القليل؟ هل لى أن أعلم بيوم وفاتى؟ وإذا علمت فماذا عساى أن أصنع؟ وإذا إنتهت حياتى، فأين أنا من مصيرى؟ وما هو مصيرى؟ هل سأمضى إلى الفردوس؟ أم إلى مكان آخر؟ من سيكون فى توديعى؟ ومن سيكون معى فى ساعة رحيلى؟ هل ستأتى إلىّ أرواح مقدسة من الملائكة والقديسين؟ وهل سأكون هناك معروفاً فى أماكن النياح أم سأكون هناك غريباً لا يعرفنى أحد؟ ماذا صنعت من خير، وما هو الخير الذى

---

(١) كتبت فى بداية عام ١٩٨٣م.

أسديته؟ ما هى نظرة الرب إلىّ هناك؟ وما هى نظرة الملائكة والقديسين إلىّ؟ وما هو رأى إبليس فىّ؟ وفى الأيام الباقية لى فى حياتى، ما هو عملى، ما هو إنتاجى؟

ما هو وضع كنيستنا؟ وما هو دورها فى الأحداث الآتية فى مصر، وفى الشرق الأوسط، والمحيط العالمى؟ ماذا تريدنى يارب أن أفعل؟ إننى أطمع أن أكون معك، ومعك ياربى لا أريد شيئا على الأرض. لا أطمع فى شيء، ولا أتطلع إلى ما هو أعلى من مقدورى؟

المهم إننى حيث أكون، أن أكون مخلصاً، وأن أكون أميناً، وأن أكون دقيقاً، وأن أكون منتجاً. المهم أن أكون مع الله دائماً. وأن يكون الله هو مرشدى وموجهى ومعلّمى. المهم أن يكون الله ممسكاً بيدى، وحيث قادنى أسير. أريد من كل قلبى أن تتولى أنت يامخلصى زمام حياتى. إن أخطأت ردنى، واهدنى، وإن عشت معك فلا تتخلى عنى. اصفح عن خطاياى، وعن آثامى.

قونى لأعمل خيراً، وأكون إلى جانبك وتحت أمرك، أصنع الخير تحت رايتك ياصانع الخيرات...

أريد ياسيدى أن أنمو فى النعمة وفى المعرفة. أريد ياسيدى أن أخطو إلى الأمام ولكن على أن تكون أنت الممسك بيمينى. فى أى اتجاه تقودنى، أنا مستعد أن أتبعك... لاتسمح لروحى أن تنحرف وراء أى اتجاه ذاتى أو أنانى.

اجذبنى وراءك فأجرى معك إلى حيث أنت تريد، اجعلنى لك تابعاً، وعبدك أنت وحدك. أنت سيدى، وليس لى سيد آخر. أنت أبى، وليس لى أب آخر. أنت إلهى وليس لى إله آخر. أنت سيدى وأنا عبدك وخادمك وأسيرك.

ولست أريد يارب أن تكون هذه الكلمات ألفاظاً فى فمى، أريدها أن تكون ملء قلبى وشعورى وحبى وعاطفتى بها أنفعل دائماً وأبداً. أنت خلقتنى وركبت نسيجى، لحمى وعظامى.

اغفر لى يا سيّدى، اقبلنى، واقبل رجائى أن تكون أنت دائماً سيدى ومعلّمى وقائدى، وأنا دائماً خادمك وتابعك ومربوطاً بيدىّ ورجلىّ أسير معك.. وأسير لك ومن أجلك..

إننى بإرادتى أسلمك إرادتى، وبمشيئتى أسقط مشيئتى أمام مشيئتك، ياسيدى ليس لى مشيئة إلاّ مشيئتك، وليس لى شهوة فى شيء بعيداً عنك.

أعنى حتى أكون صادقاً فى عزيمتى وقصدى، أعنى حتى لا أكون كاذباً أو مخادعاً.

لا تسمح لى أن أكون صورة بشعة أو شريرة منفّرة، أو أكون سبباً لتجديف الناس

عليك... اعطنى أن أزين تعاليمك، وأن تكون أنت، وأنت وحدك المُعلّم فى الكنيسة... أعنى لأفهم لماذا أنا هنا؟ وماذا بعد هذا؟ ثم أعنى لأفهم من أكون أنا؟

أحقا انتهى العام...

أحقاً هذا هو اليوم الأول من العام الجديد؟ ترى ماذا سأكون فى هذا اليوم، وفى هذا العام؟ ما هو موقعى من الماضى القريب والبعيد؟ هل سأكون أقرب إلى الله مما كنت من قبل؟ وهل سأكون بالحقيقة خادماً لسيدى الرب من كل قلبى، وهل سيكون الرب والرب وحده هو سيدى؟ وهل سأكون معه حيث يكون هو؟

سيدى ليمتلىء قلبى من حبك، ومن حب جميع الناس، أصدقاءً وأعداءً.. دعنى لا أعرف لى عدواً.. ولا حتى الشيطان ... دعنى أن تكون عداوتى حتى للشيطان عداوة مبدأ واعتقاد ولاتكون عداوة كراهية، دعنى أتمنى الخير لكل أحد، وحتى الشيطان أيضاً أرجو له الخير، أرجو له التوبة ... لكنى دعنى أن لا يكون للكراهية فى قلبى مجال لكائن أيا كان... دعنى أن أحب الطبيعة لأنك أنت خلقتها... ودعنى أحب حتى الوحوش والحشرات والميكروبات ... دعنى لا أحمل حقداً لشىء، وأدرك أن ما فى هذه الكائنات الضارة من شر، إنما مرجعه لا إليها ولكن لأنها فى موقع الدفاع عن وجودها وكيانها.

والخلاصة دعنى أن أكون غارقاً فى عاطفة الحب، وأن أكون معجوناً فى الخير والحق والجمال، وليس فىّ شىء من نقص نحو الخير أو الحق أو الجمال.

دعنى أن أكون سعيداً دائماً، أحيا فى الحق دائماً...

دعنى أن أدرك أن ما عداك عبث لاطائل تحته ولا غناء فيه.

أريد أن تكون أنت تملأ كل حياتى... وحياتى ليست هى لى ... وليست هى حياة الأرض وحدها ... إنها أيضاً فى عالم البقاء والخلود.

دعنى أفهم أن حياتى الآن قد دخلت فى الأبدية... وأنا الآن أحيا فى عالم البقاء... وأن أكون مستعداً أن استقبل الموت فى أى وقت يصلنى النداء من عندك لأتبعك إلى هناك... أنت هنا وأنت هناك، فما الفرق... إذن دعنى لا أنزعج للموت، وإنما أشتهيه... لأنه سبيل اللقاء فى الموضع الأفضل..

كن يا إلهى أنت البدء فى العام الجديد أكثر مما كنت بالنسبة لى فى العام الذى مضى..

دعنى أن أبدأ بعد أن تكون أنت أعطيت إشارة للحركة إلى الأمام..

ذكريات وتأملات فى الأربعينيات

* لقد اشتهيت مرة أن أعظ، وكانت الرغبة عندى قوية ملحفة ولكننى لست أريد أن أدعو نفسى إلى الخدمة، فإنطلقت كعادتى إلى كنيسة القديس الأنبا انطونيوس حيث كانت مدارس الأحد، فطُلب إلىّ أن أتحدث فى الخميس القادم فى دَرْس الكتاب المقدس، مع العلم أننى كنت قد توجهت كثيراً غيرَ هذه المرة. والمعنى أن الرب استجاب لرغبتى دون حاجتى إلى طلب من إنسان. (عام ١٩٣٧).

* وهكذا اشتهيت أن يكون لى اشتراك مع مدرسى مدارس الأحد فى الخدمة التى يقومون بها. ولم أطلب هذا الطلب من إنسان مع إننى قد فكرت أن أطلبه، وبغتة يعفينى الرب عن هذا السؤال فيجعل بعض القائمين بالأمر يجيء إلىّ ويرجونى أن أتعب واستلم الخدمة بفصله لأنه سيتركه إلى فصل آخر. فتأمل محبة الرب وعظم عنايته باستجابة الصلاة إذا كانت حسب مشيئته.

* لقد عُرض علىّ أن أكون كاهناً عدة مرات : أولا : طلب ذلك نيافة الأنبا باسيليوس اسقف الاقصر واسنا واسوان، ثانيا : طلب ذلك أيضا نيافة الأنبا أثناسيوس مطران بنى سويف، وألح فى الطلب مرتين وطلب ذلك ثالثاً : بعض الأفراد إذ كان يُطلب كاهن لمدينة طنطا، وطلب ذلك رابعاً : رئيس جمعية ما بالقاهرة. (عام ١٩٣٩). وكانت إجابتى فى كل هذه الدفوع، أن الكهنوت يتطلب مؤهلات كثيرة لم يتوفر لى شأن منها: يتطلب الكهنوت حالة روحية عالية دسمة خصبة. هى درجة القداسة المسيحية - ولذلك نرى فى طقس «خدمة القس» أن المرتلين ينادونه (أبانا القديس القس ....).

ويتطلب الكهنوت ثقافة عالية، ثقافة دينية وثقافة علّمية - لأنها تعين الخادم على القيام بمهمته فى الوعظ والارشاد.

ويتطلب خبرة وتجارب كثيرة، ومعرفة بالحياة الإجتماعية العملية ويتطلب سناً معينة أقلها الثلاثون كما حددت قوانين الكنيسة لاكتمال الرجولة، وتكون المؤهلات قد تكونت خيراً من سن سابقة عليها.

* وفوق ذلك قد طُلب إلىّ أن أقوم بخدمة الوعظ فى مدينة ملّوى. كما طُلب إلىّ أن أقوم بالنظارة والتدريس بمدارس جمعية الصليب القبطية الأرثوذكسية بروض الفرج، وطُلب إلىّ أخيراً بالقيام بمهمة مؤقتة فى مدينة الدوير مركز أبو تيج. فذهبت وظللت فيها مدة شهرين ونصف حتى يوم الجمعة الكبيرة من عام ١٩٤٠م.

* الرب أحب أن يُطيل حياتى ويعطينى فرصة أطول لعلى أتوب فيها وأنمو فى النعمة وفى معرفة ربنا يسوع المسيح. ركبت الترام فى محطة «أبو العلا» كعادتى وكان زحام شديد جداً فلم أجد موضعاً فى الترام، فركبت على السلّم وكان على السلم عدد كثير من الناس، وخشية من تأخرى عن الميعاد إضطررت إلى الركوب على السلّم، ومرّ الترام على كوبرى «أبو العلا» حيث ليس مسافة كافية بين حديد الكوبرى وبين الترام، فضربنى حديد الكوبرى ضربات قوية فى نصفى الأعلى ونصفى الأسفل مرتين وكدت أسقط على الأرض، وكانت حياتى فى خطر شديد وعظيم لفت الواقفين على السلم - وظللت على هذه الحال حتى اجتزنا الكوبرى ووصلت إلى كلية الآداب وأنا متعب الأعصاب ومرتخى الجسم، وهكذا قضيت نحو ساعتين أو أكثر.

والمهم من هذه الحادثة أن حياتى أُنقذت بمعجزة، هناك من لم يضربهم الكوبرى هذه الضربة القوية بل لسبب هين قد هلكوا وماتوا، أما أنا فشاء الرب على الرغم من كل هذا أن ينقذ حياتى - ترى ما الذى تتعلمينه يانفسى من هذه الحادثة، إن الرب لم يشأ أن تموتى الآن، هو يريد لك حياة أطول، أنت بلا شك لست مرضية الآن أمامه، ولم تعملى صلاحاً ولا فعلت خيراً واحساناً، فهل تفهمين هذا الدرس، تعلّمى عناية الرب وآمنى بمحبته ورأفته، ثم اذكرى أنه جدّد حياتك، وأعطاك فرصة جديدة فتوبى واندمى وراجعى أعمالك، وغيرى أفكارك وباركى الرب واعبديه ببر وقداسة.

* وفى صباح الأربعاء ٢٢ ديسمبر ١٩٤٣ حدث لى حادث خطير أوشك أن ينصرم معه حبل حياتى : ركبت الترام إلى ميدان الاسعاف وإذ كانت الساعة الثامنة والنصف أو يزيد، وكان هذا يؤذن أن أصل إلى الكلية متأخراً، عزمت على أن اركب أول ترام إلى الجيزة، وفى ميدان الاسعاف حيث تلتقى أربعة اتجاهات، وحيث عدد كبير من عجلات الكهرباء والسيارات، رأيت تراما فجريت لأركبه وكان الترام يمشى فى بطء جداً، فطمعت فى ركوبه وكان زحاماً على السلم وتوقعت أن أجد موضعاً لرجلى فأمسكت بيدى قضيباً فى الترام، ولكنى فى هذا الوقت لم أستطع أن أجد موضعاً لرجلى فدفعنى الترام إلى الأمام فسقطت على الأرض، وكان لابدّ أن يحدث الحادث وأن يدوسنى الترام بعجلاته لأنى سقطت مندفعاً، ولكن الرب نبه روح أحد الواقفين على السلم فدفعنى إلى الخارج فسقطت بعيداً عن الترام قليلاً، ولم يسمح الرب أن تدركنى سيارة فى هذه اللحظة لتدوسنى - وهكذا أنقذ الرب حياتى من موت محقق لا محالة.

ومن أغرب ما لاحظت أن كتبى وقد تبعثرت فى كل جهة وأنها سقطت تحت الترام، وسار الترام فوقها ولكنها لم تُمّس، فحتى الكتب التى كان من الممكن أن يمزقها الترام بعجلاته لو سار عليها قد حماها الرب وحمانى من فقدها، وأراحنى من التعب فى شراء أخرى جديدة ونقل المحاضرات التى كتبت فى الكراسات، فلم يسمح أن يقع شئ منها على القضيب بل وقعت، البعض منها خارج القضيب والبعض منها داخل مابين القضيبين فلم تمس بسوء، وكان معى أخى سليمان فسألنى عن حالتى فقلت إنى أشكر الله كل الشكر لأنى نفسياً لم أشعر بأى اضطراب، بل مرّت علىّ هذه الفترة دون أن أحس خوفاً أو ألماً.. بل كأنها فترة لم يمسنى فيها سوء. وأما جسمياً فكان السقوط هينا ولم يحدث لى شئ عدا بعض الألم البسيط جداً نتيجة الاحتكاك بالأرض فكانت عناية فائقة من كل الوجوه، وكأننى أحسست بعد هذا أن هذا دليل وخير دليل على ماحبانى الله من نعمة لست جديراً بها بحال من الأحوال.

أما أخى سليمان افندى نسيم الذى كان يصحبنى فقال لى : إنى عندما رأيتك تسقط أيقنت أن لابد من حادثة، ولكنى لم أستطع أن أعينك بشئ، ولذلك أدرت وجهى حتى لا أراك على هذه الصورة واكتفيت بهذا الإيمان فى قلبى أن الله لايمكن أن يسمح بذلك بالنسبة لك.

وقابلنى بعدها بثلاثة أيام وقال : لم أكن أُقدّر خطورة هذا الحادث فى تلك الساعة، وإنى كلما أذكره أشعر بأن جسمى يقشعر لأنه كان حادثاً خطراً وكانت النهاية فيه محتومة.

أما أنا فبماذا أشكرك ياإلهى، وماذا أملك من عاطفة جديرة بهذه العناية والرعاية والاهتمام؟ كم من مرة أنقذت حياتى وكم من مرة خلصت نفسى من ضوائق شديدة وأزمات عنيفة. إنى أعلم أن حبك لى عظيم جداً أكثر من حب جميع الناس : إن أبى وأمى لم يعلما بالحادث إلى الآن، ولا أحد من إخوتى أو أقربائى لأنهم لايستطيعون أن يصحبونى فى كل مكان كما تستطيع أنت. وحتى لو علموا ماذا يفيدنى هذا العلم، ها هو صديقى الحميم صاحب القلب المخلص المحب، كان بجوارى ولم يستطع أن يعيننى بشئ واكتفى بأن أدار وجهه حتى لايرانى وقد تمزق جسمى وانفصلت عظامى، مؤمناً أنك لا تسمح بشئ من هذا.

وإذن هل من الفضيلة فى شئ أن أشعر نحوك بكل حب، وأن أؤمن بك أوثق إيمان، وأن

أترك نفسى وألقيها كلها عليك ولن اكترث لشىء بعد الآن. هل من فضيلة فىّ إذا عرفت أنك وحدك وليس غيرك فى الوجود أحب الناس إلىّ وأكثرهم عطفاً علىّ وعناية بى ومقدرة على معونتى! ربى صفحاً وغفراناً عن زلاتى وغلطاتى وذنوبى التى أُغيظك بها فى كل يوم رغم حبك وعنايتك. لو كان سلوكى الطائش هذا وبعض تصرفاتى المغضبة لصلاحك موجهة إلى أحد من الناس لرفضنى من البداية - ولكنك - فتيلة مدخنة لاتطفىء - حتى يخرج الحق إلى النصرة - تأملى يانفسى وخافى وارعدى من خطاياك، وارْضِ الرب وحده لا سواه فهو وحده المحبّ لا سواه.

صلوات وتأملات يومية

ها إنى فى اليوم الأول من العام أصلى إلى الله أن يتفضل يبارك حياتى، لتكون مقدسة ونقية ومثمرة صلاحاً وفضلاً وتقى. ياالله، ما جدوى الخدمة إن لم تكن أنت غايتها وأنت بدايتها وأنت الفاعل فيها. لذلك أصلى أن تكون معى وترعانى وتشفينى من متاعبى النفسية والجسمية، وتؤهلنى لأن أخدمك ببراءة القلب وسلامة الضمير وطهارة النفس... (١يناير ١٩٥٩م).

أصلى أن يحفظ الرب الكلية الإكليريكية، وأن يزيد إيمان الرؤساء والهيئات والشعب برسالتها، وليبارك الرب مدارس الأحد ليزداد ثمرها، وخيرها لكنيسة المسيح. (٢يناير ١٩٥٩م).

إن عندى شعوراً بالضيق والتبرم، وتكاد نفسى تشتاق إلى مخلص من هذا الحصر النفسى. يارب أعنى لتكن إرادتك رب القوات. أعنى حتى أكون دائماً مسلماً حياتى لك بأمانة وتقوى. سهل طريقى يارب وأنجح سبيلى بين يديك. أمامى واجبات وأعباء مختلفة. أعنى يارب على أن أؤديها جميعاً.. (٤ يناير ١٩٥٩م).

عيد الميلاد المجيد عيد سعيد. اجعله كذلك يارب. أنعم علىَّ أنا عبدك بروح من عندك فيه تقوى ونقاء وصفاء.. (٧ يناير ١٩٥٩م).

لفت فكرى وأنا جالس فى الحديقة التى تطل على نهر النيل، مركب شراعى قطع مرحلة من الشاطىء وهو فى طريقة إلى الشاطىء الآخر، فتذكرت فى المركب حياتى، وقلت يا ترى كم تبقى من رحلتى إلى العالم الآخر، وسريعاً وصل المركب إلى الشاطىء الآخر، لأن مجرى النهر فى اسوان ضيق. قلت أنه رمز للحياة الدنيا إنها على كل حال قصيرة، لا يكاد الإنسان يبدأ حتى ينتهى، ولقد تبدو طويلة، لكنها تمر سريعاً، وعلى الشاطىء الآخر رأيت أُناساً يتمشون على رمل أبيض جميل ومن ورائه خضرة نضرة، قلت متى انطلق يارب إلى شاطىء الأمان! وكان إنسان يعمل، وفى اعتقادى أن الأبرار فى حياة النعيم يعملون «أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل» كل ما هنالك أن العمل هناك بغير تعب وبغير منغصات أو معطلات أو خوف أو فشل. ورأيت أُناساً منهم استقلوا المركب وهى عائدة، وهم فى نظرى يشبهون الأطفال الذين يولدون. (١١يناير ١٩٥٩م).

يارب أَدخِل إلى قلبى سلامك الذى يفوق كل عقل، واعطنى دائماً أن أحيا معك ولك وفيك إلى الأبد». (١٢ يناير ١٩٥٩م).

أريدك يارب أن ترعى حياتى وتكمل نقص إيمانى، وتحفظنى فى خوفك إلى التمام (١٣ يناير ١٩٥٩).

ليس لى رغبة ولا شهوة أمامك يارب، أعظم من أن أحيا حياتى بأسرها فى رضاك، وعاملاً كل ما يرضى صلاحك. أعنى حتى أكون مستحقاً لأن تكون أنت القائد لحياتى، والموجه والعامل فيها. لأن لك المجد والكرامة والعظمة إلى الأبد آمين. (٢٠ يناير ١٩٥٩).

اليوم هو الأول من العام الميلادى الجديد. ربى كيف أبدأ. أنت هو البداية، كما أنك أنت هو النهاية، تُرى هل يكون يومى هو خير بداية لعام جديد؟! تُرى هل يكون عامى هذا خيراً من الأعوام السابقة. من أسأل أن يحقق رغبتى هذه، ليس لى ياربى وإلهى غيرك إله يستطيع كل شىء ولا يعسر عليه أمر. باركنى ياربى يسوع المسيح فى مطلع هذا العام الجديد، وبارك حياتى كلها، لتكون حياة نافعة طاهرة مقدسة نقية، ارفع غضبك عنى، واقبلنى إليك، وانعم عَلّىَ برضاك والعمل بوصاياك، لتكن أعضائى مقدسة، وحركاتى طاهرة..... أنا يارب غير كفء ولا جدير بهذا الشرف الجزيل، أسأل رضاك أن تصفح عن قصورى، وتمذحنى نعمتك لأخدمك كل أيامى بطهارة وبر وحكمة وفهم. لاتسمح يا إلهى أن يكون الكهنوت لى سبب دينونة وعقوبة مخيفة لتهاونى وتقصيرى، ولكن سبب بركة وإزدياداً فى النعمة والقوة ونور القلب. (١يناير ١٩٦٤م).

صليت بدموع وسألت الرب رحمة لحياتى، وسألت شفاعة السيدة العذراء أولاً، ورئيس الملائكة ميخائيل والقديس مارجرجس، وجميع الآباء والأنبياء والرسل، ومارمرقس الرسول وجميع القديسين، وسألت الرب أن لايسمح لشىء أن يتم فى حياتى بغير إرادته المقدسة، وطلبت إلى الرب بحرارة أن يتولى حياتى فتكون كلها له، وأن يحسبنى أهلاً للنصيب المقدس مع الملائكة والقديسين، وقلت : «ماذا تريد يارب أن أفعل»، وقلت «مر بما تريد وأَقبلَ ما تأمر به». (١٦ يناير ١٩٦٤).

قد أغلقت بابى الخارجى بالمفتاح. أنا هنا فى سكون وهدوء. ومعظم وقتى أقضيه على سطوح البيت فى الشمس والهدوء والهواء النقى. أتنفس من الهواء وأتطلع إلى البحر الأبيض المتوسط بين وقت وآخر، فأذكر الأبدية واللانهائية وأطلب رحمة الله على حياتى.

أنا هنا راهب حبيس. لهذه الحياة مزاياها وجمالها، ليتنى أنتفع منها روحياً وعملياً

كما يجب،... أقضى معظم وقتى جالساً على كرسى ماداً رجلىّ على كرسى آخر، أطالع وأكتب وأتأمل وآخذ قسطاً من الهواء والشمس ولا سيما على ركبتى اللتين أشكو من بعض آلام روماتيزمية فيهما، وكذلك بعض التنميل فوق الركبة اليسرى. (فى الفترة التى كان هارباً فيها بعد ترشيحه لرسامته أسقفاً على إيبارشية ديروط - السبت ٢٣ مايو ١٩٦٤م، وكان إختفائه فى منزل الأستاذ لويس زكرى بالاسكندرية وكان يزوره باستمرار نيافة الأنبا شنوده والدكتور راغب مفتاح).

هدوء مثمر، أرجو أن يبارك الرب فى هذا الوقت، وفى هذه الفترة التى أقضيها هنا، فتكون فترة مثمرة، فيها ثمر وفيها عمل، وهدوء لأعصابى وراحة لنفسى.

لكننى أرجو أولاً وقبل كل شىء أن تقود هذه الأمور إلى الخير من كل وجه.

أنا بين يديك يارب، ماذا تريد أن أفعل، مر بما تريد، وافعل ما تأمر به: حول الشر إلى خير يارب. كن معى دائماً، ودعنى أشعر أنك معى، وأنك تلازمنى، وأنك ترعى حياتى.

ياربى وإلهى لاتتركنى لمشورة صديق أو عدو، ولكن اجعلنى دائماً بين يديك، واهد كل حياتى بيديك، يارب الذى بدد مشورة أخيتوفل، أسألك أن تبدد كل مشورة ليست من عندك سواء كانت من صديق أو من عدو.

الناس حتى لو حسنت نياتهم يجهلون أمور كثيرة، أما أنت يا إلهى فوحدك الذى تحب الخير لى محبة كاملة، كما أنك تعرف أين الخير لنفسى معرفة تامة.

ليس لى شرف ولا هدف أعظم من أن تكون حياتى كلها حسب مسرتك وطبقاً لإرادتك! يا إلهى! (فى أثناء فترة هروبه من الرسامة أسقفاً لإيبارشية ديروط - ٢٥ مايو ١٩٦٤م).

هذه الحياة جميلة على نوع ما، تحقق الهدوء والبعد عن المشاغل التى لا داعى لها، وتعطى فرصة أطول للصلاة والقراءة المتصلة غير المضطربة.

ليتنى ربى أنتفع من هذه الفرصة لبنيان نفسى بنياناً روحياً وذهنياً.

يا للأسف لم أُحضر معى كتباً بكفاية لإشباع نفسى. ويا للأسف أيضاً فإن جزءاً كبيراً من وقتى يصرف فى إعداد الطعام وغسيل الملابس وغسيل الأوانى. ولكن يبدو ليس من الميسور أن يحصل الإنسان على فوائد كثيرة من كل الوجوه. وعلى كل حال فإعداد الطعام وغسيل الملابس والأوانى أمور لم أكن أمارسها قبلاً. إنها خبرة جديدة أكتسبها، فمرحبا بكل فرصة نافعة.

انظر إلىّ يارب وارعنى، وارحمنى واغفر لى، واقبلنى إليك وارضى عنى. كل شىء عندى يصبح جميلاً، لو كنت أنت راضياً عنى. كل مرّ حلو إذا كان اسمك فيه. وكل حلو مرّ إذا كان وجودك ورضاك عنى بعيداً كن معى. أرجوك أرجوك يارب! (٢٦ مايو ١٩٦٤م).

يارب، يا إلهى ماذا أرد لك عن كل رعايتك وعنايتك! عندما كتبت جريدة مصر عنى كتابات طيبة، لم أكلمهم ولم أسألهم ذلك. وصفونى بأننى من أعلم الرهبان وأفضلهم، ووضعونى بأنى مدرس موهوب ومحاضر لا يشق له غبار. وصفونى بأننى كفء وأننى وهبت حياتى للكلية. لم أسألهم ذلك وما طلبت من أحد أن يكتب عنى.

ولكن على كل حال أنا أرى وراء كل هذا يدك يارب فى الدفاع عنى. الرب يحارب عنكم وأنتم تصمتون أنا صامت هنا فى عزلة، وأنت تُسّخر ألسنة الناس فى الدفاع عنى. يكفينى أنت، ويكفينى، أن تكون أنت محامىّ والمدافع عنى، هل لى شرف أعظم من هذا «الرب راعى، فلا يعوزنى شىء». «ليتنى أتعلم هذا الدرس لحياتى، حتى لا أنزعج كثيراً حينما يكيد لى أحد، أو يضايقنى، «فى كل ضيقهم تضايق، وملاك حضرته خلّصهم». الرب عونى، ماذا يصنعه بى الإنسان!».

أيها الرب إلهى، كن فى عونى دائماً، حطم كل مؤامرات العدو الخفية والظاهرة، واجعلنى دائماً أحس بيدك معى تسندنى! (٣٠ مايو ١٩٦٤م).

ها أنا بين يديك فارحمنى، واعنى. بارك يارب إقامتى فى هذا المكان. أعطها أن تكون لخير جزيل. حوّل الشر إلى خير يارب. لخير أرسلنى الرب إلى هذا المكان. امنحنى يا سيدى أن تكون كل خطوة من خطوات حياتى مرسومة من قبلك. إن شهوة قلبى يارب أن تتدخل فى حياتى. كل حياتى باسلوبك، وبإصبعك. يارب بإرادتى وإختيارى أسألك أن لاتدع لى فى حياتى شيئاً يخصنى. إنها لك ولافضل لى أن أدعها بين يديك لتصنع بها وفيها ما يحسن فى عينيك، وما يحسن فى عينيك يارب يحسن فى عينى جداً. كم من مرة أَظهرت لى خطأى وحماقتى وعدم فهمى. فارحمنى من فهمى. (٣ يونية ١٩٦٤م).

والآن يارب. أشتهى أن لا تحرمنى من ملكوتك. ردنى إلى طريق الحق والإستقامة. إن شردت فردنى. إن ضللت فقربنى إليك. لا تحرمنى من رعايتك. ظلل علىّ بجناحيك. إقبلنى إليك وسامحنى. تدخل فى حياتى، خطوة خطوة وفقاً لتخطيطك يارب، لا تخطيطى أنا. لا تدع أحداً آخر غيرك يتكلم فى حياتى أو فى مصيرى، لا صديقاً ولا عدواً ولا تدعنى أنا بسوء

تفكيرى وخطأى وجهالتى أفقد فرصة توجيهك لى حسب الخير الذى أنت تراه وقد لا أراه أنا. يارب قونى على أن أُؤمِن من قلبى بمحبتك وبإختيارك. واعطنى فرحاً بنصيبى فيك، وقرعتى معك. أنا لا أريد شيئاً غيرك إلهى ونصيبى وفرحى وعزائى وكل أملى ورجائى! يارب. (٤ يونية ١٩٦٤).

ليس اليوم يختلف عن سابقه. صلاة وقراءة وتأمل ودرس، وإعداد لطعامى. لم يدخل إنسان. لا زلت راهباً حبيساً، وهذه خبرة طيّبة. إننى لم أمكث فى الدير مدة كبيرة متصلة. ولو أننى كنت ميالاً دائماً إلى البقاء فى قلايتى أطول مدة ممكنة، لكننى كنت لا أترك لوحدتى وإنما كانت هناك أمور تشدّنى على الرغم منى للخروج وأغلب الأحيان نداء من الرئيس لأقضى معه بعض الوقت، أو لكى أقابل أحداً من الزوار، أو لأمر ما أو غيره. أو للخروج لحضور الكنيسة ... الخ الخ. أما الآن فلا أخرج حتى للكنيسة، ولا زوار يأتوننى وهذا برغبتى. ترى إلى متى تدوم هذه الحياة. إن لها مزاياها. ليتنى أنتفع بها كما يجب فى سلام وهدوء وطمأنينة.

إن صلاتى إليك يارب، التى لا أَمّلُ من ترديدها أن تتفضل فتبارك إقامتى فى هذا المكان. اجعلها لخير نفسى وخير أبديتى. ارحمنى أنت، واغفر لى أنت.

أتطلع ربى من فوق سطح البيت، وأنظر أمامي البحر الأبيض المتوسط، ويستوقفنى منظر سفينة تمخر عبابه فتذكرنى بسفينة حياتى، أراها فى هذه السفينة العادية. تُرى هل ستصل سفينتى إلى ميناء الخلاص؟ تُرى هل ستصل سالمة من كل عطب؟ تُرى هل سيكون فى استقبالها القديسون والملائكة؟ وماذا أُعِدّ لى ياربى هناك؟

هل أُعِد لى بيت؟ هل أُعِد لى إكليل؟ ترى ما هى سيرتى هناك؟ ماذا تقول عنى الملائكة، وماذا يقول القديسون؟ وماذا تقول أنت عنى يارب؟ هل أنا من أولادك الثابتين؟ هل أنت تُحبنى المحبة الخاصة؟ بلغة أخرى هل أنا معدود بين أحبائك؟ الذين سيدخلون إلى خدرك ويتمتعون بالأفراح معك. يارب، املأ قلبى زهداً من الدنيا وأباطيلها. وافتح قلبى لأدرك معنى الأبدية، وجمالها، وسعادتها، يارب! (٥ يونيه ١٩٦٤).

وهذا يوم السبت. من ثلاثة أسابيع خرجت من القاهرة إلى هذا البيت الذى أنا فيه الآن. لم أكن أتوقع أن تطول إقامتى إلى هذا الوقت. لكنى الآن لست آسفاً ولا حزيناً. ولا متضايقاً. فقط أرجو أن يبارك الرب إقامتى، ويجعلها لبنيان نفسى روحياً وذهنياً، بل

وعصبياً أيضاً. لِعلّ نفسى تهدأ وروحى تنمو وتشبع من الوحدة وجمالها، وأعصابى تهدأ فى هذا المكان القَصّى عن الناس الذين اعتزلتهم بإختيارى وإرادتى وإن كانت الظروف القاسية ساعدت على ذلك، فشكراً للظروف، وشكراً لله الذى ساق الظروف.

ولكن هل حقاً إننى استفدت من إقامتى فى هذا المكان الفائدة التى كنت أرجوها؟ الرب يبارك فى كل ما استفدته إن كان كثيراً أو قليلاً.

الليلة السماء صافية، والهواء عليل. والسكون مخيم، والنجوم كثيرة ومنثورة فى القبة، الزرقاء، نتحدث عن جمال صابغها وحكمته العلّية، وقدرته الفائقة، كيف تناثرت هذه النجوم، ولا تصطدم ببعضها؟ كيف رسم لكل نجم مساره بمقاس خاص بحيث يختلف تماماً عن غيره فلا يصطدم أحدها بالآخر. هل يجرؤ كافر أن ينكر الحكمة البادية فى هذا النظام البديع الذى بنى على أساسه الكون؟ وهل يجرؤ أحد فينكر إصبعاً رفيعة وعقلاً كبيراً وراء هذا الكون، جدير بنا أن نسجد له شكراً وتعبداً وإكباراً واعترافاً بحكمته العالية وقدرته الواسعة على كل شىء.

أرجوك يارب أن تغفر لنا نحن بنى البشر جحودنا وإنكارنا وجسارتنا وتعدياتنا، اغفر لى أنا أيضاً، فلست أبرّ من غيرى من الناس. وإن كنت لا أنكرك علناً، فقد تنكرك أعمالى وتصرفاتى، ولئن كنت أبشر بأسمك وأكرز بكلمتك بين الناس، لكنى أخشى أن تكون عثراتى تتلف كل المواعظ التى وعظتها. (السبت ٦ يونيه ١٩٦٤).

هذا هو الأحد الثالث الذى لم أُصلّ فيه قداساً ولم أرفع قرابين، ولكننى أصلى منفرداً فى هذه العزلة وهذه الخلوة. ليت الرب يقبلنى أمامه، ويحسبنى مع الأربعة وعشرين قسيساً الذين يخرون ويسجدون أمام الحىّ إلى أبد الآبدين.

لا زلت أقرأ للقديس كيرلس عمود الدين. واليوم كنت أقرأ رأيه فى آلام المسيح، مع مقارنة ما يقول به القديس أثناسيوس الرسولى فى نفس الموضوع.

صليت فى هذا اليوم جميع الصلوات السبع فى مواعيدها ولذلك قرأت بعض صلوات الأواشى الصغار والكبار وبعض القوانين الخاصة بالقدّاس والقرابين.

أفكر فى اليوم الذى أخرج فيه نهائياً من هذا العالم الحاضر لأكون هناك فى عالم الأحياء إلى الأبد. أصلّى هل بقى لحياتى الكثير على الأرض. كم مضى وكم بقى؟ وهل ياترى نهايتى سعيدة : لتمت نفسى موت الأبرار، ولتكن آخرتى كآخرتهم. إنى مشتاق ياإلهى أن

أكون مرضياً أمامك، وأن تكون لى أمامك دالة، وأن تنعم علىّ بتقوى حقيقية غير غاشة وأن تجعلنى دائماً متصفاً بالإخلاص والصراحة مع الحكمة والاتزان والوقار.

هب لى يارب موهبة تمييز الأرواح. وهب لى حكمة فى تصريف الأمور، أنت الذى وهبت الحكمة لسليمان ولدانيال وأنت الذى وعدت «من تعوزه حكمة فليطلب من الله الذى يعطى الجميع بسخاء ولا يُعير» فها أنا ابنك وعبدك وخادمك تعوزنى الحكمة جداً، الحكمة التى من فوق، والتى هى فوق الجميع، الحكمة الروحانية المترفقة، المملوءة أعمالاً صالحة. يارب أعطنى! (الأحد ٧ يونيه ١٩٦٤).

وأنا فى ختام هذا اليوم. أسألك ربى أن تغفر لى، وأن تباركنى، وتبارك وقتى ليكون كله مثمراً ونافعاً، واجعل حياتى حسب اختيارك، ولتكن فى كل شيء مشيئتك أنت لا مشيئتى أنا، لأن المرّ الذى تختاره أنت لى أفضل من الحلو الذى أختاره لنفسى.

يارب، طمئنى على أنى لك، وعلى أنك دائماً معى، وعلى أنك ترعانى بطريقتك، ومن غير رضاى. لأن ما ترضاه أنت لى لابدّ أنه خير لنفسى حتى لو لم يسرنى فى الوقت الحاضر. (٨ يونية ١٩٦٤م).

هذا اليوم هو ذكرى جلاء الإنجليز من مصر. متى أجلو أنا يارب من هذا العالم إلى عالم أفضل؟

فتتعلق نفسى بالأبدية، ولتصر حياتى يا إلهى كلها موجهة إلى السماء. هل حقاً أنا فى طريق السماء. يارب دعنى دائماً فى الطريق، ودعنى أيضاً فى الحياة، ودعنى أيضاً فى الحق. لأنك أنت هو الطريق والحياة والحق. دعنى إذن فيك، وفيك وحدك. يارب فلتفنَ نفسى فيك، ولا يبق لى وجود إلا فيك وهل لوجودى أنا معنى. إنه لا معنى له إلا بك. معك أحيا وبك أتحرك وبك أوجد. أيها الرب أنا لا أعنى الوجود وحده، وإنما أريد مقام الفناء والبقاء بعد الفناء. الفناء عن ذاتى والبقاء فيك. الفناء عن كل شهوة وكل رغبة جسدية أو نفسية أو أرضية، والبقاء فيك فى حياة مثمرة نافعة صالحة خيرة حية وحياتها قوية ومحببة أيضاً. «أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىّ» اقبل صلاتى يارب أن تكون أنت كل شيء فى حياتى. أعنى يارب على ما أقول، وحتى لو لم أكن جاداً فيما أقول، دعنى أنت جاداً فيما أقول، وأفعل ما أطلبه الآن منك ولا تعتد كثيراً بجديتى أو عدمها. فأنت تعرف الخير أين هو. (١٨ يونية ١٩٦٤م).

قلبى قد شغل اليوم بفكرة رئيس عام للكنيسة الجامعة الرسولية، وحاجة المسيحية إليه، فقلت إن الفكرة لا بأس بها بل نافعة فى زماننا هذا جداً، خاصة فى البلاد التى المسيحيين فيها قلة. على أن يكون هذا الرئيس لا يشترط فيه أن يكون من شعب معين أو من لون معين أو من جنس معين. يجب انتخابه بالإقتراع السّرى بين مجموعة رؤساء الدين من كل الأجناس والألوان البشرية. ويسمى فى هذه الحالة بابا الشرق والغرب، أو بابا الكنيسة الجامعة الرسولية. ويكون مقرّه فى أورشليم، ويكون له بأورشليم جهاز كبير لهم مؤهلاتهم، ليست جنسياتهم التى تؤهلهم لهذه المناصب. هل يتحقق هذا يوماً من الأيام. يارب استجب! (١٩ يونية ١٩٦٤).

لا أستطيع أن أنسى أننى فى مثل هذه الليلة كنت أستعد لقبول سر الكهنوت فى الدير المحرق. قضيت تلك الليلة بين التأمل والصلاة والعجب والذهول والاستعداد، وطلب رضى الله على حياتى وليبارك فىَّ. ولا يمكننى أن أصف مشاعرى فى تلك الليلة. غير أننى تذكرت أننى الآن استقبل وضع اليد للقسيسية، وقد اعتذرت عنها مدة أربع وعشرين سنة كاملة منذ أن دعانى إليها لأول مرة المتنيح الأنبا أثناسيوس مطران بنى سويف وذلك فى عام ١٩٣٩م وكان سنى فى ذلك اليوم نحو ١٩ سنة، فاعتذرت بضآلتى فى الروحيات والعلم والخبرة والسن وكل شىء. فأخذ يشجعنى بكلمات لأقبل فاعتذرت. وعاد فطلبنى مرة أخرى فذهبت واعتذرت، كما فى المرة الأولى، وقد دعيت بعدها عدة مرات فى إيبارشيات مختلفة منها المنصورة والأقصر واسنا واسوان، ومنها طنطا ومنها القاهرة.. الخ.

فى هذا الصباح الباكر تعيّد الكنيسة بعيد العنصرة، أو الخمسين المقدسة، وأعيد أنا بصفة خاصة وبالإضافة إلى عيد الروح القدس، بعيد إقتبالى سّر الدرجة، لكرامة القسيسية والقمصية بدير السيدة العذراء بالمحرق وعلى مذبح الكنيسة الأثرية. يا للشرف الجزيل الذى نلته لكى أصلى على المذبح المقام على نفس البقعة المقدسة التى أقامت فيها العائلة المقدسة نحو ٦ شهور كما يروى التقليد. وتمت الرسامة على يد نيافة الأنبا بطرس مطران اخميم وساقلته وهو من رهبان دير السيدة العذراء بالمحرّق. أربعة وعشرين عاماً اعتذرت عن قبول القسيسية ولكنى نلتها فى هذا اليوم، هل أذكر حلماً كنتُ رأيته وأنا فى بدء دخولى بالسنة الأولى بالإكليريكية، هوذا واحد يقول لى بعد نقاش وجدل لاهوتى. إنك مستحق أن ترسم قمص مباشرة. وأنا فى الحق غير مستحق، ولكن هكذا كان نداء فى الحلم. أذكره الآن وأذكر خطاياى وأذكر نعمة الله علىّ. ولكن تُرى، هل لى شىء من فضائل

الكهنوت؟ الكهنوت يتطلب من بين ما يتطلب، الطهارة والقداسة والروحانية والعلم والفهم والحكمة والحنكة وطول الأناة، ومحبة الناس، وقبل ذلك محبة الله بغزارة، وغيرة مقدسة على مجده. ويتطلب سهراً ويتطلب أمانة وإخلاصاً، ويتطلب تفانياً. وأحسب نفسى أنى ناقص فى هذا كله نقصاً فاضحاً. أيها الرب الإله ارحمنى ولتهبنى فيضاً من مواهب الروح القدس بها أتكمل فى فضائل الكهنوت، حتى يمكننى أن أحيا كما يليق بكاهن لله. آه يارب ماذا أطلب فى هذا اليوم الذى حلّ فيه الروح القدس على التلاميذ الأطهار، وحلّ فيه الروح القدس علىّ أيضاً لإقتبال كرامة القسيسية والقمصية، أطلب أن تمنحنى تقوى حقيقية غير غاشة، روحانية عميقة، إحتقاراً لأباطيل العالم، إحتقاراً لكل المظاهر والمناصب الدنيوية، إحتقاراً للشهوات، وتمجيداً عملياً للبتولية الطاهرة. أطلب أن تمنحنى فهماً، روحانية وحكمة سماوية، كما وهبت سليمان ودانيال وموسى وداود، وتمييز الأرواح، والمشورة الصادقة وكل ما تراه لازماً لخادم أمين يريد أن يكون لك أنت وحدك، ولا يريد أن يكون لغيرك! يارب! أيها السيد الرب بهذه الليلة يكمل ستة أيام من صوم الرسل الأطهار، أسأل أن تنفعنى ببركاتهم. لقد رأينا يا إلهى أن نغادر أبوقير إلى القاهرة، فبارك إقامتى الباقية فى أبوقير وأرجو أن تختار الوقت المناسب الذى أغادر فيه هذه المدينة، لأنه إن لم تباركنى أنت فلا أمل يا إلهى لحياتى. إن شهوة قلبى أن تبارك إقامتى فى كل مكان، ورحيلى منه، حتى لا تكون إقامتى أو رحيلى بتفكيرى الخاص، واستحسانى الضيق. يارب ما أكثر همومى ولكن فى نفس الوقت ما أهونها إذا كنت أنت معى. أنت ستحول لى كل شر إلى خير وكل صعب إلى سهل وكل مرّ إلى حلو. إلى أن أنطلق نهائياً من هذا العالم لأكون معك فى كل حين، هناك حيث لا هم ولا حزن ولا خوف، هناك لا منغصات ولا معكرات ولا منكدات من أى نوع، ولا قدرة للمضايقين أن يتدخلوا فى حياة المتنعمين والمستريحين فى مجدك يارب احينى! (٢٧ يونيه ١٩٦٤م)

هذا هو الأحد السابع منذ أن قدمت من القاهرة معتكفاً بسبب إتجاه البابا وكهنة وشعب إيبارشية ديروط لرسامتى أسقفاً، لم أقم فيه قداساً ولا حضرت الصلاة بالكنيسة وأنا هنا فى أبو قير أعيش كراهب حبيس لا أخرج إلى هنا أو هناك، لا أخرج بتاتاً. ولا يجيئنى أو يعرف طريقى إلاّ الأستاذ لويس زكرى والأستاذ راغب مفتاح والأنبا شنودة.

وكأننى هنا نحو خمسين يوماً. ياليتنى ربى عرفت أن أستفيد من هذا الوقت الفوائد التى يجب أن يقتنيها إنسان مثلى معتكف هذا الإعتكاف الجميل.

ربى أسأل أن تكون معى وتحصن حياتى، وترشدنى وتحكمنى، وتقتادنى بيمينك وترعانى بعنايتك. أريد أن تكون أنت كل شىء فى حياتى، وأن تملأها بحبك وغيرتك وشفقتك على كل الخليقة (الأحد ٢٨ يونية ١٩٦٤م).

إننى يا إلهى أرى فى كل هذا محبتك، وأرى عنايتك ممتدة إلىّ، إننى أسمع أصوات الناس، ولا دوىّ لها فى أذنى ولا أثر لها فى قلبى، إلاّ من حيث أنها صوتك أنت بالذات تكلمنى. إننى كثيراً ما صليت ولا زلت أصلى أن اسمع يارب صوتك. وها إنى أسمع صوتك تكلمنى. كلمتنى فى أحلام وفى رؤى متكررة. وأشعر أن هذه الأحلام لم تخدعنى، ولكنها تتكلم بما هو حق. ولم أحاول أن أُحَمّلها أكثر مما تحتمل. ولم أحاول إلاّ أن أفحصها لعلّى أرى فيها إرادتك. وقد رأيت فيها وجهك وسمعت فيها صوتك. أنت الذى كلمتنى وعرفتنى أنك واقف إلى جانبى وأنك ترعانى وتحمينى، وترفعنى. ولكنى الآن وأنا واثق من حبك أرجوك ألا تتركنى لضعفى حتى لا أخوّر فى الطريق. لاتنسانى لخطاياى وإهمالى ونجاسات قلبى. لا تتركنى لحماقتى وسوء رأيى، ولا تسمح لى أن أخطأ إليك أو أخطأ إلى الكنيسة أو أخطأ إلى أحد من الناس أو أخطأ إلى نفسى. إنى أريدك أن تمسك لسانى وقلبى وعقلى فتتولى أنت عنى الكلام وتتولى أنت عنى كل تصرف. وتسوق الأحداث حتى تكلمنى أيضا. أريدك يارب أن تكون أنت كل شىء. أما أنا فأريد أن أفنى عن نفسى فناءً تاماً. ولا يكون وجودى إلاّ فى وجودك أنت (٣٠ يونية ١٩٦٤).

لم أذهب إلى الكنيسة فى هذا الصباح. وكيف أخرج وأنا أحيا كراهب حبيس منذ ٦٥ يوماً. وهذا هو الأحد العاشر الذى لم أقدس فيه ولا حضرت كنيسة. يارب سامحنى واصفح عنى.

تُرى هل أنا الذى خطئت إليك، وعقاباً لى سقت الأحداث فى هذا الطريق حتى أُحرم من الكنيسة ومن القدّاس، أم أنّ هناك مقاصد بعيدة أنت تعلمها؟

بين يديك أضع روحى وحياتى. وأرجو أن تدبرنى وترشدنى إلى التصرف السليم من كل الوجوه (١٩ يوليو ١٩٦٤).

والآن ماذا أصنع. إنى كنت ولازلت أضع الأمر بين يدى الله مدبّر الكون، منتظراً أيضاً معلومات تؤيد أو تنفى ما سمعته الليلة.

ربى وإلهى أرجو صلاحك أن يتدخل ويجنبنى متاعب الصدام مع رغبات البابا وشعب ديروط. أرجو أن تقوينى على أن أخدمك بأمانة وتقوى وغيرة ونشاط. أعنى فيما أقوم

به الآن. بارك ما أكتب لمجد الله وخلاص النفوس وبنيان كنيسة الله المقدسة. حوّل الشر إلى خير. لا تدع مشورة البشر تتحكم فى حياتى، أصدقاء كانوا أم أعداء. ارحمنى أنت، وضع حداً لمتاعب البشر. سامحنى على ما صدر منى من خطأ. اجعل لى نصيباً فى السماء مع القديسين. اجعل هدف حياتى واضحاً أمامى. امنحنى رضاك دعنى أشعر أنك دائماً معى. وأنك تحوّط بى من كل جانب، اغفر لى. واشفق علىّ. وبارك كل ما أقرأه وأكتبه الآن، وكل ما قرأته وكتبته فى الماضى. واجعل منى إنساناً نافعاً لمجدك. (١٣ اغسطس ١٩٦٤).

فى نهاية شهر أغسطس يكون قد مضى على إعتكافى وإختفائى مدة ثلاثة شهور ونصف أى منذ ١٦ مايو الماضى إلى اليوم منذ هذا التاريخ وأنا معتكف، أحيا حياة راهب حبيس، قضيت شهراً ونصف فى أبوقير، فى بيت الأستاذ لويس زكرى، وحيداً. وعدت منذ شهرين تماماً إلى بيتنا فى شبرا. لم أخرج قط، ولم أر غير أفراد أسرتنا بالمعنى المحدود، ونيافة الأنبا شنودة.

كل وقتى أقضيه صلاة وتأملاً ودراسة، بلا هوادة فيما عدا فترات النوم. وعادة أذهب إلى الفراش نحو الثانية صباحاً وأحياناً الثالثة صباحاً، وأحياناً الثالثة والنصف ولكننى أستيقظ متأخراً فى حدود الثامنة صباحاً، وأحياناً السابعة والنصف. وأحياناً السابعة.

أرجو أن أكون قد استفدت فعلاً من هذه الفترة، وأرجو أن يتفضل الرب فيبارك على كل ما صنعته فيها من صلوات وقراءات ودراسات وتأليف. إن لم يبنِ الرب، فباطلاً يتعب البناءون.

وأرجو الرب أيضاً أن يتفضل فيغفر لى أخطائى وخطاياى، وأن يتفضل فيصحح أخطائى، ويمنحنى رضاه وبركته على حياتى، وبركة على ما بقى لى من أيام فى هذه العزلة وهذا الإعتكاف ليكونا لخير جزيل. أرجو أن يمنحنى الربِ طهارة القصد وطهارة السيرة وطهارة فى كل عضو من أعضاء الجسد ليكون لخدمته.

ها أنا يارب، أريد أن أكون لك. وأريد أن تجهزنى للسماء، وأريد أن أسلك فى طريق القداسة التى بدونها لن يرى أحد الرب. أريد أن تحشد ذهنى بالأفكار الصالحة، وتدفع نفسى إلى العمل الصالح وترشدنى إليه، وبذلك أصير نافعاً ومثمراً.

أيها الرب اذكر أيضاً الكلية الإكليريكية ورسالتها ليؤمن الكل بها، أو ليزداد إيمان الكثيرين بها. ارحمنى من أجل اسمك القدوس. (٣٠ اغسطس ١٩٦٤).

فى هذا الصباح أذكر تاريخ ميلادى، اليوم الذى سُجل فيه اسمى كمولود جديد فى الوثائق الرسمية وربما أكون قد ولدت قبل ذلك بيوم أو أكثر من يوم، اليوم أكون قد بلغت خمسة وأربعين عاماً كاملة. إنه سن كبير. وحقبة طويلة من الزمن. فماذا فعلتُ فيها لبناء نفسى وذهنى وحياتى؟

إنى أُقرّ يارب، إننى لم أُثمر فى هذه السنين الخمس والأربعين ما يجعلنى راضياً عن حياتى. كيف لا أخجل من نفسى، حين أذكر اليوم خطاياى وإهمالى وكسلى وتقصيرى فى واجباتى الروحية، وأعمالى التى كان يجب أن تملأ حياتى؟

أذكر أنها سنون عجاف لم أصنع فيها شيئاً ذا بال يستحق ما صرف فيها من وقت.

وإلا فهل أجرؤ أن أقول أننى اليوم أفضل مما كنتُ؟ وحتى لو خدعتّ نفسى وظننت بها خيراً، فهل ما أحرزته من تقدم مزعوم يتناسب مع سنى، ومع فسحة الوقت الطويلة التى منحها الرب لحياتى :

ها أنا يارب أشعر بأننى خجل من نفسى جداً، وآسف على السنين الطويلة التى صرفتها من دون أن أبذل مجهوداً يذكر يرفعنى فوق مستوى الإنسان الطبيعى بصورة ترضى عنها نفسى. ويطمئن لها ضميرى.

لا زلت إنساناً عصبى المزاج، ولا زلت حساساً لنفسى، وفى كلمة لم أمت عن العالم بالمعنى الكامل، ولازال الجسد فىّ حياً. لازال يحاربنى الغضب والكبرياء والكسل والتوانى وشهوات الجسد والرغبة فى المجد والمديح. لازلت فى حاجة إلى روح الفضيلة والتقوى الحقيقية. لازلت فى حاجة إلى الصبر، والجّد، والحكمة فى تصريف الأمور، واحترام عامل الزمن، والحرص على قيمة الوقت. لازلت فى حاجة إلى طول الأناة، واتساع الحبّ والاحتمال، وموهبة تمييز الأرواح يارب! (١٣ اكتوبر ١٩٦٤).

ولقد آمنت بفائدة القراءة فى أماكن الخلوة.

إن الذهن يكون أكثر صفاءً وأكثر قدرة على العمل، وأكثر سرعة فى إنجاز كل المشروعات العلّمية التى يبغى الإنسان القيام بها.

صليت قداساً فى هذا الصباح وخدم معى شريكاً القمص شنودة السريانى.

هذا اليوم هو عيد رسامتى راهباً بالدير المحرق.

اذكرنى يا إلهى بالرضى. اصفح عن قصورى. إن الرهبنة مجد روحى وسمو وتعال

وترفع عن الماديات والجسديات والحسيات... ولكن أين أنا من هذا كله!.

الرهبنة عكوف على التعبد والتهجد والهذيذ فى الله، وأين أنا من هذا كله!.

الرهبنة عفة تامة للنفس والجسد والروح، عفة تامة للعقل والفكر، وعفة تامة للقلب والعينين والأذنين واللسان واليدين وكل الأعضاء... وأين أنا من هذا كله!

ربى يسوع المسيح، أرجو أن تصونني نعمتك وتؤازرنى قوتك لأكون إنساناً فاضلاً بالحقيقة. امنحنى أن أكون لك باطناً وظاهراً، قلباً وقالباً، داخلاً وخارجاً. اعطنى أن أكون لك قرباناً طاهراً محرقة تحرق كلها، فلا يبقى منها شىء لأحد. وإنما أكون كلى لله بقلب صادق مخلص ورغبة حيّة وشديدة.

أرجو أن أنمو، وأن أزداد، وأن أشتعل، وأن تضرم فىّ كل موهبة صالحة، وأن يكون لى نصيب مع القديسين. أريد أن أكون معك إلى الأبد، فباركنى! (١٦ سبتمبر ١٩٦٦).

الله وحده هو الذى يعلم أعماق قلوبنا وفخر رسالتنا(١)

أيها الأخوة والأبناء، كلما حاولت أن أنسى هذه المناسبة، وجدت نفسى مضطراً على الرغم منى أن أذكرها. حينما أذكر تاريخ هذا اليوم، أذكر كيف أنى دُفعت إلى الرسامة قصراً وقهراً، وأنا لا أعرف لماذا يُرسم مثلى أُسقفاً، قلت لقداسة البابا الراحل أن الأسقفية تُعطى إختصاصاً، وأنا عندى من الإختصاصات ومن المسئوليات ما يكفينى عشرها مدى أيام حياتى. ولكن قداسته فى ذلك الوقت أصرّ وأصرّ إصراراً غريباً، وأذكر فى عشية هذا اليوم أننى حاولت أن أتملص من قبضة يده، فقد كانت قبضته على يدى قوية جداً أكثر مما كنت أتصور بالنسبة لرجل مسن، حاولت أن أتراجع بل ربما خطر لبالى أن أخرج من الكنيسة فى هذا اليوم، ولكنه كان بيده اليمنى أسرع إلىّ، وضع هذه اليد على رأسى بينما يده اليسرى تمسك باليد الأخرى، وهكذا نطق بالنطق ونطق بالاسم أيضا، الذى لم أكن أعرف لماذا دُعيت، وأُختير لى اسم غريغوريوس. كان حاضراً فى ذهنه بعض المعانى، وحينما ناقشته بعدها على هذا الاسلوب فى إعتقالى بهذه الصورة، وكيف كانت يده قوية جداً فوق قدرتى على مقاومته، قال شيئا غريبا، قال: إن اليد لم تكن يدى.

ولعل هذه العبارة وعبارة أخرى أقوى منها، من رجل كان مكشوف العينين أقنعتنى وعزتنى وألزمتنى بأن أقبل بشكر عطية الله التى لا يُعَبّر عنها.

لست أعرف ماذا أقول فى هذا اليوم، فليس فى ذهنى معنى مُعين، إن ذكريات كثيرة وأفكاراً متنوعة تتزاحم إلى عقلى الآن، ومشاعر مختلفة تتجمع فى قلبى وتشد عواطفى شداً، ولست بمستطيع أن أُخلصها من بعضها بعضاً، ولكنى كإنسان معكم سائر فى رحلة الحياة، ولا أعلم متى تنتهى هذه الرحلة، ولكنى أُحس أننا سائرون فى طريقنا إلى الله.

ولهذا وكما يزود الإنسان الراحل نفسه بزاد ينفعه فى رحلته، يجب أن نزود أنفسنا بهذا الزاد الذى نقتات منه ونتزود به لهذه الرحلة السعيدة.

إننا فى الحياة كما تتصور لى الحياة، كل منا على مسرحها يقوم بدور، ولابد لكل واحد من أن ينزل من على هذا المسرح ليعطى الفرصة لآخر، وهكذا تجرى الحياة على هذا النسق

(١) كلمة نيافته فى عيد السيامة السابع ـ بمقر معهد الدراسات القبطية ـ فى ١٤ من مايو ١٩٧٤.

وعلى هذا الأسلوب، أُناس يصعدون إلى المسرح ثم ينزلون ويصعد آخرون من بعدهم، والله وحده يعلم مَن مِن أولئك قد أجاد دوره؟ ولعب دوره جيداً؟ وليس المهم الدور الذى يلعبه الإنسان، ولكن المهم بالأولى مدى الإجادة، مدى الإجادة فى القيام بهذا الدور. ليس المهم الشخصية التى يمثلها الإنسان فوق هذا المسرح، إنما المهم درجة الإتقان ودرجة العمق فى الأداء التى يؤديها مَن تُعطَى له الفرصة أن يصعد إلى المسرح لحظة ما ليقوم بدوره.

أعود بهذا اليوم أذكر ويجب ان أذكر أننى واحد من بين هؤلاء الذىن يقومون بدور، الله وحده هو الذى يعلم أعماق قلوبنا وفخر رسالتنا ومضمون العمل الذى نقوم به، الله وحده هو الذى يُقَيِّم لأنه يعلم النوايا ويعلم ظروف الإنسان ويعلم كل ما يحيط به وما يحيط بى.

إننى أرجو بصلواتكم أن يكون لنا حسن القبول أمام الله، وأن تكون سيرتنا مرضية أمامه تعالى، فنحن جميعا خدام وعبيد لهذا السيد الواحد، وكلنا سنحاسب أمامه فى اليوم العظيم، وسنحاسب بدقة، على قدر ما أوسع لنا من رحمة فى مجيئه الأول على قدر ما سنحاسب بدقة وبعدل عن أعمالنا، فى هذه الفترة التى منحنا الله إياها فرصة لنعمل فيها أعمال المسيح، وفرصة لنشارك فيها فى إمتداد ملكوته وخدمته.

أما أن أشكركم فهذا أمر أؤديه من قلبى، على قدر ما أحس فى قلبى من حسن نيتكم، ومن عمق عاطفتكم ومن حقيقة إحساساتكم التى عبر عنها من تكلم باسم الحاضرين وأسماء الغائبين، ولكنى لا أؤمن أبداً بأن اللسان هو الطريق الوحيد للتعبير عن الإنسان، الإنسان هو هذا الكائن العجيب الذى يشيع من حوله جواً، تنقله نظراته، وتنقله علامات وجهه، وتنقله حركاته وسكناته، بل وأجرؤ أن أقول تنقله أيضا نسماته التى تخرج من أنفه، وكهرباء ريحيه تنتشر سرياً من كل عضو من أعضائه دون أن يدرى ودون أن يعلم، ويحسها الناس من حوله إحساساً غريباً عجيباً، فنحن كائنات روحانية مغلقة فى هذا الجسد، حقا أنها محبوسة فى هذا الجسد، لكن هذا الجسد لم يحصرها ولم يحدها، فلذلك فعلا تنتشر من الإنسان إحساسات محبته وعواطفه، حتى لو لم يتكلم.

لذلك فإنى إلى هذا المعنى أقصد حينما أشكر، لا أشكر على الكلمات فقط، إنما أشكر ما بعد الكلمات وما وراء الكلمات من مشاعر أفهمها وأحسها وأؤمن بها، فى الذين تكلموا والذين لم يتكلموا، فإننى أرى كتعليم سيدى أن المحبة أثمن شيئاً فى هذا الوجود وأنها

تطفئ ناراً. بودى أن أتصور ماذا يكون العالم لو لم تكن هناك محبة، كان العالم يصبح جحيماً وناراً ملتهبة، وإذا كنا نعيش إلى اليوم فى عالم يتردد فيه السلام بين الحين والحين، فإنما بفضل أولئك الذين سطع عليهم تعليم المسيح فى المحبة، واستطاعوا أن يشعوا إشعاعات المحبة فى المحيط الذى يحيط بهم.

لذلك نحن وفى جو هذه المحبة الطاغية التى نؤمن بها والتى نحياها، أريد أن أشكر الله من أجلكم وأشكر الله من أجل محبتكم، لأنها تعبير عن محبة الله، أن يبارك فى هذا المعهد، فى هذه المؤسسة التى كان يجب على الأقباط أن يفخروا بها، وأن يتعاونوا على إزدهارها ونموها وتشجيعها وتدعيمها بكل الوسائل الممكنة.

ادعو الله أن يبارك عميد هذا المعهد الدكتور سامى جبرة وأساتذة هذا المعهد، والدارسين فيه والعاملين فيه، والذين بمشاعر المحبة حضروا معنا فى هذا اليوم، أشكر الأبوين الفاضلين اللذين أيضا بمحبتهما شرفا هذا الحفل حفل المحبة، وارجو الله أن يحفظكم جميعا متمتعين بنعمة الله، وبالإيمان مزودين بكل الفضائل الروحية التى تؤهلكم أن تكونوا مستحقين لدعوة الله العليا، ولميراث ملكوت السموات.

شكراً لكم ومجداً لإلهنا، وبصلوات القديس أثناسيوس الرسولى صاحب هذه الذكرى حامى الإيمان، الذى دافع عن الإيمان وكان واسطة الله بأن ينقل إلينا هذا الإيمان، سليماً وحياً، وبصلوات كاروز ديارنا المصرية القديس ناظر الإله الإنجيلى مرقس الرسول، بل وحامى هذه البقعة الأنبا رويس، وصلوات جميع الأرواح المقدسة التى تحيط بنا كسحابة شهود كثيرين، يحفظ الرب حياتكم جميعا ولإلهنا كل كرامة ومجد إلى الأبد آمين.

صلاة

نبارك صلاحك ونشكرك على هذه الفرصة التى أعطيتنا، لكى نكون معا برابطة المحبة التى تربطنا، ارجوك أن تحفظ وحدتنا ومحبتنا إلى الأبد، ثابتة راسخة بغير تزعزع، كن معنا يارب، ارشدنا وعلّمنا، قوينا وثبتنا، لنكون راسخين غير متزعزين وغير عاثرين فى شئ، باركنا لكى نكون مثمرين، غير مجدبين لكى يكون لحياتنا قيمة، لكى يكون لوجودنا معنى، كى تكون حياتنا موجهة نحو هدف سامى متعلقة بالحياة الأبدية التى إليها دعينا.

يا ربنا يسوع المسيح نرجو أن نكون فى مسيرتنا، مُرضين شخصك المبارك، عاملين

بوصاياك سائرين فى طريق السماء بغير عوج ولا إنحراف، فى أرثوذكسية الإيمان وأرثوذكسية السيرة معا، لا تحرمنا من الميراث الأبدى المحفوظ لنا فى السموات، لا تسمح أن يُخطف منا الإكليل، بل أعطنا هذا الإكليل، أن يكون لنا وأن نكون نحن له. بأن نكون أمناء إلى النفس الأخير حتى الممات، فنحن نعلم أنك ربنا وفادينا وأنك حامينا وحافظنا، وأنك أنت تنظر إلينا وتتطلع، وتتطلب منا أن نكون لوصاياك مخلصين، وأن نعيش كما يحق لإنجيل المسيح فى كل تقوى وفى كل وقار.

لتكن هذه الأمسية المباركة سعيدة، كل فكر لا يرضى صلاحك يا الله محب البشر فليبعد عنا، لتكن ملائكة السماء فى حراستنا، لتكن صلوات القديسين من أجلنا مقبولة عندك، ارفع غضبك عن البشرية، اذكر المرضى والحزانى والمتعبين والمبلوين، والمجربين والمظلومين والمضطهدين، والمتعبين بكل نوع من التعب.

ارفع يارب، ارفع الآلام لكى تكون فى طاقة الناس أن يتحملوها، حتى لا يخوروا فى الطريق ولا يتزعزعوا، بارك يارب عبيدك خدام الكنيسة على مختلف درجات المسئولية، بارك الشعب رجالا ونساءاً، شباناً وشابات وأطفالاً، بارك الخدام والخادمات، نطلب خلاص الله فى الشعوب، نطلب هداية للضالين، نطلب رجوعاً للبعيدين، نطلب خصوبة للذين أصيبوا بالجفاف والفتور، اذكر الحزانى ليتعزوا بتعزيات السماء، ارحمنا جميعا، اغفر لنا خطايانا، من أجل اسمك المبارك الذى دُعى علينا، وبشفاعة ذات الشفاعات معدن الطهر والجود والبركات، سيدتنا كلنا وفخر جنسنا العذراء البتول الذكية مريم العذراء، والشهيد الكريم مارمرقس الرسول كاروز الديار المصرية، وكافة الملائكة والآباء والأنبياء والرسل والشهداء والقديسين، والسواح والعباد والنساك المجاهدين، الذى أرضوا الرب بأعمالهم الصالحة منذ آدم إلى آخر الدهور.

ولك نسجد أيها الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس، واجعلنا مستحقين أن نقول بشكر أبانا الذى فى السموات....الخ.

عيدى الصعود والقديس أثناسيوس الرسولى(١)

الحقيقة، جميل أن فى إجتماع كهذا، نتلو فصلاً من الكتاب المقدس. لو لم يكن هناك شئ آخر نفيد منه، يكفى أن نقرأ من أفواه الله. ونعيها فى قلوبنا ونفهم معانيها، ونتبين أن الله معنا، وأنه يمكن أن يُحَوّل الشر إلى خير، وأن يبدل الظلمة إلى نور، وأن يسندنا بيمينه وأن يشد أزرنا وأن يقوى ضعفنا وأن يتولى بنعمته تدبير أمرنا، إن كنيسة المسيح، كنيسته، إنه نسب الكنيسة إلى نفسه، «سأبنى كنيستى»، فالكنيسة ليست لإنسان إنما الكنيسة للمسيح، هى كنيسته، هى بيعته، ونحن شعبه وغنم رعيته، فهو فى الكنيسة وهو حاميها وهو الضامن لسلامتها، وأن بوابات الجحيم لن تقوى عليها، لا بقوة إنسان فيها أيا كانت درجة هذا الإنسان، إنما الضامن لنا والضامن لعصمة الكنيسة وسلامتها، هو المسيح الذى بنى الكنيسة. سأبنى كنيستى وبوابات الجحيم لن تقوى عليها.

هى أيام يُمتحن فيها الإيمان، ونحن فى عصر فيه غربلة، وهنا نذكر ما قاله الرب نفسه لتلاميذه : «هوذا قد طلب أن يغربلكم كالحنطة»، فى زماننا هذا غربلة، وفى هذه الغربلة أُناس يكونون من القوة بحيث يُعصَمون من أن يقعوا من فتحات الغربال، وهناك أُناس ضعاف يمكن أن يسقطوا فى منافذ الغربال.

قال المسيح له المجد : إذا جاء ابن الإنسان المجيء الثانى ألعله يجد الإيمان على الأرض!! فنحن فى وقت يُمتحن فيه الإيمان.

نحن فى فترة أعياد القيامة، الخمسين المقدسة، وأشرفت الأربعون يوماً أن تنتهى، وفى يوم الخمسين المقبل إنشاء الله سنحتفل بعيد الصعود المجيد، ويتفق عيد الصعود فى هذه السنة مع عيد نياحة القديس أثناسيوس الرسولى، الذى نحتفل به دائماً فى السابع من بشنس، ويقع فى الخامس عشرة من مايو تقريباً. وهذه معانى نتذاكرها ونتذكرها فى المناسبة التى اجتمعنا من أجلها فى هذا المساء المبارك، نريد أن تنسحب أفكارنا إلى السماء، حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً، المسيح له المجد صعد إلى السماء بذبيحة نفسه وكان صعوده جهاريا بقصد أمام الملأ، أمام تلاميذه وأمام المؤمنون وأمام عدد ضخم من غير المؤمنين، ممن كانوا على سفح الجبل وتحت الجبل والذين كانوا يسكنون جبل

---

(١) كلمة نيافته بمناسبة عيد السيامة الثالث عشر ـ مساء الأحد ١١ مايو ١٩٨٠م ـ ٣ بشنس ١٦٩٦ش، بمقر معهد الدراسات القبطية بالأنبا رويس. والقراءات المزمور ١٢١، والاصحاح ٥١ من سفر إشعياء النبى.

الزيتون، كل هؤلاء رأوا المسيح صاعداً إلى السماء. رأوه بطريقة واضحة ظاهرة، فى الأربعين من بعد قيامته المجيدة والصعود إلى السماء، معناه أنه قد نجح فى مهمة الفداء، وأنه أيضاً كذبيحة كفارية قُبلت أمام العدل الإلهى كنائب عنا، صعد بطبيعتنا، أخذ جسدنا وأجلسه على العرش فى السماء، ومعنى ذلك أننا نحن بطبيعتنا الترابية، سرنا نحن الآن جالسين على العرش بالمسيح، لأنه أخذ جسداً من طبيعة جسدنا، يالهذا الشرف الذى نالته طبيعتنا إذ اتخذ المسيح هذه الطبيعة، وشرّفها، وكرّمها، وألّهها، وروحنها وصارت طبيعة مجيدة، لم تعد طبيعة التراب. وإنما لأن المسيح أخذها فمجدها، وهذا هو المعنى الذى نفهمه من القداس الغريغورى : «أصعدت باكورتى إلى السماء»، فالمسيح باكورة لنا، الأول بيننا، من حيث أنه أخذ طبيعتنا وصعد بها وشرّفها ومَجّدها وكرّمها، لذلك نمجد الله ونشكره الذى حول شر الخطيئة إلى هذا الخير العظيم، خطيئة أبينا آدم التى كانت كارثة ودخل عن طريقها الشر والفساد لطبيعتنا، هذه الطبيعة كرّمها المسيح وتَلّبس بها واتّحد بها، فلم يطهرها فقط بإتحاده بها، إنما قَدّسها وتحولت إلى مقدسة وألّهها وأعطى لنا الخلود.

إذن جسدنا ليس فانياً، جسدنا ليس فاسداً، لأن المسيح أخذ هذا الجسد فغير فساده فصار مقدساً، جسدنا نحن صار مقدساً فى المسيح.

إذن نحن لا نؤمن لا بفناء الروح ولا بفناء الجسد، وإنما هذا الجسد تَكّرم وصار مقدساً، وهذا سبب آخر لماذا نحن نُكّرم أجساد القديسين التى تقدست بالمسيح؟ ومُسحت بالمسحة المقدسة فتحولنا إلى مُسحاء.

إن عيد الصعود يحمل هذه المعانى لنا ولذلك جُعل فى الكنيسة من أعيادها السبعة، دائماً يقع فى يوم الخميس فى تمام الأربعين لقيامة المسيح له المجد، ولأنه يقع فى يوم الخميس عادة لا يكون هناك فرصة لمجموع الشعب أن يحتفل بهذا العيد كما يليق به، ومع ذلك ينبغى علينا نحن كمسيحيين أن نتفكر فى المعانى التى يثيرها فينا عيد الصعود المجيد.

هذا الصعود الذى نستقبله فى يوم الخميس المقبل، وعيد القديس أثناسيوس الرسولى الرجل الذى يعتبر بحق مؤسس المسيحية الثانى بعد المسيح، الذى قام بأعظم حركة تصحيحية. لأن البدعة الأريوسية كانت من القوة حيث كادت تزيل المسيحية وتجهز عليها، ولكن الله الذى وعد بأنه لايترك كنيسته وأن يقيم لها فى كل عصر قرناً، قرن خلاصة، مجد

صَفيه أثناسيوس بأن جعله الرجل والإناء المختار الذى يحمل هذه المهمة الثقيلة، والتى حملها وفى سبيل حملها تحمل الآلام الكثيرة، بحيث أنه قلّ من بطاركتنا من رأى من الآلام ما رآه أثناسيوس، من جهات مختلفة لا من الأريوسيين وحدهم، بل من اليهود أيضا، ومن الوثنيين، ومن رجال الدولة، حتى قسطنطين الذى فى مجمع نيقية شد على يديه وقال له أنت بطل كنيسة الله، قسطنطين أوغر صدره ضد أثناسيوس وصار يكره أثناسيوس، ويرى فيه الرأس العنيد الذى يقاومه، وقسطنطين هو الرجل الذى نفى أثناسيوس النفى الأول، ونُفى بعد ذلك أثناسيوس عن كرسيه أربع مرات أخرى، خمس مرات يُنفى أثناسيوس من كرسيه، ولكن كان هذا النفى خيراً للكنيسة، لأنه حيث ما ذهب قديس الله كان يكرز بالكلمة ونشر الإيمان ونشر الرهبنة، وفى بلدة تسمى ترير فى غرب ألمانيا نُفى أثناسيوس، ثلاث سنوات قضاها هناك فى هذا النفى، ترك آثاراً وهناك عَلّم وهناك كَرَزَ بالمسيح وشرح حقيقة الإيمان الأرثوذكسى، وقاوم البدعة الأريوسية، وتعاون مع اسقف كريت فى ذلك الوقت وصلى هناك، وكان من آثاره أنه فى مدينة ترير تمم أثناسيوس الرسول، سيرة القديس أنطونيوس باليونانية، هذه السيرة التى تُرجمت من اليونانية إلى اللاتينية ومن هنا عرف الغرب الرهبنة المسيحية، وهكذا أسس أثناسيوس أديرة لا فى ألمانيا فقط بل فى فرنسا، فى مارسيليا، فى ليرنس وبعده تبعه بعض الآباء الذين كرزوا أيضا فى ايرلندا وفى انجلترا وفى سويسرا وفى غير ذلك من البلاد، هذا يُذَكّرنا بكلمة الكتاب المقدس : «الذين تشتتوا جالوا مبشرين بالكلمة». نذكر القديس أثناسيوس ونُحّى ذكراه، بطلٌ عظيم من أبطال الإيمان الأرثوذكسى، وهو الذى حمل لقب حامى الإيمان ومن بعده صار بطاركة الإسكندرية يحملون هذا اللقب، الذى تأسس أول ما تأسس بسبب أثناسيوس، الذى حمل هذا اللقب عن جدارة وعن حق، لأنه كان يدافع عن الإيمان، هذا الرجل نذكره فى هذه الأيام فى الخامس عشرة من مايو - السابع من بشنس رقد أثناسيوس مسجلاً نهاية الكفاح الطويل الذى عاشه، كفاح غير عادى، ويقف أمامنا نموذجاً عالياً سامقاً نتعلم منه كيف يكون الثبات على الإيمان، ونحن فى حاجة فى هذه الفترة فى هذه الأيام، التى اقترب فيها مجىء المسيح الثانى، إلى طراز أثناسيوس وإلى سيرة أثناسيوس، لكى نتعلم منها حتى نكون حقاً جديرين لأن نكون أبناء لأولئك الآباء العظام.

ورثنا المجد عن آباء صدق ... أسأنـا فى ديارهـم الصنيعـا
إذا المجد التليد توارثتـــه ... أُناس السوء أوشك أن يضيعا

مجد كنيستنا مجد عظيم، لكنه لم يُصنع بسهولة، صنعه الآباء المكافحون المناضلون، ثمنه دماءهم، ثمنه أعصابهم التى احترقت كالبخور الذى يحترق فى المجمرة، ولكن شكراً لله أن كفاحهم لم يضع، ونحن الآن دخلنا على تعبهم. قال رب المجد : «آخرون تعبوا وأنتم دخلتم على تعبهم». نحن الآن نحصد ثمر الكفاح الذى قام به الآباء مثل أثناسيوس، لا فضل لنا، الفضل لله الذى رعى هؤلاء الآباء وحفظهم وساندهم فلم يعثروا، عصمهم من أن يقعوا فى خطأ.

فصار التعليم الذى نُعلّم به اليوم هو هذا التعليم السليم، الذى عَلّم به أولئك الآباء العظام من أمثال أثناسيوس وكيرلس وديوسقوروس وغيرهم من الآباء الكبار.

إننا نذكر أثناسيوس ونذكر الآباء الذين على طرازه وعلى شاكلته، ونترحم عليهم ونصلى أن يكون فينا ما فيهم، من ثبات ومن قوة ومن رسوخ فى العقيدة، ومن أمانة بحيث لا نفرق ولا نتساهل، فإن التساهل فى إيماننا جريمة، وعلينا فى الوقت الذى فيه نسمع عن بعض من المسيحيين، تَخَلّفوا فسقطوا من ثقوب الغربال بسبب الظروف المحيطة بنا، علينا أن نذكرهم، نُصلّى من أجلهم وأيضاً أن يتحول كل منا إلى أثناسيوس صغير، للدفاع عن الإيمان وأن ننشر الثبات والحرص والتمسك فى بيوتنا وفى عائلاتنا، وفى مجتمعاتنا الصغيرة والكبيرة وفى كل مكان نرجو الجميع أن يثبتوا على الإيمان وألا يتزعزعوا، لأن هناك إمتحاناً صعباً نجتازه الآن، وأن المسيح يرقب من السماء، ليرى ماذا يحدث لثباتنا وكيف يكون نجاحنا فى هذا الامتحان؟. إنه امتحان لمحبتنا لله وإمتحان لمحبتنا للإيمان وإمتحان لصبرنا، من يصمد إلى المنتهى فهذا يخلص. فكيف يكون الصمود ما لم تكن هناك ظروف معاكسة، هذه الظروف المعاكسة هى التى بها يبرز الإيمان، وكما يقول الرسول بولس : «لابد أن تكون بينكم بدع ليكون المزكون ظاهرين»، ربنا يسوع المسيح يحفظكم جميعاً فى اسمه ويبارككم بكل البركات السمائية، ويرحمنا جميعاً، ويرحم كنيسته وشعبه، ويحفظنا فى الإيمان الأرثوذكسى إلى النفس الأخير له الإكرام والمجد إلى الأبد آمين.

معك يارب لا نريد شيئاً[1]

الأصحاح الثانى من رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى كنيسة الله التى فى تسالونيكى ومن العدد الأول إلى العدد العشرين. هذا الفصل من أجمل الفصول التى يبرز فيها علاقة الخادم بالمخدومين وعلاقة الراعى بالرعية، وعلاقة الكاهن بالشعب، فيها نرى جهاد الخادم الذى يخدم هذا الحقل المقدس، خدمة يطمئن أنها أُعطيت له من الله.

يبرز فيه يقين الخادم بأنه لم يقحم نفسه على الخدمة ولا فرض نفسه، وإنما يثق فى يقين أنه مؤتمن من الله ومطمئن إلى هذا اليقين، وهنا عبارة الرسول الجميلة وهو يقول: «لأن وعظنا ليس عن ضلال ولا عن دنس ولا بمكر، بل أسْتُحسنا من الله أن نؤتمن على الإنجيل»، أسْتُحسنا من الله، الله هو الذى إستَحسن أن يرسلنا، الله هو الذى ارتضى أن يرسلنا، فنحن لم نفرض أنفسنا، وهذا هو شرف الخادم الأمين، وهذه هى أوراق إعتماده، أنه مرسل من الله، والخادم الحق الذى يخدم برضى ينبغى أن يكون أولاً، مطمئناً إلى أن الله أرسله بالحقيقة، فهنا تحضرنا عبارة الإنجيل عن يوحنا المعمدان. «كان إنسان مرسل من الله اسمه يوحنا» (يو ١:٦)، وفى موضع آخر يقول يوحنا : «أنا لم أكن أعرفه – لم يكن يعرف المسيح معرفة سابقة – ولكن الذى أرسلنى.. قال لى الذى ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذى يعمد بالروح القدس» (يو ١:٣٣).

شرف الخادم الحق أن يشعر أنه أُرسل من الله، وأنه لم يقحم نفسه ولا فرض ذاته. يقول كما استحسنا من الله، هذا الإستحسان ليس فقط أن يرسلنا لمهمة، إنما الله أيضاً استحسنا نحن أن نقوم بهذه المهمة.

إذا وجد هذا الخادم الذى يمكنه أن يقول ما قاله الرسول عن نفسه، أنه أُستحسن من الله، فهذا ضمان له أن سيده يعترف به أنه مرسل من قبله، ولذلك أعطى المسيح له المجد لهؤلاء التلاميذ والرسل الذين من قبله، أن تكون لهم الكرامة التى لمرسلهم، فقال من أكرمكم يكرمنى ومن استحقركم احتقرنى.

يالشرف هذا الخادم الذى اندمج فى سيده وارتبط به واتحد به فصارت كرامته كرامة سيده، وإذا أُزِلَّ أو أُضطهد فليس هو الذى أُضطهد، إنما الذى أُضطهد هو سيده،

(١) أُلقيت بمناسبة عيد رسامة نيافته الرابع عشر فى ١٠ مايو ١٩٨١م.

وهذا عزاءه وهذا ما قاله المسيح لتلاميذه إن كانوا قد اضطهدونى فسيضطهدوكم وقد اضطهدوه. إذن هنا يفرح التلميذ حينما يرى أن نصيبه من نصيب سيده، وأن قرعته هى قرعة سيده، ارتبط بسيده فلا يفرح إذا نال كرامة ولا تنتفخ أوداجه إذا رأى مدحاً، لأنه وقد اطمئن أن سيده هو الذى أرسله فالمدح ليس له بل لسيده، لأنه ارتبط بسيده، واندمجت شخصيته فى شخصية سيده، وإذا أُحتقر أو أُزدرى به أو أُضطهد، فليس هذا الإضطهاد له، وليس هذا الإحتقار له، إنما الإحتقار لسيده الذى أرسله، وهذا عزاءه.

إن هذا الطراز من الخدام لا يضطرب ولا يرتبك ولا ينفعل، لا إنفعال الفرح العنيف ولا إنفعال الحزن الممض، لأنه عرف مصيره أنه ارتبط بسيده وهذا كل شرفه، وهذه أوراق إعتماده كسفير يتكلم عن سيده.

يقول الرسول أُستُحسنا أن نؤتمن على الإنجيل، الإستحسان أننا نكون مؤتمنين على الإنجيل، عندما إنسان يَعهد إلى شخص بمهمة، هذا معناه أنه يثق فيه أنه قادر على أن يقوم بهذه المهمة، وهذا أيضاً كرامة له أنه أُؤتمن وأُعتبر مستأهلا، مكلفا كأمين على مخازن سيده، هذا التعيين يستحق أنه يهنأ به مبدئياً على الأقل، لأنه أُؤتمن على رسالة، هذه ثقة غالية ولكن هذا هو بدء العمل، أُؤتمن لكن هل حقا يبقى أميناً على مخازن سيده؟ لا يضيف عليها من عنده ولا ينقص منها، لا يتصرف فيها من غير إرادة سيده وموكله. ارتبطت رغباته برغبات سيده، وأصبح يعرف سيده ويعرف كيف يتصرف لأنه مؤتمن. هذه العبارة وإن كانت ثمينة لأنها تدل على الثقة الغالية التى وضعها السيد فى خادمه، لكنها مهمة ثقيلة وجميلة، ثقيلة يجب أن يأخذها الخادم بالوقار، وأن يكون حريصاً عليها حافظاً لها، محافظاً عليها، مدققاً فيها، صاحياً، منتبهاً بمشاعره وإحساساته لئلا يضر الأمانة التى أُؤتمن عليها، ولئلا يتلف صورة سيده ولئلا يُضيِّع الثقة الغالية التى أودعها فيه.

إذن هى ثقة لكنها مسئولية، أليس من السهل أن يعرف الإنسان إبتداءا إذا كان حقا سيبقى محافظاً على أمانته أو لا؟ هذه مهمة لا يمكن الحكم فيها إلاّ فى نهاية الحياة، ولذلك فإن الرسول فى موضع آخر يقول : «انظروا إلى مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الحياة، انظروا إلى نهاية سيرتهم وتمثلوا بإيمانهم» (عب ١٣:٧)، مهمة جداً نهاية السيرة، لأنه يمكن أن يبدأ الإنسان حسناً ولا يستمر فى وضعه وفى مكانته، أو قد لا يستمر مستحقاً للثقة التى وضعها سيده فيه.

تلاميذ المسيح كانوا أُمناء فيما عدا واحد منهم، حافظوا على أمانتهم لسيدهم، أما عذاب يهوذا فكان عظيماً، وقال عنه سيده : «كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد» (مت ٢٦:٢٤). عبارة قاسية مؤلمة، وضع سيده ثقته فيه، وكان من بين الذين رجعوا إلى المسيح يقولون حتى الشياطين تخضع لنا باسمك، لكن يهوذا تعلق قلبه بغير سيده وانحرف شيئاً فشيئاً بعيداً عن رسالته، ولذلك فقد كرامته وضاع واستحق أن يسمع هذا القرار المؤلم، كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد.

هذه عبارة ينبغى أن يحملق فيها كل خادم، ليعلم إن كان الله قد وضع فيه ثقته، فينبغى أن يكون حريصاً أشد الحرص، على أن يكون جديراً بهذه الثقة الغالية، وأن يقدرها حق قدرها، لا ينتفخ بها إنما يتضع بها، ويعلم أنها تقتضيه تعباً أكثر، لأن هذه الثقة وضعت لا ليستريح وإنما ليخدم وليحمل رسالة هى رسالة سيده، فلا يغمض عينيه ولا تستريح أعضاءه حتى يتمم بفرح سعيه والخدمة التى قبلها من الرب يسوع كما يقول الرسول، «نؤتمن على الإنجيل» عبارة دقيقة، الإنجيل يؤتمن عليه الخادم والرسول. إذن هو وديعة، الإنجيل هنا ليس المقصود به فقط الإنجيل من حيث هو نص مكتوب، إنما الإنجيل فى فحواه رسالة المسيحية، فهنا الرسول يؤتمن على الرسالة.

اسمعوا ما تقتضيه هذه الأمانة «هكذا نتكلم لا كأننا نرضى الناس، بل الله الذى يختبر قلوبنا»، هنا معنى أن يؤتمن الخادم على الإنجيل، معناه أننا نتكلم ونسعى لا كأننا نرضى الناس، أنا خادم لسيدى وخادم لسيد واحد، عيناى تكونان شاخصتين بإستمرار على هذا السيد، أنا واقف على خدمته، عبارة قالها إيليا «حى الرب الذى أنا واقف أمامه». واقف على بابه، أنتظر إشارته، أنتظر كلمه منه. هذه مهمتى وهذه وظيفتى. لا أن أجرى يميناً أو شمالاً، أنا واقف أمام سيدى، ليس لى شرف أكثر ولا أريد أن أزيد ولا أريد أن أنقص أريد أن أبقى واقفاً، واقفا أمام سيدى خادماً كما يقف الخادم على باب الملك، كما يقف الخادم على باب سيده، كل وظيفته أنه واقف منتظر إشارة من سيده لينفذها. ليس له عمل آخر أشرف من هذا ولا أعجب من هذا.

«هكذا نتكلم لا كأننا نرضى الناس» أنا لست عبداً للناس، حقا أنا أحترم الناس ولكن من خلال الخدمة لسيدى، أولاً لا أريد أن أخدم الناس لأكون عبداً للناس، أو أكون زعيماً

للناس، إنما إن خدمت الناس فمن خلال خدمتي لسيدى، سيدى أولاً، ولو وقف الناس ضد سيدى لوقفت مع سيدى ضد الناس، لأننى لا أُرضى الناس، ليست مهمتى أن أُرضى الناس، لست أريد أن أرضى أحداً سواه، ولكن من خلاله أُرضى كل أحد. لأنه هو هدفى وغايتى، ليس لى هدف آخر.

هذه خدمة الملائكة الواقفين أمام الله. «أنا جبرائيل الواقف أمام الله». فى الحقيقة هذه النقطة عندما نتأملها نرى أن الملائكة أو الكاروبيم منذ الخليقة واقفين، آلاف السنين واقفين، ما أصعب هذا التعبير عندما نتأمله، الكاروبيم واقفين والسيرافيم واقفين، لا أقول آلاف السنين... عشرات الألوف من السنين واقفين، هكذا اختار إيليا هذا التعبير أن يقول عن نفسه «حىّ الرب الذى أنا واقف أمامه». ليس معنى هذا أن إيليا يقف طوال الوقت منتصباً على قدميه، إنما حتى إذا جلس لأن الجسد يقتضى أن يستريح بعض الوقت، لكنه حتى فيما هو جالساً هو واقف أمام سيده، وأنه واقف على خدمته، عيناه محملقتان فيه، لئلا تصدر من سيده كلمة ويكون فكره بعيداً عنه، يحملق فيه طوال الوقت منتظراً الكلمة حينما تخرج من فم سيده. «نحن نتكلم لا كمن يرضى الناس بل الله الذى يختبر قلوبنا»، فهنا الإختبار معناه فحص، الله الفاحص القلوب والكلى. الله الذى يختبر قلوبنا، هذا هو الخادم الحق الذى يقف أمام سيده، بقلب نقى مخلص، قلب لا ينحرف لأنه واقف أمام السيد الذى يفحص أعمال النفس ويعرف البواطن والدوافع، والغايات والأهداف ويزن الإنسان، «الله وازن الأرواح». تعبير فى منتهى القوة، وازن الأرواح.

تُرى ماذا يكون وزن روحى أمامه؟ قيل مرة لرجل كان ملكاً، «وزنت بالموازين فوجدت ناقصاً». الله وازن الأرواح، والصورة التقليدية لرئيس الملائكة ميخائيل تجدونه يسحق الشيطان تحت قدميه، ولكن يمسك بيده اليسرى ميزان واليمنى بسيف. وكفتا الميزان ليستا متعادلتين، كفة فوق وكفة رجحت. هذه صورة رمزية يقصد بها أن الشيطان كان رئيس ملائكة ووزن بالموازين فوجد ناقصاً.

قد يبدأ الإنسان بدءاً حسناً، وقد يطمئن أن الله أرسله كأنه لم يقحم نفسه فى الخدمة، ولكن لو غفلت عيناه عن وضعه ونسى من هو، ونسى نسبته إلى سيده يفقد مكانته وينزل عن التواضع ويضيع.

وهنا الكلمة مرعبة التى قالها المسيح له المجد، «من هو الوكيل الأمين الحكيم الذى يقيمة سيده» سيده أقامه، سيده إئتمنه فهو مطمئن إلى أنه لم يقحم نفسه، إنما سيده أقامه، «من هو الوكيل الأمين الحكيم الذى يقيمه سيده على عبيده، ليعطيهم الطعام فى حينه» (لو ١٢: ٤٢)، أقامه سيده بمهمة، والمهمة أنه أمين مخازن، يخرج من مخازن سيده ليطعم الناس طعام الحياة الأبدية، يعطيهم فى الوقت المناسب لأنه ساهر، يعرف الوقت ولا ينام حتى لا يغفل عن الوقت الملائم. هذه مهمته التى أقامه سيده من أجلها، ولكن إذا قال ذلك العبد الردئ فى قلبه، بعد أن كان الوكيل الأمين الحكيم، أن سيدى يبطئ فى مجيئه فغفلت عيناه عن سيده، تباطأ عن مهمته، فابتدأ يضرب العبيد رفقائه، بما ظن فى نفسه أنه صاحب سلطان، بدلا من أن يُطعم يَضرب، «يأتى سيده فى الوقت الذى لا يعلمه، لأنه غافل ـ لو كان شاخصاً واقفاً أمام سيده، كان يعلم الوقت الذى يأتى فيه سيده، لأنه ساهر وواقف ويعرف واجباته ـ «فيشطره نصفين» عبارة مرعبة، لا يرفضه فقط، ولكن قبل أن يرفضه يلقيه فى النار، وقبل أن يحرقه، يشطره نصفين ويُقّطعه ويجعل نصيبه مع المرائين.

هذا الذى نال الكرامة أنه مرسل من سيده، أنه مؤتمن على مخازن سيده، هذا الذى وضع فيه ثقته الغالية. كيف وصل الأمر بسيده، أن يشطره نصفين وأن يُقّطعه، ذلك لأنه أتلف صورة سيده، لم يمجد سيده، أعطى عن سيده صورة رديئة، وأن كل ما يسمعه الناس منه منسوب لسيده الذى أرسله. فإذا جدف الناس على سيده فبسببه هو، فقد كان عثرة فى الطريق، أعطى صورة سيئة لمرسله، فخطيئته عظيمة، أعظم من كل خطيئة أخرى يصنعها إنسان آخر. كل شيء له ثمن، فإذا كانت الخدمة ثقة، وإذا كانت الخدمة أمانة، لكن لها ثمن، وثمنها هو المسئولية الكبيرة أنه لابد أن يعطى صورة حسنة لسيده، لابد أن يجعل الناس من خلاله يكرمون ويمجدون سيده. فإذا لم يصلح لهذه المهمة فقد أهانه.

«إننا لم نكن قط فى كلام تملق كما تعلمون ولا فى علة طمع، الله شاهد. ولا طلبنا مجداً من الناس لا منكم ولا من غيركم. مع أننا قادرون أن نكون فى وقار كرسل المسيح بل كنا مترفقين فى وسطكم كما تربى المرضعة أولادها. هكذا إذ كنا حانين إليكم كنا نرضى أن نعطيكم لا إنجيل الله فقط بل أنفسنا أيضا لأنكم صرتم محبوبين إلينا» هذا يكشف عن صفة جميلة فى الخادم الأمين، وإن كان خادم لسيد واحد، لكن فى علاقته بالمخدومين،

علاقة الأب، علاقة المرضعة بأولادها، فيه حنان، وفيه رقة، ليس فيه ذلك الجفاف على الرغم من أنه لا يعمل لرضى الناس، لكنه فى نفس الوقت قلبه حنان، قلبه قلب أب، قلب المرضعة التى تحن على أولادها. وهذه صفات الخُدَّام الحقيقيين الذين ينقلون إلى الناس حنان سيد الكل، لأن الله شفوق ويقول الكتاب «كما يشفق الأب على البنين يشفق الرب على خائفيه، هل تنسى الأم رضيعها ابن بطنها، حتى هؤلاء ينسين أما أنا فلا أنسى». فشبه الله ذاته بالأب الذى يشفق، وبالأم التى تحن وترق. هكذا علاقة خادم الله بالشعب، وإن كان هدفه الأول أن يرضى سيده لأنه مقام من سيده على خدمته، وواقف أمامه، لكنه لا يستغل هذه المكانة لأجل أن يذل الآخرين، بل على العكس أن يعطى صورة طيبة عن سيده، صورة الأب وصورة الحنان، وصورة الرقة والإشفاق، العلاقة الجميلة التى تربط الراعى بالرعية والرعية بالراعى، وهنا تعبير جميل «لأنكم صرتم محبوبين إلينا» نشأت علاقة حب، نشأت علاقة عاطفة بين الخادم وبين المخدومين، مشاعر وجدت من خلال هذه الخدمة، لأن هذه الخدمة من الله وللناس. لكن لو كانت من أحد غير الله، ولو كانت من خلال خادم غير أمين من يدرى؟ من يدرى عندما تتحول العلاقة بين الخادم والمخدومين علاقة منفعة، وحينئذ يمكن إذا وجد الخادم من المخدومين جفاءً يبادلهم جفاءً بجفاءٍ، لكن ليست هذه هى الخدمة أو صفات الخادم الأمين الذى تعلق قلبه بسيده. «إن كانوا قد اضطهدونى فسيضطهدونكم» لا يغضب ولا يحزن إذا وجد هجاءً أو ذماً، ولا يحقد ولا يكره، وإنما مشاعر الأب، ومشاعر المرضعة تغلب عليه.

«تعلمون كيف كنا نعظ كل واحد منكم كالأب لأولاده، ونشجعكم، ونشهدكم لكى تسلكوا كما يحق الله الذى دعاكم إلى ملكوته ومجده».

فى الواقع إنى أكتفى بهذا، ولكن الخلاصة ونحن فى هذه المناسبة التى جمعتنا، نريد أن نبين أننا جميعا لنا سيد واحد، الخادم والمخدومين، وكلنا ينبغى أن نحملق بعيوننا وقلوبنا فى شخص واحد، هو الذى يجمعنا، هو نقطة الإتصال بيننا، «ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله»، كلنا ننظر، ننظر فى شخص واحد هو مركز الدائرة، ونحن من حوله من أى إتجاه، هذا الذى يجمعنا فى المسيح، ومن دون المسيح نفترق، إن لم يكن المسيح وحده هو الذى ينظر إليه الخادم والمخدومين فنفترق، نفترق برغباتنا لأنها متعارضة، سنفترق لأن شهواتنا، وميولنا، وأحلامنا، وأفكارنا، ومسامعنا، ومطامعنا ليست واحدة، لكن فى المسيح نجتمع، هو الواحد ونحن له، لا نريد شيئا غيره، معك يارب لا نريد شيئا على الأرض. ولإلهنا المجد دائما أبدياً آمين.

القديس أغسطينوس

وترجمة للكتاب الأول من إعترافاته عن صلاته

القديس أغسطينوس [1]

إلى الشباب التائهين الضالين الذين انزلقوا فى طريق الغواية إلى الأعماق .. إلى الذين يظنون أن فى البعد عن الله متعة ولذة، وفى أحضان الشهوة سعادة وبهجة .. إلى الذين أحبوا الخطية وشربوا من كأسها حتى الثمالة .. ثم إلى الذين مع شعورهم بشفائهم لا يقوون على مغالبة عاداتهم، نقدم مثالاً فى أمثلة الشباب، عاش كما يعيشون، وظن كما يظنون وزرع ما يزرعون وأخيراً حصد ما يحصدون ـ هذا هو القديس أغسطينوس:

أ- ما قبل التوبة:

سعدت القارة الأفريقية، بمولده يوم١٣ نوفمبر سنة ٣٥٤م من أبوين غير متفقين مذهباً وخلقاً ـ فقد كان الأب باتريسيوس وثنياً فاسقاً شريراً، وكانت الأم مونيكا مسيحية قديسة طاهرة ـ ولابد أن يدهشكم كيف توافق الكنيسة على زواج وثنى من مسيحية، ولكن هناك من سبَّبَ ذلك، أن الإثنين كانا أولاً وثنيين، وقبلت الزوجة المسيحية ديناً، ولم يقبلها زوجها ـ وقد كانت هذه مشكلة قابلت المسيحية فى نشأتها، ولذلك كتب الوحى الإلهى على فم القديس بولس «إن كان أخ له إمرأة غير مؤمنة وهى ترتضى أن تسكن معه فلا يتركها، والمرأة التى لها رجل غير مؤمن وهو يرتضى أن يسكن معها فلا تتركه، لأن الرجل غير المؤمن مقدس فى المرأة، والمرأة غير المؤمنة مقدسة فى الرجل، وإلا فأولادكم نجسون، وأما الآن فهم مقدسون، ولكن إن فارق غير المؤمن فليفارق. ليس الأخ أو الأخت مستعبداً فى مثل هذه الأحوال، ولكن الله قد دعانا فى السلام، لأنه كيف تعلمين أيتها المرأة هل تُخَلّصين الرجل، أو كيف تعلم أيها الرجل هل تخلص المرأة» (١. كو٧: ١٢- ١٦).

وهذا ما حدث فإن مونيكا بإرشاداتها وبفضل طهارتها وصلواتها استطاعت أن تجذب زوجها إلى المسيحية ـ أما طفلها الصغير فقد رضع من ألبانها وتقَّوى ونما فى كل نعمة صالحة، وكان ذكر الرب أمامه فى كل حين، حتى إنه قيل عنه أنه لم يكن يشرع فى عمل له قبل أن يرسم على نفسه علامة الصليب المقدس، وهى التى اعتاد المسيحيون منذ نشأة المسيحية وإلى الوقت الحاضر أن يرسموها على وجوههم وأيديهم، لأنه حاشا لنا أن نفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح».

---

(١) محاضرة ألقيت مساء الجمعة ١١ من يوليو ١٩٤١ م - بكنيسة رئيس الملائكة ميخائيل بأرض طوسون - شبرا.

إننى لفخور أن أتحدث إلى الشباب عن زوجة صالحة وأم أمينة، عملت ما قد لا نجد أثراً له فى أيامنا هذه ـ المرأة اليوم تُذْهب البقية الباقية من إيمان رجلها إن كان له إيمان، وذلك بفضل حياتها العابثة وكلماتها النابية وألفاظها المستهترة، تذكرون أم يوحنا فم الذهب، واذكروا أم أغسطينوس، واعرفوا كيف تستطيع النساء أن تزين تعاليم مخلصنا، وعنهن يقول الله: «إن البعض يربحون بسيرة النساء بدون كلمة» إننى عارف إننى أكلم شباباً، ولكنى أؤمن أن هؤلاء الشبان سوف يتزوجون نساءً وأعلم أيضاً أن الشباب سوف يلدون للعالم نساءً والنساء نصف العالم وأمهات الجزء الباقى.

كبر أوغسطينوس وأصبح شاباً وفى سن المراهقة عاشر شباباً أردياء، زينوا له طريق الغواية فتبخرت حياته الصالحة، ومضى معهم إلى أبعد الحدود، وحتى الخطايا التى لم يصنعها كان يفتخر أمامهم بأنه قد صنعها ـ فتشوا عن خطية يعرفها الشاب ولم يعرفها أغسطينوس فلا تجدوا ـ فسد عقله، وفسد قلبه، وانحط خلقه، لم تعد لكلمات أمه قوة، كما كانت باطلة، ذهبت نصائحها وتوبيخاتها ودموعها فلم يرعو عن غيه ـ وهنا تقفون وأقف معكم فى رعدة حيث نتحدث عن الخطر الداهم الذى يأتينا عن طريق الأصدقاء، أنتم شباب ولا تطيقون بعداً عن الأصدقاء، إننا وإن كنا نرى البعض يحبون العزلة لكننا لسنا أمام قلة، بل أمام الكثرة الذين يحبون العشرة، هؤلاء نحذرهم بأعظم خير أو أعظم شر يأتى عن طريق الأصدقاء. إن الاختبار الذى تركته الأجيال للأجيال، عَلَّمنا أن صديقاً خاطئاً بعيداً عن الله لا يمكن أن يكون لك مخلصاً بل هو لك كالحية الرقطاء، طالما لك نقود وطالما عندك نفوذ فهو صديقك، وإلا فهو يختبىء من أمامك ولا يعرفك ـ إننى أحدثكم عن خطر الأصدقاء، ليس الذين فقط حياتهم رديئة ولكن أيضاً الذين لهم آراء خاطئة، فقد يشوشون عقلك ويفسدون عليك إيمانك فى الله وفى الفضيلة أو فى الكنيسة وتعاليمها، واحذر كذلك من أصدقاء أُخر هؤلاء هم الكتب، إن كانت كتباً مبتذلة أو إلحادية، وهكذا أعرف أنه لابد أن تتأثر بصديقك حتى ولو لم تشعر، وحتى لو ظننت أنك أنت الذى تؤثر فيه، وأنك أنت المتكلم دائماً وهو الصامت دائماً.

وإخوان حسبتهمــوا دروعــاً ∴ فكانوها ولكن للأعــادى

وخلتهموا سهــاماً صائبــات ∴ فكانوها ولكن فى فؤادى

لم تطل حياة الغواية بل عاد أغسطينوس وتاب ـ وهناك نسأل عن:

ب ـ عوامل التوبة:

كيف استطاع ذلك القلب الفاسد وذلك الضمير العاثر أن ينتبه، لا شك أنها عوامل أكيدة وفعالة.

١- تربيته الأولى: إن النشأة الصالحة التى نشأها والتعاليم الصالحة التى نقشت على قلبه الصغير، لم تُمحَ بل ظلت كامنة فى نفسه، وهى التى أفاد منها وكانت عاملاً من عوامل توبته وقد اعترف هو صريحاً «لقد استمرت هذه التعاليم معى وبقيت فى ذاكرتى حتى فى أسوأ أوقاتى» تشجعوا إذن يا شباب الأحد واعلموا أن الكلمات التى تنطق من قلوبكم نصحاً لأطفالكم الصغار، لا يمكن أن تنسى، بل حتى ولو سقط الشاب وضل فلا شك أن يعود بعد ذلك بحنان إليها. ولكى تزدادوا طمأنينة أقص عليكم خبر شاب ممن تَعلّموا بالمزامير وهم صغار، فلما كبر نسى كل شىء، وسار فى طريق الإستباحة، ويوماً تذكر مزموراً من تلك التى كان يحفظها، فشعر بحنين إلى تلاوته، وكان المزمور يقول «طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار» وفى طريق الخطاة لم يقف» تاب شابنا لا بعظة ألقاها عليه أقدر الوعاظ، بل بمزمور حفظه فى مدرسته الأولية ـ لا تنسوا أن تجعلوا للمزامير مكاناً فى تعليمكم الأطفال، إن الله لا يسوس العالم بمعجزات ولكنه يسوسه بقوانين، فإن كنا نترك الأطفال بلا دين على أننا نجرهم بالحبال إلى الكنيسة، لكى نعظهم بعد ذلك، هذا ما يقضى على الكنيسة بالفشل، لكن القانون العام «رب الولد فى طريقه فمتى شاخ لا يحيد عنه».

٢- دموع الأم وصلواتها: رأت الأم المسكينة عزيزها وقد هوى، سألته بكل وسيلة أن يترك الشر لكن الشر كان محبوباً لديه، فلم يكن لها غير دموعها وصلواتها الكثيرة، ومرة أتت إلى أسقف المدينة، تبكى بالدموع السخية طالبة إرشادها فى موضوع إبنها، فطمأنها بعد أن اتسمت على محياه علائم الثقة والإيمان فقال «إن إبناً ذُرفت عليه دموع كثيرة مثل هذه لا يمكن بأى حال من الأحوال أن يستمر ضالا» إننى عندما أتأمل فى أم مهمومة تبكى دموعاً غزاراً من أجل إبنها الضال، بينما أرى الكثيرات من الأمهات فى مثل هذه الحال عينها ولكن لا يبكين على أبنائهن ـ قد يبكين لأسباب كثيرة متصلة ـ بأولادهن ولكن من جهة ضلال أولادهن لا يبكين فما السبب؟ السبب واحد لا غير هو أن الأم الفاضلة أو الإنسان الفاضل على العموم هو الذى يشعر بأهمية الفضيلة، وهو الذى يشعر بشقاء حال من هو فيها، وثمة أمر آخر نراه يعزينا حينما نفكر فى حالة أقربائنا وأصدقائنا، أننا

إذا عدمنا كل وسيلة فى سبيل خلاصهم فلا أقل من أن نسكب من أجلهم أمام الرب عبراتنا بحرقة قلب، ونحن بعد هذا نثق ثقة كاملة أن الرب لا يمكن أن يترك هذه الدموع عبثاً، بل لابد أن يكون لها فعل أن الرب لن يغصب الخاطىء ليرجع بالقوة، ولكنه استجابة لصلواتنا سيدبر أمامه فرصاً ويرسل له رسائل عديدة عن طرق تخفى علينا، أو يطرد عنه الشيطان الذى يُجَمّل له طريق الشر، فحينئذ يستفيق ويعود «إن طلبة البار تقتدر كثيراً فى فعلها» وعلى قدر ما يكون إهتمامنا بالخطاة عظيماً، على قدر ما تكون رحمة الرب متضاعفة على الخطاة بسبب صلواتنا وإهتمامنا بهم، إن الرب لم يسمح أن تموت الأم قبل أن تتمتع بثمر جهادها، فالذين «يزرعون بالدموع يحصدون بالفرح».

٣- القديس أمبروسيوس وعظاته:

لقد كان القديس أغسطينوس فيلسوفاً عظيماً ـ كان أستاذاً للفلسفة لا يضارع فى عصره، كما كان أستاذاً للنحو، وسمع إذ ذاك أن القديس أمبروسيوس أسقف شهير بمواعظه البليغة، فكانت تلك الشهرة دافعاً أكيداً لأن يذهب الشاب أغسطينوس ليسمعه مدفوعاً بحبه للغة كأستاذ لها وبالفلسفة، ولما أعجب به ـ رأى فيه إلى جانب ما سمعه قوة خفية أخرى تؤثر فى القلوب ـ هذه هى الناحية التى أفادت أغسطينوس عملياً ـ نعم إن الفصاحة والبلاغة هى التى جذبت شاباً متعلماً ولكن تأثير نعمة الله هو العامل ـ إن هذا هو المستوى الذى نحب أن يسعى إليه شعبنا وكنيستنا، إننى أبلغكم بما يفرح قلوبكم، أن أستاذى مدير الإكليريكية أبلغنى أن بعضاً من خريجى الجامعة المصرية من كليات مختلفة كالطب والهندسة والمحاماة والآداب، تقدموا إلى المدرسة الإكليريكية، حبذّا لو يسارع الكثيرون من أتقياء خريجى الجامعة إلى هذا، لعلّ هذا يكون طريقاً لإجتذاب الكثيرين من المتعلمين إلى طريق الخلاص، ولكن للجميع نقول: إنه لا بفصاحتهم أو علمهم تخلص النفوس بل بفضل النعمة «إننا لم نأتيكم بكلام الحكمة الإنسانية المقنع بل ببرهان الروح والقوة، لكى لا يكون إيمانكم بحكمة الناس بل بقوة الله، ليس الساقى شيئاً ولا الغارس شيئاً بل الله الذى ينمى».

٤- القديس أنطونيوس:

كان لتلك العظات أثر ولكن مع ذلك لم يترك أغسطينوس طريق الشر، بل وفى هذا الوقت عينه كان مستبيحاً أيضاً ولكن الأثر الذى انتزع كل أثر للخطية هى رائحة ذكية طاهرة، أتته محمولة على الرياح من زهرة عطرة نامية فى صحراء مقفرة ـ وكانت هذه الصحراء هى صحراء مصر، وكانت الزهرة القديس أنطونيوس ـ بينما أغسطينوس لم

يترك أصدقاءه، زاره إنسان وكان معه صديقاً له، وهما جالسان سرد على مسمعهما قصة القديس أنطونيوس، فتأثر أغسطينوس جداً ولم يتمالك نفسه فقال وهو فى حالة الألم العميق، لماذا نحن عائشون وبعض القوم فى جهلهم يغتصبون الملكوت، ونحن بعلمنا خسرنا كل شيء ـ ترك صديقيه وانتحى ناحية، وصلى صلاة لم يكن قد صلاّها من قبل فاستجابها الرب، وبغتة سمع صوتاً وكأنه صوت طفل يقول له: خُذ وإقرأ، خُذ وإقرأ، فقرأ وكانت رسالة بولس «هذا وإنكم عارفون الوقت إنها الآن ساعة لنستيقظ من النوم، فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا، قد تناهى الليل وتقارب النهار فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور، لنسلك بلياقة كما فى النهار لا بالبطر ولا السكر، لا بالمضاجع والعُهر، لا بالخصام والحسد، بل ألبسوا الرب يسوع المسيح ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات» (رو١٣: ١١- ١٤) ـ ما أقواها رسالة وما أعظم مرهم شافى لأعظم جرح، وعزم وصمم وآمن وتاب وأصبح الشيطان الرجيم قديساً عظيماً.

ج- ما بعد التوبة:

تغيير عجيب ـ أصاب ذلكم الشاب المستبيح ويكفيكم فى كلمات قليلة، أن أدلل على صدق هذا التغيير أن تعرفوا كيف أن الذى مضى فى طريق الشهوة يصبح قادراً بنعمة الله على كبح جماح شهوته، حتى أن يرفض الزواج ويعزم على حياة البتولية. قد تقولون إنه كإنسان سئم الخطية، لكنى أكلم شباباً يعرفون أن العين لا تشبع من النظر وأن الأذن لا تمتلىء من السمع، وأن من يشرب من هذا الماء يعطش، أى أنه يعود ليشرب ويشرب دون أن يرتوى، وأنه لمن السهل على الذين لم يعرفوا تدنيس أجسادهم أن يعيشوا طاهرين أكثر من الذين مشوا فى ذلك الطريق ـ لست بهذا أريد أن أيئسكم، كلا، ففى رجوع القديس أغسطينوس خير عظة لكم، تشدد أياديكم إن كانت مسترخية، ولكننى أريد أن أقول إن ذلك كان تغييراً عجيباً، وهذا هو معنى التوبة، ليست التوبة أن لا تفعل الشر لئلا تُضعف ثقة الناس بك، أو لكى لا يحتقروك أو لكى لا يضيع شرفك ومالك، لكنها أعظم من هذا أنها كراهية مرة للخطية، وإنتقال عجيب ومعجزة المعجزات، إن الرب قال لتلاميذه: «الأعمال التى أنا أعملها ستعملونها وتعملون أعظم منها» وعنى بذلك مواعظهم ورعايتهم التى تسبب رجوع الخطاة ـ فرجوع الخاطىء وتوبته وقيامة روحه من بين الخطية لهى أعظم إعجازاً من قيامة جسده من بين الموتى، كمثل ما يعظم الروح عن الجسد «إن من رد خاطئاً عن ضلال طريقه يُخَلّص نفساً من الموت ويستر كثرة من الخطايا» وجاء اليوم الذى يختار فيه راهبنا القديس ليصبح أسقفاً،

فطلب مهلة يتقوّى فيها بصلاة وعبادة وإستعداد روحى، وهذا لا يدل على روح الدعة فحسب بل على تقدير المسئولية، لذلك حتمت الكنيسة على من يسام كاهناً أن تكون له عقب رسامته أربعين يوماً يخلو فيها بالله، والرجال الأبرار الذين يقدرون الخدمة يقضون أربعين يوماً سابقة للرسامة، إستعداداً للخدمة الجليلة، لأن حياة الخدمة الكهنوتية حياة جليلة ودرجة سامية عظيمة لذا يجب الإستعداد لها - ورسم وكان له من العمر ٤٢ سنة، وجدير أن نذكر أن القديس يوحنا فم الذهب رسم شماساً فى الرابعة والثلاثين، ورسم قساً فى الثانية والأربعين ورسم أسقفاً فى الثانية والخمسين، وأمرت القوانين أن من يرسم شماساً ففى الرابعة والعشرين والقس فى الثلاثين والأسقف فى الخمسين، هذه هى القوانين حسب النظام، ولكن قد تجد هناك ظروف تستدعى أن يرسم الأسقف قبل سن الخمسين كما حدث مع القديس أغسطينوس، وكما حدث مع القديس أثناسيوس الرسولى إذ رسم فى سن الثامنة والعشرين، والسبب أنه أحياناً قد لا يوجد إلا شخص واحد جدير لهذه الدرجة، فى وقت تحتاج الكنيسة إليه، ولكن فى سن أقل من السن القانونية، هنا تباح الرسامة مادام قد ثبت أن المنتخب فى حكمة الشيوخ.

خدم أسقفنا الجليل كأسقف مدينة «هبو» وكانت خدمته فى عظاته ثم مؤلفاته: أما عن عظاته فمع أنها كانت فصيحة بليغة بالنسبة لبعض البلدان، إلا أنها فى مدينة هبو كانت بسيطة، لأنها كانت تلائم سكان هبو البسطاء، وعلى العموم كانت مؤثرة وبليغة لها أثر عظيم على القلوب، وكانت دموع سامعيه هى الدليل - وقد كان يحمل يوماً على أصحاب بدعة مانى، وكانت حملته شديدة لكنها مملوءة من روح المحبة، دعت واحداً يأتى إليه عقب الكنيسة ليسجد تحت قدميه ويقر بتوبته وندامته.

أما عن مؤلفاته فهى مؤلفات عالم عظيم واسع الإطلاع، فهى نحو المائتين والخمسين مؤلفاً، عدا تلك المواعظ الشفهية، وهى تدل على نشاطه فى الخدمة، وعلى قوة إقتداره كمؤلف - والقديس أغسطينوس كأستاذ الفلسفة السابق، ليس عجيباً أن عدّ بين الفلاسفة المسيحيين، والذين يدرسون الفلسفة بكلية الآداب بالجامعة المصرية، يدرسون بين ما يدرسون الفلسفة المسيحية، ويحتل القديس أغسطينوس مكانة عظمى فى هذه الدراسة، فهو الذى عمل على التوفيق بين الفلسفة والدين، وحوّل مجراها واستغلها لمجد الله، فضرب بهذا لمن يود أن يعمل فليكن كل شىء لمجد الله.

هذا مثل قوى لشاب كان فحماً أسوداً فتحول إلى ماس براق، فعسانا نرى سيرته ونتمثل بإيمانه لله، والمجد فى كنيسته من الآن وإلى الأبد آمين.

أبرز ما فى حياة القديس أغسطينوس[1]

أولاً: أنه بلغ إلى أحط درجات الشر.

بدليل: أنه لم تكن خطيئة إلا وارتكبها أوغسطينوس.

وأسبابه:

شر موروث: والده كان وثنياً وكان شريراً (الوراثة).

شر البيئة:

شر البيئة الفكرية ـ المانوية.

شر الأصدقاء (المعاشرات الرديئة تفسد ...)

كبرياؤه وعناده:

بدليل:

١- أنه لم يكن يصغى لنصائح أمه.

٢- أنه قرأ الكتاب المقدس، ولم ينتفع .

٣- سمع الكثير من المواعظ والنصائح ولم يرتدع.

والكبرياء تمنع الإنسان من أن يقبل النصيحة . العلم ينفخ.

نفسه القلقة:

الدليل على قلقه ـ أنه لم يكن سعيداً على الرغم من أنه صنع كلّ ما اشتهته نفسه.

١- توافر له العلم.

٢- توافر له المنصب الرفيع.

٣- توافر له الصيت الحسن.

---

(١) عناصر عظة ألقيت بكنيسة القديس مارمرقس بالجيزة ـ صباح الجمعة ٢٨/ ٢/ ١٩٥٨م -١٢ أمشير ١٦٧٤ش.

٤- توافر له المال.

٥- توافر له النفوذ.

قال مرة: يا إلهى إن النفس تظل قلقة حتى تجد الراحة فيك.

الفراغ فى النفس لا يسده شىء إلاّ الله، لأن النفس ليست من الأرض بل من السماء.

كيف تحوّل أوغسطينوس؟

١- صلوات أمه مدة ٣٣ سنة.

٢- مواعظ الأسقف الفصيح القديس أمبروسيوس.

٣- سيرة القديس العظيم الأنبا أنطونيوس (بينما الحكماء والعلماء يفحصون وزن القفل وحجمه ولونه، يكون البسطاء قد دخلوا إلى الملكوت).

٤- الإقتناع بحياة الفشل.

إلى أى مدى تحوّل أوغسطينوس؟

١- الشاب النجس المغلوب، يصبح قديساً، يأبى الزواج الذى تعرضه عليه أمه ليحيا مكرساً كله لله.

٢- القائد فى الشر يصبح قائداً فى الفضيلة.

٣- كان يعظ فيرى خطايا الموعوظين فيبكى.

٤- كتب نحواً من ٣٠٠ كتاباً فى أعظم المسائل اللاهوتية والفلسفية والروحية والتفسيرية. وتمتاز كتبه بالسلامة.

ماذا نتعلم من سيرة أوغسطينوس:

١- أن التوبة غير مستحيلة.

٢- أن القداسة ميسورة لأشر المجرمين.

٣- إن فى نفس كل شرير، فضيلة تحتاج إلى المربى الناجح الذى يكشفها ويبرزها ويظهرها، ويجعلها تطغى على المعطلات والأشواك الخانقة.

إعترافات القديس أغسطينوس

الكتاب الأول: عن صلاته

صلاة إفتتاحية: (يرغب الإنسان فى تسبيح الله ولكنه يتردد فى الصورة (الكيفية) التى يجب أن يعبر عنها).

١- «عظيم أنت يارب، ويليق بك التسبيح جداً، عظيمة هى قدرتك، وحكمتك غير محدودة» أنت هو الذى يرغب الإنسان فى تسبيحك، هذا الجزء الضئيل من خليقتك، الإنسان الذى يحمل معه فى كل مكان الفناء، والذى يحمل معه الدليل على خطيئته، ومع ذلك يرغب فى تسبيحك هذا الإنسان الذى هو جزء ضئيل من خليقتك، أنت هو الذى أغريته على أن يفتش عن بهجته فى تسبيحك، لأنك قد خلقتنا من أجلك، وقلبنا يظل قلقاً إلى أن نجد الراحة فيك، هبنى يارب أن أعرف وأفهم أيهما أسبق أن أدعوك أم أن أسبحك؟ ثم أن أعرفك أم أدعوك؟ لأنه من ذا الذى يدعو ولا يعرفك؟ لأن من لا يعرفك يدعوك كما لو كنت غيرك.ولكن أيبعد أننا ندعوك حتى نعرفك، وكيف يدعون من لم يؤمنوا به؟ أو كيف يؤمنون بلا كارز (رو١٠: ١٤)، والذين يطلبون الرب يسبحونه (مز٢٢: ٢٦)، لأن من يطلب يجد (مت٧: ٧)، ومن يجد سيسبحه.

٢- سألت عنك يارب بأن أدعوك. وسأدعوك مؤمناً بك. إن إيمانى يارب سيدعوك، ذلك الذى أعطيتنى إياه، والذى ألهمتنى به فى تجسد ابنك، وفى خدمة كرازتك، وكيف أدعو إلهى، إلهى وربى، لأنى متى دعوته إلى نفسى، أى غرفة (مكان فارغ) إذ ذاك فىَّ (داخلى) حتى يستطيع إلهى أن يأتى إلىَّ، وكيف يستطيع الله أن يأتى إلىَّ، الله الذى صنع السماء والأرض، هل هناك حقاً ربى وإلهى مكان فىَّ يمكن أن يحتويك؟ هل يمكن للسماء والأرض اللتين صنعتهما، وحيث خلقتنى أن تحتوياك؟ أو لأنه لا شىء من الموجود يمكن أن يوجد بدونك، فهل يمكن إذن أن كل ما هو موجود يحتويك؟ ومن حيث أننى موجود أيضاً، فلماذا أطلب حينئذ أن لابد أن تدخل أنت إلىَّ إذا لم تكن موجوداً، ألست أنت موجوداً فىَّ؟ لماذا؟ لأننى لم أذهب بعد إلى الجحيم، ومع ذلك فأنت هناك أيضاً. لأننى إن مضيت إلى الهاوية فأنت هناك (مز١٣٩: ٨)، وإذن فما كان لى وجود يا إلهى، ما كان لى وجود بالكلية، لو لم تكن أنت فىَّ أو بالحرى إن لم أكن (أوجد) أنا فيك، يا الذى منه جميع الأشياء وبه جميع الأشياء، وفيه جميع الأشياء (رو١١: ٣٦) إلى هذا الحد، يارب، إلى هذا الحد. إلى

أين أدعوك إذا كنتُ فيك، أو من أين تدخل إلىّ؟ لأنه إلى أين يمكنني أن أذهب بين السماء والأرض حتى يمكن من هناك أن يدخل إلىَّ إلهي. الذي قال إني أملأ السموات والأرض (إر٢٣: ٢٤).

٣- وحينئذ هل تحتويك السموات والأرض من حيث أنك تملأهما؟ أو هل تملأهما، وتفيض بعد ذلك عنهما، من حيث أنهما لا يحتوياك، وإذا إمتلأت السموات والأرض فإلى أين يُسكب خارجاً بقية ذاتك؟ أو لست فى حاجة إلى أن يحتويك شىء يحتوى كل الأشياء، حيث أن ما تملأه، تملأه بإحتوائك إياه؟ إذ أن الأوعية التى تملأها (أنت) لا تساعدك، لأنه حتى إذا كسرت فلا يسكب خارجاً - وإذا سُكِبْتَ علينا [أع٢: ١٨] فإنك لن تُصَّب (ترمى) بل تكون قد رفعتنا. ولا تكون قد تشتت بل قد جمعتنا. ولكنك يامن تملأ كل الأشياء ألا تملأها بكل نفسك (بك كُلّك)، أو لأن كل الأشياء لا يمكن أن تحتويك بالكلية، هل تحتوى جزءاً منك؟ والكل يحتوى نفس الجزء؟ أو أن كل جزء يحتوى جزءه الخاص، والأكبر جزءاً أكبر، والأصغر جزءاً أصغر؟ وهل جزء منها أكبر أو آخر، أو أقل؟ أو أنك موجود بالكلية فى كل مكان، بينما لا يوجد شىء يحتويك بالكلية؟

٤- وإذن ما هى ماهيتك يا إلهى؟ ماذا؟ إلا الرب الإله؟ لأنه من هو الرب إلا الرب؟ ومن هو الله عدا إلهنا (مز١٨: ١٣). هو العظيم، الصالح، المقتدر، القادر على كل شىء، الرحوم لكنه العادل، الخفى لكنه الموجود (الحاضر)، الجميل لكنه القوى(الشديد)، الثابت لكنه غير المدرك، غير المتغير لكنه منير الكل، لا يجدّ ولا يشيخ، مجدّد الكل، المزحزح الجبال ولا تعلم [أى٩: ٥] يعمل دائماً، وهو فى راحة دائمة، لازال يجمع وهو فى غير حاجة إلى شىء، يسند كل شىء، يملأ كل شىء، يظلل كل الأشياء، يخلق كل شىء، يغذّى كل شىء، ينضج كل شىء، يطلب كل شىء، وإن كان يملك كل شىء، أنت تحب بلا هوى، غيور بلا همّ، تندم ولكنك لا تحزن، تغضب لكنك هادىء، تغيّر أعمالك، لكن مقصدك لا يتغير، تقبل ثانية ما تجد، لكنك لا تخسر (تفقد) أبداً، لا يعوزك شىء أبداً لكنك تسّر بالكسب، لا تطمع أبداً لكنك تطلب رباً مضبوطاً، أنت تقبل زيادة، وأكثر حتى تصبح مديوناً، ومن يملك شيئاً أليس هو أنت؟ أنت توفى الديون، ولا تدان بشىء، ترد الديون ولا تفقد شيئاً - وماذا قلتُ الآن يا إلهى، يا حياتى وبهجتى المقدسة؟ وماذا يقول أى إنسان حينما يتكلم عنك؟ لكن ويل لمن لا يتكلم، إذا كان من يصمت هو الفصيح.

٥- يا ليتنى أستريح أجد الراحة فيك، ليتك تدخل إلى قلبى فتسكره، حتى أنسى أمراضى (عللى وشرورى)، وتضمنى إليك، يا خيرى الأوحد! فماذا أنت لى؟ فى إشفاقك علمنى أن أفوه بها، أو ماذا أكون لك حتى تطلب حبى، وإذا لم أعطه تغضب علىّ، وتهددنى بويلات محزنة، أتكون بلية هينة إذن أن لا أحبك؟ آه، من أجل مراحمك أخبرنى، ياربى وإلهى من أنت لنفسى؟ ـ قل لنفسى خلاصك أنا (مز٣٥: ٣)، تكلم لكى أسمع. انظر يارب، قلبى أمامك، افتح أنت الأذنين، وقل لنفسى خلاصك أنا، بعد هذا الصوت دعنى أسرع، وأمسك بك. لا تصرف وجهك عنى، دعنى أموت، لئلا أموت، فقط دعنى أرى وجهك.

٦- ضيّق مقر نفسى، أوسعه أنت، حتى يمكن أن تدخل إلىّ. إنه خَرِب، أصلحه أنت. إن فيه ما لابد يُغضب عينيك، أعترف بذلك وأعلمه. لكن من الذى ينظفه؟ أو إلى من أصرخ - خلّص أنت؟ طهرنى من خطاياى المستترة، ونجِّ عبدك من قوة العدو (مز١٩: ١٢، ١٣)، أؤمن لذلك أتكلم (مز١١٦: ١٠) يارب أنت تعلم. ألم أعترف، رغم إرادتى بتعدياتى أمامك، وأنت يا إلهى، ألم تغفر شر قلبى؟ (مز٣٢: ٥) لا أدخل فى المحاكمة معك يامن أنت هو الحق، إنى أخاف أن أخدع نفسى لئلا يبقى شرى على نفسى، لذلك لا أدخل فى المحاكمة معك، لأنك إن كنت تراقب الآثام يارب، يا سيد فمن يقف (مز١٣٠: ٣).

٧- لكن اسمح لى أن أكلم رحمتك، أنا التراب والرماد (تك١٨: ٢٧)، لكن اسمح لى أن أتكلم من حيث أننى أكلم رحمتك وليس رجلاً محتقِراً، وأنت أيضاً ربما تحتقرنى، ولكنك تعود (ترجع) فتتحنن علىّ (إر١٢: ١٥) لأنه ماذا ينبغى أن أقول ياربى وإلهى إلا إننى لا أعرف متى أتيت إلى هذه الحياة المائتة، (هكذا أدعوها) أو الموت الحىّ، وحينئذ هل رفعتنى حالاً تعزيات رأفتك كما سمعت (لأننى لا أذكر ذلك) من أقاربى الجسديين، الذين من جوهرهم (مادتهم) قد جبلتنى أنت، حينئذ استقبلتنى تعزيات لبن المرأة. لأنه لا أمى ولا مرضعاتى زخرن صدورهن لى، لكنك أنت تهب (تعطى) طعام طفوليتى فيهن تبعاً لسُّنتك التى بها تُقّسم (توزع) غناك بين المنابع الخفية المستترة لكل الأشياء. أنت أيضاً أعطيتنى أن لا أرغب إلا فيما أعطيتنى، وكذلك مرضعاتى أن يعطيننى برضى ما أعطيتهن، لأنهن بمحبة قد تعلَمْنها من السماء قد أعطيتنى برضى، ما به قد غمرتَهن. لهذا فإن خيرى الذى حصلت عليه منهن، كان خيراً لهن. حقاً لم يكن منهن ولكن فيهن أو (بواسطتهن)، لأن منك يا الله، كل الأشياء، ومن إلهى كل صحتى. بهذا قد عرفتك، فى هذه، فى عطاياك لى، وبدون أن تعلن ذاتك لى لأننى حينئذ لم أكن أعرف إلا أن أرضع، أن أستريح فيما يسرنى، وأن أصيح (أصرخ) نحو ما يغيظ (يؤلم) جسدى، ليس أكثر.

٨- بعد ذلك بدأت أن أبتسم، أولاً فى أثناء النوم، ومن بعد فى اليقظة لأنه هكذا قيل لى عن نفسى، ولقد صَدّقت ما قيل، لأننا نرى مَثَلٌ فى الأطفال الآخرين، ولو أننى لا أذكر ذلك عن نفسى بعد ذلك، شيئاً فشيئاً، أصبحت عارفاً أين كنت، ولى رغبة فى أن أعرب عن رغباتى لأولئك الذين كان يمكنهم أن يرضوها، ولكنى لم أستطع. لأن الرغائب كانت فى داخلى، أما هم فكانوا خارجاً. ولا عن طريق أى حاسة من حواسهم استطاعوا أن يدخلوا فى روحى. كذلك بدوت عاسفاً (غصباً عنى)، الأعضاء والصوت، مبدياً الإشارات القليلة التى تمكنت من إبدائها وتمكنت مثلما أردت، مع أنها وفى الحقيقة أقل مما أردت، وعندما كنت لا أطاع فى الحال (أى عندما تكون رغباتى ضارة أو غير معقولة) فحينئذ كنت أغتاظ ممن يكبروننى عمراً لأنهم لا يخضعون لى، من أولئك الذين لا أدين لهم بخدمة ما، لأنهم لم يخدمونى، فانتقمت لنفسى منهم بالدموع. هكذا درست ما يكون عليه الأطفال من ملاحظتهم، وقد كنت أنا نفسى مثلهم، وبغير شعور قد علّمونى جميعهم أفضل مما عرفته من مرضعاتى.

٩- وهوذا طفوليتى قد ماتت منذ زمن طويل وأنا أعيش لكنك يا إلهى، يامن يعيش إلى الأبد، وفيه لا يموت شىء لأنه قبل تأسيس العالم، وقبل كل ما يمكن أن يسمى «قبل» أنت موجود، وأنت الله ورب كل الخليقة ـ التى خلقت ـ فيك يقوم، ثابتاً إلى الأبد، العلل الأولى لكل الأشياء غير القائمة، وكل الأشياء القابلة للتغيير، الينابيع تقوم فيك غير متغيرة ـ وفيك تحيا العقول الأزلية الأبدية لكل الأشياء غير العاقلة والزمنية، قل لى يارب أنا المتوسل إليك، قل لى يا كلّى الشفقة، أنا المستحق شفقتك، قل هل نجحت طفوليتى، فى فترة أخرى من حياتى، ماتت قبلها؟ وهل كانت هى التى قضيتها فى رحم أمى؟ هى التى سمعت عنها بعض الشىء وهل رأت نفسى نساء ومعهن أطفال؟ وماذا كان أيضاً قبل تلك الحياة، يا الله بهجتى، هل كنت فى أى مكان أو جسماً ما؟ عن هذا ليس من يخبرنى، لا أب ولا أم، ولا إختبارات الآخرين، ولا ذاكرتى الخاصة، هل تسخر أنت منى لأننى أسأل عن هذا، وهل تدعنى أسبحك واعترف لك لأننى أعلم؟

١٠- اعترف لك، رب السماء والأرض، وأسبحك (أحمدك) من أجل مبادىء وجودى الأولى، وطفوليتى التى لا أذكر عنها شيئاً، لأنك أنت الذى عينت أن الإنسان يجب أن يخّمن من الآخرين أكثر من نفسه، ويؤمن كثيراً فى قوة النساء الضعيفات. من ثم كان لى الوجود، والحياة، وفى نهاية طفوليتى استطعت أن أبحث عن العلامات التى بها تصير

مشاعرى معروفة عند الآخرين. من أين يمكن أن ينشأ (يكون) الكائن إلا فيك يارب؟ هل يمكن أن يكون الشيء مبدع نفسه؟ أو هل يمكن أن يصدر الوريد عن غير مكان، ذلك الوريد الذى يبعث الوجود والحياة فينا إلاّ منك يارب، يا من فيك الماهية والحياة واحد. لأنك أنت العالى وغير المتغير (ملاخى٣: ٦) وليس (اليوم) فيك نهاية بل فيك ينتهى كل أمثال هذه الأشياء، إنما هى موجودة فيك. لأنه ليس لها طريق آخر لتذهب بعيداً، إلا إذا سندتها أنت؟ ومن حيث أن سنيك لن تفنى [مز١٠٢: ٢٧]، فسنوك واحدة إلى اليوم، كم من سنيناً وسنّى آبائنا قد نبعت من «يومك».. ومنه أخذت مقياسها، والقالب الذى صبَّت فيــه (صب فيه وجودها) وسوف تنبع منها سنين أخرى، وستتخذ قالبها الذى يعين درجة وجودها، ولكنك لا تزال كما أنت، وكل ما يخص الغد وكل ما بعده وكل ما يخص البارحة، وما وراءها سوف تعمل فى هذا اليوم ما عملت فى هذا اليوم، فماذا يكون لى مع أن واحداً لا يفهم هذا؟ دعه أيضاً يسر (فليفرح) ويقول أى شيء هذا؟ [خر١٦: ١٥] دعه. فليفرح إلى هذا الحد، وأن يكون مسروراً أكثر بأن لا يجدّ ليجدك من أن يجدّ إلا يجدك.

١١- اصغَ يا الله. وأسفاه لخطيئة الإنسان! هكذا يقول الإنسان وأنت تشفق عليه. لأنك صنعته ولكن الخطيئة التى فيه لم تصنعها (تخلقها). من يذكرنى بخطايا طفولتى؟ لأنه فى عينيك ليس ثمة طاهر من الخطية، ولا الطفل الذى حياته يوم واحد على الأرض (أى٢٥: ٤) من يذكرنى؟ ألا يذكرنى كل طفل صغير، من فيه أرى ما يخص نفسى، فماذا كانت خطيئتى إذن؟ هل كانت تعلّقى على الصدر وصراخى، لأننى إذا عملت (صنعت) الآن هكذا نحو الغذاء الذى يناسب سنِّى (عمرى)، فإنه بعدل يضحك علىّ وأُوبخ، فما فعلته إذن كان يستحق التوبيخ، ولكنى لم أكن بعد أفهم التوبيخ، فالعادة والعقل منعانى عن أن أوبخ. لأن تلك العادات، عندما نمت، إستأصلناها وألقيناها بعيداً، والآن لا إنسان، مع أنه يُشّذب (ينقى) يرمى عمداً ما هو حسن أو هل كان حينئذ حسناً، حتى إلى لحظة، أن أصيح نحو ما يضر إذا ما أُعطى لى، أقاوم بشدة تلك الحرية حرية الأشخاص، وشيوخها، نعم الأشرار، مولدتها العظمى، أن لا أستعملها؟ وأن كثيرين أيضاً أحكم منها لم يطيعوا حينه سرورها العظيم، أن تبذل جهده فى الضرب والإصرار لأن الأوامر لم تكن مطاعة، بينما كانت مطاعة فى إحداها الضرر، وعلى ذلك فضعف أعضاء الطفل، وليست إرادته، هى براءته، ولقد كنت (أنا نفسى) أُرى وأُعرف كطفل حسود، لم أكن قادراً على الكلام لكنى انقلبت مصفراً، وبدا شكلى حزيناً على أخى الذى يربينى (يعولنى) من لا يعرف

هذا؟ الأمهات والمرضعات يُخبِرْنَكَ أنهن يخففن هذه الأشياء عنك. وأنا لا أعرف العلاجات. أيدعى هذا عظيم البراءة (متى كان نبع اللبن الأموى يفيض بغزارة) عن أن يشقى بقربه أخ فى مسيس الحاجة إليه، والذى تقوم حياته على هذا الغذاء وحده؟ لكننا نحتمل بصبر هذه الأخطاء [العيوب] لا لأنها صغيرة (خفيفة) أو غير مهمة (عديمة الأهمية). ولكن لأننا نثق (نعلم) أنها ستختفى مع السنين ـ إذ مع أنها تحتمل الآن لكن نفس هذه الحال لا تحتمل إطلاقاً إذا ما كانت (وجدت) فى سن الرشد.

١٢- لذلك أنت ـ ياربى وإلهى يامن أعطيت الطفل الصغير، مع الحياة، هذا الجسم الذى نراه، المجّهز بالحواس، والمركب من أعضاء فى غاية الإحكام، والمزين بأشكال أنيقة ـ أنك أنت الذى وضعت فيه (زودته) بكل دوافع الحياة حتى يحفظ (يبقى) صحيحاً سالماً فى صحته (كماله) وقد أمرتنى أن أحمدك ـ أشكرك على هذه العطايا «أن أعترف لك، أن أرنم لإسمك أيها العالى».

الطفولة الثانية ـ كيف يتعلم الطفل الكلام؟

١٣- أليس حقاً، إعداداً للنقطة التى أنا فيها أننى جزت الطفولة الأولى إلى الثانية (الصبوة)؟ أو ليس بالأحرى (الطفولة) الثانية نفسها التى جاءتنى (أقبلت إلىّ) قد أخذت موضع (الطفولة) الأولى؟ [إذ قد تركت الطفولة قد جئت إلى الصبوة أو بالحرى قد جاءتنى بدلاً من (لتحل محل) الطفولة]، هذه (الطفولة) لم تفارقنى وإلا فأين قد ذهبت؟ ومع ذلك فهى ليست بعد موجودة ـ لستُ بعدُ هذا الطفل الرضيع الذى لا يتكلم مطلقاً، بل الولد الذى أنعم عليه بالكلام. هذا ما أذكره؟ وكيف عرفت أن أتكلم فهذا ما عملت حسابه أخيراً.

لم يكن هذا ثمر تعليم لقنه أناس (أشخاص) عظماء قدّموا الألفاظ حسب وضع (نظام) منهجى. كما يجب أن يفعلوا بعد قليل بالنسبة للحروف الأبجدية؛ كلاّ لقد ثقفت نفسى بفضل العقل الذى أعطيتنى، يا إلهى، لما أردت أن أظهر مشاعر (أعبر عن عواطف) نفسى بأنات، وصيحات متنوعة؛ وحركات أعضائى المختلفة حتى ما تطاع رغباتى؛ لم أنجح تماماً فى أن أعبر عن (أدرك) كلّ ما أريد، ولا كل من أرغب فيه. قد حفظت (الألفاظ) فى ذاكرتى، متى سُمّى شىء أياً ما كان، ومتى كان اللفظ المنطوق يحدد (يعين) حركة نحو هذا الشىء.

كنت ألاحظ وأحفظ أن هذا الشىء يرافقه الصوت الذى كنت أسمعه، إذا ما أريد الإشارة إليه (تعيينه) إن رغبة (إرادة) الآخرين كانت تعلنها لى حركات (آثار) الجسم، بهذه اللغة

الطبيعية لدى جميع الناس التى يترجم عنها علامات الوجه، لمحات (نظرات) العيون، حركات الأعضاء الأخرى، رنين (نغمة) الصوت، والتى بواسطتها تظهر إنفعالات النفس، حسبما تطلب، وما تريد أن تملك، ترقص أو تتجنب. من ثمّ فهذه الكلمات التى أخذت موضعها فى الجمل المختلفة والتى سمعتها كثيراً، قد فهمتها (فهمت) قليلاً قليلاً (شيئاً فشيئاً) إلى أى الحقائق تشير وقد استخدمتها فى التعبير (الإفصاح) عن رغباتى بفم قد تدّرب على صياغتها.

على هذه الصورة، شاركت فى الإشارات المعبرة عن رغباتى، أولئك الذين عشت بينهم، وخضوعاً لسلطان أبوى، ولمسرة إخوتى الكبار، وتقدمت إلى إضطرابات المجتمع الإنسانى الهائجة.

التعليم: بؤوس أوغسطينوس المدرسية:

١٤- يا الله، إلهى، أىّ بؤوس (ضيقات)، وخيبة آمال، قد احتملت (اختبرت) إلى الآن. فى هذا السن حيث لم يفرض علىّ كطفل قاعدة أخرى للحياة السعيدة (الطيبة) غير طاعة معلّمى، لكى أضىء فى العالم وأنبِغ فى هذا العلم، علم كثرة الكلام مع قلة المعنى الذى أدى به (سبّب لى) سروراً (رضى) فى أعين الناس والثروات الكاذبة! بعد ذلك أرسلت إلى المدرسة لأتعلم الحروف، وإذ كنت فقيراً لم أرَ فيم تستخدم، ومع ذلك فعندما أظهرت نفسى كسولاً عن التعلم، كنت أُضْرَب وقد كان [الكبراء (الجدود) السالفون] يجدون هذا صواباً. أن أسلافنا الكثيرين (المتعددين) فى الحياة قد أعدّوا لنا هذه المسالك المؤلمة التى كان يجب علينا أن نجوزها، فى تعب زائد، وألم أبناء آدم لكن لقد وجدنا، يا سيد، أُناساً يصلون إليك ومنهم قد تعلّمنا وقد فكرنا فيك جميعاً، كما استطعنا، أن هناك عظيماً يقدر أن يسمعنا ويعيننا، دون أن يبدو لحواسنا، وكصبى قد بدأت منذ تلك الساعة أن أصلى إليك،أنت يا «معقلى، وملجأى» ثم لأبتهل إليك، قد حطمت روابط لسانى، وصليت إليك صلاة قصيرة لكن بغير حمية (حرارة) قليلة حتى لا أضرب فى المدرسة. وحينما لا تسمع لى، وذلك لخيرى، فإن أسلافى أبوىّ نفسيهما، اللذين يبعد أن يريدا لى ألماً صغيراً، يضحكان من مقارعى، ومن ألمى العظيم الأليم (إذ ذاك) حينئذ.

١٥-أهو يا سيد (يارب)، قلب (متكبر فى الأعالى) وضع هكذا عالياً، قلب قد اشتبك معك (قد تعلق بك) بمحبة شديدة [لأن هناك قساوة غبية (شديدة) قد تصل أحياناً إلى نفس النتيجة].

لكن هل هناك أحد بلغ من إندماجه فى هذا الإتحاد المقدس أن لا يلقى إلا نظرة (عابرة) علىّ بآلات التعذيب، والكلابات، [مخالب حديدية]، وآلات التعذيب الأخرى، هذه التى

تحدث ذعراً عظيماً، حتى أن الناس ليهربوا منها يرفعون إليك الدعاء من جميع أجزاء (بقاع) العالم؟ بل وأيضاً أن يحب هؤلاء الذين نكلوا به (عذبوه)، كمثل ما يفعل والدى إذ يسخرون بالعقوبات التى يوقعها علىّ أساتذتى (معلّمى)؟ لأننى ما كنت أخشاها أقل من العذاب نفسه، وما كنت أصلى (أطلب) إليك قليلاً أن أتجنبها، وقد كنت أخطىء كل مرة، فى الكتابة، وفى القراءة، وفى تأمل (التفكير) عملى حسبما يتطلب منى.

لم أكن فى حاجة (ياسيد) إلى ذاكرة أو ذكاء، إن صلاحك (جودك) قد (غمرنى) فى هذه السن. لكننى كنت أعبد (أقدس) اللعب، وقد كنت أعاقب ممن كان يفعل حقاً كل شىء مثلى، إن لعب الرجال فقط يدعونها أعمالاً ـ إنهم يدعون لعب الرجال فقط أعمالاً، بينما يعاقبون على ما يشبهها تماماً من لعب الأطفال، وليس من يشفق لا على الأطفال ولا على الرجال، وعلى هؤلاء أو أولئك هل يمكن أن يرتضى القاضى العادل مع ذلك أن يعاقب طفل لأنه قد ترك، فحولته لعبة الكرة عن حفظ دروسه التى كان يجب أن تصبح، بين يديه كرجل كامل، لعبة ضارة من جهة أخرى؟ وماذا كان يفعل إذن من كان يضربنى؟ إن بحثاً لا طائل تحته إذا ظفر به أحد العلماء المدرسين فإنه يحكم عليه بغيظ عظيم، إننى لم أكن أحتمل نفسى عندما كنت أُضرب عند لعبة الكرة من واحد من زملائى.

١٦- ومع ذلك (بيد أنى قد أخطأت، يا سيدى وإلهى، المنظم والخالق لجميع الأشياء الطبيعية، ما عدا الآثام التى لست أنت لها غير المدبر ياربى وإلهى، لقد أخطأت فى تعدى (مخالفتى) لوصايا والدىَّ ومعلّمىّ، لأننى تمكنت من أن أستفيد كثيراً تبعاً لهذه المعارف التى فرضت علىّ، كيفما كانت الروح التى فرضوها بها علىّ. ولم يكن إختيار (إنتخاب) الأفضل هو الذى جعلنى عاصياً، ولكنه حب اللعب وقد كنت أحب فى المصارعة عظمة الإنتصار، إن القصص (الروايات) الخيالية التى تلتذ لسماعها أذنى كانت تشعل (تضرم) فيها لذة عظيمة، وإن شهوة رغبة النظر تحتدم فى عينى كل يوم بأكثر قوة، وتجذبنى إلى مناظر، وملاهى الكبار. ومع ذلك (وزيادة على ذلك) فإن هؤلاء الذين يعطونها يجنون وينالون الإعجاب حتى أن الجميع تقريباً يتمنون لأطفالهم أن يفعلوا المثل: وهذا لا يمنع من أنهم يستحسنون كثيراً جداً بأن يعاقب هؤلاء الأطفال عندما تحول المناظر بينهم وبين دروسهم، إلى أن يبلغوا إلى اليوم الذى (عند الوالدين) يعطون فيه بدورهم!

انظر يا سيد هذه الضعفات بإشفاق، نجّنا نحن الذين نبتهل إليك فى هذه الساعة؛ ونجّ (خلّص) أيضاً هؤلاء الذين لا يبتهلون إليك بعدُ حتى يدعونك وتنجيهم.

التأثيرات المسيحية الأولى

١٧- وأيضاً كطفل قد سمعت الكلام عن الحياة الأبدية الموعود بها عن اتضاع الرب إلهنا الذى اتضع إلى كبريائنا. وقد كنت فى تلك الساعة مرسوماً بعلامة صليبه، مملحاً بملح مقدس، منذ أن خرجت من رْحم أمى، التى كان لها رجاء عظيم فيك.

ولقد رأيت يوما يا سيد، حينما كنت طفلاً أيضاً أن ضغطاً (ضيقاً) مباغتاً فى المعدة مصحوباً بحمى شديدة جعلتنى قاب قوسين أو أدنى من الموت، وقد رأيت من حيث أنك فى تلك الساعة كنت تلحظنى، بأى شوق وأى إيمان قد طلبت (فتشت) تقوى أمى عن كنيستك التى هى أمنا جميعاً، معمودية مسيحك، إلهى وسيدى.

ومنذ تلك الساعة فإن أم جسدى، والتى قد أنجب قلبها الطاهر فى محبة عظيمة، أيضاً خلاصى الأبدى فى إيمانك، قد شغلت بقلق كلّى وبعجلة كلّية تامة فى تعليمى سر الخلاص؛ حيث قد اغتسلت بالإعتراف لك، سيدى يسوع، لأجل معرفة خطاياى - فشعرت بغتة براحة (عزاء).

وأيضاً فإن تطهيرى قد تأخرّ كما لو كنت قد صرت بالضرورة قذراً (نجساً) من جديد، فى استرداد الحياة، وبدون شك يُحكم بأنه عقب حميم المعمودية، لذا سقطت فى أوحال الخطيئة فإن مسئوليتى تصبح أكثر ثقلاً وأكثر خطراً.

هكذا منذ تلك الساعة قد آمنت، وآمنت أيضاً أمى وكل العائلة، ما عدا والدى وحده الذى لم تستطع قدوته مطلقاً أن تؤذينى أو تغلب التقوى الأموية، أو أن تحولنى عن إعتقادى فى يسوع المسيح الذى لم يكن يؤمن به أيضاً. وقد رغبت أمى بشغف أن تكون أنت لى أباً، يا إلهى، أفضل منه، ومن هنا قد أعنتها على أن تغلب زوجها الذى رغماً عن سمّوها الخلقى كانت تطيعه لأنها كانت تطيعك أيضاً فى هذا إذ أنت الذى أمرت بهذه الطاعة.

١٨- قل لى يا إلهى، أريد أن أعرف (إذا كانت هذه إرادتك) لأى غرض تأخرت معموديتى حينئذ، هل كان من الخير لى أن يرخى العنان للخطيئة هكذا، من أين تأتى إلى اليوم أيضاً، هذه العبارة، بصدد فلان أو علان، والتى تأتى من جميع الجهات تقرع أذنى: اتركه ليعمل، إنه لم يعتمد بعد! ومع ذلك لا يقال مطلقاً فيما يختص بخلاص الجسم:

اتركه ليجرح أكثر إنه لم يشفَ بعد! وكم كان من الأفضل لى أن أشفى سريعاً (عاجلاً) وأن نظهر أنا وذوىّ غيرة عظيمة فى وضع نفسى المعدّة لخلاصه تحت الحماية الآمنة التى لهذا الذى أتى بها!

نعم إن هذا أفضل، ولكن كل هذه الموجة المرعبة من الإمتحانات (الإختبارات) هجمت علىّ، مرة واحدة طفولتى المكتملة، رأتها أمى سابقاً (وقد تنبأت أمى بهذا) وقد فضلّت أن توضح (تشرح لى) الطين الذى منه وجدت، والذى تشكل بعد ذلك بشكلها من الصورة المقدسة نفسها التى أحبتها فى تلك الساعة.

١٩- **الضغط (الإكراه) المدرسى:** لذة أغسطين ونفرته فى هذه الحقبة من طفوليتى، التى كان يخشى فيها علىّ أقل من الشباب. لم أكن أحب الدرس وكنت أبغض أن أُجبر عليه. وكنت أُجْبَرُ بالمثل فى (على) كل شىء، وقد كان ذلك خيراً لى، ولكننى أنا الذى لم أفعل خيراً، لأننى ما كنت قد تعلمت شيئاً إذا لم أجبر على ذلك، لا يحسن من يعمل ضد إرادته، حتى لو كان عمله حسناً فى ذاته.

هؤلاء الذين كانوا يجبروننى لم يفعلوا خيراً مطلقاً، ولكن الخير قد جاءنى من قبلك يا إلهى. وفى إجبارى على التعلّم لم يكن لهم من مطمح آخر لى غير إشباع الشهوات (الميول) النهمة نحو شقاء عظيم ومجد معيب. لكنك أنت «الذى تعرف عدد شعر رأسى» (مت١٠: ٣٠) قد استخدمت لفائدتى خطأ كل هؤلاء الذين ضيقوا علىّ فى التعلّم، وقد استخدمت (استغللت) خطأى لى، أنا الذى لم أكن أريد التعلّم، كعقاب كنت أستحقه حقاً ـ طفل صغير جداً وفى الوقت نفسه مجرم كبير جداً! هكذا، من هؤلاء الذين لم يكونوا يفعلون خيراً، قد استخرجت خيراً لى، ومن خطيئتى الخاصة العقاب الذى يحق لى. لأنك قد أمرت. وهكذا كان، أن كل نفس لا تطيع تكون قصاصاً لنفسها.

٢٠- لأى باعث كنت أنفر من اليونانية، التى لما كنت طفلاً كانوا يلقونها فى ذهنى؟ وحتى اليوم لا أعرفها جيداً (لا أجيدها)، لأننى كنت أحب (اللاتينية كثيراً) حتى أن الذين علمونى إياها لم يكونوا الأساتذة الأولين جداً. بل معلّمى النحو كما يدعونهم (يسمونهم) حقاً أن العناصر الأولى، القراءة، والكتابة، والحساب لم تبدو لى متعبة وشاقة أقل من اليونانية. فمن أين جاء هذا النفور (هذه الكراهية) إلا من الخطيئة وفناء (بطلان) الحياة؟ كنت بشراً، كنت ريحاً تذهب ولا تعود (مز٧٨: ٣٩) ومع ذلك فإن هذه الدرس الأولية التى

مكنتنى من القراءة، التى لا زلت مديناً لها لا تستلزم أى مكتوب يقع تحت باصرى، (ومكنتنى) من كتابة ما أريد ـ كانت أحسن لأنها عملية أكثر من هذه التى ألزمت فيها على الحفظ عن ظهرقلب، الجولات التائهة لإينياس الذى لا أعرف إيّا هو. بينما أنى ناسٍ أخطائى الخاصة، وعلىَّ أن أندبَ موت ديدون الذى قتله الحب، حينما كنت فى بؤسى الشديد، لا أذرف (أملك) دمعة واحدة لنفسى، لأن هذه الأشياء قد أهلكت حياتى بعيدة عنك أنت يا إلهى:

٢١ـ أى شىء يستحق الإشفاق أكثر من بائس لم يكن يشفق على نفسه، كان يبكى على موت ديدون، الذى مات حباً فى إينياس، ولكنه لم يكن يبكى موت نفسه حباً فيـك يا الله، نور قلبى، خبز الفم الداخل لنفسى، والقوة التى تخصب عقلى، ومصدر (محرّك) تفكيرى، إنى لم أكن أحبك «لقد زنيت بعيداً عنك» وفى أثناء أفعال الزنى التى ارتكبتها كنت أسمع من كل الأنحاء (البقاع) إنفجاراً: «أحسنت! حسناً جداً» لأن محبة هذا العالم هى زنى، خيانة لرعايتك؛ فإذا قيل (صُرخ) .. أحسنت! حسناً جداً فإنما ذلك لإيقاظ الكرامة الإنسانية لهذا الذى يرفض أن يسقط فيها. وهذه النقائص [الضعفات] لم أكن أبكى عليها، ولكننى كنت أبكى على ديدون «التى ماتت بعد البحث، والحديد فى يدها، أدنأ عزيمة» وأنا نفسى قد كنت أبحث عن الأشياء الوضيعة (المنحطة) من خليقتك وكنت قد أهملتك ـ أرض تدور حول الأرض وإذا كنت قد مُنعت من قراءة هذه الأشياء، فقد كنت أذعر من عدم التمكن من قراءة ما يذعرنى.

إن مثل هذا الجنون (الجهالات ـ الحماقات)ـ قد تقود إلى معرفة أسمى وأنفع من التى بفضلها قد تعلمت القراءة والكتابة.

٢٢ـ لكن الآن فلتصرخ يا إلهى فى نفسى، وليقل حقك لى «هذا ليس حقاً، هذا ليس حقاً» كلاً فإن هذه الضيقة الأولى هى الأحسن ـ الأفضل جداً، لأننى هاأنذا على إستعداد أن أنسى الجولات التائهة لإينياس، وسائر قصص هذا النوع لا الكتابة أو القراءة. على عتبة مدارس النحويين تتدلى ستائر: وهى ما يرمزون بها، وهى على الأقل رقية الأسرار التى يتعلمونها، إلى أن سر الخطأ مخبوء. لا تدع هؤلاء الذين لا أخشاهم، أن يصرخوا نحوى (ضدى) بينما أعترف إليك بما تريد نفسى، يا إلهى ولأننى أحب طرقك (سبلك) الصالحة، فلذلك أجد راحتى فى القضاء على طرقى الرديئة. ولا تدع باعة النحو وشُرّائه يصرخون ضدى.

فإذا سألتهم هذا السؤال: هل من الحق أولاً، كما يدّعى فرجيل، أن إينياس جاء قديماً إلى قرطاجنة؟ فالقليلو الثقافة كانوا يجيبون أنهم لا يعرفون شيئاً، والأكثر علماً بأن هذا ليس حقاً (صواباً)، لكننى إذا سألتهم (طلبت منهم) كيف يكتب اسم إينياس فكل الذين تعلموه سيجيبوننى بالصواب، طبقاً للعهد والميثاق الذى بموجبه حددت الجمعية الإنسانية معنى هذه العلامات. وبالمثل إذا كنت قد سألت أين تكون الخسارة الكبرى فى الحياة، أفى نسيان القراءة والكتابة أو بالحرى (فى نسيان) هذه الخيالات، خيالات الشعراء فمن لا يتنبأ بجواب من لم يفقد الحس تماماً؟

ولقد كنت مخطئاً إذن كطفل حيث كنت أفضّل هذه النزهات على الأشياء الأكثر نفعاً، أو بالحرى، حينما كنت أُبغض البعض ولا أحب إلا الآخرين. «واحد وواحد يكونان إثنين، وإثنان وإثنان يكونان أربعة» فى ذلك الوقت كان هذا (هذه الأغنية) الدور بغيضاً إلى، عندما كنت أعبد هذه التصورات الباطلة: حصان من الخشب مملوء من الجنود المسلحين، حريق تراودة وظل قورسينا نفسها.

٢٣- أسباب كراهيته لليونانية:

وإذن لماذا كنت أبغض الأدب اليونانى الذى مع ذلك يروى تواريخ (ينقل أخبار) من نفس النوع؟ لأن هوميروس نسج بحذق، خرافات مماثلة، قد راعى فى تفاهتها جاذبية لا حدّ لها إلا أنها كانت تبدو مرة لمذاقى كطفل. وأظن أن الأطفال اليونانيين لايفكرون فى غير فرجيل عندما يُلزمون فى تعلمه، كما كنت قد أُلزمت على تعلم هومير. وقد كانت هذه بوضوح هى المشكلة (الصعوبة)، نعم، صعوبة تعلم لغة أجنبية [تعلماً تاماً] (تماماً)، والتى كانت قد مزجت مرارتها بعذوبة الخرافات اليونانية. ولم أكن أعرف منها لفظاً واحداً، ولكى أتعلمها قد هُددت بحدة بقصاصات قاسية ومخيفة.

ومنذ قليل، إذ كنت طفلاً صغيراً، قد كنت أجهل بالمثل الكلمات اللاتينية، ومع ذلك، وبدون ملاحظة قد تعلمت بلا خوف، بلا آلام (أتعاب)، فى وسط تدليلات مرضعاتى بين مداعبات (دعابات) و (أضاحيك) وسرور المحيطين بى الذين كانوا يضحكون ويلعبون معى. قد تعلمتها بلا ضغط الإلحاحات أو العقوبات؛ إن عقلى، لوحده، قد كان يدفعنى أن أظهر أفكاره التى لم أعرف أن أحققها (أعبر عنها)، إذا لم أكن قد تعلمت عدداً معيناً من الكلمات، من كل درس تعليمى، من الأشخاص الذين يتكلمون أمامى. ولكى يسمعوننى، كنت أبدى جميع آرائى.

ينتج عن هذا بوضوح أن هذه الرغبة المطلقة فى المعرفة أنجع من الضغط (الإجبار) المسلح دوماً بالتهديدات. إلا أن (بيد أن) هذا الضغط، بفضل نواميسك، يا إلهى، يمنع طموح الرغبة فى المعرفة نعم، بفضل نواميسك، منذ مقارع المعلمين (الأساتذة) حتى بلايا (محاكمات) الشهداء، التى عرفت أن تذيقنا آلامها (مرارتها) النافعة لكى ترجعنا إليك، بعيداً عن الضلالات المميتة التى حولتنا عنك.

٢٤- [يشتهى أن يتقدس (يتكرس) لخدمة الله التى تعلم عن فائدتها فى حياته المدرسية]:

اصغ (استمع) يا سيد، إلى صلاتى، ولا تجعل نفسى تخور تحت تأديبك، ولا تدعنى أن أضعف فى إعترافى لك بالمراحم التى أقتلعتنى بها من طرقى المعوجة (الفاسدة - القبيحة) ارفق بى أكثر من جميع الضلالات التى كنت أتبعها. فلأحبك من أعماق القلب، ولأقبض على يدك من كل نفسى، لأنك اجتذبتنى (تنقذنى) من كل بلية حتى اليوم الأخير. ألست أنت يا سيد، «ملكى وإلهى»؟ ولخدمتك ينبغى أن يتكرس كل ما تعلمت أنه نافع فى طفوليتى، فإذا تكلمت، أو كتبت، إذا قرأت، أو أخصبت، فليكن كل ذلك لخدمتك، لأنه فى الوقت الذى فيه تعلمت الأمور الباطلة، أنت الذى أدبتنى (هذبتنى) بل والملذات المحرمة التى كنت أجدها فى هذه الأمور الباطلة أنت الذى غفرتها لى. وقد تعلمت جيداً كلمات مفيدة، وزيادة على ذلك، فإنه من الجائز (المباح - المشروع) حفظها (تعلمها) أيضاً من مواد ليست تافهة البتة وهذه هى السبيل (المؤكدة - المأمونة) التى يجب أن يسلكها الأطفال.

٢٥- يستنكر إستخدام الأكاذيب المفسدة فى تعليم الأساطير الدينية.

أكاذيب الأساطير الدينية الوثنية فى التعليم:

ويل لك يا سيل العادة البشرية؟ من يقاومك؟ وإذن فمتى تجف؟ إلى متى تدحرج (تجرف) أبناء حواء فى البحر الواسع المخيف الذى يستطيع بجهد (مشقة) أن يعبره هؤلاء الذين يجتازونه فوق الصليب.

ألم أقرأه محمولاً عليك، تاريخ جوبيتر المرعد والزانى معاً، وبدون شك لم يكن فى مقدوره أن يكون الإثنين معاً. لكن الأمر قد رتّب على أن يكون الزانى حقاً، فى كنيته أن يستفيد منه، لكى يكون كذلك، يشدده (يشجعه) هذا الرعد الخيالى.

ألا يوجد بين هؤلا المعلمين المرتدين (اللابسين) القفطان (المجببين)، من يقدر، بلا شك، (بدون تردد)، أن يسمع إنساناً خلق من نفس التراب الذى خلقوا منه: «هذه كانت

إختراعات (أكاذيب) هومير، فقد نسب إلى الآلهة النقائص (الضعفات) البشرية، وقد كنت أفضل أن ينسب للناس المراتب الإلهية».

وكان من الممكن أن يقال بأكثر رد: «نعم إن هومير كان يبتدع الأكاذيب، لكنه كان ينسب الألوهية إلى الناس الناقصين حتى يمتنع أن تعتبر قبائحهم كأنها قبائح، ولكى يظهر من كان يرتكب أشباهها أنه يحاكى لا الناس الذين فقدوا الفجور بل آلهة السماء».

٢٦- ومع ذلك،يا أيها السيل الجهنمى، إن أبناء البشر (الناس) يرمون (يطرحون) فى أمواجك مع فضة الرواتب حتى يتعلموا هذه الأشياء! وأى عمل هام، عندما يحدث ذلك علانية فى الفوريم Forum، تحت رعاية القوانين التى تنعم على المعلمين، مرتباً عاماً زيادة على المرتبات المدرسية! أنت تضرب الصخور بحافيتك، فنسمع ضجيجك: «ها هنا تحفظ الكلمات؛ هنا نكتسب الفصاحة، إذا كانت ضرورية للإقناع، ونشر الأفكار» ولذلك نحن لا نعرف هذه الكلمات «مطر من الذهب، حضن (رحم)، غش، قباب سمائية.. إلخ» التى تصور (تشير إلى) فى نص (قصيدة) تورنس Terence، إذا لم يكن الشاعر قد أظهر على المسرح فسقه الطائش، متخذاً جوبيتر كمثال (كنموذج) للفسق (لإرتكاب المنكر) بالنظر إلى نقش (تصوير) على الحائط حيث يتمثل الإله، حسب الأسطورة التقليدية، فى أثناء إسقاط قطرة من الذهب فى حضن دانية Danaé، ليخدعها عن هذا الطريق؟ فتأمل كيف أنه تحت ستار هذا المعلم السماوى (الإلهى) يحض نفسه على الفسق (إرتكاب المنكر).

«وأى إله أيضاً! هذا الذى يهز (يزعزع) القباب السمائية بضجة عظيمة، وأنا الحقير، الفانى، ألا أعمل المثل؟

نعم قد عملت، وأهنىء نفسى بذلك!

ليس من الحق (الصواب) لا، ليس من الحق، أن تحفظ بسهولة عظيمة هذه الكلمات عن طريق قبائح من هذا الطراز. إن هذه الكلمات فقط تجعلهم يرتكبونها (القبائح) بأكثر جسارة. إنى لست ألوم الكلمات نفسها، فهى أوعية منتقاة وثمينة، لكن خمر الخطأ تعطينا معلمين سكارى. وإذا لم نرد (نرغب) أن نشرب، فإننا نُضرب، دون أن يسمح لنا أن نحتكم إلى قاضٍ رزين [رابط الجأش].

ومع ذلك، يا إلهى، فإن فى محضرك من الآن فصاعداً استدعى هذه الذكريات بلا رعب، قد تعلمت كل ذلك بسرور وكنت أجد فى ذلك لذة رغم أنى كنت سىء الحظ ولهذا السبب عينه قد دعيت ولداً (طفلاً) ذا أمل عظيم.

٢٧- لُمعة من تمرينات الفصل حيث نبغ الطفل أوغسطين:

اسمح لى، يا إلهى، أن أقول كلمة عن مواهبى التى أدين لك بها، وعن جهالاتى التى بددتها فيها! وقد عرض لى، على سبيل المثال، عمل كان يكفى لإزعاجى (يعترض راحتى) إما بفعل (بتأثير) الجزاء المتروك، أو الخوف من الخجل أو الضرب. بصدد الكلام مع جونون وغضبها، وألمها من «عدم قدرتها على زحزحة ملك تراجان من إيطاليا.» هذه الشكاوى، كنت أعلم جيداً أن جونو لم تكن تلفظها،. ولكننا قد كنا مُجبرين على أن نضل على أثر هذه الأكاذيب الشعرية، وعلى أن نحيل إلى نثر ما كان يقوله الشاعر شعراً. وهذا قد كان يحصل على كثير من التهانى (المديح) التى، بإعتبار شخصيته المتصفة بكل وقار (عظمة، جلال) كان يعرف أن يبين فى وضوح عظيم سخطه، وألمه، وأن يلبس هذه إحساسات (مشاعره) فى أحسن عبارات موافقة.

وفيمَ كان يفيدنى كل هذا، يا أيتها الحياة الحقة، يا إلهى ما المنفعة من هذا المديح (التصفيق) الذى يقابل به خطابى أمام كثيرين من التلامذة زملائى والذين يناهزوننى، أليس كل هذا ريحاً ودخاناً؟ ألم توجد موضوعات أخرى ليختبر فيها عقلى ولسانى؟ إن مديحك، يا سيد، نعم إن مديحك المعلن فى كتبك هو الذى سند فرع قلبى الضعيف. إن الأشياء التافهة لا تحملها المديح فريسة مدنسة لطيور السماء، لأنه توجد أكثر من حالة واحدة فيها يضحى للملائكة الخائنين.

٢٨- الهموم (المشاغل) الخلقية التابعة لأباطيل (الأقوال المعسولة) أيكون عجيباً إذا ما تركت (هجرت) أيضاً الأباطيل، وإذا نموت خارجاً بعيداً عنك يا إلهى؟ .... لأنك أنت الله الإله القادر على كل شيء، حتى لو لم تصنع إلا هذه الأشياء التى لا يستطيع أحد آخر أن يصنعها، أيها الإله الواحد الذى منك يصدر كل مقياس (معيار)، أيها الصورة الكاملة يامن صورت الكل، ورتبت الكل حسب ناموسك.

لكن فى هذه السن يا سيدى ـ لا أذكر أننى قد عشت، إنى لا أؤمن بها إلا على إيمان الآخرين؛ لقد تخيلتها بعد ملاحظة الأطفال الآخرين، تخمين (حدس) محتمل جداً مع ذلك ـ وأيضاً أجد صعوبة فى عَدّها (حسابها) فى الحياة التى أحياها فى هذا القرن ـ وهى، فى المنطقة المظلمة من منسياتى (مما نسيته) شبيهة جداً بتلك التى قضيتها فى حضن أمى. لكن إذا كنت «بالإثم قد صورت» (مز٥١: ٥) إذا كان فى الخطيئة حبلت بى أمى، أين إذن أصلى إليك، يا إلهى أين كنتُ يا سيدى أنا عبدك، أين ومتى كنت طاهراً؟ ومع ذلك قد هجرت على حدة هذه الفترة، أية صلة لها بى، من حيث أننى لا أجد فى نفسى أى أثر لها.

كلمات عزاء

تقرير لابد منه عن رحلة العمل ثم رحلة العمر.

أولاً : آباء بطاركة ومطارنة وأساقفة.

ثانياً : آباء كهـــنة.

ثالثاً : آباء علمانيين.

تقرير لابدّ منه عن رحلة العمل ثم رحلة العمر[1]

تفسير (لو٩: ١٠- ١٧)

هذا الفصل من الإنجيل مأخوذ من الأصحاح التاسع من إنجيل معلمنا لوقا البشير، وهو الفصل الخاص الذى يقرأ فى الأحد الثالث من شهر أبيب، يقدم لنا صورة للخدمة التى أرسى الرب قواعدها بوجوده على الأرض، وأن الخدمة خدمة للناس فى جميع إحتياجاتهم الروحية والجسدية والمادية. فإن الإنسان كلٌ واحد وإحتياجاته متنوعة، ولا يمكن أن يُقتصر على ناحية واحدة فى الإنسان.

فالإنسان قدراته متنوعة وبالتالى إحتياجاته أيضاً متنوعة. والخدمة التى تُؤدى للناس كى تكون خدمة كاملة، ينبغى أن تنتظم هذه النواحى جميعها فلا تقتصر على ناحية بعينها.

والكنيسة منظمة إلهية على الأرض، حقل تجربة أولى لها عمل على الأرض يؤهلها لمرحلة أخرى، وهذه المرحلة الأخرى مرحلة ما بعد الموت، لأننا وُعِدنا بحياة أبدية، والحياة الأبدية لا نهاية لها، ووجودنا هنا على الأرض مرحلة أولى، مرحلة تجارب تُجرَى، تُثقل فيها مواهب الإنسان، وتوظف قدراته وهباته التى أعطاه الله إياها. فإذا ثُقلت هذه المواهب ووظفت وربحت، هذا الربح يؤهل لمرحلة آتية فقد خلقنا على صورة الله ومثاله، والله صانع الخيرات، ونحن وجدنا لنصنع الخير على غرار خالقنا، ووهبنا مواهب وأعطينا وزنات، هذه الوزنات بعضها روحية، وبعضها عقلية، وبعضها مادية، كل هذه الوزنات وكل هذه المواهب وجدت فينا ومنحت لنا، لنوظفها ونستثمرها ونتاجر بها ولنربح بها، وهذا الربح هو لحساب ربنا الذى خلقنا لهذه المهمة، ولحساب وخير المجموع الإنسانى الذى نحن أعضاء فيه.

وكما أن الله خالق الجميع، هكذا وهبنا نحن أن يكون الواحد فينا فيه من العطاء وفيه من المواهب ما يستطيع به أن ينفع به آخرين، لأن هذه المواهب وهذه الوزنات أُعطيت لنستثمرها لخير المجموع الإنسانى، والله منحنا إياها من أجل خير الإنسانية، ومن أجل

(١) عظة ألقيت بكنيسة العذراء والأنبا بيشوى بالأنبا رويس ـ صباح الأحد ٢٤ من يوليو ١٩٨٨ م ـ ١٧ من أبيب ١٧٠٤ ش.

خير المجموع، هنا صورة يقدمها الإنجيل لهذا المفهوم ولهذه الخدمة. بالنسبة للخدام وبالنسبة للمخدومين، وبالنسبة للمجموع الإنسانى بصفة عامة.

كان الآباء الرسل قد أرسلهم المسيح فى مهمة ليهيئوا الطريق أمامه، وليعدوا قلوب الناس ويهيئوها لفهم رسالته ودعوته التى جاء من أجلها من السماء، فبعد أن عاد الرسل من مهمتهم رجعوا إلى سيدهم ومعلمهم ليقدموا تقريراً عما صنعوه، لأنه هو الذى أرسلهم فلابد أن يعودوا إليه، ولابد أن يقدموا تقريراً عن ما صنعوه، ليُعرّفوا سيدهم بنتائج رحلتهم التى قاموا بها بأمره، وهذا يرينا بنظرة مستقبلية إذا أسقطنا هذا المفهوم على مجموعنا نحن كبشر، فنحن أيضاً أرواحنا مرسلة من السماء، هى ليست من الأرض؛ أُرسلت هذه الأرواح لمهمة، فلنا فى وجودنا على الأرض رحلة، فرحلة وجودنا على الأرض وكل أنشطتنا التى قمنا بها على الأرض فى هذه الرحلة طويلة أو قصيرة، لابد أن نقدم عنها تقريراً، حينما نعود إلى سيدنا وخالقنا الذى أوجدنا وأرسلنا إلى الأرض، فماذا نقول؟ هل تنبهنا إلى هذا الأمر أننا مرسلون إلى الأرض، وأن لنا مهمة فى الأرض، وأنه بعد أن تنتهى هذه المهمة نعود إلى سيدنا، ونقدم لسيدنا تقريراً عن رحلتنا على الأرض.

وبموجب هذا التقرير يكون هناك تقييم، أو تقويم لأرواحنا عن كل ما حصلنا عليه؟ وماذا نستحق من تقدير سيدنا لنا، ولابد أن يكون هذا التقدير مختلفاً من واحد إلى آخر، ولابد أن يكون هناك درجات وتباين فى الجزاء من واحد إلى آخر على قدر التعب، كلٌ سيأخذ أجرته حسب تعبه. ليست هناك محاباة، كلٌ منا سيوزن لأن الله وازن الأرواح، وعلى هذا الوزن تكون قيمة الإنسان ويكون تقييمه وتقويمه ووضعه فى المرحلة الجديدة، وما إذا كان الواحد منا سيرفع درجة وسيعطى عطاءاً ومهمة أخرى، حتى يستطيع أن يعمل بتواصل إلى الأبد، وهكذا يقول الإنجيل من له يعطى فيزاد، وأما من ليس له فالذى عنده يؤخذ منه، ما معنى هذا؟ الذى له يعطى فيزاد، الذى له عمل، الذى له ثمر، الذى له إنتاج يعطى أكثر ويزاد من المواهب والإمكانيات والقدرات حتى يستثمرها أيضاً فى مرحلة آتية. أما الذى ليس له عمل، وليس له إنتاج، وليس له ثمر، فالذى أُعطى له مبدئياً يؤخذ منه، تسحب منه المواهب التى أخذها لأنه غير مستحق لها، ثم لأن الخالق أرادها وأوجدها لكى تستثمر، تؤخذ منه لتعطى لواحد آخر، ليستثمرها ويوظفها مادام ذلك غير قادر على أن يوظفها، ولذلك قال لذلك العبد الشرير والكسلان الذى طمر فضة سيده، «خذوا منه الوزنة وأعطوها للذى له عشرة وزنات» تسحب منه النعمة، تسحب

منه العطية لأنها أعطيت له ليستثمرها، فمادام أنه لم يستثمرها تسحب منه، تؤخذ منه وتعطى للذى له العشر وزنات، والذى أثمر وأنتج بروح العمل والنشاط الذى له، يستثمر هذه الموهبة وهذه الوزنة المعطلة، تعطى للذى يستحق لكى يستثمرها.

إذن إذا نظرنا إلى الحياة بهذا المعنى، فنحن أمام قضية فى غاية الأهمية والخطورة، تتعلق بها حياتنا ويتعلق بها وجودنا على هذه الأرض، وجدنا لا للهو، بل وجدنا للعمل وعلى غرار سيدنا، لأن سيدنا يعمل وكما قال: «أبى يعمل حتى الآن وأنا أيضاً أعمل». فالعمل والثمر والإنتاج والجهاد، هذا كله مطلوب على الأرض، فنحن وجدنا لا للكسل ولا للتراخى، إنما وجدنا للعمل.

فترة وجودنا على الأرض وما نسميه بالعمر، هذه رحلتنا على الأرض. ماذا يترتب بعد هذه الرحلة، طويلة كانت أو قصيرة، لابد أن يكون فيها تقرير يقدمه الإنسان حينما يعود لسيده لأننا سنعود، أجسادنا تدفن فى الأرض مؤقتاً كوديعة، أما أرواحنا فتعود وتظل فى أماكن الإنتظار، لأن عهد الرحمة ممتد إلى يوم الدينونة، وقبل الدينونة تكون القيامة، الأجساد المودعة فى القبور تخرج، «تأتى ساعة يسمع فيها الذين فى القبور صوته، فيخرج الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة».

إذن حياتنا على الأرض رحلة، ولابد أن نعود، نحن غرباء وليس لنا هنا إقامة، غرباء بل نزلاء شأننا شأن النزيل فى فندق، يقيم بعض الوقت ولكن ليس له فى الفندق إقامة، لابد أن يخرج، لابد أن ينتقل، ونحن غرباء ونزلاء على الأرض ليس لنا هنا إقامة، سنعود، نعود إلى سيدنا الذى أرسلنا إلى هذه الحياة لنعمل عمله، ولنمد آفاق ملكوته، ولنصنع الخير بالمواهب التى أعطانا، بالقدرات الروحية والعقلية والجسدية والمادية، كلها عطايا، وكلها مواهب، نستثمرها للخير، الخير العام الذى لابد أيضاً أن يكون لنا نصيب فيه.

رجع الرسل وأخبروه بكل ما فعلوا، فأخذهم معه على إنفراد إلى موضع قفر، وجدهم منفعلين بنتائج هذه الرحلة، أصابوا نجاحات، رأوا الشياطين تخضع لهم باسم ربهم ومعلّمهم ففرحوا، وإن كان بسبب الاسم الذى يحملونه، لكن لعله أكسبهم شيئاً من الشعور بذواتهم، وأحسوا أنهم أخذوا من وراء المسيح ما أعطاهم كرامة، جعلت حتى الشياطين تخضع لهم، وللنجاح إنفعالاته، وهذه الإنفعالات فى بعض الأحيان إذا لم تضبط، ممكن أن تضر صاحبها إذا تولد عنها غرور أو إحساس بالذات، أو شعور بما يرفع هذا

الإنسان عن غيره من الناس. وهنا نقطة الخطر فى الخدام، ولكن الخدام مفروض فيهم أن تكون لهم أكثر من غيرهم، وسيلة لضبط هذه المشاعر، وللتحكم فى هذه الإنفعالات وتقييدها، بحيث لا تفلت لتتحول إلى أضرار للخدام وبالتالى للمخدومين. رآهم منفعلين فقال تعالوا إلى مكان قفر، وهذا هو العلاج الذى رآه الطبيب الأعظم، رأى فى تلاميذه مرضاً خاف عليهم من هذا المرض، فأراد أن يعالجهم، رآهم منفعلين فأراد أن يهدىء إنفعالهم بالوجود فى مكان قفر، والمكان القفر كيف يكون علاجاً؟ المكان القفر صحراء قاحلة ليس فيها شىء من الخير، إنسان يترك الحَضر ويترك الأماكن العامرة التى فيها من الناس، ومن خيرات الدنيا من نبات ومن حيوان ومن أثمار مختلفة، ويذهب إلى الأماكن القاحلة. كيف ينجح المكان القحل فى تهدئة المشاعر وتهدئة الإنفعالات؟ هذا أمر يُحس ولا يبرهن عليه، يحس به الإنسان فعلاً لأن أرواحنا مرسلة من فوق، فلا تجد لها راحة حقيقية فى الضوضاء والضجيج والمشاغل والإنهماكات، لأن وجودها فى هذا الضجيج يخنقها، مهما ظنت أنها فى حالة من السرور والرضا والوقت يمر بها سريعا،فتظن أنها سعيدة بهذا اللقاء، ولكن عندما تدخل إلى أعماقها تشعر أن هناك فراغاً، وهذا الفراغ نقصُ لن تستطيع الضوضاء والضجيج، والوجود فى الحضر أن يحقق لها ما فى أعماقها من إحتياج.

لذلك عَلّمنا المسيح فى هذا الكلام، ما للأماكن الخالية والأماكن القاحلة، والأماكن البعيدة عن العمران، وما فيها من هدوء الذى هو علاج. واليوم يُنصح به للمصابين بالأمراض العقلية والعصبية والمتاعب النفسية، ولا لعلاج لهم بهذا البرشام أو بهذه الكيميئيات التى يعطونها كمهدئات، هؤلاء المصابين بالأمراض النفسية والعصبية دوائهم الأول هو البعد عن الضغوط النفسية والعصبية، التى تحدث بوجود الإنسان فى وسط المجتمع، هناك ضغوط مختلفة، فالعلاج الأول والأكبر لهذه الأمراض والمتاعب النفسية، هو تهيئة الهدوء والسكون، حتى النوم أحياناً يدخل فى هذه التركيبة، تركيبة الدواء، لماذا؟ لكى يبعد الإنسان عن الضغوط وعن الشواغل، وبهذا يعود إلى النفس صفائها وهذا الهدوء علاج، لذلك يقال على ألسنة الأطباء البشريين، أن علاجك أن تغير الجو أو تغير الهواء، هذا تعبير عام يسمع باستمرار، غيّر الهواء، وتغيير الهواء معناه أن تترك المكان، فمثلاً ينصحوا الناس أن يذهبُوا يصيفوا، يصيفون فى أماكن هادئة حيث البحار والمياه الممتدة والبعد عن الناس، كل هذا معناه أن الضغوط تؤثر على أعصاب الإنسان، وعلاجها الأول

أو الأكبر ليس هو المهدئات الكيميائية وهى عبارة عن مخدرات، ليس لها علاج حقيقى وعلاج جذرى، مجرد تسكين مؤقت وضغط على جسم الإنسان، ولكن العلاج الأكبر هنا كما يقول المسيح، تعالوا إلى مكان خلاء، تعالوا إلى الهدوء، فى هذا الهدوء يجمع الإنسان نفسه المبعثرة المشتتة، يجمعها على بعضها لأنها تبعثرت بإنفجار، بقنبلة فجرت قوى النفس فأصبحت أشلائها مبعثرة، أصيبت بشظايا، فالهدوء والسكون والبعد عن الأماكن المزدحمة والشواغل، هو العلاج الأول والأهم والذى قدمه المسيح لتلاميذه بهذا الأسلوب كمُعلّم، عندما رآهم منفعلين دعاهم بقوله: تعالوا إلى مكان قفر، كان من المتوقع الطبيعى بعد أن رجعوا من مهمتهم، أن يكافئهم بمكافأة، قد يبدو للبعض مثلا بعمل وليمة لهم كما نعمل نحن أحياناً إحتفالات، إنما يقول لهم تعالوا إلى مكان قفر، لماذا؟ لأنه وجدهم منفعلين، فكأن الهدوء والسكون والذهاب إلى الأماكن الخالية والخاوية والهادئة والساكنة، والأماكن التى ليس فيها من مصنوعات البشر من مبان عالية، وإنما فيها الطبيعة وفيها الجبال وفيها التلال وفيها الصحارى وفيها الرمال وفيها الهواء، فى هذه الأماكن المتسعة العلاج، أهذا علاج؟ نعم فلنجرب هذا العلاج، وهذا هو السبب لماذا وجدنا بعض الناس يخرجون من المجتمع إلى الرهبنة، إلى الأديرة، إلى الأماكن الخالية، حيث شظف العيش، والحياة القاسية للجسد من ناحية الأكل والشرب والملابس والبرد وما إلى ذلك، كل هذه قسوة، ماذا يشجع الناس على ذلك؟ لا يوجد ضرورة، لا يوجد أحد يكلفهم، إنما يذهبوا من تلقاء أنفسهم لماذا؟ لابد أن هناك شئ يغريهم، هنا إغراء هنا دواء، الدواء هو الهدوء والسكون، والصمت، والإنسان يجمع أفكاره، ولا يمكن أن يتحقق له هذا الجمع إلاّ فى وسط الهدوء والسكون، لا أقول أن معنى هذا أن جميع الناس يتركوا الحضر ويذهبوا للرهبنة، وإلاّ تتحول الأديرة نفسها إلى حضر، لا .. إنما لا أقل من أن الإنسان ينتزع نفسه من وقت إلى آخر، من وسط مشاغله، ومن وسط مسئولياته الكثيرة على سبيل العلاج، شذوذ على قاعدة، بعض الوقت من كل سنة، بعض الوقت من كل شهر، بعض الوقت من كل يوم إذا أمكن، فترات هدوء يسكن فيها إلى نفسه، يعود إلى نفسه، يدخل إلى نفسه، يجمع قواه، بالتأمل والصمت والسكون.

هذه هى الحكمة الكبيرة التى نلمسها من وراء هذه الكلمات، المسيح يقول تعالوا إلى مكان منفرد، ليس فقط ليقدموا تقريراً، ربما قدموا التقرير قبل ذلك، ولكن تعالوا لأنى آراكم متعبين مرهقين، وهذا الإرهاق علاجه الهدوء والسكون والصمت وتجميع النفس،

والدخول إلى أعماق النفس، والبعد بقدر الإمكان عن الضجيج، ولهذا السبب سيدنا نفسه مع أن وقته كان ثميناً جداً، والبشرية محتاجة إلى كل دقيقة من وقته، إنما بعد العماد ذهب إلى البرية وظل فيها أربعين يوماً، وأيضاً من وقت إلى آخر كان يذهب للبرية، حتى بعد أن صنع مثل هذه المعجزات يقول: ألزم تلاميذه أن يسبقوه إلى العبر، جعل تلاميذه يبعدوا حتى يصرف الجماهير، لأن الخدمة ليست مجرد إعطائهم الأكل، ولكن كان هناك إحتياجات أخرى، كل واحد له سؤال، كل واحد له موضوع، كل واحد له تجربة، كل واحد له مشكلة، فسيدنا كان مع الجماهير بعد أن يقدم لهم الطعام كان يصغى لكل واحد، ليقدم له إحتياجه، إن كان مريض يشفيه، وإن كان له أى مشكلة يساعده على حلها، لكن بعد ذلك ذهب إلى الجبل وحده، جعل تلاميذه يسبقوه إلى العبر أو إلى الضفة الأخرى، وفى الهزيع الأخير من الليل ذهب إلى تلاميذه، أى قرب الفجر حوالى الساعة الثالثة بعد نصف الليل، أى ثلاثة أرباع الليل كله قضاه على الجبل وحده، لكى يعطى نموذج لتلاميذه وللخدام عموماً، أن الخادم بعد أن يكون مع الناس ليحاول أن يخفف متاعبهم، وأن يجيب عن أسئلتهم، بعد ذلك لابد له من وقت يقضيه منفرداً، وأن يكون وحده حتى يتوافر له فى هذه الوحدة الهدوء والسكون، تجميع الأفكار وأيضاً شفاء لما أحدثه الضجيج والإجتماع بالناس، ومشاكل الناس وما أثرته على العقل وعلى القلب وعلى النفس البشرية، فهى فى حاجة إلى فترة تتلخص فيها من هذه الضغوط، وذلك لا يكون بالقهر وإنما بالتسكين، وهذا ما يعرف عن الروحانيين بتسكين الحواس.

التسكين نافع ومفيد، يوجد أشخاص يخرجوا ويعطوا حياتهم كلها لهذا السكون، وهم ما يعرفوا بالرهبان، لكن كل إنسان كإنسان، لأن له روحاً على صورة الله ومثاله، فلا تجد راحتها إلا فى العود إلى الله، وإلا فى هذا الهدوء، فيحتاج الإنسان منا مهما كانت ضغوط الحياة ومهما كانت مهامه ومسئولياته، وضروراته واشتبكاته مع آخرين فى العمل، لكنه يحتاج إلى أن يخلو إلى نفسه بعض الوقت، ويغلق على نفسه الباب بعض الوقت، لعلّه يعود إلى هدوئه فتسكن نفسه، ففى هذا يكون بعض الشفاء له.

هذا هو العلاج لكل نفس بشرية، لأننا جميعاً ليس الرهبان فقط، ولكن كل إنسان منا يجد راحته فى هذا الهدوء وفى هذا السكون، مهما تكن مسئولياته والضغوط الموضوعة عليه.

إذن لابد للإنسان أن يلزم نفسه ويغصب نفسه، لأن هناك شىء لا غنى لك عنه، وإلا فإنك تمرض، وتقول ماذا أعمل؟ لا .. على الرغم من كل هذه المسئوليات عليك أن تجبر نفسك، وأن تلزم نفسك، وأن تقتطع من وقتك فترات الهدوء والسكون فى كل سنة بعض الوقت، وفى كل شهر بعض الوقت؛ وفى كل يوم إذا أمكن بعض الوقت، سواء أكان الواحد منا خادم، ولو أن الخادم يلزمه أكثر مما يلزم الإنسان العادى، أو حتى لو كان من عامة المؤمنين، كل واحد منا من حيث أن نفسه مرسلة من فوق، يحتاج إلى هذا العلاج ويحتاج إلى هذا الهدوء والسكون، ولا يعتذر بأن الظروف وأن الأمور وأن المسئوليات تمنعه، لا.. مهما يكن من أمر فهذا علاج لنفسك، وقبل أن تتفاقم المتاعب وتؤدى إلى الأمراض.

فخالقنا نفسه يعلم أننا فى حاجة إلى هذا، فلا نتجاهل هذا الأمر ولا نتلهى بغيره، ولا تظن أن الملاهى وما يسمونه بالملاهى تعفيك، أو يكون فيها العلاج الحقيقى الجذرى الأصيل، لمتاعب النفس البشرية، قد تلهيك بعض الوقت لذلك يسموها ملاهى، ولكن أنت فى حاجة إلى علاج أعمق، بأن توفر لنفسك فترة هدوء وسكون بين وقت وآخر، تجمع فيها أفكارك وتجمع فيها نفسك، وتهدأ أعصابك حتى يتوافر لك هذا العلاج الحقيقى العلاج الجذرى، لترجع إلى الله وترجع إلى نفسك وتفهم وضعك، وترى ماذا صنعت، وإلى أى حد وصلت، وماذا أنت صانع بعد هذا؟ كل هذا ينبغى من وقت إلى آخر، أنك توقف نفسك لكى تقدم تقريراً لنفسك أولاً عما صنعت، وعما أنت صانع وإلى أى مدى وصلت.

نكتفى بهذا ونعمة ربنا يسوع المسيح تشملنا جميعاً وله الإكرام والمجد إلى الأبد آمين

أولاً: آباء بطاركة ومطارنة وأساقفة

البابا مكاريوس الثالث[1]

إليك فى دار الحق، ومقر الخلود؛ نرفع ألحاظنا وبصائر قلوبنا، فنراك فى تهليل الظافرين ومجد المنتصرين، مقدرين عظم الخسارة وفداحة الخطب الذى ألم بنا برحيلك عنا: فقد كنت بيننا تلك الشخصية التى لا يمكن أن تنسى، ومن الخيانة للفضيلة والتاريخ أن تنسى، لأنها شخصية عفة نبيلة، طاهرة، مقدسة جليلة، مهيبة، وقورة؛ امتلكت من المؤهلات الطبيعية والروحية ما يندر أن يجتمع فى شخصية أخرى.

سيدى يا غبطة الحبر الجليل:

إنى لأقر بصدق وإخلاص أنك فى عينى كنت ولا زلت، المثل الأعلى للراهب العابد والناسك الزاهد. من ذا الذى يراك ولا يشعر أن أحب أمر إلى قلبك النقى هو العبادة الصادقة؛ أجل فأنت هو الراهب الطاهر بالجسد والروح، العابد الحق الذى أحببت الله من كل فكرك ومن كل قلبك ومن كل قدرتك؛ والقديس الحار الذى عاش فى الباطن أكثر مما عاش فى الظاهر: حياته تأمل عميق وسهر متواصل وجهاد دائب؛ لم تعط للجسد راحة ولا متعة، وقد ترفعت فى سبيل إذلاله وإخضاعه حتى عما يعده سائر الخلق طاهراً حلالاً، وهو دليل على ما انطوت عليه نفسك الكبيرة من فضائل روحية سمت بك عن الأشرار الخاطئين بل عن الأبرار المصطفين.

أى سيدى البابا العظيم!

ما أعنف صومك وما أعظم زهدك، أو أنت الشيخ الكبير تصوم منقطعاً عن الطعام والشراب إلى المساء! فلا تأكل بعد إجهاد الصوم وعناء الصلاة إلا وجبة واحدة، يا ليتها قوية عظيمة، لكنها متواضعة زهيدة، وفى زهادتها غريبة وعجيبة.

آه يا سيدى البار! هل يدرك شعبك وهل يدرك العالم المستبيح، اليوم، هذا الدرس فى إحتقار أباطيل العالم؟!

ويحنا نحن الوعاظ! ما أقل عظاتك بالكلام؛ لكنها مع قلتها فى عداد ألفاظها عميقة حارة مملوءة قوة وفضيلة ومحبة وغيرة هى غيرة الراعى على رعيته، التى بذل نفسه

---

(١) نشر بمجلة الإيمان السنة الخامسة عشر ـ العدد الأول ـ سبتمبر ١٩٤٥م ـ توت ١٦٦٢ ش.

لأجلها. لم تتوان لحظة عن أن تدعونا فى شتى المناسبات، شيباً وشباباً، إلى الكمال المسيحى وفضائل العبادة من صلاة وصوم وبر وإحسان. ولا سيما الشباب فقد كنت تدعوهم للكنيسة «زهورها وأثمارها» مما كان يملأ قلوب الشباب شجاعة وثقة وإيماناً.

وكما كنت الراهب العابد كذلك كنت الناسك الزاهد الذى لم يغره علو المنصب وعظمة الكرامة ولا جلال الحفاوة التى قُوبل بها لدى تنصيبه على كرسى البابوية، على التحول عن زهده ونسكه. حقاً لقد نسجت على منوال أسلافك العظام: هذه الميزة التى يبرز فيها باباوات الكرسى الرسولى الإسكندرى عن سائر أساقفة العالم وباباواته. وهنا تصدق رواية ذلك السفير الأجنبى فى واحد منهم حينما قال: إن كان للمسيح خلفاء فبالحقيقة يكون هذا البابا الإسكندرى فى تواضعه وزهده ونسكه وعفته.

أيها الشعب القبطى الكريم!

ماذا رأيت فى البابا هذا الطاهر القديس؟ ألم تر فيه بالإضافة إلى كل ما سبق ذلك المثل الأعلى للكاهن كما يجب أن يكون فى وقاره وخشوعه، وسجوده، وركوعه، وصلواته الهادئة العميقة الحارة، ذلكم الكاهن الذى يشعر ويشعر برهبة الهيكل كاملة وبالجالس فيه، والمذبح والذبيح عليه ومن حوله طغمات الملائكة وصفوف السمائيين.

رأيتك مراراً يا سيدى البابا خاشعاً بورع منقطع النظير، تصلى ودموعك الطاهرة النقية منهمرة على خديك، كأنها تنبع من معين لا ينضب أو كأنها سيل لا يعرف التوقف. لا تكاد ترى الشمامسة والشعب بصوت الترنيم والتلحين حتى تجد الفرصة سانحة لتجهش فى البكاء والنحيب، كما لو كنت أحد المجرمين التائبين، وأنت بالحقيقة من كبار القديسين الأتقياء الأصفياء الطاهرين.

بهذا قد علمتنا، بطريقة عملية وخطة رسولية تقليدية، كيف ينبغى أن تكون الصلاة الحقيقية من أجل النفس ومن أجل الرعية. لذلك كم كنت غنياً وغنياً جداً فى النعمة وفى معرفة ربنا يسوع المسيح.

أما تواضعك الجم فلم يكن عجيباً ولا غريباً عن رجل كان نائباً عن المسيح ووكيلاً لسرائره أميناً؛ ولكن الغريب أن يكون هذا التواضع الوافر مصحوباً بغير إكتراث لبشر، وغير إهتمام لرأى أو وجه أحد مهما كان غنياً أو ثرياً عظيماً. لقد رأيت الدليل بل الأدلة بعينى رأسى فلن يقنعنى بغير ذلك دليل، ولن يحولنى عن رأيى فيك لو كان حقيقة ثمة دليل أو برهان.

أجل ما أعمق تقواك وما أغنى قلبك بالإيمان بسر الألوهة العظيم، كيف لا يزحزحك المديح ولا تبطر بالثناء المستطاب!!!

يا قداسة البابا الطوباوى: نبكيك اليوم وغداً وبعد غد، وإننى لموقن أنه لن يسلينى عن حسرة هذا الفقدان، إلا إذا أنعم الله علينا وحسبنا مستحقين لأن نكون معك حيث أنت لنتمتع من جديد بمرآك وحسن لقاك.

كلما تطلعت إليك، رأيت فيه مصداق قول الرسول «تمثلوا بى كما أنا بالمسيح» فإذا كنت اختطفت عنا، فحقاً لأنك من أولئك الذين كتب عنهم الكتاب الإلهى «إن العالم لم يكن مستحقاً لهم».

ادع لنا، فنحن جد مؤمنون بصالح دعواتك ومقبول صلواتك وشفاعتك.

المتنيح الأنبا باسيليوس[1]
مطران كرسى الأقصر وإسنا وأسوان

فجعنا أيما فاجعة، وقد كاد يصرعنا بقدر ما روعنا، نبأ إنتقال السيد الجليل، والحبر الطوباوى النبيل، الطيب الذكر والخالد الأثر، مثلث الرحمات، نيافة المتنيح الأنبا باسيليوس مطران كرسى الأقصر وإسنا وأسوان. على أثر عملية جراحية، صعدت بعدها روحه الطاهرة إلى العالم الأعلى والأسمى لتستريح إلى يوم الجزاء، عن حياة كفاح ونضال وصراع، ظل فيه إلى يوم رقد، رجل بر وفضل وكمال. فكان نصره فى كل ذلك نصراً علماً مبيناً.

فإذا نعيناه أو بكيناه، فإنما ننعى فيه شخصيته الهادئة الممتلئة سماحة ودعة، والطافحة بالبساطة والرقة والعذوبة المسيحية الخالصة. مثل راق فيما ينبغى أن يكون عليه الراعى الصالح فى تواضعه الكريم وأدبه الجم الوفير ... مفخرة لكليتنا الإكليريكية .. عقلية متزنة، روحانية متقدة. غيرة ملتهبة، قناعة وزهادة فى الطعام والشراب واللباس. اقتدار على الوعظ والتعليم بلهجة روحية فعالة مؤثرة: لن ننسى له مرة يوم خطب فى أحد كنائس القاهرة داعياً الشعب لتأييده فى مشروعاته الإصلاحية، فقد كان حديثه حماسة وقوة انطلقت من قلبه قبل لسانه فكانت دعوة حارة استجابت لها دموع السامعين وكانت سخية فصهرت القلوب وأذابت تحجرها، فانسابت الأيدى فى سخاء عظيم، ولم يكن أحد يحس فى كل ذلك أنه قد عمل إلا أقل ما يجب عليه لتشجيع هذا الراعى الصالح النشيط.

أجل إنه من خير الرعاة الصالحين. فقد عرف مسئولية وظيفته وخطورة دعوته فكان يجوب بنفسه فى أنحاء إبروشيته مفتقداً الصغير والكبير، والفقير قبل الغنى، ولم يكن ليمل أو يفشل أو يترفع عن السير بقدميه إلى حيث يعزى حزيناً أو يؤاسى فقيراً أو يشمل بعطفه وحدبه أرملة مسكينة. ومما يؤثر عنه فى نبيل شعوره، أنه افتقد أرملة فى بيتها، فرثى لفقرها وبؤسها. وجلس على (الماجور)، وحدثها مخففاً آلامها مشجعاً لها، وعند قيامه كان قد ترك لها تحت (الماجور) ودون أن تشعر مبلغاً من المال، فلما نهض ليخرج ألحّت عليه المرأة أن يتفضل فيقبل إشتراكها المتواضع فى أعماله الإصلاحية والتربيبية. وكان إشتراكها قرشاً صاغاً واحداً، فأبى معتذراً بأنها هى التى تحتاج إلى مساعدته،

(١) نشر فى مجلة مدارس الأحد ـ السنة الأولى ـ عدد ٨ ـ نوفمبر ١٩٤٧م.

ولما رأى تأثر المرأة من رفضه لم يشأ أن يجرح شعورها المسيحى برفضه، فقبل منها قرشاً، وكان يرسل لها كل شهر وفى كل عيد، مبلغاً ثابتاً قد رصده لها معونة ورحمة.

هذه قصة واحدة تعد مثالاً لروحه العالية ونفسه الرحيمة، وتدلك فى الوقت نفسه على نشاطه الرعوى، وإهتمامه بكل فرد من أفراد القطيع، الأمر الذى كنا نؤمل فيه ونترجاه، فتمثل فى هذا الحبر المفضال قدوة صالحة للرعاة والكهنة ورجال الدين.

وأما أنه رجل إصلاح وعمل فسل عنه شعبه فى جميع أنحاء إبروشيته الممتدة الواسعة: لقد كان مؤمناً الإيمان كله بأهمية تربية النشء من البنين والبنات، منذ طفولتهم المبكرة، على مبادىء التقوى والدين القويم. فعنِىَ بإنشاء كثرة عظيمة من المدارس الأولية والإلزامية المسيحية. كما أنه شجع مدارس الأحد أعظم تشجيع نالته مدارس الأحد من أحبار الكنيسة حتى الآن، فنشرها فى كل الربوع وعقد لها مؤتمراً بالأقصر حضره مندوبون من كل فروع الإبروشية بما فيها القرى الصغيرة النائية. ثم أذاع كلمة الخلاص فى بلاد كانت محرومة من التعليم والإرشاد الدينى، فعيّن فى أبروشيته عدداً كبيراً من الوعاظ للمدن والقرى. وبالإجمال ـ فإنه على الرغم من المدة الوجيزة التى قضاها راعياً للشعب فى كرسيه، فقد قام بأعمال مسيحية جليلة، ولم يؤخر شيئاً من الفوائد إلا وقام به فى كل صقع من أصقاع رعايته.

والأنبا باسيليوس هو الرجل الذى وعد فى الحفل الذى أقامته له الكلية الإكليريكية إغتباطاً بسيامته بوصفه أحد خريجيها ـ بأن لا يضع يده على واحد من غير الإكليريكيين.

وعلى الرغم مما اعترض هذا الوعد من عقبات من بلاده الفقيرة، لكنه كان باراً بوعده وأميناً لعهده أمام الله ومذبحه الأمانة الكاملة. فإلى يوم نياحته وهو يشجع الإكليريكية ويعطف على أمانيها، ويحن إليها، ويحنو عليها.

وإذا تكلمنا عن طهارة سيرته، فهو الراهب العف العفيف، والطاهر النقى الذكى، الذى مضى إلى موكله وفاديه بعذراوية كاملة، وبتولة تامة. وكان الطُهر والبر يشع من جبينه الأغر ومن طلعته المشرقة السنية.

فإذا صلّى فبخضوع وخشوع واتضاع وانسكاب. يقف وقفة راسية عجيبة، لن يتململ ولا يلين، وإذا رسم الشعب بعلامة الصليب، فبمنظر روحانى عميق يخشع معه الشعب مستشعراً الرهبة والقوة، ويطامن ليقتبل النعمة والسلام والبركة.

يا لفجيعتنا يا سيدنا فيك، إنها تعلو عن كل وصف، ويند عنها كل تعبير. أنت مطران من خيرة مطارنتنا. وراهب من أقدس وأطهر رهباننا. كنا نفخر بك فى كل مكان، وقد كنت جديراً بالفخار. لقد ناوءك المجلس الملى زماناً، فكسروا قلبك الحار العظيم. إذ عطلوك وأفسدوا عليك جو العمل، وأنت الروح الوديع التى ترنو إلى العمل الهادىء فى جو هادىء.

سلام عليك يا سيدنا فى دار الحق والخلود، فلتسترح ولتنتظر يوم يأتى راعى الرعاة الأعظم، فيتوجك بإكليل المجد الذى لا يبلى.

ونحن أولادك شباب مدارس الأحد، لن يعزينا عن فراقك، إلا النصرة التى أحرزتها على العالم والجسد والشيطان. ولقد نشعر بعدم استحقاقنا الداعى لك بالنياح، ولكننا نذكرك بأن لا تهملنا فى صلواتك ومقبول ضراعتك.

حول نعى البطريركية للمتنيح الأنبا باسيليوس(١)

«تلقى .. غبطة الأنبا يوساب الثانى بطريرك الأقباط قبل ظهر أمس نبأ وفاة المرحوم الطيب الذكر الأنبا باسيليوس مطران الأقصر على إثر عملية جراحية. وقد أناب غبطته أصحاب النيافة مطارنة قنا وأبو تيج وأسيوط فى تشييع الجنازة والصلاة على جثمانه الطاهر صباح اليوم بالأقصر. تغمده الله بواسع رحمته، وألهم رجال الكنيسة جميل العزاء».

من كان يظن أن نيافة المتنيح طيب الذكر، والمثلث الرحمات الأنبا باسيليوس، يُنعى من البطريركية هذا النعى الفاتر الهزيل...

أهكذا يُنعى مطران من مطارنة الكنيسة القبطية، عظيم فى تقواه وعمله ونشاطه، أم هو مجرد إنباء وتبليغ، وعلى الشعب أن ينعى!! ولكن أين هى مشاعر بابا الكنيسة ومطارنتها وأساقفتها نحو شريكهم وزميلهم فى الخدمة الرسولية، وأخيهم الروحى فى الرهبنة والدرجة الكهنوتية!؟

ولقد كنا نود أن شخصية البابا ومطارنة الكنيسة هى التى تبدو - إذ ينعونه - واضحة فعالة، فيتحدثون مباشرة إلى الشعب، لا أن يتحدث أحد عنهم، ويشار إليهم بضمير الغائب .. «تلقى ..!!».

---

(١) نشر فى مجلة مدارس الأحد - السنة الأولى - عدد ٨ - نوفمبر ١٩٤٧م.

ثم إن البطريركية فاتها فى نعيها أن غبطة بطريركنا، ليس هو «بطريرك الأقباط» فقط، بل هو بطريرك الأثيوبيين أيضاً وغير الأثيوبيين، وأن اللقب الذى يجب أن يقدم به على الدوام هو «بابا وبطريرك الكرازة المرقسية».

لقد ظهرت مشاعر الشعب أفراداً وهيئات أعمق من مشاعر البطريركية، فقد نعوه جميعاً «بمزيد الحزن» و «بالغ الأسى»، و«بقلوب دامية»، و«بأفئدة تنفطر حزناً».

وكان الشعب أعرف من البطريركية بالمصطلحات الدينية، فبينما وصفته هى «بالمرحوم» وصفه الشعب «بمثلث الرحمات»، «ورجل التقوى والإحسان»، «الطوباوى السيرة والسريرة»، «المطران المحبوب»، و«السعيد الذكر»، «المنتقل لدار الخلود»، «نيافة الأنبا باسيليوس.

الحق أن البطريركية خيبت آمالنا فى أمور كثيرة. ولكننا فى هذا الأمر الواضح ما كنا نظن أنه يحتاج إلى توجيه أو غير توجيه، فنصحح لها صيغة تنعى بها مطراناً بارزاً من مطارنة الكنيسة.

أجزل الله له خير الجزاء، وعوضه عن كل ذلك تقدير السماء.

ذكرى راع وديع(١)

فى مثل هذا الشهر من سنتين مضتا ـ فى ١٦ أكتوبر ١٩٤٧ ـ انتقل إلى السماء راع جليل، له فى قلوبنا مكان أثير، ومركز ممتاز، هو نيافة المتنيح خالد الذكر الأنبا باسيليوس مطران الأقصر.

كنت تبصر وجهه، فترى الوداعة حية، والمحبة فياضة، فتشعر نحوه بتعاطف وألفة، ويغمرك هو بحنانه ورعايته، فإذا بك تحس أبوة صادقة، وإهتماماً جدياً بشخصك وبما تعمل، وتشجيعاً مخلصاً، يكون له أطيب الأثر وأقواه، لأنه صادر من شخصية عظيمة المركز، جليلة القدر.

هذا ما أحسه كل من قابله وتعامل معه، ولن ينسى من زاره قط أنه كان فى بيته نعم المضيف، صاحب الواجب، الذى يكرم ضيفه الإكرام كله. وإن إستقباله لزائريه، وإحتفاءه بهم، ومشاركته لهم، وسؤاله عن أحوالهم، وتوديعه إياهم ـ لأمور لها فى قلوبهم أطيب

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد ـ السنة الثالثة ـ عدد ٨ ـ أكتوبر ١٩٤٩م.

الذكرى. ذهب إليه بعض الشبان يطلبون منه أن يتفضل بالصلاة على زميل لهم، فقبل عن طيب خاطر، وكان نِعمَ المعزى، الذى يجبر القلوب الكسيرة. ومازالوا يسمعون منه كلمات العزاء والمواساة حتى خرجوا من منزله.

تحبه من أول ما يقع بصرك عليه. فإذا حضرت قداساً له، فهو المصلى صاحب الصوت الوديع الرخيم، الذى تخرج من قلبه الصلوات فتؤثر فى كل من يشاركه، وترتفع بأذهانهم إلى الأعالى: نطق سليم، وألفاظ واضحة، ونبرات عذبة، ومهابة وجمال روحانى. من أجل هذا أحبه الجميع وتعلقوا به، حتى الأطفال، كان يجذبهم إليه بلطفه، فيتحدث إليهم ويعلّمهم فى حنان بالغ، ومحبة حلوة.

تحدث واحد من مدرسى مدارس الأحد فقال: إنه كان يعطى الدرس فى فصله ذات يوم بعد القداس الإلهى. وكان الأنبا باسيليوس ـ نيّح الله نفسه ـ هو المُصلى فى تلك الكنيسة فلما خرج، ووجد المدرس يحدث تلاميذه، دخل إليهم، وجلس بينهم يستمع إلى الدرس.

نعم ـ جلس المطران وسط الصبية يستمع إلى المدرس الشاب. وكان له من طول الأناة والتواضع والوداعة، ما جعله أن يبقى حتى نهاية الدرس .. وخرج يتحدث مع المدرس، مثنياً ومشجعاً. لهذا فإن ذلك الخادم لا ينسى قط ذلك الصنيع الذى طوقه به، ولا التشجيع الذى وهبه إياه فى ذلك اليوم، صاحب هذا القلب الكبير.

أما أساتذته فى الإكليريكية فإنهم لا ينسون قط أنه ظل حتى النهاية يحفظ لهم أطيب مشاعر العرفان بالجميل. وإن أحاديثه معهم، وخطاباته إليهم لتنطق كلها بأنه يقدر لهم أستاذيتهم له، ولا ينسى تلمذته لهم.

وهو إلى كل ذلك حازم يعرف جلال الرتب الكهنوتية. كان يرسم شمامسة فى إحدى الكنائس، فأوقفوا أمامه ـ كما يحدث عادة ـ بعض الأطفال ليرسمهم. وإذا به ينهض ويقول: «إننى لا أعرف المحاباة ـ كيف أرسم «قارئاً» من لا يعرف القراءة...» وطلب من الآباء أن يأخذوا أولادهم. وكان درساً عملياً فى إحترام الرتب الكهنوتية لا يُنسى.

لم يعظ كثيراً ـ ولكنه كان عظة حية، ونحن إذ نكتب هذه السطور لا نعمل شيئاً إلا أن نعرض لمحات خاطفة من حياته. إننا لا نحاول قط أن نمدحه، أو نثنى عليه. ولكننا فى بساطة نتحدث عن بعض الذكريات العاطرة التى يحفظها الجميع له.

ويكفيه هذا مديحاً:

كان يصلى فى إحدى كنائس القاهرة، وكان الوقت شتاء. وأبصر فى الهيكل فإذا الشماس يقف ـ وقد خلع نعليه ـ على «البلاط» البارد. فناداه، وطلب منه أن ينتقل إلى البساط المفروش على الأرض.

وحدث من أحد الشمامسة ما اضطره لأن يعنفه. حتى إذ جاء وقت التناول، دعاه إليه، وفى تواضع رائع يسمو على الوصف، همس فى أذنه «سامحنى ...» وأمسك بالجسد المقدس يقسمه.

هذا هو الأنبا باسيليوس، صورة خالدة للوداعة والقلب المحب اليقظ. ولقد قلنا منذ عامين «إننا إذا نعيناه فإنما ننعى فيه شخصيته الهادئة الوديعة الممتلئة حماسة ودعة، والطافحة بالبساطة والرقة والعذوبة المسيحية الخالصة، مثل راق فيما ينبغى أن يكون عليه الراعى الصالح فى تواضعه الكريم، وأدبه الجم الوفير». وها الأيام تمر ـ وما زالت صورته كما هى، بل إنها فى الحقيقة قد إزدادت تألقاً ووضوحاً.

أيها الراعى الكريم ـ إننا نحن أولادك شباب مدارس الأحد، نذكر شخصك المحب، ورأفتك وروعة وداعتك. ولقد نشعر بعدم إستحقاقنا الدعاء لك بالنياح، ولكننا نُذّكرك بأن لا تهملنا فى صلواتك وتضرعاتك المقبولة أمام الله.

المتنيح الأنبا باسيليوس مطران الأقصر فى ذكراه

أرسل إلينا الابن المبارك الإكليريكى الشمَّاس رفعت زكى نصير بمدينة الأقصر يذكرنا بتاريخ إنتقال المتنيح الأنبا باسيليوس المطران الأسبق لكرسى الأقصر (وإسنا وأرمنت وأسوان) وتوابعها إلى الأخدار السمائية فى ١٧من أكتوبر لسنة ١٩٤٧ ويطلب أن نكتب عن سيرته العطرة لقراء جريدة (وطنى)، فى عددها الصادر اليوم، ليستنير بها الجميع من الإكليروس والشعب.

إنى أذكره جيداً منذ أن كان طالباً بالكلية الإكليريكية فى مقرها القديم فى مهمشة، بالشرابية، معروفاً باسم الأستاذ (شفيق)، وقد إلتحق بها فى عام ١٩٣٢، (وإلتحقت أنا بها بعد ذلك فى عام ١٩٣٦)، وكان يبلغ هو آنذاك نحو٣٧ سنة إذ كان قبل إلتحاقه بالإكليريكية يعمل بحكومة السودان. ولما اشتدّت رغبته فى تكريس حياته لخدمة الله، قدم استقالته من عمله هناك، وجاء إلى القاهرة، ورأى أن يدخل باب الخدمة الإلهية من

مدخلها الطبيعى، بالإلتحاق بالكلية الإكليريكية. وبعد تخرجه قدّم نذوره الرهبانية فى ١٨ من أبريل لسنة ١٩٣٦ وتسمّى بالراهب باسيليوس الأنطونى، وإذ صارت إيبارشية الأقصر وإسنا وأسوان شاغرة بنياحة مطرانها الأنبا مرقص، وزكاه شعب الإيبارشية وكهنتها وأراخنتها للبابا الأنبا يؤانس التاسع عشر، وهو المائة والثالث فى تعداد بابوات وبطاركة الكرسى الإسكندرى، فرسمه بوضع يديه مع أيادى الأساقفة أعضاء المجمع الإكليريكى العام، فى الكاتدرائية المرقسية بالقاهرة، فى صباح الأحد ٢٥ من أكتوبر لسنة ١٩٣٦ أسقفاً على المدن المحبة للمسيح: الأقصر وأسنا وأرمنت وأسوان وتوابعها.

فتحققت فيه نبوءة المتنيح سلفة الأنبا (مرقس) الذى لما رأى بكاء الكهنة وأبنائه من حوله فى وقت خروجه من الجسد، نطق بالنبوءة قائلاً: «لا تخافوا يا أبنائى سيخلفنى من هو أفضل منى، من هو ملاك لا إنسان. غير أنه ستكون أيامه قليلة» وفعلاً لم تطل حياة الأنبا باسيليوس أسقفاً فمطراناً أكثر من أحد عشر عاماً، فقد رحل إلى العالم الأفضل فى ١٧من اكتوبر لسنة ١٩٤٧ بالغاً من العمر ٥٣ عاماً وأربعة شهور.

ومنذ أن تسلّم الأنبا باسيليوس عصا الرعاية، وذهب إلى إيبارشيته، لم يتوان عن الجهاد الصالح والخدمة المتفانية. لقد عرف مسئوليته الأسقفية وخطورة دعوته الكهنوتية، فكان يجوبُ بنفسه أنحاء إيبارشيته الواسعة يتفقد الصغير والكبير، والفقير قبل الغنىّ.. ولم يكن يترفع عن أن يسير على قدميه ليعزىّ الحزانى أو يؤاسى المتعبين، أو يشمل بعطفه وحدبه أرملة مسكينة.

وفى مقابلة خاصة مع نيافته سمعتُ منه القصة التالية حكاها فى عطف أب حنون، عن أرملة فقيرة زارها فى بيتها المتواضع، فقدمت له قرشاً واحداً إسهاماً منها فى مشروعات الخدمة فأشفق عليها، واعتذر لها قائلاً: أنت أرملة فقيرة، أنتِ التى تحتاجين إلى مساعدتنا. ثم نظر إليها فرأى علامات الخجل ترتسم على محياها، وأدرك بحسّه الأبوى أنها تقول فى نفسها إنه امتنع عن قبول مساهمتها نظراً لضآلة ما قدَّمت، فمد يده فى حنان، جبراً لخاطرها، وقال: هاتِ يا ابنتى: إنَّ عطاءك للخدمة المقدسة مقبول، ودعا لها بالبركة. ولم يجد فى بيتها كرسياً .. وأبصر (ماجور) (وهو وعاء من الفخار كبير يستخدم لعجن الدقيق) مقلوباً، فجلس عليه وإستأذنته المرأة أن تذهب إلى مطبخها وتصنع له (فنجاناً) من القهوة فانتهز الفرصة والمرأة فى الداخل، ووضع لها تحت (الماجور) مبلغاً من المال لسدّ إحتياجاتها المعيشية ـ وظلَّ على هذا النحو يزورها ويتقبل منها عطاءها

(قرشاً صاغاً) واحداً، ويترك لها تحت الماجور مبلغاً مناسباً. وذلك جبراً لخاطرها، ولكى يشعرها بأنّ عطاءها لله مقبول، نظير تلك الأرملة التى ذكر عنها الإنجيل أنها ألقت فى خزانة الهيكل فلسين أى مليماً، ومع ذلك أشاد السيد المسيح بعطائها وقال عنها «الحق أقول لكم إنَّ هذه الأرملة الفقيرة قد ألقت أكثر من جميع الذين ألقوا فى الخزانة. لأنهم جميعاً ألقوا مما فضل عندهم وأمّا هى، فمن عَوْزِها ألقت كل ما تملك. ألقت كلّ معيشتها» (مرقس١٢: ٤٣، ٤٤)، (لوقا٢١: ٣، ٤).

والأنبا باسيليوس هو الأسقف الذى وعد فى الحفل الذى أقامته له الكلية الإكليريكية، ابتهاجاً بسيامته، بوصفه أحد خريجيها، بأنه لن يضع يده بالرسامة للقسيسية إلاّ على خريجى الكلية الإكليريكية. وقد برّ بما وعد، وظلّ إلى يوم رحيله أميناً لعهده، وعلى الرغم من فقر إيبارشيته آنذاك ومن قلة إمكانياته وعلى الرغم من الضغوط التى عاناها، لم ينقض عهده المقدّس، إيماناً منه برسالة الإكليريكية، وأنها المدرسة اللاهوتية الوحيدة التى تُعدُّ للكنيسة خدّامها فهى بمثابة الكلية الحربية التى يتخرج منها وفيها المدافعون عن الوطن وسلامته.

لقد كان الأنبا باسيليوس رجل الله بحق، روحاً وفكراً وعملاً.

وعلى الرغم مما عانى فى مدة حبريته من متاعب ومضايقات فقد أكرمه الله بشواهد على تقواه وصدق روحانيته، وبينّات على أنه أرضى الله.

من ذلك، مما سجلّه كهنة الإيبارشية وأبناؤها فى نبذة أرسلها إلينا الابن الإكليريكى رفعت زكى نصير ـ وقد جاء فى هذه النبذة عن الأنبا باسيليوس أنه فى إحدى زياراته لمدينة (أرمنت) رأى شاباً يطالبه بأن يمكِنّه من طلاق زوجته التى أبغضها. ويبدو أنَّ الشاب، لشدة إصراره على طلبه، قد تجاسر وأهان المطران، فأصيب بالعمى، فاستغاث بأحد الكهنة ليشفع له عند المطران ليصفح عنه. فأحضره الكاهن إلى المطران، وركع الشاب أمام المطران مستغفراً باكياً نادماً، فصلى عليه المطران. فاسترد بصره، وانفتحت عيناه.

من ذلك أيضاً أنّ الأنبا باسيليوس ذهب إلى (أسوان)، وكانت آنذاك من بلاد إيبارشيته، ونزل فى بيت أحد أولاده وكان يعمل مدرساً، فنظر إبنة للمدرس كسيحة، فعطف عليها ورفع وجهه نحو السماء وصلّى قائلاً: إن الرب يسوع المسيح الذى أقام المخلّع وشفاه

قادر أن يقيمكِ يا ابنتى، ثم خرج. وفى اليوم التالى استيقظت الفتاة وقد شُفِيت تماماً، ونهضت تجرى في البيت فرحة مسرورة تمجد الله.

وفى مدينة (إسنا) أيضاً ذهب المطران الأنبا باسيليوس، فلما أبصره الأطفال هناك أخذوا يهتفون فى براءة «أبونا المطّران جاء.. أبونا المطران جاء..» وكان من بينهم ولد أخرس منذ ولادته، فانحلّت عقدة لسانه وذهب يجرى نحو والدته وهو يهتف أيضاً قائلاً «أبونا المطران جاء..».

وفى (أرمنت) كذلك رأى طفلة متوارية وراء أحد الأطفال، وكانت فى خجل كطفلة لأنها عاجزة عن الهتاف مع الأطفال فأمسك بها المطران وحملها على ذراعيه بأبوة حانية، وقال لها «لا تخافى، يا صغيرتى، اهتفى مثلهم» فصاحت الطفلة بفرح عمّ جميع الموجودين...

وأخيراً وليس آخراً، حدث لزوجة أحد أمناء الخدمة بالأقصر أنها كانت تعانى من نزيف لمدة عشر سنوات متصلة، وذهبت إلى أطباء كثيرين فى الأقصر، وأسيوط، والقاهرة ولم يتوقف عنها النزيف.. وقرر أحد الجراحين بأسيوط أن يجرى لها عملية لإستئصال الرّحم، ولم يكن هذا الأمر سهلاً بالنسبة لها، خصوصاً وأنها لم تكن أنجبت منذ زواجها طفلاً. ففى مساء الأحد ١٥/ من اكتوبر لسنة ١٩٨٤ وهى عشية عيد تذكار نياحة الأنبا باسيليوس، وقفت أمام صورة له فى بيتها، وخاطبته قائلة: لقد كنتُ أرغب فى أن أحضر يوم عيدك، ولكننى فى حالتى هذه لا أستطيع - وفى تلك الليلة رأت حلماً مؤداه أنها سمعت صوت جرس الباب يدق، فنهضت لتفتح الباب، فإذا به المتنيح الأنبا باسيليوس، ثم فوجئت به يضع الصليب عليها - ثم استيقظت من النوم، فإذا بها قد شُفِيت تماماً، وتوقف نزيفها منذ ذلك الوقت. وذهبت بعد ذلك إلى الطبيبة، فأعادت الكشف عليها، فقررت أنّ السيدة لم تعد فى حاجة إلى عملية جراحية. فتمجد الله فى قديسيه.

تحية للمتنيح المطران الأنبا باسيليوس، فى يوم ذكراه بعد ٤١ سنة من رحيله إلى عالم الخلود والبقاء.

نسأل صلواته وبركاته، ومقبول دعواته.

المتنيح الأنبا ابرآم مطران الجيزة(١)

فى يوم الأحد الثانى عشر من ديسمبر سنة ١٩٤٨ الموافق ٣ كيهك سنة ١٦٦٥ هوى نجم من نجوم كنيستنا، وخرج عن ميدان الجهاد فيها قائد من قوادها مظفر، ورأس من رؤوسها مدبر، هو نيافة الطيب الذكر الأنبا ابرآم مطران الجيزة والقليوبية وتخومها ومركز قويسنا.

كان خطبنا فيه جليلا، لما نعرفه عن الرجل من وداعة وطهر، وزهد فى المال، وإخلاص عميق، ونية مسيحية فى العمل المجدى لبنيان الكنيسة. نذكر له ولا ننسى هذا التشجيع الوافر الضخم الذى كان يغمر به فضفاضاً أبناءه المخلصين شباب مدارس الأحد، فأوسع لهم صدره، وأرحب لهم قلبه الطاهر مكانة ممتازة، كانت لهم قوة دافقة للجهاد، وللفلاح فى هذا الجهاد لنشر تعليم المسيح. وحب الكنيسة بين الأطفال والشباب فى المدن والقرى، حتى لقد غدت بفضل تشجيعاته السخية وصلواته النقية وبركاته الرسولية جيشاً روحياً ونعمة زاخرة فى نهضة كنيستنا القبطية.

ونحن إذ ننعيه نبكى فيه كل هذه الفضائل مجتمعه. ونبكى فيه إلى هذا وذاك قلباً رحيماً بالفقراء والمساكين، وكان يعطى فى الخفاء، ومن آيات ذلك ما إلتقاه أعضاء المجلس الملى الفرعى بالجيزة أثر نياحته من رزمة كبيرة لإيصالات بريدية عن مبالغ كان يرسلها سراً لعائلات فقيرة، شاء الله أن تبقى من بعده شهادة على فضله وتقواه وبره.

وبعد فإننا نرفع خالص تعزياتنا إلى شركائه الأماثل فى الخدمة الرسولية صاحب القداسة البابا الجليل وأصحاب النيافة المطارنة والأساقفة وحضرات الكهنة، وحضرات أعضاء المجلس الملى الفرعى، والجمعيات القبطية، وإخوتنا شباب مدارس الأحد، وجميع أبناء إيبارشيته الواسعة.

ولعل بعض ما عزانا، وما يجدر بنا أن نسجله على صفحات مجلتنا، عجباً وشكرانا، ما رأيناه من موقف البطريركية الجميل فى نعيه بتعبير مؤثر، والإحتفال بتشييع جثمانه إحتفالاً لائقاً، وما رأيناه كذلك من كهنته وشعبه فى ذلك الوداع الحار الذى ودعوه به إلى مقره الأخير، وهذه الحفلة الوقورة الكريمة التى دلت على إخلاص شعب أمين لراع نزيه أمين.

أوسع الله له فى رحاب السماء مكاناً عَلِياً، وأحل محله خير راع طاهر، عالم كفء بأعباء المسئولية الجسام.

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد ـ السنة ٢ ـ عدد ٨ ـ يناير ١٩٤٩م.

المتنيح الأنبا أغابيوس
مطران صنبو وديروط وقسقام(١)
من ١٤ يوليو ١٩٢٩ إلى ١٣ أبريل ١٩٦٤م

حبر جليل عظيم من خير أخبار الكنيسة، وشيخ وقور من أبرز مطارنتنا صلاحاً وتقى، يتميز بالاتزان والهدوء وضبط النفس، ويتمتع بمحبة الناس جميعاً مسيحيين ومسلمين. ذو قلب رحيم ونفس كبيرة، وصدر رحب وعقل واسع، وعنده محبة غامرة فياضة يمكن أن تحتمل كل شيء، وتصبر على كل شيء، وترجو كل شيء.

ولعل من أبرز صفاته **أمانته ونزاهته، ودقته** وكان يفصل بين مخصصاته، ومخصصات الكنيسة ومشروعات المطرانية، بصورة نادرة تدعو إلى الإعجاب. وفى مدة رياسته للدير المحرق، لم يسمح لنفسه مطلقاً أن يستخدم ما يخص الدير فى شئونه الخاصة أو حتى لشئون إيبارشيته، بل كان كعادته يفصل بين ما يخص الدير، وما يخص الإيبارشية، وما يخصه شخصياً، مما دل على نزاهته وأمانته وعفة يده، كما دل على مبلغ دقته فى رعاية الشئون العامة.

ومن أبرز صفاته أيضاً **حرصه على كرامة المطرانية** معنوياً ومادياً فى نظافتها وأناقتها. وقد شهد له الكل مسيحيين ومسلمين أنه أحال الخرابة القذرة إلى دار للمطرانية نظيفة مشرفة، وزودها بالأثاث اللائق، مما جعلها من أعظم دور المطرانيات أناقة وإعداداً. وبهذا شرف الأقباط ورفع رؤوسهم.

وكان رحمه الله يعتزم بناء دار أخرى للمطرانية فى صنبو بعد عيد القيامة مباشرة، إلا أن حياته لم تطل حتى يحقق هذه الأمنية لشعب صنبو المحب للمسيح، فترك من ورائه غصة لشعبه وسبباً يزيد من آلامهم على فراقه وحرمانهم من شخصيته الكبيرة.

ومن أبرز صفاته أيضاً **حرصه على وحدة عنصرى الأمة**، وعمله على دعم أسباب المحبة والألفة بين جميع المواطنين مسيحيين ومسلمين، ولم يكن المسلمون أقل تقديراً له من المسيحيين، ولذلك أحبوه جميعاً واحترموه جميعاً واعتبروه رمزاً لوحدتهم الوطنية، ومثلاً عالياً لروح الأبوة السمحة التى تجمع ولا تفرق، تضم ولا تقسم، فائتلف الكل فى عهده وصاروا إخوة متحابين متعاونين على خير المجتمع والوطن.

وكان إخواننا المسلمون مجمعين على تقواه وصلاحه.

---

(١) كُتب فى ٨ من مايو ١٩٦٤م — ٣٠ من برموده ١٦٨٠ش.

ولذلك فعندما رقد فى الرب خرج أهل ديروط وصنبو وقسقام من المسلمين والمسيحيين يشيعونه إلى مقره الأخير، فى موكب تجاوز كل حدود الروعة والوقار، باكين مترحمين ذاكرين له أعماله الصالحة وأياديه البيضاء على الجميع، شاعرين بأن المصاب جلل والخطب فادح، والخسارة فيه كبيرة.

جميع الذين عرفوه أحبوه وتعلقوا به وأدركوا أن له نفساً حساسة رقيقة، وطباعاً نبيلة شريفة، ونفساً نظيفة، ويداً طاهرة عفة، وقلباً نقياً، وسيرة مستقيمة وسليمة.

وكان دائماً **يحرص على مشاعر الناس** فلم يُغلظ القول لأحد، ولا أضر بإنسان. كان يحنو على الكل، ويعطف ويشفق بقلب ملؤه الرحمة والحنان.

أما معاملته للكهنة فكانت مضرب الأمثال. كان يحبهم كأبناء، ويعاملهم كأخوه ويدعـوهم إليـه ليكونـوا معه دائماً وفى حضرته وحول مائدته. وكانت لا تحلو له لقمة إلا معهم وفى معشرهم. حرص دائماً على مشاعرهم، وكان يفرح لجهودهم، ويسر بنشاطهم، ويثنـى على همتهـم، ويفتخـر بأعمـال خدمتهـم، ويدعو لهم بقلبه ويلهج بمدح الممتازين منهم.

الأنبا أغابيوس والكلية الإكليريكية

وكان رحمه الله، يؤمن بأن صلاح الشعب من صلاح الكاهن ولذلك فقد جعل فى قلبه، منذ دعاه الرب لرعاية شئون إيبارشيته، أن ينتقى للكهنوت أصلح العناصر وأنفعها، وأفضلها.

وكان دائماً يتجه إلى رسامة خريجى الكلية الإكليريكية، وكلما وفق إلى إكليريكى كان يفرح به وكأنه ظفر بكسب كبير.

ولذلك كان يعبر عن حبه للكلية الإكليريكية وإيمانه برسالتها، وعطفه على أهدافها، وكثيراً ما كتب بقلمه يمدح رسالة الإكليريكية ويثنى على إدارتها وأساتذتها ويشجع طلبتها، بكلمات قوية مؤثرة تدل على غنى مشاعره وعظيم تقديره للعلم الكنسى والمدنى.

من ذلك ما كتبه بتاريخ ٢١ أكتوبر ١٩٣٨:

«الكلية الإكليريكية شجرة ورد يانعة، غُرست فى مدينة القاهرة، وبفضل عناية مديرها الهمام وأساتذتها الكرام، نمت وترعرعت وأخرجت وروداً ناضرة، انتشرت فى أنحاء البلاد فعطرتها بعبيق رائحتها الزكية، وانتعشت بها الكنيسة القبطية. ويحق لنا الآن أن نفتخر بمن أخرجتهم هذه المدرسة المباركة، من الكهنة الأكفاء والوعاظ المقتدرين الذين بفضل مساعيهم المشكورة ومجهوداتهم البارة، تقدم الشعب القبطى تقدماً محسوساً، وأصبح يعرف الشيء الكثير عن أسرار ومعتقدات كنيسته المحبوبة، وتكونت منه جمعيات خيرية

دائبة فى العمل على رفع الكنيسة فى شتى النواحى، الأمر الذى يجعلنا مغتبطين بهذا النجاح الباهر. وسائلين العزة الإلهية أن يرفع من شأنها، ويوسع فى نطاقها ويبارك فى أعمالها»[1].

ومن ذلك ما جاء فى خطاب له إلى وكيل الكلية الإكليريكية بتاريخ ١٥ يناير ١٩٥٨ - «........ وإننا نحرص دائماً على رسامة كهنة إيبارشيتنا من خريجى الكلية الإكليريكية لما لمسناه فيهم من الإستحقاق والجدارة فى تحمل رسالة الكهنوت والقيام بأعبائها الرعوية خير قيام، الأمر الذى يدعونا إلى أن نهنئكم بما تقومون به من جهود مباركة فى سبيل التقدم برسالة الكلية إلى الأمام نامية زاهرة. نسأل الله أن يبارك فى هذا المعهد وينميه ويقويكم فى رسالتكم المقدسة حتى تنهض الكنيسة ويعود إليها مجدها القديم، وإله كل سلام ونعمة فليكن معكم.

وفى خطاب آخر من نيافته إلى وكيل الكلية الإكليريكية بتاريخ ٥ يناير ١٩٦٢م - يقول:

«... ونحن نحرص دائماً على تشجيع الإكليريكيين، لأننا نلمس دائماً فيهم الكفاية والجدارة والإخلاص فى الخدمة، ولا عجب فإنهم يرون القدوة الصالحة بالكلية، ويستمدون منكم روح الوداعة والاتضاع... ونسأل الله... لكم القوة والمعونة للقيام برسالتكم المباركة للنهوض بالكلية الإكليريكية لتأخذ مكانتها اللائقة بها وإعادة مجدها القديم».

وكتب نيافته إلى وكيل الكلية فى آخر خطاب له بتاريخ ٢٩ فبراير ١٩٦٤م يقول:

«... يسرنا أن نفيدكم أن الكلية الإكليريكية هى دائماً موضع تقديرنا لما لمسناه فى خريجيها من إخلاص وتفان فى الخدمة، وذلك بفضل إرشاداتكم ورعايتكم.

ونحن لا نألوا جهداً فى سبيل تشجيع الكلية وخريجيها، ونرغب من كل قلبنا أن يكون جميع الكهنة الذين نقوم برسامتهم إكليريكيين لثقتنا الكاملة فى غيرتهم ونشاطهم. وإننا لا يسعنا إزاء ما تقومون به من خدمات وتضحيات إلا أن ندعو لكم بالصحة والقوة، وأن يؤيدكم إلهنا بروحه القدوس لتتمموا هذه الرسالة الخطيرة لبنيان كنيسة الله ورفعتها لتعود إلى كامل مجدها القديم».

نيح الله نفسه الطاهرة فى فردوس النعيم، ونفع الكنيسة الأرثوذكسية عامة والإيبارشية خاصة، بصلواته وبركاته. وأجزل له الثواب عن تعبه وجهاده بإكليل المجد الذى لا يبلى...

---

(١) كتاب المدرسة الإكليريكية بين الماضى والحاضر تأليف الأرشيدياكون حبيب جرجس، القاهرة ١٩٣٨م صفحة ١٨٠، ١٨١.

طوباك أيها المطران المظلوم[1]
الأنبا كيرلس رئيس أساقفة أثيوبيا

لقد رقد فى الرب حبر أمثاله فى الدنيا قليل، تقى، وطهراً. وزهداً، ومبدأً، وصلابة هو نيافة المغبوط الطوباوى والشيخ الروحانى **الأنبا كيرلس رئيس أساقفة أثيوبيا**، وبنياحته تنكسر آخر حلقة فى سلسلة الإتصال بين الكنيسة القبطية وربيبتها الكنيسة الأثيوبية، طبقاً لنصوص الإتفاق الذى زعم دعاته أنه الحل الذى وفقوا إليه فى دعم الصلة بين الكنيستين، ويعلم الله وحده أىّ حل مشئوم هذا الحل الذى يعالج الأمور من طرف واحد... ولكن هل أدرك كنيستنا خير واحد فى هذا العهد، حتى يمكن أن نشفق إلى جواره من هذا الأمر وحده...؟؟!!.

إن نياحة هذا الرجل العف الطاهر النبيل هى التى جددت أحزاننا وأثارت لواعج الهم الكامن فى نفوسنا، هذا الذى كظمناه فى قلوبنا هرباً من الواقع المرير. فلا غرو أن كان الهمّ يثور من جديد حينما نتطلع إلى الأمل الوحيد، الذى كان يخالجنا بين الفينة والفينة طالما أن راعى أثيوبيا على قيد الحياة، فإذا به يختفى ويزول بإنتقال المطران القبطى، إختفاء النور بين ظلمات الليل البهيم.

إن الناس لا يعرفون عن الأنبا كيرلس إلا أنه الرجل الذى أُبعد عن أثيوبيا. ولكن العليم هو الله أنه الرجل المحبوب من شعب أثيوبيا جميعاً. وجلالة الأمبراطور هيلاسلاسى الأول، يعزه ويجله ويكبره وكانا ولا زال إلى قبيل نياحته بأيام، دائم الإتصال به يراسله ويستفسر عن صحته بلغة تنم عن وافر الاحترام، والإيمان بقداسة سيرته والثقة فى بركته وروحانيته.

أليس هو بعينه الرجل الذى رفض أسخى العروض من رجال إيطاليا الذين أرادوا أن يجعلوه بطريركاً لأثيوبيا فأبى إباءً عجيباً، يدل على أنه غريب عن روح هذا العصر النفعية. لقد أغروه بالإجلال وزادوا له الاحترام، فلم يجب مطالبهم ثم هددوه بالقتل، وصوبوا نحوه أسلحة من الحديد والنار، فلم ينثن أو يلن. وقد أصابته فعلا قذيفة كادت تؤدى بحياته نزف بسببها منه دم كثير، ولكنّ الله نجاه وعافاه. وبالإجمال لقد حاربوه

(١) نُشر بمجلة مدارس الأحد ـ السنة الرابعة ـ عدد ٩ـ نوفمبر ١٩٥٠م.

حرباً باردة وحاربوه حرباً ساخنة، كان يمكن أن تذوب أمامها قوة الأبطال وتخور فيها عزائم القديسين. ولكن لو لم يكن الرجل من طراز ممتاز، لما أمكن أن يثبت أمام هذه الشدائد الشداد. كان الرجل البطل يردد دائماً لهم «حاشا لى أن أكون مثل يهوذا الذى خان سيده من أجل مطامع الدنيا: افعلوا بى ما تشاءون. فلن تصيبوا منى غير جسمى، أما إرادتى وروحى فلن تفعلوا بهما شراً. لن أتعدى حِدود كنيستى، ولن أقطع صلتى بسيدى وأبى بطريرك الاسكندرية».

قالوا له ستكون تابعاً لبابا الكنيسة الرومانية، أعظم بابوات العالم فأجاب «كلا، من قال هذا؟ ليس بابا رومة بأعظم من بابا الاسكندرية. سلوا التاريخ. إن كنيستنا معلمة المسكونة حينما كان الغرب كله يغترف من نعمة الله على باباوات الاسكندرية علماً وفضلاً وحكمة».

فى يقينى لو أن مثل هذا الرجل فى واحدة من بلاد الغرب، ووقف مثل هذا الموقف الذى يعجز عنه أبطال الحروب، لصنعوا له تمثالاً فى أفسح الميادين. ولكن ماذا لقى الأنبا كيرلس رئيس أساقفة أثيوبيا من رجالنا وقادتنا؟ لقى كل إهمال، وكل فتور، بل لقى كل إزدراء وكل نوع من الامتهان.

مهلا يا سيدى الأب، فهذا هو طريق السماء، مضيت مظلوماً إلى قاضى الخلق جميعاً، ولسوف يفصل بعدالته بين الظالم والمظلوم، ولسوف يجزى خيراً أو شراً كل من صنع خيراً أو شراً. فطوبى لك صابراً شاكراً، وويل ثم ويل لمن أضرك وآذاك.

عبرة ووفاء(1)
فى نياحة الأنبا بطرس مطران إخميم وسوهاج

ليس القبط فقط فى إخميم وسوهاج هم الذين نكبوا وحدهم فى انتقال الحبر المقدام الجرىء، **نيافة الأنبا بطرس**، وإنما قبط مصر جميعاً ممن عرفوا فى الرجل شجاعته وشهامته وقوة قلبه وصلابة عوده وشدة بأسه، وعظم شخصيته.

لقد نعاه الكثير جداً من الهيئات والأفراد بمشاعر حية عميقة، وبكاه شعبه وودعوه إلى عالم البقاء وداعاً حاراً ينطوى على تقدير ضخم وإعجاب عجيب.

لم ينعوه بكلمات رسمية جوفاء، وإنما كان فى كل لفظ انتقوه، قوة ومعنى، وأشهد أننى ما كنت أقرأ كلمات مسطورة بل صوراً متحركة لمشاعر جياشة صادرة من قلوب باكية، ونفوس جريحة.

لقد أجمع كل الذين نعوه وبكوه على وصفه بالشجاعة والشهامة والجرأة، وغيرها من صفات القيادة الحازمة القوية. ولن يجمع الناس على أمر بهذه الصورة ما لم تكن آثارة واضحة ملموسة.

وكاتب هذه السطور واحد من بين الذين كانت تذهلهم شجاعة الرجل، وقد لمس بنفسه كيف كانت رؤوس المسيحيين فى الإيبارشية، مرفوعة فى كرامة وعزة، فقد قضيت بسوهاج أربع سنوات عندما كنت طالباً بمدرستها الأميرية الثانوية وكان نيافته موضع تقدير الجميع وملجأ لكل المظلومين، وكانت شخصيته مهيبة جليلة كريمة عند المواطنين جميعاً. لم يكن فى إيبارشيته شخص واحد لا يهابه أو يجله ـ مسيحياً كان أو غير مسيحى ـ وفى قلوب شعبه ذكريات طويلة عن مواقفة النبيلة ودفاعة المجيد عن حقوق شعبه.

ومن هذا كله نستخلص عبرتين. أما العبرة الأولى فهى إحساس شعبنا بافتقاره العظيم إلى شخصية الراعى القوية، الذى لا يخشى أحداً ولا يهاب بشراً، والذى يفهم أنه أُقيم على شعبه ليصد عنهم الأذى ويدفع المظالم والشرور فى كل الميادين، والرجل الذى يشتهى الأسقفية بهذا المعنى هو الذى قد اشتهى عملاً صالحاً.

---

(1) نشر بمجلة مدارس الأحد ـ السنة ٦ ـ عدد ١ ـ يناير ١٩٥٢م.

والعبرة الأخرى، أن من يحيا شجاعاً للحق يُكَبّره المؤيدون والمعارضون على السواء، إن لم يكن فى الحياة، فبعد الممات.

ونحن يجب ألا يعنينا فى الحق إلا وجه الحق، ولكننا قد نتخلف أحياناً عن مواقف الجرأة والصراحة خشية أن نخسرْ مشاعر الناس نحونا، فلنضع نصب أعيننا، أن من يريد أن يكسب جميع الناس، سيخسر أيضاً جميع الناس!.

سلام عليك ورحمات ثلاث أيها الراعى الشهم النبيل. وسلام لشعبك الوفى الكريم.

ومجلة مدارس الأحد إذ ترفع أخلص العزاء إلى حضرات أصحاب الغبطة والنيافة رئيس وأعضاء المجمع الإكليريكى المقدس، وحضرات كهنة ومجلس ملى وشعب الإيبارشية، تدعو رب الرعاة الأعظم أن يلهم الرؤساء والشعب الكريم الرأى السديد فى إختيار راع عظيم يتجمل بالقداسة والغيرة والحكمة والعلم والمقدرة على الرعاية وحسن التدبير.

المتنيح الأنبا باسيليوس بطريرك جاثيليق أديس أبابا وكل أثيوبيا[1] فى قداس وجناز يوم الأربعين

ولم يوجد بعد لأن الله نقله، لأنه من قبل نقله شهد له بأنه أرضى الله (العبرانيين ١١ - ٥).

لقد افتقد الله كنيسة الإسكندرية كنيسة أفريقيا الأولى، فى حبر جليل من أكثر أحبارها تقى وفضيلة وإيماناً وعلماً وخبرة وحنكة هو المتنيح المغبوط المثلث الرحمات الأنبا باسيليوس بطريرك جاثيليق أديس أبابا وكل أثيوبيا، فمنذ أربعين يوماً خلت انطلقت الروح السعيدة من سجن الجسد إلى عالم البقاء والخلود، إلى العالم الأرحب والأسعد والأفضل، إلى دار الحق لتلتقى فيه بأصدقاء شرفاء، سبقوها إلى هناك بعد حياة كفاح ونضال من أجل الحق والخير والقيم الروحية والأبدية.

منذ أربعين يوماً مضت، انحلت عقدة الرباط بين الروح الأمينة لرئيس أحبار أثيوبيا، وبين جسده الطاهر، بعد أن عاشا معاً متلازمين ومتحدين، فى رحلة الحياة الدنيا، ومضيا فى رحلة أخرى جديدة، يذهبان فيها كل منهما فى طريق منفصل عن الآخر، ومتواعدين على اللقاء معاً فى يوم عَيَّنه الله لهذا اللقاء العام، بين جميع الأرواح وأجسادها. فى يوم الحساب العظيم، يوم البعث والنشور والجزاء، يوم يقف الجميع أمام منبر المسيح لينال كل واحد بحسب ما صنع فى الجسد خيراً كان أم شراً.

مضى الجسد المقدس فى غير طريق الروح، مضى محفوفاً بالكرامة والإجلال إلى القبر إلى باطن الأرض، ليختفى فيها إلى حين، وأما الروح الطاهرة فصعدت مع الملائكة محفوفة بالكرامة أيضاً إلى مقر الأرواح السعيدة، لتبقى فى الفردوس وديعة ثمينة، تنتظر على لهف يوم يبوق رئيس الملائكة البوق الأخير معلنا المجىء الثانى للمسيح ليدين الأحياء والموتى.

عاش الأنبا باسيليوس البطريرك الجاثيليق الراحل، حياة راهب عابد ناسك، مجاهداً لبلوغ الكمال المسيحى، فى أمانة وإخلاص ساعياً لرعاية شعبه فى محبة وتفان، باذلاً كل إمكاناته وقدراته البشرية فى سبيل خير شعبه وبلاده، ولن ينسى من تاريخ الرجل البطل

---

(١) كلمة قداسة البابا كيرلس السادس ألقاها الأنبا غريغوريوس ـ فى صباح الجمعة ٢٠ من نوفمبر ١٩٧٠م ـ ١١ من هاتور ١٦٨٧ش. بالكنيسة المرقسية الكبرى بالأزبكية ـ القاهرة.

ما احتمله من أجل شعبه ووطنه من ضيق وتعب وألم، لا سيما فى زمن الإحتلال الإيطالى لأثيوبيا، وكيف عانى فى طريق الصمود والمجاهدة ما لا يقوى عليه غير قلة نادرة من أخلص البشر، يفهمون أن لهم فى الحياة رسالة، وأنهم ينبغى أن يكونوا حتى الموت أوفياء لهذه الرسالة.

وقد كنا بأديس أبابا فى يوم الرابع عشر من شهر اكتوبر الماضى، موفدين من قبل سيدنا وأبينا صاحب القداسة البابا كيرلس السادس بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية فى كل أفريقيا والشرق، لتقديم عزاء قداسته إلى صاحب الجلالة الإمبراطورية هيلاسيلاسى الأول العظيم، امبراطور أثيوبيا العظيمة، وإلى أحبار الكنيسة الأثيوبية الشقيقة، وشعبها المخلص الوفى للإيمان الأرثوذكسى، إيمان كنيسة الإسكندرية ومار مرقس الرسول الأب الروحى لنا جميعاً.

ورأى الوفد البابوى فى أديس أبابا كيف ودع الشعب الأثيوبى رئيس أحباره الوداع الأخير، توديعاً رائعاً فى موكب مهيب رهيب، بلغ قمة الوفاء والحب نحو رجل عاش كل حياته أميناً لدينه، وبلده، راعياً يقظاً رعى بكل أمانة ونزاهة مقتضيات رسالته الروحية والكهنوتية، نحو شعبه، ووطنه، وملكه، ولم يتوان أو يَجْبن أو يتخلف عن واجب من واجبات مسئوليته الكبيرة.

إننا نثق فى الله العظيم جلت قدرته أن الراحل الكبير وديعة عنده، محفوظ عنده فى موضع كريم، يليق بتاريخه المجيد، ولسوف يأتى الرب على السحاب وأجرته معه ليجازى كل واحد، والمسيح الإله كرئيس للرعاة متى ظهر فحينئذ يجزى الراعى الصالح بإكليل المجد الذى لا يبلى.

باسم سيدنا وأبينا قداسة البابا المعظم البابا كيرلس السادس نكرر العزاء فى مصاب الكنيسة كلها، فى أثيوبيا ومصر لصاحب الجلالة الإمبراطورية إمبراطور أثيوبيا، وللكنيسة الأثيوبية الشقيقة إكليروساً وشعباً، ضارعين إليه تعالى أن ينعم بأن يقيم للكنيسة فى أثيوبيا الراعى الصالح، الذى يكون لأبيه المنتقل إلى الأخدار السمائية خير خلف لخير سلف، والربان الحكيم الذى يدير دفة الكنيسة الأثيوبية بأمانة تامة إلى بر الأمان والسلام، ويحفظ وحدة الإيمان الأرثوذكسى بثبات وصمود إلى النفس الأخير، بصلوات سيدنا وأبينا الحبر الأعظم خليفة مار مرقس الرسول البابا كيرلس السادس، حفظ الله حياته ومتعنا بسلامة صحته، ولإلهنا الكرامة والمجد على الدوام إلى الأبد آمين.

السلام لروحك يا أنبا ديوسقورس[1]
أسقف المنوفية

سلام ثم سلام للروح الوديعة الهادئة التى تحليتم بها.

وسلام ثم سلام للقلب التقى والورع بحق، الذى تجملتم به.

وسلام ثم سلام للإنسان الصبور الذى فيكم، صبراً غير عادى.

كانت لكم مقدرة غير مألوفة على ضبط النفس، عن كل مكروه.

إننى أذكرك أستاذاً تتلمذت عليه فى تاريخ الكنيسة، بالكلية الإكليريكية، فى الثلاثينات.

ولكننا تتلمذنا عليك أيضاً فى تقواك، فقد كنتم دائماً نموذجاً لمعلم الإكليريكية، فى تقواه النابعة من طبيعة نفسه الطيبة، ببساطة وبغير تكلف. وقد أخذتم هذه التقوى عن والد قديس خدم الكهنوت بأمانة وعفة، وحياة تسليم مطلق لنعمة الله ورعايته «وفخر البنين أباؤهم» كما يقول الحكيم سليمان.

وكان شغفكم بالرهبنة كبيراً، من قبل أن تنتظم فى سلك رهبانها. وكنتم تصحب تلاميذك فى رحلات روحية دورية إلى الأديرة، وبذلك عاونتم على إيجاد علاقة روحية وفكرية وطيدة بين الإكليريكية وبين الأديرة. ولم تكن فى تلك الأيام سيارات تصل إلى الأديرة، فكنا نترجل فى منتصف الطريق الصحراوى الواصل بين القاهرة والإسكندرية، ونسير بعد ذلك على الأقدام مسافة كنا نقطعها فى نحو أربع ساعات، وكنتم فى أثناء ذلك كله تتحدث إلى تلاميذك بأخبار من تاريخ الرهبنة وسير الرهبان، بصورة تجعلنا ننسى تعب الطريق، ولقد رَغَّبتم البعض منهم فى تلك الحياة الملائكية والسيرة الروحانية. فما إن رسمتم أسقفاً لكرسى محافظة المنوفية وتوابعها، حتى جعلتم إيبارشية المنوفية مفتوحة للإكليريكية والإكليريكيين.

وكنت دائماً أقول لكم إننا نعتبر إيبارشية المنوفية إيبارشية الإكليريكية بغير تحفظ، ولا عجب فأنتم أب كبير لهم، وأستاذ لأجيال منهم.

نودعك يا سيدى الأسقف إلى العالم الأفضل، وإلى أحضان القديسين، مترحمين على شيخوختكم الصالحة، وسيرتكم القويمة، وخدمتكم الأمينة، ونرجو أن يخلفكم على كرسيكم من يريح قلبكم، ويتمم رسالتكم، ويكون إمتداداً لأجمل صفاتكم.

وسلام عليكم وإليكم، وعلى وإلى سلفكم المباشر، طيب الذكر، وخالد الأثر، المثلث الطوبى والرحمات، المطران الأنبا بنيامين.

اذكرنى إليه، وصليا من أجلنا.

---

(١) كتب فى مايو ١٩٧٥م.

وداعاً يا شيخ المطارنة
وداعاً يا أنبا ساويرس يا مطران المنيا(١)

يا أبى، ويا أباً لكثيرين من المطارنة والأساقفة والكهنة والشعب... وداعاً من كوكبنا الأرضى، إلى عالم أفضل وأرحب وأوسع، تتحول فيه أنت ذاتك إلى كوكب مضىء...، ألم يقل ربنا يسوع المسيح «حينئذ يضىء الأبرار مثل الشمس فى ملكوت أبيهم»؟

ومع أن ملكوت السماوات لم يفتح بعد للأبرار والصديقين، لأن يوم الحساب لم يأت بعد ... لكننا نؤمن أن أرواح القديسين تضىء فى مقار الإنتظار بأكثر مما أضاءت فى الدنيا وهى حبيسة فى أجسادها. ألم يقل المسيح له المجد «أنتم نور العالم... فليضىء نوركم هكذا أمام الناس حتى يروا أعمالكم الصالحة...».

نعم يا أبت البار، ودعناك وما فقدناك، وفقدناك وما خسرناك. وخسرناك وما عدمناك...

لقد تعرضت حياتك فى السنوات الأخيرة لسلسلة من الأمراض، وفى كل مرة نجوتَ من الموت بأعجوبة. ولكن كان لابدّ للطبيعة من أن تعمل عملها. وكان لا مفرّ لحياتك على الأرض من أن تصل إلى نهايتها، فأوفيت سنينك شيخاً وشبعان أياماً.

وكانت شيخوختك شيخوخة صالحة لأنها توّجت حياتك الطاهرة... عشت عفيفاً نقياً طاهراً، روحاً ونفساً وجسداً... وعفاً بلسانك ويدك، نظيفاً بفكرك وقلبك وسيرتك...

أحببت أولادك الكهنة وكل الشعب، محبة شاملة جامعة، فكنت لهم أباً، ونعم الأب. وأبوتك للجميع...

أحببت كهنتك، وكنت معهم أباً، وأخاً... كانوا يقبلون عليك بإطمئنان، يهابونك ولا يخافونك، يحبونك ولا يتقونك... تشجعهم ولا تهددهم... تركتهم يعملون فى حرية، مددت لهم غصن الزيتون ولم ترفع على رؤوسهم سيفاً، فأقبلوا على الخدمة بنشاط بوازع من ضمائرهم، وبقدر ما فى قلوبهم من محبة لله وللمؤمنين من شعبه.

أحببت الإكليريكية والإكليريكيين... لأنك أنت بذاتك كنت إكليريكياً تخرجت فى الإكليريكية قبل أن تترهب فى الدير.

---

(١) كتب فى فبراير ١٩٧٦.

وكنت تفخر بأنك إكليريكى وكنت تذكر دائماً أنك تتلمذت فى الإكليريكية وتعلّمت على معلميها، وتذكرهم بالخير... ولم تنس أفضالهم عليك...

ورددت الجميل، ففتحت إيبارشيتك العامرة للإكليريكيين، ولا يعلم أحد إذا كنت قد قطعت على نفسك عهداً أن لا تضع يدك على غير إكليريكى أكمل علومه وحصل على الشهادة النهائية، لكن ما يعلمه الجميع فى كل إيبارشية المنيا، وفى غير إيبارشية المنيا من كل إيبارشيات الكرازة المرقسية، أن الأنبا ساويرس لن يرسم كاهناً من غير أن يكون إكليريكياً تخرج فى الإكليريكية وحصل على شهادتها النهائية. لذلك ضمت إيبارشيتك عدداً ضخماً من خريجى الإكليريكية، وبالتدريج صار جميع كهنة إيبارشية المنيا من الإكليريكيين، خريجى الإكليريكية. ولذلك كانت إيبارشية المنيا أكبر إيبارشية ترسل إلى الإكليريكية شباباً، لإعدادهم لخدمة الكهنوت. وأذكر ولا أنسى أن المتوسط العام لعدد الطلبة الإكليريكيين من إيبارشية المنيا وحدها كان يبلغ حوالى أربعين طالباً سنوياً. ولم تصل إيبارشية أخرى إلى هذا الرقم.

وذلك مرده إلى إصرارك أيها المطران الجليل، على أنك لا تقبل للكهنوت إلا المؤهلين. والمؤهلون للكهنوت هم الإكليريكيون، لأنه كانت وستظل دائماً الإكليريكية ـ والإكليريكية وحدها ـ هى المدرسة التى يعد فيها الراغبون فى خدمة شعب الله.

هكذا يكون الرئيس الدينى، رجلاً صاحب مبدأ... والمبدأ عنده فوق كل إعتبار... والضرورات لديه لا تبيح المحظورات.

أنت يا أبى، كنت وما زلت رجل دين، ورجل مبدأ.

ولا عجب فقد كنت راهباً. والراهب الحق صارم على نفسه، لا على غيره، لا يتساهل مع نفسه فى قاعدة أو مبدأ، عنيد فى الحق لا يلين... ما أسهل عليه أن يحتمل الموت وما قبل الموت من معاناة وعذاب... فالراهب قد مات مرة... ولا يموت الإنسان أكثر من مرة.

وداعاً يا أبى، لقد كنت أميناً فى القليل فسيقيمك الرب على الكثير... كنت أميناً حتى الممات فسيعطيك الرب إكليل الحياة.

واصل يا أبى صلواتك من أجلنا، واسأل السيد الرب إلهك وإلهنا الذى أعانك، أن يعيننا كما أعانك.

وإلى اللقاء، فى يوم اللقاء.

وداعاً يا أبانا المطران الأنبا مرقس(١)
مطران كرسى أبو تيج وطهطا وطما وتوابعها

ودعناك يوم الخميس الماضى، وكنا جميعاً حزانى وآسفين. ولكن الحزن فى قلوبنا كان ممزوجاً بيقين الإيمان، إن رحيلك عنا كان إعلاناً بترقيتك إلى رتبة أعلى، وإن رحلتك هذه رحلة سعيدة إلى عالم أفضل.

أيها الحبر الجليل والشيخ الوقور، إن الحزن فى قلوبنا هو حرماننا من وجودك بالجسد معنا، مشجعاً ومواسياً ومعزياً وناصحاً ومرشداً. أما مصيرك أنت، ففى أحضان القديسين، وفى موضع النياح والراحة إلى يوم الجزاء العظيم.

لا تغضب سيدى علينا، إذا نحن بكيناك فى يوم كان ينبغى فيه أن نهلل معك فرحين، لأن الرب أعانك فأوفيت أيامك بسلام، وأنت متأهب ومستعد لملاقاة ربك، ومصباح حياتك موقد بنور محبتك لمخلصك الذى خدمته بكل الوفاء والإخلاص، وبعبادة صادقة، وبأمانة تاجرت بوزناتك فربحت بها الكثير لسيدك.

يا أبى ويا أب الألوف من مطارنة وأساقفة وكهنة وشمامسة وجماهير من شعبنا المسيحى وغير المسيحى، كنا نجد فيك الأبوة الحانية، والقلب الرحيم، والعقل الراجح، واللسان العف، والفم الذى يبارك، والوجدان الذى يغفر، واليدين اللتين تجمعان، والعينين اللتين تدمعان وتبكيان، حرقة وغيرة وصلاحاً وتقى ومحبة ورحمة وإيماناً وصبراً وإحتمالاً...

يا أبانا العظيم بين المطارنة، الأنبا مرقس، ما أحلى اسمك، وما أطهر سيرتك، وما أجمل عملك. لم تكن من المشاهير بين الكارزين بالكلمة، لكنك مع ذلك كنت متكلماً بارعاً ومؤثراً. وأحسب أنك لم تؤخر شيئاً من الفوائد عن كهنتك وشعبك. بكلمات قليلة، لكنها صادقة وحارة ومعبرة استطعت أن تكون بليغاً، والبلاغة هى القدرة على التبليغ، وأنت بقلبك قبل لسانك، وبسيرتك وبإيمانك، وبصلواتك ـ وهى أقوى أسلحتك ـ أمكنك أن تُبلّغ الكثير، وأن تبلغ الكثير مما عجز ويعجز عنه الكثيرون ممن يهزون أعواد المنابر، ملوك الكلام.

---

(١) كتب الثلاثاء الموافق ٢٦ من يوليو ١٩٧٧م ـ ١٩ من أبيب ١٦٩٣ش.

عرفتك سيدى المطران أول ما عرفتك منذ صيف عام ١٩٣٩، أى منذ ثمانية وثلاثين عاماً، أو كما تفضلتم فى أكثر من مناسبة قدمتمونى فيها إلى شعبكم، منذ نحو أربعين عاماً. وقد كنتم بالنسبة لى أول مطران خدمت تحت رئاسته، بإستثناء خدمتى بالقاهرة التى تخضع لرئاسة البابا البطريرك، يوم أن دعانى باسمكم مثلث الرحمات الأنبا ديوسقورس (ولم يكن فى ذلك الوقت مطراناً وإنما كان شماساً أستاذاً للتاريخ بالكلية الإكليريكية)، لأقوم بخدمة الكلمة كشماس إكليريكى متفرغ فى بلدة الدوير التابعة لإيبارشيتكم العامرة... منذ ذلك التاريخ عرفتكم عن قرب، وعرفت فيكم بساطتكم ووداعتكم وبراءة قلبكم كأنه قلب طفل، وبشاشة وجهكم الذى يعكس طيبة قلبكم وتواضع نفسيتكم، لا تضمرون لأحد شراً، ولا تطوون نفسكم على حقد، ولا تذكرون لأحد منقصة أو مذمة، وكأنكم لا تعرفون...، ما من أحد أساء إليكم إلا وقابلتم إساءته بالصمت والإحتمال...، وما أعرف يوماً أنكم أنتقمتم لشخصكم أو لكرامتكم أو حتى دافعتم عن نفسكم أو بررتم تصرفاتكم كنوع من أنواع الدفاع عن النفس أو تبرير الذات، فكان تصرفكم فى أمثال هذه المواقف تصرفاً مسيحياً نموذجياً، وكنتم معلّماً بالمثال والقدوة خيراً ألف مرة ممن يُعلّمون بالكلام. وما أصدق من قال: التعليم بالكلام سفر طويل، والتعليم بالمثال طريق سهل.

يا أبى، ثلاثة وأربعين عاماً خدمتم شعبكم وإيبارشيتكم بصبر جميل، ونادر، واحتملتم الكثير من متاعب الرعية، والرعية دائماً منها أُناس تختلف أمزجتهم وميولهم ودوافعهم ورغباتهم. لكنكم احتملتم شعبكم واحتملتم متاعب الخدمة، بقلب الأب الحنون، وصدر الراعى الصالح، وحاولتم أن لا تغضبوا أحداً، وأن لا تضروا أحداً... وإذا غضبتم فإلى حين، وليس غضباً عن أنانية وكراهية، وإنما كما يغضب الأب على إبنه، «وأى ابن لا يؤدبه أبوه...» الكل يذكرونك بالخير ويذكرون لك سعة صدرك، ورأفتك بالناس، ورحمتك بهم، وإهتمامك بمشاكلهم ومتاعبهم، وحرصك على صوالحهم.

وأما معاملتك، يا أبى، للكهنة، فمعاملة ممتازة، لا يطمعون ولا يطمحون إلى أفضل منها. كان كل كاهن مطمئناً إلى أبوتك، وهم يعرفون عنك بيقين أنك تعاملهم كأب، بل وكزميل فى الخدمة، لا يخافونك لأنهم يحبونك، ويطمئنون إلى شخصيتك... وليس أنفع لنجاح الخدمة من جو الحرية والثقة والإطمئنان، الذى يوفر للكاهن إمكانات العمل بقلبه وشعوره، فلا يحس أنه مسوق مدفوع مقهور مجبور، أو أنه يعمل فى جو من الإرهاب،

والتهديد والوعيد...، لأنه عندئذ يفقد الكاهن روحه ويصير عبداً لمزاج الرئيس، وخادماً لتنفيذ إرادته، ولا يعود خادماً للسيد الواحد والأب يسوع المسيح.

تحية يا أبانا المطران لسيرتك العطرة، فى كل ما ينبغى أن يكون عليه البتول الطاهر. لقد لقبوك بحق بقديس المطارنة، نقاوة، وعبادة، وطهراً، وبرارة، وفى كل يوم إزددتم طهارة وقداسة. كانت سيرتك خطاً صاعداً إلى الأمام وإلى أعلى، كانت الطهارة فى قلبك، والطهارة فى عينيك، والطهارة فى لسانك، والطهارة فى يديك، ولذلك كانت صلواتك أيضاً طاهرة، وقد زادتك الصلوات التى رفعتها، والقداسات التى خدمتها...، تدشيناً، وإذا كانت الكنائس كلما تقادمت إزدادت تدشيناً بفاعلية الصلوات التى ارتفعت فى المكان، فكم بالأحرى رجال الكهنوت...، هم بالأولى يزدادون بالصلوات والقداسات، تدشيناً وتقديساً وبركة. لذلك نتطلع إليك، وقد صرت إلى شيخوخة صالحة، وقد خدمت الكهنوت والمذبح مدة لا تقل بل ربما تزيد عن الخمسين عاماً، كاهناً نمت قداسته وإزدادت بركته وصار مركز إشعاع بالقداسة والبركة للكثيرين.

يا عميد المطارنة والأساقفة، نذكر لك فيما نذكر لك من فضائل، إيمانك بالعلم وحبك له، ولا سيما علوم الكنيسة وآدابها وقوانينها... هذا الإيمان منك بالعلم تجلى أول ما تجلى فى حياتك الخاصة. لقد بدأت صغيراً، ولكنك بالجهاد والمثابرة على الدرس والعمل المتواصل نموت، وكبرت، حتى صرت قادراً على أن تعظ وتكتب بلسان المتعلمين، كتابة تشهد لك بالكفاءة والمقدرة.

والإيمان منك بالعلم تجلّى أيضاً فى حرصك الشديد على إختيار كهنتك من خريجى الكلية الإكليريكية، فلم ترسم من غير خريجى الإكليريكية إلا قلة قليلة تحت ضغط ظروف قاهرة. فكانت إيبارشيتك ثانى إيبارشية ـ بعد إيبارشية المنيا ـ تقدم للإكليريكية طلبة يدرسون فيها بتزكيتك وبتشجيعك، ومتابعتك المستمرة لسير دراستهم، فإذا كانت العطلة الصيفية خدموا فى إيبارشيتك بتكليف منكم ومتابعة وإهتمام تحت إشرافكم ورقابتكم.

ونحن لا ننسى يا أبى فضلك، بالإشادة دائماً بالإكليريكية وبالإكليريكيين. كنتم دائماً حين تتكلمون عن الإكليريكية تتحدثون عنها بإيمان عميق برسالتها نحو الكنيسة، وكنتم ترون فيها الطريق الوحيد والأوحد للإعداد لخدمة الكهنوت، فى المذبح والمنبر. ولا ننسى دفاعكم بحراراة عن رسالة الإكليريكية فى كل المناسبات وخصوصاً فى المناسبات التى تتعرض الإكليريكية فيها للأزمات.

فعندما تبينتم أن هناك نية لإغلاق الإكليريكية المتوسطة والإكتفاء بالإكليريكية العليا، غضبتم غضبة مقدسة من أجل مستقبل القرية التى لا تقوى إمكانياتها لخريجى الإكليريكية العليا، فناضلتم نضالاً يذكر لكم فيشكر، حتى استمر بقاء الإكليريكية المتوسطة، ولا ننسى جهودكم التى بذلتموها فى مرارة وقسوة فى سبيل ذلك، وقد استعنتم بالمكاتبات تارة، والحضور إلى القاهرة والدخول فى حوار مع المسئولين، حوار حاد وعنيف حتى حفظتم لهذه الإكليريكية المتوسطة وجودها بالقاهرة إلى جانب الإكليريكية العليا.

ومنذ سنوات، عندما تكررت هذه المحاولة لإلغاء الإكليريكية المتوسطة، انبريتم بحرارة وشجاعة وقوة وصلابة، مدفوعين بالشعور بأهمية هذه الإكليريكية المتوسطة بالنسبة إلى القرية. وإلى جهودكم المبرورة ودفاعكم الحار، بالقلم واللسان، يرجع الفضل الأول فى إنشاء هذه الإكليريكية المتوسطة بدير العذراء بالمحرق بعد أن تقرر تصفية وجودها بالقاهرة.

هذا كله يجب أن نسجله للحقيقة والتاريخ، ونحن نودع إلى عالم البقاء، عميد المطارنة، وكبيرهم، وشيخهم الجليل الوقور، البكر الطاهر البتول، الأنبا مرقس مطران كرسى أبو تيج وطهطا وطما وتوابعها، الذى صعدت روحه إلى بارئها وخالقها، وحملتها الملائكة إلى مواضع النياح والراحة فى يوم الأربعاء، العشرين من شهر يوليو (تموز) لسنة ١٩٧٧ للتجسد ـ الموافق الثالث عشر من شهر أبيب لسنة ١٦٩٣ للشهداء الأطهار.

امض بسلام يا حبيب المسيح إلى الأخدار السمائية، الرب يعيننا كما أعانك. وإليك تحية الوفاء والإعزاز والإكبار من ابن لك، بكل الإخلاص الذى نكنه لراع أمين تَجَّمل بالقداسة ومحبة العلم والغيرة المقدسة على تعاليم الكنيسة وقوانينها... «ومتى ظهر رئيس الرعاة ستنالون إكليل المجد الذى لا يذوى» (١. بطرس ٥: ٤).

المتنيح الأنبا صموئيل
أسقف الخدمات العامة والإجتماعية
فى الذكرى السنوية الأولى لإستشهاده[1]

عندما امتدت يد الغدر للتخلص من القيادات السياسية والتنفيذية والبرلمانية والدينية والثقافية فى مثل هذا اليوم من العام الماضى، فى السادس من اكتوبر ـ وهو يوم النصر فى عام ١٩٧٣.

مع السيد الرئيس السابق محمد أنور السادات أُغتيل عدد من الشخصيات... كانوا فى المنصة الرئيسية فى الاستعراض العسكرى، كان من بينهم نيافة المتنيح الأنبا صموئيل أسقف الخدمات العامة والإجتماعية.

جاءت وفاته إستشهاداً مجيداً مع رئيس البلاد وزعيم البلاد، ومع ذلك فإن خسارة مصر فيه، بعامة، والكنيسة القبطية بخاصة، كبيرة وفادحة.

إن الأنبا صموئيل ليس مجرد رجل تعتز به الكنيسة كواحد من أساقفتها الكبار، قيمة وخبرة وسناً، وإنما الأنبا صموئيل هو تلك الشخصية الثمينة الغالية التى تجملت بالفضائل، وأصبح رمزاً لكثير من المعانى والقيم التى تمثلت فى شخصه المبارك.

إن الأنبا صموئيل رجل وطنى من أعلى وأسمى طراز. ولقد أسهم إسهاماً كبيراً، وبذل جهوداً مضنية مشكورة فى خدمة هذا البلد، مصر الخالدة والحبيبة. لم يكن الأنبا صموئيل إذن رجل الكنيسة القبطية فقط، وواحداً من قياداتها فحسب إنما كان الأنبا صموئيل أوسع من ذلك، كان رجلاً من رجالات مصر، وعاش ومات فى خدمة مصر.

وفضلاً عن ذلك فإنه نظراً لتحركه المسكونى فى جميع بلاد العالم، شرقاً وغرباً، كان أيضاً شخصية معروفة وبارزة فى أنحاء العالم المسيحى، وغير المسيحى، وعلى كل صعيد، سواء الصعيد الدينى أو الإجتماعى.

لقد تَجَمّل الأنبا صموئيل بعدد من الفضائل التى تمثلت فيه.

---

(١) كُتب فى الأربعاء ٦ من اكتوبر ١٩٨٢م ـ ٢٦ من توت ١٦٩٩ش.

منذ شبابه المبكر... منذ أن كان طالباً بالمدارس الثانوية، وكلية الحقوق بعد ذلك... والكلية الإكليريكية والدراسات العليا التى تابعها بعد تخرجه سواء فى مصر أو فى امريكا... كان يتميز بالتدين وبروح التقوى... لقد عرف الله، واتجه إلى عبادته بقلبه وشعوره، واتجه بعد ذلك إلى خدمته بحماسة وغيرة ونشاط عن إيمان وتقوى.

وتدفق إيمانة بالله وخدمته حتى شاء أن يكرس حياته كلها لله، قرباناً كاملاً ومحرقة على مذبح الخدمة الإلهية، فعاش بكراً بتولاً وراهباً، فكان على قول العلامة أوريجينوس محرقة كاملة.

قال أوريجينوس أن الفرق بين حياة البتول وغيره من الخدام كالفرق بين ذبيحة المحرقة وذبيحة السلامة. فذبيحة السلامة كانت تقسم إلى أربعة أجزاء، كان جزء منها يحرق لله على مذبح المحرقة، وجزء ثان يأخذه الكهنة الذين يقدمون الذبيحة نصيباً لهم، والجزء الثالث يعطى للفقراء، والجزء الرابع يأخذه مقدم الذبيحة يأكله مع زوجته وأولاده. أما ذبيحة المحرقة فتحرق كلها لله على المذبح، فلا يشترك فيها أحد آخر، لا الكهنة ولا الفقراء ولا مقدم الذبيحة، إنما تحرق كلها بالنار على المذبح الإلهى. هكذا البتوليون، حياتهم كلها لله، بالتمام والكمال.

وشاء الله أن يكرم الأنبا صموئيل فى نهاية رحلة حياته، فذهب أيضاً شهيداً بسفك دمه. فأكمل المحرقة، محرقة حياته، وصعدت روحه لله وصعد إليه من الأرض صوت دمه (التكوين ٤ : ١٠)، واشتم الرب رائحة الرضا عن هذه الذبيحة وهذه المحرقة.

والكنيسة المقدسة لا تنسى للأنبا صموئيل خدماته المتواصلة قبل أن يصير أسقفاً، وبعد أن تمت رسامته الأسقفية فى يوم واحد مع قداسة البابا شنودة الثالث فى يوم الأحد الواقع فى الثلاثين من سبتمبر لسنة ١٩٦٢.

كان شعلة نشاط وعمل متواصل فى الداخل والخارج.

كان دائرة معارف فى العلاقات العامة، ليس له فى كنيستنا من يفوقه فى ذلك أو حتى يدانيه. فى كل أمر وكل مشكلة كان الأنبا صموئيل يتحرك من نفسه أو بتكليف من البابا البطريرك للإتصال بالمسئولين فى الدولة، وكم من مشكلة حلت على يديه فى هدوء وصمت وسكون... مشكلة خاصة أو مشكلة عامة.

لقد كان يتمتع بنسبة مرتفعة من الذكاء وكان يجيد فن الحوار، وفن التفاوض والتفاهم، وكان يكسب بالمودة والمحبة وحسن العرض، مكاسب كثيرة لكنيسته وبلده... فإن الدولة يسرها أن تعرف شكاوى الناس وآلامهم حتى يتمكن المسئولون فيها من تخفيف المعاناة على الناس... ومن يتقدم بشكواه من خلال القنوات الشرعية يسدى للدولة نفسها وللقائمين عليها والمسئولين فيها أجل الخدمات، لأنه يساعدهم على القيام بواجباتهم نحو جميع المواطنين.

على هذا النحو أدى الأنبا صموئيل للكنيسة والدولة خدمات كثيرة، فكان بحق أسقف الخدمات العامة والإجتماعية. كان اسماً على مسمى، وقد عاش طبقاً لاسمه ولقبه، فكان عمله مطابقاً للقبه، ولم يقع فى تناقض.

وتميز الأنبا صموئيل بالصبر الجميل وقوة الأعصاب، فإذا وقفت فى طريقه العقبات كما تقف فى طريق أى إنسان، لم يكن يرتبك أو ييأس، كان يمكنه أن يرجىء إلى حين ما يريد تحقيقه ثم يعاود الكرة مرة ومرات حتى ينجح أخيراً.

أما خارج مصر فقد كان يمثل الكنيسة القبطية فى المؤتمرات العالمية. كان عضواً بارزاً فى مجلس الكنائس العالمى، ولأهميته صار عضواً فى اللجنة الدائمة للمجلس واللجنة التنفيذية. ولم يكن عمله فى مؤتمرات مجلس الكنائس العالمى قاصراً على أحاديثه ومداخلاته وتعليقاته، لكن عمل الأنبا صموئيل الأكبر والأهم، كان خارج قاعات المجلس الرسمية والعامة، أعنى هذه الإتصالات المثمرة التى كان يعقدها مع الشخصيات الكبيرة ذات الثقل فى مجلس الكنائس العالمى، ولذلك وإعترافاً بمكانته وأهميته أصبح له مركز مرموق فى مجلس الكنائس العالمى، وفى المؤتمرات العالمية والمسكونية، بل صار هو الممثل لمجلس الكنائس العالمى فى مصر حتى ارتبط اسمه بهذا المجلس، وصار كل منهما يذكر بالآخر.

كذلك أصبح الأنبا صموئيل شخصية لامعة وبارزة على مستوى كنائس الشرق الأوسط، ولقد أُختير دائماً أحد الرؤساء الثلاثة لهذا المجلس.

وفى مجلس كنائس كل أفريقيا صار الأنبا صموئيل أحد البارزين جداً فى هذا المجلس أيضاً.

وفى كل مؤتمر، وفى كل اجتماع مسكونى للأنبا صموئيل دور قيادى وبارز حتى أصبح اسمه لامعاً وساطعاً ومعروفاً.

ولقد كسب الأنبا صموئيل بهذه المكانة المرموقة التى احتلها فى المجالس العالمية وفى الحركة المسكونية ـ كسب لكنيسته القبطية، ولمصر كلها، مكاسب كثيرة روحية وأدبية وإجتماعية ومادية. وبفضل جهوده كانت تأتى المعونات فى الأزمات للاجئين وللمهجرين من الفلسطينيين والمصريين وغيرهم من المنكوبين بسبب الحروب وما خلفته الحروب من ويلات وشرور.

إنه يصعب علينا فى موقف كهذا وفى عجالة سريعة أن نلم بفضائل الأنبا صموئيل جميعها وبما أداه من خدمات على الصعيدين المحلى والعالمى، ومجهوداته الواضحة وغير الواضحة، الظاهرة والخفية.

فللأنبا صموئيل خدمات كثيرة لا يعلم الناس عنها شيئاً. الله وحده هو العالم بالخفيات وهو وحده الذى يعلم ما لا يعلمه الناس. حتى القريبون جداً من الأنبا صموئيل، كما أعتقد، لا يعلمون بالضبط الخدمات الكثيرة المعلومة وغير المعلومة التى أمكن الأنبا صموئيل أن يؤديها للكنيسة بخاصة ولمصر بعامة، وأقول أيضاً، للمسكونة كلها.

الله وحـده هـو الذى يعلـم، الله وحده هو الدّيان، وهو الذى يمكنه أن يكافىء الإنسان لا على حسب أعماله فقط، بل وعلى حسب نواياه وأفكاره وإحساساته ومشاعره.

إننى واثق أن الأنبا صموئيل قد ارتفع بوفاته إلى الأخدار السمائية كخادم أمين، وكإنسان مخلص جداً لكنيسته وشعبه ووطنه، وللمبادىء المسيحية، والمبادىء الإنسانية.

لم يكن الأنبا صموئيل مفهوماً على حقيقته من كل أحد. الله وحده هو العالم بما استطاع الأنبا صموئيل أن يؤديه من خدمات ومن تضحيات.

الله وحده هو الذى يعلم أفكار البشر ونواياهم... والله ليس بظالم... الناس يظلمون... أما الله فهو عادل «ليس بظالم فينسى عملكم وتعب المحبة التى أبديتموها لأجل اسمه» (العبرانيين ٦: ١٠).

إننا نذكره فى هذا اليوم، يوم الذكرى الأولى لوفاته وإستشهاده، ونترحم عليه، ونحن على ثقة من أنه قد انتقل إلى الأخدار السمائية منتظراً مع جموع الرعاة الأمناء، والخدام المخلصين، ذلك اليوم الذى يصف فيه الأبرار على يمين الملك الديان، المسيح رب الأرباب وملك الملوك، «حينئذ يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا أيها المباركون من أبى لترثوا الملكوت المعد لكم منذ إنشاء العالم» (متى ٢٥: ٣٤).

تحيـة لهـذه الـروح الأمينـة، لهذا الأسقف الجليل... لهذا الحبر جزيل الإحترام... للأنبا صموئيل...

الله سيكافئه بالخير، ويبارك فى حياة الذين انتفعوا منه وبه، وليعوض الكنيسة خيراً عن حرمانها منه وعما فقدته بغيابه عنها بالوجه.

وشكرا لكل الذين أسهموا معنا بالحضور والمشاركة فى خدمة هذا اليوم، رافعين الصلوات والدعاء، ذاكرين شخصيته العزيزة الغالية الكريمة.

ولعظمته تعالى الشكر والتسبيح والسجود، الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

الأنبا صموئيل والعلاقات المسكونية الثنائية

منذ أيام مثلث الرحمات البابا كيرلس الرابع (١٨٥٤ ـ ١٨٦١) الذى يمكن أن يقال عنه أنه أول من سعى، بل أول من نجح فى إيجاد علاقات مسكونية ثنائية بين الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وبين الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية، عرف تاريخ كنيستنا القبطية رجلين من أبرز رجالها، كان لهما دور طليعى ورائد فى ميدان العلاقات المسكونية، هما: المتنيح الإيغومينوس إبراهيم لوقا ـ ثم المتنيح نيافة الأنبا صموئيل (وقد عرف قبل رسامته أسقفاً فى عام ١٩٦٢، باسم القمص مكارى السريانى ـ وبالميلاد سعد عزيز).

أما نيافة الأنبا صموئيل، فقد فاق فى نشاطاته، فى ميدان العلاقات المسكونية كل من سبقه. وقد وافق ظهوره على مسرح الخدمة فى الكنيسة إشتداد الرغبة عند الكثيرين من المسيحيين فى الوحدة المسكونية، فشدت إنتباهه هذه الرغبة واستجاب لها، وآمن بها، واستحوذت على إهتمامه، وقد صارت من أعظم إهتماماته على كثرتها.

ومن الإنصاف للرجل أن نقرر أن اسم الأنبا صموئيل قد ارتبط بالحركة المسكونية إرتباطاً وثيقاً، حتى صار أى منهما يستدعى الآخر إلى ذهن الناس جميعاً فى مصر وفى الخارج. وكان طبيعياً أن يرتبط اسم الكنيسة القبطية فى الخارج، ولا سيما فى المؤتمرات الكنسية العالمية باسم الأنبا صموئيل، حتى أننى كلما إلتقيت بأحد فى أى من هذه المؤتمرات، ولم يكن الأنبا صموئيل حاضراً فيه، سألنى عن الأنبا صموئيل بالذات، بإعتبار أنه الوجه الأشهر فى جميع المؤتمرات، والاسم الأظهر والأبرز حتى ليكاد أن يكون الأنبا صموئيل هو واجهة الكنيسة القبطية فى الخارج، وخصوصاً فى المؤتمرات المسكونية، وذلك يرجع إلى كثرة أسفاره وكثرة لقاءاته مع الناس فى الخارج ووفرة ما أنشأ من علاقات مفيدة.

وفى يقينى أن الأنبا صموئيل صار عندى وعند جميع المتصلين به فى مصر وفى الخارج (دائرة معارف) فى العلاقات العامة والمسكونية: لقد كان يعرف من الأسماء والشخصيات المهمة ما تنوء به ذاكرة أى إنسان عادى. لقد تحوّل الأنبا صموئيل فأصبح دائرة معارف فى ذهن رجل.

لقد زاملت الأنبا صموئيل فى عدد من المؤتمرات، واعترف أننى كنت دائماً أُذهل من نشاطه ووفرة حيويته، وسرعة تحركاته. وكان ذكياً متوقد الذهن صاحياً، فلا يغفل، ولا يقبل أن تفوت عليه عبارة أو كلمة لا ترضيه فى توصيات المؤتمر، فكان يسعى فى غير هوادة إلى أن يصل إلى تعديل عبارة أو حذف كلمة أو إضافة أخرى يراها ترضيه.

لقد زاملته فى عدد قليل من المؤتمرات المسكونية، لأنه كان رجلاً لا يبارى فى حضور المؤتمرات المسكونية لشدة إيمانه بها من حيث أنها عنده ـ وهى كذلك فى الحقيقة ـ منبر عالمى يعلن عن الكنيسة القبطية وتراثها الحضارى والروحى، ويقين إعتقاده فى تلك المؤتمرات أنها نافذة واسعة تطل منها كنيستنا القبطية على العالم الخارجى، فيتعرف عليها، ويراها من خلاله، ومن غير ذلك فلا يعرفها أهل الغرب.

زاملت الأنبا صموئيل فى عدد من المؤتمرات المسكونية وأعترف أن دوره فيها كان دوراً غير عادى، فلم يكن يكتفى بالإسهام بالحضور، وأن يكون على منصة الرئاسة بين القيادات، ولم يكن يقنع بالمداخلات فى كل ما يبدو له أنه يحتاج إلى تعليق، أو إضافة، لكن عمل الأنبا صموئيل الحقيقى كان فيما بين الجلسات، وفى اللقاءات الخاصة مع القيادات، وفى الأحاديث الثنائية مع واحد أو أكثر من قيادات المؤتمر. ولهذا فإن تمثيل الأنبا صموئيل للكنيسة القبطية فى أى مؤتمر يحضره كان تمثيل عضو حىّ نشط، وفعاّل، ولاشك أنه دائماً حضور ذو قيمة وذو أثر وذو نتائج إيجابية.

لقد زاملت الأنبا صموئيل فى عدد من المؤتمرات، ولاحظت دائماً إيمانه العميق الواضح بهذه المؤتمرات المسكونية، وكيف كان يبدو سعيداً جداً حين يرى أن المؤتمر قد وافق على توصيات ترضيه وكان يحملها معه ويستعين بها فى بعض مقالات وفى إجتماعات لاحقة. وكان لذلك يقيم وزناً كبيراً لصياغة هذه التوصيات، والإستعانة بها والإقتباس منها ونشرها بمختلف وسائط النشر.

ولا يفوتنى أن أذكر أن إندماج الأنبا صموئيل فى الحركة المسكونية جعله فى فترة زمانية من زعمائها وقياداتها. فإذا تعرضت الحركة المسكونية مثلا فى مصر إلى نقد

وأحيانا إلى هجوم، كان الأنبا صموئيل هو الذى يتلقى هذا النقد أو الهجوم، وكأنه موجه إلى قلبه شخصياً، فلا يهدأ حتى يدافع عن الحركة المسكونية بقلمه ولسانه وشخصه ثم بتصرفات أخرى عملية، وكان الأنبا صموئيل رجلاً ذا أعصاب حديدية قوية، فكان يتقبل النقد والهجوم، ولم يكن من ذلك الطراز الذى يهزه النقد أو الهجوم فيتراجع أو يتخاذل. ولم يكن ضعيفاً فى نضاله حتى ييأس... كان بارعاً فى الصمود... وكان يصمت أحياناً أو يهدأ ولكنه لا يلبث إلاّ قليلاً حتى يواصل كفاحه فى الميدان، ولا يتوقف عن المواصلة حتى يكف عنه النقد والهجوم أو يهدأ ـ وكان يسعده أن يرى نضاله قد أثمر، وحقق من النتائج ما يرضيه.

ولقد كان يؤمن بفوائد جلّى للحركة المسكونية، فوائد معنوية وروحية، قبل أى فوائد أخرى مادية تفيد منها مصر بعامة أو القبط بخاصة.

ولعل من بين الفوائد المعنوية والروحية هذه الرابطة التى تتدعم مع الأيام بإستمرارية الحضور فى المؤتمرات المسكونية، ودوام العلاقات بين الكنيسة القبطية وغيرها فى مصر متمثلة على الخصوص فى مندوبها الدائم فى الحركة المسكونية، وهو الأنبا صموئيل، حتى صار لمجلس الكنائس العالمى هيئة مصرية فى القاهرة، تؤلف مكتباً دائماً، هذا إلى مجلس كنائس الشرق الأوسط. ومن هذه الفوائد المعنوية هذا الحشد الهائل من التواليف والكتب والدوريات التى تعالج الحركة المسكونية ومباحثها، والتى صار للقيادات الكنسية القبطية نصيب واضح فى الإسهام فيها دراسة وتأليفاً ونشراً.

ومن بين الفوائد المادية هذه المساعدات من الملابس والأدوية والأغطية التى ترد من الخارج ويصير توزيعها على الفقراء والمحتاجين من المصريين عامة والأقباط خاصة، ولاسيما فى أوقات الأزمات، ومنها على الخصوص أزمة المهجرين من السويس وغيرها فى أعقاب الهزيمة فى حرب ١٩٦٧ وفى إبان الإعتداء الثلاثى فى عام ١٩٥٦، وغير ذلك.

إن عطاء الأنبا صموئيل فى الحركة المسكونية كان عظيماً سواء فى العلاقات الثنائية بين الكنائس الأرثوذكسية القديمة والكنائس الأرثوذكسية الشرقية الخلقيدونية، أو فى العلاقات الثنائية بين هذه الكنائس على مستوى الشرق الأوسط، ثم فى العلاقات الثنائية بين الكنيسة القبطية والكنيسة الرومانية الكاثوليكية، وكذلك العلاقات الثنائية بين الكنيسة القبطية والكنائس البروتستانتية.

ولا ننسى دوره الفعال الذى رشحه أن يكون أحد رؤساء مجلس كنائس الشرق الأوسط ونائب رئيس مجلس كنائس كل أفريقيا، ورئيس اللجنة الدائمة لمؤتمر الكنائس الشرقية القديمة الذى انعقد فى أديس أبابا سنة ١٩٦٥، وأحد أعضاء اللجنة المركزية لمجلس الكنائس العالمى، وأحد أعضاء اللجنة الرسمية للمباحثات بين الكنيسة القبطية، والكنيسة الرومانية الكاثوليكية.

وحيثما كان مؤتمر مسكونى للحركة المسكونية، فالأنبا صموئيل وجه بارز فيه، قولاً وعملاً... حتى عُدّ إغتياله ووفاته صدمة كبيرة وخسارة عظيمة منيت بها الحركة المسكونية. وقد عبّر كل مسئول فيها عن وقع هذه الصدمة على كل من علم بإغتياله... وقد اهتزت أسلاك البرق،وأرسل جميع عارفى فضله يعبرون عن الأسى الذى أصابهم كأفراد وكهيئات، فقد فقد العالم فيه شخصية عالمية كنسية بارزة جمعت كثيراً من المواهب، والقدرات، والكفاءات.

رحم الله الأنبا صموئيل أعظم رحمة، وأجزل له الجزاء بقدر ما أسدى لمصر وللكنيسة القبطية فى مصر، وللمسيحية وللعالم بأسره من خدمات وتضحيات، بعضها معلوم وبعضها مستور، وأما عند الله فكل شىء معلوم. وعزاؤنا أن الله قد وعد وهو أعز الواعدين.

«إن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة التى أظهرتموها نحو إسمه إذ قد خدمتم القديسين» (العبرانيين ٦: ١٠).

فى الذكرى العاشرة للمتنيح الأنبا صموئيل (١)

يقول الكتاب المقدس: «لنمدح الرجال النجباء... فيهم أنشأ الرب مجداً كثيراً، وأبدى عظمته منذ الدهر» (يشوع بن سيراخ ٤٤: ١،٢).

عشر سنوات مضت على نياحة طيب الذكر، خالد الأثر مثلث الرحمات الأنبا صموئيل أسقف الخدمات العامة والإجتماعية، ولكنه كان أوسع من أن يكون أسقفاً للخدمات العامة والإجتماعية، نطاق خدماته شمل أموراً كثيرة، نذكره ونذكر معه فضائله، روحه

---

(١) فى قداس الذكرى العاشرة ـ بكنيسة العذراء مريم والأنبا بيشوى ـ صباح الأحد ٦ من اكتوبر ١٩٩١م ـ ٢٥ من توت ١٧٠٨ش.

التقية الأمينة العابدة الخالدة، كانت لربنا يسوع المسيح منذ طفولته ومنذ شبابه المبكر. لم يعرف شيئاً آخر، أعطى له كل وقته وجهده، لم يكن له إله آخر، خدمته الأمينة وتقواه وجهوده المتواصلة التى لم تعرف لها حدوداً، نذكره فى أيام حياته المبكرة منذ أن كان صبياً صغيراً، ومنذ أن أصبح طالباً فى جامعة القاهرة، وقد كان خادماً أميناً لخدام مدارس التربية الكنسية خصوصاً فى الجيزة، وكيف بذل جهوداً متواصلة أثرها بعيد المدى لحياة كثيرين من الشباب، الذين توزعوا فى كل أنحاء مصر وخارج مصر، وهذا يشير ويدل على أن خدمته لم تكن هذه الخدمة المحدودة، وكما قال الكتاب المقدس: ذكراه لا تزول واسمه يحيا إلى الأبد.

لم يكتف بدراساته الجامعية إنما أيضاً أضاف إليها دراسته الإكليريكية، وأذكره جيداً وقد درس فى الإكليريكية فى القسم المسائى، وزامل فى هذا عدداً من القيادات، وفى مؤتمرات كثيرة اشتركنا معه، لن ننساه... صور متلاحقة ثابتة، كنا معه وكان معنا سنوات وسنوات فى الخدمة، ويعلم الله كيف أن هذا الرجل، كيف أن هذا الكاهن والراهب والأسقف، كيف بأمانة وتقوى وإخلاص ومحبة وغيرة متقدة خدم الكنيسة. وكان إيمانه أنه لا يكتفى بالصلاة والصوم والعبادة، إنما كان يعمل ما أمكنه فى خدمة كل واحد بحسب حاجته، ساعد الكثيرين من الشباب والهيئات والجمعيات والكنيسة فى مجملها، ولا ننسى أبداً دوره غير العادى فى المؤتمرات الكنسية.

كان مجرد وجوده فى كل مؤتمر من المؤتمرات المسكونية خدمة للكنيسة، لأنه أثبت بوجوده وجود الكنيسة القبطية فى هذه المؤتمرات العالمية والمسكونية، وكان صوت الكنيسة فى صوته، فلا نستطيع أن نحد مدى الخدمات التى أداها الأنبا صموئيل فى داخل الكنيسة القبطية وربوعها وإمتداداتها فى كل مصر وخارج مصر، ولا ننسى أيضاً دوره المسكونى، وكيف أنه خدم خدمة جزيلة، بأن قدم الكنيسة فى صورة حَيّة عاملة، وجعل الجميع يشعرون بوجود الكنيسة القبطية، ومن يمكن أن يمثلها بالقلب المتسع والفكر والإيمان والروحانية الصادقة والأرثوذكسية الأمينة.

الأنبا صموئيل لم يكتب كثيراً، لم يكتب كتباً وإن كان قد كتب بعض المقالات، لكن خدمته كانت أوسع وأعم وأكثر فاعلية من مجرد كتابة الكتب، هو نفسه كان كتاباً، كان الإنسان حينما يتطلع إليه تشع من عينية رسالة، وحقاً نحن نؤمن أن الإنسان ليس مجرد

إنسان يكتب، إنما هناك مغناطيسية وروحانية يمكن أن تشع من الإنسان ويبلغ الرسالة وهو صامت. وكان الأنبا صموئيل على الرغم مما كتب ومما ألف ومما نشر، من مقالات وأبحاث ودراسات جامعية وكنسية، لكنه بالإضافة إلى هذا كان شخصه رسالة، فى عينيه براءة، وقد احتمل الكثير فى سبيل مبادئه وتألم وتوجع، وربما جاءته أمراض نتيجة ما احتمل من آلام، ولكن كانت كل هذه الآلام وتكون وستكون، سر مجد له أمام الله أولاً، وأمام التاريخ ثانياً.

هذا الرجل صنع شيئاً كثيراً، ولا يمكن أن يُنسى عمله فى الكنيسة ولا فى الأجيال الآتية، لأن له تلاميذ حملوا رسالته، ولا يمكن أن نَحّدُ الآثار التى أحدثها الأنبا صموئيل فى الكنيسة القبطية، وخارج نطاق مصر، لا يمكن، ليس من السهل أن يُحّدُ هذا، وهذه عظمة إلهنا فى الخلق، أن الواحد منا وهو فرد يمكنه أن يكون هو نفسه رسالة، وعمله يمتد إلى جيل الأجيال، نعم... إلى جيل الأجيال.

الأنبا صموئيل من الشخصيات الخالدة، نعم خالدة، ليس فقط خالد فى أبديته فنحن كلنا موعودون بالحياة الأبدية، ولكن أيضاً خالدٌ فى عمله والآثار التى أحدثها، والنفوس التى كسبها والتلاميذ الذين أخذوا عنه وحملوا رسالته، وهى رسالة المسيح وليست رسالة الأنبا صموئيل كشخص. وإنما رسالة المسيح ورسالة الكنيسة، كل هذا باق وثابت إلى الأبد ولن يُنسى.

وإنى أعترف تماماً أنه فعلاً كان من خير قيادتنا فى السنوات الأخيرة، كان يتمتع بشخصية كان لها قبولها عند رجال الدولة، لذلك كان خير سفير وكان خير صلة وعلاقة بين الكنيسة وبين الدولة، وكم من خيرات كسبتها الكنيسة بسبب الأنبا صموئيل، سواء أكان فى بناء الكاتدرائية الكبرى، أو فى التسهيلات التى قدمتها الدولة لإستحضار رفات القديس مرقس الرسول، وإستحضار رفات القديس أثناسيوس الرسول.

جهود الأنبا صموئيل كانت كثيرة جداً، ولذلك نشكر الله أن الدولة قدمت خدمات كثيرة جداً، وكانت أخبار رجوع رفات مارمرقس الرسول على الصفحات الأولى من الصحف، وإهتمام الدولة كلها من رأسها الأعلى إلى كل الوزراء والحكام فى هذا البلد، كل هذا لدور الأنبا صموئيل الذى لا ينسى، لأنه كان حلقة الاتصال والصلات، وذلك بحسن لقائه وإبتسامته وهدوءه ووداعته، حتى لقبوه بحق أنه وزير الخارجية للكنيسة القبطية. وهذا قليل، فعلا كان الأنبا صموئيل يتمتع بصفات جعلته خير سفير فى كل العلاقات وفى كل

الإتصالات، سواء كانت إتصالات الدولة أو مجلس الكنائس العالمى أو الإتصالات الخارجية والمسكونية فى كل شىء، فى العالم كله.

هذا الرجل فعلاً خدم الكنيسة وأعطى للكنيسة عطاءاً بسبب الجهود المتواصلة والإتصالات الدائمة وصداقاته المستمرة بالكل، لم يعرف له عداوة بأحد، والكل قد عرفوا الكنيسة عن طريقه، فما أسداه الأنبا صموئيل للكنيسة القبطية أكبر من أن يُذكر فى كلمة أو كلمات، أو يُكتب فى كتاب، لأنه أبعد مدى وأوسع مما يستطيع الإنسان أن يحصر مداه.

والحق أن نهاية حياته على الأرض أقول كانت مجيدة أيضاً، الأنبا صموئيل يعتبر شهيداً لأنه قُتل، وقُتل من أجل أنه رجل دين مسيحى فهو شهيد بكل معنى الكلمة، ولذلك له هذه الكرامة كرامة الشهداء، وكل هذا حباً فى المسيح وحباً فى الكنيسة.

إن ذكراه تبقى إلى الأبد جيلاً بعد جيل، تبقى فى تلاميذه، فى الآثار البعيدة المدى التى لا نستطيع أن نعدها أو نحصيها مما أحدثه فى تعليمه، وفى عظاته، وفى خدمته الخاصة، والحق أنه كان موهوباً فى هذه الإتجاهات الإجتماعية، آمن أن رسالة الكنيسة ليست فقط رسالة الوعظ والتعليم بالمعنى المحدود للكلمة، وإنما الخدمة الإجتماعية بكل مفهوم الكلمة، كل هذا عرفناه فى الأنبا صموئيل.

ولا ننسى دور الأنبا صموئيل فى تنظيم الإجتماعات الكنسية، وفى الإحتفالات الدينية، وإحتفالات مارمرقس الرسول، وإحتفالات القديس أثناسيوس الرسولى وغير ذلك من الإحتفالات، كان هو وأسقفيته وكل جنوده العاملين معه، كانوا هم حقيقة جيشاً خدم الكثير فى تنظيم الإحتفالات الكنسية، والحق أن الأنبا صموئيل جعل إحتفالاتنا مشرفة فى مصر وللأجانب الذين أتوا إلى مصر.

أنا لا أستطيع أبدا أن أتغافل عن هذه النقطة فى حياة الأنبا صموئيل، من بين النقاط الكثيرة لحياته ولخدماته المتوافرة، لم تكن خدمته فقط روحية قاصرة على الروحيات بالمعنى المحدود للكلمة، إنما آمن أن الإنسان له إحتياجات أخرى إجتماعية، سواء أكان فيما يتصل بالطعام أو الشراب أو المسكن وما إلى ذلك. هذا هو المفهوم الواسع للكلمة. هذا إلى جانب عمله فى مبدأ الأمر، كسكرتير لقداسة البابا كيرلس السادس، وكراهب تقى روحانى، وأيضاً كأسقف من أساقفة الكنيسة وفى مجمعها الموقر.

كل هذا نذكره وسوف نذكره وتذكره الأجيال، ولكن فوق ما نذكر نحن، كل شىء صعد إلى السماء وكله مسجل، لأن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة،

لا تتصوروا أن الأنبا صموئيل الآن وقد انتقل إلى العالم الآخر، وقد تخلص من أتعاب الجسد أنه توقف عن العمل، هو الآن يعمل وفى محيط أوسع وإن كنا لا نعرف بالضبط، لكن الأنبا صموئيل له روح لا تتوقف أبداً عن العمل وعن النشاط، فلابد أن له نشاطات كثيرة وإن كانت خفية، لكن هذه النشاطات حية وموجودة، وربما تكون أوسع مما كانت على الأرض. بل قطعاً هى أوسع مما كانت على الأرض. «كنت أميناً فى القليل أقيمك على الكثير ادخل إلى فرح سيدك»، دخل إلى هذا الفرح، وفى فردوس النعيم لا تتوقف الأرواح عن العمل وعن النشاط، إنما تواصل عملها وتواصل نشاطها، فنحن لا نتصور أبداً الأنبا صموئيل اختفى بالجسد وأنه توقف، ابدا أبداً، إنه يعمل على نطاق أوسع، وفى مجال أعلى، ومع الله ومع القديسين، ومع الروحانيين ومع الرسل ومع المكافحين والمناضلين، كل هؤلاء مع الأنبا صموئيل. والأنبا صموئيل معهم، لقد ارتقى إلى العالم الأفضل لأنه يستحقه، إنما نحن نذكره لنتعلم منه ولتتعلم منه الأجيال والشباب، الذين أخذوا منه وتَعلّموا منه، والذين أيضاً تأثروا به وآثارهم لا تتوقف ماداموا هم أحياء، لأنه زرع والزرع ينمو وينمو وينمو.

فالآن وقد مضت هذه العشر سنوات، نحن نأسف لأننا فقدناه بالوجه، لكننا لا نحزن كالباقين الذين لا رجاء لهم، لأننا نؤمن أنه معنا، وأنه فى حضرة العلى، وأنه يعمل وينشط، وأنه ليس فقط بصلواته ودعواته المتواصلة أمام الله، ولكن أيضاً بجهوده ونضاله وكفاحه المتواصل يخدم الكنيسة، ويخدمنا جميعاً ويخدم الأجيال الآتية، لأن حياته قائمة إلى الأبد. ولإلهنا الإكرام والمجد إلى الأبد آمين.

الأنبا يؤانس حبيبنا(١)
أسقف طنطا وكل توابعها

رقد مستريحاً فى الرب حبيبنا وصديقُنا الصَّدوق الحبر جزيل الإحترام الأنبا يؤانس أسقف كرسى الغربية، عرفتُه منذ الثلاثينيات، أى منذ ما يقرب من خمسين عاماً، وكان آنئذ صبيّاً تقياً ونقياً، محباً لله وللكنيسة، عن إيمان صادق وغيرة أرثوذكسية، وارتبطنا بالمحبة طويلاً، وتزاملنا وتجاورنا، مكانياً وروحياً، وخدم المسيح الرب فى الأطفال والشباب، وتتلمذ بالإكليريكية تلمذة منهجية، وواصل دراساته العلّمية والدينية، حتى صار من القيادات الروحية التى أفادت كثيراً. فتتلمذ عليه كثيرون بالقول والعمل، وسلك طريق الرهبنة فى الدير، وأصبح مشرفاً روحياً على طلبة الإكليريكية، وسكرتيراً روحياً للمتنيح البابا كيرلس السادس. وفى عهد البابا شنوده الثالث رُسِم أسقفاً على كرسى طنطا والغربية، وأُستاذاً للتاريخ الكنسى بالكلية الإكليريكية ، وسكرتيراً للمجمع الإكليريكى العام، وسكرتيراً للمجلس الإكليريكى بالقاهرة، بالإضافة إلى نشاطاته المتنوعة فى إيبارشيته التى رعاها بأمانة وكفاءة وغيرة روحية ومؤهلات قيادية، مع إيمان صادق بالعلم والمعرفة، والفهم البصير والمتعمق لتراث الكنيسة فى تاريخها وطقوسها وعقائدها.

وأمّا وطنيته ومصريته فهى عميقة وأصيلة وراسخة، وبهذه الروح جمع فى قلبه محبة المسيحيين والمسلمين، فى حكمة مع غيرة ومحبة للجميع.

لقد خسرته مصر كبنّاء حكيم، وخسرته الكنيسة المجاهدة خسارة كبيرة، عمارة شامخة عالية فى فضائله الشخصية والقيادية.

فقدناه بالوجه، ولم نفقده بالروح.

لقد نقله الربُّ إلى عالم أفضل، فأسند إليه مسئوليات أكبر.

طوباك أيها الأُسقف الحبيب، والوكيل الأمين الحكيم. وبما أنك كنتَ أمينا فى القليل فقد أقامك الرب على الكثير.

الرب يُعيننا كما أعانك. وتقبَّل منا أيها الأخ الحبيب تحية إعزاز وحب وتقدير وإعتزاز، وواصِل صلواتك من أجل الكنيسة، ومن أجل مصر، ومن أجل سلام الشرق الأوسط والعالم كله، وخلاص الله فى الشعوب.

من أخيك فى الرب
غريغوريوس

---

(١) كتب فى ٦ من نوفمبر ١٩٨٧م ـ ٢٦ من بابه ١٧٠٤ش.

الأنبا ثيئوفيلوس
أسقف ورئيس دير السريان[1]

العزيز الإبن الدكتور سعد صادق.

سلام ومحبة ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح، أرجو لبنوتكم موفور الصحة والعافية والعزاء الروحانى.

الآن فقط، فَضَضتُ خطابكم المرسل من المنصورة، وأنا الآن بدير مارمينا العجائبى بمريوط، فتأثرت كثيراً من لهجة خطابكم، وأَسِفت لأننى لم أعلم باتّصالكم التليفونى، وغالباً لم أكن بالمقرّ فى ذلك الوقت. لقد جئتُ إلى الدير منذ السبت ١٣ اكتوبر الحالى.

ولقد أثارنى خطابكم جداً، وانفعلت بدموع الذكريات المباركة بأبينا وحبيبنا المتنيح طيب الذكر الطوباوى الأنبا ثيئوفيلوس الذى عرفته منذ الثلاثينيات أى من مدة تزيد على الخمسين عاماً، فقد كنتُ طالباً بالإكليريكية، وكنا نختلف إلى الأديرة إلتماساً للبركة، وكان ذلك فى عام ١٩٣٧، عندما ذهبنا ونحن طلبة إلى دير العذراء بالسريان، وكان نيافة الأنبا ثيئوفيلوس، عندما ذهبنا ونحن طلبة إلى دير العذراء بالسريان، وكان نيافة الأنبا ثيئوفيلوس راهباً آنذاك يرتدى الزعبوط الأحمر، من وبر الإبل وسألناه، أليس ثقيلا عليك فى الصيف، فقال بالعكس، إنه مرطِّب. ولا أنسى أنه كان يتسامر معنا فى قضايا لاهوتية، ويثيرنا بأسئلة فيها... ومنذ ذلك التاريخ لم ننقطع عن دير السريان وكنتُ دائماً نقضى فترات ما قبل عيد الميلاد، وعيد القيامة هناك. وظل الأمر كذلك حتى رهبنتى بدير المحرق فى سنة ١٩٦٢ ـ وبعد الرهبنة والرسامة الكهنوتية والأسقفية كانت صلتنا بالمتنيح أبينا الأنبا ثيئوفيلوس مستمرة، وستظل دائماً وهو فى عالم الروح، وإلى الآن وأنا أذكره فى كل قداس وأترحَّم عليه بغير إنقطاع فلا أنسى محبتَّه، والعاطفة الروحية التى ربطتنا ولا تزال تربطنا به وستظل كذلك إن شاء الله حتى نلتقى معه، إذا حسبنا الله أهلاً لأن نكون معه فى فردوس النعيم.

ولقد أثارنى حديثكم عن حالته النفسية فى السنوات الأخيرة، وإنى ـ وإن لم يكن لدى تفصيلات عن ذلك، ولكننى فهمت ـ عن بعد ـ بعض ما عاناه ـ من آلام نفسية... ومع ذلك

---

(١) كُتب فى ٢٥ من اكتوبر ١٩٩٠م ـ ١٥ من بابه ١٧٠٧ش.

لم يكن فى هذه المعاناة وحده، فإنّ آخرين من الأساقفة مثله اشتهوا الإنطلاق والرحيل، وبعضهم طلب ذلك فى صلواته، ومنهم على الأقل الأنبا اندراوس أسقف دمياط سابقاً، والأنبا إيسآك الأسقف العام الذى كان سابقاً رئيساً لدير الأنبا أنطونيوس، ومنهم أيضاً الأنبا برسوم وكان سابقاً رئيس دير المحرق... وغيرهم آخرون من أساقفة وكهنة...

على أنَّ عزاءنا أنَّ حبيبنا وأبانا الشيخ الوقور والمفضال الأنبا ثيئوفيلوس ارتقى بروحه إلى العالم الأفضل، ورُدّ اعتباره... وأما محبته وذكراه العطرة فمطبوعة فى قلوب كثيرين من أولاده المخلصين من أساقفة ورهبان، وكهنة وشمامسة وشعب الله الأتقياء.

أشكرك كثيراً على خطابك، لقد أراحنى بقدر ما أثارنى، أراحنى لأنه جدّد مشاعرى وذكرياتى عن الرجل العظيم الطاهر الثمين الذى ندين له بالأبوّة الحانية ـ

وتقبل محبتى وإعزازى وإعتزازى بكم، ونعمة الرب دائماً معكم،،،،

المثلث الرحمات الأنبا مرقس
مطران أسنا والأقصر (١)

كثيرون عرفوه وتباركوا به وبسيرته الروحانية العطرة، خصوصاً من أبناء الصعيد، ولاسيما أبناء إيبارشية إسنا والأقصر وأسوان، وربما لايزال بعضهم أحياء، ممن كانوا فى زمانه أطفالاً صغاراً. فقد رحل قداسته إلى الأخدار السَّمائية فى ٢٥ من فبراير لسنة ١٩٣٤م الموافق ١٨ من أمشير لسنة ١٦٥٠ للشهداء.

إنَّ قصة حياة الأنبا مرقس المطران الأسبق لإسنا والأقصر وأسوان قصة مثيرة وملهمة. ومن المفيد لنا روحياً أن نتذكَّرها ونتذاكرها، فهى قصة رجل دين، سما فى الفضيلة والتقوى، سمواً تدريجياً حتى أصبح عمارة عالية فى الرّوحانية النادرة فى أجيالنا القريبة. لقد استطاع الأنبا مرقس أن يجمع بين العمق الروحانى وبين مسئوليات الرِئاسة الدينية والراعوية، بحيث غدا نبراساً يُحتذى، ونوراً وهاجاً يقتدى به الراغبون السائرون فى طريق السَّماء (والقداسة التى بدونها لن يرى أحد الرب).

وُلِدَ القديس الأنبا مرقس ببلدة دير تاسا بمحافظة أسيوط سنة ١٨٤٨ للميلاد، وتنيح فى ٢٥ من فبراير لسنة ١٩٣٤، عن ٨٦ ستة وثمانين عاما، عاشها طفلاً، فيافعاً، فشاباً، فرجلاً، فشيخاً، مثلاً يُحتذى فى حياة الكمال المسيحى والكمال الرهبانى، ضابطاً نفسه وعفّته، طاهرا كلّه بالروح والنفس والفكر والجسد. وقد بلغ فى حياة القداسة إلى (مقام الفناء والبقاء بعد الفناء)، من مقامات الرُّوحانية العالية، وسما إلى مرحلة السياحة الرُّوحية، والاختطاف العقلى، والاختطاف بالجسد، وإلى الثيئورية، وهى المكاشفات الروحانية والتجلّيات والرؤيا الطوبانية، وإلى درجة الاتحاد بالله اتحاداً روحياً، وتروحن جسده ونفسه وعقله ...

وقد ذُكِر عنه أنه كان ينقطع فى خلوات روحية للصلاة بغير انقطاع (١.تسالونيكى ٥: ١٧) يومياً من منتصف الليل حتى الصَّباح، يُصلِّى ويتلو سفر المزامير كله فى كل يوم مع المطانيات، (خمسمائة مطانية) وهو طقس النُسَّاك والزُّهاد ولُبَّاس الإسكيم الرهبانى الكبير.

---

(١) كتب فى ٢٣ من يناير ١٩٩١م - ١٥ من طوبه ١٧٠٧ش.

وكان يشتاق أحيانا إلى خلوة طويلة تطول إلى أيام - وفى إحدى المرات طلب من تلميذه عبد المسيح ألاّ يُزعِجه، ولايقرع باب غرفته، ويتركه حتى يخرج عندما يريد هو أن يخرج - وظل فى الغرفة ثلاثة أيام، فانزعج تلميذه لطول المدة، وأراد أن يطمئن عليه، ومن لهفته على سلامته نظر من ثقب مفتاح الغرفة، وتطلّع فلم يجده فى الغرفة فتولته الدهشة. وبعد ثلاثة أيام خرج الأنبا مرقس من غرفته ووبَّخ تلميذه عبد المسيح على إزعاجه له بتطلعه من ثقب مفتاح الغُرفة ... وهذا معناه أنَّ القديس الأنبا مرقس، كان يتم له الاختطاف بالعقل، ثم أحيانا الاختطاف بالجسد.

أمّا **الاختطاف بالعقل** فهو الذى اختبره القديس بولس فى خلواته الروحية، وعبرّ عنه بقوله (إنه لايوافقنى أن أفتخر فأنتقل إلى رؤى الرَّب ومكاشفاته. أعرف رجلاً فى المسيح، أُختُطِف قبل أَربَعَ عَشَرَةَ سَنَةً، إلى السّماءِ الثَّالِثة. أبجسده؟ لا أعلمُ أم بغير جسده؟ لا أعلم، الله هو الذى يعلَمُ. وأعرف أنّ هذا الرَّجُلَ أَبِجَسَدِه؟ أم بغيرِ جَسَدِه؟ لا أَعلَمُ. الله هوَ الذى يَعلَمُ، اختُطِفَ إلى الفِردَوسِ، وَسَمِعَ كلاماً لا يَقدِرُ بَشَرُ أَن يَنطِقَ بِهِ، ولا يَحِلُّ لَهُ أَن يَنبِسَ بِهِ (٢.كورنثوس ١٢: ١ -٤).

هذا الاختطاف العقلى حدث للقديس يوحنا الرائى والذى قال فيه:

(أَنا يوحَنَّا أخاكُم وشريكَكُم فى المِحَنِ وفى الملكوت،وفى الثَّبات فى يسوعَ المسيحِ، كُنتُ فى الجزيرةِ التى تُدعى بَطمُس من أجل كلمة اللهِ ومن أجلِ شهادَةِ يسوعَ المسيحِ. وَصِرتُ فِى الرُّوحِ فى يَومِ الرَّبِّ) (سفر الجليان - الرؤيا ١: ٩، ١٠).

أمّا **الاختطاف بالجسد**، فهو على نوع ما حدث للقديس فيلبس الشماس أحد السبعين بعد أن عمّد الوزير الحبشى فى غزة ... (ولما صعدا من الماء خَطِف رُوحُ الرَّبّ فيلبُّسَ، فغابَ عن نَظَرِ الخَصِيِّ، ثُمَّ مَضَى الخصِيُّ فى طريقِهِ فَرِحاً. وأما فِيلبُّسُ فوجد نَفسَهُ فى أشدودَ. ثُمَّ سارَ يُبَشِّرُ فى المدن كُلّها حَتىَّ وَصَلَ إلى قَيصَرِيَّة) (أعمال الرسل ٨: ٣٨ -٤٠)

ومن أمثلة الاختطاف بالجسد ماحدث لحبقوق النبى:

(وَكانَ حَبَقُّوقُ النَّبىُّ فى أرض يَهوذا وكانَ قد طَبَخَ طبيخاً وثَرَدَ خُبزاً فى جَفنةٍ وانطَلَقَ إلى الصَّحراءِ لِيَحمِلَهُ لِلحَصَّادِينَ. فقالَ مَلاكُ الرَّبِّ لِحَبقُّوق: أحمِل الغَذاءَ الَّذى مَعَكَ إلى بابِلَ، إلى دانِيالَ فى جُبِّ الأُسودِ. فقالَ حَبقُّوقُ: أَيُها السَيدُ إنِّى لَم أرَ بابِلَ قَطُّ ولا أَعرِفُ الجُبُّ. فَأَخَذَ ملاكُ الرَّبِّ بِجُمَّتِهِ وحَملهُ بِشَعَرِ رَأسِهِ ووضَعَهُ فى بابِلَ عِندَ الجُبِّ بانِدفاعِ

رُوحِهِ، فنادَى حَبَقُّوقَ قائلاً: يادانِيالُ يادانِيالُ، خُذِ الّذِى أرسَلَهُ لَكَ اللهُ ... وقامَ دانِيالُ وأَكَلَ وَرَدَّ مَلاكُ الرَّبِّ حَبَقُّوقَ من ساعَتِهِ إلى مَوضِعِهِ) (نبوءة دانيال ١٤: ٣٢ - ٣٨).

وهكذا كان القديس المطران الأنبا مرقس يُختطف بجسده وهو فى غرفته لزيارة كنيسة القيامة بالقدس، والقبر المقَّدس ..

ومن آيات روحانيته أنه رأى وهو فى الجسد، روحَ القِديس الأنبا ابـرآم أسقف الفيوم والجيزة، فى يوم رحيله إلى عالـم الخلود فى التاسع من يونيه لسنة ١٩١٤، وهى فى موكب من الملائكـة والقِدّيسين فصاحَ قـائلاً: (السَّلامُ لِرُوحِكَ ياقِديسَ الله، السَّلامُ لَكَ، يا أنبا أبـرآم) .. رأى هـذه الرؤيـا وهـو بين عـددٍ مـن النَّاس، ثـم التفـت إليهـم وقـال (لقـد أنتقل الأنبا ابـرآم إلى السماء)!.

ومن آيات روحانيته أنه كان له روح النبوءة. فقد أنبأ بأحداث قبل حدوثها. من ذلك أنه أنبأ عن المطران الأنبا باسيليوس الذى خلفه فى كرسيه. قال الأنبا مرقس (سوف يأتى بعدى من هو أفضل منى .. إنه ملاك لا إنسان .. إلاّ أنه ستكون أيامه قليلة ..).

وفى خلواته الروحية كان الأنبا مرقس يزوره بعض القديسين ومنهم إيليا النبىّ وغيره من الروحانيين، فما أسعده برؤية أولئك القديسين الذين كانوا يتسامرون معه ويتحدثون معاً بعظائم الله.

وكانت تجرى على يديه آيات ومعجزات تشهد بمكانته الروحية وشفاعته عند الله وأنه كان أثيراً لديه تعالى.

من ذلك، أنه أثناء بناء كنيسة الأنبا باخوميوس ببلدة الزينّية (بحرى الأقصر)، جف البئر، فأرسل إليه المشرفون على البناء وأخبروه بأنَّ البئرَ قد جفَّ، فحضر إلى المكان وطلب كوب ماء فأحضروه إليه، فصلّى عليه ثمّ سكبه فى البئر، وفى الحال ارتفع منسوب الماء فى البئر أكثر من منسوبها المعتاد.

ثُمَّ إنه من كراماته التى أكرمه الله بها أنه كانت دعواته مستجابة فإذا غضب على أحد من الناس لِشره - وقليلا ما كان يغضب - فكان دعاؤه على المخالفين والمعاندين، يصيبهم، كما ذكر عن النبى أليشع (أنَّ صِبيانا صغارا خرجوا من المدينة وسخروا منه وقالوا له: اصعد ياأقرع، أصعد ياأقرع! فالتفت إلى ورائه ونظر إليهم ولعنهـم باسم الرَّبِّ، فخرجت دُبَّتان من الوعر وافترستا منهم إثنين وأربعين ولداً) (٢. الملوك ٢: ٢٣ - ٢٤).

وكما فعل القديس بولس الرسول لما قاومه عليم الساحر (فإذ كان «بولس» ممتلئا من الرُّوح القُدُس تفرَّس فى الساحر وقال له: «أيُّها المُمتَلِىءُ من كُلِّ غِش وكُلِّ خُبثٍ، ياابنَ إبليس، ياعَدُوَّ كلِّ برٍّ، أما تكُفُّ عن تعويج سُبل الرَبِّ القويمة.فالآنَ ها إنَّ يدَ الرَّبِّ عليكَ فتصيرُ أعمى لاتُبصِرُ نور الشَّمسِ إلى حين.» ففى الحال سقطَت على عينيهِ غَشاوةُ وظُلمَةُ، فأخذَ يدورُ فى كلِ جهةٍ مُلتَمِساً من يَقودُهُ بِيدِهِ. حينئذٍ لمّا رأى الوالى حاكم الجزيرة ماجرى، آمن مدهوشاً من تعليمِ الرَّبِّ) (أعمال الرسل ١٣: ٩ - ١٢).

هكذا كان القديس الأنبا مرقس مطران إسنا والأقصر وأسوان، كانت كلمته ودعاؤه كسيف قاطع، كان مسموعَ الدُّعاءِ عندَ الله. فما أسعد من دعا له، وما أشقى من دعا عليه.

بركة صلاتِهِ وحياتِهِ فلتشمل كلَّ مؤمنٍ سائرٍ فى طريقِ السَّماءِ.

حبيبنا المبارك، رجل الله الأنبا باسيليوس[(١)]
مطران الكرسى الأورشليمى والشرق الأدنى

لقد فوجئنا بقدر ما فجعنا بنبأ رحيل رجل الله، وأحد أعلام كنيستنا الأرثوذكسية، المطران الأنبا باسيليوس، صاحب الذكر الحسن، والسيرة المقدسة، إلى عالم البقاء والخلود، ليواصل مسيرته فى طريق الكمال المسيحى والرهبانى فى حياة أبدية سعيدة، إذ أن (هذا هو الوعد الذى وعدنا الله به هو الحياة الأبدية) (١. يوحنا ٢: ٢٥).

نذكره ونبكى فراقنا له، إلى حين، وهو الآن وقد خرج من الجسد، فى رحلته السعيدة، إلى الأخدار السمائية، وفردوس النعيم، طائراً بروحه الغالية، ومحمولاً بين صفوف الملائكة وبعض القديسين، ممن حضروا ساعة مفارقته للجسد، وليكونوا فى موكب رحلته الأربعينية، إلى أن يدخل إلى مقره السعيد.

إن الأنبا باسيليوس، وبالميلاد (سامى تاوضروس)، كان دائما تقى الله، فى طفولته وصبوته وشبابه ورجولته، وفى عمق مشاعر شبابه المبكر (سار مع الله)، فعاش بتولاً طاهراً، وإذ أدرك بقلبه أن حياته الغالية أثمن من أن تفقد بهاءها بإضطرابها فى أباطيل الدنيا، أحس بالرغبة القوية فى أن يهبها لله قرباناً. وعلى قول العلامة أوريجينوس (١٨٥ - ٢٥٣)، أن من اختار البتولية حياة، يقدم ذاته لله ذبيحة محرقة. والمحرقة أعظم الذبائح وأقواها، إنها أقوى من ذبيحة الخطيئة وذبيحة الإثم، وذبيحة السلامة، فإن المحرقة تحرق كلها لله، فلا يبقى منها شىء لأحد. هكذا البتوليون يقدمون أرواحهم ونفوسهم وأجسادهم ذبيحة محرقة لله، ولله وحده، فقد اختاروا الله نصيبهم وحده، ليكونوا له مقدسين، روحاً ،ونفساً وجسداً.

لقد عشق الأنبا باسيليوس - (سامى تاوضروس) طريق البتولية واشتهى أن يكرس حياته لله لتكون كلها لله، ولما أتم دراسته الثانوية، وكان قلبه قد تولع بمحبة الله وخدمته، التحق بالكلية الإكليريكية بالقاهرة فى مهمشة، متفرغاً تماماً للدراسة، والعبادة نهاراً وليلاً. وبعد أن حصل على بكالوريوس الإكليريكية فى الدراسات اللاهوتية والعلوم

---

(١) كتب فى ٢٠ من أكتوبر ١٩٩١م - ٩ من بابه لسنة ١٧٠٨ش.
ونشر بمجلة مدارس الأحد - السنة ٤٥ - العدد التاسع من ص ١٣ - ١٦، ٢٨ - ١٩٩١م.

الكنسية، مارس الخدمة فى الكنيسة شماساً وواعظاً ومدرساً للدين بمدرسة رزق الله مشرقى الثانوية بجرجا، ثم رأى أن يواصل طريق الرهبنة الكاملة، فقدم النذور الرهبانية فى دير القديس العظيم الأنبا أنطونيوس، وتسمى باسم (كيرلس الأنطونى) ورسم بعد ذلك كاهناً.

ولما كانت رغبته فى مواصلة التلمذة قوية، التحق أيضا بمعهد الدراسات القبطية، وكان طبيعياً أن ينتظم فى (قسم اللاهوت) دارساً وباحثاً إلى أن رشحته الكلية الإكليريكية لبعثة دراسية للحصول على الدكتوراه، فى العلوم اللاهوتية، مع الابن المبارك الأستاذ الدكتور موريس تاوضروس، وبعد حصولهما على الدكتوراه، تعين الإثنان للتدريس بالكلية الإكليريكية.

وبين يدى ملف للرسائل المتبادلة بيننا، أقتطع فقرة منها أو فقرتين تكشف كتاباته على مبلغ ما كان يعتمل فى قلب الأنبا باسيليوس من محبة للعلم والدرس وما تطويه من إيمان بالكلية الإكليريكية ورسالتها العلّمية، ووجوب العمل وبذل الجهود فى سبيل نجاحها، وإزالة العوائق من طريقها.

ففى خطاب له بتاريخ ٣١ من يوليو لسنة ١٩٥٠ يقول (أشكر جنابكم كل الشكر لما ذكرتموه فى خطابكم خاصة بكتاب «كوكب البرية» «وهو أول كتاب من تأليفه» الذى وإن كنت أرى أنه لا يستحق كل هذا التقريظ والمدح، غير أننى أعود فأقول أنه كان لخطابكم العظيم هذا أعظم تأثير فى نفسى، إذ رأيت فيه خير مشجع وحافز لى للعمل على الدوام).

ثم يستطرد قائلا: (لست أدرى ماذا سيكون موقف المجلس الملى العام الجديد من الكلية الإكليريكية؟ الرب وحده الذى ساعد الإكليريكية على الثبات طيلة هذه المدة رغم العقبات التى وضعت فى طريقها، قادر أن يعمل فى قلوب الجميع وخاصة المسئولين منهم، ليدرك الكل ما عليهم من مسئولية نحو هذا المعهد العظيم).

ولما شغر الكرسى الأورشليمى بنياحة طيب الذكر الأنبا ثيئوفيلوس اتجهت الأنظار لإختيار القمص كيرلس الأنطونى لشغل هذا المنصب الدينى الكبير الخطير .. أما القمص كيرلس الأنطونى فرأى نفسه ليس أهلاً لهذه الكرامة الأسقفية، فهرب واختفى وظل مدة مختفيا بينما كان الآباء والمسئولون يطلبونه فى إلحاح.

ولقد وجدت فى ملف الرسائل المتبادلة بيننا هذا الخطاب الذى أرسلته إليه بتاريخ ٢٥ من مايو - آيار لسنة ١٩٥٩ أرى أن أنقله كما هو، للتدليل على مبلغ إحساسه بمسئولية الكرامة الأسقفية، ومحاولته الهرب من حمل أعبائها، شعوراً منه بعدم إستحقاقه لها.

عزيزى الأب الحبيب القمص كيرلس الأنطونى:

(فى محبة وأشواق وإعزاز أبعث إلى قدسكم بتحيات المودة متمنياً على الله أن يوفق طريقنا وطريقكم إلى مرضاة إلهنا جل اسمه.

(وعدتنى بالحضور فى تالى يوم لآخر زيارة لكم، ولم تحضر فتوقعت سفركم وإختفاءكم، وقد علمت ذلك من حبيبنا الأستاذ وهيب جورجى (وهو الأستاذ الدكتور وهيب جورجى الأستاذ بالإكليريكية وكان زميلاً له فى دفعته) ثم جاء لزيارتى شخص لم أكن أعرفه من قبل، وهو صاحب مطبعة، ومسيحى، وقال إنه مكلف من قبل الأنبا يوأنس مطران الجيزة ومطارنة آخرين بالبحث عنكم فى كل مكان، وقد سألنى عنكم، فلم أرشده إلى عنوانكم، والآن يفتش المطارنة عنكم فى كل مكان، وعلمت أن الأنبا يوأنس (مطران الجيزة)غاضب لهربكم.

لقد تفاهمت مع الأب القمص مكارى (الذى رسم فيما بعد باسم الأنبا صموئيل أسقف الخدمات العامة والإجتماعية) فى الموضوع، كما تفاهمت مع بعض الأساتذة بالكلية الإكليريكية، وطلبنا من بعضهم أن يتوجهوا إلى الأب البطريرك، ويتفاهموا معه، ويبلغوه إعتزاز الإكليريكية بكم وتمسكها ببقائكم فيها.

على أننى أصارحكم أن المسألة لها جانبان: فحقا أن بقاءكم بالكلية فرصة للبحث والتأليف والتدريس. والكلية تعتز بكم، وترجو أن تنتفع بكم، لتبنوا فيها، وقد كانت هذه أمنيتنا ورغبتنا عندما رشحناكم للبعثة فى بلاد اليونان.

(ولكن الآباء المطارنة كما تعلمون مصرون على تقديم قدسكم لهذه الدرجة، درجة المطرانية، ومصرون على شخصكم بالذات لإعتبارات لا تخفى عليكم.

(ثم أن منصبكم كمطران للقدس سيتيح لكم خدمة النفوس المشتتة فى بلاد فلسطين وشرق الأردن، وهى ليست قليلة، كما يتيح لكم تنظيم الرعاية والتعليم هناك بصورة منتجة. ولسوف يتيح لكم فى الوقت نفسه فرصة لتأليف كتب كما تشاءون، ويمكنكم إنشاء مكتبة كبيرة هناك. وهذا يحقق رغبتكم فى البحث والدرس.

ولعل قبولكم لمنصب مطران للقدس كسب للكنيسة من حيث أن الكنيسة اليوم ترجو أن لا يحتل مثل هذه المناصب إلا أشخاص يقدرون معنى الخدمة، ولهم رغبة صادقة فى العمل المثمر.

على كل حال، المرجو أن قدسكم تعودون إلى الظهور من جديد لنتفاهم أيضا. ولعلكم فى كل هذه الفترة صليتم إلى الله وطلبتم الإرشاد. ولعل التفاهم فى هذه المسألة يوصلنا إلى رأى موفق.

إننا دائما نصلى أن يوفق الله كنيسته إلى ما فيه خيرها وصلاحها، وأن يوفقكم شخصياً إلى الإمكانيات التى تخدمون بها كنيستكم والكلية الإكليريكية خدمة طاهرة سعيدة موفقة.

الله نسأله أن يظهر إرادته ويرشدنا إلى الخير ....

وظهر القمص كيرلس الأنطونى، ورسمه البابا كيرلس السادس والآباء المطارنة والأساقفة أعضاء المجمع الإكليريكى العام، فى الكاتدرائية المرقسية بالأزبكية، مطراناً على الكرسى الأورشليمى فى صباح يوم الأحد ٧ من يونية - حزيران لسنة ١٩٥٩ - فكان هو أول أسقف ومطران رسم فى عهد البابا كيرلس السادس الذى كان قد رسم بطريركاً فى يوم الأحد ١٠ من مايو لسنة ١٩٥٩.

ولقد واجه مثلث الرحمات الأنبا باسيليوس فى الكرسى الأورشليمى متاعب وهموماً كثيرة خصوصا فى القدس، ومع ذلك فقد كافح وناضل وخدم الكرسى الأورشليمى وكل بلاد الشرق الأدنى - أعنى فلسطين، والأردن والعراق والكويت، وأبو ظبى، ودبى، والامارات العربية، والبحرين وقطر، وعمان، ولبنان .. والقنطرة شرق، بكل جهد وأمانة وإخلاص وحرارة روحية، بقدر ما وسعه من جهد على الرغم مما اعترض طريقه من صعوبات.

ولا شك أنه كان لمتاعبه آثار على صحته، إلى أن أُصيب أخيرا بجلطة فى المخ، فانطلقت روحه فى يوم الأحد ١٣ من أكتوبر لسنة ١٩٩١ ولسان حاله يقول (فلا يجلبن أحد عَلَىَّ أتعاباً بعد الآن، لأنى أحمل فى جسدى سمات الرب يسوع) (غلاطية ٦: ١٧).

سلام لك، أيها الحبيب المبارك، المثلث الرحمات، الأنبا باسيليوس ... إلى مواضع النياح مع الآباء الرسل ومع البطاركة ورؤساء الآباء ومع الكهنة القديسين.

وأما جسدك، المستودع فى دير القديس الأنبا أنطونيوس، فيرقد الآن فى هدوء، فى إنتظار يوم القيامة العامة، ولسوف تسترده فى يوم النشور، فى مجد وبهاء وكرامة، إلى الأبد.

المطران الأنبا مكسيموس(١)
مطران القليوبية وبنها وقويسنا

بهدوء وسلام عاش أيامه، وبهدوء وسلام رحل إلى عالم البقاء ليواصل الصلاة والتسبيح والخدمة على المذبح المقدّس السَّماوىّ، فى حضرة ملك الملوك ورب الأرباب، ورئيس كهنة الخيرات الجديدة.

سلام عليك أيها الحبر الرُّوحانى، عَشِقتَ البُتولية والطهارة منذ الطفولية، ورغبتَ الرهبنة لذاتها وفى ذاتِها، لتكون مقدَّسا لله روحاً وجسداً. أعطيت قلبك للتقوى، وقدَّمت ذاتك ذبيحة وقرباناً ومُحرَقَةً لله، فكانت حياتك كلها بَخوراً عَطِراً تنسَّمَهُ الرَّبُّ بالرضا.

عِشت بالحق وديعاً مُتواضعاً. كانت حياتك موعظة صامتة، بغير كلام.

اختاروك وكيلا للدير (دير العذراء بالمحرق) ولكنك زَهِدّت فى المنصب الإدارى، رشحوك للبطريركية فأغلقتَ على نفسك باب قلايتك، تسأل الله أن يُنقِذُك من هذه التجربة.

كان شعارك وشِعار حياتك كلِّها (مَن لِى فى السَّماء، ومعك لا أريد شيئا فى الأرض) (مزمور ٧٢: ٢٥).

كان خروجك من الجسد، ومن عالم الأرض، عشية عيد استشهاد القديس مرقس الرسول، وكأنك على موعد لتلحق برسول المسيح الذى عاش أمينا حتى الموت فنال إكليل الحياة الأبدية.

وأنت أيضا عِشتَ أمينا حتى الموت، فكان لك إكليل الحياة.

وداعا أَيُّها الحبرُ الجليلُ، وسلاماً لروحك المقدَّسة، ومسيرتك المباركة الطاهرة.

---

(١) كُتب فى ١٣ من مايو ١٩٩٢م - ٥ من بشنس ١٧١٨ش.
ونشر بمجلة مدارس الأحد - السنة ٤٦ - العدد ٤، ٥ ص ٢٣ عام ١٩٩٢م.

المتنيح القديس الأنبا اسطفانوس[1]
مطران كرسى عطبرة والنوبة وأم درمان

عرفتُكَ أيُّها الحبيب راهباً عابداً فى دير العذراء بالمحرق منذ سبتمبر عام ١٩٦٢، يوم أن تباركتُ بإنضمامى إلى رهبان هذا الدير العظيم، الذى نفتخر بأنه أُقيم فى جبل قسقام، الموضع الذى جاء إليه فادينا ومخلِّصنا يسوع المسيح، تحمله سيدتنا وفخر جنسنا العذراء القديسة البتول مريم، ومعها القديس البار يوسف النجار فى رحلة العائلة المقدسة، وفى هذا الموضع المبارك أقامت العائلة المقدسة أطول مدة فى رحلتها بأرض مصر، وهناك تلقّى القديس يوسف البار الأمر بالعودة بالصبى وأمّه إلى أرض فلسطين (متى ٢: ٢٠).

هناك، فى دير المحرق، رأيتُك أيها الأب المبارك راهباً تقياً، وخادماً لله أمينا، وكنتَ كاهنا متميزاً بصوتك الكنائسى الروّحانى الجميل، والذى يثير فى النفس الخشوع والورع والانسحاق أمام الله. من هناك أحببتُكَ، وارتبَطت روحى بروحك، حتى دُعيتَ الدعوة المقدَّسة لتكون مطراناً لكرسى عطبرة والنوبة وأم درمان، وتّمت سيامتك بوضع يد المتنيح القديس البابا كيرلس السادس، والآباء المطارنة والأساقفة الذين أعطوك (يمين الشركة) (غلاطية ٢: ٩).

وذهبتَ إلى السودان، ونَعِمَت إيبارشية عطبرة وأم درمان بخدمتك الرسولية، وجهادك ونضالك من أجل الله وخلاص النفوس وبنيان شعب الله، نحوا من إثنين وثلاثين سنة، حتى حانت ساعة رحيلك، فى نهاية رحلتك على الأرض، إلى فردوس النعيم.

وقد كان لى شرف صحبتك إلى إثيوبيا بتكليف من قداسة البابا كيرلس السادس إثر نياحة الأنبا باسيليوس بطريرك جاثليق (كاثوليكوس) إثيوبيا. ومن مطار أديس أبابا سرنا معاً فى موكب رسمى فى تشييع الجنازة.

وفى اليوم الثالث لنياحة الراحل الجليل الأنبا باسيليوس، - وكان ذلك يوم السبت ١٧ من اكتوبر لسنة ١٩٧٠ - أقمنا القداس الإلهى معاً ورفعنا القرابين باسمه، فى الكنيسة، ترحماً على روحه، كما تأمر بذلك الدسقولية وتعاليم الرسل القديسين - هذا القداس الذى حضرته جموع كثيرة والأساقفة والكهنة وكبار المسئولين فى الدولة، وعلى رأسهم الامبراطور العابد التقىّ هيلاسيلاسى الأول، وكان طوال وقت خدمة القداس واقفاً يُصلى.

---

(١) كُتب فى ٩ من فبراير ١٩٩٣م - ٢ من أمشير ١٧٠٩ش.
ونشر بمجلة مدارس الأحد - السنة ٤٧ - عدد ٣ - ص ٤، ٥ - عام ١٩٩٣م.

ولقد عبرّ جلالته عندما زرناه فى قصره الملكى عن تأثره العميق بخدمة القداس، حتى صرّح قائلاً إنه قد استمتع روحياً بالقداس وأحس أنه فى السماء لا على الأرض. حقاً طوبى لشعب عطبرة وأم درمان والنوبة، لأنهم استمتعوا بقدّاساتك وصلواتك هذه السنوات الطوال، لأنك حقاً رجل صلاة وعبادة. وقُدّاسك فى لحنه وطقسه سيمفونيّة روحانية سمائية، تجذب إنتباه الملائكة والقديسين المنتقلين والأحياء.

ولقد شرفتُ وتباركت بالخدمة معك فى أم درمان، بدعوة من نيافة الأخ الحبيب الحبر جزيل الإحترام الأنبا دانيال مطران كرسى الخرطوم والجنوب وأوغندا، ومن قداستكم أيضا، وذلك فى مناسبة صوم العذراء فى أغسطس لسنة ١٩٨١.

وفى كل المناسبات، التى التقينا فيها معاً سواء فى السودان أو فى القاهرة حيث تزاورنا كلّما أتيتم إلى القاهرة، وأذكر جيّدا زيارتكم الأخيرة المباركة فى مقر الأسقفية بدير الأنبا رويس ... فى كل هذه المناسبات واللقاءات كانت محبتنا تتوقَد وتتوهَّج روحياً بكل ما فى الإنسجام والتوافق من معنى ..

على أننى قد علمت عنك من بعض أحبائنا وأحبائكم ممن زارونى بمناسبة نياحتكم ورحيلكم، أدلة ناصعة وبينات دامغة وقاطعة على أنكم قد نموتم فى الفضيلة والروحانية، إلى درجة عالية، أسعدتنى جداً، فقد أضافت إلى معرفتى بك، وعنك، مازادنى إيمانا بقداسة سيرتك، وأنك كنت تحيا فى عالم الروح وأنت على الأرض. وفى يقينى أنَّ المعلومات الجديدة التى أضافها إلىّ أحباؤكم أسعدتنى وهى تُثَبِّت الإيمان فى قلوب المؤمنين بمسيرة السمائيين، وبالتالى أقول، بملء فمى، وقلبى أنكم كنتم ومازلتم تُمجدّون الله، وقد زيَّنتم تعاليم ربنا ومخلِّصنا يسوع المسيح بسيرتكم وقدوتكم.

والآن، وقد أنجزتم رحلتكم الأربعينية محاطاً بالملائكة ومصحوباً بالقديسين من الأساقفة والكهنة وأهل بيت الله السماوى - أدعوكم أيها الرُّوحانى والطوباوى الأنبا اسطفانوس، وقد دخلتم فردوس النعيم منذ اليوم الأربعين لرحيلكم من عالم الأرض، أسألكم بإلحاح، أن تذكرنا ولاتنسانا فى صلواتكم أمام الرب، وفى محضر القديسين والصديقين وفى لقاءاتكم السعيدة معاً، ومع سيدتنا كلنا وفخر جنسنا العذراء الطاهرة مريم، والقديس مارمرقس الرسول الإنجيلى وجميع الرسل وخدّام الإنجيل والمذبح.

وإلى اللقاء، أيها الحبيب والشريك فى الرهبنة، والخدمة الرسولية.

ولعظمته تعالى الشكر، والمجد والتسبيح والحمد والسجود، إلى أبد الآبدين آمين.

ثانيا: آباء كهنة

القمص إبراهيم لوقا[1]

مثال من مثل النزاهة والكرامة فى أسمى مجاليها، وعينه من أبرز عينات الشخصية القوية فى أوضح معانيها، بل علم من أعلام كنيستنا المبرزين فى القرن العشرين .. قلب على قدر ماوسع من أنبل العواطف وأسمى المشاعر الحية، اتسم بالبساطة والرقة. وعقل راجح واسع شمل كثيراً من علوم الدين والدنيا، بل هو آية من آيات النبوغ والعبقرية. فكان من دون شك قائداً من قادة الفكر الممتازين الذين يحتكم إليهم فى الملمات وحل المشكلات.

دعى إلى الكهنوت فى أحلك الأيام وأعتمها فأنار بعلمه وفضائله كثيرين، وامتد نور جهاده المبرور فاستنار به كثيرون من غير من أقيم كاهناً لهم، عن طريق عظاته النارية الخالدة، وعن طريق مجلة اليقظة الغراء التى أخذ يحرر فيها بهمة فذة، أنفس العظات وأقيم البحوث.

وإذا تكلمنا عن القمص ابراهيم لوقا كمحرر دينى، فإنما نشهد عن كفاءة نادرة المثال، وموهبة عالية فائقة فى البحث المتزن الرصين، الذى يدل على رسوخ فى العلم ومقدرة على التدليل والبرهنة والإقناع، لم يكن ناقلا أبداً، بل كان يكتب عن أصالة فى الفكر. وسعة فى العلم ومنطق فى البرهنة. ولكم أفاد جداً فى كل ما كتب سواء فى الوعظ أو التعليم أو التفسير، أو الأخلاق، أو الاجتماع، أو الإصلاح، ولقد ناضل عن قوانين الكنيسة نضالا لا يبارى، وكان ينشر بحوثاً منظمة فى هذه القوانين مطالبا بوجوب تنفيذها، مما كان له أثر كبير فى إيقاظ وعينا القبطى تجاهها.

وأما فى اللاهوت والعقائد والطقوس فإنى أؤمن أنه فى قمة من دافعوا عن حقائقها، فى القرن العشرين، دفاعاً كله سلامة، وكله إيمان، وكله قوة. ولاشك أنه علّم الجاهلين وثبّت المؤمنين، وأقنع المارقين ورد كثيرين من الناقدين الثائرين.

رحم الله هذا الكاهن العف النبيل، وعوض الكنيسة به خير المخلصين، وألهم العزاء للأسرة والمحبين.

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد - السنة ٦ - عدد١ - يناير ١٩٥٢م

الإيغومينوس ميخائيل مينا[1]

إن وفاته خسارة كبيرة لكنيستنا المجاهدة، وهى فى حاجة ملحة إلى فعلة أمناء من نوع ممتاز تجمل بالمعرفة والفهم والغيرة وحرارة الحب الإلهى.

وضع الأيغومينوس ميخائيل مينا موسوعة لاهوتية فى ثلاثة مجلدات سد بها فراغاً كبيراً ملحوظاً فى المكتبة القبطية، وقد عالج فيها مشكلات الإيمان بصبر الباحث المدقق، ومعرفة لا تتوافر إلا لقلة من ذوى الإطلاع الواسع والمقدرة على العمل المتواصل. كما شرع فى تفسير العهد القديم وأنجز بعضاً منه، فأعان فى هذا الميدان بجهد ممتاز كنا نرجو أن يطيل الله حياته لإتمامه حتى تنتفع الكنيسة بثمراته.

أدار مدرسة الرهبان اللاهوتية وعَلّم فيها وقد تخرج على يديه عدد كبير من الآباء الرهبان الذين رسم بعضهم أساقفة فى إيبارشيات الكرازة المرقسية. فساهم بنصيب وافر فى تثقيف الرعاة الذين اضطلع بعضهم ولا زال بعضهم يضطلع بمسئوليات الخدمة الرسولية.

هذا وقد تميز رحمه الله بمقدرة على الوعظ مشبعة، وكان دائماً تأثيره على جمهور المؤمنين عميقاً وروحانياً. لقد كان من القلة الذين يجمعون بين المقدرة على التأليف والمقدرة على الوعظ معاً.

لقد كان شخصية بارزة بما أكتمل لها من صفات العلم وإمكانيات الخدمة القوية.

إننا نصلى أن يرحم الله نفسه فى يوم استعلان ربنا يسوع المسيح، وأن ينال من رئيس الرعاة إكليل المجد الذى لا يفنى، وباسم الكلية الإكليريكية ومدارس الأحد نتقدم بأخلص العزاء إلى أسرته الكريمة كما إلى حضرات أصحاب النيافة المطارنة والآباء الرهبان من تلاميذه وإلى هيئة التدريس بمدرسة الرهبان اللاهوتية، وإلى جميع من انتفعوا بسيرته وعلمه.

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد - السنة ١٠ - عدد ٨ - اكتوبر ١٩٥٦م.

القمص بطرس عطا الله الجوهري[1]
فى ذكرى الأربعين لوفاته

فى هذه المناسبة الكريمة، وفى هذه الذكرى الخالدة لحبر من أحبار الكنيسة يحلو لنا أن نردد كلمات الوحى الإلهى على فم يشوع بن سيراخ فى الفصل الرابع والأربعين من سفره: «لنمدح الرجال النجباء، أباءنا الذين وُلدنا منه» (٤٤:١).

إننا ما اجتمعنا اليوم لنرثى القمص بطرس الجوهرى، وإنما اجتمعنا اليوم لنتعزى بسيرة هذا الرجل الطاهرة، ولنتعلم منه، كأب جليل خدم الكهنوت خدمة كاهن أمين، وعبد صالح لسيده المسيح.

اجتمعنا لنمدحه بعد أن خرج من الجسد، فقد قال الكتاب المقدس فى سفر يشوع بن سيراخ «لا تغبّط أحداً قبل موته» (١١: ٣٠).

اجتمعنا لنجتر سيرة القمص بطرس الجوهرى، ولنتذوق من هذه السيرة حلاوتها، ولنتعلم من سيرته دروساً فى كيف تكون خدمة الرجل، الرجل الذى عاش فى الحق كأسد، وفى حياته كحمل، وفى الطيبة المسيحية الطافحة على وجهه مثلاً من مثل الإخلاص والتفانى والصدق والأمانة والنزاهة، والكرامة.

اجتمعنا لأنه يحلو لنا أن نقلب صفحات هذا الكتاب الكريم الثمين الذى دون سيرة حياة هذا الكاهن الأمين، هذا الكتاب الذى سيفتح كاملاً فى يوم الحشر والنشور ليقرأ أمام الجمع غير المحصى من القوات السمائية وجماهير الناس جميعاً منذ آدم إلى يوم الدين، يوم أن يقف هذا الكاهن على يمين الملك مع أولئك الذين يقول الملك الديان لهم:

«تعالوا أيها المباركون من أبى لترثوا الملكوت المعد لكم منذ إنشاء العالم» (متى ٢٥: ٣٤).

هذا الرجل الذى ودعتموه أيها الشعب الوفى منذ أربعين يوماً، نذكره اليوم فى الأربعين من نياحته وقد سجد أمام العزة الإلهية سجود الخادم الأمين، فأمر له الرب بموضع راحة مؤقتة إنتظاراً ليوم الجزاء العظيم، يوم أن تنشر صفحات تاريخ حياته بين الأفاضل والقديسين فى يوم عينه الرب ليدين فيه الأحياء والموتى.

---

(١) كتب فى الأول من أبريل١٩٧٤م - ٢٣ من برمهات ١٦٩٠ش.

من هو هذا الرجل الذى ترون صورته موضوعة أمامنا للذكرى، وللعبرة والعظة؟ إنه الإيغومينوس الأول لهذه الكنيسة التى نحيى فيها ذكراه، كنيسة الأنبا أنطونيوس بشبرا.

إنه الكاهن الذى على أكتافه بنيت هذه الكنيسة. إنها أقيمت بفضل صبره وكفاحه ونضاله وجهاده، وبصلواته، وخدماته.

كانت كنيسة الأنبا أنطونيوس - على ما أعلم - ثالث كنيسة شيدت فى حى شبرا، بعد كنيسة العذراء مريم بشارع مسرة، وكنيسة مارجرجس بشارع خمارويه.

ويمر الآن بذاكرتى فيلم طويل عن حياة القمص بطرس عطا الله الجوهرى - منذ أن كنت أنا شاباً صغيراً وطالباً بالسنة الأولى بالكلية الإكليريكية - أذكر أن القمص بطرس الجوهرى لم يكن، فى ذلك الوقت، كاهناً لكنيسة الأنبا أنطونيوس وحدها، وإنما أشهد أنه كان حبراً معلماً فى شبرا كلها وأباً لكثيرين صاروا رجالاً، ومنهم من أصبحوا كهنة.

ولقد اعترفت رئاستنا الدينية بفضل القمص بطرس وأبوته الروحية لكثير من كهنة القاهرة، وشيخوخته الصالحة فى خدمة الكهنوت بأمانة وكرامة، فخلع عليه البابا كيرلس السادس، بنطق بابوى رسمى سام، لقب «عميد كهنة القاهرة». فكانت هذه الخلعة من بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية شرفاً وتكريماً للرجل الذى خدم جيله بهمة وغيرة مقدسة وصار له فى الكهنوت أبناء وأحفاد. وكان هذا التكريم من رئيس الكنيسة الأعلى تشجيعاً للشباب من الكهنة والخدام، ليمضوا هم أيضاً فى خدمة الكهنوت محتملين صابرين صامدين، عالمين أن لهم جزاء فى الملكوت.

وحقاً كان القمص بطرس الجوهرى «عميداً لكهنة القاهرة» بلا منازع. وللكهنة أن يتشرفوا بأن يكون القمص بطرس الجوهرى عميدهم لأن فيه تتجمع وتتمثل صفات الكهنوت السامية: فقد كانت سيرة القمص بطرس الجوهرى سيرة عطرة، وسيرة نظيفة شريفة ومشرفة، سيرة الكاهن الغيور الملتهب حماسة ومحبة والمتهافت والمشتعل غيرة على مجد الله وخلاص النفوس، ورفعة كنيسة الله الأرثوذكسية.

حتى فى آخر أيامه، وفى سنوات حياته الأخيرة، لم يكن يشفق على نفسه وعلى صحته فى سبيل خدمة سيده.

أذكر فيما أذكر من أعمال نشاطه أننى منذ نحو خمسة عشر عاماً تقريباً، وقبل أن أرسم أسقفاً أو قسيساً وكنت راجعاً ليلاً من الكلية الإكليريكية بدير الأنبا رويس أنى إلتقيت به فى ميدان باب الحديد ينتظر الترام الذاهب إلى شبرا. كان الزمن شتاء، والوقت الساعة الثانية عشرة ليلاً، وكان البرد قاسياً، والهواء عاصفاً وشديداً. ورأيته واضعاً على أنفه وفمه منديلاً يمسكه بيده إتقاء للبرد. فتقدمت نحوه، وحييته، وكل الإشفاق فى قلبى رحمة بصحته. وقلت له: أين كنت ياأبانا، وكيف تأخرت إلى هذا الوقت، عن العودة إلى بيتك، لا سيما فى هذا البرد القارس؟ فأجاب، رحمه الله: «لقد كنت فى زيارة لأحد أولادنا من شعب الكنيسة».

وكان القمص بطرس الجوهرى يهتم بافتقاد أبناء الكنيسة. ولم تكن زيارته للأسرة المسيحية تلك الزيارة السريعة العاجلة العابرة، بل كان منهجه دائماً أن تكون زيارته زيارة راعوية كاملة، زيارة فاحصة يسأل فيها عن أحوال أعضاء الأسرة جميعاً، يسأل عن سلامتهم واحداً واحداً، ويناقش الكبار والصغار فى مواظبتهم على حضور القداس وخدمات الكنيسة، ومواظبتهم على سرى الإعتراف والتناول، ويتأكد من حضور الأطفال لمدارس التربية الكنسية، والشباب لإجتماعات الشباب، ويتثبت من عماد الأطفال، ومن ممارسة جميع أفراد العائلة لواجبات الحياة الروحية من صلوات وأصوام وقراءة فى الكتاب المقدس والكتب الروحية، ثم يجيب عن أسئلتهم ويصغى إلى شكواهم، ويحل مشاكلهم، ويصالح بين المتخاصمين. وهكذا يقضى فى كل زيارة وقتاً كافياً، وربما تطول زيارته فى بعض البيوت إلى أكثر من ساعة، وربما ساعتين إذا اقتضى الحال بعد ذلك. فكان حقاً راعياً، وأباً وطبيباً، فإذا افتقد أولاده لا كمن يؤدى واجباً، بل كمن يهوى شعبه من كل قلبه، كراع صالح، وكأب حقيقى، كسيده المسيح.

أذكر - وكنت لا أزال شاباً صغيراً، وطالباً بالإكليريكية - أنَّ القمص بطرس الجوهرى كان أول كاهن فى شبرا وفى كل القاهرة ابتكر للافتقاد وسيلة كانت جديدة من نوعها، فطبع على ورق مصقول مقوى صورة خطاب موجز يوقع عليه كل فرد من الشعب يبتغى أن يزوره الكاهن، يكتب فيه اسمه بالكامل وعنوانه بالتفصيل، معلناً بهذا رغبته فى زيارة الكاهن له ولأسرته. وكان يجمع هذه الدعوات فى ملفات ويصنفها ويرتبها فى سجلات.

وإنى أحتفظ إلى الآن بصورة لهذه الدعوة منذ حوالى ٣٨ ثمانية وثلاثين عاماً.

وهذه وحدها دلالة على ما كان القمص بطرس الجوهرى يتصف به من اهتمام بواجبه الراعوى فى افتقاد شعبه، ودلالة على أنه كان يخطط، ويبتكر الوسائل التى يتمكن بها من أن يخدم سيده فى كنيسته خدمة روحية ناجحة على أساس سليم ومدروس.

ونتيجة لهذه الغيرة المتأججة فى قلبه لكسب جميع الناس إلى طريق السماء، وكمحصلة للخبرات التى اكتسبها فى افتقاد شعبه، كنت اسمعه يردد فى حرقة أن هذا الحى، أو هذه المنطقة التى تخدمها كنيسة الأنبا أنطونيوس تحتاج إلى عشرة كهنة. فقد إمتلأ قلبه غيرة ليربح الكثيرين لملكوت السماوات، وأحس أنه لا يستطيع أن يحمل عبء هذا الشعب كله، لذلك كان يريد أن يضم إليه عدداً من الخدام نظيره، فيكونوا جميعاً حملة مقدسة لغزو روحى لأبناء هذا الحى.

ولهذا أيضاً كان يحب الشباب ويهيب بهم أن يقدموا لله شبابهم وحياتهم وليعيشوا أطهاراً وأقوياء بالروح والنفس، كما هم أقوياء بالجسد، وكان يدعوهم للإنتظام فى حضور الكنيسة وخدماتها ليتشبعوا بتعاليمها ويرضعوا من ألبانها ويصطبغوا بصبغتها، وينتظموا أيضاً فى خدمتها. وكان أحياناً يشتد على المتقدمين منهم بل ويوبخهم ويعنفهم إذا رآهم متراخين، خصوصاً من يقوم منهم بخدمة مدارس التربية الكنسية، فكان يحثهم على الإشتراك فى التسبحة ومردات القداس، وفى تعلّم الألحان والمردات حتى يخدموا كشمامسة ومرتلين، فى الهيكل وفى خارج الهيكل، وليتولوا قراءات الفصول. وبالإجمال كان يشعرهم أن الكنيسة كنيستهم هم كشباب وأنهم لابد أن يتدربوا ، منذ الآن ليتسلموا الأمانة عن جيل الآباء.

ولذلك كانت كنيسة الأنبا أنطونيوس، ومازالت، من أفضل كنائسنا إعداداً للأطفال وللشباب من الجنسين ذكوراً وإناثاً، بل أشهد أنها كانت قبل غيرها النموذج والمثل الأعلى لخدمة التربية الكنسية، وقد ضمَّت أكبر جيش من الشباب والخدام، خدموا لا كنيسة الأنبا أنطونيوس وحدها، بل خدموا كثيراً من الكنائس التى أنشئت بعد كنيسة الأنبا أنطونيوس فى شبرا وغير شبرا من كنائس القاهرة، بل امتدت خدمتهم إلى بعض القرى المجاورة لمدينة القاهرة فضلاً عن ضواحيها. فكانوا، بمثابة جيش مبارك فى خدمة الملك المسيح.

وهنا، وفى هذا اليوم الذى نذكر فيه القمص بطرس الجوهرى، فى الأربعين لرحيله عنا، لابد أن نشير بالإعجاب وبالترحيم على الرجل الحكيم الذى قاد بتقواه وإيمانه بالشباب

كل ذلك الجيش من الشباب الخدام الذين غزا بهم قلوب الكثيرين من الصغار والكبار، فصاد للمسيح صيداً ثميناً وغنياً. ولقد احتمل القمص بطرس الجوهرى فى قيادة هذا الجيش كثيراً من المعاناة والتعب، وبذل الكثير من الجهد والعرق والدموع مما أضنى صحته، ولكنه ولاشك كان سعيداً بهذا العناء، بل كان الجهاد فرحاً لقلبه، وغذاءً لروحه وشفاءً لأمراضه لأنه كان يعلم أنه ينال بهذا الجهاد شرف العمل مع سيده من أجل إمتداد ملكوته على الأرض.

ولا يفوتنى فى هذا اليوم أن أذكر للقمص بطرس الجوهرى حبه للإكليريكية، كإكليريكى أصيل عرف رسالة الإكليريكية وآمن بها وأحبها وتعلق بها. لذلك كان إذا رأى إكليريكيا كان يفرح به ويطمئن إليه فى تعليم الشعب، ويفسح له المجال فى الخدمة ويدعوه للعمل بحرارة وقوة. ولذلك كانت تزكيته هى التى شجعت الأب المحترم الوقور القمص إبراهيم عطية ليرسم كاهناً فى هذه الكنيسة زميلاً له فيها، وكان فرح القمص بطرس الجوهرى بهذه الزمالة المشرفة كبيراً، وكذلك بزميليه الآخرين أيضا الإكليريكيين.

كان القمص بطرس الجوهرى يذهب إلى الإكليريكية بغير دعوة. كنا نراه بيننا من غير أن يدعوه أحد، لأنه كان يشعر أن الإكليريكية هى بيته ومكانه الطبيعى، بل أشهد أنه ما كان يقوى أن يعيش بعيداً عن الإكليريكية طويلاً. كانت قدماه تتحركان نحوها، ربما لا شعورياً، لأن قلبه كان فيها، وكان معها فى تجاربها وآلامها.

كان يقصد إلى الإكليريكية ويردد فيها ذكرياته. كان يدخل معنا فى حديث غير متكلف، يتكلم عن ذكريات الماضى، فكان حديثه مثيراً ومعزياً ومقوياً ومشجعاً للأساتذة وللطلبة جميعاً.

ومما كان يذكره، ومما لا أنساه، على الرغم من عدد السنين التى خلت، خبرته فى خدمته السابقة فى الصعيد، وقبل أن ينتقل إلى القاهرة ليكون كاهناً لكنيسة الأنبا أنطونيوس، كان يعظ فى بلاد الصعيد وخصوصاً فى قوص ونقادة. وكان الوعاظ فى زمنه قلة نادرة. وكان الشعب يتعطش لسماع كلمة الله بشوق ولهفة. وكان القمص بطرس ينتقل كملاك من السماء من حى إلى حى من أحياء المدينة ومن منطقة سكنية إلى أخرى. حتى إنه - على ما كان يقول لنا - كان يلقى من العظات والدروس فى بعض أيام الآحاد - على الكبار والصغار - فى الكنيسة وفى أحياء المدينة وفى القرى المجاورة، نحو اثنتى عشر عظة أو درساً.

يالهذا الصبر! ولهذا النشاط! لقد كان القمص بطرس خادماً نادراً المثال فى حماسته وغيرته، وصبره الطويل على العمل المتواصل فى خدمة النفوس التى اشتراها المسيح بدمه.

من منا يستطيع أن يحصى الخير الذى أسداه القمص بطرس الجوهرى لهذه الكنيسة. وأنا لا أقصد كنيسة الأنبا أنطونيوس وحدها، وإنما أقصد كنيستنا القبطية الأرثوذكسية فى طول البلاد وعرضها.

من منا، وأنا منكم، لم ينتفع بهذا الرجل المكافح؟

من منا لم ينتفع بكلماته، وعظاته، ودروسه؟

من مِنَّا لم ينتفع بحكمته وخبرته وغيرته؟

من منا لم ينتفع بسيرته؟

كان نموذجاً متحركاً حياً، يتطلع إليه الإنسان فيتعلم منه ...

قلت إننا لم نأتِ هنا لنرثى الرجل. إنما أتينا لنجتر حلاوة سيرته.

عندما يرحل عنا رجل نافع نتكلم عنه كلاماً مناسباً يعبر عن احترامنا له وتقديرنا لسيرته، فما هو الكلام الذى يناسب حياة القمص بطرس الجوهرى وسيرته، وقيمته؟

إنه أب، وأب رفيع فى مقامه، وفى طرازه، وفى تعليمه، وفى كفاحه ونضاله، وفى خدمته وجهاده.

أيها الأب الجليل، والكاهن الأمين!

كل كلام يُقال فيك أيها الأب الجليل والكاهن الأمين! قليل بالنسبة لما تستحقه.

أنت تستحق كل تحية وكل تقدير.

بل أنت أكبر وأرفع من كل تحية وكل تقدير.

لقد سكنت موضع الراحة المؤقتة. ولعلك من مقرك العالى تتطلع إلينا وتنظر من هناك بل لعلك حاضر معنا الآن!

فنحن لا نؤمن بالموت بمعنى الفناء والعدم.

إننا نؤمن أنك رحلت عنا، وغيابك هو مجرد رحيل، وسفر إلى العالم غير المنظور منا نحن الذين فى عالم الشهادة والحس.

وإذا كنا قد أسفنا على رحيلك عنا، فليس أسف الذين لا رجاء لهم.

إن كنا قد أسفنا لفراقك، فهوا أسف العاطفة، التى فى قلوب الأبناء نحو الأب الذى فارقهم إلى حين. على أننا نؤمن أنك خالد، ... خالد فى العالم الباقى، ... وخالد فى العالم الحاضر أيضاً.

لقد قال المسيح له المجد «سعداء هم الودعاء، فإنهم سيرثون الأرض» (متى ٥: ٥). فالودعاء سوف لا يرثون السماء فقط، بل سيرثون الأرض أيضاً ... فأنت أيها الأب وارث للأرض مع أنك عشت فقير ولكنك بنعمة الله استغنيت، وأغنيت كثيرين. وما زالت شجرة حياتك حية تطرح أثماراً. ومازالت الثمار تسقط على الأرض من شجرة حياتك، فتلد من جديد أثماراً أخرى جديدة ... وإذن أيها الكاهن الفقير صرت مع فقرك تغنى الكثيرين، ولسوف تغنى الآخرين، ومع ذلك فعلى الرغم من فقرك سترث الأرض لأن اسمك قد صار خالداً على أفواه الكثيرين، ولأن شجرة حياتك أثمرت ومازالت مخضرة تطرح أثماراً تنتشر فى الأرض كلها. فامتد عملك وصار لك فى الأرض تلاميذ، أصبحوا امتداداً لشخصيتك وحياتك ومبادئك ...

إننى لم أكن بين الذين ودّعوك فى يوم رحيلك من عالمنا المنظور، فقد كنت فى مهمة دينية فى الخارج. إلا أننى علمت بعد رجوعى إلى القاهرة أن الشعب والكهنة ودعوك فى ذلك اليوم وداعاً حاراً.

ودعك الكهنة والشعب بحرارة الحب والاحترام، كأب وزعيم، وقائد، ومرشد، ورائد، وراع، وكما خلع عليك البابا كيرلس السادس «عميد كهنة القاهرة».

علمت بهذا الوداع الحار، ولم أعجب فإنك جدير بهذا الوداع الحار، وبهذه المشاعر الجياشة. ولكن لذَّ لى حقاً أن أسمع من أولادك بالجسد ومن أعضاء أسرتك من لحمك ودمك أنهم فى ذلك اليوم بهتوا، ونسوا أنفسهم ومشاعرهم وأحزانهم أمام مشاعر الكهنة والشعب، بل لقد ذابوا فى وسط بحر من عواطف الإكليروس والشعب، ولم يحسوا أن الذى رقد فى ذلك اليوم أبوهم وحدهم وإنما هو أب لأسرة كبيرة ضخمة، أبو الكهنة والشعب ... وكأنك «بطريرك» إذ أنت أب لآباء. فأنت وإن لم تكن غير كاهن فى رتبة إيغومينوس من

جهة الكهنوت، لكنك كاهن بطريرك بالمعنى الاشتقاقى لكلمة بطريرك، لأن أبناءك هم آباء لأبناء كثيرين ...

وكأنك فى يوم رحيلك كنت فى حفل زفاف. بل لقد كان حفل توديعك هو بالفعل حفل زفاف. لقد خرجتَ من الجسد، وأُطلق سراحك من السجن إلى يوم الراحة، فكيف لا يكون هذا اليوم يوم فرح؟ وكيف لا يفرح معك الذين عرفوا جهادك وقدروا كفاحك وخدمتك.

أيها الإيغومينوس الجليل!

إننا نذكرك اليوم، لنحييك، ونبعث إليك التحية الصادقة خالصة من القلب، تقديراً لك أيها الكاهن الأمين.

لن نعزى فى هذا اليوم إنساناً!

ولماذا نعزى ونحن نحتفل بالإنعام عليك بالترقية التى نلتها!

كيف نبكى فى يوم تتويجك!

لقد اجتمعنا فى حفل زفاف لنشارك أسرتك أفراحها، ومسرتها، والشرف الذى أحرزته بسببك لأنها أسرتك، وليست هذه الأسرة هى أعضاء لحمك ودمك وحدهم، بل الأسرة بمفهومها العريض، هى أسرة الأنبا أنطونيوس، بل أسرة الإكليروس كله، بل أسرة الكنيسة القبطية بأسرها.

لقد اجتمعنا لنشارك الكنيسة كلها تكريمها، بترقية الكاهن الأمين الذى رفعه الرب إليه «وحيث أكون أنا، فهناك يكون خادمى» (يوحنا ١٢: ٢٦).

«ومتى ظهر رئيس الرعاة، تنالون إكليل المجد الذى لا يذوى» (١.بطرس ٥: ٤).

ولإلهنا السجود والعبادة والسبح دائماً إلى الأبد. آمين.

الإيغومينوس ميخائيل إبراهيم[1]
قديس فى زماننا ولزماننا

الإيغومينوس ميخائيل إبراهيم كاهن كنيسة مارمرقس بشبرا كنت أراه، وأرى فيه وجه قديس، عيونه وملامحه وسحنته كلها تنطق بقداسته. مشيته وحركاته وكلماته وتصرفاته تتكلم عن قداسته ...، تتكلم فى صمت، لكنها تضىء بنور سماوى تكشف حقيقة ما انطوت عليه نفسه وروحه من سيرة ملائكية، وحياة شاخصة فى الإلهيات والسماويات.

كان رجل صلاة وعبادة، وتقواه تقوى عميقة، وعن إيمان شديد، وحب عظيم، ورجاء لا يخيب ... كانت العبادة له طعاماً، بل كانت له شبعاً وسروراً ونعيماً وسعادة ... كانت الصلاة له طعاماً، وكان الصوم له عيدا وفرحاً، وكان عنده العطاء للمساكين عطاءً لله، وكنزاً فى السماء ..

وعلى الرغم من أن دموعه كانت تسيل بغزارة عن حب وحنان بالخطاة، لكنه كان مثلاً عالياً ونموذجاً نادراً فى إحتمال التجارب والآلام التى تقع على شخصه ..

عندما توفى ولده الضابط الطبيب، إبراهيم، احتمل الألم بصبر عجيب، نادر بين الناس. ذهبت لأعزيه، فعزانى .... روى لى أنه بينما كان ولده فى لحظاته الأخيرة، وكان الأب القديس جالساً إلى جواره، غفلت عينه، فرأى روح ولده صاعدة مع أحد الملائكة، وحينئذ فتح عينيه ورأى ولده يفارق الحياة فلم يضطرب، ... بل خضع لمشيئة الله مطمئناً، وسعيداً بمصير ابنه الذى حملته الملائكة إلى حضن إبراهيم ... كان يروى قصة خروج روح ابنه وهو ثابت الجأش، وقد ارتسمت على محياه علائم الرضى بالمصير، فقد كان أهم ما يعنيه أن يطمئن إلى مصير ولده بعد الموت. فلما رأى بعينيه الملاك وقد صعد بروحه، نزل على قلبه برد وسلام، مؤمنا بيقين أن ولده قد زف إلى السماء عريساً، وقد أنعم الرب عليه بترقية عظيمة، فقد ارتقى من الأرض إلى السماء، على سلم شبيه بسلم أبينا يعقوب أبى الأسباط.

جميع الناس الذين ذهبوا ليعزوا المتنيح القمص ميخائيل إبراهيم فى وفاة ابنه أذهلهم صبر الرجل، وكثيرون بكوا تأثراً من صبره وإيمانه وعمق تقواه، وبخاصة إذ رأوه يصلى بنفسه على ولده، ثم يقيم القداس على روحه بعد ذلك.

---

(١) كتب فى مارس ١٩٧٥م.

هذا هو الكاهن الذى زين بسيرته تعاليم سيده المسيح، وعاش حياة الإيمان المسيحى ومارسها ممارسة ملكت كل نفسه وقلبه ووجدانه وحواسه الباطنة والظاهرة.

هذا هو الكاهن المعلّم بسيرته ومثاله قبل كلامه وأقواله، .. وقد عبر الهوة بين القول والعمل ... فكان عمله برهان قوله ... وكان قوله دليل عمله.

هذا هو الكاهن الذى قاد عشرات ومئات من الشباب، ذكوراً وإناثاً، قيادة روحية أمينة نادرة، وبروح الأبوة الحانية، وكان راعياً لمئات من الأسر والعائلات التى اتخذته قائداً ومرشداً ومعلماً وأباً .. كما كان كذلك أباً لعدد من الكهنة ورجال الدين ... وجميع من تتلمذوا على روحانيته اطمأنوا إلى حسن إرشاده وتوجيهه، ولازموه منذ أن عرفوه سراجاً لحياتهم.

رحم الله القمص ميخائيل إبراهيم، ألف رحمة .. صلاة تنطق بها أفواه الألوف، ممن لمسوا قداسة سيرته، وحلاوة مسيرته، واستناروا بقدوته ...

«ومتى ظهر رئيس الرعاة، فحينئذ سينال إكليل المجد الذى لا يذوى» ...

الرب يعيننا كما أعانه، ويكمل بمسرته مسيرة حياتنا فى مخافته، له المجد والسبح والشكر دائما.

القمص غبريال بولس
حياة غنية بالخدمة الوطنية(١)

ولد القمص غبريال بولس فى ١٣ من يوليو عام ١٩٢١، ورحل إلى عالم الخلود فى ٩ من يوليو عام ١٩٧٦، هى مدة خمس وخمسين سنة فقط عاشها بيننا، قصيرة جداً لكنها مع ذلك كانت حافلة بنشاط كبير.

رسموه قسيسا فى حياة والده المتنيح طيب الذكر القمص بولس، وأذكر جيداً هذا اليوم لأننى كنت من بين الذين شهدوا حفل سيامته. وتقدم الكاهن الشاب فى العلم والمعرفة والخبرة، ونما عوده، وتفتحت مواهبه، وتزايد فى النشاط والحركة والعمل على مدى سبعة وثلاثين عاماً قضاها فى خدمة الكهنوت.

ولقد تربى فى بيت كريم، من سلالة كهنوتية عريقة، مارسوا الخدمة الروحية وتمرسوا فيها، فصارت تجرى فى عروقهم - وأذكر من بين أشقاء الراحل العزيز الأستاذ الشماس بشارة القمص بولس الذى كان مدرساً بالكلية الإكليريكية لمدة طويلة قبل أن يتوفاه الله فى سن صغيرة كشقيقه، وكذلك شقيق آخر هو المرحوم الإكليريكى مكارى وتوفى هو الآخر فى سن أصغر.

ولقد ورث القمص غبريال بولس من بين ماورث من صفات المتنيح والده، شهامته وجرأته وشجاعته وصراحته فيما يعتقد أنه الحق، ولقد أذكى الكهنوت فيه هذه الفضائل، فصار القمص غبريال كاهناً معروفاً بإستقلال الشخصية، وصراحة القول، وشجاعة التصرف، فلم تلن له قناة فيما كان يؤمن به، ولم يعرف النفاق والرياء، بل عاش كريماً مرفوع الرأس، عالى الهمة، أبياً، شجاعاً. وجريئاً، صاحب مروءة وشهامة، وخدمة.

ولقد تربى فى أحضان أب عاش صديقاً للمسلمين كمواطنين، وأحبهم وأحبوه، وفتح كنيسة العذراء بحارة الروم معقلا للوطنية الصادقة، فكانت ملاذاً للوحدة الوطنية بين الأقباط والمسلمين، ولطالما عقدت فيها إجتماعات وطنية، توحدت فيها كلمة المصريين جميعاً، كشعب واحد تقلهم أرض واحدة، هى أرض مصر الغالية، يعشقون نسيمها ونيلها وسماءها وهواءها ويخلصون لماضيها وحاضرها، ويعملون لمستقبلها.

---

(١) كتب فى ٣١ من يوليو ١٩٧٦م - ٢٤ من أبيب ١٦٩٢ش.

تنسم القمص غبريال بولس نسيم هذه المحبة والألفة بين المسيحيين والمسلمين، وعاش فى جو هذه الوحدة الوطنية الجامعة، فنمت معه بنموه فى الطول والعرض، وامتدت أصولها فتأصلت فى أعماقه، وصارت تجرى فى عروقه، حتى أصبحت فى كيانه عقيدة روحية انعقدت عليها نفسه، وارتبطت بحياته، فصارت له رسالة آمن بها وعاش فيها ومن أجلها.

وفى هذا المناخ الجميل تدعمت علاقاته الوطنية والروحية برجال الثورة جميعا، فأحبوه وأكرموه وأولوه ثقتهم. ويوم أن ذهب المتنيح قداسة البابا كيرلس السادس على رأس وفد كبير من مطارنة الكنيسة وأساقفتها وكهنتها لتأييد ترشيح الرئيس المحبوب أنور السادات لرئاسة الجمهورية، فبعد أن ودع الرئيس السادات قداسة البابا الراحل أكرم توديع، أبصر القمص غبريال بولس. وفى هذه اللحظة تعانقا عناقاً حاراً طويلاً دل على ما للقمص غبريال بولس من مكانة مرموقة فى قلب الرئيس السادات.

ومن آيات الثقة فى القمص غبريال بولس، أن أُختير منذ بدأ مشروع الثورة فى مديرية التحرير، وعين المستشار الدينى للمديرية، وقد تمكن القمص غبريال من إنشاء كنيسة باسم الملاك غبريال بقرية عمر شاهين. وقد صارت هذه الكنيسة مركزاً لتجمع الأقباط فى المديرية. لحضور القداسات والعظات وكل ضروب النشاط الدينى، بما فيها فصول للتربية الكنسية للأطفال والشباب.

وكان القمص غبريال بولس يحرص على دعوة آخرين من زملائه الكهنة لإقامة القداسات والعظات بالكنيسة. ولقد كنت من بين الذين دعاهم لأداء هذه الخدمة المقدسة، ولقد سرنى جدا أن تكون للأقباط كنيسة فى مديرية التحرير، لخدمة الأقباط هناك، ولقد تنافس الأقباط المقيمون فى مديرية التحرير فى خدمة هذه الكنيسة، كل منهم فى دائرة عمله وإختصاصه، من المهندس إلى الطبيب إلى الصيدلى إلى العمال فى مختلف الحرف والصناعات، من نجارين إلى حدادين إلى نقاشين وغيرهم.

إن كنيسة الملاك غبريال بمديرية التحرير تدين بوجودها وقيامها وكل كيانها الروحى والإجتماعى، للقمص غبريال بولس الذى خدم فيها بنفسه، وقدّس ووعظ، وعلّم بالأخوة والمحبة بين الجميع، وكان المستشار الدينى للمديرية، كما كان القائد الروحى للأقباط فى جميع القرى التابعة لمديرية التحرير.

تحية لهذا الرجل، على هذه الخدمة المباركة التى لن ينساها له التاريخ، ولن ينساها الله له «لأن الله ليس بظالم فينسى عملكم وتعب المحبة التى أظهرتموها نحو اسمه إذ قد خدمتم القديسين» (العبرانيين ٦: ١٠).

فى كل عمل روحى وطنى، تجد القمص غبريال بولس يندفع إلى الأمام فى حماسة بالغة عن إيمان وعن حب، ولا ينتظر أن يدعوه لهذا الواجب أحد، بل يتقدم بوازع من ضميره الروحى والوطنى، ويدلى فيه بدور قيادى ناجح.

فى إبان إنعقاد مجمع الفاتيكان الثانى للكنيسة الرومانية الكاثوليكية، كانت وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح موضع دراسة ومناقشة من جميع المواطنين، مسيحيين ومسلمين، واهتمت بها الصحافة العربية فى مصر وكل بلاد الشرق الأوسط، فلما عدنا من روما بعد حضور الدورة الثانية للمجمع، عقدنا فى بطريركية الأقباط الأثوذكس بالأزبكية مؤتمراً صحفيا فى ١٩ من ديسمبر سنة ١٩٦٣، وألقينا فيه بيانا، وأجبنا على أسئلة الصحفيين، المصريين والأجانب ووكالات الأنباء، ثم عقدنا ندوة بقصر الثقافة بقبة الغورى فى مساء الأربعاء ١٦ من ديسمبر ١٩٦٤ دعت إليها مصلحة الإستعلامات التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد القومى، لمناقشة وثيقة الكاردينال بيا الخاصة بتبرئة اليهود من دم المسيح، اشترك فيها معنا القمص غبريال بولس، وفضيلة الشيخ الدكتور محمد فتح الله بدران أستاذ الدراسات العليا بكلية أصول الدين بالأزهر، وفضيلة الشيخ محمد الغزالى مدير المساجد بوزارة الأوقاف، وفضيلة مفتى حضرموت بالجزيرة العربية، والأستاذ الشاعر أحمد على المدير المساعد بمنطقة شمال القاهرة التعليمية، والأستاذ الشاعر محمد بدر الدين المدرس بالتعليم الثانوى، والسيد أحمد عمر هاشم الطالب بكلية أصول الدين. ولابد أن نذكر هنا أنه كان للقمص غبريال بولس، دور واضح ومهم فى الإعداد لهذه الندوة، والتحضير والدعاية فيها، والتنسيق بين المتكلمين.

وفى مساء الأربعاء ٣٠ من ديسمبر ١٩٦٤ أُقيمت ندوة أخرى بالقاعة المرقسية الكبرى بدير الأنبا رويس بالعباسية، دعت إليها بطريركية الأقباط الأرثوذكس لمناقشة وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح - وقد اشترك فيها معنا نيافة الأنبا شنودة أسقف المعاهد الدينية (قداسة البابا شنودة الثالث) ونيافة الأنبا أثناسيوس أسقف كرسى بنى سويف والبهنسا، وفضيلة الشيخ الدكتور محمد فتح الله بدران أستاذ الدراسات العليا بكلية أصول الدين

بالجامعة الأزهرية، والمرحوم المهندس يوسف سعد وكيل المجلس الملى العام. وكان للقمص غبريال بولس دور بارز فى الإعداد لهذه الندوة وفضل فى إنجاحها، يذكر له فيشكر.

وفى يوم الجمعة الموافق ٢١ من يوليو ١٩٦٧ - قام بعض رجال الدين من المسيحيين والمسلمين معا، بزيارة النازحين بمديرية التحرير، تعبيراً عن المحبة التى تجمع بين أبناء الوطن الواحد، وتجسيداً للنضال المشترك فى سبيل القضية الواحدة التى يدافع عنها كل فرد من عنصرى الأمة بغير تفريق بين مسيحى ومسلم. وقد تحركوا من القاهرة معا، ووصلوا إلى مديرية التحرير معا. وفى كنيسة رئيس الملائكة غبريال بقرية عمر شاهين بمديرية التحرير التقى الجميع. وبتكليف من قداسة المتنيح البابا كيرلس السادس أقمنا فى هذا اليوم قداساً اشترك فيه معنا القمص غبريال بولس بصفته كاهن الكنيسة والمستشار الدينى لمديرية التحرير، وحضره فضيلة الشيخ عبد الحكيم سرور مدير الشئون العامة بالأزهر ممثلا لفضيلة الأمام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الجامع الأزهر، والمونسنيور مونتريزى سكرتير سفارة الفاتيكان، وعدد كبير من رجال الدين مسيحيين ومسلمين، ومن جماهير الشعب بالمديرية. وأُلقيت بعد القداس كلمات روحية ووطنية ملتهبة من الجانبين تعبّر عن التضامن بين عنصرى الأمة وقادة الأديان بمصر فى سبيل خير الوطن، وصد العدو المغتصب، وتمثلت فيها جميعا الوحدة الوطنية التى تجمع بين المسيحيين والمسلمين. وبعد إنتهاء هذا الاجتماع بالكنيسة توجه رجال الدين المسلمون والمسيحيون معا إلى مسجد بدر. وبعد صلاة الجمعة اعتلى المنبر فضيلة الشيخ عبد الحكيم سرور، وألقى خطبة الجمعة، وأبرز موقف الدين الاسلامى من اليهود ولاسيما الصهاينة، ودعا إلى الجهاد ضد العدو الغاصب. وبعد الإنتهاء من خطبته دعانا فضيلة الشيخ عبد الحكيم سرور لإلقاء كلمة، فوقفنا فى قبلة المسجد، وارتجلنا كلمة فى نحو عشرين دقيقة. ولقد كان هذا اليوم يوماً مشهوداً فى تاريخ العلاقات المسيحية الإسلامية، فما أن إنتهت الكلمات حتى تصافح الجميع وقبل بعضهم بعضاً، وخرجوا فى مظاهرة روحية وطنية متعانقين يهنئون بعضهم بعضا.

وانتقلوا بعد ذلك فى مودة تفوق حدّ الوصف، متزاملين، متحابين لزيارة أماكن النازحين المهجرين من المناطق التى احتلتها الأعداء، وقد أنصتوا فى ألم بالغ إلى حوادث الغدر والكيد والسلب والإعتداء التى ارتكبها اليهود الصهاينة ضد المواطنين الوادعين، وسلبوهم كل شىء، ولقد تأثر هؤلاء النازحون بزيارة رجال الدين من المسلمين والمسيحيين، لهم،

وارتفعت معنوياتهم، وتصاعدت صلواتهم وتضراعاتهم إلى الله بالنصر القريب المؤزر من الله. وبعد أن قضى رجال الدين يوماً كاملاً فى هذا الجو الروحى الوطنى المشع بالود والحب والصفاء، وإذكاء الروح الوطنية فى جميع الناس، عادوا إلى القاهرة يحملون إلى الرياستين الدينيتين الكبيرتين، البطريركية القبطية ومشيخة الأزهر، تقارير مسهبة عن أمجاد هذا اليوم التاريخى العظيم فى تاريخ مصر والعلاقات المسيحية الإسلامية، والوحدة الوطنية بين المسلمين والمسيحيين، وإزداد الناس جميعا إيماناً بأهمية هذه اللقاءات المشتركة بين قادة الأديان من مسيحيين ومسلمين.

إن القمص غبريال بولس لم ينظم تلك الرحلة الناجحة فقط، ولكنه كان الجندى المخلص، والمحرك الروحى القوى، الذى لا ينسى فضله فيها، ودوره الحماسى، الذى يذكر أيضا فيشكر.

لقد خدم القمص غبريال بولس كنيسته وبلاده خدمات كثيرة ومتنوعة، وملأ بهذه الخدمات فراغاً كبيراً لم يكن ميسوراً لكثيرين من أمثاله أن يملأوه، ودفع عن كنيسته وبلاده شروراً كثيرة كان يمكن أن تحدث، وغذّى بهذه الخدمات مشاعر الوطنية بين عنصرى الأمة، فأنماها وأذكاها، ودعم بالمحبة والمودة والإخاء والتعاون والتفاهم، روح الصفاء والسلام بين أبناء هذا الوطن.

إننا نترحم على القمص غبريال بولس، ذلك الرجل النافع، الذى بذل من وقته وجهده الكثير فى سبيل خدمة المجموع البشرى، ونسأل له الجزاء الصالح المبارك من إله السماء، ونطلب لكنيستنا وبلادنا عنه العزاء.

القس بيشوى كامل[1]

القس بيشوى كامل راعى كنيسة مارجرجس باسبورتنج، فى الحقيقة أننى سمعت بنبأ رحيله، إنه فى الواقع نبأ حزين لا بالنسبة له، ولكن بالنسبة لحاجة الكنيسة إليه، والحقيقة إنه رجل عاش حياة الكاهن الطيب القديس، وخدم خدمة المسيح على صورة مرضية، وكان أمينا لله وأمينا للكنيسة المقدسة، الله ينيح روحه فى فردوس النعيم، أنا آخر مرة رأيته كان فى عيد الأنبا ابرآم ٩، ١٠ يونيو فى الفيوم، وأردت أن أطمئن عليه، فكان وجهه فى الحقيقة يدل على علائم الصحة، رغم أن صحته كانت مصابه بالضعف، حتى أنه كان عندما يمارس الصلاة بعدها مباشرة يخرج ليستريح. أنا ظننت أن هذا من تأثير الأدوية التى كان يأخذها، لكن الله نقله إلى العالم الأفضل والعالم الأحسن، وإذا كنا نحن نأسف ونحزن فهذا بالنسبة لحاجة الكنيسة إلى أمثاله من الكهنة، أما بالنسبة له فهو يُعّد ترقية له، أن ينتقل إلى العالم الأكثر سمواً ويستريح من أتعاب الجسد، خصوصا بعد أن يخرب الجسد ويصبح غير صالح، هنا يأخذ صورة أفضل وأحسن يتخلص فيها من الأمراض.

(١) فى عظة بمعهد الدراسات القبطية بالأنبا رويس فى ٤ من أبريل ١٩٧٩م - ٢٦ من برمهات ١٦٩٥ش.

القمص يوحنا حنا (١)

كاهن كنيسة أبى سيفين بحدائق القبة

بسم الآب والإبن والروح القدس الإله الواحد آمين.

«أنت الكاهن إلى الأبد على طقس ملكى صاداق»، هذا المزمور قيل عن المسيح له المجد. أنه هو الكاهن إلى الأبد. كهنوت ثابت لايزول، ويسوع المسيح هو رئيس كهنة العهد الجديد، رئيس الكهنوت الأعظم. ومن يُرسم كاهناً فكهنوت المسيح يُطبع عليه، ويدخل فيه، ويصير هو أيضا إمتداداً لكهنوت سيده. ومنه، ومن خلاله، توزع مواهب الروح القدس، وعلى يديه، وبصلواته، ينحدر الروح القدس بموجب القانون الإلهى، لأن الكهنوت ثابت لا يزول، ينحدر الروح القدس على العناصر فتتحول إلى جسد الرب وإلى دمه.

إننا فى هذا الوقت جئنا وكل هذا الزحام يعبر عن مشاعر هذا الشعب الأمين، نحو هذا الكاهن الأمين والراعى الصالح، الذى أخذ الكهنوت وتدشن به، فصار مقدساً، روحه مقدسه وجسده أيضا مقدس ... كهنوت ثابت لا يزول، فلا تقولوا إنه مات، إنه رقد، والراقد لابد أن يقوم، إنه تنيح، والتنيح معناه أنه استراح، استراح من أتعاب الحياة الحاضرة ومن مشكلاتها، استراح من المنغصات والمعطلات والمكدرات، لكنه لم يمت. جسده حاضر. أما روحه فحملتها الملائكة، تحملها إلى الأجواء العليا، لتتشوف فى العالم الآخر. وفى اليوم الأربعين تدخل إلى مقرها المؤقت، منتظرة اليوم العظيم الذى فيه يبوق رئيس الملائكة ميخائيل ليخرجها بحسب أمر المسيح. جميعُ الذين فى القبر يسمعون صوته فيخرج (جميلة كلمة «يخرج») يخرجُ الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة.

هذا الكاهن المقدس، انتقل فى هذا اليوم، رحل، سافر، لكنه لم يتوقف لا عن الصلاة ولا عن العمل، لأن كهنوته ثابت لايزول، إنه سافر ليكهن هناك أيضا، لأننا نؤمن أن عمل الكهنوت قائم هنا وهناك. فى الأرض، وفى السماء، فى الأرض، «لنا مذبح لا سلطان للذين يخدمون المسكن أن يأكلوا منه». لأننا جميعا كبشر نفتقر إلى الغفران عن خطايانا اليومية التى نصنعها كل يوم. لقد أقام الرب الكهنوت ليعزينا بأن هناك سبيلاً إلى الغفران. طالما أن هناك توبة، وطالما أن هناك صلوات مرفوعة، بخوراً يصعد أمام المذبح مبنى على إستحقاقات دم المسيح وكفارته الأبدية. وفى أورشليم السمائية، فى فردوس النعيم،

(١) عظة فى الجنازة - فى ٩ من يوليو ١٩٨٢م.

فى الملكوت هناك أيضا مذبح قائم. أمام العرش السماوى، إذن الكاهن الذى انتقل من هنا لا يتوقف عمله هناك، بل كما هو كاهن هنا يمتد عمل كهنوته هناك إلى الأبد. شفاعته قائمة، صلواته مرفوعة تندمج مع صلوات القديسين جميعا، وتصعد مع البخور أمام المذبح، أمام العرش الإلهى، هذا هو عزاؤنا، خصوصا ونحن نعلم أن راحلنا العزيز كان بالحق كاهناً أميناً، كان بالحق راعياً صالحاً، كان بالحق فضائله الكثيرة المتعددة فى سيرته الطاهرة، وحياته المقدسة. وهذه المحبة الظاهرة من شعبه، والمحبة الظاهرة من أبنائه وإخوته الكهنة، دليل على مكانة هذا الرجل وعلى ماتركه من أثر فى نفوس الناس جميعا. فمحبة الشعب من محبة الرب، دليل ظاهر وتعبير عن محبة الرب لهذا الكاهن، وهذا الراعى، وهذا الخادم.

إننا نزفه إلى السماء ولو تأملتم صلوات الكنيسة ومعانيها بالنسبة للكاهن، وهى تختلف عن صلوات الكنيسة عن غيره من المؤمنين، لأدركنا أننا نحن الآن فى حفل. وأننا فى هذا الحفل نكرم هذا الرجل، ونريد أن نكون فى موكبه مع الملائكة الذين حملوا روحه إلى العالم الأفضل والعالم الأبقى. نحن لا نصلى منفردين. إننا نشاركه الصلوات. ولذلك كشفنا الغطاء عن رأسه، لأنه وجسده ممدد هكذا، لكنه مرفوع نحو السماء، لأنه كاهن وصلواته مرفوعة، صلواته النقية مرفوعة أيضا فى هذه اللحظة. ولذلك فى صلوات الكنيسة وفى التسبحة نطلب صلواته، ككاهن مقدس، صلواته معنا وصلواتنا معه. لن ينفصل عنا ولن ننفصل عنه، ارومة واحدة، جماعة واحدة، كوكبة روحانية سماوية مشتركة فى هذه الصلوات المقدسة المرفوعة. ولو تأملتم قراءة الإنجيل الذى اختارته الكنيسة فى تشييع هذا الكاهن، لرأيتم أن الكنيسة بقراءة هذا الإنجيل الخاص بتوزيع الوزنات ..، السيد وزع على خدامه، وزع على الواحد خمس وزنات، ووزع على الواحد الآخر وزنتين، ووزع على الثالث وزنة واحدة. الذى أخذ الخمس وزنات ربح فوقها خمس وزنات، والذى أخذ الوزنتين ربح فوقهما وزنتين، والوزنات هى المواهب، هى العطايا التى أعطاها الله لخدامه لكى يتاجروا بها، أو الأسرار المقدسة، مواهب الخدمة التى أعطاها لكى يعملوا بها، فإذا ربحوا فالجزاء مضاعف، أحسنتَ أيها العبد الصالح والأمين، صالح أنتَ، وثَبَّت صلاحك فى الخدمة التى أُسندت إليك، وثَبَّت أمانتك فلم تسرق، ولم تختلس.وإنما حملت وزناتك، وحافظت عليها. وسلمتها سالمة، وأضفت عليها كفاحك وجهادك ونضالك ... هذا الكفاح، وهذا النضال هو هذا الذى ربحت به فوق الوزنات التى أعطيت لك. أحسنت أيها العبد الصالح والأمين، بما أنك كنت أميناً فى القليل أُقيمك على الكثير،لم يتوقف هذا الكاهن عن العمل، ليس معناه أنه وقد انتقل من هذا العالم أنه توقف عن العمل، لا .. لقد

أُضيفت إليه وزنات جديدة، لأنه أثبت أنه كان صالحاً وأميناً فيما أُعطى له من وزنات. لن يتوقف إذن عن أن تكون حياته مثمرة بعد ذلك أيضا. بما أنك كنت أمينا فى القليل أقيمك على الكثير، لأنه قد أثبت أنه كان صالحاً وأمينا فى المهمة الأولى التى أعطيت له. وهو والآن قد أقيم على وزنات جديدة، له عمل هناك. ونحن نؤمن أن الأرواح التى ذهبت، لها عمل ولها نشاط، لأن هناك عالماً أوسع وأرحب وأقوى من عالمنا. إن كنا نحن هنا فى هذا العالم المحدود، هناك عالم غير محدود .. إن كان الكاهن يعمل هنا فى وسط شعب له عدد محدود. أما هناك فملايين الملايين الملايين من الخلق، من يوم آدم إلى هذا اليوم، كل هؤلاء يحتاجون إلى خدمة، بل وأيضا الأرواح لا تخدم هناك فقط، وإنما تتردد على عالمنا هنا، وتخدمنا هنا بصورة منظورة أحيانا، وبطريقة غير منظورة أحيانا أخرى، سواء كنا نراها أو لا نراها، سواء فى الأحلام أو الرؤى أو فى الكنيسة. إن لها خدمات بغير توقف ولا يعوقها عائق، لا من نوم، ولا من طعام، أو صراع، أو ضياع وقت، كل وقتها عمل وصلاة، وإلهامات وإرشادات وتوجيهات، وإيحاءات إلى قلوب وإلى عقول الناس فى العالم الآخر وفى العالم الحاضر.

إذن نحن لسنا هنا فى جنازة نندب، لا .. نحن فى حفل تكريم، فى حفل ترقية. هذا الرجل قد رقى اليوم فلماذا نبكى؟، قد رفع ليوضع على مسئوليات جديدة فلماذا نندب؟ ولماذا نحزن قلبه فى مثل هذا اليوم الذى فيه ابتهج بخلاصه من نير هذا العالم، وبإنطلاقه محمولاً من قيود المرض، ومن قيود الضعف، ومن سائر القيود، ومن الآلام والأوجاع والدموع. أما هناك فلا جوع ولا عطش ولا دموع. إنما هناك فرح وسرور وعمل بغير كسل، كفاح بغير يأس، كفاح مضمونة نتائجه، إذن حرى بنا أن نشيعه، وقلوبنا مليئة بالأمل والرجاء. لأن هذا الرجل كاهن أمين، صعدت روحه محمولة على أجنحة الملائكة إلى عالم أفضل وإلى عالم أرقى. أما نحن فإذا كنا نبكى فنبكى خطايانا، ونتخذ من الموت عبرة لنا، لأننا نحن فى يوم من الأيام لابد أن ننطلق، ولا نعلم ساعة إنطلاقنا. فلنستعد من هذه اللحظة، إيقاظاً لروح التقوى فينا، لعلنا نصير إلى حال أفضل. إذا لم نكن قد تبنا فلنتب. وهذا يسر قلب هذا الكاهن إذا رأى أُناسا من شعبه لم تكن لهم توبة فى الماضى فتابوا، وكان إنتقاله فرصة لإيقاظ مشاعر شعبه، حتى إذا انتقلوا ينتقلوا وهم بأرواح بريئة مقدسة مخلصة نقية أمام الله.

رحمة ربنا يسوع المسيح فلتشمله، ولتشملنا جميعا. ونعمة إلهنا فلتملأ قلوبنا بالعزاء والسلام.

ولإلهنا المجد والإكرام الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين.

المتنيح القمص إبراهيم عبد الله كما عرفته(١)

زاملته بالكلية الإكليريكية فى زمن التلمذة بها، فى عهد رئاسة المتنيح الأرشيدياكون حبيب جرجس، وكانت الإكليريكية آنذاك فى حىّ مهمشة والشرابية. وكان الطالب عطا الله عبد الله (وهو اسمه قبل رسامته كاهنا) فى الفرقة الدراسية الأعلى من فرقتنا، إذ أنه كان أسبق منى فى الإلتحاق بالكلية الإكليريكية، وكان يقيم بالقسم الداخلى بها، بينما كنت أنا بالقسم الخارجى، لأننى كنت أقيم فى بيت الأسرة بالقاهرة.

كان القمص إبراهيم عبد الله يتميز بإعتزازه بقبطيته وشدة محبته لكنيستنا القبطية، وإخلاصه المطلق لمصريته وقبطيته. وكان هذا الإعتزاز بقبطيته واضحاً كل الوضوح فى مسيرة حياته كلها منذ أيام التلمذة، وظل فيه متواصلاً حتى نهاية رحلة حياته.

وعندما تقدم بعض الناس إلى المتنيح البابا كيرلس السادس باقتراح لتعديل التقويم القبطى حتى يتوافق مع التقويم الغربى، كان القمص إبراهيم عبد الله من أشد المعارضين لهذا الإقتراح.

ولقد وجدتُ من واجبى آنذاك أن أتدخل، بعد سيامتى الأُسقفية، واقترحت على قداسة البابا الراحل أن يُرجِىء البتَّ فى أمر هذا التعديل المقترح، وعرضت عليه أن يحال الإقتراح على معهد الدراسات القبطية للدراسة، وتقديم تقرير مدروس لقداسته وللمجمع الإكليريكى العام، فوافق قداسة البابا الراحل على ذلك.

وشكلنا لجنة من المختصين فى الفلك والأرصاد الجوية من جهة، ثم من المختصين فى الفقه الكنسى أيضا، وعقدت اللجنة عدة جلسات بمقر معهد الدراسات القبطية على مدى بضعة شهور. وقد حرصنا على دعوة أصحاب الإقتراح بالتعديل وغيرهم من علماء الفلك. وقد سجّلنا هذه الدراسة الشاملة مكتوبة كتابة علّمية وأعددناها للبابا البطريرك وللمجمع الإكليريكى العام.

وكان القمص إبراهيم عبد الله مهتما كثيراً بحضور إجتماعات هذه اللجنة، ومتابعة مناقشاتها.

وكان حضوره جميع الجلسات بمواظبة ملحوظة، بيِّنه على مدى أصالته القبطية وإعتزازه بالتراث القبطى، وكل ما تركه لنا قدماء المصريين من علوم ومعارف جمعت بين

(١) كتب فى ٣ من فبراير ١٩٨٦م - ٢٦ من طوبه ١٧٠٢ش.

الطبيعيات والروحانيات، فى تزاوج ليس له نظير فى جميع الحضارات الإنسانية السابقة.

وإمتداداً لحماسة القمص إبراهيم عبد الله لقبطيته ومصريته، كان إعتزازه بالإيمان الأُرثوذكسى كما هو محفوظ فى كنيستنا القبطية الأُرثوذكسية.

كذلك كانت حماسته فى المحافظة على طقوس كنيستنا الأُرثوذكسية، لدرجة الغضب أحيانا، فقد كان لايغتفر الإنحراف يمنة أو يسرة عن التسليم القديم، بإيمان مطلق لا يشوبه شك، فى وجوب المحافظة عليه والإستمساك به وعدم التسامح فيه أو فى أدائه، أو الجهل به.

هاتان هما أبرز صفات القمص إبراهيم عبد الله فى حياته ومسيرته الإكليريكية - أى إعتزازه القوىّ بقبطيته، وإعتزازه الشديد بالإيمان الأرثوذكسى كما تسلمته وحافظت عليه بأمانة وتقوى كنيستنا القبطية الأرثوذكسية.

ويمكننى أن أُضيف إلى هاتين الفضيلتين فى شخصيته العملية، حبه للعلم والدرس الذى لازمه دائما حتى وهو شيخ. فقد كان من عادة القمص إبراهيم عبد الله أن يحمل معه كراسة يدون فيها الفوائد الجديدة التى يحصل عليها من محاضرة أو ندوة مفيدة يحضرها، ويسجلها فى تاريخها.

والآن، لقد رحل القمص إبراهيم عبد الله إلى عالم البقاء والخلود بعد رحلة حياة حافلة، خدم فيها الإنجيل والمذبح المقدس، فى أكثر من بلد، وفى أكثر من كنيسة. ولقد أرشد الألوف من شعبنا رجالاً ونساءً، شباباً وشابات، وأطفالاً، بمواعظه وتعاليمه على المنبر وفى ممارسات سرّ التوبة والإعتراف وسائر المباشرات والطقوس الكنسية وهى كثيرة.

إننا نترحم عليه، ونشيد بذكراه.

ولعل خير خاتمة نختم بها كلمتنا التى نقولها ونكتبها بروح الوفاء لهذا الزميل الإكليريكى فى خدمة الله، جلّ اسمه، هى قول الوحى الإلهى عن أبينا إبراهيم أبى الآباء خليل الله:

(وشاخ إبراهيم وطعن فى السنّ. وبارك الرب إبراهيم فى كل شىء ... ثم فاضت روح إبراهيم، ومات بشيبةٍ صالحة شيخا قد شبع من الحياة، وانضمَّ إلى قومه) (سفر التكوين ٢٤: ١)، (٢٥: ٨).

ولعظمته تعالى السبح والسجود دائما ،،،

الإيغومينوس عبد المسيح ثيئوفيلوس النخيلى
زميل الدراسة الّذى أُحِبُّه وأحترمه(١)
كاهن كنيسة القديس مارمرقس بمصر الجديدة

الإيغومينوس عبد المسيح ثيئوفيلوس تخرج فى الكلية الإكليريكية باسم جاد الكريم ثيئوفيلوس عام ١٩٣٨ وقد تخرجتُ فى الإكليريكية فى السنة التالية مباشرة، أى فى عام ١٩٣٩.

لقد التحقتُ بالإكليريكية فوجدت فيها، طالباً بالسنة الثانية بالقسم العالى، وهو القسم الذى يلتحق فيه الحاصلون على شهادة إتمام الدراسة الثانوية، وكانت تُسمَّى فى زمانا بالبكالوريا.. ولقد علمتُ أنه حصل فى البكالوريا على مجموع كبير، كان يؤهله للإلتحاق بأية كلية جامعية مرموقة، ولكنه لرغبته الصادقة والحارة فى خدمة الله والكنيسة آثر أن يلتحق بالإكليريكية ليُشبع رغبته فى الدراسات اللاهوتية والكنسية.

وأشهد أنَّ عددا آخر من زملاء الطالب جاد الكريم ثيئوفيلوس فى تلك الدفعة كانوا من نوابغ حملة البكالوريا، وقد التحقوا بالكلية الإكليريكية بروح عالية، محبةً فى تكريس حياتهم لخدمة الله وكنيسته المقدسة. وإنى أذكرهم جميعاً بفخر، وزهو، وشكر لله الذى حرَّكهم بروح قدسه، ليتقدَّموا للدراسة فى مدرستنا اللاهوتية التى كانت آنذاك فى حىّ مهمشة بالشرابية ـ فى مبنى وصفه المتنيح الأرشيدياكون حبيب جرجس مدير الإكليريكية، فى كتابه (المدرسة الإكليريكية بين الماضى والحاضر) الذى أصدره سنة ١٩٣٩ بأنه كان قصراً اشتراه ليكون مقراً للإكليريكية، وجعل فيه ـ فى الطابق الأعلى ـ استراحة للبابا البطريرك كيرلس الخامس يقيم فيه بعض الوقت.

كان الطالب جاد الكريم ثيئوفيلوس طالباً جاداً ومجداً وبالإضافة إلى الكتب المقررة على طلبة الإكليريكية، كان من فرط شغفه بالقراءة وحبه للمعرفة، يتردد على المكتبة العامة للكلية الإكليريكية، وأعتقد أنه قرأ الكثير من كتبها، بل كان يتردد أيضاً على (دار الكتب) وغيرها من المكتبات العامة بالقاهرة، مما يشهد قطعاً على حبه للقراءة، ورغبته الشديدة فى إزدياد المعرفة. وقد كان الطلبة فى السنوات الأولى يجدون فيه نموذجاً يُحتذى

---

(١) كتب فى ٢٩ من أكتوبر ١٩٨٩م ـ ١٩ من بابه ١٧٠٦ش.

فى الدراسة الجادة. وكان يتجلَّى عِلمه ودراسته فى مباحثاته وأحاديثه مع زملائه الطلبة، كما كان يتجلّى علمه أيضاً فى مواعظه التى كان يلقيها بالكلية وخارجها، وفى الندوات والمناظرات التى كان يشترك فيها بالكلية مع بعض زملائه المتقدمين تحت إشراف بعض أساتذتنا الذين كانوا يُعِدُّون لنا.هذه الندوات والمناظرات التى أذكرها، وأذكر معها الفوائد النظرية والعلّمية التى كان يفيد منها الطلاب فى جميع سنوات الدراسة، وكانت تدريباً جميلاً على الخطابة وعلى المنافسة الحرة فى إبداء الرأى، والرأى الآخر.

وتخرّج الإكليريكى جاد الكريم ثيئوفيلوس، وعاد إلى بلده (النخيلة) ـ مركز أبو تيج، وعيِّن شماساً واعظاً بكنيسة بلدته تحت رعاية المتنيح مثلث الطوبى الأنبا مرقس مطران أبو تيج وطهطا وطما.

وقد كانت لى فرصة مباركة فى عام ١٩٣٩ لزيارته فى النخيلة، وقد إستمعت سعيداً إلى عظة له مسائية فى الكنيسة. وأشهد أنها كانت على مستوى عالٍ لغوياً فضلاً عن معانيها اللاهوتية. وأذكر أننى عاتبته آنذاك على هذا الأسلوب المرتفع على مستوى الشعب فى الريف، فطمأننى أن شعب (النخيلة) يتطلب هذا المستوى العالى ولا يرضى بأقل منه.

بعد ذلك رُسِم الإكليريكى جاد الكريم قسيساً باسم القس عبد المسيح ثيئوفيلوس ورُقّى بعد بضع سنوات إلى رتبة إيغومينوس ـ أو قمص، فصار يعرف بهذا الإسم.

ولقد رأى قداسة البابا شنودة الثالث ـ الإنتفاع بمواهب هذا الكاهن المتميز بالتقوى، فطلبه من مطرانه المتنيح الأنبا مرقس، ليكون خادماً لمذبح كنيسة مارمرقس بمصر الجديدة.

وقد تولى هذه المسئولية منذ عدد غير قليل من السنين إلى يوم وفاته وإرتقائه إلى العالم الأفضل، نَيَّح الله روحه الأمينة فى فردوس النعيم.

هذا الكاهن الأمين، وزميل الدراسة بالكلية الإكليريكية، أحببته كثيراً، ولن أنساه، وهو من ألمع كهنتنا تقوى وعِلماً. وقد وضع عدة كتب تشهد بعلمه ورسوخه فى التعليم الأرثوذكسى. إنه حقاً من شيوخ كهنتنا وأعلامهم نذكره مترحمين عليه، آسفين على الفراغ الذى تركه برحيله عنا.

وثقتنا أنه متى ظهر راعى الرعاة سينال إكليل المجد الذى لا يذوِى ولا يذبل (١.بطرس ٥: ٤)

القمص باسيليوس إبراهيم[1]
وكيل مطرانية الجيزة

المتنيح القمص باسيليوس إبراهيم كاهن الله العلّى، من خير كهنتنا، ومن أتقاهم ومن أجملهم روحاً ونفساً وقلباً. عرفْتُهُ من زمن طويل، من سنوات وسنوات، كاهناً يتميز بالحكمة والفهم والمعرفة، خدم الله والناس، بأمانة وتقوى وصبر واحتمال.

عرفتُهُ رجلاً بصيراً، وفهيماً وحكيماً، وبعيد النظر. وبقدر ما كان محباً ومحبوباً كان حازماً وقوياً، ودقيقاً، ومنصفاً. فى كل مسئولية اطلّع بها، تولى عمله بضمير حىّ وقلب متيقظ.

إلى جانب مسئولياته الكهنوتية والراعوية ككاهن لله والمذبح المقدَّس، ووكيل لمطرانية الجيزة لسنوات طويلة تشهد بكفاءته للأعمال القيادية والمهام الرسولية، فإنه أيضاً خدم الكنيسة والعلوم الأثرية فى المتحف القبطى بمصر القديمة لسنوات تشهد بكفاءته، وعلمه الواسع بالآثار القبطية، والطقوس الكنسية.

لقد انتقل الكاهن الأمين بروحه السامية إلى العالم الأفضل ليكون فى صحبة القديسين من رجال الله وأحبار الكهنوت المقدس، والمؤمنين المكتملين بالنعمة والتقوى.

رحل الرجل المجاهد الأمين إلى عالم الحق والعدل ليواصل سيرته فى طريق الأبدية ولكى ينمو فى المعرفة والروحانية، وتتواصل خِدماته ومعوناته ومساعداته هناك وهنا، ولسوف تزدهر وزناته، وتتألق مواهبه ومعطياته.

ألم يقل سيدنا وسيده، وحاكم الكون وكل الخليقة وسائر الأكوان، لمن تاجر فى وزناته وربح بها، وأثمرت بين يديه «أحسنتَ أيها العبد الصالح والأمين، بما أنك كنت أميناً فى القليل سأقيمك على الكثير، ادخل إلى فرح سيدك».

هذا هو أنت أيضاً أيها المدّبر الحكيم، الإيغومينوس باسيليوس إبراهيم، إنك برحيلك عن الأرض، دخلتَ إلى فرح سيدك، وقد أقامك سيدك وسيدنا على الكثير من المسئوليات، بقدر ما كنت أميناً على القليل».

إنَّ خروج الكاهن الأمين والراعى الصالح، من الجسد ومن هذا العالم الفانى، هو ترقية له إلى مسئوليات أكبر يمارسها بالأمانة والتقوى التى مارس بها مسئولياته فى الدنيا.

إننا نترحم عليك، أيها الأب لكثيرين ونسألك أن تذكرنا أيضاً على المذبح المقدس السمّاوى.

---

(١) كُتب فى ١٦ من يناير ١٩٩١م ـ ٨ من طوبه ١٧٠٧ش.

القمص إيساك اسحق توفيق[1]

لم تَمضِ غيرُ أيام بعد نياحة صديقنا وحبيبنا نيافة الحبر جزيل الاحترام مثلث الرحمات المطران الأنبا باسيليوس مطران الكرسى الأورشليمى وبلاد شرق الأردن، حتى لحِقَه إلى عالم الروح فى فردوس النعيم الأخ المحبّ والحبيب القمص إيساك إسحق توفيق، وهو الكاهن الأمين فى خدمة ملك الملوك، وقد خدم الرب فى مصر وفى القدس، أوُرشليم مدينة إلهنا، بكل تقوى وروحانية صادقة مخلصة وأمينة، أولاً شماساً ثمَّ رئيس شمامسة، ثمَّ كاهنا ورعاً فى درجة القسيسية ثم فى رتبة إيغومينوس (قمص) فى كنيسة العذراء مريم برابطة القدس بالقاهرة.

إنَّ معرفتى بالقمص إيساك تمتد إلى أكثر من خمسين سنة، عرفته فى الثلاثينيات باسم فوزى إسحق، خادماً تقياً من بين الخدام المتميزين بأرثوذكسية الإيمان والسيرة، خدم شماساً فى رتبة إيبودياكون بالكنيسة البطرسية بالعباسية، وكان مولعاً بألحان ومردات الكنيسة القبطية وموهوباً بصوته الكنسى الجميل والمؤثر، وكان يحرص على الأنغام الكنسية فى ترتيل الترانيم والمدائح التى وضعها على الخصوص المتنيح الأرشيدياكون حبيب جرجس، مدير الكلية الإكليريكية الأسبق.

وللقمص إيساك الفضل فى إنشاء رابطة القدس، وخصوصاً وقد تمت رسامته (أرشيدياكون) الكرسى الأورشليمى، وفى تنظيم رحلات الأقباط إلى الأراضى المقدسة، فى مناسبة عيد القيامة المجيد ومناسبات عيد الميلاد، وصوم القديسة العذراء مريم وعيد صعود جسدها إلى السماء على أجنحة الملائكة.

وللقمص إيساك فضل إصدار مجلة رابطة القدس وتحريرها، وهى تشتمل على أخبار القدس وكنيسة القيامة، والكنيسة القبطية بصفة عامة ومطرانية القدس وكل أنشطتها بخاصة، وبصورة متميزة بالأصالة القبطية والروح الأرثوذكسية الصميمة.

مع القديسين المنتقلين الراحلين إلى فردوس النعيم نشيعه بكل الحب والإعزاز والتقدير لتاريخه المجيد وسيرته العطرة وأرثوذكسيته النقية الطاهرة.

(كريمُ فى عَينى الرَّبِّ مَوتُ أصفيائه) (مزمور ١١٤: ١٥).

(لِتَمُت نَفسِى مَوتَ الأبرارِ، وَلتكُن آخِرتِى كآخِرتِهم..) (العدد ٢٣: ١٠).

---

(١) كُتب فى ٣٠ من مايو ١٩٩٢ م - ٢٢ من بشنس ١٧٠٨ش. ونشر بمجلة (رابطة القدس) فى ٢٦ من يونيه ١٩٩٢م.

القمص عبد المسيح جرجس الأقصرى[1]

من أقوال الوحى الإلهى فى سفر المزامير:

«طوبى للذين بك عزّتَهم. فإنّ فى قلوبهم مراقى إليك، يجتازون فى وادى البكاء، فيجعلونه ينابيع ماء، لأنّ المشترع يغمرهم ببركاته، فينطلقون من قوة إلى قوة، إلى أن يتجلى لهم إله الآلهة فى صهيون» (مزمور ٨٣: ٥- ٧).

كان رحيل الأب المحترم القمص عبد المسيح جرجس الأقصرى المفاجئ إلى عالم الروح، فجيعة وخسارة للكنيسة ولشعب الله، فإنه كاهن ورع، وخادم للمذبح متميز، وراعٍ نزيه ومخلص وأمين.

إنه إكليريكى حقاً لا غش فيه، التحق بالكلية الإكليريكية وتخرج فيها برغبة صادقة فى تقديم حياته لله، ذبيحة، وليكون كله لله.

عرفته طالباً بالكلية الإكليريكية فى جميع سنوات الدراسة طالباً جاداً وصادقاً محباً للعلم والدين، وكان موضع رضى أساتذته وزملائه من الطلبة، عاش مسالما محباً ومحبوباً. فلما دُعى لخدمة الكهنوت بذل جهده فى أن يكون لله كاهناً تقياً، وسالكاً بالتدقيق، وفقاً لتعليم الكتب المقدسة وتقليد طقس كنيستنا القبطية الأرثوذكسية فى خدمة القداسات، وفى جميع الخدمات الليتورجية الأخرى: فى المعمودية، ومسحة الميرون، والزيجة، ومسحة المرضى وغير ذلك من الخدمات الإلهية والكنسية...

وقد لمس المتعبدون من شعب الله جهاده فى الخدمة وأدائها بروح التقوى، ودقة الأداء، واستنارت نفوسهم وأذهانهم.

ولذلك كان حزنهم على رحيله عنهم كبيراً، وعميقاً، على أنه برحيله قد عبر إلى العالم الأفضل، ليمارس خدمته على المذبح السماوى. فهو لم يمت، وإنما برحيله ارتقى إلى مقام أعلى. وحقاً «طوبى للذين بك عزتهم. فإن فى قلوبهم مراقى إليك... لأن المشترع يغمرهم ببركاته، فينطلقون من قوة إلى قوة، إلى أن يتجلى لهم إله الآلهة».

لقد رحل القمص عبد المسيح جرجس إلى عالم الروح، حياً أعظم وأجمل ما تكون الحياة، حملته وتحمله الملائكة إلى فردوس النعيم ليكون فى صحبة القديسين السابقين

---

(١) كُتب فى ٢٥ من مارس ١٩٩٣م ـ ١٦ من برمهات ١٧٠٩ش.

إلى الفردوس، ينعم معهم بالتجليات الإلهية، ويسعد بلقائهم ويتتلمذ على كبار القديسين منهم، والبطاركة والكهنة الذين سبقوه، يأخذ عنهم، ومن المسيح يأخذ ويمتلئ عمقاً وعلواً إلى «قياس قامة ملء المسيح»، فينمو فى النعمة والقامة الروحية نمواً متواصلاً لا يتوقف، فى حياة أبدية لانهائية.

إننا، مع حرماننا منه بالوجه، نتعزى عن رحيله بما كسب من ترقيته إلى درجة أعلى، فى مقامات الحياة الروحانية والخدمة المقدسة فى حضرة رب الجنود.

ولعظمته تعالى الشكر والسجود والتسبيح إلى أبد الدهور،،

المتنيح القمص بطرس كيرلس(١)

كاهن كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس بمنشية الصدر

سلامٌ لك أيها الأخ والزميل الإكليريكى، والخادم الأمين، والرّاعى الصالح المجمّل بالفضائل، الكاهن ابن الكاهن، من سلالة الكهنوت، المتميز بالروحانية والتقوى والصبر والإحتمال، والشجاعة والجرأة فى الحق.

خدمت المسيح له المجد بإيمان وثبات وإتضاع واحتمال.

خدمت مذبح الله، فى تفانٍ وحرصٍ على المقدَّسات ورفعتَ البخور لِلعزَّة الإلهية، مراراً على مدى سنين طويلة.

نذكرك ونذكر صوتك الكنسى الحلو الجميل الذى يُجلجل، فيخشع به القلب، وتدمع من تأثيره العيون، وتخضع لتأثيره كلّ الحواس الروحية.

خدمتَ بأمانة الكهنوت المقدَّس نحو ستة وخمسين عاماً على الأقل، منذ أن تخرجت فى الكلية الإكليريكية بمهمشة فى سنة ١٩٣٨ م شماساً، ثم قسيساً منذ الثالث من يناير لسنة ١٩٤٠، وهى خبرة عظيمة، تتلمذ عليك فيها كثيرون، فضلاً عما أخذه عنك المئات والألوف من شعب الله وما تعلّموه مِنك بسيرتك العطرة، ومواعظك وتعاليمك الروحية الإنجيلية والكنسية.

والآن وقد رحلتَ إلى العالم الأسمى والأبقى فى فردوس النعيم، لتلحق بمن سبقوك من كهنة الله القديسين، وزمرة الأبرار والصديقين، تمارس كهنوتك وخدمتك على المذبح السمَّاوى، فالكهنوت سمة لا تمحى.

فهنيئاً لك أيها الأب المبارك بهذه الترقية الرّوحية لتواصل ارتقاءك ومسيرتك فى سلّم الروحانيات ومدارج الكمال المسيحى إلى ملء قامة المسيح.

ونحن نؤمن بتواصل شفاعة القديسين، فاذكر فى صلواتك الذين يدعونك ممن يَشعرونَ بالحاجة إلى معونتك ومعونة القديسين، فى كفاحهم فى طريق السماء، وممن تعترض طريقهم العقباتُ والعثرات والمعطلات، حتى يثبتوا ولا تخور قواهم، فيحظون فى نهاية

---

(١) كُتب فى يناير ١٩٩٤ م، ونُشر فى كتاب خاص به.

رحلتهم بفردوس النعيم وأخيراً فى القيامة العامة بملكوت السموات.

ونحن أيضاً نترحم عليك ذاكرين فضيلتك وجهادك المبرور وأعمالك الصالحة فى خدمة رب الجنود.

ونعمة الرب فلتشملنا جميعاً ولعظمته تعالى يليق التسبيح والسجود والإكرام إلى أبد الآبدين آمين.

القمص عبد المسيح مرقص الأقصرى

العزيز الابن زكريا منير.

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح، أرجو لكم موفور الصحة والعزاء.

قرأت أيها الابن خطابكم وتأثرتُ بما جاء فيه من معلومات عن الأب الموقر المتنيح القمص عبد المسيح مرقص الأقصرى.

وحقاً إنها حياة كاهن قديس متميز بالروحانية والتقوى، وبالصوت الروحانى الكنسى الذى ينفذ إلى أعماق القلب والوجدان والذى يُثير فى النفس مشاعر الإيمان والثقة والدخول إلى أعماق التأملات العالية.

إنه حقاً كاهن الله العلَّى، عاش فى السماء وهو على الأرض. إنى أشكرك أيها الإبن على خطابك الذى سأحتفظ به وثيقة جميلة مفعمة بالود والصدق والمحبة الإلهية. أدعو الرب أن يحفظ حياتكم، وينفعنا جميعاً ببركات هذا الكاهن القديس القمص عبد المسيح مرقس. الرب معكم.

القمص صليب سوريال[1]
كاهن الله الأمين والراعى الصالح
(فى مناسبة يوم الأربعين)

يوم الأربعين هو اليوم الذى تدخل فيه أرواح الأبرار والصدّيقين فردوس النعيم، فى نهاية رحلتها التى تبدأها فى اليوم الثالث من خروجها من الجسد، مارّة بمحطات متعددة فى عالم الروح والخلود. ولهذا فإنّ المسيح له المجد أصرّ على أن يصعد إلى السماء بذبيحة نفسه كرئيس كهنة العهد الجديد فى يوم الأربعين من قيامته المجيدة من بين الأموات.

فهنيئاً لك أيها الأب الجليل والكاهن الأمين، والراعى الصالح لشعب الله، **القمص صليب سوريال** دخولك إلى مقرّ الراحة ولتنعم بالسعادة، واللقاء بأرواح السابقين من رجال الله، خدّام المذبح الإلهى، لتواصل خدمتك المقدسة على المذبح السماوى مع جمهور الكهنة وخدّام الله.

حياتك أيها الأب المحترم والأخ الموقر كلها كفاح ونضال وعمل متواصل فى خدمة الله وخدمة الكنيسة المقدسة، وشعب الله، فى ورع وتقوى ومخافة الله ومحبته، وأشهد لله أنك دائماً كنت ومازلت الخادم الأمين الذى لم يتحول عن هدفه الأعلى، إرضاءً لله، ومن كل القلب.

عرفتك منذ الثلاثينيات بين المتميزين فى خدمة مدارس الأحد والتربية الكنسية وعلى الأخص فى الجيزة وقراها وتوابعها، وأنتَ طالب بكلية الحقوق فى جامعة القاهرة، وبعد ذلك وأنت المحامى الناجح الأستاذ وهيب زكى سوريال التحقت دارساً بالكلية الإكليريكية فى مهمشة، ثم رُسِمتَ كاهنا بكنيسة مارمرقس بالجيزة، على أنّ صلتك بالإكليريكية والإكليريكيين تواصلت، وقد واصلت دراستك للقانون الكنسى، دراسة متعمقة، وصرت بجدارة أستاذاً ناجحاً بالإكليريكية للقانون الكنسى، تتلمذ عليك كثيرون ممن صاروا وكلاء شريعة فى إيبارشيات الكرازة المرقسية، ووضعت فى قوانين الكنيسة كتباً هى بحق مراجع قيمة يرجع إليها الدارسون ويستزيدون.

وقد عاصرتك فى رحلتك العلّمية الطويلة، وأشهد بكفاءتك الممتازة فى الفترة التى أُسندت

(١) كُتب فى نهاية أكتوبر ١٩٩٤م.

إليك فيها سكرتارية المجلس الإكليريكى بالقاهرة، إلى أن تثقل قلبك وأصابك المرض، وكنت تعد لكل جلسة إعداداً نظيفاً متأنياً يشهد بالجهد المشكور الذى كنت تقوم به واضطررت بعد ذلك إلى السفر إلى الخارج فى انجلترا وألمانيا ورأيتك فى ألمانيا، وعلى الرغم من أنك كنت تحت العلاج لكن لك الفضل كبيراً فى تنظيم أحوال الأقباط فى ألمانيا فأعددت لهم ملفات وافية بأحوالهم وعائلاتهم ومن تعمدوا منهم ومن تزوجوا. ولقد رأيتُ كيف أعددتَ للعائلات القبطية فى المهجر فى كل بلاد ألمانيا ونحواً من إحدى عشر كنيسة قبطية، فكان بقاؤك فى ألمانيا للعلاج فرصة لإعداد شئون الأقباط فى المهجر، ورأيتك فى ألمانيا تخدم القداسات وسائر الخدمات الكنسية فى إحدى عشر بلدة من بلاد ألمانيا.

فى جميع المناسبات والظروف كنتُ أراك هادئاً واسع الصدر، لا تضيق بأحد، ولا تجرح أحداً، صبوراً، محباً، ومحبوباً وراعياً أميناً بصورة نادرة، يعمل الخير للجميع، ويخدم بحرارة ومحبة حباً فى الله ولخلاص النفوس.

وماذا أقول أيضاً كنتَ خير زوج كما تُشيد بك زوجتك المباركة الوفية والتقية، وخير أب، كنتَ نموذجاً لرب الأسرة الذى قاد بيته حسناً، فضلاً عن رعايته لشعب الله من الرجال والنساء، وللشمامسة والخدام والخادمات.

فهنيئاً لك أيها الأب الموقر، لقد أنجزتَ واجباتك الكهنوتية والراعوية والأبوية خير ما يكون الإنجاز.

فوداعاً، والآن، آن لك أن تستريح، وأن تسعد بالراحة الدائمة، وبصحبة الأبرار والصديقين... ومنهم صاحب القداسة البابا كيرلس السادس ونيافة الأنبا صموئيل أسقف الخدمات العامة والإجتماعية وقد زاملته فترة طويلة من حياته وعزيزنا المحبوب المبارك الشماس المهندس يوحنا الراهب وغيرهم من السابقين واللاحقين.

ونحن إذ نترحَّم عليك، ذاكرين شخصيتك المجملة بالفضائل الروحية والراعوية، نرجو أن تواصل الصلاة عنا ليعيننا الرب كما أعانك، حتى نكمل مسيرتنا بسلام إلى يوم اللقاء.

ثالثاً: آباء علمانيين

شكراً على عزاء[1]

بعد وفاة السيدة والدته.

إليكم أيها الآباء والأخوة الذين اشتركتم معنا بقلوبكم فى هذا المصاب الفادح الذى ألمّ بنا، نقدم أعمق تشكراتنا مع أصدق تمنياتنا، على الله أن يتولى عنا جزاءكم بملء الخير والبركة، ولا سيما حضرات الآباء الموقرين كهنة الله العلى وحضرات الشمامسة والوعاظ والخطباء والمتكلمين الذين أفاض الروح القدس على أفواههم كلمات النعمة والعزاء، بل ورؤساء وأعضاء جمعياتنا القبطية، والكلية الإكليريكية، ومدارس الأحد بمختلف كنائسنا القبطية.

وأخيراً وليس آخراً، نرفع بقلب خاضع وروح خاشع، شكراً وحمداً وتسبيحاً للآب السماوى أب الرأفة وإله كل تعزية، لأنه أولاً حسبنا أهلاً لنعمة التجربة وبركة التأديب، ولأنه ثانياً افتقدنا بنعمة العزاء بغنى عن هذا الخطب الجليل الذى أصدق بنا وألمَ بنا إلماماً.

ليست أمى هى ذلك الجثمان الذى أودعوه وحيداً فى ذلك الموضع المظلم، ولكنها تلك الروح التقوية الخالدة التى كان الجسد يحصرها، فلما وهنت قواه أفلتت منه وانطلقت حرة منتصرة إلى عالم الأرواح مترقبة مصيرها الأبدى. فالأمر لا يعدو نوعا من الرحيل إلى مستقر الراحة الأبدى.

أمى! أخيراً أنت كنز ثمين اختطف منا إلى السماء، فلما سألنا الرب عن حكمته فى هذا الحرمان، قال «حيثما يكون كنزكم فهناك يكون قلبكم أيضاً».

وإذن لا إنفصام ولا إنفصال بل صلة دائمة لا تنقطع. أكملى حبك لنا بالدعاء والصلاة لأجلنا، أما نحن فسنظل أبداً مخلصين أوفياء، ندعو لك بالرحمة والنياح فى فردوس النعيم وملكوت السموات.

والآن فلكم أيها المحبون كل شكر، وللراحلة النياح ولله المجد إلى الأبد آمين.

---

(١) نشر بمجلة الإيمان ـ السنة ١٤ ـ العدد ١ ـ ص ٢٩ ـ سبتمبر ١٩٤٤م.

المتنيح الأرشيدياكون حبيب جرجس[1]
كلمة مدارس الأحد فى يوم الجناز

سيدى، وأستاذى، وأبى..

مالى أراك اليوم صامتاً لا تتكلم، وأنت المعلم الذى ملأ صوته الأسماع..!

ها هى الكنيسة التى دَوَّى صوتك فيها وجلجل، تتوق اليوم أن تسمع صوتك.. صوتك هذا الحلو الحنون والرهيب، الذى يفيض رقة وعذوبة، وقوة صوتك الصادر من أعمق أعماق قلبك ونفسك وشعورك..

وها هم الشباب ـ يا سيدى ـ مجتمعون، ينتظرون منك كلمة توجيه أو تعليم.. ألا زلت صامتاً مع ذلك؟ خبرنى ما الذى جرى وغَيَّر من طبعك؟ ونحن نعلم أنك تفرح بلقاء الشباب، بل كثيراً ما تعود إليك روح الشباب كلما رأيتهم، وإلتقيت بهم..

لابد أن فى صمتك حكمة، فقد عهدت فيك الحكمة فى كل ما تصنع..

ولكن ترى ما هى الحكمة؟!

لعلها حكمة الحكيم سليمان، ولعلك تعمل هنا بقوله.. لكل شىء زمان، ولكل أمر تحت السموات وقت.. للولادة وقت، وللموت وقت.. للصمت وقت وللتكلم وقت..

ولكن هذه الحكمة التى تدعوك سيدى إلى الصمت، هى بعينها التى تدعونى أنا إلى الكلام! آه يا ويحى!! كيف تصمت أنت، وأتكلم أنا؟؟ وبعد، فماذا أتكلم، وماذا أقول؟؟ لقد اعتدنا أن لا نمدح الأحياء، ولكن آن لنا اليوم أن نتكلم «فللصمت وقت، وللتكلم وقت..» فماذا نقول؟

لست أشاء أن أعظ، فى حضرة الواعظ الأول، وأخجل أن أردد، حتى كلماتك التى علمتنا إياها، لأننى أخشى أن تضعف الكلمات فى فمى، إذ هى قوية من فمك، وفى فمك!

ومع ذلك فإنى مضطر إلى الكلام، مضطراً إلى أن أعبر عما يختزنه شعورى نحوك من معانى التجلة والإكبار والإعزاز.

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد ـ السنة ٥ ـ عدد ٩، ١٠ فى نوفمبر ـ ديسمبر ١٩٥١م.

فأنت **صاحب القلب الكبير**. الذى أحب الكل، ووسع الكل، واحتمل الكل، وخدم الكل، أحببت الأصدقاء والأعداء، والمعجبين والناقدين، والمخلصين والحاسدين.

يا صاحب العواطف الحارة، والمشاعر النقية، والإحساسات النبيلة. كيف اتسعت ولم تضق، وكيف أمكنك أن تشمل بحبك كل أحد، وتغمر بعطفك كل أحد. لو لم يكن قلبك قلب بشر لما كان ذلك عجيباً، ولكنك وأنت محدود ومحصور، كان قلبك واسعاً وكبيراً.

احتملت الناقدين كأعظم ما يكون الإحتمال وغفرت للمسيئين كأصفى ما يكون الغفران، أنت رجل عجيب فى الحب وعجيب فى الصفح، لم تحاول يوماً أن ترد سهام الناقدين. أو تدفع عن نفسك إتهاماً، بل اعتبرت الكل أبناءك. وحاشا لأب أن يكره إبنه أو يبغى له شراً، مهما أمعن الابن فى الشرود، وضرب فى العقوق. لم تسمع لفكرك أن يسىء الظن فى أحد، ولا للسانك أن يجرح شعور أحد، ولا لقلمك أن يشهر بأحد.

يا صاحب القلب الطاهر، والضمير النقى، يا من كرس مواهبه لله، وأبى إلا أن يكون صاحب القلب العف النزيه الذى لا يهاجم أحداً ولا يهزم أحداً، لقد كسبت مشاعر الجميع، ولقد اعترف بعض المسيئين ـ قبل أن يفارق الحياة ـ أنه إن كان أخطأ إلى الله، فمن أعظم أخطائه أنه هاجمك وأنت برىء، جدير بالثناء المستطاب.

فى قلبك حب، وفى قلبك إيمان: إيمان عميق بالله فى أظلم الأوقات وأحرج الظروف. نذكر ذلك اليوم الذى نهض فيه أحد أعضاء المجلس الملى العام يطالب بإغلاق الإكليريكية. فغلى الدم فى عروقك وانتصبت أيها الأسد الضرغام، وصحت فى وجهه: أتحداك إن استطعت أن تغلق الإكليريكية يوماً واحداً أو ساعة. ليست الإكليريكية لى. إنها للمسيح. ولم يكن تحديك إعتزازاً بقوة آدمية، بل مضيت إلى معهدك، تنادى بصوم وإعتكاف بين الأساتذة والطلاب، وبصلوات المزامير والأصوام غلبت وانتصرت. إنها روح الإيمان فيك هى التى قاومت بها المناهضين، وهى التى ألهمتك أن تؤمن برسالة الإكليريكية فى زمن كان الناس لا يؤمنون بأهمية الثقافة لرجل الدين.

فى قلبك حب، وفى قلبك إيمان، وفى قلبك رجاء: ملأ حولك الدنيا نوراً. وإشراقاً، ولم ير الناس من حولهم إلا ظلاماً ويأساً. لو لم تكن رجل الله حقاً. لدخل اليأس حتما إلى قلبك، لكثرة ما اعترض حياتك من عقبات، وما تعقد أمامك من مشكلات وعثرات.

أعترف بأننى كنت أعجب لروح الرجاء فيك، ألعل الرؤى الإلهية التى كشفها الله لرأسك طمأنتك بالمستقبل الجميل؟، أم هى دعوة الله الملّحة كانت فى أعماقك تناديك. وتهديك الطريق. لو لم تكن رجل أمل ورجاء. لعدت القهقرى وتنكبت الطريق. لقد نظرت المواعيد من بعيد وصدقتها، فطوبى لك واثقاً بما يرجى، موقناً بأمور لا ترى.

وأنت **صاحب العقل الكبير**، وسع عقلك شئون الدين والدنيا. فما أكثر العلوم التى عرفت، والكتب التى قرأت، ولقد مزجت كل ذلك بخبرات واسعة: خبرات الأشخاص الذين عرفتهم وما أكثرهم، وخبرات التجارب التى عانيت، وخبرات السنين التى قطعت.

نذكر لك أنك وضعت نحواً من ثلاثين كتاباً، من تَقَوِّية وتعليمية وتاريخية ولاهوتية، منها ما كان نثراً ومنها ما كان شعراً، ومع ذلك كنت تزمع أن تصدر كتباً أخرى: كان عقلك يحتوى علماً كبيراً، فلم تسمح لك مشاغلك الكثيرة فى الإدارة، وحل المشكلات أن تسطر كل ما احتواه عقلك الكبير. ولقد عبرت عن شوقك إلى التحرير أيضاً ودعوتنا لتسجيل ما تمليه علينا، ولكن متاعبك الصحية من جهة، ومشاغلنا نحن من جهة أخرى قد اجتمعت لتحرم الكنيسة من ثمرات فكرك الأخرى، ولكن كانت تكون لكنيستنا ثروة أدبية وروحية وفكرية وعلّمية؟؟

وإننى لأذكر أيضاً لك ذلك الأسف الذى أبديته لى واضحاً قوياً، على أوقات كثيرة أضعتها فى مناقشات ملّية عقيمة، ما كان أحوجك إليها لتكرسها للتحرير والتأليف. ولكن مثلك يا سيدى كان مضطراً أن يعمل فى كل مكان، ويحارب فى كل ميدان: لأن الحصاد كثير والفعلة قليلون. وقد كنت مضطراً إلى توزيع الجهود، لأنك كنت موهوباً للعمل، ولم يكن غيرك أحد أقدر على تكريس وقته كله، وجهده كله، وفكره كله.

ومع ذلك كله كنت عقلاً واسعاً وكبيراً فى تقبل الآراء، وتقبل النقد. وفى هذا كله كنت سابقاً على جيلك بأجيال. فلقد فتحت ميادين للعمل لم يكن يفطن إليها أحد، وقد رأيت فى الخدمة آراء كنت فيها القائد الملهم، والمرشد الموحى.

ثم أنت **المجاهد الكبير** الذى جاهد الشهوات عن نفسه، وجاهد الشيطان عن فكره، ونفى حب المال والشهرة عن قلبه. كان يمكن لمن كان فى مثل نبوغك وعبقريتك أن يثرى لو اختار لنفسه طريق العلم المادى وطريق الوظائف الحكومية أو الأعمال التجارية، أو الفكرية. ولكنك اخترت طريق الفقر الإلهى.

وكان يمكن أيضاً لمن كانت له إمكانياتك فى التأليف الدينى أن يثرى، ولكنك خرجت من كل جهودك طاهراً ونظيفاً. ولم تبق من بعدك مالاً حراماً أو حلالاً.

لقد جاهدت الخطية والحسد، فعشت البكر الطاهر البتول وجاهدت المال فعشت العف النزيه. وجاهدت فى الإكليريكية فخلقت من الكُتّاب الهزيل كلية عالية، وجاهدت فى مدارس الأحد[1] فخلقت منها دوحة مترامية الأغصان استظل بفىء ظلالها أبناء الكنيسة جميعاً، صغاراً وكباراً، نساءاً ورجالاً. وجاهدت الجهاد مع المسئولين من رجال الدين والدنيا، فظفرت بحقوق، وناضلت عن حقوق، وحميت حقوقاً من إعتداءٍ.

والآن يا حبيب الله، ويا حبيب المسيح. لقد أكملت سعيك، وأنهيت جهادك، وشاء الله لروحك أن تصعد إلى الأعالى، فى ليلة عيد صعود جسد العذراء إلى السماء، لتكون فى حضن العذراء أم الخلاص!!

أنك لم تنل على الأرض جزاءً، بل عشت مظلوماً، ومضيت إلى قاضى الخلق مظلوماً، ليكون جزاؤك منه كاملاً غير منقوص.

أيا حجر رفضه البناؤون، فصار رأس الزواية!، لك أن تهتف وتقول: أحكم لى يا رب لأن بكمالى سلكت، وعلى الرب توكلت بلا تقلقل.. لا تجمع مع الخطاة نفسى، ولا مع رجال الدماء حياتى، الذين فى أيديهم رذيلة، ويمينهم امتلأت رشوة. أما أنا فبكمالى أسلك. أنقذنى وارحمنى، رجلاى واقفة فى الإستقامة، هللويا».

وبعد، فباسم اللجنة العليا لمدارس الأحد، نقدم للأسرة الكريمة خالص العزاء فى خطب هو خطب الكنيسة جمعاء، لأنها أسرته الكبرى ولينعم الله على روحه بالنياح فى فردوس النعيم وملكوت السموات.

---

(١) توجد كلمة وافية عن نشاط وأعمال المتنيح حبيب جرجس فى مدارس الأحد ألقيت فى حفلة التأبين، ورأينا أن نضمها فى الموسوعة الخاصة بالكلية الإكليريكية ومدارس التربية الكنسية.

فترة مثيرة ومُحيّرة[1]

عزيزى الأستاذ سامى المصرى.

سلام ومحبة فى ربنا يسوع المسيح وأطيب التمنيات.

كنت أريد ولا زلت أرغب كثيراً فى أن نلتقى، ولكن لم أتمكن، ويبدو أنك من جانبك كنت مشغولاً.

والحق أننى أريد أن أعتذر لك وللأسرة الكريمة فإننى قصرت فى المناسبات الرسمية على غير ما كنت أرجو. ولكنى أحسب نفسى عائشاً بالفكر معكم وبالروح، مقدراً فى أعماق مشاعركم وإحساساتكم فى هذه الفترة. وقد اختبرتها قبلا وعرفت أنها فترة مثيرة ومحيرة، فهى مثيرة لأنها تثير فى الذهن أسئلة ربما جديدة كل الجدة، وحتى لو لم تكن جديدة فهى تقف أمام الذهن ملحة ومسيطرة وتفرض نفسها ولا تشاء أن تتحول عن بؤرة الشعور. وهى محيرة لأن الإنسان يمر بمرحلة ذهول، وأحياناً شلل فكرى يتخيل معه الحزين أن الحياة بأسرها توقفت، وكم يروعه أن يخرج إلى الشارع فيجد الناس يمشون بل ويجرون ويتسابقون كما كانوا، ويجد العربات تجرى فى طريقها، والحياة كلها تجرى ولم تقف. فيبهت ويشعر أن الصدمة فى نفسه وشعوره، ويؤلمه أن الطبيعة الخارجية لم تشاركه مشاعره.

وحقا أن الناس يشاركون بعض المشاركة، ولكن الحبيب الأوحد الذى نؤمن أنه معنا فى كل المعركة، منذ بدايتها، بل قبل بدايتها هو الله أبونا، وخالق طبيعتنا ومركبها فينا، والمسيح قد حملها بتجسده إذ شاركنا فى اللحم والدم، هو وحده الذى يرثى لنا، ولا يرثى ثم يقف من بعيد، ولكنه يقدر أن يعين المجربين.

ليتنا، يا عزيزى سامى، نعرف يقيناً أن جوهر الإنسان فينا ليس من الأرض. إنه غريب ومن عالم آخر، يجىء فى زمن ويذهب إلى من حيث أتي فى زمن آخر. فإذا عاد الغريب إلى وطنه، فلماذا نذهل كأنه أصابنا أمر غريب؟ وليس هذا الذهول عندى إلا صدمة لعقلنا الواعى حتى يتوقف عن حيله فى التعمية والتلهى، فيدع للروح فرصة لأن تتأمل موضوعها الحقيقى وغايتها، وتتذكر رحلتها التى لا مفر منها. كثيراً ما يقودها الذهول إلى أن تكشف نفسها، وتذكر من هى، ومن أين أتت، وإلى أين ستذهب.

---

(١) كتب فى أول يونيه ١٩٦٤ م ـ ٢٤ من بشنس ١٦٨٠ ش.

ليتنا نعرف أن الأرواح التى سبقتنا إلى عالم الخلود، ذهبت وكأنها تشير إلينا بأصبعها أن نهتم بما فوق لا بما على الأرض، وأن نتأهب بالفضيلة والأعمال الصالحة لتكون زادنا فى رحلتنا الأبدية.

إن الذين ذهبوا إلى هناك كثيرون ينتظروننا حتى نلحق بهم، وحينئذ تأتى الدينونة فالجزاء فالسعادة الكاملة للأرواح الكاملة أو التى تكملت فى المسيح، لترث معه فى المجد الذى لا يمكن لنا ونحن على الأرض أن نتصوره أو ندركه، لأن مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ما أعده الله للذين يحبون اسمه القدوس.

أيها الأخ، أرجو أن تكتشف فى هذه الفترة معنى الصلاة ولذتها وقيمتها، وأرجو أن تفتح لك مجالات للتأمل البصير، فيما وراء الموت من قيم وحقائق أبدية تعلو وتسمو على حقائق العلوم التجريبية. فالله وعالم الأرواح لا يرى ولا يجس أو يحس ولا يخضع لمقاييس العلوم، ولكن أرواحنا إذا نمت تطورت قدراتها فتشرف على عالم الروح بيقينية جبّارة .

وسلام لروحك،،،،،

المرحوم الأستاذ إدوارد بنيامين[1]

إليك يا أخى إدوارد، وأنت فى عالم البقاء، تحية وفاء وتقدير من صديق أحبك وزاملك، وعرفك منذ ثلاثين عاماً.

عرفت شاباً وديعاً هادئاً مسالماً، تدل ملامح وجهك على ما انطوت عليه نفسك من وداعة وبساطة وسلام يفوق كل عقل.

وبقدر ما كان فى طباعك من هدوء وسلام، بقدر ما كان يحمل قلبك غيرة مقدسة وحمية روحانية على مجد الله وعلى خلاص النفوس.

لكن غيرتك لم تكن حماسة هوجاء ولا كانت صياحاً فى الهواء، وإنما كانت غيرة عملية مباركة.

لقد كنت ترى رأياً، **وكانت أراؤك كلها عملية. لم أرك يوماً تضرب فى الخيال البعيد. كما يفعل الكثيرون من الشباب المتحمسين** ومن رواد الإصلاح. كنت تقترح، وكانت إقتراحاتك مدروسة وتدل على عقلية ناضجة، وخبرة سليمة بشعبنا وشبابنا وأطفالنا.

إنك يا إدوارد كنز ثمين، فقدناه من أرضنا، ولكنه الآن مودع فى عالم الخلود.

لم تكن الصعوبات ولا الشدائد التى تعترض طريقك، بقادرة على أن تنزع سلامك الروحانى، أو تهز إيمانك، أو تردك عن رأى تراه صواباً.

لقد كنت يا إدوارد طيباً طيبة طبيعية فى غير تكلف ولا تصنع. وكنت وديعاً فى غير ضعف، شجاعاً فى غير عنف.

دخلت يا إدوارد الكلية الإكليريكية إيماناً منك برسالتها، فأقبلت على دروسها بنهم متزايد. وقد زانك جمال خلقك، فكنت طالباً نموذجياً، فأحبك الأساتذة والطلبة، وكنت دائماً موضوع حبهم ومحط تقديرهم وإعجابهم. وتخرجت بعد ذلك من الإكليريكية لتحمل الرسالة التى دعاك الرب لها. فمارست الخدمة العملية بأمانة وتقوى وغيرة ونشاط، فأفلحت فى جميع الميادين.

---

(١) نشر بمجلة الكرازة ـ السنة الثانية ـ العدد الخامس ـ يوليو ١٩٦٦م

من ينسى نشاطك فى محيط الأطفال، وإيمانك بالتربية الكنسية منذ الطفولة المبكرة؟! كنت تحب الأطفال، وتحنو عليهم، وتنسى نفسك وأنت بينهم كأنك واحد منهم، تندمج معهم، وتسعد بهم، لأنك كنت تؤمن بأنهم هم شباب الكنيسة فى مستقبل الأيام.

ومن ينسى نشاطك فى محيط الشباب؟ لقد كنت تعمل فى كل كنيسة من كنائس شبرا، وفى أكثر جمعياتها، وفى غير شبرا أيضاً.

وكنت تذهب إلى الكاهن وتحدثه عن الشباب، فيطمئن إليك ويفوضك للإجتماع بالشباب، وكنت تجاهد جهاداً طويلاً حتى ينمو الإجتماع ويزدهر، وكنت تؤلف لجاناً للإفتقاد وتضم إلى الإجتماع عدداً من المتكلمين.

وعليك قام الجهد الأكبر فى إفتتاح «بيت مدارس الأحد» الحالى وبذلت فى سبيله عرقاً ودموعاً وجهوداً مضنية كثيرة، وتعهدت الأطفال فيه بمحبة وأبوة مثالية نادرة، حتى أصبح علي صورة مرضية.

وعلى أكتافك قامت «نشرة الحياة الأبدية» التى كانت توزع مجاناً على شباب الجامعات والمدارس الثانوية، وعلى أكتافك أيضاً قامت «مجلة مدارس الأحد». لم يكن اسم يظهر فيها ككاتب إلا فيما ندر، لكن الله يعلم أن مجهودك فيها كان هو المجهود الأعظم. ولولا ما حباك الله من محبة للعمل وصبر عليه، وإيمان بالرسالة لما كانت مجلة مدارس الأحد قد قامت بدورها فى خدمة شبابنا وشعبنا.

وعندما دعيت للعمل فى أثيوبيا، تحمست لهذا الميدان من حقول الخدمة ومع أننا ودعناك بدموعنا، لكننا **كنا نؤمن أنك بسفرك إلى أثيوبيا ستشرفنا، وتشرف كنيستنا بخدمتك الممتازة فى الإكليريكية الأثيوبية** وفى الأوساط الأثيوبية.

ولم نكن متفضلين عليك فى هذا الشعور، فقد كنا نعرف من أى طراز من الخدام أنت.

وفعلا عشت فى أثيوبيا سنوات. وبمثل الإخلاص والتفانى اللذين خدمت بهما فى مصر، خدمت أيضاً فى أثيوبيا، حتى لمس الكل أنك من طراز ممتاز، تعمل فى صمت ، لكن عملك مبارك، وثمرك واضح.

ولقد كان الأثر الناطق لكل جهودك فى أثيوبيا مع ما لمسوه فيك من فضائل مسيحية عملية أن قالوا عنك فى صدق **«إن إدوارد فوق مستوى البشر»!**

كان هذا هو أعظم نيشان يطمع فيه ويطمح إليه مكافح مثلك بذل حياته فى سبيل رسالته.

كل الأثيوبيين والمصريين أحبوك يا إدوارد، واحترموك، وآمنوا بفضيلتك، ولمسوا فيك التقوى الحقيقية، والإخلاص والوفاء، والخدمة الهادفة، والعقلية الراجحة، والصبر على العمل المنتج.

وعدت يا أخى إدوارد إلى مصر، وفرحنا بعودتك، واستأنفت نشاطك من جديد، وأخيراً **تسلمت مسئولية جديدة فى دار الكتاب المقدس كسكرتير للعلاقات الكنسية،** وكانت لك آمال كبار، وعرضت علينا آمالك واقتراحاتك فأيدناك، وعرفنا أنك الرجل المناسب فى المكان المناسب.

يصعب علينا يا إدوارد أن نودعك إلى العالم الآخر. لكننا نؤمن أنه من يوم أن عرفناك، **عرفنا أنك لست للأرض تحيا أو تعمل. فكان طبيعيا أن تصدر الأوامر العليا بترقيتك إلى عالم أفضل،** لتكون أيضاً الروح المناسب فى المقر المناسب.

سلام عليك يا إدوارد فى منصبك الجديد، وتحيات محبة وتقدير إليك فى دار البقاء والخلود واذكرنا ولا تنسانا، وتضرع إلى الرب عنا. وإلى اللقاء بك فى اليوم الذى يختاره الرب لى.

السيدة چوليت(١)

«حرم الأستاذ لبيب شحاتة الشرقاوى»

«باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين»

جاء فى سفر الحكمة: «أنا عبدك وابن امتك أنا ضعيف وقليل البقاء»

كلمات قالها الحكيم سليمان فى صلاة رفعها إلى الله، يعبر فيها عن عبوديته كإنسان وهو يشعر بالفارق العظيم بينه كبشر وبين الله خالق البشر، نسى سليمان أمام الله أنه أعظم ملوك العالم غنى، وأنه أكثر البشر حكمة فى زمانه وبعد زمانه، نسى كل هذا لا إستنكاراً ولا إغفالاً لنعمة الله، التى أعطته من الغنى ما لم يسبقه من الملوك غيره، وما لم يأتِ بعده من ملوك، لا إستنكاراً ولا إغفالاً للحكمة التى وهبها الله إياه، حتى أنه لم يكن مثله أحد من البشر قبله ولا أحد بعده، وإنما هو الإحساس الحق الصادق، إحساس العبد حينما يقيس نفسه بالرب. أبونا إبراهيم أب الآباء وخليل الله أحس بهذا الفارق، فشرع فى صلاته يقول: «أنا أشرع أكلم المولى وأنا تراب ورماد» تراب لأن جسده من التراب أُخذ، ورماد لأنه إلى الرماد يعود هذا الجسد. «أنا عبدك وابن أمتك» أنا عبدك وابن جاريتك، أمى لا إكرام لها فهى جارية خادمة، العذراء نفسها قالت: «وها أنا أمة الرب» بالقياس إلى الرب ماهو الإنسان حتى تذكره وابن الإنسان حتى تفتقده؟ من هو الإنسان؟ كلمة نقولها ونحن فى مجال القياس والمقارنة بين الإنسان وبين خالقه، ولكن الإنسان فى ذاته بالنسبة لسائر المخلوقات هو أعظمها وهو سيدها، لكن هذه السيادة هى من قبيل السلطان الذى أعطاه السيد الأعظم للإنسان، ليحكم الخليقة باسمه، «أنا عبدك وابن أمتك» ليس لى فى حياتى إلا أن أكون بالحق عبداً، وأنا ابن أمتك أنا ضعيف ضعيف، أأنت ضعيف يا سليمان؟ نعم أنا ضعيف، رغم ما لك من قوة؟ نعم أنا ضعيف، رغم كل العطايا؟ أنا ضعيف، لأنه أى عطية لم آخذها؟ أى شىء لك أيها الإنسان لم تأخذه؟ أنا ضعيف، أنا فى ذاتي ضعيف، لأنى لا أملك من ذاتى شيئاً، حشرة حقيرة يمكن أن تزل الإنسان، مرض تافه ممكن أن يخضع له الإنسان، أنا ضعيف، حينما أكلم الله أنا ضعيف، وقليل البقاء ليس لى خلود إلا من فضيل نعمتك، لأن الإنسان الذى بدأ مخلوقاً كان من الطبيعى أن يفنى، لأن ما له بداية لابد أن

---

(١) كلمة فى جناز الأربعين ـ بكنيسة الأنبا أنطونيوس بشبرا ـ مساء الجمعة ١٥ من أغسطس ١٩٧٥م ـ ٩ من مسرى ١٦٩١ش.

تكون له نهاية، الخلود إذن ليس من طبعنا وإنما الخلود منحة، وهذه المنحة بوعد، «هذا الوعد الذى وعدنا هو به الحياة الأبدية» وعد لأن الخلود ليس من طبعنا.

فصبراً في مجال الموت صبراً ـ فما نوال الخلود بمستطاع

خلوداً للروح لأنها على صورة الله ومثاله، وخلوداً أيضاً للجسد لأن المسيح أخذ جسدنا، أخذ الجسد المطابق لجسدنا، الذى من طبيعة جسدنا، واتحد به وصار هذا الجسد الفانى بطبعه باقياً باتحاد اللاهوت به، جسدنا هذا الترابى الذى من الرماد أخذه المسيح وباركه وقدسه ومنحه الخلود، وأجلسه على العرش فى السماء، المسيح بهذا الجسد جالس الآن على العرش، فنحن الجالسون بالمسيح على العرش. هذا الجسد الترابى لم يعد فانى ولم يعد زائل ولم يعد فاسد، لأن الفساد لبس عدم الفساد والفانى لبس البقاء، فإذا كان الحكيم سليمان يقول أنا قليل البقاء، ففى نعمة المسيح، نحن أتى لنا المسيح بالبقاء وكلمة «قليل البقاء» فى العهد الجديد تفهم على أن مدة وجودنا على الأرض قليلة، إنما الإنسان لا يموت، وإنما ولد ليحيا إلى الأبد ويشارك الله فى الأبدية بالروح والجسد. ليس الخلود لأرواحنا فقط إنما الخلود لأجسادنا أيضاً، لأننا نؤمن بالقيامة والقيامة معناها أن الجسد الذى رقد هو بعينه الذى يقوم، وما يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً. ولذلك لا يختلط جسد فلان بجسد غيره من الناس، ذات الجسد هو بعينه الذى يقوم، ولذلك فإن رب المجد حينما قام من بين الأموات، أراد أن يؤكد حقيقة قيامته بأن يظهر جسده فى كيانه المادى، ليُطمئن التلاميذ على أن قيامة الأموات ستكون على نظير قيامة المسيح، وهو بالنسبة لنا باكورة الراقدين، هو الأول ونحن من بعده. دخل المسيح العلية فانزعج التلاميذ وظنوه شبحاً، فقال لهم: تعالوا جسونى وانظروني فإن الشبح ليس له عظم ولحم كما ترون لىّ، المسيح قام بجسد من لحم ومن عظم ليؤكد أنه قام بجسد حقيقى مادى روحانى، مادى لأنه من طبيعة ذات الجسد الذى مات، وروحانى لأنه اتصف بالصفات الروحانية وأصبح قادراً على النفاذ من داخل الأبواب، وأصبح قادراً على أن يضئ، وينير كما أنار على جبل التجلى، وكما يقول على الراقدين: «أن الأبرار سيضيئون كالكواكب فى ملكوت أبيهم» إذن هذا الجسد المادى سيكتسب صفات روحانية، تجعله مشعاً ومضيئاً ومنيراً كالكواكب إلى أبد الدهور، قام المسيح بذات الجسد الذى رقد به، ليؤكد لنا أننا على نظيره سنقوم بذات الجسد. إذن لا موت للجسد ولا موت للروح، لا فناء للجسد ولا فناء للروح، نحن خالدون. بنعمة إلهنا وبفضل الوعد الذى وعدنا به «هذا هو الوعد الذى وعدنا هو به الحياة الأبدية».

إذن ما يسمونه موت ليس موت بمعنى الفناء، وإنما هو إختفاء مؤقت، هو نوع من السفر، نوع من الرحيل من الدور الأرضى إلى الدور الأعلى، رحيل وسفر، دوران فى الفضاء، إختفاء مؤقت وبعد ذلك القيامة، وبعد ذلك الوجود الحى الذى لا يموت.

هكذا كلنا كمؤمنين يجب أن نذكر ذلك فى أحزاننا، وحينما نودع إنسان للعالم الآخر، لن يتغير إيماننا، نحن نودعه كزائر يختفى أمامنا بالعين، لكنه قد سافر وقد رحل إلى العالم الأفضل والأرقى والأسمى والأعلى. هذه الراقدة فى يسوع المسيح التى مضت عليها أربعون يوما، فهى لم تموت، إنها إختفت، صعدت إلى الملأ الأعلى، ارتفعت إلى العالم الأسمى، لم تموت. إذن نحن لنا رجاء فى المسيح وننتظر قيامة الموتى والحياة فى الدهر الآتى، نحن هنا ننتظر لأننا نؤمن أن إلهنا مواعيده صادقة ولن تكون كاذبة، وقد قام المسيح بالفعل ليؤكد لنا أن القيامة حقيقة، وأقام لعازر من بين الأموات لكى يؤكد بالمثل وبالنموذج أن قيامة الأموات ممكنة وأنها حقيقة، وليس هى نوع من الخيال.

بهذا نتعزى وبهذا نتخلى عن أحزاننا وعن ضيقاتنا، فلا نبكى كما يبكى الذين لا رجاء لهم، فإذا بكينا فمن قبيل العاطفة والحنان، لكن مع الرجاء ومع الإيمان، ومع الثقة ومع اليقين أننا سوف نلتقى فى العالم الأفضل.

إننا نذكر هذا ونحن نرجو أن يكون لنا إنطلاق حسن فى اليوم الذى يشاءه الله، كل مرة نحضر لنشيع جسماناً، أو لنجامل أو نأتى لنُحىّ ونشيع الذين رقدوا نذكر نفوسنا أولاً، أننا جميعاً راقدون، ليس أحد منا باقى على هذه الأرض لأننا لنا وطن أفضل نتطلع إليه وننظر إليه، فى هذه المعانى نتذاكر هذا اليوم، ونحن نشيع بصلواتنا هذه الروح التى ذهبت إلى العالم الأحسن والأفضل منا. نشيعها بصلواتنا، ندعو أن يكون لها فى اليوم العظيم الذى يدين الله فيه الأحياء والموتى حسن القبول أمام إلهنا، وأن تكون من بين الذين يصطفون على يمينه، ويقول لهم: «تعالوا يا مباركى أبى رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس العالم».

نذكر هذا ونطلب العزاء للأسرة الكريمة التى تربطها بنا وبكم جميعاً، أواصر محبة وبركة، واحساس منا بأن هذه الأسرة الممتلئة إيماناً والممتلئة أعمالاً صالحة، وخدمات مباركة للكنيسة، هذه الأسرة تحيطها مشاعركم وتحيطها محبتكم، وهذا هو البرهان إمتلاء الكنيسة بكم دليل حب، لا للراقدة فقط وإنما لزوجها الكريم ولأسرتها. لكم جميعاً خالص العزاء..

بركة ربنا يسوع المسيح تشمل أرواحنا ولإلهنا الكرامة والمجد إلى الأبد آمين...

المرحوم الأرخن الدكتور لبيب عبد النور(١)

جاء فى سفر التكوين: «وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد بعد، لأن الله نقله» (التكوين ٥: ٢٤) هذه الكلمات قيلت عن قديس هو السابع بعد آدم (رسالة القديس يهوذا : ١٤)، إنه سار مع الله. هذا تعبير معنوى. كيف يسير الإنسان المحدود مع الله! أى أنه صار فى طريق الله، وسلك فى الخطى التى رسمها الله له. وهذا كفيل بأن يجعله فى طريق الأمان مرضياً عليه من الله.

إنه تعبير جميل لم يرد فى الكتاب المقدس بهذه البساطة إلا عن هذا القديس. القديس أخنوخ الذى وصف أنه السابع بعد آدم. ووصف بأنه نبى، وأشار إليه القديس يهوذا الرسول حينما قال «وتنبأ عن هؤلاء أيضاً أخنوخ السابع من آدم، قائلاً: هوذا قد جاء الرب فى ربوات قديسيه». هوذا الرجل الذى نقله الله إليه ولم يذق الموت بعد، لأنه محجوز فى بقعة فى السموات لرسالة عند ظهور المسيح الدجّال ومع إيليا النبى. إنه تعبير غاية فى الجمال والدلالة على أن هذا الرجل لم يعش لنفسه وإنما سار فى طريق الله. مسيرة الكمال التى تليق بالإنسان، حتى ولو كان هذا الكمال كمالاً نسبياً. ومن الطبيعى أن يكون الكمال للإنسان كمالاً نسبياً.. أما الكمال المطلق فلله وحده.

سار مع الله ولم يوجد.. هل فقد؟ هل ضاع أخنوخ؟! ليست هذه نهاية الذين ساروا مع الله، لكنه نقل. نقله الله إليه لأن الله حسبه ثميناً وغالياً وأغلى من أن يبقى فى الأرض. إنه رفعه إليه، صانه من شرور الحياة ليحفظه جوهرة ثمينة غالية، ويبقى كذلك نقياً لا يدنو دنس ولا شر إلى حياته أو فكره، ويظل محفوظاً وقريباً من الله، ومصوناً من الشر، وكل شبه شر. ولكن له رسالة.

نقله إليه لا ليريحه بالمفهوم الرخيص لكلمة الراحة، بل لأن له وظيفة وعملاً مع الله. وهذا هو مصير النفوس الغالية الكريمة مع الله فى عمل الخير، والذين يشتركون مع الله فى عمل الخير. هم نفوس غالية كريمة، مناضلة، عرفت أن تحشد حياتها فى الدنيا أعمالاً صالحة وخيراً وفيراً. عرفت أن تعبد الله عبادة مقبولة، وعرفت أن تملأ وقتها جهاداً وعملاً مباركاً، ومن أجله استحقت أن تنال عناية السماء ورعاية الله، وجزاءاً مباركاً، وأن يرفعها الله إليه ويسند إليها مهمة ووظيفة أعلى، تسهم مع الله فى نشر الخير والعمل الصالح، تنشر رسالة الله، وتوسع دائرة الخير فى الكون.

---

(١) كلمة فى ٣٠ من يناير ١٩٨١م ـ ١٢ من طوبه ١٦٩٧ش.

والذين هم لله يصيرون مثل صانعى خيرات.

قال القديس يوحنا الرسول: «يا أبنائى نحن الآن أولاد الله (لا بمعنى أن الله يلد، ولكن بمعنى أن اسم الله قد نسب إليهم بالتبنى وليس بالطبيعة) نحن الآن أولاد الله، ولم يتبين بعد ماذا سنكون، غير أننا نعلم أنه إذا ظهر نكون نحن مثله لأننا سنراه كما هو» (١. يوحنا ٣: ٢)... «ولم يتبين بعد ماذا سنكون» إذن هناك طريق للترقى... سُلّم صاعد وأول خطوة فيه أننا أولاد الله المنتسبون إليه، والمتشرفون بأبوته، وتحت لواء علمه، ونحن عبيده وخدام مملكته... نحن الآن أولاد الله ولكن لم يتبين بعد ماذا سنكون... إذن هناك سلّم صاعد.. ترقى إليه النفوس العالية حتى تصل إليه. ولكننا بالطبع نشبهه ولا نساويه... فهو كامل ويقول «كونوا إذن كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات كامل» (متى ٥: ٤٨)، ويقول «نظير القدوس الذى دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين فى كل سيرة» (١. بطرس ١: ١٥).

... وراحلنا العزيز المبارك... هذا البار المجمل بالفضائل.. الدكتور لبيب عبد النور... هذا الإنسان النظيف، نظيف النفس والروح والقلب... والنظيف اليد... هذا القلب النقى المتسع بالحب، الوديع، المتواضع بحق، الذى كله خير... كله جمال.. هذه النفس التى تنقت وتجملت بالتفانى، وتكملت بالفضيلة... بالتقوى... بالغيرة المقدسة.. بمحبة الخير.. بالعمل الصالح.. بالسير فى الحق.. فى بذل الوقت والجهد فضلا عن المال.. كل مواهبه سكبها سكيبا أمام الرب. لخير الكنيسة، وخير مصر، وخير المجتمع البشرى كله.

إنه كان رجلاً أمينا فى عمله، مخلصاً فى حياته، دقيقاً فى فهمه وعلمه، ولكن هذه زاوية واحدة من زوايا متعددة فى شخصية راحلنا الحبيب الدكتور لبيب... أين هو الآن؟ لقد نقله الله.. أنه سار مع الله، ولم يوجد بعد فى الأرض، لأنه سلك مع الله بالأمانة والإستقامة... جهوده فى هذه الكنيسة بالذات، بل والكنيسة العامة كلها... فى المجلس الملى العام.. وفى أوسع نطاق... فى كل مكان... كل ما عنده قدمه قرباناً، وثمار رائحته الزكية ارتفعت إلى السموات، وقد استجيبت صلواته وطلباته.

لقد ترقى إلى مستوى أعظم... أخذه الله عنده ونقله إليه لأن له عند الله وظيفة عالية ـ يريد أن يسلمها له، ولا يهمه إن كانت حياته قد انتهت سريعاً ـ فإلى حياة أبدية لا نهاية لها نودعك يا لبيب...!

إننا نشيعه بصلواتنا، لا بدموعنا، وإن كانت هناك دموع فهى دموع العاطفة تعبيراً عن خسارتنا نحن فيه.. لكننا بالإيمان نعرف أنه سافر إلى عالم أوسع وأرحب... عالم يستحقه، ويستحق الأفاضل من أمثاله. فإلى مواضع النياح يا لبيب... إلى أن يأتى اليوم السعيد الذى فيه يصفونك عن يمين الملك الديان لتسمع مع الأبرار والصديقين قوله «تعالوا أيها المباركون من أبى، لترثوا الملكوت المعد لكم منذ إنشاء العالم» (متى ٢٥: ٣٤)... عزاءاً لأنجاله، وزوجته المباركة، ولأشقائه، ولكل أعضاء أسرته الكريمة بمعناها الضيق المحدود ومعناها الواسع...

عزاءاً لهذه الكنيسة.. عزاءاً للكنيسة الأرثوذكسية كلها... عزاءاً لمصر فى رجل من أَجّل أبنائها.

والمجد لله دائماً أبدياً... آمين

رسالة عزاء[1]
يبعث بها نيافة الأنبا غريغوريوس إلى أحد أبنائه

سلام لروحك الطيبة ومحبة لشخصيتك التقية ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح، أرجو لك موفور العزاء الروحى والسلام القلبى الإلهى الذى يفوق كل عقل.

إن أملى فيك أن تقبل التجربة بصبر وشكر. واعلم أن للمؤمن بصيرة روحية تجعله مبصراً أكثر ممن عيونهم ناظرة، ولكنهم لا ينظرون لأن قلوبهم سميكة غليظة قاسية جافة مظلمة.

إنى أُذكّرك بما قاله القديس أنطونيوس يعزى به القديس ديديموس الضرير، وأنه إن كان فقد النظر المادى لكن له عقلاً مستنيراً كعقول الملائكة: «كيف تحزن على شىء، يشترك معك فيه أحقر الحيوان، ولا تفرح متعزياً لأن الله وهبك بصيرة لا يهبها إلا لأحبائه من بنى الإنسان. أنك وإن كنت قد فقدت النظر الذى يملكه حتى الذباب، لكن الله خصك بالقداسة وهى موهبة لم يخص بها غير رسله وقديسيه. فخير أن يرى الإنسان الأمور بعيون قلبه من أن يراها بعيون جسده».

واعلم أيها الابن أن طاقة النظر لا تضيع، ولكنها تتحول إلى طاقة أخرى تسندها وتقويها. فقد تتقوى بفقد النظر، موهبة أخرى وحاسة أخرى مثل السمع أو الإحساس أو القدرة العقلية التفكيرية، أو الصوت الجميل... الخ.

وأعتقد أنه يمكنك أن تستغل وقتك، بصقل وتعلم الألحان والمردات، وبممارسة إحدى الحرف اليدوية وبذلك تملأ وقتك، فلا تبقى منه دقيقة واحدة غير مستغلة.

كذلك يمكنك أن تمارس التدريس فى بعض المدارس، وأظنك تعلم أن هناك من المشاهير من الكفيفين من مارسوا التدريس فى مختلف مراحل التعليم.

المهم أن تحتفظ بإيمانك وحيويتك وبروح الإصرار فى قلبك، إنك حى ومتفجر بالحيوية والنشاط، وأن تردد فى قلبك وعلى لسانك:

«لن أموت، بل أحيا، وأحدث بأعمال الرب» (مزمور ١١٧: ١٧).

---

(١) نشرت بمجلة مدارس الأحد ـ السنة ٤٦ ـ العدد ٢ ـ فبراير ١٩٨٢م.

الرب يتولى بنعمته حياتك. كن متفائلاً ولا تتوقف عن الصلاة الهادئة طلباً للتدبير الإلهى.

وإذا أردت الزواج، فهذا أيضاً ممكن، فالزوجة بالنسبة لك ستكون لك عوناً، تصحبك فى كل مكان.

كل هذا ممكن، واعلم أن الله لا يمنع الخيرات عن السالكين بالدعة والكمال، سوف تكتشف عناية الله بك ورعايته لك أضعاف ما كنت تراه من هذه الرعاية والعناية وأنت مبصر.

الرب يتولى حياتك بأسرها. ويعطيك نعمة فى عيون الجميع، ويجعلك بركة.

المرحومة الآنسة ڤيوليت موريس بطرس(١)

باسم الآب والإبن والروح القدس إله واحد آمين.

«يشبه ملكوت السموات عشر عذارى. أخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العريس».

لماذا إختص المسيح له المجد أن يشبه ملكوت السموات بعشر عذارى؟ ولماذا العذارى؟ لأن العذارى يتمثل فيهن الطهر والنقاوة التى هى أهم صفات القداسة، وبدون القداسة لن يعاين أحد الرب. والعذراء دائماً مرتبطة بالعريس. والزواج نوعان:

هناك زواج سماوى روحانى، وهناك زواج جسدانى، والنفس الطاهرة تُشّبه دائماً بالعروس. والمسيح دائماً يضع ذاته فى موضع العريس.

يوحنا المعمدان حينما أراد أن يبرىء نفسه من تهمة أراد اليهود أن يلصقوها به، أنه يحزن لأن مجد المسيح زاد على مجده، قال لهم أنا لست العريس أنا صديق العريس، وصديق العريس يفرح لصوت العريس. ليست مهمتى أن أختطف العروسة لنفسى. أنا جئت لأعد العروسة للعريس وهذه هى مهمتى لذلك أنا أفرح. أفرح لأن العروس تكون للعريس.

وفى سفر الرؤيا شُبّهت الكنيسة المنتصرة بالعروس المهيئة لعريسها وهنا التهيئة روحانية. تهيئة بالفضائل والسيرة النقية وبالأعمال الصالحة التى تجعل العروس أهلاً للعريس، لأن ما نوع هذا العريس؟ أنه العريس الروحانى والسماوى والقدوس.

والعروس المهيئة للعريس تهيئتها تختلف عن تهيئة أى عروس لزواج جسدانى، تهيئة العروس للعريس السماوى تكون لا بنقاوة جسدها فقط إنما بنقاوة روحها أيضاً، لا بغسل جسدها بالماء فقط إنما بغسل روحها الطاهرة. والنقاء وقداسة السيرة والسريرة. العروس المهيأة لعريسها هى التى تُعَدُّ بحيث تتناسب وتتوافق مع مزاج العريس. مزاجه الروحانى وقداسته الروحانية. لذلك قال السيد المسيح يشبه ملكوت السموات عشر عذارى أخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العريس. المصابيح هى هذه التهيئة بنور من سيرة مقدسة بزيتٍ من أعمال صالحة، تصير العذارى قادرة على أن تقترب من خدر العريس. ودخلت العذارى... أى عذارى؟

---

(١) عظة فى ذكرى الأربعين ١٢ من يوليو ١٩٣م.

الحكيمات. ليست كل عذراء هى هذه العذراء التى تليق بالعريس السمائى الروحانى القدوس. إنما العروس الحكيمة. خمس عذارى حكيمات عاقلات غير طائشات متزنات. مثقلات بالفضيلة والطهارة والنقاء وقداسة السيرة. هؤلاء هن العذارى الحكيمات والمهيئات لخدر العريس وهن وحدهن الذين يتهيئن للدخول إلى هذا العرس السمائى.

أيها الأخوة والأبناء لنا عروس - تهيأت لعريسها السمائى، أيهما أفضل أكانت هذه العروس تدخل إلى زواج أرضى جسدانى بما فيه من تبعات ثقال. مطلوب منها الكثير لكى ترضى زوجها، وربما فى سبيل هذا الإرضاء تتعطل عن تهيئة نفسها وروحها، أو على الأقل لا تكون متفرغة التفرغ الكامل ومنقطعة الإنقطاع الكامل لإرضاء العريس الواحد.

ألم يقل الكتاب المقدس أن بين الزوجة والعذراء فرقاً. فالمتزوجة تهتم فيما للعالم كيف ترضى زوجها. أما العذراء فتهتم أن تكون مقدسة جسداً وروحاً. إذا كانت هناك مقارنة أليس من الغباء وأقول من الغباء لأننا كبشر أغبياء. لأن عيوننا مغلقة. ففى اليوم الذى تزف فيه العروس إلى زوجها الأرضى يرقص الراقصون ويغنى المغنون بفرح عظيم، لماذا؟ لماذا لا يرقص الراقصون ويغنى المغنون حينما تزف عروس عذراء للعريس السماوى. أليس حقاً أن هذه غباوة. أليس حقاً أن هذه أرضانية جسدانية أغلقت على عيون البشر. أليس هذا نقصاً فى حقيقة الإيمان لو كشف عن عيوننا لرأينا أن اليوم التى تزف فيه عروس طاهر بتول نقية للسماء، هذا اليوم أولى بأن يفرح الناس لأنها زفت إلى عريس يفوق جميع العرسان، بما يسمو الله فى عظمته والمسيح فى قداسته عن كل إنسان من البشر الأرضيين. هو نقص فى الإيمان، هو ضعف فى الصفاء والروحانية، هو قصر فى النظر، ولكن لو كان لنا بعد نظر، لو كشف عن عيوننا لرأينا غير ما نراه بعيوننا.

وما أصدق فى هذا الموقف أن يقال ما قاله أليشع النبى، حينما جاءه جيحزى تلميذه وقال له بفزع وخوف: الجبل كله فيه جند وخيل يريدونك يا سيدى. فماذا قال أليشع؟ اكشف يارب عن عينى الغلام فيرى. ماذا كان رد أليشع؟ أليشع كان يرى لكن جيحزى لم يكن يرى. جيحزى كانت عيناه مغلقتين ومستورتين ومحجوب عنهما بسبب خطاياه أن يرى ماوراء المنظور. لذلك لم يُصَلِ أليشع من أجل نفسه، وإنما قال أكشف يارب عن عينى الغلام فيرى. وإستجاب الله لصلاة أليشع فكشف الرب عن عينى جيحزى فرأى. رأى الجبل كله محتشداً بملائكة عددهم أكثر بكثير من عدد الجنود والعسكر الذين جاءوا ليختطفوا أليشع. فقال يا سيدى أن الذين معنا أكثر من الذين علينا.

حينما يكشف عن عيوننا فنرى. والإيمان هو الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا ترى. أليس فى هذا عزاء وأى عزاء.

نحن لا نعزى أنفسنا مخدوعين، أو كما قال الرسول بطرس أننا لا نكلمكم عن أمور كهذه إنما لأننا رأينا عظمته ورأينا جلاله. لسنا نكلمكم عن خرافات مصنعة إنما نكلمكم عن ربنا يسوع المسيح ومجده، لأننا رأيناه عندما كنا معه ورأينا عظمته عندما كنا معه فى الجبل المقدس.

نحن لسنا مخدوعين ولا نغالط، عن إيمان وثقة أن هذه الصبية قد زفت إلى السماء ودخلت العرس السماوى، ونثق أنها من بين العذارى الحكيمات، لأننا نعرف سيرة هذه الابنة وأخلاقها وطهارة حياتها وميولها ورغباتها الروحانية. كانت تشتهى أن تبقى بتولاً كل أيام حياتها فأعطاها الرب سؤلها لأنه كان يمكن أن تغصب على الزواج، وأن تضطر له بطبيعة الأحوال أو بإلحاح الوالدين، لكننى أعلم أن هذه الابنة كانت تريد من صميم قلبها أن تعيش بتول كل أيام حياتها، فلم تكن تعرف الطريق إلى ذلك، كان لابد أن تقوم فى وجهها عقاب وصعاب، وإستجاب الرب لصلاتها حينما رأته فى أحد أحلامها ورؤاها أنه أعد لها إكليل وأنه سيشفيها. نعم وقد شفاها حينما تخلصت من هذا الجسد. شفاها الشفاء السماوى. لذلك فهى قد تجلت وظهرت رائعة فى السماء، طاهرة مقدسة سامية فوق الأرض بين العذارى القديسات، صارت فى طريق العذراء مريم. والعذراء مريم هى التى رسمت نظام العذارى، وأخذت من عذارى جبل الزيتون من أشتهين البتولية والطهارة والنقاء، وصارت العذارى اللائى كن يعرفن بعذارى جبل الزيتون، يتخذن من مريم العذراء رائدة لهن يتبعنها ويذهبن معها إلى القبر المقدس قبر المسيح ويصلين ويصمن، وهذا هو أساس الصوم المعروف بصوم العذراء مريم. لأن العذراء كانت تصوم هذا الصوم وكانت تصوم معها العذارى، عذارى جبل الزيتون. وهذا طريق قبل أن يوضع نظام الرهبنة فى القرن الرابع بالشكل المعروف به، وكان هناك نظام العذراى والعذراء مريم هى عذراء العذارى وهى رائدة هذا النظام.

إن ڤيوليت عذراء وعذراء حكيمة، ونؤمن غير مخدوعين بأن هذه الابنة بين القديسات الحكيمات، لذلك فقد ارتقت وزفت إلى العريس السمائى، ودخلت هذا اليوم يوم الأربعين تدخل الروح إلى مقرها المؤقت الذى يؤمر لها به إلى يوم القيامة العامة والدينونة والحساب. دخلت هذه العذراء اليوم، يوم الأربعين دخلت إلى فردوس النعيم.

وأريد أن أقول للأب وللأم ولهذه العائلة المباركة التى نفخر بها كعائلة مسيحية، نتمنى أن تكون عائلاتنا المسيحية على غرارها ونظامها، هذه أقولها للأب وللأم وللإخوة أيضاً أن هذا كنز، وهذا الكنز رفع إلى مكان حيث لا يفسد السوس ولا صدأ، وحيث يكون كنزكم يكون قلبكم أيضاً، إنها فرصة شاء الله أن يحرركم ويثيركم لتلتفتوا أكثر إلى السماء، لأن فى السماء لكم كنزاً وهذا الكنز يجعلكم أكثر مما كنتم فى الماضى، حريصين على أن يكون قلبكم هناك. حيث يكون كنزكم هناك يكون قلبكم أيضاً. هذه الصبية كنز للفضائل وللطهارة إنتقلت إلى السماء، ودخلت فردوس النعيم، هذا الكنز الجميل نتجه بقلوبنا إليه، نطوبها، لا نرثى لها ولا نبكى، كأن شىء من الضرر قد أصابها، حاشا.. هذا نقص فى الإيمان، هذا ضعف وخور فى الإيمان. نحن ننظر إليها كإنسانة قد ترقت. إرتقت، تزوجت الزواج الروحانى. زفت إلى العريس الأسمى والأعظم من كل عرسان العالم.

وسؤالنا إلى الله أن يسكب سكيب العزاء والسلوان والسلام الذى يفوق كل عقل، على قلب الأم وقلب الأب وقلب هذه الأسرة.

ولإلهنا المجد والإكرام إلى الأبد آمين.

المرحوم الأستاذ عبد المسيح برسوم المحامى(١)

الابنة العزيزة الأستاذة ايزيس ميخائيل المحامية.

قرينة المرحوم الأستاذ عبد المسيح برسوم المحامى.

لتكثر لك النعمة والرحمة والعزاء والسلام من قبل الله أبينا وربنا يسوع المسيح.

نكتب لك أيتها الابنة المباركة، وقلبنا معك ومع الأسرة، مستشعرين الفراغ الهائل الذى تركه أخونا الحبيب الأستاذ عبد المسيح برسوم، برحيله إلى عالم البقاء والخلود، ليكون مع المجاهدين الذين سبقوه إلى الحياة الأفضل والأسمى، والتى تليق به كمن وضع حياته كلها فى مسيرة السمائيين. باذلاً كل جهد مستطاع فى إرضاء الرب يسوع المسيح، فى حياته الخاصة عابداً وخادماً فى الكنيسة والبيت، وواضعاً كل جهده ووقته فى خدمة الحق، محامياً عن المظلومين والمقهورين لينتزع لهم حقوقهم من ظالميهم ومغتصبيهم، فى عشرات ومئات الحالات التى تطلبت منه جهداً مضنياً ذهنياً وروحياً وجسدياً ليكسبها لأصحابها فيريحهم.

إننا نترحم عليه، ذاكرين بالخير جهوده من أجل الكنيسة المقدسة، فى البطريركية ومرافقها وخارجها، وفى أسقفياتها، وأديرتها للرهبان والراهبات، وكل الأنشطة القبطية والجمعيات والهيئات. ونشيد على الخصوص بجهوده المباركة كرئيس للجنة أصدقاء أسقفية الدراسات العليا اللاهوتية، والثقافة القبطية والبحث العلمى.

إننا نكتب هذا ونحن نحس ونشعر بالفراغ الذى تركه بيننا كأسرة له مع أسرته الخاصة، ولو أننا نؤمن بأنه قد انضم برحيله إلى أسرة السمائيين، من المجاهدين والمناضلين فى سبيل الإيمان المسيحى، والقيم الروحية التى خدمها بكل إخلاص فى رحلة حياته على الأرض.

لذلك نردد قول الله بفم النبى إشعياء «ورجال الإحسان يضمون، وليس من يفطن بأنه من وجه الشر يضم الصديق. السالكون بإستقامتهم يدخلون فى السلام ويستقرون» (إشعياء ٥٧: ١، ٢).

إننا ندعو الله أن يسكب على قلبك، وأنت رفيقة حياته، ونصفه الثانى، سكيب العزاء، وأن يمنحك الرب السلام الذى يفوق كل عقل، ويقويك والأسرة على إحتمال تجربة الفراق، «وطوبى لمن يحتمل التجربة، فإنه متى تزكى ينال إكليل الحياة الأبدية».

ونعمة الرب تشملك، ولعظمته تعالى السجود والإكرام إلى الأبد آمين،،،

---

(١) كتب فى ١٧ من أكتوبر ١٩٨٤م ـ ٧ من بابه ١٧٠١ش.

المرحومة السيدة سيسيل أرمانيوس جرجس[1]

الابن العزيز السيد نظير عزيز سعيد.

المسيح قام ـ حقاً قام.

سلام لك ومحبة ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح، ارجو لك موفور الصحة والعزاء.

إنى أقدر مشاعرك بالنسبة لوفاة والدتك العزيزة وأفهم متاعبك النفسية وقد تُوفيت من دون أن تكون أنت إلى جانبها.

ولست وحدك فى المشكلة، فإنى أعرف حالات أخرى مماثلة، خصوصاً بالنسبة للذين هاجروا إلى بلاد المهجر، أو الذين يقيمون خارج مصر للدراسة أو للعمل... حدث هذا ويحدث مثله وسيحدث مثله لكثيرين.

فليس فى الإمكان، فى ظروفنا الحاضرة أن يبقى الإنسان إلى جانب أهله،، وإلاّ تعطل عن العمل. هذه أيها الابن، ضريبة عصرنا وزماننا. وفى هذا اختلف جيلنا عن الأجيال السابقة مباشرة. ولهذا سقط فى زماننا وضع (الأراخنة) وهم رؤساء العائلات. ففى الأجيال السابقة كان الرجل يقيم فى بلدته ويقيم معه أولاده، وأولاد أولاده بعائلاتهم فيما يعرف (بالدَوَّار).

وشيئاً فشيئاً تتحول الأسرة الواحدة إلى قبيلة كبيرة لا تفارق البلدة أو القرية عشرات السنين، وتصير البلدة الواحدة حصيلة بضع عائلات كبيرة، ويصير أب كل عائلة هو رئيسها أو الأرخن، ويتبعه أولاده وأولاد أولاده وعائلاتهم، وتصبح البلدة كلها عدداً من الأراخنة هم رؤساء العائلات... لم يعد زماننا هذا يسمح بما كان يجرى عليه الحال فى أجيال سابقة.... فللأسباب الإقتصادية صار كل شاب يغادر بلدته تبعا لظروفه المعاشية، وبالتالى تشتت العائلات، وانصرمت وحدتها المكانية، وسقط نظام رؤساء العائلات...

أقول هذا لتتعزى عن وفاة والدتك بعد مرضها الطويل، فما كان يمكنك أن تبقى مع والدتك كل الأيام، وأنت رجل لابدّ أن تتحرك من أجل العمل، فليس يليق بك أن تبقى إلى جوار والدتك، وتضيع على نفسك فرص العمل..

---

(١) كتب فى ٣٠ من أبريل ١٩٨٥م ـ ٢٢ من برمودة ١٧٠١ش.

أعرف حالة امرأة فى مصر الجديدة، لها ولد هاجر إلى استراليا، وآخر من أولادها هاجر إلى اليونان، وثالث إلى كندا.... هل كان يمكن أن يبقى معها أولادها الثلاثة طوال حياتها..؟

على أننى أذكرك بأن إيماننا يرفعنا فوق الحواس، فوالدتك رحلت إلى العالم الآخر فى رحلة سفر، ويمكنك أن تراها بالروح، وبالأحلام، وأن تتحدث إليها بالصلاة، وأن تسمع صوتها أيضاً.. وهذه كلها ليست غريبة علينا، فكل منا روح حبيسة فى جسد، ولا فرق فى الحقيقة بين من يقيم فى الجسد، ومن انطلق من الجسد ليحيا خارج الجسد فى عالم الأرواح، فضلاً عن أن الأرواح، ليست حبيسة فى مقرها، وإنما يمكنها حسب رغبتها وأشواقها أن تتردد إلى عالمنا، إما بطريقة منظورة، أو بطريقة غير منظورة.

فلا تبتئس، ولا تحزن، ولا تحبس أفكارك فى جسدك، بل اخرج وانطلق بالفكر والروح إلى العالم الأرحب والأوسع.

كن معافى باسم الثالوث القدوس.

ولتشملك نعمة الرب وبركته.

الله يسوس العالم بالقوانين لا بالمعجزات[1]

العزيز الابن منير توما جرجس.

اسطنها ـ عزبة القسيس ـ المنوفية.

سلام ونعمة وعزاء وبركة من ربنا يسوع المسيح.

قرأت أيها الابن خطابك، وتألمت كثيراً لآلامك، وتوجعت لمصابك فى وفاة ابنك الصبىّ فى الثالثة عشر من عمره. إثر مرض أصابه. ولم يتم شفاؤه منه على الرغم من جهود الأطباء فى بنها والزقازيق والقصر العينى بالقاهرة، وعلى الرغم أيضاً من إستشفاعكم بالقديسين والشهداء.

وإنى أُقِّدر حالتكم النفسية، وصدمتكم الروحية التى أصابتكم بالفتور الروحى. بل وبالغضب أحيانا وربما الصدوف عن العبادة، واهتزاز إيمانكم بفاعلية الصلاة، والإستشفاع بالقديسين...

إنى أُقدِّر مشاعركم، ولا أدينكم، ولكننى مطمئن إلى أن هذه الفترة النفسية القاسية التى تجتازونها كأب توفى إبنه فى سن الصبوة، فترة مؤقتة وأنها لن تطول، ولسوف يرتد إليك إيمانك، وربما ـ كما أرجو ـ أقوى مما كان أولاً.

والحق أن السبب الأساسى فى هذه الصدمة الروحية، وإهتزاز إيمانك بالصلاة وفعاليات الوسائط الروحية، أنك كإنسان كنت تَغْشَم وتؤمل أن يصنع الله المعجزة ويشفى إبنك المريض، لا سيما وفى علمك وفى ذاكرتك عدد من مرضى استفحلت حالهم، وعجز الأطباء عن علاجهم، وفى لحظة تمّ شفاؤهم بوسائط روحية فائقة، ظهرت فيها قوة الله للشفاء، وفعاليات الصلاة فى حدوث المعجزة.

على أننا كبشر ننسى عادة أن «الله يسوس العالم بالقوانين لا بالمعجزات» كما يقول القديس أوغسطينوس: إن المعجزات ممكنة لله، وقد حدثت فى الماضى. ولا تزال تحدث فى الحاضر، وسوف تحدث أيضاً فى المستقبل. لكن المعجزة ليست هى القاعدة التى نتطلبها دائماً. إن المعجزة هى الإستثناء ـ أما القاعدة أى القانون الطبيعى فهو الأعم والأشمل. وهو السائد دائماً. وهو الذى على أساسه يقوم كيان الكون بأسره. والله لا يشاء

(١) كتب فى ٥ يونيه ١٩٨٥م ـ ٢٨ بشنس ١٧٠١ش.

أن يصنع المعجزة إلاّ فى أحوال نادرة ولأسباب يراها هو بحسب حكمته العالية التى لا ندركها نحن.

إن الخطأ العظيم الذى يقع فيه دائماً المتدينون على الخصوص هو أنهم يتطلبون المعجزة باستمرار، ولا يأبهون بالقانون العام... إن إحساسهم بعلاقتهم الخاصة مع الله، وإيمانهم بصدق مواعيده، تهيمن على تفكيرهم، وتجعلهم يتعلقون بالمعجزة دائماً، وتغشى عيونهم عن قوانين الطبيعة التى يسوس الله بها الكون بأسره من جمادات ونباتات وحيوان وإنسان، وينسون أنه لو أن الله جعل المعجزات هى القاعدة، لانهدمت كل قوانين الوجود، ولزال كل نظام، وبالتالى فلا ثبات ولا استقرار، ولإنتفى أيضاً كل سبيل للعلم. لأن العلم فى حقيقته هو العلم بالقوانين الطبيعية، أى هو العلم بالثوابت لا بالمتغيرات.

نعود للكلام عن ابنك الصبىّ الذى توفى فى الثالثة عشرة من عمره إثر مرض أصابه، ولم تفلح جهود الأطباء فى علاجه.

إنَّ كل مرض له أسباب. ولا يمكن أن يكون هناك مرض بدون سبب. فكل الوجود مربوط بقانون السببية والعلّية. وهذا هو الذى يدفعنا للبحث عن السبب فى كل ظاهرة. وهو ما يؤدى بنا أخيراً إلى العلم. والعلم يقوم على معرفة السبب، وهذا هو السر فى تقدم العلم الإنسانى بعامةٍ، وعلم الطب بخاصةٍ وهذا هو الحصاد من كل بحث مما يقودنا إلى الوقاية وإلى العلاج وإلى كل أنواع التقدم فى كل فروع المعرفة الإنسانية.

وفى مجال الطب، يتعلّم طلبة الطب فى دراستهم للأمراض وعلاجها نصيحة ثمينة هى خبرة كل الأجيال: ـ «ابحث عن السبب» ـ «وللعلاج اعمل على إزالة علة المرض». وربما لهذا السبب يسمى المريض بـ «العليل» أى أن هناك سبباً وعلّة لمرض هذا الإنسان. وعلى الطبيب أن يفحص هذه العلة، ويتتبع بخبرته وتجربته ومحاولاته أسباب المرض، ويعمل على إزالتها، فيشفى المريض.

إن من أجمل ما كتبه أحد الأطباء فى كتاب له ينصح القارئ لكتابه، فيقول: «لا تتخط ولا تتحدى قوانين الطبيعة وتتطلب من الطبيب أن يصنع لك المعجزات». إنها عبارة ثمينة ونصيحة جميلة، يشرح فيها الطبيب مهمته، فليس الطبيب هو الخالق. إنه إنسان يحاول أن يفحص المريض ويتقصى أسباب المرض، وينظر إذا كان فى إمكانه أن يزيلها. فإذا شفى المريض، فليس الطبيب هو الشافى، إنه إنسان درس قوانين الطبيعة فى الصحة والمرض،

ويسعى لعله يكتشف سبب المرض. ويعمل على إزالة السبب، فتعود الصحة للمريض، ولذلك يسمّى الطبيب فى اللغات الأجنبية بما يمكن ترجمته بالممارس الطبيعى PHYSICIAN أى الذى يعمل على إعادة الجسم إلى طبيعته بإزالة الأسباب التى أخرجته عن طبيعته وعاقته عن استمرارية وضعه الطبيعى.- ومثل الطبيب فى ذلك مثل الكهربائى الذى نستدعيه لإصلاح أعطال الكهرباء، فيعمل على إزالة معوقات الاتصال الكهربائى فى الأسلاك، ومثله بالمثل ما يصنعه الذين يقومون بإصلاح مواسير المياه بإزالة أسباب عدم قيامها بعملها.

إنَّ صبيا يمرض بمرض خطير يعجز الأطباء عن علاجه، لابّد أن لهذا المرض أسباباً حتى لو ظهر الآن أنها غير معروفة. فقد يكتشف العلم فى مستقبل الأيام ما يقودنا إلى معرفة أسبابها، وقد تكون علة المرض أقوى من قدرة الطب فى الحاضر على إزالتها.

والمعلوم لدينا جميعاً أن الله خلقنا من تراب الأرض. ولكن طفل اليوم لا يُخلق بنفس الطريقة التى خُلق بها آدم الإنسان الأول. إنّ أدم خُلق بأن جبله الرب الإله من تراب الأرض ثم نفخ فيه نسمة حياة. فصار نفساً حية (التكوين ٢: ٧).

أما اليوم فالطفل يُخلق من أب وأم، وكل من الأب والأم خُلق بدوره أيضاً من أب ومن أم..

وتبعا لقانون الوراثة الذى تخضع له كل الكائنات من نبات وحيوان.. يرث الطفل نسبة الثلثين تقريباً من أبويه المباشرين. ولكنه يرث أيضاً من جدوده ومن جدود جدوده حتى الجدّين الأولين آدم وحواء.

هذا من جهة، لكن هناك عوامل أخرى تؤثر فى صحة الجنين ثم الوليد ـ منها صحة الوالدين النفسية والعصبية والبدنية عند الإخصاب وما قبل الإخصاب ـ ثم صحة الأم النفسية والبدنية كل فترة حملها للجنين فى بطنها ـ ثم ظروفها الصحية البيولوچية والفسيولوچية والمرضية أثناء الولادة وما بعد الولادة ـ ثم صحة الأم النفسية والعصبية والبدنية أثناء فترة الرضاعة، ثم بعد ذلك ما يواجهه الطفل بعد ولادته من عوامل كثيرة لا حصر لها فى التغذية والتربية والبيئة جسمياً ونفسياً وعصبياً ـ ثم مناعته ضد الأمراض التى تنتقل إليه بالعدوى أو بالإهمال أو....

قصدنا من هذا أن نبيّن أن الإنسان ـ أى إنسان ـ لا يهبط من السماء. ولكنه يجىء من أب ومن أم. ويمّر فى مسيرته ورحلته على الأرض بعوامل كثيرة ومختلفة، لابّد أن تترك أثرها على حياته. وحياته هى فى الواقع محصّلة لكل هذه العوامل مجتمعة معا.

وبالإجمال. فإننى بمحبة أُقدّر موقفك وأفهم مشكلتك، وأحسّ معك بالصدمة القوية التى أُصبتم بها.

على أننى أصلّى معك، أن يرتد إليك إيمانك، وتعود إليك خصوبتك الروحية وإنى أعرف آخرين أفادتهم التجارب والآلام فى نهاية المطاف ـ وعلى قول القديس يوحنا ذهبى الفم «ما من تجربة إلاّ وتحمل وراءها إحدى البركات».

ولكنّى أريدك أن تضع فى اعتبارك:

أولاً: أن تجربتك ليست هى الأولى من نوعها. فما أكثر الذين مات أطفالهم فى سن مبكرة، بعضهم ماتوا بعد ولادتهم مباشرة. وبعضهم فى مرحلة متأخرة عن ذلك، وبعضهم فى سن الشباب.

ثانياً: بعض الناس لهم أطفال وُلِدوا متخلفين أو معوقين، أو أصابتهم بعد ولادتهم أمراض أو عاهات، صاروا بها متخلفين أو معوقين أو مشلولين، جعلتهم بين البؤساء، كما أصابت والديهم بغصة وآلام مدى الحياة بسبب ما أصاب أبناءهم من أمراض.

ثالثاً: إذا مرض لنا إبن أو قريب، يجب أن نبذل كل ما فى مقدورنا فى سبيل علاجه. ونصلّى قبل ذلك وأثناء ذلك، لكى يتفضل الله فيلهم من لهم مواهب الشفاء، ويبارك فى وسائطهم التى يستخدمونها لكى تنجح ولا تفشل.

ويقول الكتاب المقدس «يا بنى إذا مرضت فلا تتهاون، بل صلّ إلى الرب... ثم اجعل موضعا للطبيب...» (يشوع بن سيراخ ٣٨: ١- ١٣).

فالطب لا يتعارض مع الصلاة. والأطباء العلماء يؤمنون أكثر من غيرهم بأهمية الصلاة وفاعليتها بالنسبة للطبيب والمريض معاً.

رابعاً: إننا عندما نصلّى، يجب أن نصلّى باتضاع. أو كما قال بعض القديسين «مثلنا عندما نصلّى مثل الفقير الذى يطلب رحمة من الغنّى، فنحن الشحاّذون والرب هو صاحب الحق فى الإحسان.. إن شاء أن يعطى فشكرا لفضل نعمته، فإذا لم يشأ فنحن لا نغضب كأننا نحن أصحاب حق، وهو المغتصب لحقنا..

ولقد علمنا المسيح له المجد أن نطلب فى صلاتنا مشيئة الله لا مشيئتنا «لتكن لا مشيئتى بل مشيئتك» (لوقا ٢٢: ٤٢)، (متى ٢٦: ٤٢، ٣٩)، (مرقس ١٤: ٣٦).

وعلَّمنا مثل ذلك فى صلاتنا الربانية التى نصّليها فى كل يوم «لتكن مشيئتك فى الأرض كما هى فى السماء» (متى ٦: ١٠)، (لوقا١١: ٢) وجاء فى رسالة القديس يوحنا الأولى «وهذه هى الثقة التى لنا عنده أنه إن طلبنا شيئاً حسب مشيئته يسمح لنا» (١. يوحنا ٥: ١٤)، (٣: ٢٢).

واذكر أخيراً أن النبى داود مرض له ابن «فتضرع داود إلى الله من أجل الولد، وصام داود صوماً ودخل وبات مضطجعاً على الأرض. فقام إليه شيوخ بيته ليقيموه عن الأرض فأبى ولم يأكل معهم طعاماً. فلما كان اليوم السابع مات الصبّى. فهاب عبيد داود أن يخبروه بأن الولد قد مات، لأنهم قالوا هوذا لّما كان الولد حياً كلّمناه فلم يسمع لصوتنا، فكيف نقول له قد مات الولد، يعمل أشر. ورأى داود عبيده يتهامسون، ففطن داود أن الصبىّ قد مات. فقال داود لعبيده: هل مات الصبىّ؟ فقالوا قد مات. فنهض داود عن الأرض واغتسل، وادّهن، وغيّر ثيابه، ودخل بيت الرب فسجد ورجع إلى بيته وطلب، فوضعوا له طعاماً فأكل. فقال له عبيده: ما هذا الأمر الذى صنعت؟ فإنك لّما كان الولد حياً صمت وبكيت، فلما مات الولد قمت وأكلت طعاماً. فقال: لما كان الولد حياً صمت وبكيت لأنى قلت من يعلم، لعلّ الرب يرحمنى ويحيا الولد. وأما الآن فقد مات، فلماذا أصوم؟ فأستطيع أن أردّه بعد. أنا ذاهب إليه، وأما هو فلا يرجع إلىّ» (٢. صموئيل ١٢: ١٦- ٢٣).

عد الآن أيها الابن إلى صلاتك وإلى عبادتك، وتقّبل التجربة باتضاع وخضوع وصبر، واعلم أن لك عن الصبر أجراً صالحاً. قال الكتاب المقدس: «طوبى للرجل الذى يصبر على التجربة، لأنه إذا تزكى ينال إكليل الحياة الذى وعد به الرب للذين يحبّونه» (يعقوب ١: ١٢).

ونعمة الرب تشملك،،،

الأستاذ المرحوم خيرى[1]

الإبنة العزيزة المباركة سميرة.

سلام أيتها الابنة العزيزة، ودعاء إلى الله أن يحفظ حياتك والأنجال جميعاً بموفور الصحة، ويشملكم الرب الإله بالعزاء والسلام الذى يفوق كل عقل. أما عزيزنا المبارك المحبوب خيرى فلينعم بفردوس النعيم، وليعطه الرب الإله الرحمة وحسن القبول أمامه تعالى، والراحة والعزاء فى مواضع القديسين.

إننى أعلم عن المبارك خيرى، محبته وصلاحه وخيريته وإهتمامه بالأيتام، وصنعه للخير من أجل الخير فى ذاته، وإرضاء الله وعبادة لإسمه القدوس. وأحمل له فى قلبى أجمل الذكريات، وأحلى الإنطباعات. وهو حقيقة كما وصفتيه أنتِ، جدير بكل تكريم. ولكنى استرحت كثيراً لكلامك عنه كزوجة وفيّة، واستراحت روحى لمشاعرك نحوه، وتقديرك لفضائله. ورعايته لك ولأولادكما، وأنه لم يبخل عليك بشىء، بل عمل دائماً على إرضائك وعلى ما يسّر قلبك.

واعلمى أيتها الابنة إذا كانت هذه هى مشاعرك نحوه كزوجة مخلصة، وقد عاملك لا كزوجة فقط بل كإبنة أيضاً ـ أقول إذا كانت هذه هى مشاعرك نحوه، فإنّ مشاعر الله نحوه أكثر وأكثر بما لا يقاس. فهو أبوه، وقد كان ولا يزال فرحاً به وبأعمال الخير التى صنعها بالأيتام والمساكين، وبحسن رعايته لبيته وأسرته، وقيامه بواجباته العائلية والكنسية على نحو ابتغى فيه رضا الله ومسرته.

اطمئنى أيتها الإبنة العزيزة سميرة، فإنَّ خيرى الآن فى أحضان المسيح الذى أحبه، وهو الذى يُجزيه بالخير والبركة أضعاف أضعاف ما تتوقعينه أنتِ. الله، يا إبنتى «ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة التى أظهرتموها نحو اسمه إذ قد خدمتم القديسين وتخدمونهم» (العبرانيين ٦: ١٠). واذكرى ما قاله المسيح له المجد عن يوم الدينونة أن يقول للأبرار (تعالوا أيها المباركون من أبى لترثوا الملكوت المعدَّ لكم منذ إنشاء العالم، لأنى كنت جائعاً فأطعمتمونى، كنتُ عطشانا فسقيتمونى.... فيجيبه الأبرار عندئذ قائلين يارب **متى رأيناك** جائعاً فأطعمناك؟) (متى ٢٥: ٣١- ٤٠) إنَّ الأبرار نسوا ما صنعوه،

---

(١) كتب فى ٢٩ من أبريل ١٩٨٧ م ـ ٢١ من برمودة ١٧٠٣ش.

أمّا الله فلم ينسَ ولن ينسى. كل ما صنعه المبارك خيرى مُسَجَّلُ له، فى سجِّل الخالدين، ومحفوظ، ولابّد أنه قد سبقه عند الله الديّان، ولقد وجده، وسينال عنه الجزاء المبارك.

أيتها الإبنة العزيزة سميرة، أريدك يا إبنتى أن تذكرى ولا تنسى أننا جميعنا مُسافِرون، ولن يبقى أحد هنا فى الأرض، كلّنا رفقاء مسيرة، كلُّنا متحركون فى طريق واحدة هى (طريق الأرض كلّها). كلّنا سائرون وكلّنا راحلون... وكل الفارق هو فى الوقت، والوقت فى الواقع قصير. الفرق بين إنسان وآخر هو مهما ظنه كبيراً، هو ضئيل بالنسبة للأبدية اللانهائية التى نحن كلنا سائرون إليها.

فلا داعى لأن تبحثى بالهّم والضيق، لماذا لم يستجب الله صلاتك بإنقاذ المبارك خيرى من الأزمة القلبية الأخيرة.؟ ألا تعلمين أيتها الإبنة أنه سبق وأنقذه منها مراتٍ، فكم من مرة تفتقدنا مراحم الله بالخلاص من ضيق، ولكن لابّد أن يكون الموت نهاية رحلتنا على الأرض، لننتقل إلى العالم الأفضل. لو أنه تدخل الربُّ فى كل مرة، ومنع مِنّا الموت، فمعناه أننا سنبقى فى الدنيا إلى الأبد، وهذا سيحرمنا من العالم الأفضل والأجمل. إنّه من الخير لنا أن يأخذنا الربُّ إليه لنسعد به دائماً، أليس هذا أفضل من الدنيا وأتعابها. أليس الأجير يفرح بإنتهاء يومه؟ ألم يقل الكتاب المقدس (نهاية أمر خير من بدايته) (الجامعة ٧: ٨)؟ أليس بحق يقول الوحى الإلهى (يوم الممات خير من يوم الولادة) (الجامعة ٧: ١)؟ لأن يوم الممات تنتهى به الأتعاب والأمراض والشقاء فى الدنيا، وتبدأ به الراحة ويبدأ به الشفاء من الأمراض، ويبدأ به السلام والخلاص من شقاء الحياة.

أذكرُ بعد وفاة الوالدة فى سنة ١٩٤٤ أي منذ ٤٣ سنة أننى رأيتُها فى حلم أو فى رؤيا، وأمسكت بها فى شوق وشغف، فنظرت إلىَّ فى حنانٍ وفى عتاب وقالت لى: (ماذا رأيتُ فى الحياة الدنيا من راحة، تريدنى أن أعود إليها)؟ لا أنسى هذا التعبير منذ ٤٣ سنة. وإنى أذكره لك أيتها الإبنة سميرة العزيزة لكى تتعزى ياإبنتى. إنى أُقدّر مشاعرك وأعطف على حزنك ودموعك، ولكننى أريدك أن تطمئنى إلى أنّ المبارك خيرى قد استراح، وأنتِ لا تكرهين له الراحة. واذكرى مقولة سيِّدنا ربّ الكل يُعزِّى تلاميذه عن فراقه (لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون بأنى أمضى إلى أبى) (يوحنا ١٤: ٢٨).

واعلمى يا ابنتى أنَّ بكاؤك الكثير وحزنك يُنقصان من سعادة زوجك، وكلما تعزيتى تسعدينه لأنه بالطبع يشعر معك بحزنك وألمك، فأنت بالحزن تُنغصِّين عليه سعادته.

أرجو ياإبنتى أن تراعى أيضاً أنَّ البكاء الكثير والحزن، فيما ينقص سعادة زوجك المبارك، فإنه يضرّك صِحِيًّا، وأنتِ الآن أصبحتِ إنسانة مسئولة، وواجباتك قد إزدادت برحيل زوجك، فتعزّى بالصلاة واطلبى سكيب العزاء والسلام على قلبك - وسيعطيك الرب بسخاء ويمكنك أن تتصلى بزوجك بالصلاة، ويمكنك بقدر الإمكان أن تذكريه فى القداسات، وأن تقدِّمى للملجأ أو لمسكين رحمة، فالمنتقلون يجدون منفعة بما يعمل بعد رحيلهم من أعمال الخير، ترحماً عليهم.

إن قلبى معك أيتها الإبنة، وأسأل الله أن يسكب على قلبك سكيب العزاء - والسلام الإلهى، وراحة القلب.

الرب معك،،،،

المرحوم الأستاذ ميلاد اندراوس(١)

الإبنة العزيزة السيدة قرينة الأستاذ ميلاد اندراوس.

سلام أيتها الإبنة وبركة ونعمة لكِ ولأولادك أبنائك الأعزاء والأحباء - لتكثر لكم النعمة والعزاء. من ربنا يسوع المسيح - وأنا أعلم جيداً بعمق الألم الذى تُحسُونه بإفتراق عزيزنا وحبيبنا وإبننا المبارك فى رحيله إلى العالم الأفضل ليكون مع المسيح مخلِّصنا وفادينا دائماً وأبداً. فإنه العابد المختار الذى عاش حياته للمسيح مع زوجته الوفية المخلصة شريكة حياته بكل الأمانة والطهارة والمحبة، وربّى أولاده جميعاً فى مخافة الله وطاعته فنشأوا يخافون الله ويتقون غضبه، ويخدمونه فى تفانٍ وإخلاص وعبادة وتقوى، يراعون جميع القيم الروحية، والطاعة لله والعمل بوصاياه. ولقد كان عزيزنا وحبيبنا ميلاد نِعمَ الخادم الأمين الذى أخلص فى عبادته ودينه ولم ينحرف عن أمانته لسيّده.

أيتها الإبنة والسيّدة التى تفتخرين بحق أنك زوجة لرجل فاضل كريم، وابن بار للكنيسة المقدسة، إن ميلاد حبيبنا فى رحلة سفر إلى الفردوس السماوى، وهو الآن حرّ طليق، كالطائر وينزل بلا عائق من جسد مريض تركه وديعة فى الأرض وسيسترده فى يوم القيامة العامة. أما روحه فهى حرّة سعيدة، انطلقت من حبس الجسد وعالم المادة إلى الأعالى لتكون مع الأرواح العالية والسعيدة وهى تتسامر وتتحدث وتتعزى معاً بالإيمان المشترك، وهو الآن يرى بشفافية الروح مالم يمكنه من قبل أن يراه وهو فى سجن الجسد.

الرب يبارك حياتكم ويملأ بالعزاء السمائى الفراغ الذى أحدثه عزيزنا وحبيبنا ميلاد بإنطلاقه فى سعادة وسرور.

إن الزوجة الوفية - التى هى أنتِ - وأولادنا الأعزاء المباركين جميعاً، تحملون رسالة حبيبنا وحبيبكم بالسيرة المسيحية، والعبادة الصادقة، والخدمة الأمينة.

أصلّى أن يبارككم الربُّ، وأن يسكب على قلوبكم سكيب العزاء والسلوان ويرفع عيونكم لتنكشف أمامكم الرؤيا الجميلة التى يعيشها حبيبنا وعزيزنا الأستاذ ميلاد خادم الله الأمين، المستريح بروحه فى فردوس النعيم.

وسلام ومحبة ربنا يسوع المسيح معكم،،،،

---

(١) كتب فى ١٨ من أغسطس ١٩٨٨م - ١٢ من مسرى ١٧٠٤ش.

المرحوم الأستاذ وليم بطرس(١)

«وأنتَ أخذتَ بيدى اليمنى. بمشورتك تهدينى، ومن بَعدُ إلى المجدِ تأخذُنى»

(مزمور ٧٢: ٢٤).

أحقاً رَحَلَ حبيبُنا وعزيزُنا المبارك الأستاذ وليم بطرس، وترك مكانَه البارزَ المعروفَ في نقاده، إلى مقرَ الخلودِ الأبدى فى عالم البقاء؟

هكذا قال الجامعة (لأنَّ الإنسان ذاهب إلى بيته الأبديّ) (الجامعة ١٢: ٥).

لقد ترك المرحوم الأُستاذ وليم بطرس جسده على الأرض وديعة غالية ثمينة تحمل سماته وفضائله ومنقوشة عليها أعماله، وانطلقت منه الروح إلى الله الذى أعطاها (الجامعة ١٢: ٧).

إنَّ أرواحنا لا تُولد من الأبِ والأُم. إنها بعد تكوين بذرةِ الحياةِ الأولى الآتيةِ من الأبِ والأمِ بأربعين يوماً، تنزل الروح من السماءِ، من عندِ الله.

إذن أرواحنا تهبطِ وتنزلِ من عند اللهِ، في رحلةٍ طويلةٍ أو قصيرةٍ، تعودُ بعدَها مرة أُخري إلى الله.

حياتنا على الأرض إذن هى رحلة. وبالموتِ تُغادِر الرُّوح الجسدَ الذى زامَلَته وزامَلَها فى رحلتها، وعند عودتها إلى الله تحمل معها تقريراً إلى خالقها وسيدِّها عن رحلتها، فتوزَنُ أعمالها.

وفى يوم الأربعين لإنتقالها، تسجُدُ الروح أمام خالقها فيأمرُ الخالق للرُّوح الصالحة بمقر راحةٍ مؤقت تبقي فيه إلى يوم الدينونة والحساب، حيث يقفُ الإنسانُ روحاً وجسداً لينالَ الجزاءَ الأُخروى عن حياتِه بالجسد (لأنه لابُدَّ لنا جميعاً من أن نُظهرَ أمامَ كرسىَ المسيح للقضاء، لينال كلُّ واحدٍ جزاءَ ما عمله وهو فى الجسد، أخيراً كان أم شراً) (٢.كورنثوس ٥: ١٠).

أما حبيبنا وعزيزنا المباركُ، الأُستاذ وليم بطرس، فقد رَحَلَ وحَمَلَت الملائكة روحه إلى سيده الذى أرسلها. ونحن الآن فى اليوم الأربعين لخروجه من الجسد نحتفل بدخوله إلى سيده وخالقه، وسجوده فى حضرته، ودخوله إلي عربون الراحة الأبدية.

---

(١) كلمة رثاء فى الأربعين فى ٣ من مارس ١٩٨٩م - ٢٤ من أمشير ١٧٠٥ ش.

فإذا كنا نبكى لفراقه المؤقت، لكننا لابد أن نرفع الغشاوة عن عيوننا، فنرى أن (يوم الممات (للأبرار) خير من يوم الولادة) (الجامعة ٧: ١). إنه يوم الترقية إلى درجة أعلى. فمن واجبنا، نحن الأقرباءَ والأصدقاء والأحباء، أن لا ننقص بالنحيب والبكاء من سعادته وبهجته فى يوم ترقيته وتتويجه..

حاشا، وكلا إنه اليوم الذى تُزف فيه الروح الطاهرة فى موكب الملائكة والقديسين. لذلك وجب علينا أن نُحملق فى المجد والكرامة، ولا نُطفئُ بالبكاء والنحيب نور عيوننا الباطنية.

إن الأستاذ وليم بطرس شخصية غالية بقدر ما هو شخصية نبيلة وعالية. إنه رجل والرجالُ من طرازه قليلون.

فمن الرجال من يُعد بألف ∴ ومن الرجال من لا يعد فتيلاً

إنه من كبار أراخنتنا، إنه من أعظم الرجال وأثمنهم.

لقد استطاع الأستاذ وليم بطرس أن يستثمر مواهبهُ الكثيرة فى أعمال صالحة، وحياة بذلٍ وعطاءٍ وخدمةٍ للأهالى وللناس، كل الناس.

إنه لم يدخر جهوده لنفسه وأُسرته، وإنما وَهَبَ حياتهَ لخدمة اللهِ، وخدمة أهل بلده، مسيحيين ومسلمين.

إنّ من صفاته الشهامة والنبل والكرم ثم المروءة والأريحية، والمحبَّة المتسعة للجميع. لذلك اتسعت دائرة الذين أحبوه واحترموه لصفاته الجميلة وفضائله الكثيرة.

إنه عقل راجح، وفكر ثاقب، ومشورة صالحة. إنه قلبُ غنى بالعواطف الجياشة والمروءة الصادقة مع الشجاعة والصراحة النقية، والحكمة، وبُعد النظر.

إن الأستاذ وليم بطرس رجلُ علم وتقوى. هو أستاذُ وله فى الدنيا تلاميذُ ومريدون انتفعوا بعلمه مع تقواه، وهم الآن إمتدادُ لحياته فى الحاضر والمستقبل.

إنه من طراز أولئك الرجال الذين قال عنهم الوحى الإلهى: (أجسامهم دُفنت بالسلام، وأسماؤُهم تحيا مدى الأجيال) (سيراخ ٤٤: ١٤).

لقد تعبَ فى حياته، وترك لأهله ولبلده، أعمالاً صالحة، واسماً خالداً لايموت. يقول الكتاب المقدس: (أما الاسم الصالح فيدوم إلى الأبد) (سيراخ ٤٤: ١٦). ويقول أيضاً (كل واحدٍ ينال أُجرته على مقدار تعبه) (١. كورنثوس ٣: ٨).

أيها العزيز المبارك الأستاذ وليم بطرس.

إننا شيعناك وودعناكَ فى رحلَتكَ السعيدة إلى عالم الخلود. وفى هذا اليوم الأربعين نترحم عليك. ونُصلى معك أن تحيا مع المسيح سعيداً، ومع القديسين صديقاً، وحبيباً ورفيقاً.

والعزاء الجميلُ لأُسرته الكبيرة من الأقرباء والأصدقاء وأهل بلده نقاده، مدينة الفهماء.

الربُّ يعُيننا جميعاً على رضى خالقنا والعمل بوصاياه. وليُعطنا فى يوم رحيلنا أن نكون فى زمرة الأبرار والقديسين، لنحظى بنعيم ربنا الذى له الإكرام والسجود الآن. وكل أوان، وإلي دهر الدهور، آمين.

عزيزنا وحبيبنا دكتور ميخائيل عياد(١)

رحل من عالمنا الفانى إلى العالم الأفضل والأجمل والأكمل حبيُبنا الغالى الدكتور ميخائيل عياد. عندما فارقت روحه جسده المريض، كان جسده جسد رجل شيخ. أما روحه فهى روح إنسان حكيم وتقى، ومجمل بالفضائل. قضى أيام غربته علي الأرض تلميذاً على الرغم من أستاذيته لكثيرين، ممن أخذوا عنه واسترشدوا به وتتلمذوا عليه.

عرفته فى شبابه المبكر، ورجولته، طبيباً ناجحاً فى مهنته ومهمته، يتصف بما ينبغي أن يتصف به الطبيب الإنسان فى رحمته ورقته وعاطفته وحدبه المتواصل، قلبه مع المريض من الإنسان والحيوان.

كان مسيحياً فى شعوره الجميل وإحساسه المرهَف. أما كلامه فقليل، وخير الكلام ماقل ودلّ.

كان خادماً أميناً في مدارس الأحد، والتربية الكنسية، له فضله الذى لا يُنسى، وحرام أن يُنسى، على كثيرين ممن انتفعوا بدروسه وأحاديثه وتعليمه الأُرثوذكسى، وهؤلاء صاروا

---

(١) كتب فى ١٧ من فبراير ١٩٩٠م - ١٠ من أمشير ١٧٠٦ش.
ونشر فى مجلة مدارس الأحد- السنة ٤٤ - العدد ٣ ص٢٣، ٢٤.

أيضاً مُعلّمين لكثيرين آخرين، فامتد أثر خدمته بل آثارها فى أنحاء القاهرة، بكل أحيائها وكنائسها، بل أقول وفى غير القاهرة من بلاد أخرى فى طول الوادى...

كان من البُناة الأوائل لصحيفة مدارس الأحد منذ إنشائها، وشغل وقته فى إقامة صرحها ورفع عمدها كمدير لها. قليلاً ما كتب، وما أكثر مابذل من جُهد جهيد فى سبيلها. حتى صارت صرحاً شامخاً فى ميدان الصحافة الدينية والكنسية، فى وقت كانت الحاجة إلى مثل هذا اللون من الصحافة الكنسية الجريئة، ماسة جداً، وبهذا سَدَّت فراغاً هائلاً، وكانت ومازالت مادة ثقافية روحية أفاد منها شباب الكنيسة فى مختلف أعمارهم.

أيها العزيز الغالى والأخ الحبيب، لقد تركتنا، وما تركتنا، إنك تركتنا وتركت معنا فى الأرض جسدك كنزاً غالياً ستسترده يوم القيامة العامة. ولكنك ماتركتنا بروحك. فروحك الآن طليقة حرة، نشطة ونشيطة، يمكنها أن تواصل مسيرتها فى عبادة روحانية، وفى خدمة لله وللناس بقدرات وإمكانيات وإمكانات أضعاف ما كان لكَ وأنت مُثقَّل بالجسد. لذلك نؤمن أنك الآن أكثر روحانية وتقوى، وأوسع علماً ومعرفة مما كنتَ معنا، وأنت فى رحلتك علي الأرض.

فهنيئاً لك نجاحك فى رحلتك على الأرض، وهنيئاً لك الجزاء المبارك الذى يُجزيك به الربُ الديان العادل. الرب يعيننا كما أعانك.

ولعظمته تعالى الإكرام والسجود دائماً وإلى الأبد.

المرحومة الشابة منى[1]

الإبنة العزيزة السيدة إنصاف مجلّع.

سلام أيتها الإبنة ونعمة لكم وبركة وعزاء من ربنا يسوع المسيح.

علمت أيتها الإبنة بإختطاف الإبنة الشابة الصغيرة منى، إبنتك العزيزة بهذه الصورة المفاجئة، والتى لابدّ أن يكون لها الأثر المؤلم على قلبك، بل على قلوب جميع الأقرباء، والأصدقاء والمعارف، وجميع الناس الذين يسمعون خبراً كهذا مؤلماً، خصوصاً بالنسبة لهذه الصبية التى لم يتعدَ سنها ١٨ سنة.

حقيقة لقد تألمت يا إبنتى لهذه الفاجعة، وإننى أحسّ يا إبنتى بإحساسك، وأشعر بآلامك، وأفهم بقلبى وإحساسي قسوة هذه التجربة المؤلمة على قلب الأم التى ليس لمحبتها نظير.

ولكن يا إبنتى من فى كل الوجود يملك أن يصنع شيئاً؟ أو يمنع هذا الذى حدث؟ لو إجتمع الناس من كل نوع ومن كل بلد لما إستطاعوا أن يمنعوا الموت.

على أن هذه الحادثة ليست الأولى من نوعها. فكم قرأنا عن مثل هذه الحادثة، ولعلك تقرأين من وقت إلى آخر نعى إبنة شابة، تنعاها أسرتها فى الصحف بأنها (عروس السماء)، ويحدث أيضاً كثيراً بالنسبة لأولاد وشباب صغار مثل هذا الذى حدث للإبنة الصغيرة منى.

إننا نصلّى يا إبنتى ونطلب أن يكون لها نصيب سعيد مع القديسين والقديسات فى السماء - مع القديسة العذراء مريم، والقديسة الشهيدة دميانة والأربعين عذراء، والقديسة الشهيدة بربارة، والقديسة يوليانه، وغيرهن ممن إنتقلن ورحلن إلى العالم الآخر فى سن الشباب المبكر، ولكن نصيبهن كان نصيباً صالحاً فى فردوس النعيم، وفى يوم الحساب يدخلن ملكوت السماوات ويكن فى السعادة الدائمة.

---

(١) كتب فى ٥ من مايو ١٩٩٠م - ٢٧ من برمودة ١٧٠٦ش.

لقد ذهبت إبنتك منى بكراً طاهراً لتكون عروساً للمسيح فى السماء، إنها سعيدة الآن أعظم سعادة بما لا يقاس عن أية شابة أخرى تزوجت وأنجبت الأولاد والبنات...

والآن أصلى عنك يا إبنتى حتى تتعزى بتعزيات السماء - أصلى أن يسكب الله على قلبك سكيب الروح القدس للعزاء والسلْوان، وليهبك الرب سلام الله الذى يفوق كل عقل. كونى هادئة واطلبى من الله العزاء، حتى يُبرّد الله قلبك، ويمنحك الثبات والإيمان الوطيد.

ونعمة الرب تشملكم جميعاً،،،

المرحومة السيدة زينا شحاته ميرهم[1]

الابن العزيز المبارك الدكتور وصفى لبيب واصف.

سلام ومحبة ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح، أرجو لكم من الرب موفور العزاء الرُّوحانى، والسلام الإلهى الذى يفوق كل عقل.

قرأتُ خطابك أكثر من مرة، فتعزيت وانتفعتُ روحياً، بسيرة والدتكم هذه السيدة الفاضلة المباركة، وتأملتُ بقلبى ماورد فى خطابك عن هذه الوالدة التقية، التى أكملت مسيرتها فى مخافة الله، وتركت لكم كنزاً ثميناً، سيرتها لتتأملوها وتقتدوا بها.

إننى أشكر الله كثيراً على ماورد فى خطابكم من شرح لسيرة هذه الأُم، النادرة في جيلنا، وحقاً إن الله لا يترك نفسه بلا شاهد فى كل جيل.

إن هذه الوالدة رحلت فى سعادة روحية لتكون كما قالت مع السيدة العذراء الطاهرة، أمها، وأُمنَّا جميعاً، وحقاً كما قالت: لماذا يحزن أولادها على رحيلها، وقد دعتها الأم العذراء لتكون معها.

هنيئاً لكم يادكتور وصفى بهذه الأم القديسة، وهنيئاً لكم بمقرها السعيد، ومن هناك تواصل صلواتها ومساعداتها ومعوناتها لكم ولآخرين ممن سيقعون فى نطاق مسئوليتها وهى فى عالم الراحة والسلام.

لقد رفعنا القرابين بإسمها وترحمنا عليها كما طلبتم ولسوف نترحم عليها، ويمكنكم من منطلق المحبة أن تقدموا بإسمها عطاء لأحد الملاجئ، فأعمال الرحمة تنفع الراقدين، وقال القديس ديونيسيوس الأريوباغى «إن كانت خطايا المتوفى قليلة، فإنها تجد منفعة بما يعمل بعده» من أعمال الرحمة.

بقى أن نسأل الله من أجلكم أن يسكب عليكم سكيب العزاء، وأن يهبكم موفور الصحة والعافية.

---

(١) كتب فى ٣ من اكتوبر ١٩٩٠م - ٢٣ من توت ١٧٠٧ش.

فى قداس الأربعين لشقيقته المرحومة أوليفيا عطاالله[1]

.... أيها الأخوة والأبناء، هذا القداس الذى يقام فى يوم الأربعاء، وهو يوم من أيامنا المقدسة، لأن فيه تمت المشورة، لكننا نترحم على الراقدين أيضاً، لأننا كنيسة واحدة هنا وهناك، لأن إلهنا واحد هو رب السماء ورب الأرض، وصاحب البيت واحد سواء كنا فى الأرض أو إنتقلنا إلى العالم الآخر.

إن لنا فى هذه الأيام رحلة على الأرض، ليس الإرسال إرسال الأنبياء فقط، إنما كل إنسان روحه مرسلة، الروح لاتولد من الأب والأم، فالذى يولد من الأب والأم هو بذرة الحياة الأولى، ولكن كما يقولوا بعض آباء الكنيسة ومنهم كيرلس الأول عمود الإيمان، أنه بعد أربعين يوماً من تكوين بذرة الحياة الأولى، تنزل الروح الإنسانية من السماء مخلوقة، لتتحد ببذرة الحياة الأولى، ويولد الإنسان من الروح والجسد ويصير إنساناً كاملاً. جاء إلى العالم من أجل مهمة، وبعد نهاية حياته يرجع إلى الله، ويرجع التراب إلى التراب كما كان، وترجع الروح إلى الله الذى أعطاها. وفى رجوع الروح إلى الله ترجع الروح ومعها تقريرها عن رحلتها التى قضتها على الأرض، فطوبى لمن قضى رحلته بسلام وأنجز مهمته، وعرف أن يقضى رحلة حياته بنجاح، فى عبادة صادقة بعمل صالح مثمر، بعد ذلك يعود إلى سيده وإلى خالقه، ترجع الروح إلى الله التى أعطاها، «إرجعى يا نفسى إلى موضع راحتك».

وفى الأربعين يوماً تدخل الروح إلى المقر المؤقت، الذى يؤمر لها به إلى يوم الحساب ويوم الدينونة. وكما صعد المسيح له المجد إلى السماء فى الأربعين يوماً من قيامته من بين الأموات، وهذ معناه أن المسيح أصر على أن لا يصعد إلى السماء إلا فى هذا اليوم يوم الأربعين. على هذا القياس تدخل الروح فى يوم الأربعين، إلى مقرها المؤقت الذى يؤمر لها به، إلي أن يكون يوم القيامة العامة، هذا تقليدنا ولذلك أمرت الكنيسة وأمرت الدسقولية، بأن تقام القداسات على أرواح الذين انتقلوا فى هذه المناسبات، فى اليوم الثالث، وفى يوم الأربعين.

إننا نترحم على كل الذين رقدوا، ونسأل الله أن يرحمنا جميعاً، وأن يعد لكل واحد منا الساعة المناسبة التى فيها يخرج من هذا العالم، بعد أن يكون قد أتم رحلته بنجاح.

---

(١) بكنيسة العذراء والأنبا بيشوى بالأنبا رويس - صباح الأربعاء ١٠ من أكتوبر ١٩٩٠م - ٣٠ من توت ١٧٠٧ش.

وفى هذه المناسبة أيضاً نوجه الشكر إلى جميع الأحباء ولكم أنتم يا جميع الحضور والذين أيضاً أرسلوا ونشروا، شكراً لقداسة البابا شنودة الثالث، شكراً للآباء المطارنة والأساقفة، شكراً لقداسة الأنبا بيسنتى، شكراً للآباء الكهنة جميعاً، شكراً لشعب الله، عوضكم الله خيراً وأنزل لنا العطاء والنعمة والبركة، حتى نكون معدين ومستعدين لذلك اليوم الذى فيه تنطلق أرواحنا بسلام، لإلهنا الإكرام والمجد إلى الآبد آمين.

تفضل يارب أن تذكر جميع الراقدين[١]:

عبدك البابا كيرلس السادس، والأنبا ساويرس (مطران المنيا)، والأنبا إيساك (الأسقف العام)، والأنبا صموئيل (أسقف الخدمات)، والأنبا مرقس (مطران أبو تيج)، والأنبا بطرس (مطران أخميم)، والأنبا أنطونيوس (مطران سوهاج)، والأنبا لوكاس (أسقف منفلوط)، والأنبا أغابيوس (أسقف ديروط)، والأنبا ابرآم (مطران الفيوم)، والأنبا برسوم (الأسقف العام)، والأنبا بيمن (أسقف ملوى)، والأنبا يؤانس (أسقف الغربية)، والأنبا بولس (أسقف حلوان)، والأنبا مينا الصموئيلى (دير الأنبا صموئيل) والأنبا ثيئوفيلوس (أسقف دير السريان).

كذلك يارب نيح نفوس عبيدك أوليفيا عطاالله....

(١) فى أثناء الترحيم ذكر نيافته البابا كيرلس وعدد من الآباء الأساقفة.

المرحوم الأستاذ يوسف شحاته الشرقاوى المحامى(١)

«فى الإيمان مات أولئك كلهم. وأقروا واعترفوا بأنهم غرباء ونزلاء، على الأرض. لكنهم يطلبون وطناً أفضل» (العبرانيين ١١: ١٣، ١٤).

من كلمات الكتاب المقدس: «فى الإيمان مات هؤلاء جميعاً وأقروا واعترفوا أنهم غرباء ونزلاء على الأرض».

ماتوا... لكنهم ينتظرون وطناً أفضل، كلنا عابرون من شاطئ إلى شاطئ، ليس لنا هنا إقامة، ذاهبون لكن لا إلى الفناء بل إلى البقاء، إلى عالم أفضل ننتظر وطناً أفضل، أرواحنا آتية من السماء، لا من الأب ولا من الأم، إن الروح آتية من السماء.

ففى صلاة الحجاب التى يصليها الكاهن سراً:

«أنت الذى خلصتنا، وأدخلتنا إلى هذه الحياة» أدخلتنا .. هنا دخول إلي هذه الحياة، رحلة نقضيها على الأرض، وبعد ذلك نعود لسيدنا وخالقنا: «إرجعى يا نفسى إلى موضع راحتك» إرجعى... رجوعاً.. رجوعاً.. ليس لنا هنا إقامة، رجوعاً نرجع لسيدنا، نرجع لخالقنا لنقدم تقريراً عن رحلتنا على الأرض.

هى رحلة بطولها وعرضها، بخيرها وشرها، ولكننا راجعون، إذن وجودنا فى هذه الحياة فترة.

لم نخلق للموت، خلقنا للحياة.. الموت دخيل، إنما نحن موعودون بحياة أبدية، هذا هو الوعد الذى وعدنا به هو الحياة الأبدية.

طوبى لإنسان ولد فى الدنيا وله هدف، طوبى لإنسان عرف أنه هو فى رحلة، وأن الموت ليس هو النهاية، الموت علامة على إنتهاء أول مرحلة من مراحل الحياة التى لا تنتهى، أبدية موعودون بها، نخرج من هنا كما يخرج الجنين من بطن أمه ليدخل إلى الحياة، وبالموت نخرج من هنا لنولد فى عالم آخر، ولنرتقى لمرحلة أخرى. هذه مرحلة إبتدائية وبعدها مراحل ومراحل أبدية، حياتنا مع الله، الله أبدى، الأبدية ليست من حقنا لكنها منحة.. منحنا هو بها، وكان سيأخذها آدم لو أنه أطاع، ثم أُعد له أن يأكل من شجرة الحياة.. لأن الله لم يخلقه للموت، لكن بما أن له بداية لابد أن تكون له نهاية، أظهر له

(١) كتب فى ديسمبر ١٩٩٠م.

شجرة الحياة لكنه لم يكن أهلاً لها، فَمُنع منها. وأقام الله الكاروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة ليمنع الإنسان من أن يقترب، لأنه ليس أهلاً أن يأكل من شجرة الحياة، ومع ذلك الله يرفق بنا. فأعد لنا بعد الخلاص شجرة الحياة لنأكل منها.

قال المسيح له المجد: أنا خبز الحياة النازل من السماء، الواهب حياة للعالم، والخبز الذى أنا أعطيه هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم، إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد.

وحينما يسجد الكاهن فى القداس الإلهى يقول:

«يسوع المسيح ربنا يُعطى خلاصاً وغفراناً للخطايا، وحياة أبدية لمن يتناول منه». هذا هو شجرة الحياة.

شكراً لله إننا لم نخلق للموت. لترتفع أنظارنا إلى فوق، نحن غرباء ونزلاء، والنزيل فى فندق يبقى فيه يوم أو بعض يوم، وبعد ذلك يغادره، وفى المطارات هناك صالة أو قاعة يسمونها ترانزيت ومكتوب عليها العابرون.. فى كل مرة نرى هذه القاعة نذكر أننا نحن أيضاً فى رحلة هذه الحياة عابرون، لا يمكن أن نبقي هنا. ومن الخير أن لا نبقي هنا.

هذا الموت تحول إلى شىء جميل، صار هو الأمر الذى لا مفر منه وطريقنا إلى الحياة الأخرى.. إذن حَوَّل المسيح الشر إلى خير، والموت الذى هو عدو للإنسان، حوله المسيح بموته وقيامته إلى طريق عبور للحياة الأبدية.

نعم أيها الأبناء والأخوة، هذا هو اليوم الذى فيه يخرج الإنسان خروجاً، نعم هذا التعبير استخدمه ماربطرس الرسول، حينما قال: «يوم خروجى» خروج نعم خروج، ويسميه بولس الرسول: وقت إنحلالى قد حضر.

إذن ليس لنا هنا بناء... إن نقض بيت خيمتنا الأرضى، فلنا في السموات بناء، وليست خيمة، لا... الخيمة هنا هى بناء مؤقت، إن نقض بيت خيمتنا الأرضى فلنا فى السموات بناء. مبنى. وليست خيمة.. غير مصنوع بيد، أبدى، آه أبدى، الخيمة مؤقته. إنما هذا بناء أبدى... وأعمال الإنسان الصالحة وعبادته الصادقة وأعمال الخير التى يعملها فى خدمة غيره من الناس، هذه يحملها معه، وحينئذ يكون معروفاً هناك، لأنه أرسل وصنع له أصدقاء. صنع له هناك أصدقاء، فحينما يذهب لا يكون غريباً، بل يجد هناك المسيح الذى يعرفه والملائكة والقديسين.

ولكن ويل لذلك الإنسان الذى يضيع الهدف من وجوده فى الدنيا ويتشاغل بأمور كثيرة، ثم بعد ذلك إذا ذهب إلى هناك لا يجد من يعرفه، أو ربما يسمع كلمة المسيح إنى ما عرفتك قط.

هذا الأخ وهذا الصديق وهذا الإبن المبارك يوسف الشرقاوى المحامى... والمحامى عن الإنجيل.. كما يقول الكتاب المقدس.. المحاماة عن الإنجيل.

هذا الخادم الأمين فى عبادته الصادقة كإنسان مسيحى، عاش فى النعمة، وعاش فى الجمال الروحانى، وعاش فى الكنيسة وشبع، شبع من تعاليم المسيح، وارتوت روحه وتغذت باطنيا، ونمت هذه الروح وتقدمت، وأصبحت له قامة روحية مرتفعة شاهقة، وأعماله الصالحة وخدماته المباركة فى الميدان العام وفى ميدان الكنيسة... كل هذا لا يضيع، إذا كان الذى سقى أو يسقى أخاه كأس ماء بارد لا يضيع أجره، فكيف ينسى الله؟

الله ليس بظالم.. ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة، لن ينسى عمل هذا الخادم الأمين، كل شىء مسجل عنده.. ارمى خبزك على وجه المياه تجده بعد أيام كثيرة.

فى يوم الدينونة يقول للأبرار الذين عن يمينه: «تعالوا أيها المباركون من أبى لترثوا الملكوت المعد. لأنى كنت جائعاً فأطعمتمونى. عطشاناً فسقيتمونى. عرياناً فكسوتمونى. غريباً فأويتمونى، فيجيبه الأبرار قائلين يارب: متى رأيناك جائعاً فأطعمناك، متى رأيناك عطشاناً فسقيناك. متى رأيناك عرياناً فكسوناك. متى رأيناك غريباً فأويناك. متى رأيناك مريضاً فزرناك».

هم لا يُكذبُوه، هم نسيوا. لكن هو لا ينسى، ليس الله ذاكرته ضعيفة، ليس الله إنسان فيكذب ولا ابن إنسان فيندم.. كل شىء محفوظ عنده.

أعمالك يا يوسف.. خِدمَتكُ.. وروحانيتك مذكورة أمام الله، فإلى مواضع النياح، وإلى أحضان القديسين، أنت دخلت وضممت إلى قومك هناك.

قال الله لموسى: ياموسى اصعد فوق الجبل ومُت. كما مات هارون أخوك وضم إلى قومه، ليس موت أو فناء؟ لا. له قوم ينتظرونه وهو ذاهب إليهم.

اليوم هذه الوديعة الطاهرة، هذه النفس الأمينة، هذا الخادم المبارك، هذا الرجل الذى يتصف بكل صفات الرجولة، انطلق إلى العالم الأفضل، إلى الحياة المُثلى، إلى السعادة.. انطلق إلى العالم الآخر، وهناك فى هذا العالم يجد قومه ينتظرونه، قومه من المساوين له فى درجته.

تأكدوا تماماً لو فتح عن عيوننا لوجدنا الأرواح يوم يخرج الإنسان من هذا العالم، إن كان باراً تأتى الملائكة لتأخذه، ولكن أيضاً أرواح القديسين تأتى لتستقبلهم ولتكون معهم فى رحلتهم... الأنبا بولا يوم أن خرج من هذا الجسد، قال للأنبا أنطونيوس اذهب يا أنبا أنطونيوس أحضر لى ثوب الخوص من عند أثناسيوس الرسولى، ليدفن فيه، فذهب الأنبا أنطونيوس وهو رجل عجوز فوق الثمانين، ذهب للإسكندرية وأحضر الثوب، وبعدها رجع به فى نفس اليوم، رأى روح الأنبا بولا بين الملائكة، ولكن أيضاً هناك قديسون فى رحلته، فى إستقباله فى موكبة.

الإنسان منا عندما يسافر لبلد يجد من يودعه وعادة من درجته، وعندما يصل هذا البلد يجد من يستقبله.

هكذا نحن يا أولادنا عندما نخرج من الدنيا إذا كنا صالحين وأتقياء وقديسين تأتى الملائكة وتأخذنا. وأيضاً أرواح البررة والقديسون... السنكسار ملئ بهذه القصص، يوم أن انتقل الأنبا بولا، يوم إنتقال الأنبا أنطونيوس... الأنبا باخوميوس.. كل القديسين رأوا القديسون الذين من العالم الآخر نزلوا وكانوا معهم في اللحظات الأخيرة وأعانوهم بصلواتهم.

ونحن نستغيث بالسيدة العذراء في صلاة الغروب ونقول لها:

«عند مفارقة روحى من جسدى احضرى عندى، ولمؤامرة الأعداء إهزمى، ولأبواب الجحيم إغلقى».

وقد علمت أن هذا الحبيب فى اللحظة الأخيرة كان ينادى العذراء، يوسف كان ينادى العذراء.

فإلى أحضان القديسين، إلى أحضان المرافقين نودعك، ونحن واثقون أنك فى يوم ترقية لك، ترقية... نعم ترقية، لإنها رحلة إلى عالم أفضل وهناك تلتقى بالأرواح المقدسة.

أيها الأخوة والأبناء أقول عزاءً للأسرة الكريمة كباراً وصغاراً، رجالاً وسيدات.. إنما نحن لا نحزن كالباقين الذين لا رجاء لهم.

نعمة ربنا يسوع المسيح تشملنا جميعاً، وله الإكرام والمجد إلى الأبد أمين.

المرحوم المهندس اسحق سليمان[1]

بسم الله القوى الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين.

جاء فى الكتاب المقدس في سفر نبوءة إشعياء النبى قوله: «السالكون بإستقامتهم يدخلون فى السلام ويستقرون فى مضاجعهم» (إشعياء ٥٧: ٢).

حقيقة أن الابن المبارك المهندس اسحق سليمان سلك بإستقامة، والإستقامة هى الخط القويم غير المُعْوَج، هذا الشاب الرجل حياته مستقيمة بكل معنى الكلمة، فى كل دقة عاش كإنسان مسيحى، اتقى الله فى خدمته العامة، فى كل عمل أُسند إليه، وأيضاً كشماس محب للكنيسة المقدسة بمخافة الله عاش بغير إنحراف أو عوج، بكل إستقامة لم ينحرف كما ينحرف بعض الشباب، إنما رعى الله فى حياته وخاف الله فى سيرته، وتوقى من كل شر وعاش مستقيماً، ولهذا الشاب تجربته، هذه التجربة الصحية التى مرت بها حياته، والتجارب فى حياة الأتقياء نافعة تنقى وتطهر، وأيضاً صبر الإنسان على الألم والتجربة يحسب له براً وله جزاءً عند الله، وهذا ما يقوله الكتاب المقدس: طوبى لمن يحتمل التجربة، إذا تزكى ينال إكليل الحياة الأبدية الذي وعد به الرب للذين يحبونه.

هنا قيمة التجارب الكبيرة فى حياة المؤمنين والأتقياء والسائرين فى طريق السماء، هذا ما يذكره القديس يوحنا ذهبى الفم: ما من تجربة إلاّ وتحمل وراءها إحدى البركات.

التجارب مفيدة ونافعة توقظ الإنسان إذا غفل، تجعله يستيقظ ويصحو حتى لا يسقط، فلها بركاتها ولها ثوابها، شاء الله له أن يكون له نصيب في هذه التجربة القاسية لكنه مر بها بسلام، الآن دخل فى السلام الذى لا ينغصه ألم، وهذا ما يقوله الكتاب المقدس فى سفر الرؤيا: لا يجوعون جوعاً ولا يعطشون ولا تقع عليهم الشمس ولا شيء من الحر، لأن الحمل الذى فى وسط العرش يرعاهم ويقتادهم إلى ينابيع ماء حية.

هذا الإنسان الأمين الذى عشق حياة الرهبنة والبتولية، وقد تمنى فعلاً أن يعيش راهباً، وكان دائماً يتردد على الأديرة بمحبة كبيرة وبأشواق عالية، وحتى لو لم يلبس ملابس الرهبان لكنه عاش حياة الرهبان فى وسط العالم، ومن وقت إلى آخر كان يتردد على

---

(١) فى ذكرى الأربعين بكنيسة الشهيد مارجرجس بعين شمس الشرقية - فى ١٤ فبراير ١٩٩١م - ٧ أمشير ١٧٠٧ ش

الأديرة ليشبع من الروحانية وأيضاً يتبارك بالقديسين، صحبنا مرة وأكثر من مرة إلي دير القديس الأنبا صموئيل المعترف، وأيضاً ما أكثر ما ذهب إلي دير مارمينا، ودير أبى سيفين، وهكذا فى كل مكان كانت روحه روح راهب ومسلكه مسلك راهب.

اليوم هو يوم الأربعين لرحيله من هذا العالم، ونحن دائماً نحتفل بالأربعين لإنطلاق الأرواح، وكما دخل المسيح السماء وسماء السماوات في يوم الأربعين، هكذا نؤمن وهذا هو تقليدنا أن الروح أيضاً فى يوم الأربعين، بعد أن تنتهى رحلتها من الأرض إلى العالم الآخر، وبعد أن تكون قد تشوفت ما أراد بها الرب أن تتشوف إليه، مصحوبة بالملائكة ومصحوبة بالقديسين، تدخل إلى حيث الحضرة الإلهية وتسجد هذه السجدة التى يعبر عنها الآباء، وبعدها يؤمر لها بمقر راحة فى فردوس النعيم تبقى فيه إلى يوم الحساب.

ليس عبث أن يقام القداس فى يوم الأربعين، إنه شفاعة وترحم وإسترحام وإستغفار، عما يكون قد لحق الإنسان في حياته من توان أو تفريط أو هفوات أو سهوات، يمكن أن تعكر عليه هناءه وسعادته هناك، لذلك تُرفع الذبيحة فى هذا اليوم ترحماً وإسترحاماً وإستغفاراً عما يكون قد لحق بالروح أو بالإنسان على الأرض، من سهوات أو هفوات أو توان أو تفريط، وبما يسمى فى المصطلح الكنسى، الخطايا غير المميتة التي لا يخلو منها إنسان ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض.

إننا نذكره ونؤمن أنه الآن قد دخل إلى هذا المقر المؤقت فى فردوس النعيم، ليبقى فيه هناك، ولكى يواصل مسيرته فى عبادة وفى روحانية وفى تسبيح، مع الملائكة ومع القديسين الذين سبقوا فسبقونا إلى العالم الأفضل، هناك تكون السعادة بغير منغصات، لا مرض ولا ألم ولا شواغل مما يشغلنا هنا فى هذه الأرض ولا معطلات، تواصل الروح مسيرتها فى نمو وفى تقدم وفى حياة الكمال، لتنمو وتبلغ إلى الطول والعرض والعمق الذى يتكلم عنه الكتاب المقدس، فالحياة الروحية قياس قامة ملء المسيح، لها طول ولها عرض ولها عمق ولها ارتفاع، وهكذا فإن الإنسان فى العالم الآخر، لا يتوقف عن مواصلة العبادة والتسبيح والترتيل، والارتفاع والإنطلاق فى عالم الروح، وهناك يلتقى بالأرواح المقدسة التى سبقت من عشرات ومئات وألوف السنين، هذه الأرواح المقدسة التى بصحبتها يتعلم الإنسان الكثير، ويتلقى الإنسان الكثير وهكذا يواصل، يواصل الإنسان رحلته إلي الأبد لأننا نحن موعودون بحياة أبدية لا نهائية، وليست حياتنا على الأرض إلاّ مرحلة من مراحل الحياة التى لا تنتهى، لأننا مع المسيح والمسيح حىّ وحىّ إلى أبد الآبدين ووعدنا

بأن نكون معه، هذا هو الوعد الذى هو وعدنا به الحياة الأبدية، والذين تأهلوا وصاروا فى الإستقامة فى حياتهم على الأرض ورعوا الله ومبادئ الإنجيل وخدموه، هؤلاء يصحبونه هناك فى طريق الكمال، يبلغون شيئاً فشيئاً مع النمو، ومع الزمن ومع الأبدية البعيدة يبلغ الإنسان إلى ما لم يبلغه على الأرض من حياة التقوى والعبادة، وكل هذا يكون له جزاء مبارك هذا الذى يناله عن حياته هنا وحياته هناك، هذا وذاك يكملان بعضهما البعض، حتي يكون الجزاء في اليوم الذى عَيَّنه الله ليدين فيه الأحياء والأموات، فى يوم الدينونة تنزل الأرواح لترتبط بأجسادها، وبعد ذلك نقف جميعاً أمام منبر المسيح لينال كل واحد بحسب ماصنع بالجسد خيراً كان أم شراً، وهنا نؤمن أن الأبرار كما قال المسيح يكونون على يمين الملك، فيقول لهم : تعالوا أيها المباركون من أبى رثوا الملكوت المعد لكم من قبل إنشاء العالم.

شيعنا هذا الإبن المبارك اسحق، شيعناه وودعناه إلى هذا العالم الأفضل، ونؤمن أنه يواصل مسيرته، وأنه الآن فى صحبة القديسين وفى صحبة الأبرار المكملين، لكى يتكمل هو أيضاً ولكى ينعم ويسعد بما لم تره عين، ولم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر ما أعده الله للذين يحبونه.

إلى فردوس النعيم، إلي أحضان القديسين، نودعك يا اسحق وأنت الآن فى طمأنينة وفى سلام، الذين يسلكون بالإستقامة يدخلون فى السلام، لقد دخلت فى السلام، ربنا يسوع المسيح يعيننا كما أعانك ولإلهنا الإكرام والمجد إلى الأبد آمين.

عزيزنا وحبيبنا الدكتور ألفى سليمان(١)

لقد صدق من قال: إنّ من الناس من يُعدُ بألف. وهى مقولة تنطبق بحق وعدلٍ على حبيبنا المبارك د. ألفى سليمان... إنه رجل تميز بكثير من فضائل الصالحين السائرين فى طريق السماء.. عابد قانت، وتقىّ نقىّ، قلبه ملىء بمخافة الله، أمين ومخلص، وعامل ومجاهد، خدم الله فى الكنيسة، فى عبادة صادقة، بذل من وقته وجهده الكثير فى عمل الله... بروح رضية، وهدوء وسكون وصبر وإيمان..

لقد خدم الدكتور ألفى على الخصوص، الكنيسة بحارة الروم، ودير الأمير تادرس... خدم الكنيسة شماساً في الهيكل، وعاملاً مع الكاهن الأب المحترم القمص أنطونيوس جرجس ومع غيره من الكهنة ممن رحلوا إلى عالم البقاء، ورئيساً ووكيلاً لمجلس الكنيسة بكل تواضع القلب، وطول الأناة والوداعة، مما يشهد به وله الكهنة والشعب. ولم يؤخر عطاءه للكنيسة والشعب بكل مايملك قلبه وذهنه من محبة بناءة، وسخية فى البذل والعطاء.. كل العطاء، بالجسد والروح، والجهد والمال.

وأما فى بيته فقد كان الدكتور ألفى رب أسرة ناجح، تذكره زوجته وقرينته كيف عاملها منذ أن ارتبط بها شريكة لحياته، بكل الرقة والحنان والاحترام. وتلهج كريماته بحدبه وحنانه وحسن رعايته. فشببن بفضل رعايته تقيات فاضلات، عابدات وخادمات في الكنيسة ولبيوتهن، وأزواجهن وأطفالهن... أما أشقاؤه وجميع أعضاء الأسرة، فيمدحونه مزهوين بسيرته العطرة، وحياته المثمرة....

وأما ماشهدت به السماء، فكان ومازال، وسيظل دائماً إكليل فخار للأسرة الكريمة: ففى ساعات مفارقته للعالم الفانى، جاءت لمعونته وإلى جواره، القديسة الشهيدة مارينا، والبابا كيرلس السادس وغيرهم. كان يراهم أمامه يشجعونه ويطمئنونه على رحلته السعيدة إلى فردوس النعيم فى صحبة الملائكة والقديسين.

(لِتمت نفسى موتَ الأبرار، ولتكن آخرتى كآخرتهم...) (سفر العدد ٢٣: ١٠).

---

(١) كتب فى ١٣ من مايو ١٩٩١م.

المرحومة فردوس حنا[1]

بسم الله القوى الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين.

من كلمات الوحى الإلهى على فم النبى داود: «أنا عبدك ابن أمتك. حللت قيودى، فلك أذبح ذبيحة حمد. وباسم الرب أدعو» (مزمور ١١٥: ١٦، ١٧).

ما أكثر إنطباق هذه الكلمات على الذين يخرجون من هذا العالم، وتنطلق أرواحهم إلى عالم البقاء والخلود. نعم أن الروح الإنسانية وهى مخلوقة على صورة الله ومثاله، حينما تولد وتتحد بالجسد، ويصبح الجسد لها غلافاً وإطاراً، ومسكناً تعيش فيه وتحيا معه مرتبطة به تماماً. ولكن بعد زمن، بعد أن يتم الإنسان رحلته على الأرض، شاء الله أن يكون هذا هو الحكم العام على جميع البشر، أى إنسان يحيا ولا يرى الموت. والموت هو إنطلاق الروح وخروجها من الجسد، ولو أنها ستعود إليه مرة أخرى فى نهاية الأيام عند القيامة العامة، ونحن لا نؤمن بالموت بمعنى الفناء، إنما هو خروج الروح من الجسد، والجسد بعد سنين من حياة الإنسان على الأرض، تكون قد أصابته الأمراض والتعب والتلفيات، ويصبح الجسد له قيوده على الروح، فالصالحون والأتقياء والقديسون في لحظات حياتهم الأخيرة، يحسون بأن الموت إنحلال من هذه القيود، «أنا عبدك وابن أمتك، حللت قيودي فلك أذبح ذبيحة التسبيح». وسمعان الشيخ لأنه عاش مدة نحو ثلاثمائة وأربعين سنة بحسب ماحكم الله عليه، لأنه كان قد أُوحى إليه أنه لن يرى الموت حتي يرى المسيح الرب، فحينما رأى المسيح على ذراعى العذراء مريم فرح، وقال: «الآن يا سيد اطلق عبدك بسلام، لأن عينىّ قد أبصرتا خلاصك»، «اطلق» هذا التعبير حقيقة له معناه عند الروحانيين «انطلاق» اطلق، أنا حبيس فى هذا الجسد، وكما قال القديس بطرس الرسول: «بعد خروجى» (٢.بط ١: ١٥) تعبير جميل، خروج، نعم ما نسميه بالموت هو يوم الإفراج، يوم الخروج، لأن هذا الجسد له متاعبه ومضايقاته التى نعيش فيها، فيوم أن تخرج الروح من هذا الجسد وترجع إلى الله الذى أعطاها، الجسد تراب ويعود إلى التراب كما كان، وترجع الروح إلى الله الذى أعطاها. هذا الرجوع للروح هو يوم الإفراج ويوم الإنطلاق، فما أسعد الأرواح التي عاشت فى الدنيا وأتمت فى العالم رسالتها، وفهمت أن وجودها في هذه الدنيا هى رحلة.

---

(١) كلمة فى ذكرى الأربعين لوالدة اللواء عبده اسحق صباح السبت ٢٢ من يونيه ١٩٩١م. - ١٥ من بؤونه ١٧٠٧ش.

إذن أرواحنا آتية من فوق، أرواحنا مرسلة لرحلة، وبعد هذه الرحلة نعود إلى سيدنا وإلى خالقنا، ارجعى يا نفسى انه هو رجوع «ارجعى يا نفسى إلى موضع راحتك لأن الرب قد أحسن إلىّ»، هذا الرجوع ما أجمله، فيه إنطلاق من قيود الجسد، أنا عبدك وابن أمتك، حللت قيودى فلك أذبح ذبيحة الحمد. نعم يوم خروج الروح للأبرار والصديقين هو يوم فرح، وهو يوم إبراء، ويوم إنطلاق، ويوم إنفراج ، ويوم ترقية ودخول إلى العالم الأفضل والأرقى والأجمل والأحلى. فما أسعد الأرواح التى عرفت في الدنيا مهمتها، وتقدست بالعبادة والصلاة والأعمال الصالحة المثمرة، ولم تُضيّع حياتها سدى فى أمور تافهة لا تستحق، لأنها تعلم أنها راحلة وأنها مسافرة.

نعم... هذه رسالتنا، وما أجمل أن نتأملها فى مثل هذه المناسبات، يوم أن نشيع إلى العالم الآخر روحاً انطلقت، لو كُشف عن عيوننا لكنا نفرح لها بهذا الإنطلاق وبهذا الخروج، حقيقة أمام العواطف البشرية لابد أن يشعر الإنسان بهذه العاطفة التى تربطه بقريبه وصديقه، وربما يبكى، لكن ليس بغير إيمان ولا بغير رجاء. سيدنا له المجد بكى على قبر لعازر، فهذه عواطف طبيعية، ولكن لو كُشف عن عيوننا لرأينا أن هذا يوم تزكية ويوم خروج، وكما قال المسيح له المجد هذه المقولة الجميلة، ليعزى بها تلاميذه قبيل إنطلاقه. «لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون بأنى أمضى إلى الآب»، حقاً أنه يعلم أنهم حزانى ولكن لكى يرفع عقولهم قال لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون، وهكذا تقول كل روح أمينة خرجت من هذه الحياة، للأهل والأصدقاء والأحباء عندما يظهروا نحوها عواطف الافتراق وعواطف السفر والرحيل، تقول أيضاً بلغة المسيح «لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون بأنى أمضى إلى الآب» نعم هو مضى وارتفع.

والأرواح فى الفردوس سعيدة، وتتمتع بالحياة أعظم مما تتمتع به هنا وهى فى قيود الجسد، أما هناك فقد خرجت من هذه القيود، وتحللت من هذه الإرتباطات، فتكون الروح طليقة لها عيون تعرف بها الحقيقة في ذاتها، لأننا فى الدنيا لا نعرف الحقيقة إلا من خلال ما نسميه بالحواس وهى أبواب المعرفة. إنما بعد أن يخرج الإنسان من هذا الجسد وبعد أن يتفتح كل شيء أمامه، تصبح طليقة وتزداد فى المعرفة وتزداد فى الفهم، كما يقول الكتاب المقدس والرسول بولس: «الآن أعرف بعض المعرفة ولكن حينئذ سأعرف كما عُرفت»، إذن المعرفة تمتد، نعم وهناك تلتقى ليس فقط بعالم آخر منه تأخذ المعرفة، ولكن أيضاً تلتقى بأرواح سبقتها، وما أعظم وما أسعد هذا اللقاء للأرواح التى سبقت وذهبت إلى هناك، فى لقائها معها تفرح وتتعلم شيئاً جديداً، تتعلم من خبراتهم التى أخذوها ليس فى

الدنيا فقط، وإنما فى عالم الفردوس أيضاً، إزدادت خبراتهم، فهذه الروح تتتلمذ على هؤلاء الذين سبقوها وعرفوها، وتزداد هى أيضاً فى المعرفة يوماً بعد يوم.

هذا هو جمال هذا الإنطلاق للأرواح السعيدة، بل وأيضاً تزداد روحانية وتقوى وتسابيح، وحمد وشكر ونمو فى الفضيلة، لأنه إذا كان الإنسان على الأرض على الرغم من القيود والمتاعب والمضايقات والمنغصات، أمكنه أن يغالب هذه الأمور وأن يسير مسيرة القديسين، فكم بالأحرى يوم أن تخرج الروح من الجسد وتعيش هناك، ذلك الجو الذى يساعدها على أن تنمو فى القداسة وتنمو فى المعرفة، لأننا مدعوون إلى الكمال، يقول المسيح له المجد: «كونوا كاملين كما أن أباكم السماوى كامل».

مَن من القديسين يزعُم أنه استطاع فى الأرض أن يبلغ إلى الكمال الذى يتكلم عنه المسيح!! لكن ماداموا أصبحوا مقبولين ودخلوا إلى العالم الأفضل، فأمامهم حياة أبدية متواصلة ينمون فى الفضيلة وفى المعرفة، وينمون في القداسة وفى التسبيح والحمد والشكر، لأنهم مع ضعف الجسد هنا كانوا يبذلون كل جهدهم ولكن كان الجسد يعوقهم، أما وقد انطلقوا فتزداد قدراتهم وإمكاناتهم ومساعداتهم لنا هنا، ولبعضهم بعضاً هناك.

إذن حقاً كما قال المسيح: «لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون»، هو ضعف الجسد وربما بسبب عدم اليقينية الكاملة فى الحياة الأبدية نضعف ونفتر، إنما بالإيمان نغالب ضعف الجسد ونرفع عيوننا ونرفع قلوبنا إلى فوق، لا نفتكر فيما يحزننا إنما نفتكر فى أن هذه الروح انطلقت إلى العالم الأفضل، فهى تمارس حياتها أفضل مما كانت على الأرض. فلماذا نعوقها؟ قال المسيح له المجد عن لعازر بعد أن أقامه: «حلّوه ودعوه يذهب» جميلة هذه العبارة، ارفعوا القيود، حلّوا الأربطة، حلوه ودعوه يذهب.

فنحن الآن أيضاً ونحن نذكر هذه الراحلة الكريمة نرفع عيوننا إلي فوق، نراها إنحلت من القيود، الآن فى حالة أفضل قطعاً ويقيناً، هناك حياة أجمل وأفضل وأحلى وهى تمارس حياتها لأن الموت هو رحلة وهو سفر، ونحن الآن ندرك الذين يسافرون إلى عالم الفضاء، إنه سفر ورحلة إلى عالم آخر لكنهم موجودون، وقال المسيح له المجد: أنا إله إبراهيم، أنا إله اسحق، أنا إله يعقوب، ليس الله إله أموات بل إله أحياء لأن الجميع عنده أحياء، نعم نحن لا نؤمن بالموت بمعنى الفناء، هو إختفاء، وكما أن الطفل حينما يكون جنيناً فى بطن أمه يحدث المخاط والألم، ولكن بعد ذلك يُولد إلى العالم الحاضر، تماماً حالة الموت هى مخاط ولكنها ميلاد، ميلاد ودخول إلى عالم آخر، فلا نعوقها، حلّوها ودعوها تذهب،

وهناك نؤمن أنها تمارس حياتها أفضل مما كانت على الأرض، وأنها تسبح وتحمد، لك أذبح ذبيحة الحمد، نعم، «أنا عبدك وابن امتك حللت قيودى فلك أذبح ذبيحة الحمد».

هى الآن وفى يوم الأربعين بعد أن تتم الروح رحلتها وتتشوفُ وتتعرف على الأرواح التى سبقتها إلى ذلك العالم ممن تعرفه وممن لا تعرفه، بعد أن تتم رحلتها هذه تدخل إلى العظمة الإلهية وتسجد ذلك السجود، وبعد ذلك يؤمر لها بمقر مؤقت تبقى فيه إلى يوم الحساب وإلى يوم الدينونة.

هذا هو السبب فى أن سيدنا له المجد أصرّ على أنه يجعل صعوده إلى السماء فى اليوم الأربعين لقيامته، فإحتفالنا فى يوم الأربعين معناه أن هذه الروح الآن تدخل إلى الحضرة الإلهية، بعد رحلتها فى هذه الأربعين يوماً، وتسجد أمام العزة الإلهية فيؤمر لها بالمقر الذى تبقى فيه إلى يوم الحساب الذى تسبقه الدينونة العامة، يقول المسيح له المجد: «تأتى ساعة يسمع فيها جميع الذين فى القبور صوته، فيخرج الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة»، ذلك الجسد الذى تتركه الروح ونودعه المقبرة، هذا الجسد محفوظ، بالموت يتحلل إلى عناصره الأولية لكى يتنقى من المرض ومن التعب ومن التلفيات، لكى يصاغ من جديد فى يوم القيامة بهندسة جديدة إنما من نفس المادة. من اللحم والدم، كما قال المسيح: «تعالوا انظروا يدىّ ورجلىّ، جسونى وتحققوا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لى»، فهذا الجسد الذى رقد وأودع فى القبر يقوم، نحن نؤمن بالقيامة العامة، يقوم ولكن فى صحة الشباب وقوة الشباب بعد أن يكون قد تنقى من الأمراض، وفي اليوم الذى عَيّنه الله للدينونة تنزل الأرواح من مقر الأرواح لتتحد من جديد بجسدها الذى عاشت فيه، ويقف الجميع أمام الديان، لأننا جميعاً سوف نُظهر أمام منبر المسيح للقضاء لينال كل واحد بحسب ماصنع فى الجسد خيراً كان أم شراً».

هذه يا أولادنا قصة حياتنا على الأرض، لابد أن نتذاكرها، ولابد أن نفكر فيها، وشاء الله أننا فى كل مناسبة نفارق فيها أحد أحبائنا نتذكر هذه الأمور، لأننا كما قال الرسول بولس ينبغى أن نَتذكّرها ونُذكّر أنفسنا بها لأنها قصتنا كلنا، كلنا عابرون وكلنا مسافرون وكلنا فى هذه الأرض فى رحلة، وإنما إيماننا أننا نذكر الذين سبقونا، نترحم عليهم مؤمنين بأنهم فى حالة أفضل، ونسألهم أن يصلوا من أجلنا وأن يعاونونا، وإلهنا له الإكرام والمجد إلي الأبد آمين.

المرحوم سيف عبد المسيح(١)

الابن العزيز إيليا سيف عبد المسيح.

سلام أيها الابن، ومحبة ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح.

لقد فُوجئتُ بل فُجعت أيضاً بالنبأ الذى هَزَّنى وراعنى كثيراً، نبأ رحيل والدكم وهو الابن المبارك الذى اعتزّ ببنوته، ولم أفهم كيف جاءت وفاته خاطفة. ولابدّ أن تكون نتيجة أزمة قلبية - وهذه صارت مشكلة العصر.

على أننى أعرف فيك أنك الآن شاب عصامي يمكنه أن يقبل التجربة بالصبر والإحتمال، وهنا نذكر قول الكتاب المقدس «طوبى لمن يحتمل التجربة، فإنه إذا تزَكى ينال إكليل الحياة الذى وعد به الرب للذين يحبونه» (يعقوب ١:١٢).

فتجلّد أيها الابن، وهنا أذكر لك ما قاله النبى داود لإبنه قُبيل وفاته وهو عالم أنه على أهبه الموت «أنا ذاهب فى طريق الأرض كلها. فتشدَّد وكن رجلاً. احفظ شعائر الرب إلهك». (١. الملوك ٢: ١،٢).

أسألُ الربَّ أن يحافظ عليك وعلى شبابك، حتى تحفظه طاهراً بلا لوم، وأن يُعينك على تحمل مسئولية العمل، وأن ترعى شئون والدتك، واذكر أنك ستُجزى جزاءً صالحاً كلما حافظت على صحتك وشبابك وطهارتك، وعلى قول الكتاب المقدس «اذكر خالقك فى أيام شبابك، قبل أن تأتى أيام الشر أو تجىء السنون إذ تقول ليس لى فيها سرور» (الجامعة ١٢: ١).

احرص على أن تقرأ الكتاب المقدّس يومياً، أصحاحاً واحداً بإنتظام، وعلى أن تصلّ صلواتك الخاصة الإنفرادية، وأن تواظب على حضور القداس والتناول من الأسرار المقدسة. ويجب أن يكون لك أب اعتراف من شيوخ الكهنة لتكون تحت تدبيره.

والربّ الإله نسأله أن يحفظك مستقيماً عاملاً بنشاط، فى خدمتك العملية والكنسية وأن يجعلك بركة..

ونعمة الرب تشملك أيها الابن.

---

(١) كتب فى ٢٣ من يوليو ١٩٩١م - ١٦ من أبيب ١٧٠٧ ش.

المرحومة السيدة مارى(١)

الأب الموقر الجليل القمص بطرس كوكو.

والأب المحترم القمص مرقس.

والابن المبارك العزيز المهندس ميخائيل.

سلام ومحبة ونعمة وبركة أرجو لكم وللأسرة جميعاً موفور السلامة والصحة والعزاء الروحانى.

لقد فوجئت بنعيكم للسيدة الجليلة المحترمة الوالدة مارى، رحمها الله وأنعم عليها بفردوس النعيم مع القديسين الراحلين.

إنى أثق فى إيمانكم وتقبلكم لهذه التجربة الأليمة بروح التقوى والصبر الجميل والعزاء الروحانى، بوصفكم مع القديسين سائرين فى طريق السماء. إنىّ أُقّدر مشاعركم فى مفارقة هذه العزيزة الغالية الراحلة إلى العالم الأفضل، وحيث يكون كنزكم هناك يكون قلبكم أيضاً.

أصلِّى أن يعينكم روح الله القدوس على الصبر الجميل، ذاكرين قول الوحى الإلهى: طوبى لمن يحتمل التجربة ، لأنه إذا تزكى ينال إكليل الحياة الذى وعد به الرب للذين يحبونه» (يعقوب ١: ١٢).

مع تحيات الإعزاء والحب، أرجو لكم موفور الصحة والعزاء - ونعمة الرب تشملنا جميعاً.

ولعظمته تعالى الشكر والتسبيح والسجود والإكرام.

---

(١) كتب فى ٤ من ديسمبر ١٩٩٣م - ٢٥ من هاتور ١٧١٠ش.

المرحوم الاستاذ فرج عبد السيد[1]

الابن العزيز المبارك السيد الدكتور رمسيس فرج.

سلام ومحبة ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح، أرجو لكم موفور الصحة والعزاء.

شكراً على بطاقة الشكر المرسلة منكم. وأدعو الله من كل قلبى أن يسكب على قلبكم سكيب العزاء الروحانى بالروح القدس. فالراحل العزيز حىّ، أجمل وأسعد ما تكون الحياة، فنحن لا نرى فى الموت إلاّ رحلة لعالم أفضل.

حقاً لابدّ أن يشعر الأحياء على الأرض بألم الفراق، ولكن بالإيمان نتطلع إلى السماء، فنتعزى.

بكل الحب نترحم على العزيز الغالى، ونسأل الله لكم موفور العزاء وطول البقاء، ونعمة الرب تشملكم.

(١) كتب فى ٢٩ من ديسمبر ١٩٩٣م - ٢٠ من كيهك ١٧١٠ش.

المرحوم الابن والأخ المهندس يوحنا الراهب(١)

نعم إنه ابن الكنيسة البار والمخلص، والتقىّ. هو الراهب، والراهب لقب الأسرة الكريمة، وكل الذين عرفناهم من هذه الأسرة المباركة من الرجال والنساء، أفاضل وأتقياء مُحبِّون لله وللكنيسة ومتميزون بالصدق والطيبة والجودة والخيرية.

وأنت أيها الابن يوحنا الراهب، لك صفة الراهب، ليس فقط بالإنتماء إلى أسرتك الكريمة، ولكنك أيضاً الراهب فى نقاوة الفكر، وسلامة القلب، وثبات القصد، ووحدة الهدف، والتجرُّد من الأنانية فى خدمتك الروحية والإجتماعية.

عرفتك أيها الإبن من سنوات طويلة، تقترب من الخمسين سنة، وأذكرك، وصورتك فى ذهنى وقلبى وأنت جالس أمامى بين طلبة القسم المسائى بالكليَّة الإكليريكية فى مهمشة، فأنتَ أيضاً إبنى الذى أحببتُه منذ أن رأيتهُ، ودامت محبتنا إلى اليوم، ولم يتغير رأيى فيك. فأنت كنتَ ومازلتَ تلميذاً مُخلِصاً للمسيح له المجد، صادقاً وباراً، متميزاً بالأدب والحبّ والوفاءِ والأمانة.

لقد خدمتَ المسيح يسوع فادينا، متعبداً، بروحانية صادِقة، وبذلتَ روحَك ووقتكَ وجهدَك ومالكَ فى الخدمة الكنسية فى مدارس التربية الكنسية، ثم فى الخدمة الإجتماعية، عموداً عالياً وسامقاً فى أسقفية الخدمات العامة والإجتماعية، متعاوناً بكل الإخلاص والحبّ والتفانى مع المتنيح الحبرِ جزيل الاحترام الأنبا صموئيل الذى رحل شهيداً إلى عالم الخلود والبقاء، وقد لَحِقتَ الآن به، فتلاقيتما معاً ومع من سبقوكما من الخُدَّامِ الأبرارِ والصدِّيقين.

لقد فوجئتُ، بل وفجعتُ بنبأ رحيلك، أيها العزيز والحبيب، ولكنَّك برحيلِك ارتقيتَ وتكللتَ بدخولكِ بين زمرة القدِّيسين والشهداء الراحِلين، في مَقرِّ الإنتظار فى فِردوس النعيم، ناميًا دائمًا في النعمة والمعرفة والروحانية فى الطول والعرض والعلو والعمق، فى مقياس قامة ملء المسيح.

وماذا أقوُل أيضًا... هنيئًا لك ما أسبغ الله عليك من نعمة وكرامة، وهنيئًا لك بُصحبة القِدّيسين فى حضِرة المسيح له المجد.

---

(١) كتب فى ٢٧ من يناير ١٩٩٤م - ١٩ من طوبه ١٧١٠ش.

الإبنة المباركة فريال حبيب حبيش

رحلت إلى عالم الخلود الإبنة العزيزة والخادمة الأمينة البكر البتول، فريال حبيب حبيش. رحلت وهى طاهرة نقية، وهى ذاهبة فى خلوة روحية إلى دير القديس العظيم الأنبا بيشوى، وكانت ضمن مجموعة من الزائرين للدير العظيم، فانقلبت بهم الحافلة أو الأتوبيس الحامل لهم، وشاء الله أن يكون هذا الحدث سبباً لوفاتها أو بالأحرى رحيلها إلى عالم البقاء والخلود.

إنّ الله تعالى هو حاكم الكون، شاء أن يكون رحيل الشابة المباركة فريال حبيب، إلي العالم الأفضل فى هذا اليوم وهذه المناسبة، وهى فى رحلة إلى خلوة روحية، أتمتها ونقلتها إلى عالم الروح، سعيدة وبريئة كما شاءت.

هذه الإبنة الشابة كانت ميولها قوية نحو الحياة الرهبانية، فشاء الله لها ما أرادت وما رغبت فيه، فصعدت روحها طاهرة وتركت على الأرض جسدها طاهراً، تركته إلى حين، وفى يوم القيامة العامة، ستأخذه وتسترده لتحيا روحاً وجسداً ولتنال جزاءها الأخروى عما صنعت من خير وبرّ وفضيلة وأعمال صالحة. قال المسيح له المجد (فإنه تأتى ساعة يسمع فيها جميع الذين فى القبور صوته، فيخرج الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة) (يوحنا ٥: ٢٨ ، ٢٩).

إننا نترحم على هذه الإبنة المباركة والخادمة الصالحة فريال حبيب، ونسأل لها النياح فى فردوس النعيم، والجزاء السعيد فى ملكوت السماوات، ولأسرتها الكريمة خالص العزاء من رب العزاء.

رسالة عزاء أخرى

ردأ على خطاب من السيد رأفت. ف.ج - طهطا.

اعلم أيها العزيز أن العمر محدود لأننا نعيش فى عالم المحدود. فما يمكن أن يعيش الإنسان فى الدنيا إلى الأبد. وإلا حُرمنا من الحياة الأخرى التى هى أفضل من حياتنا الدنيا.

مَنْ مِنَ الناس لا يموت؟ وهل أمكن لأحد من العظماء أو الأطباء أو العلماء أن ينقذ نفسه أو غيره من الموت؟

ومَنْ مِن الناس عاش له والده أو والدته إلى الأبد؟

لقد دخل الموت إلي العالم بخطيئة الإنسان الأول آدم، وبالموت دخل المرض - وأخذ عمر الإنسان يقصر شيئاً فشيئاً، حتى صار عمر إنسان الشرق الأوسط (فى مصر وحوض البحر الأبيض المتوسط) يتراوح فى أقصاه بين السبعين والتسعين. وقد يصل الشاذ النادر إلي المائة، وقال المزمور (عن إنسان الشرق الأوسط).

«أيام سنينا هى سبعون سنة. وإن كانت مع القوة فثمانون سنة، وأفخرها تعب وبليه، لأنها تقرض سريعاً فتطير» (مزمور ٦٩ (٧٠) : ١٠).

ومع ذلك فقد يطول العمر عن السبعين أو الثمانين إلى التسعين أو ينقص عن ذلك لأسباب متعددة، منها قانون الوراثة وقوانين أخرى طبيعية: منها صحة الوالدين عند الحمل، وظروف الأم الحامل أثناء الحمل، وأثناء الرضاعة، وظروفها النفسية، وظروفها الصحية، ثم حياة الإنسان المولود بعد ذلك من يوم ميلاده حتى يبلغ سن الكبر، ومايتعرض له من أحداث ومن أمراض ومن عوامل نفسية... كلها وغيرها لها أثرها فى صحة الإنسان وفى طول العمر وقصره ، وكذلك عاداته فى الأكل والشراب، وما يأخذه من مكيفات، ومن عوامل الغضب أو الحزن وما إلى ذلك.

ويقول الحكيم «الهم فى قلب الرجل يحنيه والكلمة الطيبة تفرحه» (الأمثال١٢: ٢٥).

والمعنى أن العمر يخضع لعوامل مختلفة بعضها وراثى، وبعضها بيئى. سواء كانت بيئة البلد أو بيئة البيت وكذلك المناخ والجو الطبيعى والنفسى.

هذا هو القانون العام، ولكن هناك مع ذلك تدخل من جانب الله، ولو أن هذا التدخل هو من قبيل المعجزة، فإن القوانين هى السائدة، وكما يقول القديس أوغسطينوس أن الله يسوس العالم بالقوانين لا بالمعجزات. إن المعجزات تحدث أحياناً، ولكن بصفة نادرة، وإلاّ لما كانت معجزات. ثم أنه لابد لحدوثها من تبرير فى تدبير العناية الإلهية. أي لابد من أسباب عند الله، ليس من السهل على الإنسان تقصيها.

وعلى كل حال، فالفرق بين أعمار الناس فى البيئة الواحدة ليس شيئاً بالقياس إلي الأبدية. فمن نقص عمره هنا على الأرض، يضاف له في العالم الآخر، لأن الله ملك السماوات والأرض. وهو سيدنا هناك.

أيها العزيز - مادمتم قد أديتم واجبكم نحو الوالدة، وكنتم أوفياء لها، فلا داعى لأن تعذبوا أنفسكم بالبحث عن تقصيركم، فأنتم لم تقصروا فى شيء، ولكن كان لابد للجسد وقد استهلكه المرض أن تنتهى به حياة والدتكم على الأرض، ليكمل لها الراحة فى العالم الآخر والأبدى، إن شاء الله.

إن خدمتكم للوالدة أن ترفعوا القداسات بإسمها، وأن تترحموا عليها بالصدقات للملاجئ وللفقراء، فإن أماً طيبة القلب والسيرة مثل أمكم، ينفعها ماتقدمونه بعد حياتها من صلوات وأعمال الرحمة.

المباركة إيريس حبيب المصرى[1]

فى مناسبة ذكرى يوم الأربعين لرحيل إبنة الكنيسة، البكر البتول العزيزة إيريس حبيب المصرى إلى الأخدار السماوية، بعد رحلة الكفاح المجيد التى عاشتها هذه الخادمة المناضلة كأفضل وأنقى مايكون النضال من أجل الخير العام.

نذكرك أيتها الراهبة الطاهرة ونترحم عليكِ، فى اليوم الذى تدخل فيه الروح السعيدة التى أكملت مسيرتها وأنهت رحلتها على الأرض إلي فردوس النعيم، فتعود إلى ربّها وخالقها وهى تردد «إرجعى يا نفسى إلى موضع راحتكِ، فإن الرب قد أحسن إليك (ويجزيك)» (مزمور ١١٤: ٧).

وأنت أيتها العزيزة المباركة، إيريس حبيب المصرى، تشهد لكِ أعمالك بأنك قد أحسنت السيرة والمسيرة، أحسنت إلى الله والناس، فأنت يصدق عليك تقرير الحاكم العادل «أحسنت أيها العبدُ الصالح والأمينُ، بما أنك كنتّ أميناً فى القليل سأقيمك على الكثير. ادخل إلى فرح سيدك» (متى ٢٥: ٢١).

هذا التقرير الجميل يُناسبك أيتها الراهبة الخادمة، التقية والنقيّة والمختارة، ففى المسيح الرب لا ذكر ولا أنثى، ليس فرق بين رجل وامرأة (غلاطية ٣: ٢٨).

شأن المرأة هو بعينه شأن الرجل فى الكرامة الإنسانية، وفى الجزاء الأخروى، إن الفرق بين الرجل والمرأة هو فرق في الوظيفة والإختصاص، أما فى الإنسانية، فهما عند الله سواء.

وأنتِ أيتها المباركة عشتِ طبقاً للدعوة المقدسة التى دعاك الله إليها، ووفقاً للرسالة التى خلقك الله لأدائها خير مايكون الأداء، فقد أثمرت وزناتكِ ثماراً صالحة، وقد شحنتِ وقتكِ كله بأعمال صالحة مجيدة وجليلة.

لقد عرفتُك أيتها المباركة منذ الثلاثينات عندما كنت تترددين مع صحبك من السيدات على أستاذنا الأرشيدياكون حبيب جرجس وهو مدير الكلية الإكليريكية فى مهمشة، فقد تألفت منكن «جمعية السيدات القبطية لتربية الطفولة»، وقد كنتِ وأنتِ الراهبة المتفانية من بينهن، ولعلك كنتِ وظللت سنوات وسنوات العاملة والخادمة فى هذا المجال التربوى

---

(١) كتب فى ١١ من أغسطس ١٩٩٤م.

بروح الأمومة التى تتميز بها المرأة، وبخاصة إذا تبتلت وترهبت ولم تتزوج، فإن نشاطها فى مجال الطفولة يفوق نشاط الرجال أضعافاً، لأنها تصب فى هذا المجال كلّ عاطفتها وحنانها ورقتها، وعطائها المتميز غير المحدود والذى لا تطلب فيه أو عنه جزاء غير جزاء فرحها وسرورها بتحقيق رسالتها، رسالة الأمومة المتميزة فى المرأة، وبخاصة إذا كانت راهبة فإنها تهب كل إهتمامها لرسالتها الروحية والتربوية.

وأعرف أيتها الراهبة البكر البتول إيريس حبيب المصرى جهادك المبرور فى إنشاء معهد الدراسات القبطية، وكيف واصلت جهادكِ وأنت الرائدة فى جمعية السيدات فى تمويل المعهد فى المراحل الأولى لإنشائه حتى افتتح فى عام ١٩٥٤.

يذكر ذلك جيداً المرحوم الأستاذ الدكتور عزيز عطية سوريال ومعه ومن بعده المرحوم الاستاذ الدكتور سامى جبرة مديرا المعهد، وغيرهما من السابقين واللاحقين من الراقدين والأحياء، كلهم يذكرون جهودك أيتها المباركة فى إنشاء المعهد، ويذكرك بالخير طلبة المعهد والدارسون الذين تتلمذوا عليكِ وأنتِ أستاذة التاريخ لسنوات كثيرة - فضلاً عن مؤلفاتك فى التاريخ وكتابك بأجزائه العشرة (قصة الكنيسة القبطية)، بالإضافة إلى محاضراتك بالمدارس والكنائس والجمعيات العامة.

ولقد كان الرئيس الراحل محمد أنور السادات يشيد بك وبكتاباتك ولا أنسى فى عام ١٩٧٢ إبان مشكلة الخانكة كيف أشاد بك أمام صاحب القداسة البابا شنودة والمطارنة والأساقفة أعضاء المجمع الإكليريكى العام، وذكر اسمك بإحترام وإعجاب، وقال إنه تتلمذ على كتاباتك ومؤلفاتك، كذلك أشاد بك - رحمه الله - يومَ كنت مع أعضاء مجلس الشعب وأعضاء مجلس الشوري من الأقباط، عندما سألته فى نهاية إجتماعكم به فى بيته فى ميت أبو الكوم فى الخامس والعشرين من ديسمبر لسنة ١٩٨٠ وهو تاريخ ميلاده، أن يصنع مبادرة مع الكنيسة، أطرق برأسه قليلاً ثم قال لك أمام جميع الأعضاء، إنه مدين لك بالكثير وأنه تتلمذ على كتاباتك ومؤلفاتك.

والحقيقة التى لا تنُكر أنك مؤرخة لا للقديم فقط، بل ومؤرخة للحديث أيضاً، فقد كتبتِ عن أحداث وأشخاص لم يكتب عنهم من سبقوك فأكملتِ المسيرة - وصارت كتبك مراجع ثمينة لأجيال حاضرة وأجيال آتية.

إن جزاءك أيتها الراهبة البتول إيريس المصرى، هو عند الله عظيم، وكما يقول الكتاب المقدس «إن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم، وتعب المحبة التى أظهرتموها نحو اسمه إذ قد خدمتم القديسين وتخدمونهم» (العبرانيين ٦: ١٠) ونحن نؤمن أنه وقد انتهت رحلتك على الأرض بما يسمى بالموتِ، انتقلت إلى مرحلة أُخرى من مراحل الحياة الأبدية التى لا تنتهى.

ونؤمن وأنك الأستاذة والمؤرخة الذى تتلمذ عليكِ الكثيرون، قد ارتقيت ولاسيما بالأربعين، من رحلة صعودكِ إلى العالم الأفضل، ارتقيت إلى مستوى أعلى فى التلمذة الروحانية، فأنت الآن، تلميذة فى المستوى الأعلى الذى يتصاعد ويعلو مع مراحل الحياة الأبدية ، الحياة التى لا نهاية لها. يقول الرسول القديس يوحنا «أيها الأحباء نحن أبناء الله ولم ينكشف لنا بعدُ ماذا سنكون، غير أننا نعلم أنه متى ظهر سنصير مثله، لأننا سنراه كما هو» (١. يوحنا ٣: ٢).

فهنيئاً لك أيتها المباركة إيريس حبيب المصرى، أيتها الراهبة والبكر والبتول والخادمة والمناضلة التى أوقفت حياتها على خدمة الله والعلم والمعرفة للصغار والكبار، الأطفال والشباب والرجال والنساء، ثم رحلت عن الأرض ثم ارتقت وصعدت روحها إلى العالم الأفضل لتواصل مسيرتها الروحية والعلّمية، على مستويات أعلى، فى حياة أبدية لا نهاية لها.

مباركة أنتِ ومباركة حياتك.

اسأل الرب عنا أن يعيننا كما أعانك.

فهرس الموضوعات

مقدمة ٧
إهداء ٩
أولاً : الموضوعات الروحية: ١١
١- روحانية الكنيسة القبطية ١٢
أولاً: فى تعاليمها ١٥
ثانياً: فى تاريخها العظيم. ١٨
ثالثاً: فى طقوسها. ١٩
٢- دعوا الروح يملأكم. ٢٢
الإمتلاء بالروح ٢٢
معنى الإمتلاء بالروح ٢٣
الإنتشار ٢٤
دور الإنسان ٢٤
التروحن ٢٤
نوعان من الإشتهاء ٢٥
علامة الإمتلاء الحقيقى ٢٦
نموذج الكمال ٢٦
أمثلة أخرى ٢٧
الآباء الرسل ٢٨
جماعة الخمسينيين ٢٨
عمل الروح القدس فى المعمودية ٣٠
سر الميرون ٣١
الروح القدس والخدمة الكهنوتية ٣٢
عطية لجميع المؤمنين ٣٢
زيت المسحة ٣٣
الاضرام والإنعاش ٣٥
عمليتان: صيانة وتنمية ٣٦
ماهى وسائط الخلاص ٣٧
أهمية سر التناول للتنمية الروحية ٣٨
للتناول من حيث هو قوت روحانى هدفان أساسيان ٣٩
القداس وليمة ٤٠
المفهوم الأرثوذكسى للتناول ٤١
٣ - الشر، أسبابه ونتائجه ٤٢
ماهو الشر ٤٢
الفرق بين الخطأ والخطيئة ٤٣
تقييم الكائنات من حيث الخطأ والخطيئة ٤٣

لماذا يسمح الله بالشر ٤٤
لماذا خلق الله الشر «الشيطان» ٤٧
الجسد والخطيئة ٤٨
الروح والخطيئة ٥٠
لماذا أعطيت الديانة للإنسان ٥٣
٤ - أيستطيع أعمى أن يقود أعمى ٥٤
أما يسقطان كلاهما فى حفرة ٥٥
ليس تلميذ أرفع من معلمه ٥٧
لماذا تنظر إلى القذى الذى فى عين أخيك ٥٨
أخرج أولاً الخشبة من عينك ٦٠
كل من يأتى إلىّ ويسمع كلامى ويعمل به ٦٢
٥ - الإنسان والهدف الأعلي من الحياة ٦٤
هدفنا الأعلى فى الحياة أن نكون مشابهين لله ٦٤
العلم هو طريقك لتحقيق هدفك ٦٥
العمل كقيمة أساسية من القيم المسيحية ٦٦
٦ - الزهد والحياة النسكية ٦٨
المسيحية والحياة النسكية ٦٩
النسك بالنسبة للكهنة ورجال الدين ٧٥
٧ - التواضع ٧٧
لماذا نتواضع؟ ٧٧
نتيجة التواضع؟ ٨٢
٨ - الجهاد القانونى ٨٦
كرنيليوس والقديس بطرس ٨٧
شاول والسيد المسيح ٨٩
التقوى الحقيقية ٩٢
عدم الغرور ٩٢
التواضع ٩٣
٩ - سيدى يا قداسة البابا ٩٥
وأيضاً سيدى يا قداسة البابا ١٠١
١٠ - محاسبة النفس وتأملات فى رأس السنة الميلادية. ١١١
محاسبة النفس ١١١
أهمية المراجعة ١١٢
الله وازن الأرواح ١١٣
حياتك على الأرض مرحلة أولى ١١٥
الله ليس بظالم ١١٦
التوبة تقوم على أربعة عناصر ١١٨

نحن غرباء ١٢١
لننبذ المخاصمات ١٢١
كن وكيلاً أميناً ١٢٣
ما تزرعه إياه تحصد ١٢٥
١١ - الإستنارة ١٢٨
١٢ - مثل الوزنات ١٣٤
ماهى الوزنات ١٣٥
١ - الأموال ١٣٥
٢ - المواهب والعطايا ١٣٦
ليس من حقك الإعتراض ١٣٨
كُل على قدر طاقته ١٤١
١٣ - صلاة السيد المسيح والتجارب للإنسان ١٤٤
ماذا يعنى أن المسيح يصلى ١٤٤
أى نوع من أنواع الصلاة صَلاّها السيد المسيح ١٤٤
صلاة المسيح كانت مناجاة ١٤٦
فائدة التجارب للإنسان ١٤٨
١٤ - الحاجة إلى واحد ١٥٠
فضيلة مرثا ١٥٠
الإهتمام بأمور كثيرة ١٥٢
النصيب الصالح ١٥٤
١٥ - عمل الإيمان في بناء شخصية الإنسان ١٥٧
الإنسان جنة الله ١٥٩
البعد الإجتماعى ١٦١
التكامل فى المحبة فى أبعادها الثلاثة ١٦٢
١٦ - فضيلة الإماتة ١٦٤
١٧ - حياة الإنسان سفينة ١٦٦
١٨ - البصر والبصيرة ١٧١
الرؤى والأحلام ١٧١
رؤيا القديس بولس ١٧٢
رؤيا القديس بطرس ١٧٢
رؤيا الملاك للعذراء مريم ١٧٢
رؤيا الملاك لزكريا ١٧٣
رؤيا القديس ميخائيل البحيرى ١٧٣
رؤيا القديس يوحنا الحبيب ١٧٤
بصيرة القديس ديديموس ١٧٥
المولود أعمى والبصيرة ١٧٦

المعمودية ترد للإنسان البصيرة ١٧٩
١٩ - ماذا نصنع إزاء أعدائنا ١٨٢
٢٠ - الظاهر والباطن ١٨٥
الرياء والإهتمام بالظاهر ١٨٥
نظرة المسيحية إلى الباطن والظاهر ١٨٧
٢١ - التقشف العالمى وواجب الكنيسة ١٩٠
٢٢ - التجارب والكنيسة ١٩٤
٢٣ - رؤية الله ١٩٧
إجابات على أسئلة ٢٠١
١ - إمتحان النفس ٢٠٢
٢ - هل نعيش فى عصر النعمة؟ ٢٠٤
٣ - ما أهمية التوبة؟ ٢٠٦
٤ - كيف نحصل على الطهارة؟ ٢٠٨
٥ - الدالة بين الإنسان والله نتيجة جهاد ٢١٠
٦ - الصوم وماذا نستفيد؟ ٢١١
٧ - ماذا تفعل لو تخلى الله عنك؟ ٢١٢
٨ - كيف أنفذ فضيلة الإتضاع؟ ٢١٥
٩ - من ضربك على خدك الأيمن أدر له الآخر أيضاً. ٢١٦
١٠ - أدر له الأيسر أيضاً ٢١٧
١١ - موت غير جسدى ٢١٩
١٢ - الصمت والبشاشة والمحبة والتواضع ٢٢٠
١٣ - لا تدينوا. ٢٢٢
١٤ - قد يكون سبب الإكتئاب العقم ٢٢٤
١٥ - اللاهوت النسكى ٢٢٥
١٦ - متي أشعر أنى أحفظ وصايا الله؟ ٢٢٦
١٧ - عقوبة الكاذب ٢٢٧
١٨ - التأديب والإمتحان ٢٢٨
١٩ - الروح يشتهى ضد الجسد ٢٢٩
٢٠ - الشهوة فى القلب ٢٣٠
٢١ - الأفكار الشريرة ٢٣١
٢٢ - كيف أتغلب على الغضب؟ ٢٣٢
٢٣ - الأنانية ٣٣٣
٢٤ - من سيفصلنا عن محبة المسيح؟ ٢٣٤
٢٥ - تسكين الحواس ٢٣٦
٢٦ - قساوة القلب ٢٣٦
٢٧ - لا تصدق نفسك... النية ناقصة ٢٣٧

٢٨ - الفتور فى الصلاة ٢٣٨
٢٩ - التصفيق والتهليل فى الكنيسة ٢٣٨
٣٠ - الوحدة بين الطوائف ٢٣٩
٣١ - الحروب الروحية ٢٣٩
٣٢ - النوم فى الكنيسة ٢٤٠
٣٣ - كيف أصل إلى محبة الله من كل القلب؟ ٢٤٠
٣٤ - هل تتعارض المسيحية مع الكرامة؟ ٢٤١
٣٥ - أصحاب الساعة الحادية عشر ٢٤٢
٣٦ - التمتع بالحياة الأرضية ٢٤٤
٣٧ - فضيلة الثبات ٢٤٥
٣٨ - فائدة الخلوة ٢٤٦
٣٩ - مراجعة النفس ٢٤٦
٤٠ - متى أصلى صلوات السواعى؟ ٢٤٨
صلوات وإبتهالات وتأملات: ٢٥١
ماذا علمتنى الحياة ٢٥٢
علمتنى الحياة والأيام ٢٥٤
محاسبة النفس ٢٥٦
الإنسان هذا الكائن المتناقض ٢٥٨
أنا حى لأنك أنت معى ٢٥٩
تأملات فى نهاية وبداية عام ٢٦٣
ذكريات وتأملات فى الأربعينيات ٢٦٦
صلوات وتأملات يومية ٢٧٠
الله وحده هو الذى يعلم أعماق قلوبنا وفخر رسالتنا ٢٨٣
عيدَّى الصعود والقديس أثناسيوس ٢٨٧
معك يارب لا نريد شيئاً ٢٩١
القديس أغسطينوس ٢٩٧
ما قبل التوبة ٢٩٨
عوامل التوبة ٣٠٠
ما بعد التوبة ٣٠٢
أبرز مافى حياة القديس أغسطينوس ٣٠٤
إعترافات القديس أغسطينوس الكتاب الأول - عن صلاته ٣٠٦
صلاة إفتتاحية ٣٠٦
الطفولة الثانية - كيف يتعلم الطفل الكلام ٣١١
التعليم : بؤوس أغسطينوس التعليمية ٣١٢
التأثيرات المسيحية الأولى ٣١٤
الضغط والاكراه المدرسى ٣١٥

أسباب كراهيته لليونانية ٣١٧
أكاذيب الأساطير الدينية اليونانية ٣١٨
كلمات عزاء: ٣٢١
تقرير لابد منه عن رحلة العمل ثم رحلة العمر ٣٢٢
أولاً: آباء بطاركة ومطارنة وأساقفة ٣٢٩
البابا مكاريوس الثالث ٣٢٩
المتنيح الأنبا باسيليوس مطران كرسى الأقصر وإسنا وأسوان ٣٣٢
المتنيح الأنبا باسيليوس مطران الأقصر فى ذكراه ٣٣٧
المتنيح الأنبا ابرآم مطران الجيزة ٣٤١
المتنيح الأنبا أغابيوس مطران صنبو وديروط وقسقام ٣٤٢
طوباك أيها المطران المظلوم (الأنبا كيرلس رئيس أساقفة أثيوبيا) ٣٤٥
عبرة ووفاء فى نياحة الأنبا بطرس مطران إخميم وسوهاج ٣٤٧
المتنيح الأنبا باسيليوس بطريرك جاثليق أديس أبابا وكل أثيوبيا ٣٤٩
السلام لروحك يا أنبا ديوسقورس ٣٥١
وداعاً يا أنبا ساويرس مطران المنيا ٣٥٢
وداعاً أبانا المطران الأنبا مرقس ٣٥٤
المتنيح الأنبا صموئيل فى الذكرى السنوية الأولى ٣٥٨
الأنبا صموئيل والعلاقات المسكونية الثنائية ٣٦٢
فى الذكرى العاشرة للمتنيح الأنبا صموئيل ٣٦٥
الأنبا يوأنس حبيبنا أسقف طنطا ٣٧٠
الأنبا ثيئوفيلوس أسقف ورئيس دير السريان ٣٧١
المثلث الرحمات الأنبا مرقس مطران إسنا والأقصر الأسبق ٣٧٣
حبيبنا المبارك رجل الله الأنبا باسيليوس مطران الكرسى الأورشليمى ٣٧٧
المطران الأنبا مكسيموس مطران القليوبية وبنها وقويسنا ٣٨١
المتنيح القديس الأنبا إسطفانوس مطران عطبره والنوبة وأم درمان ٣٨٢
ثانياً: آباء كهنة ٣٨٤
القمص إبراهيم لوقا ٣٨٤
الإيغومينوس ميخائيل مينا ٣٨٥
القمص بطرس عطا الله الجوهرى ٣٨٦
الإيغومينوس ميخائيل إبراهيم ٣٩٤
القمص غبريال بولس ٣٩٦
القس بيشوي كامل ٤٠١
القمص يوحنا حنا ٤٠٢
القمص إبراهيم عبد الله ٤٠٥
الإيغومينوس عبد المسيح ثيئوفيلوس النخيلى ٤٠٧
القمص باسيليوس إبراهيم ٤٠٩

القمص إيساك اسحق توفيق ٤١٠
القمص عبد المسيح جرجس الأقصرى ٤١١
المتنيح القمص بطرس كيرلس ٤١٣
القمص عبد المسيح مرقص الأقصرى ٤١٤
القمص صليب سوريال ٤١٥
ثالثاً: آباء علمانيين ٤١٧
شكراً على عزاء ٤١٧
المتنيح الأرشيدياكون حبيب جرجس ٤١٨
فترة مثيرة ومُحيرّة ٤٢٢
الأستاذ ادوارد بنيامين ٤٢٤
السيدة چوليت حرم الأستاذ لبيب شحاتة الشرقاوى ٤٢٧
المرحوم الأرخن الدكتور لبيب عبد النور ٤٣٠
رسالة عزاء ٤٣٣
المرحومة الآنسة ڤيوليت موريس بطرس ٤٣٥
المرحوم الأستاذ عبد المسيح برسوم المحامى ٤٣٩
المرحومة السيدة سيسيل ارمانيوس جرجس ٤٤٠
الله يسوس العالم بالقوانين لا بالمعجزات ٤٤٢
المرحوم الأستاذ خيرى ٤٤٧
المرحوم الأستاذ ميلاد اندراوس ٤٥٠
المرحوم الأستاذ وليم بطرس ٤٥١
عزيزنا وحبيبنا دكتور ميخائيل عياد ٤٥٣
المرحومة الشابة منى ٤٥٥
المرحومة السيدة زينا شحاتة ميرهم ٤٥٧
فى قداس الأربعين لشقيقته أوليڤيا عطا الله ٤٥٨
المرحوم الأستاذ يوسف شحاتة الشرقاوى ٤٦٠
المرحوم المهندس اسحق سليمان ٤٦٤
عزيزنا وحبيبنا الدكتور ألفى سليمان ٤٦٧
المرحومة فردوس حنا ٤٦٨
المرحوم سيف عبد المسيح ٤٧٢
المرحومة السيدة مارى ٤٧٣
المرحوم الأستاذ فرج عبد السيد ٤٧٤
المرحوم الابن والأخ المهندس يوحنا الراهب ٤٧٥
الإبنة المباركة فريال حبيب حبيش ٤٧٦
رسالة عزاء أخرى ٤٧٧
المباركة إيريس حبيب المصرى ٤٧٩
فهوس الموضوعات ٤٨٢